الهلال

الجزء السابع من السنة الثالثة عشرة

١ ابريل (نيسان) سنه ١٩٠٥ و ٢٦ محرم سنة ١٣٢٣

أشهر الحوادث وأعظم الرجال



كارلوس الثاني عشر

القائد الاسوجي الشهير الملقب بالاسكندر

ولد سنة ١٦٨٢ وتوفي سنة ١٧١٨

﴿ اسوج ﴾ كانت اسوج في تاريخها القديم تابعة لمملكة الدنمارك وقد حاول الاسوجيون الاستقلال غير مرة ففازوا بتلك النعمة فوزًا تامًا في اوائل القرن السادس عشر . واول ملوكها غستاف واصا الملقب بغستاف الاول تولاها سنة ١٥٢١ وجعل اكثر اهلها من الطائفة الانجيلية ثم تولى عليها بضعة ملوك من اهله الى سنة ١٦٣٢ اذ افضت الحكومة الى الملكة كريستينا وكانت كاثوليكية فنقلت الحكومة الى احد اقربائها من عائلة فلاتس وهو كارلوس العاشر . فاستلم ازمة الحكم سنة ١٦٥٤ فحارب الدنماركيين وتغلب عليهم واشهر حروبه واقعة وارسو في بولونيا لانه فاز فيها فوزًا باهرًا واضاف اقليم اسكانيا الى مملكته . وخلفهُ ابنهُ كارلوس الحادي عشر سنة ١٦٦٠ وهو غلام فكفلته امه وفي ايامه اضيفت ليفونيا الى اسوج وعقد الصلح بين الدنمارك وروسيا . وبلغ الملك رشده سنة ١٦٧٢ وقبض على زمام الاحكام وكان متسرعًا في اموره فاستنصره لويس الرابع عشر في حروبه سنة ١٦٧٤ فنصره بجند قاسى العذاب والخسران فاغتنم كرستيان الخامس ملك الدنمارك اشتغال عدوه بنفسه وهاجم بلاده يريد استرجاع اسكانيا وكاد يفوز لولم يرجع كارلوس الى صوابه ويلم شعثه ويتولى قيادة الجند بنفسه ويحاربه بعزم شديد . وتوفي كارلوس الحادي عشر سنة ١٦٩٧ وخلفهُ ابنه كارلوس الثاني عشر صاحب الترجمة

﴿ كارلوس الثاني عشر ﴾ هو اعظم ملوك اسوج فتحًا وبسالة ولذلك شبهوه بالاسكندر المكدوني بسرعة فتوحه وسعة مطامعه وعدم مبالاته بالاخطار . ولو خدمه التوفيق في أُخريات ايامه كما خدمهُ في اوائلها لتم لهُ فتح معظم اوروبا . ولكنهُ بلي بعدوٍ شديد ورجل عاقل يعدُّه التاريخ من اعظم رجال العالم نعني به رجل روسيا بطرس الكبير فبعد ان دهش من بسالة كارلوس وتدبيره وخافهُ على مملكته « تعلم منه كيف يغلبهُ »

ولد كارلوس المذكور في ستوكهلم في ٢٧ يونيو سنة ١٦٨٢ وتثقف جيدًا وتعلم اهم لغات اوروبا في ذلك العهد واتقن التكلم بالالمانية والفرنساوية واللاتينية . ولما توفي ابوه سنة ١٦٩٧ كما تقدم كان لا يزال في الخامسة عشرة من عمره فعهدوا اليه بتقاليد المملكة والحداثة غالبة عليه فانقطع الى ما يلذُّ لهُ من المطالعة واللهو وكان فيه ميل شديد الى استظهار تراجم المشاهير وخصوصًا القواد الكبار كالاسكندر وقيصر ونفسه تحدثه ان يحذو حذوهم في الفتح والحرب فوجه التفاته الى التربية الجسدية فعمد الى الرياضة البدنية في ركوب الخيل والصيد والقنص وربما قضى بضع ساعات في مطاردة دب أو خنزير لا يبالي بالحر أو البرد فاشتد عضله وتصلب قوي عظمه واصبح معدودًا من أقوياء الابدان وقد نفعه ذلك في حروبه القادمة

وكان على الدنمارك يومئذ الملك فريدريك الرابع وعلى بولونيا أوغسطس الثاني وعلى روسيا بطرس الاكبر فطمع ملك الدنمارك باسوج وحدثته نفسه ان يقاتل كارلوس ويفتح مملكته ويضمها الى بلاده كما كانت في عهد أسلافه القدماء وخابر ملك بولونيا وقيصر الروس فوافقاه على عزمه على ان يصيب القيصر حظ من تلك الغنيمة في أعالي أسوج مما يلي بلاده . فبدأ فريدريك بمشروعه وهاجم مقاطعة دوق هولستين من املاك أسوج وراء الدنمارك وعليها صهر كارلوس زوج أخته وهو من الدوقات الذين يتولون الامارات الصغرى تحت سيطرة الملك . ففر الدوق المشار اليه يطلب مساعدة كارلوس في استوكهلم فلبى الدعوة وامر بتجنيد الجنود لمحاربة الدنمارك كانه كان متربصاً ينتظر هذه الفرصة . وكانت انكلترا قد وعدته بالمساعدة عند الحاجة تمهيداً لمطامعها في أوربا في ذلك الحين والتماساً لنقض المحالفة الثلاثية التي تقدم ذكرها بين روسيا وبولونيا والدنمارك . فامدت كارلوس بعمارة انكليزية فيها بوارج هولندية اتحدت بالعمارة الاسوجية فاصبح الاسطول مؤلفاً من ٥٤ بارجة ساروا به الى بحر البلطيق وطاردوا الاسطول الدنماركي الى كوبنهاغن وحاصروا المدينة واطلقوا عليها القنابل فعطلوا بعض قلاعها

وكان كارلوس قد حمل بجند أسوجي آخر على جزيرة جيلاند ونزل الشاطىء في مقدمة رجاله . ومما يذكرونه من دلائل تحمسه وبسالته انه لما رست سفنه قرب الشاطىء لم يستطع الصبر ريثما ينصبون المماشي بين السفينة والبر فوثب يخوض البحر بثيابه وقد غمره الماء الى ذقنه فاقتدى به رجاله وازدادوا حماساً وشجاعة . فلم يستطع الدنماركيون الوقوف امامهم فطلبوا الفرار . فلما رأى ملك الدنمارك شدة بطش كارلوس خافه على مملكته فاخرج نفسه من المحالفة الثلاثية وطلب مصالحته على أن يطلق له السبيل في محاربة بولونيا وروسيا اذا أراد حربهما . وكانت هذه الحرب فاتحة انتصارات كارلوس وقد تفاءل بها خيراً

وتحدثت امم اوربا يومئذ ببسالة هذا الملك الشاب وحماسه ومما يتناقلونه من هذا القبيل انه لما سمع دوي المدافع في جزيرة جيلاند وكان ذلك أول عهده بسماعه سأل احد ضباط الانكليز بجانبه « ما هذا الصفير الذي اسمعه » فاجابه « اصوات قنابل العدو التي يطلقونها على جلالتك » فاجاب على الفور « هذه هي الموسيقى التي سأتغنى بها منذ الآن » وكأنه لما ذاق لذة النصر والفتح انتبه لما كان يجول في خاطره من الاقتداء بالاسكندر فاخذ في اعداد نفسه للفتوح العظام فامسك عن شرب الخمر وجعل رقاده ليلاً على رداء كالبساط يفترشه في ارض غرفته او على الارض في الخلاء واتخذ لباساً في غاية

البساطة هو عبارة عن قباء ازرق ازراره من النحاس وعدل عن الملذات والملاهي بالكلية . وكان من فطرته صبوراً على التعب لا يبالي بالبرد ولا الحر مهما يكن من اشتدادها ناهيك بقوة جأشه وبسالته وعظيم تأثيره في نفوس رجاله . فكانوا يستهلكون في طاعته ولو الى الموت وقد أثار في نفوسهم حب الوطن والسعي في مصلحته وتوسيع نطاقه بالفتوح فاطاعوه وكان النصر رفيقهم في اهم المواقع

لما طلب فريدريك ملك الدنمارك من كارلوس الصلح كان بطرس الاكبر قيصر الروس في خليج فلاند يتهدد نارفا وليفونيا (في روسيا الآن) وكان اوغسطس ملك بولونيا قد حاصر ريغا وهي يومئذ من املاك أسوج . فحمل كارلوس على ليفونيا بثمانية آلاف مقاتل لمحاربة قيصر الروس وجيشه يومئذ ثمانون الفاً قد حاصروا نارفا وبطرس غائب . فلم يعبأ كارلوس بكثرة الروس وهم عشرة أضعاف جيشه وكانوا قد عسكروا وبنوا حولهم سوراً فهاجمهم في ٣٠ نوفمبر سنة ١٧٠٠ بعزم يفلّ الحديد فاخترق سورهم وانتشبت الحرب ثلاث ساعات انجلت عن فشل الروس وقد قتل منهم ثمانية آلاف وأسر ثلاثون الفاً وغرق بعضهم في نهر نيفا وكانوا قد تزاحموا على جسره فانكسر بهم . واستولى الاسوجيون على مؤن الروسيين وذخائرهم فدخل كارلوس نارفا ظافراً غانماً

وكان بطرس الاكبر قد استقلّ بسلطة الروس من سنة ١٦٨٩ وادهش العالم بحزمه وذكائه وتعقله وسياسته مما لم يسبق له مثيل في التاريخ فلم يزعجه خبر هذا الانكسار ولكنه قال « كنت عالماً ان الاسوجيين سيغلبوننا ولكننا سنتعلم منهم كيف نغلبهم » ثم امر بسحب جيوشه من تلك الجهة وعمل على تدريب الجند استعداداً لحرب شديدة

أما كارلوس فبدلاً من ان يغتنم فشل الروس ويواصل السير الى بلادهم قضى ذلك الشتاء في نارفا ثم نهض لمحاربة بولونيا وكان ملكها اوغسطس قد حاصر ريغا ولم يفلح فقهره كارلوس في يوليو سنة ١٧٠١ في واقعة دونا واستولى على كل ليفونيا وكورلنده ثم أوغل في بولونيا فدخل وارسو في ١٤ مايو سنة ١٧٠٢ وصرح انه لا يصالح البولونيين الا اذا خلعوا أوغسطس وانتخبوا سواه فلم يفعلوا فحاربهم في ٩ يوليو قرب كليسو في سهل بين وارسو وكراكو وهزمهم شر هزيمة واستولى على كل ما كان في معسكرهم من المؤنة والذخيرة ثم استولى على بولونيا استيلاء تاماً

أما بطرس الاكبر فكان في أثناء ذلك قد أنفذ جنداً كبيراً لاكتساح الولايات الاسوجية في شرقي البلطيك وضمها الى مملكته فافتتح نارفا وبنى قلاع شلوسلبرج وكرونستاد

وصرف الماء عن مدخل نهر نيفا وبنى هناك مدينة سماها باسمه «بطرسبورج» هي عاصمة مملكة الروس الى اليوم ونقل اليها ٣٠٠,٠٠٠ نفس من اهل موسكو وغيرها من مدن الروس واستحث الناس للمهاجرة اليها والاقامة فيها فتزاحمت الاقدام هناك وتفشى الوباء فاهلك ٢٠٠,٠٠٠ من سكانها فلم يكن ذلك ليثني عزم القيصر فثبت في انشاء مدينته وحمل اليها الصناع وأهل التجارة حتى عمرت وبانت بعد ذلك ما هي عليه



بطرس الاكبر

اما كارلوس فانهُ حارب اغسطس مرة اخرى في بولتسك في مايو سنة ١٧٠٣ وهزمه الى املاكه الاصلية في سكسونيا وحمل امراء بولونيا على خلعه فخلعوه في يوليو وولوا مكانهُ ستانسلاس لزنسكي احد صنائع كارلوس . فشق ذلك على اغسطس فحمل على بولونيا بجيش من السكسونيين افتتحوا وارسو لكنهم مالبثوا ان اضطروا الى اخلائها فامدهم القيصر

بجند روسي عدده ٦٠٫٠٠٠ مقاتل فاعادوا الكرة فلم تنفعهم الكثرة لأن كارلوس غلبهم جميعاً واوقع الرعب في معسكرهم بما آنسوه من سرعة حركته العسكرية فرجعوا الى بلادهم بخفي حنين · فطمع كارلوس في سكسونيا فحمل عليها ولم يستاذن امبراطور جرمانيا وابلى في تلك المقاطعة بلاءً حسناً فلم يرَ اغسطس بدّاً من الاذعان لعدوه فصالحهُ في ٢٤ سبتمبر سنة ١٧٠٦ وعقد الصلح المعروف بصلح الترانستاد ومن شروطه ان يتخلى اوغسطس عن بولونيا هو واعقابه وان يحلّ المحالفة بينه وبين القيصر وان يسلم اليه بتكول الليفوني سفير روسيا في درسدن فسلمه اليه وكان اسوجياً وقد خان ملكه فاماته كارلوس بين العجل شر ميتة فعظم ذلك على قيصر الروس وزحف بجيش جرار لاسترجاع ما خسره اوغسطس فجاءه كارلوس سنة ١٧٠٧ في ٤٠٫٠٠٠ مقاتل حتى دخل بولونيا فتقهقر الروس الى بلادهم فازداد كارلوس طمعاً فيهم وعزم على فتح موسكو وهي عاصمة المملكة وفيها قوة القياصرة وثروتهم · فلما علم القيصر بعزمه خاف على تاجه فبعث الى كارلوس يعرض عليه الصلح وابرام المعاهدة فاجابهُ «سنبرمها في موسكو» وامر جنده بالزحف عليها سريعاً فاضطرب الروسيون فاستنبط القيصر وسيلة تدلُّ على دهائه وتدبيره نجّى بها روسيا من بلاء عظيم — ذلك انه أمر بتخريب كل مابين بولونيا وموسكو من الطرق والابنية والحقول بحيث يستحيل المرور فيها على جيش جرار يحتاج الى المؤونة والنقل · فاضطر كارلوس بعد يأسه من الوصول الى موسكو ان يحوّل اعنة خيله الى بلاد الاوكران في الجنوب الشرقي من روسيا واميرها يومئذ مازيبا زعيم القوزاق وكان في خاطره ان يخلع نير الروس فبعث الى كارلوس يدعوه اليه على نية ان يستعينه في غرضه فلبّى كارلوس الدعوة فعلم القيصر بذلك فسبقهُ وقتل زعماء الثورة ففرّ مازيبا وجاء الى كارلوس شريداً فريداً فاسقط في يده واحس بالفشل · وكان قد بعث الى اسوج ان يمدوه بالجند فامدوه بجيش كبير بقيادة الجنرال لوينهوبت فلقيهم الروسيون في الطريق فحاربوهم في ثلاث مواقع غلبوهم فيها على مافي ايديهم من المدافع والمؤونة فلم يصل منهم الى معسكر كارلوس الأ كل طويل العمر وكان الشتاء قد اقبل ببرده القارس في تلك المنطقة الباردة سنة ١٧٠٨ فأثر في الاسوجيين تاثيراً شديداً وفعل فيهم فعل الوباء الجارف فكانوا يموتون بالبرد مئات والوفاً وقد ذكروا ان الفين منهم ماتوا برداً في يوم واحد بين يدي كارلوس وهو ينظر اليهم بجاش رابط · فبعد ان كان جيشه نحو ١٠٠٫٠٠٠ أصبح ٢٣٫٠٠٠

على ان هذه العراقيل لم تكن لتثني ذلك القائد الفاتح عن عزمه ولا فلّت شيئاً من

مطامعه فظل مصمماً على اكتساح بلاد الروس . فلما اقبل ربيع سنة ١٧٠٩ زحف بجيشه الى بلطاوا على حدود بلاد الاوكران وكانت حصينة فحاصرها ثم علم بقدوم القيصر في ٧٠,٠٠٠ مقاتل لانقاذها فترك بعض جنده لمحاصرة بلطاوا واسرع بسائر الجند لملاقاة القيصر ثم التقى الجيشان عند ذلك الحصن . وفي ٨ يوليو من ذلك العام جرت واقعة بلطاوا الشهيرة في التاريخ الحديث وكانت القاضية على مجد ذلك الاسكندر الاسوجي وقد التقى هناك بألدّ مناظريه واشدهم بطشاً . واعترف بطرس الاكبر يومئذ بما اظهره خصمه من البسالة والتدبير لأن بنادق الاسوجيين ومدافعهم كادت تذهب بجيش الروس على كثرته على انها ردت فرسانهم الى الوراء فثبت المشاة في اماكنهم حتى تراجع الفرسان الى نظامهم واطلقت المدفعية الروسية اطلاقاً شديداً . وابلى بطرس الاكبر في تلك المعركة بلاء حسناً ولم يبالِ بالرصاص المتطاير حوله فاصابته رصاصة خرقت قبعته وسلم راسه . وقتل تحت جنراله الشهير منشكوف ثلاثة افراس ولم تمضِ ساعتان حتى تضعضع جند الاسوجيين . وكان كارلوس قد اصيب بجرح في اثناء الحصار فلما حمي الوطيس طلب اليهم ان يسيروا به الى المعركة فحملوه في محفة فاصابتها قنبلة حطمتها ولم تؤذ كارلوس فشل الاسوجيون بعد ان استهلكوا في ساحة الوغى فقتل منهم ٨,٠٠٠ واسر ٦,٠٠٠ وفرّ الباقون وفيهم كارلوس نفسه فتتبعهم الروسيون واحاطوا بهم فسلموا . ولم يرجع من اسرى هذه الواقعة احد الى اسوج لان الروسيين فرقوهم في البلاد فتبعثروا ايدي سبا واكثرهم مات في سيبيريا

واما كارلوس فتمكن من الفرار شرقاً في ثلاثمئة من حرسه الخاص وقطع نهر بوغ حتى دخل بلاد الدولة العلية في ولاية مولدافيا ونزل في مدينة بندر على ضفاف نهر دنيستر وقد خسر في يوم واحد ما ربحه في حروب تسع سنوات . واستجار بالسلطان احمد الثالث فاجاره فاقام في ضيافته ثلاث سنوات وكل نفقاته من الخزينة العثمانية . فلما يئس من نيل بغيته بالسيف عمد الى الحيلة وصمم في سره ان لا يرجع الى اسوج الاَّ بعد ان يغلب روسيا فاخذ في اثارة الضغائن بين الدولة العلية والروس فنجح . وتمكن النزاع بين الدولتين حتى زحفت جيوشها للحرب فالتقيا على ضفاف نهر بروط والجيوش التركية ٢٠٠,٠٠٠ فحدثت هناك معركة هائلة في يوليو سنة ١٧١١ تواصلت اربعة ايام والقيصر يقود جنده بنفسه حتى تضايق الروس وكاد القيصر يقع غنيمة في ايدي اعدائه لولم تستدرك امرأته كاترينة الامر بالرشوة والسياسة فتراضى الفريقان على صلح حجب دماء الروس وصان شرفهم ورجعوا الى بلادهم سالمين

فاشتد غيظ كارلوس لخيبة مسعاه وكان السلطان قد ادرك تدبيره فأوعز اليه ان يخرج من مملكته فتباطأ فاراد اخراجه بالقوة فابى فجرد عليه جيشاً كبيراً وجرد كارلوس حرسه وتقاتل الفريقان فقتل معظم رجال كارلوس ووقع هو اسيراً فظلّ في اسره هناك عشرة اشهر وهو يابى الذهاب الى بلاده · وكان الروسيون من الجهة الاخرى عاملين على افتتاح بلاد اسوج من جهة فنلاند وما وراءها · ثم بلغ كارلوس ان امراء مملكته عزموا على خلعه وتولية اخته ومصالحة روسيا والدنمارك فصمم على الرجوع فبرح الارض العثمانية في ١ اكتوبر سنة ١٧١٤ وسار متنكراً بطريق المجر والمانيا فلم يشعر الناس الا وهو في سترالسند من توابع مملكة اسوج بعد سفر ١٤ يوماً على ظهر الجواد · فعلم به اعداؤه فاتحدوا للاجهاز على مطامعه فتألف جند من الدنماركيين والسكسونيين والبروسيانيين وحاصروا تلك المدينة فدافع الاسوجيون عن ملكهم دفاعاً حسناً ثم سلموا المدينة في دسمبر سنة ١٧١٥ ففرّ كارلوس الى اسوج في قارب ولم يقبل بالصلح

وفي السنة التالية جرد جيشاً على بلاد نروج وحاربها نكاية في ملك الدنمارك لانه نكث بمعاهدة كانت بينهما ثم رجع كارلوس الى اسوج لبعض المهام الداخلية · وفي سنة ١٧١٨ عاود الكرة حتى حاصر قلعة فريدريكهال وفي هذا الحصار لاقى الاسكندر الاسوجي حتفه — وذلك انه كان في ليلة ١١ دسمبر سنة ١٧١٨ مشتغلاً في استطلاع قوة العدو والدنماركيون يطلقون القنابل والبنادق عليه وعلى رجاله فاصيب كارلوس برصاصة وراء عينه اليسرى فخرجت من عينه اليمنى · ولا يزال اهل البحث مختلفين الى اليوم في هل اطلقها عليه بعض جنده او هي من رصاص الاعداء · بدأوا بذلك الشك في السنة التالية من مقتله ووجهوا التهمة على كثيرين وطال الجدال وتباينت الاقوال الى سنة ١٧٤٦ فنبشوا ضريح كارلوس واستخرجوا بقاياه للبحث في الجمجمة لعلهم يتوفقون الى سبب ذلك القتل فلم يهتدوا الى شيء فأعادوها الى مكانها ثم اخرجوها ثانية سنة ١٧٥٩ لنفس ذلك السبب عبثاً

وكان كارلوس شجاعاً الى حد الجنون ثابتاً الى حد العناد وقد اتى فتوحاً عظيمة على صغر سنه وقصر مدة الحرب فحارب الدنماركيين وغلب الروسيين في نارفا وهو في الثامنة عشرة واستولى على بولونيا بعد معركة كليسو وهو في الحادية والعشرين · على انه كان ضعيف الرأي سيء التدبير لان اعماله العظيمة انما عادت على بلاده بالخسارة · فتولى اسوج وهي من اعظم دول اوروبا وذهب عنها وهي من الدول الصغرى ولم تسترجع مجدها القديم الى الآن

باب المقالات

طائفة البابية وشرائعها

اتينا في الهلال الماضي على ترجمة ميرزا علي محمد مؤسس طائفة البابية ونحن ذاكرون في ما يلي خلاصة تعاليمه وما كان من حال البابية بعده بظهور البهاء واقسام اولاده فنقول

تعاليم الباب

اول تعاليمه تحريم الكتب المنزلة قبله ونسخ القرآن وأحكامه وعنده ان اهل القرآن ناجون الى يوم ولادته في ٥ جمادى الاولى سنة ١٢٦٠ هـ وهو يوم القيامة اي يوم ظهوره فمن يرغب عن اطاعة أوامره بعد ذلك كان عاصياً فاسقاً ومن يخالفه يهدر دمهُ ولذلك كان الذين يؤمنون به على عهده يحرقون القرآن وجميع كتب الفقه وغيره ويكتفون بكتب الباب فلما قام البهاء الآتي ذكره نسخ هذا الحكم • من تعاليمه ان الزواج يكون برضاء الزوجين فقط بلا وليّ ولا وكيل وقد نسخ البهاء ايضاً هذا الحكم

وقضى الباب بهدم جميع المزارات الخاصة بالانبياء والاولياء والرسل والاوصياء حتى الكعبة وقبر النبي وقبور سائر الائمة ومشاهير الاسلام ولكنه فرض على اتباعه بناء ١٩ مزاراً باسمه على كيفية وصفها في كتبه ومن دخلها كان آمناً • ويظن انه يشير بهذا العدد الى رجاله الثمانية عشر الذين قاموا بالدعوة والى نفسه • ولذلك فانه أبطل حج البيت وأوصى بهدم الكعبة عند ظهور رجل مقتدر من أمته وأمر بحج البيت الذي ولد فيه بمدينة شيراز وأكد اعلاء عتبة ذلك البيت ورفع حيطانه وتشييد بنيانه وتزويق الوانه وعفى النساء من الحج الا نساء شيراز ولكنه جعل طوافهن في الليل • ثم أبدل فروض الحج المذكور على الرجال والنساء باربعة مثاقيل من نقد السكة البابية • وسمى البقعة التي ولد فيها • المسجد الحرام • وفرض ان يبنى ثمانية عشر مسجداً يضيئونها بالانوار ما استطاعوا ولو الى حد الافراط

وقسم الباب السنة الى ١٩ شهراً وجعل الشهر الواحد ١٩ يوماً فايام السنة عنده ٣٦١

يوماً وأضاف اليها خمسة ايام سماها المسروقة ورمز عنها بحرف (هـ) وجعل الصوم ١٩ يوماً من شروق الشمس الى غروبها وخصص الايام الخمسة المذكورة للهو والطرب قبل دخول شهر الصيام على نحو ما يفعله النصارى في ايام المراقع . ومن اقواله :

« اذا ظهر الباب حرمت على الناس اموالهم وانفسهم مالم يؤمنوا به وكل مدينة فتحت في عصره أو من بعده فالاموال الموجودة بها ان كانت مدخرة بطريق الظلم فهي للباب ان كان حياً والاّ فيعطونها لأُمنائه من بعده ولكن اذا كانت مكتسبة على وجه العدل فخمسها له ان كان حياً والاّ تقسم على يد تسعة عشرة من امناء بيت عدله (يعني بيت المال) على البابية سوية والبقية يتصرف بها قائد الفتح لنفسه او يوزع منها مايستصوبه على معاونيه ومساعديه كل على حسب منصبه ووظيفته بالجيش . وان زادت الاموال المذكورة عن الجنود وقوادها فيقسم على البابية جميعاً بالسوية حتى على الطفل الرضيع البالغ من العمر ستة اشهر لان هذا افضل واقرب للصواب ولكن يقدم ويفضل على هذا التقسيم تعمير البقاع المذكورة وان زادت عن التعمير يقسمونها كما ذكر . واذا اشترى بابيٌّ شيئاً من يد كافر فمن فوره يصير ذلك الشي طاهراً . واذا اهدى كافر بابياً بشيء فبمجرد انفصاله من يده يصير ذلك الشيء طاهراً ... »

والمطهرات عنده خمسة النار والهواء والماء والتراب وكتاب الله (اي البيان) وكيفية التطهير بالبيان ان يتلى ما تيسر من اسم النقطة اي الباب مع تلاوة آية التطهير ٦٦ مرة على كل شيء نجس . وجعل نزيف الدم من الفم طاهراً وروث البهائم السائغة وغير السائغة طاهراً والوحول التي تلصق بايديها وأرجلها في الطرق طاهرة واجزاء جميع الحيوانات المجترة وغير المجترة طاهرة

وفرض على القذف دية يعطيها القاذف للباب او لامنائه من تلقاء نفسه ومقدارها ٩٥ مثقالاً من الذهب ولا بد لكل بابي ان يؤدي زكاة أمواله والاّ فلا يجوز له ان يتمتع بها، وأموال الذين يسمعون بالباب ولا يؤمنون به حلالٌ له ولامنائه

وجعل التراضي بالمعاملات اساساً لمبيعات في قيمة السلع ومدتها وتقليلها وتكثيرها . وجعل الوحدة القصوى لوزن النقود الذهبية مثقالاً واحداً . وتتركب هذه الوحدة من تسعة عشر (نخود) اى حمصة ويتجزأ هذا المثقال الواحد المركب من ١٩ حمصة الى عشرة آلاف جزء ويسمى كل جزء دينارًا وهذا المبلغ يساوي الآن نحو عشرة فرنكات وجعل قيمة وحدة العملة الفضية مثقالاً من الفضة الخالصة تجزأ على الف من الدينار

وجعل اساس الزواج منوطاً برضاء الزوجين كما مر ورتب صيغة العقد هكذا « انني انا الله رب السموات ورب الارض رب كل شيء رب مايرى ومالا يرى رب العالمين » ثم يذكر المهر وتقول الزوجة ماقال الزوج بعينه ثم تكتب هذه على وثيقة تختم من الزوجين معاً ثم استصوب وجود الشهود في اخرياته دون اوليائه . وجعل قيمة المهر لاهل المدن تسعة عشر مثقالاً من الذهب على الاقل وخمسة وتسعين مثقالاً من الذهب على الاكثر وخصص هذا العدد والوزن لاهل القرى من الفضة . واذا أراد احد زيادة المهر من فضة كان او من ذهب عن تسعة عشر وهو ادناه الى خمسة وتسعين مثقالاً وهو اكثره فلابد ان يزيد تسعة عشر فتسعة عشر . وان زاد المهر عن المبلغ المذكور ولو قيراطاً واحداً كان العقد باطلاً لامحالة . وجعل العصمة بيد الرجل في الطلاق وهذا بيانه : اذا انحرف الزوج عن زوجته وعزم على طلاقها يجب عليه ان يجتنبها تسعة عشر شهراً أي سنة واحدة على اصطلاحه فان تندم في اثناء هذه المدة ورجع عن عزمه فيها والا كان له ان يطلقها بعد انقضائها . واذا وقع الطلاق لايجوز الرجوع الى الزوجة المطلقة الا بعد مضي تسعة عشر يوماً . والطلاق تسع عشرة مرة ثم يحرم عليه الرجوع مطلقاً على طول حياته

وجعل أول يوم من شهر (فروردين ماه) الفارسي الموافق للحادي والعشرين من شهر مارس الافرنجي الغربي الذي هو يوم الاعتدال الربيعي وهو يوم عيد « النوروز » عند الفرس عيداً للفطر وخصه بنفسه وسماه « عيد رضوان » ويجب على اتباعه ان يحضروا ما امكن من النعم و يتنعموا بها في ذلك اليوم على شريطة ان لاتزيد انواع النعم عن الخمس ومدة هذا العيد تسعة عشر يوماً الاول منها مختص به كما ذكرنا والبقية لثمانية عشر من امنائه الذين هم بعدد حروف « حيّ » الملقبون باصحاب حيّ أو بشهداء حي وفي غيراليوم الاول لايجوز تعدد انواع النعم بل يجب الاكتفاء بنوع واحد

هذه أمثلة من تعاليم الباب وفي « مفتاح باب الابواب » نصوص كثيرة منقولة عن كتب البابية وخصوصاً البيان فلتراجع هناك

الميرزا حسين الملقب بالبهاء

هو ابن الميرزا عباس المدعو ميرزا بزرك المازندراني النوري ولد سنة ١٢٣٣ هـ وكان ابوه الميرزا عباس من موظفي الحكومة الايرانية وتوظف في آخر ايامه في مالية مازندران وتسمى وظيفته في اصطلاح الفرس « مستوفي » وقد خلف سبعة أولاد ذكور منهم الميرزا حسين علي الملقب بالبهاء والميرزا يحيي الملقب صبح ازل وهما اخوان من أم واحدة

ولا يهمنا ذكر سواهما في هـذا المقام — ربي البهاء مع اخوته في حجر ابيهم بطهران وتعلموا ما تيسر من مبادىء العلوم في ذلك العصر • وكان للبهاء واخيه صبح ازل منزلة ممتازة عند ابيهما لحظوة امهما عنده

ولما ترعرع البهاء احبّ التصوف واكثر من عشرة الصوفية ومطالعة كتبهم وكذلك كان اخوه صبح ازل • ثم مالا الى الباب وأحبا تعاليمه فاخذ البهاء في نشرها وذهب الى مازندران يدعو الناس اليها فبدأ ببلدة نور حتى أتى ساري وآمل من اشهر مدن هذه الولاية • ثم قفل راجعاً الى طهران في أواخر سلطنة المرحوم محمـد شاه جد شاه الفرس الحالي

فلما توفي محمد شاه وخلفه ناصر الدين شاه وتوالت ثورات البابيـة وقتل الباب وهجم محمد صادق البابي وزميله على الشاه بمصيفه في نياوران كان البهاء واخوته في قرية كفنجة بالقرب من ذلك المصيف فاعتقدت الحكومة الايرانية ان البهاء هو الذي دبر هذه المكيدة لقتل الشاه فغضبت عليه وسجنته في طهران بضعة اشهر ثم نفته الى بغداد ومعه ٢٢ شخصاً فوصلوها في اول المحرم سنة ١٢٦٩ ومعهم البهاء واخوه صبح ازل فاحتجب هذا عن الناس فكان تارة يجول مستتراً بضواحي بغداد وأحياناً يشتغل متنكراً ببعض الحرف او يمكث في بغداد بزي الاعراب • اما البهاء فلم يخرج من بغداد وكان يجلس في احدى القهوات على ضفاف دجلة يخالط الناس ويسامرهم فوفد عليه بقايا البابية في ايران فالتفّ حوله منهم بضع مئات وهم لا يدرون ماذا يفعلون ولا الى من ينتسبون لان كلّ واحد من كبرائهم كان يدعي الرئاسة والبهاء يدبر الامر لنفسه بدهاء وسياسة فانكر عليهم ما يدعونه ودعا الى اخيه صبح ازل وسماه خليفة الباب وسمى نفسه نائباً عنهُ وعمل على تأييد ذلك بالادلة الشرعيـة فلم يوافقه البابية على ذلك ولا اعتقدوا نيابته ولا خلافة اخيه • فاتشبت بينهم نيران الشحناء وتحاقدوا وتضاغنوا فلما رأى البابية ثبات البهاء على دعوته اضمروا له السوء وعزموا على الفتك بهِ فهرب الى كردستان التابعة للمملكة العثمانية واعتكف متنكرًا في ضيعة سركلو بجوار السليمانية • وكان يجول في هذه البلدة متسترًا بزي الدراويش ويحضر مجلس الشيخ عبد الرحمن رئيس طريقة الصوفية هناك • اقام البهاء في هذه البلدة سنتين الف في اثنائها كتاب « هفت وادي » ثم عاد الى بغداد وكان اصحابه قد دعوه اليها فالتفوا حوله ونصروه فاشتد أزره وصاروا يقيمون الاحتفالات باسمه و يظهرون دعوتهم ومن جملة احتفالاتهم يوم أول المحرم وهو عندهم عيد رسمي

لانه يوم مولد الباب مع انهُ يوم مأتم عند الشيعة حزناً على الحسين بن علي . فاتفق وهم يحتفلون بأول المحرم بحديقة في بغداد يسمونها حديقة الرضوان وقد اعدوا اسباب اللهو من المأكول والمشروب وسائر الملاذ و بالغوا في اظهار السرور فوق العادة ان الشيعة استاؤوا لذلك وعدوه نكاية فيهم فتجمهروا وفيهم الترك والفرس والعرب وأرادوا الايقاع بالبهاء واصحابه فتوسط بعض العقلاء والحكومة المحلية وأوقفوا الخصام والقلوب لاتزال متضاغنة

وكان البابيون يحتمون هناك بالحكومة العثمانية ولو كانوا في بلاد فارسية لنالت حكومة ايران ما تبغيه منهم . فسعى بعض كبار الشيعة لدى الحكومة الايرانية وسفير الباب العالي عندها وسفارة ايران في الاستانة وبعد مداولات ومخابرات تقرر نفي البابية من العراق العربي الى الاستانة بعد ان قضوا في العراق ١٢ عاماً . فصدر امر الحكومة العثمانية بالقبض عليهم واخرجوهم مخفورين الى الاستانة بطريق الموصل وحلب واسكندرونة . وكان صبح ازل لايزال متنكرًا لايظهر للناس فلما صدر الامر بالنفي سبق القوم الى الموصل وانضم اليهم هناك

ولما وصلوا الى الاستانة انزلوهم في دار بجوار السفارة الايرانية اقاموا فيها اربعة اشهر ثم طلب سفير ايران ابعادهم الى اقصى البلاد العثمانية فصدر الامر بنفيهم الى ادرنه فنفوهم اليها سنة ١٢٨٠ هـ وانتقلت البابية هناك من طور الى طور فبعد ان كان البهاء يدعو الناس الى اخيه صبح ازل دعاهم الى نفسه واضطهد اخاه . فقام النزاع بين الاخوين وانقسم البابية الى فئتين احداها انحازت الى البهاء والاخرى الى اخيه وسمي اتباع البهاء «البابية البهائية» وسمي اصحاب صبح ازل «البابية الازلية» أو البابيين نسبة الى بقائهم على تعاليم الباب . واحتدم الجدال بين الحزبين وحزب البهاء اقوى وعزم كل منهما على الفتك بالآخر فاخرج البهاء اخاه من داره وانفرد بالعمل ونشر المناشير واخذ في تأليف كتب التشريع فالف كتاب «اساس اعظم» وغيره . ولما استفحل الامر بين الحزبين اتفق الباب العالي والسفارة الايرانية على ابعاد منفى القوم فارسلوا البهاء وحزبه وهم ٧٣ شخصاً الى عكا سنة ١٢٨٥ هـ وصبح ازل وحزبه وهم ٣٠ شخصاً الى قبرص . وجعلوا على كل من الطائفتين رقباء من اهل الطائفة الاخرى . فسجن القوم في منفاهم ومنعوا من مخالطة الناس ثم وسع عليهم بالتدريج والبهاء لايفتر عن اظهار دعوته و بث دعاته ولم يرَ لهُ سبيلاً الى ذلك الاَّ بقتل رقباء اخيه فقتلوهم فهاجت الحكومة وقبضت على البهاء وحزبه وكبلوهم بالحديد ثم افرج عنهم السعي والوساطة . واخذت دعوة البهاء بالتقدم من ذلك الحين . ويعتقد الله كتور

مهدي خان صاحب تاريخ البابية ان الفضل الاكبر في ثبوت دعوة البهاء وانتشارها انما هو لنجله الاكبر « عباس افندي » الملقب بغصن الله الاعظم لان الرجل ذو مقدرة عجيبة على اجتذاب القلوب وانه لولاه ماقامت للبابية البهائية قائمة

فلما نجح البهاء في دعوته نقل نفسه من منصب خليفة الباب الى المهدوية ومنها الى الولاية المطلقة فالنبوّة العامة والخاصة واخيرًا ادعى الربوبية فالالوهية وعمل على نشر مشروعه ببث الدعاة في البلاد الايرانية خفية وفي بلاد القوقاس جهرًا . لان الروسيين تنسموا من وراء ذلك خيرًا فساعدوهم وسهلوا لهم الاسباب . فابتنى البابية مسجدين احدهما في باكو والآخر في عشق اباد . اما في ايران والمملكة العثمانية والهندية فانهم فشلوا . ووجه البهاء نظره الى مصر فاقام فيها ثلاثة من الزعماء وهم الحاج ملا علي التبريزي والحاج ميرزا حسن الخراساني والحاج عبد الكريم الطهراني والميرزا ابو الفضل داعية البهاء اليوم في الولايات المتحدة

كتب البهاء (١) كتاب « هفت وادي » بالفارسية الذي تقدم ذكره (٢) كتاب « اقدس » نهج فيه منهج القرآن في ترتيب الآيات والسور ودوّن فيه شريعته واحكامها باللغة العربية (٣) كتاب « ايقان » وهو في الفارسية وسماه أولا « أسخه خال » نسبة الى خال الباب ثم سماه ايقان (٤) كتاب « هيكل » بالفارسية والعربية (٥) كتاب « اشراقات » (٦) كتاب « الواح » (٧) كتاب « عهد » وهو آخر كتبه بين فيه وصاياه وجعل الامر فيه بعده لعباس افندي نجله الاكبر وبعده لنجله الثاني الميرزا محمد علي . وأدخل البهاء تغييرًا كثيرًا على تعاليم الباب لامحل لها هنا

توفي البهاء في مساء السبت ٢ ذي القعدة سنة ١٣٠٩ هـ (٢٨ مايو سنة ١٨٩٢) وخلف خمس بنين وثلاث بنات والابناء هم عباس افندي الملقب بغصن الله الاعظم وبالفرع الكريم المتشعب من الاصل القديم ولد في ٥ جمادي الاولى سنة ١٢٦٥ والميرزا مهدي الملقب بغصن الله الاظهر سقط هذا من سطح البيت في بغداد ومات . والميرزا محمد على الملقب بغصن الله الاكبر . والميرزا ضياء الله والميرزا بديع الله الملقبان بالغصنين . اما العباس والمهدى واختهما التي لم تتزوج الى الآن فمن ام واحدة والميرزا محمد علي من زوجة أخرى وضياء الله وبديع الله من ام واحدة ومانت له بنت ايضًا في بغداد وله بنتان متزوجتان إحداها بالسيد علي بن الحاج السيد حسن الشيرازي الملقب بالافنان الكبير والثانية بالميرزا مجد الدين بن الميرزا موسى اخ البهاء الملقب بالكليم

اما صبح ازل فالمشهور ان اصل الخلافة البابية كانت له' وكان الباب قبل مقتله يخاطبه ويكاتبه مباشرة واقام اخاه البهاء وكيلاً له' وحفيظاً وظل الامر على ذلك الى مابعد قتل الباب ونفي البابية من بلادفارس الى بغداد فالاستانة وادرنة . فان جميع الكتب التي كانت ترسل الى البابية كانت تصدر باسم صبح ازل ولم يدّع البهاء شيئاً منها لنفسه حتى اذا وقع الشقاق بين الاخوين نفي البهاء الى عكا وارسل صبح الازل الى قبرص واقام في قلعة ماغوسا ثم فتك البهاء بنخبة اصحاب ازل الذين كانوا رقباء عليه فكأنه قص جناحيه وقلم اظافره فظل صبح ازل في قبرص يدعو الناس الى نفسه ويبرز لهم كتب الباب المنوهة باستخلافه وقد كتب الكتب كما فعل اخوه ونهج بها نهج القرآن مما يطول شرحه

فرق البابية وتعدادهم

كانت البابية قبل موت البهاء ثلاث فرق :

« الأولى البابية الخلص » اي الذي اتبعوا الباب فقط ولم يرضخوا لاوامر من قام بعده مثل الميرزا يحيى صبح ازل واخيه الميرزا حسين علي البهاء وغيرهما وهم يعملون باحكام البيان و ينبذون جميع ما الف وكتب بعد الباب ظهرياً وهؤلاء يبلغون نحو مائتي نفس في البلاد الايرانية دون غيرها

« الثانية البابية الازلية » وهم القائلون بخلافة او اصالة الميرزا يحيى صبح ازل سجين قبرص الآن اي الازل هو مصداق لما ورد في كتاب البيان (من يظهره الله او من يريده الله) وهؤلاء يؤيدون مدعياتهم بكتب عديدة من الباب والميرزا حسين علي الى الميرزا يحيى وهي موجودة عند الازل ويتمسكون ويستدلون بها على بطلان امر البهاء واتباعه وعددهم الفان ونيف تقريباً في البلدان الايرانية وغيرها وداعيهم الاكبر وعميدهم الاعظم قاطن الآن بطهران هو وانجاله وأناس آخرون قال الدكتور مهدي خان « هؤلاء يتظاهرون بالاسلامية ويتبرؤن من الباب والبابية ويعملون بالتقية يصلون ويصومون ويقومون بجميع فرائض الدين الاسلامي في الظاهر ويكفرون البهاء واتباعه ويلعنونهم في الظاهر والباطن ويستبيحون أموال المسلمين والبهائية عند المقدرة ويسعون على قضاء حوائجهم هذه بالكتمان وشدة الحذر ويسندون الخلافة من بعد الميرزا يحيى الى الخارج الميرزا (لم يسمه) ولهم اشارات ورموز خاصة يتعارفون بها »

« الثالثة البابية والبهائية » وهؤلاء على ما مرّ بك من اخبارهم يعتقدون ربوبية

وألوهية البهاء وانه هو الذي بعث الانبياء والرسل وان زردشت وموسى وعيسى ومحمد والباب انما كانوا يبلغون احكامه ويبينون آياته فهم مظاهر أوامره وبشروا به وبظهوره كما ان ابنه الاكبر عباس يكون كذلك من بعده وان ليس لاحد ان يقوم بعده ويدعي بالامر الا بعد الف سنة كاملة وبعد ذلك يكون الامر لمن يظهره الله (يعني لمن يظهره هو كما علمت من اقواله) وان من يدعي امراً قبل الف سنة يحتم قتله لا محالة . ويبلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف نفس في ايران ونحو الفي نفس في خارجها . ولا عبرة بما يدعونه من انهم يبلغون الملايين من النفوس في البلدان الايرانية ومئات الالوف في الممالك الروسية والافرنجية والعثمانية ومثلها في الممالك المتحدة الاميركية لان الاطراء والاغراق والغلو هي ديدنهم ودأبهم في تجسيم الامور الراجعة اليهم كشأنهم في بقية المسائل المختصة بهم

• الرابعة البابية البهائية العباسية • هؤلاء هم البابية البهائية ولكن يقدسون ويمجدون العباس كتقديسهم لابيه البهاء بل البعض منهم يجعلون البهاء مبشراً به كما كان الباب مبشراً بابيه وولد العباس في اليوم الخامس من جمادى الاولى ١٢٦٥ هجرية بطهران ورافق اباه بالنفي الى بغداد وادرنه وعكا ولم يكن للبابية البهائية شأن يذكر قبل ترعرعه ولما بلغ اشده واستلم زمام الامور بكياسته المشهورة لثر ونظم وعقد وحلّ وغير وبدل والف وصنف وهو الذي اشار على ابيه بالاستقلال في الامر والاستبداد بالرأي حتى فرق بين ابيه وعمه الازل وجعل للبهائية شأناً يذكر ولولاه لما قامت للبابية قائمة وما قام بشخص يسقط بسقوطه ويزول بزواله اذ لا بقاء له بذاته . نعم انه كان يتظاهر امام البابية انه كان اقل عبد متواضع خاشع للبهاء ولكنه كان قابضاً على دفة الامر بيد من حديد يديرها كيف شاء وأنى شاء وكان يخاطبه ابوه بلفظه (آقا) ومعناها (السيد) ولما مات البهاء آلت اليه الرياسة وانفرد بالمحو والاثبات في الاحكام فذعر من ذلك اخوته والخاصة من اصحاب ابيه مثل الميرزا آقا جان الكاشاني الملقب بخادم الله ومحمد جواد القزويني وجمال البروجردي واصهار البهاء فانضم هؤلاء الى الميرزا محمد علي النجل الثاني للبهاء الملقب بغصن الله الاكبر وارسلوا الدعاة الى البلدان . ونزعوا الى الطغيان والعصيان والفوا كتباً بالفارسية والعربية وطبعوها بالهند اظهروا بها مروق العباس واشياعه من دين البهاء وكفروه وسلقوه بألسنة حداد ومن جراء ذلك انشقت البابية البهائية الى قسمين قسم سمي (بالناقضين) وهم الميرزا محمد علي واشياعه . وقسم سمي (بالمارقين) وهم العباس واشياعه وقام كل منهم الآن

يؤيد دعواه ويكفر من عاداه فاعتزلوا المعاشرة وحرموا معاملة بعضهم بعضاً وعداوة كل منهم للآخر اشد من عداوتهم جميعاً للمسلمين وغيرهم فهذا ما آل اليه امر البهائية بعد موت البهاء

البابية في اميركا

بلاد اميركا بلاد العجائب واهلها ميالون الى الغريب من كل شيء ولذلك فقد كان للبابية فيها شأن يذكر — واليك ما قاله الدكتور مهدي خان في كتابه تاريخ البابية بهذا الشان قال :

« بعد موت البهاء ببرهة وجيزة كان في مصر رجل سوري مسيحي اسمه « ابراهيم خير الله » وكان صديقاً لنا منذ خمس وعشرين سنة وكان يشتغل بالترجمة والتجارة ثم اشتغل بالزراعة وكان النحس ملازماً له في كل هذه الاحوال فتعرف اخيراً بالحاج عبد الكريم الطهراني احد عمدة البابية البهائية بمصر ومال الى البابية وتشاورا ملياً في طريق خدمتها واتفقا اخيراً بأن يذهب ابراهيم الى نيويورك ويدعو الناس الى دين البابية على ان يقوم الحاج عبد الكريم بنفقات السفر فبذل له الحاج عبد الكريم المال بعد استئذانه من العباس وزوده التعاليم الجديدة . فذهب الرجل وقام باعباء الدعوة لانه ذلق اللسان قوي الجنان . فمالت اليه احدى الغنيات من العجائز الامريكيات فشوقها لزيارة قبر البهاء وملاقاة العباس بعكا فسافرت الغنية الى عكا ووثقت ايمانها هناك وتبرعت بخمس مئة ليرة انكليزية ليشيد بها قبر البهاء وعرجت في عودتها على مصر ومكثت فيها ردحاً من الزمن وعرفناها حينئذ ثم سافرت الى بلدها وسعت مع ابراهيم في بث تعاليم البهاء في الامريكيين فمال اليها عدد قليل اذ قلما يدعو احد الى شيء فلا يجاب بالمرة وعد ابراهيم قبولهم هذا اقبالاً على نفسه فطفق يستغلهم ويأخذ منهم الدنانير بكل اسم ورسم وهم بين يديه كالميت بين يدي الغاسل ولما جمع وادخر نحو ثلاثة آلاف من الليرات بلغ مسامع الحاج عبد الكريم خبر هذه التجارة الجديدة الرابحة فطلب مقاسمته فرفض ابراهيم المقاسمة فتمكن الحاج عبد الكريم من استصدار امر له من العباس بأن يسافر الى امريكا ويناقش الرجل الحساب . ولما وصل نيويورك وسمع ابراهيم بما كان من الخلاف بين العباس واخيه اغتنم هذه الفرصة لاختلاس النقود فأظهر التشيع لميرزا محمد علي وقام بتكفير العباس ورماه بالمروق من الدين الجديد وقام يدعو الناس الى الميرزا محمد علي فوقع الشغب بين البابية وارسلت الرسائل من الميرزا محمد علي لابراهيم واظهر بها مساوىء العباس فانقسم القوم

الى قسمين ولاح بذلك نجم سعد الحاج عبد الكريم اذ مال اليه نفر من اغنياء البابية الامريكيين واخذ منهم بضعة آلاف من الليرات لكي يستعين بها على تقوية امر العباس فأخذها وعاد بها الى القاهرة . ولما طاب له المقام بها رغب بغتة عن دين البابية ودينها وكفر بالباب والبهاء والعباس ورجع الى الاسلام واخذ مع نجله محمد حسن يعددان مساوىء البابية و يظهران قبائح اعمالهم لانه من قدماء البابية و يعلم منها ماظهر وما بطن فقامت قيامة البابية و بذلوا كل مرتخص وغال لكي يعدل الرجل عن تعداد المساوي أو يسكت عنها على الاقل . ولم يزد الرجل الا هياجاً ولما يئسوا منه اشاعوا انه قد جن فمكث الرجل مسلماً مع نجله الموجود الآن بمصر مدة حتى توفي وله من العمر نحو مائة سنة . وكان انحراف ابراهيم عن العباس واسلام الحاج عبد الكريم ضربة قوية على البهائية

« صبر العباس على هذه الاحوال والاهوال زمناً ثم قام اخيرًا يثير تعصب رجل يدعى الحاج الميرزا حسن الخراساني أحد عمداء البابية بمصر ويدفعه للسفر الى امريكا لرأب هذا الصدع فلبى الامر بالطاعة والقبول وأخذ حسين روحي بن الحاج الملاعلي التبريزي مترجماً له وذهب الى امريكا ومكث هناك مدة . وسعى أولا بارجاع ابراهيم الى العباس فلم ينجح في مسعاه فتشاغل برهة باظهار واثبات تقديس العباس لدى محبيه نخاب ولم يفلح فقفل راجعاً الى مصر وأصيب بالذهول وهو الآن تحت المعالجة بمصر . ثم ارسل العباس الميرزا اسد الله وعلي قلي خان والميرزا ابو الفضل مؤلف كتاب الدرر البهية والفرائد الى شيكاغو لاذاعة امر الدعوة البابية واسسوا هناك حديقة سموها بما معناه (عكا الخضراء) فهم يجتمعون فيها في اوقات معينة و يرتلون الواح البهاء و يزمزمون باقواله ولا يعتمد على ما يزعمون من انهم امالوا بضع مئات او الوف من الاميريكيين لان الحقيقة هي التي ذكرناها في كتابنا هذا بعد استقصاء عميق واستقراء طويل

« وقد اراد العباس ان يعتز بالامريكيين و يؤيد دينه بحماية دولتهم فبدأ بانشاء هيكل يحيط به قصر في حيفا واشاع انه للامريكيين ووضعه على القبر الذي انشأوه للباب وزعموا ان عظامه فيه فبادر اخوه ميرزا محمد علي الى اعلام جلالة السلطان بذلك فصدرت الارادة السنية بتوقيف البناء و بالتضييق على رؤساء البابية المنفيين في عكا بحيث لا يخرجون من قلعتها وكانوا من قبلُ يطوفون في سوريا حيث شاؤا » اهـ

صحة العائلة

الهضم والغذاء

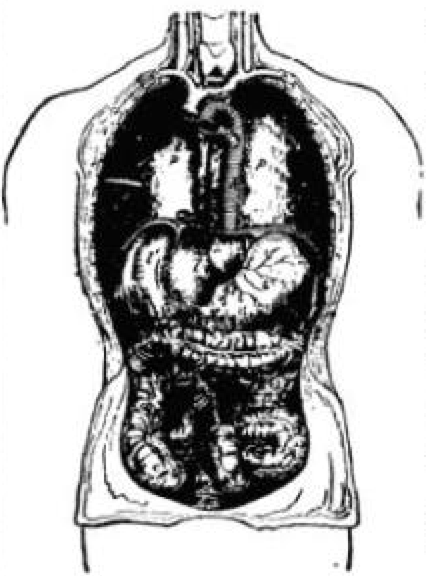
لحضرة نعمة افندي ايليا الصيدلي القانوني في دمنهور

الجسم الانساني مؤلف من اعضاء كثيرة لكل منها عمل خاص به وما من عضو رئيسي يعتدى عليه فتنتابه العلل والآفات كاعضاء الهضم لان اكثر الناس يأكلون ويشربون ما ترغب فيه اذواقهم بغير التفات الى الاضرار التي قد تسببها تلك المآكل في المعدة كأن المعدة في عرفهم صندوق تطرح فيه انواع الطعام لاستخدامها فوراً واذا قصرت يوماً ما لاسباب طارئة فلا يريحونها كما يريحون سائر الاعضاء بل يحملونها على العمل كرهاً بالمنبهات والتوابل والبهارات والخردل والفلفل او بالخمر والبيرا والكونياك والعرقي ونحوها من الاشربة الروحية ويكلفونها أعمالاً فوق طاقتها • ومع ما للبحث في الهضم ووظائفه من العلاقة بسعادة الانسان مما يستدعي انتباه الحكماء والعقلاء فقد اهملته أمم كثيرة حتى اصبحت والشعب الاميركي في مقدمتها عرضة لعلل الهضم المميتة فتفاقم شر هذا الداء وصار يفتك سنوياً بحياة ألوف من البشر نتيجة التعدي على المعدة والتهاون بانتقاء ما يناسبها من الطعام فرأيت ان اغتنم هذه الفرصة فاذكر لقراء الهلال خلاصة ابحاث العلماء المدققين الخبيرين (في الهضم والغذاء) وفي مقدمتهم الدكتور كالوك احد مشاهير اطباء الاميركان ازفها للعاقل نصائح مجانية وللاكول عظات تقيه اضراراً جمة اذا اصغى اليها • واتماماً للفائدة امهد القول بفصل في القناة الهضمية وفسيولوجية الهضم بوجه الاختصار

القناة الهضمية

(اجزاؤها) تكون القناة الهضمية في الصغر انبوبة مستقيمة ثم تتكيف حتى تصير في البالغين قناة طويلة متعرجة طولها نحو من ثلاثين قدماً او عشرة امتار تتعلق بها أعضاء أخرى اضافية • طرفها الاعلى الفم عمله ارادي اما الطرف السفلي فعمله غير ارادي انما يفتح اتباعاً للقوة الضاغطة عليه من الاعلى وذلك عن حكمة من الخالق لمقاومة عمل الجاذبية على محتويات الامعاء وحفظها في مكانها مدة النوم والغيبوبة • اما اقسامها فخمسة

ولكل منها عمل خاص به — الاول الفم : وهو تجويف غير منتظم فيه اللسان والاسنان وست غدد افرازية ثلاث على كل جانب تسمى الغدد اللعابية وهو يتصل بالمعدة بواسطة المريء . الثاني المريء : وهو انبوبة كبيرة غشائية عضلية تمتد من البلعوم الى المعدة وله في آخره فتحة تدعى الفتحة الفؤادية تمنع محتويات المعدة من الصعود الى الاعلى . الثالث المعدة : ومركزها في ايسر الجسم تحت الرئة والقلب تسع الف ومائة وخمسين غراماً او نحو ذلك وهي قابلة للتمدد لتسع كمية اكبر وتكون في الطفولية امتداداً من القناة الهضمية مغزلي الهيئة ثم يكبر كلما تقدم الانسان عمراً فتتخذ شكلها المعروف كما ترى في الشكل الثاني ولها غشاء مخاطي فيه غدد افرازية انبوبية الشكل تدعى الغدد البيسينية نسبة الى العصير الذي تفرزه وهو البيسين . وتوجد هذه الغدد في كل المعدة لكنها تكثر خصوصاً في الجهة اليسرى ويقدر عددها بنحو خمسة ملايين غدة . وللمعدة أيضاً اوعية دموية ولمفاوية لامتصاص السوائل حال دخولها اليها او حين عمل الهضم . ويغطي غشاءها المخاطي ويبطن الغدد الانبوبية المذكورة طبقة من خلايا بشرية تدعى ابيتليوم اليها ينسب عمل المعدة الحيوي وفيها يحدث المخاط لحفظ سطح الغشاء النحيف . والعصير المعدي لتذويب الطعام ولها في آخرها فتحة تدعى البواب . الرابع الامعاء او القناة الغذائية : وهي تنقسم الى غليظة ودقيقة طول الاولى خمسة اقدام والثانية نحو من خمسة وعشرين قدماً وهي اعظم اعضاء الهضم . ويسمى القسم المتصل منها بالمعدة الاثنى عشري طوله اثنا عشر قيراطاً وهو اعظمها عرضاً . وبالقرب منه غدتان كبيرتان هما الكبد لافراز الصفراء والبنكرياس لافراز العصير البنكرياسي يتصلان بالمعاء بقناتين لهما فتحة واحدة مشتركة في غشاء الاثني عشري المخاطي تحت المعدة بنحو خمسة قراريط . ويتصل طرف



(ش ١) القناة الهضمية

(o) المري . (pp) الرئتان (s) المعدة (ll) الكبد (c l a t) المعى الغليظ . واما المعى الدقيق فتحت الاغشية ولم يظهر في الصورة

المعى الدقيق في الجانب الايمن قرب ارية الفخذ بقسم طويل من المعى الغليظ يدعى القولون في اخره المخرج وتركيبه الخصوصي يناسبه لاتمام عمل الهضم

« العصارات الهاضمة » ان اجزاء القناة الهضمية التي ذكرناها انما تعمل عملاً ميكانيكياً فتجزىء الطعام وتطحنه وتعجنه وتنقله من مكان الى آخر . اما الفاعل المهم والمعول عليه في هضم الاطعمة فالعصارات الهاضمة التي تفرز في اماكن خصوصية من تلك القناة وتحول الاطعمة الجامدة في القناة الهضمية الى سوائل يسهل امتصاصها والتغذية بها . والعصارات خمس — الاولى اللعاب : تفرزه الغدد اللعابية في الفم وهو افراز مختلط من الغدد الست المذكورة وارتشاح غشاء الفم المخاطي وسائل نقي شفاف قلوي قليلاً يكثر في اكلة الاثمار والخضر ويقل في اكلة اللحوم لانهم لايحتاجون اليه اذ ليس في طعامهم العناصر التي وضع للمساعدة في هضمها . ومقدار ما يفرز من اللعاب ثلاثة ارطال طبية في ٢٤ ساعة نصفها يفرز مدة الهضم . الثانية العصارة المعدية : وهي سائل حامض تفرزه الغدد البيبسينية بكثرة في المدة مدة الهضم فقط وكميته من ٧ — ٩ لترات في اربع وعشرين ساعة وتنسب قوته الهاضمة الى مبدإ فعال فيه يعرف بالبيبسين يمكن فصله عن غشاء المعدة المخاطي بعد الموت وفيه حموضة هي ضرورية لفعل البيبسين . الثالثة العصارة البنكرياسية : وهي سائل يشبه اللعاب كثيراً ويسمونه ايضاً اللعاب البطني تفرزه الغدد البنكرياسية في اثناء الهضم فقط بكميات كثيرة مع ان اللازم منه لهضم كمية معينة من الطعام لم تحقق تماماً . وهو قلوي كاللعاب وله أهمية عظيمة في هضم بعض العناصر الخصوصية في الطعام . الرابعة الصفراء : وهي سائل تفرزه الكبد ذو صفات خاصة نافعة للهضم قلوي جداً اخضر اللون مر يتكون بالاكثر مدة الهضم مع انه يفرز لدرجة محدودة في اوقات أخرى ويدخل مع السائل البنكرياسي الى الاثني عشري وقد يوجد في المعدة تحت ظروف استثنائية . الخامس العصارة المعوية : وهي اكثر العصارات تعقيداً تفرزها غدد كثيرة مختلفة توجد في غشاء الامعاء المخاطي ولها صفات مركبة لانها مزيج من ارتشاحات غدد مختلفة تؤهلها لوظائفها العديدة كما سترى

فسيولوجية الهضم

عرفنا مما مر اقسام اعضاء الهضم وعدد العصارات العاملة فيها فلنتقدم لذكر عمل كل عصارة على حدة : فنقول ان الهضم عمل حيوي يجري بموجب نواميس المادة الحية بفعل العصارات المذكورة فعمل اللعاب يتوقف على مبدأ فعال فيه من خواصه تحويل

النشاء الى سكر · خذ مثلاً حبة ارز مسلوقة او مادة اخرى نشائية ليس فيها شيء من السكر وامضغها نحو خمس دقائق فلا تمر بضع ثوانٍ الا وتشعر بطعم حلو سكري يزداد كلما طال زمن المضغ · وقد تحقق وجود السكر بالكواشف الكيماوية الخاصة به · وهذا الفعل يتم في وسط متعادل اكثر منه في الحامض ولذلك يزداد تحويل النشاء الى سكر بعد دخول الطعام الى المعدة بقليل · ثم ينقص تدريجاً كلما حمضت محتويات المعدة و يتوقف في الاصحاء بعد ساعة فقط ويزاد افراز اللعاب اذا وجد طعام جامد في الفم او مواد حلوة لذيذة الطعم او حوامض او بالمضغ حتى ان رائحة الطعام اللذيذ كثيراً ما تزيده غير ان الحوامض ولا سيما الاوكساليك والخليك تقاوم فعله ولو وجدت بكميات قليلة جداً



(ش ٢) المعدة والبنكرياس والاثنا عشري

(S) المعدة (l) الكبد (g) الغدة الصفراوية (d) الاثناعشري (k) الطحال (O) البنكرياس

وعمل العصير المعدي عرفوه بالتجربة وذلك ان بعضهم ازدرد انابيب خشبية صغيرة فيها ثقوب وقد ملأوا الانابيب بانواع مختلفة من الطعام و بعد استقرارها في المعدة مدة تقيأوها فوجدوا المواد الالبيومينية قد ذابت في المعدة وانابيبها خرجت فارغة · اما الانابيب المملوءة بالمواد النشائية والدهنية فخرجت كما هي بدون تغيير · ثم اثبت الدكتور بومونت بعد هذا بتجاربه العديدة ان العصارة المعدية تذيب المواد الالبيومينية كاللحم والبيض وقشدة اللبن والكلوتين ونحوها · اما مقدار البپسين اللازم للهضم فقد وجدوا ان البپسين الذي يمكن استخراجه من معدة كلب سليم يكفي لذوبان مائتي رطل طبي من الالبيومين اي نحو الفي بيضة · ووجدوا ايضاً ان العصارة المعدية في البقر والخيل وغيرها من اكلة الاعشاب

اضعف لهضم الطعام الحيواني منه في الحيوانات آكلة اللحوم · وتزداد هذه العصارة بوجود الطعام في المعدة ولا سيما اذا كان نصف جامد واللعاب والتغيير الفجائي في الحرارة والبرد وبالاخص الحرارة لان نقصها عن حرارة الجسم يوقف عمله واقل زيادة فيها تزيد في فعله والاشربة الروحية والقلويات والتنين تقاوم عمله اذ ترسب البيسين والعناصر الاليبومينية المهضومة وكذلك الصفراء ومضادات الفساد · وكلما يمنع الاختمار والاملاح المعدنية كمركبات الرصاص والزنك والحديد ومركبات الكلس والمغنيسيا مما يوجد في الماء القاسي فانها تؤخر الهضم · وقال الدكتور تشارلس رنيت « ان الحامض الطرطريك والخليك يقللان افراز العصير المعدي وبالضرورة تضران بالهضم »

والصفرا قد اظهر البحث ان لها وظائف عديدة في الهضم فهي قلوية تقاوم حموضة العصارة المعدية وتستحلب العناصر الدهنية فتجزئها الى اجزاء صغيرة جداً يسهل امتصاصها وربما تتحد عناصرها القلوية بالدهن فيذوب في الماء كمضاد الفساد فتحفظ الطعام حال وجوده في الامعاء وتنبه لامتصاص ما هضم منه وتزيد عمل غشاء الامعاء المخاطي ولذلك يسبب نقصها سوء الهضم

وعمل العصارة البنكرياسية يختلف عما سبق من العصارات بانه لا ينحصر في عنصر واحد من عناصر الطعام فتفعل على المواد الاليبومينية ولا سيما الكاسيين بعد فعل العصارة المعدية فهي بالحقيقة مكملة هضم كل العناصر الا سكر القصب · وعمل العصارة المعوية اكثر تعقداً من سابقة وهي تفعل على العناصر النشائية والاليبومينية والدهنية وتهضمها لانها مزيج من غدد كثيرة لكنها لا تقوى على تذويب عناصر الطعام ما لم تفعل عليها باقي العصارات التي مر ذكرها بخلاف سكر القصب فهو وحده قادر على هضمه وتمثيله

والخلاصة ان ثلاث عصارات تفعل كل واحدة منها على نوع من الطعام وواحدة من الاثنتين الأخريين تفعل على كل انواعه ما عدا قصب السكر والخامسة تفعل على الكل بالسوية فاللعاب يفعل على المواد النشائية والاليبومينية والدهنية والعصارتان البنكرياسية والمعوية تفعلان على النشاء وهاتان مع العصارة المعدية على الاليبومن · والصفرا والعصارة البنكرياسية والمعوية على الدهن اما سكر القصب فتفعل عليه العصارة المعوية فقط وليس لهذه العصارة اهمية في الطعام · فالهضم يتوقف على امرين مهمين الافراز والعمل العضلي وليست القناة الهضمية سوى قناة عضلية ذات غشاء مخاطي فيها آلات تصب الى تجويفها مفرزات قوية لتذويب محتوياتها وجل عملها قبول الطعام وجمعه ونقله بالفواعل العاملة للهضم · ولايضاح عمل الهضم

نفرض ان زيداً تناول طعاماً فيه كل العناصر اللازمة لغذاء جسمه فاول ما يفعله تجزئة الطعام بالاسنان ومضغه بالفم وتحويله باللعاب الى كتلة لينة حيث يفعل على مواده النشائية التي تكوّن القسم الاكبر منه فيحولها الى سكر وتزداد تلك الكتلة حلاوة كلما طال مضغها وعلكها. ثم تبتلع فتمرُّ بالمريء ومنه الى المعدة فيحمر غشاؤها المخاطي ويفرز العصارة المعدية نقطاً صغيرة تحلب وترشح كالعرق المتجمع على سطح الجسم ثم يزداد الافراز حتى ينسكب ويبتدئ بالعمل على عناصر الطعام الاليومينية بعد ان صار الوصول اليها سهلاً بالمضغ والتجزئة فتتعرض كل اجزائها لفعله ثم تأخذ عضلات المعدة بمخضها وعصرها وجذبها واذا كان في الطعام سوائل تمتص قبل ابتداء العمل المذكور . ولذلك اذا كانت كمية السائل في المعدة كبيرة تمنع جدرانها العضلية من العمل على الطعام فيتأخر الهضم . ويبقى هضم النشاء بعمل اللعاب مستمراً بعد نزول الطعام في المعدة نحو نصف ساعة ثم تبطله العصارة المعدية وتمتص اجزاء الطعام التي تحولت الى سائل . وبعد بقاء هذا العمل مدة كبيرة او صغيرة بالنسبة الى جنس الطعام وكيفية استحضاره تتقبض المعدة لزيادة حموضة عصارتها وتقترب كل محتوياتها من البواب فتتصرف فيه الاجزاء التي تكون قد صارت سائلاً . على ان الاجزاء الجامدة التي لا يمكن هضمها في المعدة فانها تندفع منه الى الاثني عشري رغماً عنها . وبعد ان تزداد حموضة المعدة اكثر فاكثر لازدياد عصارتها تهيج فتتقبض انقباضاً شديداً وتدفع كل الكتلة الى المعى الدقيق حيث يكمل عمل الهضم . اما الوقت اللازم لهضم الطعام وافراغ المعدة منه فيختلف من ساعة الى ساعة ونصف اذا كان ارزاً مسلوقاً او اثماراً ناضجة ومن خمس ساعات الى ست اذا كان لحم خنزير او مثله . والعناصر الدهنية التي تذوب بعمل الحرارة فانها تنفصل عن سائر الاطعمة في المعدة وتطفو على سطحها ولا يحدث فيها تغيير الا بعد انحدارها الى الاثني عشري حيث تفعل عليها الصفرا والعصير البنكرياسي ويفعل هذا الاخير ايضاً على النشاء والاليومين اللذين لم يكونا قد هضما بعد او امتصتهما المعدة . ومن ادلة العناية في عمل الهضم ان العصارة المعوية تفعل فعلاً واحداً على كل الاطعمة بدون استثناء وقت مرورها في المعى الدقيق وربما في الغليظ أيضاً . وفي اثناء الهضم المعوي يبطئ سير الطعام في الامعاء الغليظة والدقيقة ويزداد جودة شيئاً فشيئاً بامتصاص ما تحول منه الى سائل بواسطة العصارات الهضمية وتؤخذ منه تدريجاً عناصره المغذية الى القسم السفلي من الامعاء الغليظة الافضلات غير مغذية ممزوجة بمادة غائطية تخرج من الجسم غالباً صباحاً مرة في اليوم

اما امتصاص الطعام الذي تحول الى سائل بفعل العصارات فيبدأ منذ بدء الاكل ولا يزال الى آخر عمل الهضم . والاوعية الماصة نوعان دقيقة ولمفاوية اوكيلوسية . فالاولى تمتص كل ما هو ذائب في السوائل التي تدخل المعدة وقسماً كبيراً مما هضم من عناصر الطعام النشائية والالبومينية . اما الاوعية الليمفاوية فتمتص الدهن المستحلب وبعضاً من العناصر الاخرى . ثم يجري السائل الممتص في الوريد القلبي الى الدورة الدموية العمومية بعد مروره على الكبد حيث يصفى من العناصر المضرة التي قد تخالطه . وما تمتصه الاوعية الليمفاوية يصل الى الدورة الدموية العمومية بقناة لمفاوية طويلة ورفيعة تصبه الى الوريد الكبير . ثم تحمل تلك السوائل نتيجة الهضم من جانب القلب الايمن الى الرئتين وتتحد مع اوكسجين الهواء فتتأكسد ويجري عليها التغير الاخير حيث تحول الى دم انساني ذي صفات صالحة لتغذية كل انسجة الجسم المختلفة واصلاحها وبنائها ولا يعود يوجد فيها بعد تأكسدها شيء من السكر او الدهن اللذين يمكن وجودهما فيها بكثرة قبلاً — هذا ما يقال من جهة الافراز اما العمل العضلي فقد ظهر معنا جلياً بمضغ الطعام ومزجه باللعاب وأخذه بالانقباضات العضلية ونقله في القناة الهضمية من الفم الى المعدة وخضه هنالك ومزجه بالعصارة المعدية واخراجه الى البواب فالامعاء الدقاق ومزجه بالصفرا والعصارة البنكرياسية والمعوية وهكذا حتى يكمل الهضم حتى ان الامتصاص نفسه كثيراً ما يتنبه بالعمل العضلي لان الدورة الدموية في الاعضاء الماصة تتنبه بالانقباض العضلي فتقدر على أخذ كميات اكبر من السوائل

قبل الانتقال من الكلام في فسيولوجية الهضم يحسن بنا ان نتذكر ما للعلاقات العصبية من العمل باتمام الهضم وان افراز العصارات المعدية وعمل المعدة والامعاء العضلي اعمال كلها تحت حكم الاعصاب اذ ان كل اعضاء الهضم مرتبطة بالجهاز العصبي العمومي وأقل تغير في الواحد يظهر اثره في الآخر . فاحتياج الجسم الى طعام تدل عليه المعدة بالجوع واحتياجه الى سوائل يدل عليه الفم بالعطش وان كل طعام غير مهضوم او اية مادة مضرة في المعدة يحدثان غثياناً يضعف كل الجسم حتى انه في بعض الحالات الخصوصية ولاسيما في الاولاد الصغار يحدث من اختلال الهضم تشنج مضرٌّ جداً هذا فضلاً عن ان العوامل التي تؤثر في الجهاز العصبي العمومي تؤثر في أعضاء الهضم فنظر اللحوم الذكية المطبوخة او رائحتها فقط تهيج افراز اللعاب ورؤية ما تكرهه النفس يحدث القيء وكثيراً ما يمتنع زيد عن الطعام اوالشراب لتذكاره ذبابة سقطت فيه فرآها وعافت نفسه الطعام فتهيج

معدته جالاً ويتقيأ وقد لا تبقى شيئاً في معدته وكثيراً ما يتقيأ المرضى متى قيل لهم انهم أعطوا مقيئاً ولو أعطوا ماء قراحاً لان القيء ليس الا عمل العضلات البطنية والحجاب الحاجز وليس للمعدة فيه الا عمل قليل جداً اذ الضغط بقوة على الحجاب الحاجز بانقباض عضلات البطن القوية يرفع محتويات المعدة رغماً عنها الى الاعلى في المريء حيث تمنع انقباضات البواب نزولها الى الاسفل

الوحام واسبابه

لم يذكر التاريخ تفاصيل ما شعرت به أمنا حواء بعد ان ذاقت تلك الثمرة المحرمة ولكننا قياساً على ما نراه اليوم نحكم ان احشاءها اضطربت وان يكن التفاح مما تطيب له النفس

والدنيا من هذا الوجه اشبه ببستان ترده زرافات من ابناء آدم وبنات حواء حتى اذا اقبل الربيع وبلغ اشده مالت من دفعها الاغواء الى احدى منعطفات البستان وذاقت على غفلة من الحارس الرقيب من ذلك الثمر فاوسعت له مكاناً في احشائها ومازجته من دمها وروحها حتى اذا كمل تطوره لفظه الجنان فانفصل عنها مجسماً الحب بعد ان كان فيها مثال اتحاد روحين

أجل هذه هي نشأة الطفل من الحمل الى الوضع ولكن هذه النشأة يرافقها ما هو معروف بالوحام فيكون شديداً في الاشهر الاولى ثم تخف وطأته اذ الحبل يكيف الاعمال الحيوية ويفعل في أجهزة الجسم مالا تكاد تفعله الامراض . فتخمد من حيث الجهاز العصبي شعلة الذكاء ويكثر النعاس وتختل الارادة الى حد ان تطالب الحامل أشياء غريبة كأن تكسر ما في سلة من البيض على راس زوجها حسب رواية أحد الاطباء أو تدخل الهواء بنفخ في فم رجلها ثم تبتلع الهواء الخارج منه . ويضطرب الجهاز الهضمي فيحدث القيء الذي يبدأ على العموم صباحاً عند القيام من الفراش مثل قيء السكيرين كأنما الحبلى تبقى ثملة من خمرة الحب ويفقد الذوق سلامته فتختار المآكل غير المألوفة وتطلب أحياناً ما لا يؤكل كالصابون والشمع ويزداد الهيكل العظمي نمواً ويتسع الحوض لتلين في رباطاته ويقع غير ذلك في بقية الاجهزة وفي عمل التغذية مما لا حاجة الى ذكره

ولرب سائل يقول : ما هو سبب التغير الداخلي الذي يطرأ على الجسم من جراء

الحمل ؟ فالجواب التقريبي ممكنٌ اذا اسقطنا بعض الاسباب التي يخال ان لها هناك بعض التأثير

والعاقل يدرك مما قلناه ان هذا التكيف البدني أشبه بما يحصل في الامراض الميكروبية اي ان السبب غير ميكانيكي بل هو سم او نحوه ينشأ او يبقى في الجسم على أثر الحمل كما سنوضحه فيما بعد • فامتلاء الرحم له فعل منعكس على الاحشاء او هو يضغط عليها ولكنهُ لا يولد عوارض تشبه الوحام لان الاورام الرحمية الضخمة ليس لها مثل هذه الظواهر

وأما انقطاع الحيض فلا نخاله سبباً للوحام لان دم الطمث ادنى من الدم العادي خالٍ من المواد السامة التي يتوهم اصحاب الخرافات انها تنصرف عن تلك الطريق فضلاً عن أن انحباسه ضروريٌّ لبدن الام حتى يتهيأ لها تغذية الجنين بكل ما عندها من الوسائط ومثل هذا الانحباس يقع في فقر الدم الشديد وفي بعض الامراض المنهكة كالتدرن الرئوي حيث الطمث يزيد الدم فقراً والمتدرنة اعتلالاً

ويغلب على ظني ان سبب التكيف البدني في الحامل وما ينشأ عنه من الظواهر المعروفة بالوحام هو اضطراب في وظيفة المبيض • والمبيض غدة تفرز في كل شهر قمري بيضة اذا تلقحت حصل العلوق وتكون الجنين واذا استؤصل المبيض انقطع الحيض ولا قياس على الشذوذ

ولا غرابة في ان يكون للمبيض افرازٌ داخلي ماعدا افرازه الخارجي للبييضات كالخصية عند الرجل فان افرازها الخارجي معروف واما افرازها الداخلي فيعرف من تأثيره في الجسم وان تكن ماهيته مجهولة • ألا ترى الخصي خامد العقل طويل القامة متسع الحوض لا سبال له ولا لحية ذا صوت حاد كصوت الاطفال • وسبب ذلك فقد الخصيتين وافرازها الداخلي الذي ينشط الجسم والعقل معاً وعليه فقد يفيد في الانحطاط العصبي استعمال حقن من جوهر فعال « سبرمين » مستخرج من الافراز الخارجي

والغدة الدرقية التي حول العنق لها افراز داخلي يعارض بعض السموم البدنية فاذا استؤصلت ضعفت القوى العقلية وانتفخ الجلد وتشقق وعلته قشور الى غير ذلك من الاعراض التي يعقبها الموت والعلاج ان يتناول المصاب الغدة الدرقية لبعض الحيوان وهو الخروف عادة

وقد يستدل على الافراز الداخلي للمبيض مما يحدث في زمن اليأس اذ ينقطع

الطمث ويتوقف الافراز الخارجي للبيضات فتشكو الامرأة من ثقل في الرأس والصدر وتشعر بهبات حارة في الوجه والاذنين الى غير ذلك مما يقضي باكل الالبان والخضر مساء واستعمال « الاوفارين » اى الجوهر الفعال للمبيض الذي يفيد في عسر الطمث وفقده وفي الاعراض المتقدم ذكرها مما يدل على انه مهيج للرحم فضلاً عما له من التأثير في الجسم

هذا وقد ثبت لاهل العلم ان التغذية مدة الحمل تبلغ اشدها في الجهاز التناسلي فتضعف في سائر البدن ويخف بالتالي انطلاق السموم العادية عن طريق الكلى ولكن كل هذا نسبي لان الكبد التي تتلف السموم البدنية عادة تكون مضطربة ايضاً كالكلى غير قادرة على القيام بشؤون وظيفتها تماماً وفي الوحام دليل على تولد سموم بدنية يساعد هذا القيء على اطلاقها عن طريق المعدة ولا غرابة في ذلك لان المورفين المحقون مثلاً تحت الجلد ينصرف بعضه عن المعدة فيحدث الغثيان أو القيء وقس عليه مايحدث في امراض الكلى

فيستنتج مما تقدم ان السموم تتكاثر نسبياً في بدن الحبلى ومن جهة اخرى ان المبيض ليس له وظيفة يؤديها مدة الحمل فما عمله الا افراز البيضات للعلوق فمتى تم هـذا توقف عن متابعة عمله الى ان تنضج ثمرة ذلك العلوق فتسقط · ومما يؤيد دعواي ان الموضع الذي انفصلت عنه البيضة الملقحة لايلتئم الا بعد الولادة فلا يتكفل المبيض مدة الحمل بسد مكان حبة صغيرة

ولا يستبعد عن الذهن ان الافرازين الخارجي والداخلي للمبيض مترابطان وقياساً على بقية الغدد يسوغ الحكم في ان الافراز الداخلي للمبيض له وظيفة اتلاف بعض السموم البدنية أو وظيفة اخرى تعود بالنفع على الجسم · فبناء على ذلك اقول ان الوحام ناشئ عن تجمع بعض السموم في البدن المضطرب لتوقف المبيض عن افرازه الداخلي بسبب الحمل

وفي الختام لا باس من ان انبه القارئ الكريم الى اعتراض وهو : اذا كان الوحام ناشئاً عن تقصير في وظيفة المبيض فلماذا تزول كثير من اعراضه كالقيء مثلاً في اواسط الحمل مما يدل على نقص في السموم البدنية ؟ فالاعتراض قوي لكن الرد عليه ممكن وذلك لان الجسم يحافظ دائماً على ميزانيته والا تختل اعماله الحيوية · فاذا تأخر عضو لسبب ما عن اداء وظيفته قام بها قرينه السليم كما يحدث بعد استئصال احدى الكليتين أو ينوب عنه عضو آخر مشابه له في العمل · ومن هذا القبيل ماتحققه احد الاطباء من ان الغدة

الدرقية التي تكلمنا عنها لاتلبث ان تتضخم مدة الحمل وبالتالي تزداد قوتها على اتلاف السموم بزيادة افرازها فربما عوضت هذه الزيادة بعض التعويض عن الافراز الداخلي للمبيض مما يفهم منهُ سبب تضخم هذه الغدة وزوال كثير من اعراض الوحام . وزد على ذلك ان الغدة الدرقية تعطى علاجاً ضد الحيض الباكر في المراضع . ولما كان النزيف الشهري بعض وظيفة المبيض استدللنا من تلك المعالجة على ان الغدة الدرقية المأخوذة من الداخل تعوض عن عمل المبيض فلا يعود هذا يهيج الرحم

هذا ما عنَّ للخاطر الضعيف تعليقه وقد تؤاخذني احدى السيدات بدعوى انها أولى بالكتابة في هذا الموضوع من الرجل لجمعها بين العقل والشعور معاً فاستميح من لدنها المعذرة وارجو ان يكون لي من كرمها شفيع اذا تذكرت ان الرجل لهُ ضلع في الامر وانهُ الشريك الاثيم فيما نحن بصدده . فحسبت ان التحقيق العلمي بند من بنود تلك الشركة العمرانية

الدكتور نعمة

عضو في الجمعية العلاجية باريس

الحب الجنسي وفراسة الوجه

وللناس فيما يعشقون مذاهب

قد يقع نظر الشاب على فتاة فلا يهمهُ أمرها ولا يحرك قلبهُ نحوها وربما نفرت نفسه منها فيراها صاحبه فيتعشقها ويهيم بحبها وربما أغضب الاهل والخلان من أجلها ولسان حاله يقول :

رأوها بعين غير عيني فاصبحت قلوبهم فيها مخالفة قلبي

على ان الجمال بحد نفسه لا يخلو من شروط عامة يعترف بها الاكثرون فيجمع أهل البلد الواحد على الاعتراف بجمال فتاة من فتياتهم يجعلونها محور اعجابهم يتحدثون عنها في مجالسهم ويضربون بها الامثال في احاديثهم فهذه وأمثالها من ربات الجمال لا دخل لهن في هذا البحث اذ ليس المراد بالحب مجرد الاستحسان او الاعجاب انما نريد به تجاذب القلوب الى حد الكلف حتى لا يرى المحب في حبيبه غير الجمال ولو لم يستطع اثبات ذلك بالبرهان وحتى يشعر بتمازج الروحين واتحاد القلبين فلا يبقى سبيل للوم اللائمين ولا نصيحة الناصحين واذا عوتب على جنونهِ قال قول الشاعر :

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي فاصبح لي عن كل شغل بها شغل

فاذا سمعه صديقه يقول ذلك استغربه لانه لا يرى في محبوبه ما يبعث على هذا الهيام وربما رأى فيه ضد ما رآه صاحبه — فما هو السبب في هذا التباين او التضاد ؟

ان هذا البحث قد شغل اذهان العلماء من قديم الزمان فكانوا في الاعصر القديمة ينسبونه الى تلاؤم الابراج وتوافق الموالد او الاسماء او نحو ذلك من خرافات القدماء . ولا يزال من اثر هذا الاعتقاد على السنة عامتنا قولهم اذا تحابّ اثنان « ان نجميهما اتحدا او توافقا » فلما بطل التنجيم ورجع الناس الى الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار عللوا ذلك التجاذب بالمغنطيسية الحيوانية حتى اذا اكتشفوا ما اكتشفوه من الاسرار الطبيعية واستشفوا ما وراء مكتشفاتهم من الاسرار الغامضة التي يتوقعون كشفها في مستقبل الزمن نسبوا ذلك التجاذب الخاص بين المحبين الى توافق « كربائيتهما » — يريدون ان في الناس قوة كالكهربائية تتفاوت شدة وضعفاً وتختلف ايجاباً وسلباً باختلاف الاشخاص حتى اذا التقى شخصان وتوافقت كهربائيتهما تجاذب قلباهما وتحابا — وهو قولٌ يدلُّ على رغبتنا في التعليل مع جهلنا حقائق الامور

وتفنن آخرون في تعليل واسطة ذلك التجاذب فجعلوه في العيون وعبروا عن فعله بالسحر الذي يقول فيه الشاعر

عيونٌ عن السحر المبين تبين لها عند تحريك الجفون سكون
اذا ابصرت قلباً خلياً من الهوى تقول له كن عاشقاً فيكونُ

ولم يقولوا ذلك عبثاً لما في العيون من الدلال على الاميال والعواطف على حد قول التعاويذي

عيناك قد دلتا عيني منك على اشياء لولاهما ما كنت رائيها
والعين تعلم من عيني محدثها ان كان من حزبها او من اعاديها

على ان هذا ايضاً لا يعلل سبب التجاذب الخاص بين اثنين لا يرى الناس باعثاً عليه وآخر من نظر في هذا الموضوع جورج مينرس احد ادباء الانكليز فقد تفرغ للبحث فيه بحثاً استقرائياً فجعل رائده المشاهدة والتحري ودليله القياس العقلي فتوصل الى نتيجة مرجعها الى شكل الوجه في المحبين . وقد دوّن رايه في مقالة طويلة نشرتها مجلة الستراند وخلاصتها انه وجد بالاختبار في نفسه وفي كثيرين من اصحابه وغيرهم ان التجاذب بين المحبين يرافقه على الغالب تباين في شكل الوجه ويشتد التجاذب بينهما كلما تباعد

الشبه بين وجهيهما فالوجه المستطيل يجتذب الوجه المستعرض وصاحب الانف الكبير يجذبه صاحب الانف الصغير وبارز الجبهة يحب غائرها وجاحظ العينين تسحره العيون الغائرة واسود العين يحب صاحب العين الزرقاء ومستدق الانف يحب مستعرضه وكلما تعددت اوجه الاختلاف بين المحبَّين توثقت عرى المحبة بينهما



(ش ١) بومبيوس القائد الروماني

فالوجوه تختلف باختلاف اصحابها حتى تكاد لا ترى وجهين متشابهين تمام المشابهة لتعدد اسباب الاختلاف . اذ لكل عضو من اعضاء الوجه عدة أوجه للاختلاف فالفم مثلاً يختلف طولاً واتساعاً وبروزاً واطمئناناً وثخانة ورقة وتقوساً واستقامة وقس على ذلك اختلاف شكل الشفتين ثخانة ولوناً واختلاف الانف والعين والحاجب والوجنة والذقن والجبهة وغيرها . وتختلف هذه الاشكال تقارباً وتباعداً باختلاف الامم واكثر الامم تناسباً في أشكال وجوههم القوقاسيون وأوسطها شكلاً الوجه المعبر عنه بالوجه اليوناني او الروماني (ش ١) لان اعضاءهُ متوسطة الحجم وفيها تناسب وشكله وسط بين الطول والقصر والعرض والضيق فاذا جعلنا هذا الوجه القاعدة الاساسية فكل ما يختلف عنه عدَّ خارجاً فاذا برز الانف اكثر من بروزه في هذه الصورة عد بارزاً او انخفض عنه

عد منخفضاً او ارتفعت الجبهة عن هذه عدت مرتفعة او انخفضت عنها عدت منخفضة



(ش ٢) زوجان وجه احدهما مستطيل ووجه الآخر مستعرض

والاختلاف في شكل الوجه اما ان يكون عاماً من حيث هيأته الاجمالية او تفصيلياً بالنظر الى اعضائه . ففي الحالة الاولى وجد ميترس المشار اليه ان صاحب الوجه المستطيل يحب صاحبة الوجه المستعرض والعكس بالعكس . وصاحب الوجه البيضي يتعشق صاحبة الوجه المربع وبالعكس وقد اتى بامثلة كثيرة سمى اصحابها . وفي الشكل الثاني صورة زوجين اشتهرا بالمحبة الشديدة عرفهما الكاتب المذكور



(ش ٣) الاختلاف التفصيلي في تقاطيع الوجه

واما الاختلاف التفصيلي بين الوجوه فعلى اشكال و يظهر غالباً بالتصوير الجانبي (البروفيل) فيظهر بروز الانف او اطمئنانه وطوله او قصره وبروز الذقن او نزوله . وفي الشكل الثالث مثال من هذه الاختلافات وبالنظر الى الرسم كفاية فان جبين الرجل فيه طويل وجبينها قصير وعينه افقية وعينها مائلة وانفه بارز كبير مستدق وانفها غائر قصير مستعرض وقس على ذلك سائر اعضاء الوجه فيهما

فالقاعدة العامة عند صاحب هذا الرأي ان الاوجه المتخالفة تتجاذب والمتشابهة تتدافع وتذكرنا قاعدته هذه بناموس التجاذب في الكهربائية اي ان الكهربائية الايجابية تجذب السلبية وبالعكس فالكهربائيتان المتخالفتان تتجاذبان والمتشابهتان تتدافعان . واذا أردنا تطبيق هذه القاعدة على الحب رأيناها تصدق على مابين الجنسين من التجاذب العمومي اي التجاذب بين الذكر والانثى على الاجمال . واما قاعدة ميترس فيشبهها رغبة الانسان في الغريب أو ميله الفطري الى تكميل مافيه من النقص باصلاح النسل باجتماع المتباعدين فيخرج من نسلها خلق وسط . وقد أتى ميترس المشار اليه بأدلة كثيرة لاثبات رأيه قال انه شاهدها بنفسه وتحققها بالمقابلة والاستقراء ومع ذلك فان رأيه لايزال محلاً للنظر والانتقاد حتى يؤيده التواتر ولا يعسر على قراء الهلال تطبيق هذا الرأي على من يعرفونهم من الازواج العشاق ــ والبحث يكشف الحقيقة

غنى النفس

كان الخليل بن احمد واضع علم العروض راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب والي فارس والاهواز فكتب اليه سليمان يستقدمه فكتب الخليل جوابه

ابلغ سليمان أني عنه في سعة   وفي غنى غير اني لست ذامال
شحاً بنفسي اني لا ارى احداً   يموت هزلاً ولا يبقى على حال
الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه   ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه   ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فقطع عنه سليمان الراتب فقال الخليل :

ان الذي شق فمي ضامنٌ   للرزق حتى يتوفاني
حرمتني مالاً قليلاً فما   زادك في مالك حرماني

فبلغت سليمان فاقامته واقعدته وكتب الى الخليل يعتذر اليهِ واضعف راتبه فقال الخليل

وزلة يكثر الشيطان ان ذكرت منها التعجب جاءت من سليمانا
لا تعجبن لخير زل عن يده فالكوكب النحس يسقي الارض احيانا

باب السؤال والاقتراح

الوشم

(تيناجاستا كاتامارکا . ارجنتين) نجيب افندي نصيف بعقليني

لقد أجهدني البحث عن أصل عادة الوشم اي النقش على الزند او الذراع اوالصدر مما هو شائع الى الآن في لبنان وغيره وطالعت كثيراً من كتب التاريخ فلم أعثر على تعليل يشفي الغليل ولماذا هذه العادة خاصة ببلاد العرب وما يليها ولم تشع في أوربا وأميركا فارجو ان تكشفوا لنا القناع عن اصلها

(الهلال) ليس الوشم خاصاً بالعرب وانما هو عادة قديمة لم تخل منها أمة من أمم التمدن القديم في سائر أقطار الارض ولا تزال شائعة حتى الآن في كثير من الممالك المتمدنة فضلاً عن المتوحشة كما سترى

اما منشأها فالغرض الاصلي منه تمييز القبائل او الطوائف بعضها من بعض فكانوا يرسمون على يد الرجل أو صدره صورة أو رمزاً يشترك فيه سائر افراد قبيلته اوطائفته علامة لهم يتعارفون بها . وكانوا ينقشون مثل هذه العلامة على دوابهم وأنعامهم وعلى عبيدهم وجواريهم وعلى امتعتهم وأنوابهم وهي « السمة » او الوسم ولا يزال أثر هذه العادة باقياً في ما تتخذه الدول من الشارة أو نحوها على الاعلام أو الثياب . ومن هذا القبيل ما يرسمه قبائل السودان وغيرهم على وجناتهم من الاخاديد فان لكل قبيلة سمة خاصة بها

وأما شكل السمة ونوعها فيختلف باختلاف المواطن والقبائل والمذاهب فبعض القبائل كانوا يجعلون سمتهم صورة اله من آلهتهم او صورة شيء ينتسبون اليهِ ويعبدونه

او يحترمونه كما يفعل بعض الامم المتوحشة اليوم في اوستراليا وأميركا والهند وجزائر المحيط وغيرها فان بعض تلك الامم يعتقدون أنهم متسلسلون من الآلهة وبعضهم يزعمون انهم من نسل سمكة او حمامة او ثعبان او صقر او نحو ذلك . فاهل كل قبيلة يرسمون على ابدانهم صورة جدهم الاصلي ويعرفون به وهو ما يعبرون عنهُ بلفظ « توتم » وقد يجتمع رجال قبائل مختلفة على عبادة شيء يشتركون في اتخاذ سمته على ابدانهم . ولم يخل التاريخ القديم من الاشارة الى أمثال هذه السمة في العبيد وغيرهم . قال هيرودوتس في أثناء كلامه عن هيكل هرقل في مصر ما معناه « وكان على ذلك الساحل هيكل لهرقل لا يزال هناك الى الآن اذا لجأ اليه أحد العبيد وسم نفسه بخدوش مقدسة لكي يبقى موقوفاً للاله فلا يؤذن لاحد ان يمدّ اليه يدهُ وهذه العادة محفوظة منذ انشاء الهيكل الى اليوم . . » ولعل في كلام بولس الرسول الى غلاطية ما يشير الى ذلك بقوله « فلا يعنني أحد فيما بعد فاني حامل في جسدي سمات الرب يسوع » وكان بعض انصار النصرانية قديماً يسمون ابدانهم بمثل جروح السيد المسيح تبركاً وورعاً . على ان بعض الشهداء كانوا في أوائل النصرانية يسمون جباههم باسم المسيح . ومن هذا القبيل ماشاع بعد ذلك من رسم الصليب على الرؤوس والاذرع او الزنود ولا يزال هذا شائعاً عند طوائف النصرانية الى اليوم في سائر انحاء العالم وهو ضرب من الوشم

فترى بين الوسم والوشم تقارباً معنوياً مثل تقاربهما اللفظي ولا ريب ان اللفظ كان في الاصل واحداً كما كان الفعل واحداً ثم تشعب اللفظ مثل تشعب المعنى . فكان الناس قديماً يتخذون السمة للتمييز بين القبائل او الطوائف كما قدمنا وكانت السمة شاملة للناس الاحرار والعبيد والدواب والانعام والآنية وكانوا يسمون بالكي او الجرح او نحوهما . ثم تدرجوا الى ابدال ذلك في الناس بالوشم على ابدانهم بابرة تغرز في الجلد ثم يذرعليها النؤور (النيلة) وسموا هذا العمل « الوشم » ولم يحصل ذلك التشعب اللفظي والمعنوي دفعة واحدة بل حدث تدريجاً عملاً بسنة الارتقاء

ولما شاع الوشم تفننوا فيه وصاروا يرسمون به ما يتراءى لهم من الرموز والاشارات أو العلامات أو الرسوم كصور بعض القديسين أو عظماء الرجال أو تاريخ الولادة أو صورة القبر المقدس او بعض شارات الشجاعة كالسيف او الرمح او السنان او بعض الحيوانات الكاسرة كالاسد والنمر والنسر او الافعى او غير ذلك مما لا يحصى . ولم يعد الغرض منهُ محصوراً بالاعتقاد الديني او الرابطة الوطنية فقد اصبح كثيرون يستخدمونه للزينة في الامم

المتوحشة وفي غيرها حتى في العالم المتمدن . فالوشم شائع اليوم في بريطانيا العظمى واليابان وفي اواسط اميركا وجنوبيها وفي اوستراليا وافريقيا ذكوراً واناثاً كما كان شائعاً عند الرومانيين والجرمان القدماء والغاليين . وقد تفنن اهل التمدن الحديث في اساليب الوشم تفنناً عجيباً . واكثرهم رغبة في ذلك الانكليز والاميركان واهل بورما واليابان وفيهم من يغطي زنديه وصدره وبعضهم يغطي كل بدنه بالرسوم المختلفة . ناهيك بالوشم الشائع في الامم المتوحشة دينياً اواجتماعياً في جزائر المحيط وغيرها مما يطول شرحه . وهم يشمون الجلد بابر مجوفة يملأونها حبراً هندياً باللون الذي يختارونه ويدق على الجلد غرزاً متوالياً حتى يفرغ الدقاق من الرسم وقد زهقت نفس الموشوم من شدة الألم . على انهم يصبرون على هذه العملية رغبة في الزينة كما يصبر اهل التبرج من نسائنا على آلام المشد واضراره لنفس هذا السبب . ولليابانيين شهرة طائرة في صناعة الوشم ولها منزلة رفيعة عندهم وقد اشتهر منهم جماعة كبيرة باتقانها وكثيراً ما يغتنم كبار السياح مرورهم باليابان فيقصدون اولئك الدقاقين ويكلفونهم رسم شيء على زنودهم او صدورهم بحيث يستتر تحت الثياب وقد فعل ذلك جماعة من اشراف الانكليز واعضاء العائلة المالكة

ومع ذلك فالحكومة اليابانية كثيراً ما تمنع الوشم وتأمر بالقبض على الواشمين . واتفق منذ بضعة اعوام انها اصدرت امرها بمنع الوشم وكان في جملة اهل هذه الصناعة رجل اسمه هوري شيو امتاز باتقان الوشم وقصده الناس من انحاء العالم وسر اتقانه انه اضاف الى الوان الحبر لوناً جعل الوشم به زاهياً جميلاً . فلما صدر الامر بايقافه عن العمل اجاب انه لا يشم اليابانيين وانما يقتصر في صناعته على الاجانب وانه وشم ولي عهد الروس (القيصر الحالي) لما جاء اليابان فرسم على ذراعه صورة التنين ثم وشم عدة من اشراف الاجانب اصحاب الملايين قال : « وزد على ذلك ان الوشم من جملة الفنون اليابانية الجميلة فلا يليق ابطاله » فلم تصغ الحكومة الى اعتراضه واصرت على منعه فبلغ خبر ذلك الى غني من اصحاب الملايين في نيويورك وكان قد عرف الرجل في يوكوهاما فعرض عليه ان ينتقل الى نيويورك فطلب راتباً مقداره ٢,٤٠٠ جنيه في العام فاجابه الى طلبه

وللاميركان رغبة شديدة في الوشم رجالاً ونساء يبذلون فيه المال الكثير ومنهم من يشم ذراعيه فقط وفيهم من يشم صدره او ظهره وفيهم من يشم كل بدنه بالرسوم المختلفة فاذا نظرت اليه ظننته لابساً ثوباً مصوراً . وقد كثر اهل هذه الصناعة عندهم وهم يأخذون على وشم البدن كله مئة جنيه الى ١٥٠ جنيهاً . ومن الناس من يشم بدنه ليعرضه على المتفرجين

ويتكسب به او يرغب الناس في الوشم · وهم يرسمون على ابدانهم صورًا شتى دينية وغير دينية وينقشون اسماءهم وتاريخ ولادتهم والمتزوج منهم ينقش صورة امرأته او اسمها او نحو ذلك



فرنك دي بورج

ومن اشهر الموشومين في اميركا المستر وليمس وامرأتهُ والمستر فرنك دي بورج وامرأتهُ وكثيرًا ما عرض هذا الاخير نفسهُ في انكلترا وغيرها كما تراه في الشكل وهو اتقن صناعة الامريكان الى اليوم · وشمهُ رجل ايطالي اسمهُ ليوناردو دافتشيني والناظر اليه يحسبه رسمًا بالالوان الزيتية · فان على ظهره رسم السيد المسيح مصلوبًا مما يدهش الابصار فضلاً عما تراه من الرسوم الجميلة على صدره وقد صوّر في اواسط الصدر حورية تحمل شريطًا عليه هذه العبارة الانكليزية (forget me not) اي لا تنسني وتحت الحورية ازهار تحتها اسم امرأته (Emma) وتحتها اسم العائلة (de Burgh) وعلى ظهر امرأته مثل هذه الرسوم واسماها معًا (فرنك واما) وتحت ذلك الآية النحبية: احبوا بعضكم بعضًا)

وجملة القول ان الوشم قديم ولا يزال شائعًا الى الآن وان اختلف الغرض منهُ باختلاف الاعصر

البنادورة والطماطم

(المحلة الكبرى) منصور افندي عواد عواد

أرى المصريين يسمون « البنادورة » طماطم فما معنى هذا اللفظ ولماذا لا يسميها المصريين باسمها العربي بنادورة

(الهلال) البنادورة او الطماطم نبات اميركاني موطنه الاصلي في جنوبي اميركا فهو لم يكن معروفاً في العالم القديم قبل اكتشاف اميركا وبالطبع لم يكن له اسم عندهم فلما فتحت اميركا ونزل البورتغاليون في جنوبها نقلوا هذا النبات الى بلادهم باسمه الاصلي الذي كان يسميه به اهل المكسيك الاصليون توملت (tomalt) ومعناه في لسانهم « تفاح المحبة » فأخذه البورتغاليين عن الاميركان بلفظه • ثم تغير بالاستعمال في اسبانيا والبورتغال فصار توماتي (tomate) وانتقل الى اوربا فظل عند الفرنساويين بهذا اللفظ وصار في الانكليزية (tomato) ونحو ذلك في اللغات الاخرى ومنها « طماطم » في مصر • على ان الافرنج سموا هذا النبات ايضاً بمعنى لفظه الاصلي (تفاح المحبة) فسماه الفرنساويون Pomme d'amour والانكليز love apple والايطاليان Pomo d'amore فاخذ السوريون اسمه عن الايطاليان مثل اكثر ما اخذوه في اثناء هذه النهضة من اسماء المأكولات وأدواتها فتغير لفظه بالاستعمال من بومدامورا الى « بنادورا » فهو غير عربي • ولولا قرب عهدنا من اكتشاف اميركا وتدوين هذه الحقائق لضاع اصل تسمية هذا النبات عندنا كما ضاعت اصول معظم اسماء النباتات والاشجار والمعادن وغيرها مما نقل الى لساننا قبل زمن التاريخ والقاموس يعدها عربية وهي اعجمية وبعضها هندي الاصل والبعض الآخر من لغات زنوج افريقيا او الاحباش أو غيرهم وقد أتينا بامثلة من ذلك في كتابنا « تاريخ اللغة العربية »

الحسابان الشرقي والغربي

(بوسطن اميركا) يوسف افندي ابراهيم خيرالله

لماذا يزيدون في الحساب الشرقي يوماً على الفرق بينه وبين الحساب الغربي كل قرن فقد كان الفرق بين الحسابين في القرن الماضي ١٢ يوماً فاصبح الآن ١٣

(الهلال) المشهور ان السنة الشمسية ٣٦٥ يوماً وربع يوم فيجتمع من هذا الربع يوم كل اربع سنوات فاصطلحوا ان يضيفوا يوماً كل اربع سنوات على شهر فبراير فيصير ٢٩ يوماً بدلاً من ٢٨ وهو الكبس الاعتيادي الشائع في الحسابين الغربي والشرقي فلو كانت السنة الشمسية ٣٦٥ يوماً وربع يوم تماماً لكان الحسابان متفقين ولكنها اقل من ذلك بنحو ١١ دقيقة فاذا كبسنا مرة كل اربع سنوات فقط نكون قد سبقنا حركة الفلك باحدى عشرة دقيقة كل عام يجتمع منها في ١٣٠ سنة (تقريباً) يوم كامل . فلو ظلوا على هذا الكبس لاختل الحساب فرأوا ملافاته بابطال الكبس مرة كل ١٣٠ سنة فكأنهم بذلك قد استرجعوا الكسور المجتمعة في أثناء تلك المدة فبدلاً من ان تكون سنة ١٣٠ كبيسة لا يكبسونها اي لا يضيفون يوماً على فبراير فيبقى ٢٨ يوماً

ولكنهم وجدوا في ذلك تعقيداً وخافوا التلبك اذا جعلوا ابطال الكبس في أواسط القرون فابدلوا ذلك بطريقة اقرب الى البساطة والسهولة . فبدلاً من ابطال الكبس كل ١٣٠ سنة ابطلوه كل مئة سنة . أي ان السنة في آخر القرن عوضاً من ان تكون كبيسة لانها تقسم على ٤ بلا باقٍ جعلوها اعتيادية فاصبحوا لا يكبسون أواخر القرون اي ان سنة ١٧٠٠ و ١٨٠٠ و ١٩٠٠ مع ان كل منها كبيسة فهي تعد بسيطة وفبراير فيها ٢٨ يوماً لا ٢٩ هكذا يفعل اصحاب الحساب الغربي اما اصحاب الحساب الشرقي فلا يبطلون الكبس في اواخر القرون فيزداد الفرق بينهما يوماً كل قرن . على انهم بابطال الكبس كل مئة سنة بدلاً من كل ١٣٠ سنة يسترجعون أكثر مما لهم بنحو الربع فيجتمع من ذلك يوم كل اربعة قرون وللملافاة ذلك أعادوا الكبس مرة كل اربعة قرون . وعليه فالقرون التي تقسم على اربعة بلا باقٍ تكبس والا فلا . فسنة ١٦٠٠ تكبس اي ان فبراير فيها يكون ٢٩ يوماً . واما ١٧٠٠ و١٨٠٠ و ١٩٠٠ فلا تكبس لانها لا تقسم على ٤ بلا باق واما سنة ٢٠٠٠ فانها تكبس ثم ان سنة ٢١٠٠ و٢٢٠٠ و ٢٣٠٠ لا تكبس وأما ٢٤٠٠ فانها تكبس وقس عليه وخلاصة ذلك ان الحساب الغريغوري يقضي بالكبس مرة كل اربع سنة وبابطاله في آخر كل قرن الا مرة كل اربعة قرون . وترى عند امعان النظر انه لا بد من حدوث فرق طفيف بعد قرون متطاولة سيضطرون لتعديله بالكبس او عدمه

طرابلس الشام

(سان بدرو دي ماكوري) ابراهيم افندي اسبريدون دريبي

هل كانت طرابلس الشام عامرة قبل المسيح ومتى يقيت ومن بناها وسماها بهذا الاسم

(الهلال) عمرت طرابلس الشام في ايام الفينيقيين وكانت في العصر الفارسي مقرًّا للمجلس المتحد المؤلف من مندوبي صيدا وصور وارادوس فكانت مقسومة الى ثلاثة اقسام يقيم في كل قسم منها مندوبو احدى المدن المذكورة فلما استولى اليونان على سوريا سموها Tripolis اي المدن الثلاث وضربوا فيها النقود من القرن الاول قبل الميلاد

الماسون والفرماسون

(الاسكندرية) فهيم افندي الياضي بقومبانية ميدلتد

هل الماسون والفرماسون شيء واحد وما الفرق بين اللفظين

(الهلال) ان اللفظين يدلان على الجمعية الماسونية وكلاهما مأخوذ عن الفرنساوية فاللفظ الاول تعريب Macons ومعناه البناؤون . والثاني اصله بالفرنساوية Franc-macon (فرانماسون) بناء حرٌّ وجمعه البناؤون الاحرار وبعضهم يرد لفظ فرماسون الى Frère maçon اي الاخ البناء

السياح في مصر

شناؤك يا مصر للنازل كقطر الدموع من الثاكل
له نفس كرجاء المحب خالطه لهف العاذل
وفي بقعة كجمال الحليّ تبصرها أعين العاطل
على نهر كسناء الشروق تبسم في وجنة الخامل
تمرُّ على القلب أنفاسه باطيب من أمل الآمل
وقد دفن الدهر في شاطئيه اسرار تاريخه الكامل
فيكدر كالظلم حيناً وحيناً يحاكي صفا نيَّة العادل

كأن السـفين على مائه · خواطر في مهجة الغـافل
فذاك الشراع بياض المنى · وذاك الدخان من الباطل

***

ويا مصر ارضك مهد الصبا · هنا١٢ وعطفاً على النازل
فمن روضة كابتسام الزمان · الى نسمة كوفا المـاطل
الى راحة كدبيب الشفاء · الى الخصب في منكب الذابل
الى اثر في يدي باحث · كما اشرق النصر للباسل
ومنا ومنهم يرى الناظرون · فرق المفيق من الذاهل
وفينا وفيهم يرى العالمون · قدر العليم من الجاهل
فهم في اضطراب كموج البحار · ونحن من الهدء كالساحل
وهم يفعلون ومنا الصياح · وأين القؤول من الفاعل
وقدماً بطلوا الرق الأ النفوس · فلله من حيـلة العاقل
اذا وقع الصيد في كفة · وان وسعت فهو للحابل

***

ويا ترجـانًا لهذا الغريب · أتطمع في العرض الزائل
تجيبهم كلما يسألون · بما بغض الشرق للسائل
ولو عرف القوم ما ساءلوا · سوى الحجر الصامت القائل
ولكننا أمـة لم تزل · من الذل في خدمة الخاذل
اذا ما اساءت يقولون في الحق · أو احسنت قيل في الباطل
وان بلد لم يكن خيره · لابنائه فهو كالماحل

طنطا

مصطفى صادق الرافعي

وكلاء الهلال في القطر المصري

نرجو من حضرات المشتركين في مصر والاسكندرية اعتماد محمد افندي رمضان بدفع بدلات الاشتراك فيهما ونرجو من مشتركينا الكرام في الوجه القبلي اعتماد زكي افندي فهمي بدفع بدلات الاشتراك ولا يجوز الدفع في كل حال الا بوصولات مطبوعة وممضاة من مدير الهلال او منشئه — واما الوجه البحري فسنعين وكيله ونذكره في فرصة اخرى

حقوق الطبع والترجمة بمصر

(الاسكندرية) سليم افندي سعيد

اطلعت في الجزء الثالث من هلال هذه السنة على فقرة تتعلق بنقل بعض كتبكم الى اللغات الاوروبية والفارسية والانكليزية وغيرها وان الذين نقلوها الى اللغتين الاوليين لم يستأذنوكم ولم يمنعهم ذلك من الترجمة والنشر فكيف حدث ذلك وللمطبوعات عند الدول قوانين تحفظ فيها حقوق المؤلفين فلا يستطيع احدٌ الاقدام على ترجمة كتاب او طبعه الا باذن صاحبه . اليست مصر داخلة في هذه القوانين وماهي تلك الحقوق وماالذي فعلتموه بشأن الذين ترجموا كتبكم بلا اذن

(الهلال) لكل مؤلف حقوقٌ أدبية وحقوق مادية او قانونية . فالحقوق الادبية يحكم بها الرأي العام وتقضي بها آداب الكتابة وتوجبها مصلحة المترجم اذ قد يتفق ان يكون المؤلف نفسه آخذاً في نقل كتابه الى اللغة التي ينوي المترجم نقله اليها فيضيع تعبه سدى . وأما الحقوق المادية فهي الكسب المالي . لان مؤلف الكتاب هو صاحبهُ والكتاب صنع قريحته وثمرة عقله فهو يملكه كما يملك صاحب العقار عقاره . فاذا أقدم سواه على الانتفاع به بغير اذنه عدَّ ذلك اجحافاً بحقوقه ولذلك وضعت الممالك المتمدنة قوانين تراعى فيها حقوق المؤلفين يسميها الانكليز copyright ومن شروطها ان المؤلف الذي يطبع كتابه في حياته يحفظ حقه فيه مادام حياً ويبقى الحق لورثته سبع سنين بعد موته بشرط ان لا تكون المدة من تاريخ نشر الكتاب للمرة الاولى الى انقضاء السنين السبع المذكورة اقل من ٤٢ سنة . اما اذا نشر الكتاب بعد وفاة مؤلفه فيكون لورثته الحق في طبعه الى انقضاء ٤٢ سنة من تاريخ الطبعة الاولى . وقد نهض المؤلفون الآن يطلبون تعديل هذه القوانين لان المدة المضروبة لحفظ تلك الحقوق قلما تفيد ورثة المؤلف وقد لا يرجى لهم نفع من طبع الكتاب الا بعد انقضاء تلك المدة

اما مصر فليس لها قانون خاص للطبع والترجمة ولكن حقوق المؤلفين تحفظ فيها كما تحفظ حقوق الصناع والتجار اذا لحقهم ضرر من أعمال صناعتهم او تجارتهم فان الحكومة تحكم لهم بتعويض ذلك الضرر بعد ثبوته . ولم تسن مصر قانوناً خاصاً بحقوق الطبع لحداثة عهدها في عالم التأليف مع قلة المؤلفين وكساد سوق الكتب اذ قلما يقدم أحد على طبع كتاب مخافة ان يخسر نفقات طبعه . فضلاً عما في اطلاق حرية الطبع والنشر

من تنشيط العلم والادب . بل هي كانت الى عهد غير بعيد تنفق الاموال من خزينتها لتنشيط المؤلفين بابتياع كتبهم ولو لم يكن لها نفع من ابتياعها

اما الآن وقد اخذت هذه النهضة في النضج وتكيفت الصحافة وظهرت عدة مؤلفات مهمة فيجدر بالحكومة المصرية ان تضع لائحة خاصة بالمطبوعات تعين فيها حقوق المؤلفين بما يغنيهم عن اثبات وقوع الضرر من تجروء الآخرين على الانتفاع بمؤلفاتهم فتجعل مجرد اقدام احد على طبع كتاب غيره أو ترجمته مخالفاً للقانون وتفرض حصول الضرر مهما كان — ولا نرى في ذلك تثبيطاً للهمم بل نرى فيه المحافظة على الحقوق وصيانتها . وان تدخل في المعاهدات الدولية المتعلقة بذلك لحفظ تلك الحقوق في الخارج اذ لا يليق بمصر بعد ان تضاهي ارقى الممالك المتمدنة في نظامها الاداري والسياسي والقضائي ان تبقى حقوق الطبع والترجمة فيها فوضى

على ان المؤلف يسرُّه ان يروج كتابه ويتسابق الناس الى ترجمته وطبعه ولكن يسوءه ان يفعلوا ذلك بغير علمه ولا يطلع عليه الاَّ عرضاً كما اتفق لنا في ما ذكرناه عن ترجمة تاريخ التمدن الاسلامي الى الاوردية والفارسية وبعض رواياتنا الى اللغة الفارسية . وقد علمنا الآن (بالعرض ايضاً) ان بعض رواياتنا الاسلامية ترجمت الى اللغة الاوردية بعناية رصيفنا محرر جريدة وكيل الهندية مترجم تاريخ التمدن الاسلامي وبعضها ترجمها محرر جريدة بيزا اخبار — علمنا ذلك من حضرة السيد محمد عمر احد تلامذة الطب في لاهور كتب الينا في بعض الشؤون المتعلقة به وذكر عرضاً انه اطلع على روايات فتاة غسان وعذراء قريش وارمانوسة المصرية في اللغة الاوردية (الهندستانية) فكتبنا اليه نستزيده ايضاحاً ونطلب اليه ان يرسل الينا امثلة من تلك الترجمات فجاءنا جوابه بالامس يقول فيه ان احدى رواياتنا ترجمتها ادارة جريدة بيزا اخبار في مدينة لاهور وان ارمانوسة المصرية ترجمتها ادارة جريدة وكيل وكذلك فتاة غسان وقد ظهر الجزء الاول منها واما الثاني فقد ترجم ولكن ترجمته تحتاج الى تنقيح وقد عهد اليه بتنقيحها

وكنا قد عتبنا على رصيفنا محرر جريدة وكيل لانه ترجم تاريخ التمدن بغير علمنا فجاءنا كتابٌ من حضرة محمد افندي حليم الانصاري احد محرري جريدة اوده اخبار اليومية في لكنهو يظهر فيه عذر حضرة المترجم في ذلك واليك نص كتابه :

« ترجمتُ في مدة عامين من مؤلفاتكم الكتب الآتي بيانها بامر من سمو الجناب المنشي الفاضل الشيخ غلام محمد مدير ومحرر جريدة وكيل الغراء في امرتسر فنجاب (الهند) وهي :

الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي والجزء الاول من رواية فتاة غسان . والآن تترجم الجزء الثاني من كتاب تاريخ التمدن الاسلامي و بلغت منه الى صحيفة (١٢٠) وقد باشر طبع الكتب المذكوره حضرة الفاضل الامرتسري المذكور ونشر منها الاثنين الاولين والثالث تحت الطبع . وقد نشر ايضاً بعد الطبع ترجمة الرواية المسماة بارمانوسة المصرية حيث اخذ مني حق ترجمتها وكنت استاذنتكم بترجمتها منذ اعوام»

(لكنهو الهند) في ٣ مارس سنة ١٩٠٥ محمدحليم الانصاري

فالظاهر ان رصيفنا محرر جريدة وكيل اكتفى باجازة الانصاري وتوسع في سائر الترجمات فهو معذور ونحن انما طالبناه بالحقوق الادبية

اما الترجمات الفارسية فقد نشرنا في الهلال الثامن ما جاءنا من السيد جعفر ابن الحاج علي اكبرخامنه ان البرنس عبد الحسين مرزا قد ترجم غادة كربلاء الى اللغة الفارسية بامر السيدة عزة الدولة عمة الشاه الحالي . وان تاريخ التمدن الاسلامي ترجمهُ ذكاء الملك صاحب جريدة تربيت . وان السيد جعفر المذكور استاذننا في ترجمة رواية ابي مسلم الخراساني التي نؤلفها هذا العام . فذكرنا في جوابنا هناك عتبنا على المترجمين واذنَّا لهُ بترجمة هذه الرواية . فجاءنا بالامس كتاب من دولة البرنس المشار اليه يذكر فيه السبب الذي حملهُ على الترجمة وانه آخذ في ترجمة رواية ابي مسلم وان كنا اذنا بترجمتها لسواه — وهاك نص كتابه وفيه تلطفٌ وتواضع قال :

« يقول العبد المحتاج عبد الحسين ميرزا ابن مؤيد الدولة بن دولة شاه بن فتحعلي شاه المبرور الى حضرة جرجي زيدان سلام عليكم — وبعدفقد اطلعت في العدد الثالث من هلال هذه السنة على جوابكم للمكتوب التبريزي في ذكر ترجمة غادة كربلاء الى الفارسية وذكرتم اسم هذا العبد (عبد الحي ميرزا) ولما لم يكن لنا نحن الايرانيين حياة فلا ينبغي ان نسمى عبد الحي ولعل التصحيف وقع من صاحب المكتوب . وعلى كل حال فان العبد من مخلصيكم والمترشحين من فيض اقلامكم وقد اسفتُ ان يكون اهل اللسان الفارسي محرومين من افاضاتكم فترجمت الكتب الآتي بيانها وهي : غادة كربلاء ١٧ رمضان ارمانوسة المصرية . الحجاج بن يوسف . وقد تم طبعها كلها . وشرعت من الآن في ترجمة رواية ابي مسلم (وان استاذن صاحب المكتوب بترجمتها) وقد ترجمت ماجاء منها في الهلال فارجو من اكرامكم ان ترسلوا الرواية ان يكن ممكناً حتى اترجم باقيها الخ»

نقول : اما باقي الرواية فلا سبيل اليه قبل انقضاء السنة لاننا لا نكتب منها الاَّ ما

يظهر في الهلال أولاً فأولاً . ونتقدم الى دولة البرنس بواجب الشكر على عنايته في نقل هذه الكتب الى اللسان الفارسي ونثني على تلطفه بذلك الكتاب فانه يشف عن مناقب الملوك وسجايا اهل الفضل

وقد جاءنا ونحن نكتب هذه السطور كتاب من رصيفنا ذكاء الملك صاحب جريدة تربيت الفارسية في طهران يقول فيه انه انما أراد تلخيص تاريخ التمدن الى الفارسية لينشره في جريدته وقد اطلعنا على بعض ما نشرهُ فيها فنشكره على ذلك ولا نرى بأساً من نشره في كتاب على حدة اذا رأى من ذلك فائدة لقراء اللغة الفارسية

باب الأخبار العلمية

(العسر) العسر استخدام اليد اليسرى دون اليمنى وهو الاقل في الناس لأن ثمانين في المئة من الناس يستخدمون يمناهم والباقون يستخدمون يسراهم . على أنهم وجدوا بالتحري والاستقراء ان معظم الناس قادرون من فطرتهم على استخدام اليدين معاً ولكنهم قلما يفعلون ذلك لتغلب استخدام اليمنى عندهم ولان الامهات والمربيات يأمرن الاطفال باستخدامها. اما لو ترك الاطفال لفطرتهم في استخدام أيديهم لخرج ثمانون في المئة منهم يستخدمون اليدين على السواء و ١٧ لا يستطيعون استخدام يسراهم و ٣ فقط لا يستطيعون استخدام يمناهم . اي ان معدل العسر وضده في الناس بحسب الفطرة ان يكون في كل مئة انسان ٣ يستخدمون اليد اليسرى فقط و ١٧ يستخدمون اليد اليمنى فقط و ٨٠ أعسر يسر يستخدمون اليمنى واليسرى معاً. ولذلك كان . العسر يسر . قديماً اكثر منهُ الآن فكان اليهود القدماء يتفاخرون به ويكرمون أصحابه وكان شائعاً خصوصاً في سبط بنيامين وربما كان في الجند فرقة برمتها عسراء . فقد جاء في سفر القضاة (ص ٢٠ ع ١٦) انه كان في سبط بنيامين ٧٠٠ رجل عسر الايدي يرمون الحجر بالمقلاع على الشعرة فلا يخطئون والمراد بهذه العبارة على الغالب انهم كانوا يرمون باليدين على السواء كما يؤخذ من موقف آخر في سفر الايام الاول (ص ١٢ ع ٢) اذ يقول . وكانوا متسلحين بالقسيّ وهم

يرمون بالحجارة والسهام عن القسي باليمين واليسار . فيستدل من ذلك ان الانسان من فطرته ميال الى استخدام اليدين ثم غلب استعمال اليمنى وشاع بالتربية . فاهل الاقتصاد السياسي اليوم يرون في بقاء الانسان على استخدام احدى يديه خسارة كبرى ويرغبون الناس في تعويد أولادهم على استخدام اليدين جميعاً وفي الواقع فان الاعسر يسر أقدر على العمل من سواه اذا تعبت احدى يديه استخدم الاخرى

(وكلاء الدول في القطر المصري) للدول الاجنبية وكلاء في القطر المصري تتفاوت مراتبهم ومناصبهم وفيهم القناصل العادية والجنرالية ونوابهم ووكلاؤهم في مدن القطر المصري الكبرى والصغرى بالمحافظات والمديريات وأكثر هؤلاء من المصريين واليك جدول وكلاء الدول باعتبار مراتبهم مع التفريق بين الوطنيين والاجانب

	القناصل	الوكلاء والنواب	الاجانب	الوطنيون	الجملة
انكلترا	٤	٦	٩	١	١٠
فرانسا	٥	١٤	٦	١٣	١٩
المانيا	٣	٩	٦	٦	١٢
روسيا	٤	١٥	٥	١٤	١٩
النمسا	٠٠	١٢	٧	٥	١٢
ايطاليا	٣	١٥	٨	١٠	١٨
اسبانيا	٣	٣	٣	٣	٦
الولايات المتحدة	١	٦	٤	٣	٧
اسوج ونروج	٢	١	٣	٠٠	٣
هولاندا	٣	١	٤	٠٠	٤
البورتغال	٤	٥	٤	٥	٩
اليونان	٤	٤	٨	٠٠	٨
الدنمارك	٢	٤	٥	١	٦
البرازيل	٠٠	٢	٠٠	٢	٢
البلجيك	٣	٣	٣	٣	٦
العجم	٤	٨	٥	٨	١٢
المجموع	٤٥	١٠٨	٨٠	٧٣	١٥٣

(خسائر الروس واليابان) ان الحرب الروسية اليابانية الاخيرة من أعظم حروب العالم ولعلها أعظم حروب التاريخ الحديث · وقد بلغت خسائر الدولتين الى سقوط مكدن نحو ٣٠٠,٠٠٠ نفس بين قتيل وجريح وأسير و٥٠ دارعة بين كبيرة وصغيرة في نحو عشر معارك ذهب منها ٨٤,٠٠٠ نفس في معركة ٩و١٧ مارس حوالي مكدن · وذهب حول بور ارثور نحو ٥٠,٠٠٠ ياباني بين قتيل وجريح وتعطل من الروسيين في ذلك الحصار ٣٩,٠٠٠ منهم ٢٥,٠٠٠ أسير

اما الخسائر المالية فقد بلغ ما انفقته حكومة الروس الى آخر العام الماضي ستين مليون جنيه غير ما ذهب من بوارجها ودوارعها وما وقع في ايدي العدو من مدافعها وأسلحتها مما يقدر بنحو ١٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه فيقال بالاجمال ان الروسيين ينفقون في حروبهم هذه ١,٥٠٠,٠٠٠ جنيه كل اسبوع · اما اليابان فتبلغ خسائرهم المالية الى آخر مارس الجاري ٥٧,٦٠٠,٠٠٠ جنيه فاذا قسمت على الاسابيع لحق الاسبوع ١,٠٠٠,٠٠٠ جنيه اي نحو ثلثي خسائر الروس · فخسائر الحرب في الجانبين قد بلغت في عام واحد نحو ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ نفس و٥٠ دارعة و١٢٥,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ولا تزال النفقات في أوائلها وستتضاعف كثيراً بالقياس على ما انفقته انكلترا في حربها الترانسفالية فقد بلغت خسارتها المالية ٢٢٨,٠٠٠,٠٠٠ جنيه · فما قولك في حرب الروس واليابان والدولتان تتفانيان في طلب النصر وتبذلان المال والرجال بلا شفقة ولا حنان طمعاً في وهم باطل لا يسدُّ جوعاً ولا يروي عطشاً · فكم تيتم من الاطفال وترمل من النساء وسفكت الدماء وغودرت جثث القتلى على الصعيد فشبعت الكواسر من لحوم الرجال وبات اهلهم وأولادهم يتضورون جوعاً ويندبون اليتم والثكل · ومع ذلك فاننا نفاخر الامم الغابرة بتمدننا وبئس التمدن

(غلة القطن في القطر المصري) من أهم أسباب النهضة المالية بمصر صعود اثمان الارضين وسبب صعودها ارتفاع اسعار الاقطان وكثرة الغلة · فقد كانت غلة القطن في القطر المصري لسنة ١٨٨٦ نحو ٢,٩٠٠,٠٠٠ قنطار وسعر القنطار ٢٤٨ قرشاً · فصارت الغلة سنة ١٩٠٤ نحو ٦,٥٠٠,٠٠٠ قنطار وثمن القنطار ٣٢٢ قرشاً · فبعد ان كانت قيمة غلة القطن نحو ٧,٠٠٠ ٠٠٠ جنيه اصبحت عشرين مليوناً واليك جدول في مقدار القطن المصري الوارد الى الاسكندرية في العشرين سنة الاخيرة مع بيان متوسط أثمانه بالقرش المصري :

عن سنة	قنطار	متوسط الثمن	عن سنة	قنطار	متوسط الثمن
١٨٨٥	٢,٨٧١,٥٠٠	—	١٨٩٥	٤,٦١٩,٢٣٣	١٩٢
١٨٨٦	٣,٦٢٩,٠٠٠	—	١٨٩٦	٥,٢٥٦,١٢٨	٢٢٤
١٨٨٧	٢,٨٧٢,٤٣٦	٢٥٦	١٨٩٧	٥,٨٧٩,٤٧٩	١٩٠
١٨٨٨	٢,٩٩٦,٤٨٥	٢٤٨	١٨٩٨	٦,٥٤٣,٦٢٨	١٥٨
١٨٨٩	٢,٧٢٢,٩٥٤	٢٧٢	١٨٩٩	٥,٥٨٨,٨١٦	١٨٣
١٨٩٠	٣,٢٣٧,٥٥٨	٢٦٧	١٩٠٠	٦,٥٠٩,٦٤٥	٢٤٨
١٨٩١	٤,١٥٩,٤٠٥	٢٢٧	١٩٠١	٥,٤٣٥,٤٨٠	٢٣٨
١٨٩٢	٤,٧٦٥,٣٤١	١٧٨	١٩٠٢	٦,٣٦٩,٩١١	٢٢٢
١٨٩٣	٥,٢٢٠,٥١٠	١٨٦	١٩٠٣	٥,٨٣٨,٧٩٠	٣١٨
١٨٩٤	٥,٠٣٣,٢٢٥	١٧٤	١٩٠٤	٦,٥٠٨,٩٤٧	٣٢٢

مطبوعات الحكومة المصرية للحكومة المصرية مطبوعات دورية تصدرها نظاراتها في أوقات معينة من العام كالجرائد الرسمية والتقارير ونحوها وفيها كثير من الفوائد المهمة التي يتعذر العثور عليها الا بالبحث الطويل واهم تلك المطبوعات :

(١) الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) تصدرها نظارة المالية ثلاث مرات في الاسبوع

(٢) نشرة البوليس تصدرها نظارة الداخلية مرة في الاسبوع

(٣) نشرة السودان تصدرها نظارة الحربية في الخرطوم مرة في الشهر

(٤) نشرة المحاكم تصدرها نظارة الحقانية مرة في الشهر

(٥) مواعيد سفر القطر الخديوية تصدرها مصلحة السكة الحديدية مرتين في العام

(٦) تعريفة شحن البضائع والركاب تصدرها مصلحة السكة الحديدية مرتين في العام

(٧) جداول تعداد تصدرها مصلحة الصحة مرة في كل شهر

(٨) تقرير عن الكورنتينة تصدره مصلحة الصحة والكورنتينات مرة في الاسبوع

(٩) دليل البوسطة لمصلحة البوسطة يصدر مرة في العام

(١٠ ـ ١٥) مطبوعات نظارة الاشغال وهي تقريرها السنوي والارصاد الجوية الشهرية وكشف مطبوعاتها مرتين في السنة والتقرير السنوي عن جنينة الحيوانات وتقريرها

السنوي عن الارصاد الجوية

(١٦) نتيجة السودان تصدرها نظارة الحربية مرة في العام

وكل هذه المطبوعات تباع في النظارات باثمان زهيدة خدمة للمصلحة العامة

﴿الشم في الطيور﴾ عني احد علماء الانكليز في درس حاسة الشم في الطيور على اختلاف اجناسها وفصائلها فوجد تلك الحاسة ضعيفة جدًّا فيها حتى تكاد تكون اثرية واما الشائع عن قوة الشم في الجوارح التي تطلب فريستها عن بعد ففيه وهمٌ لان النسور لاتهتدي الى الفريسة برائحتها بل بنظرها لان الفريسة اذا كانت مستترة بما يحجبها عن بصر النسر لا يعثر عليها

﴿الجنون في انكلترا﴾ تشكو جرائد انكلترا من تكاثر المجانين فيها كل سنة تكاثرًا فاحشًا وخصوصًا في الاعوام الاخيرة فقد كان عدد المجانين في بريطانيا وايرلندا وسكوتلاندا معًا سنة ١٨٦٢ نحو ٥٥,٠٠٠ نفس فاصبح في سنة ١٩٠٣ نحو ١٥٧,٠٠٠ اي انهم زادوا ١٠٢,٠٠٠ نفس ينفقون على معالجتهم في المستشفيات والمارستانات ٤,٠٠٠,٠٠٠ جنيه في العام. وهي زيادة فاحشة مع اعتبار زيادة عدد السكان على الاجمال. وقد خاضت جرائد الانكليز وبحث علماؤُها في الاسباب الباعثة على هذه الزيادة واشتغل آخرون في رفع التقارير والاحصاآت فوجدوا من اهم الاسباب المساعدة على ذلك ان اصحاب المارستانات يؤْذنون لبعض المجانين بالخروج من المستشفى ويرفقونهم بشهادة تثبت شفاءهم التام ولا يكون ذلك الشفاء الاَّ ظاهريًا وموقتًا. فيخرج هؤُلاء فيتزوَّجون فيلدون اولادًا معرضين للجنون. فالسبب الرئيسي في تكاثر المجانين الوراثة الطبيعية واقوى العوامل فيها تزويج المجانين او المعرضين للجنون

﴿أدق الآلات﴾ اصطنع احد صناع الانكليز آلة يقاس بها ما لا تزيد مساحته على $\frac{١}{٢٠٠,٠٠٠}$ من القيراط وقد تتصور مقدار هذه الدقة اذا علمت ان ثخانة ورقة السيجارة لا تزيد على $\frac{١}{١,٠٠٠}$ من القيراط. واصطنع رجل آخر آلة لرسم الخطوط الدقيقة المتوازية ترسم ١٤,٤٠٠ خط متواز في القيراط الواحد ويساوي ذلك رسم ١٤ خطًا متوازيًا على حافة ورقة السيكاره

﴿سرّ الصحة﴾ قال احد كبار الاطباء للصحة سرَّان الاول رئيسي وهو النظام والثاني ثانوي وهو الطعام. اما النظام فهو ترتيب المعيشة على اوقات معينة في كل يوم بالدقة

التامة . ومعنى ذلك ان يكون العمل والراحة والنوم واليقظة وتناول الطعام في ساعة معلومة من اليوم ومقادير معلومة بلا تقديم ولا تأخير . واما الطعام فيراد به ان يكون بسيطاً معتدلاً

❊ الصحة بغير رياضة بدنية ❊ من الامور المقررة ان الرياضة البدنية من لوازم الصحة وخصوصاً للذين تدعوهم اشغالهم اليومية الى السكون وقلة الحركة . على ان اكثر اصحاب هذه الاشغال لا تساعدهم اوقاتهم على الرياضة اللازمة فهؤلاء يكفيهم ان يعوضوا عن الرياضة البدنية بابطال اكل اللحوم والاكتفاء بالحبوب والخضار لان اللحوم سموم لا تظهر عواقبها قبل انقضاء سن الشباب وخصوصاً في اصحاب البنية القوية . اما في الكهولة وما بعدها فاللحوم علة ما يشكوه الكهول والشيوخ من ضيق الخلق وعسر الهضم وتعب القلب وقبض الامعاء مما يحتاجون في ازالته الى الرياضة البدنية فاذا اكتفوا بالاطعمة النباتية مع قليل من اللحوم نجوا انفسهم من اكثر هذه العلل . اما المشروبات فاحسنها الماء القراح فان المياه المعدنية ونحوها من الاشربة التي يستعينون بها على الهضم ضررها اكبر من نفعها

❊ المرأة اصل كل شيء ❊ كتبت احدى سيدات الانكليز مقالة في المرأة فبالغت بمنزلتها في الهيئة الاجتماعية حتى جعلت الرجل عديم النفع او ان نفعه ثانوي ومن اقوالها ان المرأة هي اصل التناسل لان جرثومة الاولاد موجودة فيها وليس في الرجل وان العلماء سيتصلون قريباً الى طريقة للتوليد من الانثى بدون واسطة الرجل

❊ تأثير المعادن في الانسان ❊ جرب الدكتور روبن تأثير المعادن في الانسان بالحقن تحت الجلد بسوائل فيها كميات قليلة من معدن الفضة او الذهب او البلاتين فوجد لها تأثيراً كيماوياً غريباً منها زيادة قوة الدم وتقليل الكريات البيضاء فيه وزيادة المواد اليورية (البول) فعالج به بعض الامراض التي ينفعها هذا التأثير الكيماوي وفي جملة ذلك ١٤ حادثة من ذات الرئة فشفي منها ١٣ ولاحظ من تأثير تلك الحقن انها تخفض الحرارة بسرعة وتقلل مقدار الاكسجين الذي يحتاج اليه المريض

(الذهب والالماس في الكونغو) اكتشفوا بوادي لوالابا في الكونغو على مناجم للالماس ووجدوا في كثبانها معادن الذهب والفضة وهم آخذون في زيادة البحث لعلهم يعثرون على مناجم ذات بال

(معرض سانت لويس) بلغت نفقات هذا المعرض ٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك وبلغ عدد الذين زاروه ١٩,٠٠٠,٠٠٠ انسان

(سكر الشمندر (البنجر)) بلغ مقدار ما استخرجوه من سكر البنجر في

اوربا للعام الماضي ٥،٨٥٠،٠٠٠ طن وبلغ مقداره في كوبا وحدها ١،٠٣٠،٠٠٠ طن

(اكبر الماسة في العالم) عثروا في مناجم بريتوريا بالترانسفال على الماسة وزنها ٣،٠٣٢ قيراطاً اي نحو ٦٢٢ غراماً

(نقل عدوى الدفتيريا بالماء) وجد الدكتوران جيلر وستانز ان الدفتيريا قد تنتقل عدواها بالماء لان ميكروبها يعيش ويتكاثر فيه فاذا صح ذلك وجب الانتباه لماء الشرب في اثناء تفشي هذا الداء

(ربح مصلحة البريد) مصلحة البريد (البوسطة) من المصالح التي يزداد ربحها بزيادة العمارة واتساع اسباب التمدن واليك ارباح مصالح البريد في اوربا لسنة ١٩٠٣

بريطانيا	١٠٥،٥٠٠،٠٠٠	فرنك	المجر	١٤،٠٠٠،٠٠٠	فرنك
روسيا	٧١،٥١٠،٠٠٠	«	البلجيك	١٢،٧٥٠،٠٠٠	«
فرنسا	٦٦،٠٠٠،٠٠٠	«	هولندا	٥،٠٠٠،٠٠٠	«
المانيا	٦٢،٥٠٠،٠٠٠	«	سويسرا	٣،٥٠٠،٠٠٠	«
اسبانيا	١٥،٠٠٠،٠٠٠	«			

اما مصلحة البريد في الولايات المتحدة فقد خسرت في تلك السنة ١٣،١٠٠،٠٠٠ فرنك

« الكلوروفورم وقوة النبض » وجد الاطباء للكلوروفورم تأثيراً خصوصياً على جدران الشرايين يمكن الاستدلال منه على درجة الخطر في العمليات الجراحية على المبنجين بملاحظة قوة النبض اكثر من ملاحظة حال التنفس

« الوقاية من الحريق » استنبط بعض الانكليز في لندن طريقة لوقاية الابنية من الحريق اذا حدث حريق في جوارها بان يحيط البناء من اعلاه بقساطر مستطرقة الى مستودع من الماء في اسفل البناء ويدفع منه الماء الى تلك القساطر بآلة عند الاقتضاء وفي القساطر ثقوب ينصب منها الماء على الجدران صباً متواصلاً . فاذا حدث حريق في بناء مجاور اطلقوا الماء على هذه الصورة فتكتسي الجدران بالماء المنسكب فيقي ذلك البناء من الحريق

اشهر المعارك الحربية

في التاريخ القديم والحديث (نقلا عن تقويم المؤيد)

معركة	سنة قوم	المحاربون	بقيادة	ضد	المنتصر	نتيجة الحرب
قادس	١٣٥٠	المصريون	رمسيس ٢	الحيثاس	رمسيس	خضوع الشام
مراتون	٤٩٠	الاثينيون	ملتياد	الفرس	ملتياد	صد الفرس
سلامينه	٤٨٠	دوتمقوبان	تمستوكل	«	تمستوكل	صد «
بلاتا	٤٧٩	اليونان	بوزنياس	«	بوزنياس	انقاذ اليونان
اربياس	٣٣١	اليونان	اسكندر	«	اسكندر	سقوط دولة العجم
ايسوس	٣٠١	ليزماك	«	انتيجون	ليزماك	تقسيم « اسكندر
كان	٢١٦	قرطاجة	آنيبال	الرومان	آنيبال	أخذ ايطاليا
زاما	٢٠٢	الرومان	شيبون	قرطاجة	شيبون	سقوط آنيبال
اكتيوم	٣١ ب م	اوكتاف	«	انطوان	اوكتاف	وفاة كليوباطره
بواتيه	٧٣٢	الفرنسويون	شارل مرتل	العرب	شارل	صد غارة العرب
كريسي	١٣٤٦	فرنسا	فيلب ٦	الانكليز	ادوارد ٣	حرب المائة سنة
بواتيه	١٣٥٦	الانكليز	الامير الاسود	فرنسا	الامير	اسر ملك فرنسا
انقرة	١٤٠٢	المغول	تيمورلنك	بايزيد ١	تيمورلنك	موت بايزيد
ازنكور	١٤١٥	فرنسا	كونيتابل البر	الانكليز	انكلترا	اخذ شمال فرنسا
بتاي	١٤٢٩	«	جان دارك	الانكليز	فرنسا	تخليص اورليان
روكروا	١٦٤٣	«	دوق انجيان	اسبانيا	الدوق	غلبت اسبانيا
توركهيم	١٦٧٥	«	تورين	المانيا	تورين	استرداد الزاس
دونن	١٧١٢	«	فيلار	انكليز والمان	فيلار	معاهدة اترخت
فونتنوا	١٧٥٤	«	مارشال ساكس	الانكليز	المارشال	فتح هولانده
ليسا	١٧٥٧	بروسيا	فردريك ٢	نمسا	فردريك	غلبت فرنسا
فالمي	١٧٩٢	فرنسا	كالرمن	روسيا	برونزويك	غلبت بروسيا
ريفولا	١٧٩٧	«	بونابرت	النمسويين	بونابرت	حرب ايطاليا
مارنجو	١٨٠٠	«	«	«	«	اخذ ايطاليا

معركة	سنة	بسم	المحاربون	بقيادة	ضد	المنتصر	نتيجة الحرب
اوسترليز	١٨٠٥		فرنسا	بونابرت	النمسويين	بونابرت	معاهدة بطرسبورغ
لامسكوفا	١٨١٢		«	«	الروسيين	«	اخذ موسكو
ليبسك	١٨١٣		«	«	نمساوبروسيا	الدولتان	سقوط نابليون
واترلو	١٨١٣		«	«	انكلترا«	«	هزيمة نابوليون
القرم	١٨٥٤		فرنساوانكلتراوتركيا		الروسيا	الدول الثلاث	حصر سباستيبول
سادوفا	١٨٦٦		بروسيا	دي ملتكه	النمسا	بروسيا	ظهور شأنها
سيدان	١٨٧٠		«	غليوم اومولتكه	فرنسا	«	تسليم جيش فرنسا
مس	١٨٧٠		«	فردريك شارل	«	«	حصر جيش فرنسا
شامبيني	١٨٧٠		«	دي مولتكه	«	«	حصر باريس
بلافنا	١٨٧٧		الروسيون	توتلبن	العثمانيين	روسيا	تسليم بلافنا

مطبوعات جديدة

(قاموس اللغة القبطية) صدر الجزء الثالث من هذا الكتاب لمؤلفه اقلاديوس بك لبيب صاحب مجلة عين شمس والقائم بنهضة اللغة القبطية واحياء آدابها بكتبه ومجلته والكتاب المذكور فريد في بابه فضلاً عن سعته اذ ربما يدخل في الف صفحة كبيرة . وقد ظهر منه ثلاثة اجزاء في نحو سبعماية صفحة وستصدر الاجزاء التالية تباعاً . وهو يطلب من حضرة المؤلف بمصر ولا يباع الا كاملاً بكل اجزائه وثمن النسخة منه ٣٠٠ غرش مصري . فمن أراد اقتناءه اشتراه واستلم ماظهر من اجزائه ثم يستلم الاجزاء الباقية عند صدورها

(طولة العمر) هو كتاب صحي جدّي في قالب الفكاهة تأليف شكري افندي الخوري صاحب كتاب التحفة العامية الذي اشرنا اليه في غيرهذا المكان . واما كتاب طولة العمر فموضوعة الحث على حفظ الصحة والوقاية من المرض باسلوب السؤال والجواب بلغة سوريا العامية في قالب فكاهي مجوني جميل يدل على سلامة ذوق حضرة المؤلف . والكتاب جزيل الفائدة للعامة على نوع خاص لانه يخاطبهم بلسانهم . ويرى الاديب فيه

لذة وفكاهة وفائدة فنثني على حضرة المؤلف ونحث القراء على مطالعة كتابه

﴿ اليد المخضبة بالدماء ﴾ هي سلسلة روايات من تاليف هنري جوفين مؤلفة من ثلاثة اجزاء الاول قتيل كلامار والثاني رجال العصبة والثالث اللص الليلي وقد عني حضرة حنا افندي صاوه بتعريبها كلها في مجلد واحد طبع بنفقة احمد افندي الرفاعي وهي تطلب من حضرته في الاسكندرية ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ٦ غروش صاغ

﴿ رواية الجثتين بعد ثماني سنوات ﴾ هي تاليف فريدريك سوليه نقلها الى العربية حنا افندي صاوه ايضاً وطبعت بنفقة منصور افندي عبد المتعال الكتبي بمصر · وتطلب من حضرته ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ٥ غروش صاغ

﴿ عظة النساء ﴾ هو كتاب ادبي تهذيبي يبحث في المراة وواجباتها اليومية تاليف علي افندي فكري كاتب اول ونائب امين الكتبخانة الخديوية مداره على مغزى بيتين شهيرين صدَّر الكتاب بهما وهما :

انما المرأة مرآة بها كلما تنظره منك ولك
فهي شيطان اذا افسدتها واذا اصلحتها فهي ملك

فنثني على حضرة المؤلف ونحث السيدات على مطالعة كتابه

﴿ مناظرة ابن يونس القنائي وابي سعيد السيرافي ﴾ عني حضرة صديقنا الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي الشهير بنشر مناظرة جرت بين الفيلسوف متى بن يونس القنائي والنحوي ابي سعيد السيرافي في اوائل القرن الرابع للهجرة كما رواها ابو حيان التوحيدي · وصدرها الاستاذ بلاحظات مهمة عن حال المتناظرين وعلمها ومنزلة الرواية من الصحة او الريب على نحو ما اشتهر به حضرته من دقة البحث وصدق النظر · وألحق المناظرة بترجمتها الانكليزية ترجمة دقيقة · فنثني على فضله وعلمه لما يخدم به لساننا العربي من الخدم الجزيلة

﴿ تقرير عن حوض النيل الاعلى ﴾ وضع السير وليم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية تقريراً مطولاً بالانكليزية عن حوض النيل الاعلى بعد ان درس هذا الموضوع بنفسه خمس سنوات متوالية فذهب الى اعالي النيل في بحر الجبل وتفقد البحيرات الاصلية · وسيبنى على هذا التقرير اصلاح النيل الابيض وقد ضمنه كثيراً من الابحاث الزراعية والجغرافية والجيولوجية والهندسية واوضحه بالرسوم الفوتوغرافية والخرط الملونة المضبوطة وفيه نحو مئة صورة وخمسين خارطة · وقد طبع بنفقة الحكومة المصرية طبعاً

متقناً . ولا يطلع احد على هذا التقرير الاَّ اعجب بعلم صاحبه ودقة بحثه . وفي ذيله تقرير المسيو ديبوي في مصلحة الري عن بحيرة تسانا وانهر السودان الشرقي وهو ايضاً مفيدٌ جدًّا

﴿ تقويم المؤيد ﴾ لصاحبه محمد افندي مسعود المحرر بالمؤيد . وهو اتقن تقويم عربي ظهر في مصر وقد حوى من الفوائد التاريخية والادبية والسياسية والادارية والقضائية والزراعية والعلمية والصناعية وغيرها ما لا يمكن العثور عليه الاَّ بمطالعة مئات من المجلدات في العربية والافرنجية ومع ذلك فانه صغير الحجم يسهل حمله لرقة ورقه وصغر حرفه مع وضوحه وجلائه . وهو مجلد بجلد مذهب لين بغاية الاتقان . وثمن النسخة خمسة قروش صاغ واجرة البريد قرش ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

﴿ غادة الترانسفال ﴾ هي رواية ادبية تهذيبية غرامية تأليف حضرة رصيفنا عبده افندي بدران محرر جريدة الصباح . وموضوعها « طهارة فقدت ضحية الخيانة » ولذلك سماها غادة الترانسفال او الطبيب الخائن وفيها عبرة وموعظة . وهي تطلب من حضرة المؤلف بالاسكندرية وثمن النسخة خمسة قروش والبريد قرش

﴿ تحرير المرأة ﴾ هو كتاب اصلاحيٌّ يغني اسمه عن وصفه تأليف قاسم بك أمين المستشار بمحكمة الاستئناف الاهلية وقد نفدت طبعته الاولى بمدة قصيرة فاعيد طبعه على نفقة المكتبة الشرقية باذن حضرة المؤلف فنحث اهل الادب على اقتنائه وهو يطلب منها ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة قروش صاغ

﴿ باب القراءة وبحر الآداب ﴾ اهدانا حضرة الاخ بلاج مفتش اللغة العربية بمدارس الفرير بمصر الجزء الاول من « باب القراءة » لتعليم الاحداث مبادئ القراءة وهو موضوع على اسلوب حديث في ذيل كل صفحة منه حروف من شكل الرقعة يتمرن بها التلميذ على قراءة الخطوط . واهدانا حضرته ايضاً الجزء الاول من كتابه « بحر الآداب » لتمرين التلامذة على القراءة وهو اسم على مسمًّى لانه ضمنه كثيراً من الفوائد الادبية والتهذيبية في سياق الحكاية او الرسائل او الحكم او الاشعار فضلاً عن قطع في الحقوق والواجبات وكلها منتقاة من احاسن المنثور والمنظوم . وقد طبعها طبعاً جميلاً متقناً مضبوطاً بالشكل الكامل . والكتابان يطلبان من حضرته ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة من بحر الآداب خمسة قروش صاغ ومن باب القراءة قرش

﴿ كتاب الارب في غيث الادب ﴾ هو شرح قصيدة الطغرائي المشهورة التي مطلعها :

اصالة الرأي صانتني عن الخطل   وحلية الفضل زانتني لدى العطل

وقد عني بطبعه المرحوم عبده بني بابادوبولس وصدره بترجمة الناظم . والكتاب يطلب من المكتبة السورية في بيروت وثمن النسخة ثلاثة غرش غير اجرة البريد

❋ تعليم اللغة الانكليزية ❋ اهدتنا مطبعة الاميركان في بيروت الجزئين الاول والثاني من كتاب تعليم اللغة الانكليزية لاهل اللسان العربي تاليف حضرة المستر ستيوارت جسب وداود افندي قربان وقد بنياه على طريقة الاميركان في تعليم اللغات الاجنبية التي يقدمون فيها تصريف الافعال على سواه والكتاب يطلب من مطبعة الاميركان في بيروت

❋ تقويم الازهر لسنة ١٣٢٣ ❋ ظهر هذا التقويم لصاحبه الشيخ محمد محمد عمر الاسطنهاوي الفلكي وهو يشتمل على قسمين الاول لمصر وما يقاربها كالبصرة وطرابلس الغرب ونحوها والثاني للخرطوم وما ماثلها وفيه تعريف الكواكب السيارة والثوابت وبعض عجائب السموات

❋ نتيجة سنة ١٣٢٣ هجرية ❋ وظهرت هذه النتيجة ايضاً لصاحبها السيد احمد الزيني الشربيني وتتضمن مواقيت الصلاة بالساعات العربية والافرنجية والمواسم والاعياد والانتقالات والاستقبالات والاجتماعات والفصول ومنشا التواريخ وغير ذلك

❋ التمرين العباسي في التعليم الاساسي ❋ هو كتاب مدرسي لتعليم القراءة المضبوطة تاليف الشيخ محمد ابو الذهب الكتبي بطنطا وقد صححه الشيخ مصطفى بركه مدرس اللغة العربية بمدرسة الاقباط الكبرى بطنطا وظهر منه الجزءان الاول والثاني و يطلبان من حضرة المؤلف

❋ الهدى ❋ هي مجلة اسلامية علمية ادبية عمرانية اصلاحية تصدر بمصر مرة في الشهر لمديرها سيد افندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية ومدير المجلة المدرسية بالسيدة زينب بدل اشتراكها اربعون قرشاً بمصر والسودان و١٢ فرنكاً في الخارج فنرجو لها الثبات والنجاح

كنيسة السوريين الارثوذكسيين في القاهرة

نبشر ابناء الطائفة الارثوذكسية السوريين في القاهرة ان الهمة تجددت لانشاء الكنيسة التي طالما استنهضنا الهمم لانشائها . وقد اجتمعت الطائفة اجتماعها الاول في قاعة الجمعية الخيرية بالفجالة وشرعت بالاكتتاب فاكتتب الحاضرون بمبلغ يبشرنا بنجاح هذا المشروع . وستتعين لجنة تزور الذين لم يحضروا الاجتماع لكي يكتتبوا بما تجود به نفوسهم فالآمال ان يؤكدوا حسن ظننا بهم جزاهم الله خيراً

العدد الثامن

أول مايو سنة ١٩٠٥ م



محمد علي باشا

مؤسس الاسرة الخديوية منذ مئة عام

الهلال

الجزء الثامن من السنة الثالثة عشرة

١ مايو (ايار) سنه ١٩٠٥ و ٢٦ صفر سنة ١٣٢٣

أشهر الحوادث وأعظم الرجال

اليوبيل المئيني

لتأسيس الاريكة الخديوية

ستحتفل مصر في ١٣ مايو الجاري بتذكار مئة عام مرت على تأسيس الاريكة الخديوية اي منذ أفضت أزمة مصر الى محمد علي باشا جدّ العائلة الخديوية . وقد كنا اول من استلفت الاذهان الى الاحتفال بذلك منذ بضع سنوات فصدرنا الهلال السابع عشر من السنة الخامسة الصادر في اول مايو سنة ١٨٩٧ الموافق ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣١٤ برسم محمد علي وهي السنة التي فيها وطىء محمد علي باشا هذه الديار للمرة الاولى وهاك نصّ قولنا :

« نصدّر هذا الهلال برسم هذا الرجل العظيم تذكاراً لمئة عام هجرية انقضت منذ وطىء الديار المصرية للمرة الاولى فقد جاءها جندياً مكدونياً في العمارة العثمانية التي رست في جون ابي قير سنة ١٢١٤ هـ بقيادة حسين قبطان باشا مع العمارة الانكليزية بامارة السير سدني سميث لاخراج الفرنساويين من مصر . وهو يوبيل مئيني يجدر

بالديار المصرية ان تحتفل به احتفالاً يليق بمن غرس الاصلاح في ربوعها ونشر لواء العلم بين اهلها »

وأما الآن فقد تألفت جمعية وطنية برئاسة سعادة محمد باشا الشواربي للاحتفال بمرور مئة عاما فرنجي منذ تولى محمد علي الاريكة الخديوية. فيجدر بنا والحالة هذه ان ننشر ترجمة هذا الرجل في نشأته الاولى حتى قبض على أزمة الحكومة وأما أعماله واصلاحاته ومشروعاته فقد نشرناها في الهلال غير مرة :

اولا نشأة محمد علي الاولى

انظر الى خارطة بلاد الروملي في سواحلها الجنوبية على مسافة ٣٢٠ كيلومتراً من الاستانة غرباً تر قرية اسمها قواله لا يزيد عدد سكانها على ثمانية آلاف نفس . وكان في تلك القرية في أواسط القرن الماضي رجل اسمه ابراهيم آغا كان متولياً خفارة الطرق وولد له سبعة عشر ولداً لم يعش منهم الا واحد وفي سنة ١٧٧٣ توفي هذا الرجل وامرأته عن ذلك الولد وسنه اربع سنوات واسمه محمد علي

فاصبح الغلام يتيماً ليس له من يعوله غير عمّ اسمه طوسون آغا كان متسلماً على قواله فجاء به الى بيته شفقة عليه ثم ان المنية عاجلت طوسون فقتل بامر الباب العالي بعد ذلك بيسير فاصبح الغلام يتيماً قاصراً ليس من يلتفت اليه

وكان لوالده صديق يعرف بجربتجي براوسطا فشفق على الغلام وجاء به اليه وعني بتربيته مع اولاده . على ان ذلك لم ينس الغلام حاله من اليتم فكان يشعر بالذل وضعة النفس . ويروى عنه بعد ان ارتقى ذروة المجد واعتلى منصة الاحكام انه كان يحدث اخصاءه عما قاساه في صبوته من الذل الى ان يقول :

« وُلد لابي سبعة عشر ولداً لم يعش منهم سواي فكان يحبني كثيراً ولا تغفل عينه عن حراستي كيفما توجهت ثم توفاه الله فاصبحت يتيماً قاصراً وأبدل عزي بذلّ وكثيراً ما كنت اسمع عشرائي يكررون هذه العبارة التي لا انساها طول عمري وهي (ما ذا عسى ان يكون مصير هذا الولد بعد ان فقد والديه) فكنت اذا سمعتهم يقولون ذلك اتغافل عنه ولكنني اشعر باحساس غريب يحركني الى النهوض من تحت هذا الذل . فكنت اجهد نفسي بكل عمل استطيع معاطاته بهمة غريبة حتى كان يمرّ عليّ احياناً يومان وانا اسعى لا آكل ولا انام الا يسيراً . وفي جملة ما قاسيته اني كنت

مسافراً مرةً في مركب فتعاظم النوء حتى كسره وكنت صغيراً فتركني رفاقي وطلعوا الى جزيرة هناك على قارب كان معنا أما انا فجعلت اجاهد في الماء وسعي تتقاذفني الامواج وتستقبلني الصخور حتى تهشمت يداي وكانتا لا تزالان يانعتين وما زلت في ذلك حتى أراد الله ووصلت الجزيرة سالماً وقد اصبحت هذه الجزيرة قسماً من مملكتي الآن ٠

ومما يحكى عنه في ايام صبوته انه كان يختلف الى رجل فرنساوي مقيم في قواله اسمه الموسيو ليون من كبار التجار وكان محباً للفضيلة فحالما رأى محمد علي للمرة الاولى شفق عليه وأحب مساعدته لما توسم فيه من الفطنة والنباهة فكان يقدم له كثيراً من حاجياته ويسعفه بكل ما في وسعه حتى الفه محمد علي كثيراً — وهذا هو سبب وثوقه بالامة الفرنساوية بعد توليه الاحكام في مصر واستخدامه افراداً منهم في مصلحة البلاد ٠ ويقال انه رحمه الله بعث سنة ١٨٢٠ الى الموسيو ليون المشار اليه يدعوه الى مصر يقضي فيها زمناً في ضيافته فاجاب دعوته ولكنه مات قبل قدومه فاسف عليه محمد علي كثيراً وبعث الى شقيقته هدية تساوي عشرة آلاف فرنك

قلنا انهُ ربي في صبوته ببيت جربجي براوسطا وتعلم من صغره ما يتعلمه ابناء تلك البلاد من ألعاب السيف والجريد والحكم وما شاكل فنبغ فيها حتى اذا بلغ اشده انتظم في سلك الجهادية تحت ادارة مربيه فأظهر في تحصيل الضرائب مهارة وبسالة عجيبتين فرقاه الى رتبة بلوك باشي وزوَّجه احدى ذوات قرابته وكانت مطلقة وتملك جانباً من النقود والعقار فترك الجهادية وتعاطى التجارة وعلى الخصوص في صنف الدخان لانه اكثر اصناف التجارة في بلاده ٠ وقد برع في تلك التجارة حتى اكتسب شهرة واسعة وثقة عظمى لدى عملائه وكان قد ذاق لذة التجارة واحبها مذ كان يتردد على المسيو ليون المتقدم ذكره ولذلك رأيناه بعد ان تولى مصر يوجه انتباهه بنوع خاص لتنشيط التجارة

وما زال يتعاطى التجارة الى سنة ١٨٠١ حينما عمد الباب العالي الى اخراج الفرنساويين من مصر بمساعدة انكلترا ٠ وكان الفرنساويون قد جاؤا مصر تحت قيادة نابليون بونابرت سنة ١٧٩٨ فحاربوا الامراء المماليك ودخلوها عنوة واقاموا فيها ثلاث سنوات والحكومة العثمانية تبعث اليهم الجنود وتحاربهم تارة وحدها وطوراً بمساعدة انكلترا وهم قائمون بين اقدام واحجام الى سنة ١٨٠١ فبعثت الحكومة العثمانية اليهم عمارة تحت قيادة حسين قبطان باشا وفيها جنود انكليزية وبعثت الصدر الاعظم في حملة من جهة البر

ثانياً · كيفية ارتقائه منصة الاحكام

كان محمد علي في جملة الجنود البحرية وقد تجنَّد اليها في جملة من تجند في براوسطا بصفة معاون لعلي آغا ابن مربيه على ثلاثمئة جندي الباقي (ارناؤوط)

فجاءت العمارة الى ابي قير وكانت الغلبة هناك للفرنساويين ثم عاد علي آغا الى بلاده تاركاً رجاله تحت قيادة محمد علي وكان قد ترقى الى رتبة بيكباشي

ثم تغلب العثمانيون بمساعدة العمارة الانكليزية وحملة الصدر الاعظم ودخلوا البلاد واخرجوا الفرنساويين منها فانسحبوا انسحاباً قانونياً وجعل رجال الحملة يهتمون بتأييد سلطة الباب العالي في مصر

وكان في الجنود العثمانية جماعات من الارناؤوط والانكشارية والقليونجية فتفرقت هذه الجنود لحماية مصر السفلى وبعض مدن الصعيد · اما الانكليز فكانوا تحت قيادة الجنرال هتشنسون فنزلوا الاسكندرية ريثما يقيمون في القطر المصري والياً عثمانياً يؤيد سلطة الباب العالي ويكبح جماح المماليك وكانوا لا يزالون يحاولون الاستقلال

فاقاموا محمد خسرو باشا وكان في الاصل من مماليك حسين قبطان باشا وهو الذي سعى لهُ في هذه الولاية لجاه القاهرة وقاصٌ الذين كانوا فيها من محالفي الفرنساوية · وكان في يده اوامر سرية باعدام المماليك جملة باي وسيلة كانت فبعث الى محاربتهم وكانوا في الصعيد فتضايقوا ولم يروا وسيلة غير الالتجاء الى فرنسا فكتبوا اليها يستنجدونها وتكفلوا باجراء كل ماتطلبه منهم فلم يسعدهم الحظ بمساعدتها

اما الحملة التي بعثها خسرو باشا الى الصعيد فعادت ولم تات بفائدة · ثم حاربهم مراراً في اماكن مختلفة وفي جملتها موقعة بعث اليها حملة وامر محمد علي وكان قد ترقى الى رتبة سرششمة وصار قائداً لاربعة آلاف من الالبانيين ان يسير في رجاله مدداً لتلك الحملة · فسارت الحملة وحاربت المماليك وانكسرت قبل وصول محمد علي ورجاله فنسب قائدها انكساره الى تاخر محمد علي عن المجيء · وابلغ ذلك الى خسرو باشا وكان هذا حاقداً على محمد علي فاستقبل ذلك البلاغ بالتصديق واقرّ على اعدامه سرّاً وكتب



الالبان (الارناؤوط) رجال محمد علي

اليه ان يوافيه في منتصف الليل المخابرة بعض الشؤون فادرك محمد علي مراده ولم يجب الدعوة ولم يرَ وسيلة لنجاته من مكيدته وعدوانه الّا بالالتجاء الى المماليك فانحاز اليهم واخذ في مخابرتهم سرًّا وجهرًا فتمكنوا بذلك التحالف من اخراج خسرو باشا من القاهرة قهرًا ففرَّ الى دمياط واقاموا مكانه طاهر باشا . ثم قتل طاهر واحتل محمد علي القلعة برجاله فنهض احمد باشا والي الشرطة اذ ذاك يطلب الولاية فاخرجه المماليك من القاهرة ذليلاً . ثم اتحد الجميع وساروا لمحاربة خسرو باشا في دمياط فأسروه وجاؤوا به الى القاهره وحجروا عليه في القلعة

أما الباب العالي فلما بلغه ما حدث في مصر بعث اليهم والياً اسمه علي باشا الجزائرلي فلم يصل القاهرة الّا بعد شق الانفس ولما وصلها عمد الى الكيد بالمماليك ومحمد علي فعادت العائدة عليه



الجند الذي نظمه محمد علي بمصر

وكان للمماليك زعيمان الالفي والبرديسي يتنازعان السلطة . وكان الالفي قد سار الى انكلترا يطلب مساعدتها على رفيقه للاستئثار بالسلطة . فلما عاد من سفرته اغتنم محمد علي تلك الفرصة واوغر صدر مناظره البرديسي عليه فنصب له مكيدة لم يقع فيها ولكنه فرَّ الى الصعيد فظن البرديسي ان جوّ القاهرة قد خلا ولكن محمد علي كان له بالمرصاد فحرك الالبانيين واوعز اليهم سرًّا ان يثيروا عليه ويطالبوه بمرتباتهم فقاموا وتهددوا البرديسي

اذا لم يدفع اليهم المتأخرات فضرب على اهل القاهرة اموالاً واستبد في تحصيلها بعنف فهاجوا جميعاً فاضطر الى مغادرة القاهرة ولم يعد يرجع اليها ٠ وكان ذلك سنة ١٨٠٤

فلما فرّ الاميران لم يبق في القاهرة من رجال السلطة الا محمد علي فجمع اليه العلماء والمشائخ وتفاوضوا في اخلاء سبيل خسرو باشا فاقروا على ذلك وان يعود الى منصبه فاعادوه ولكنه لم يمكث فيه الا يوماً واحداً ثم اخرجوه من القاهرة الى رشيد ومنها الى الاستانة وكل ذلك بمساعي محمد علي ودهائه وسياسته ٠ ثم تظاهر ان الامور لا تستقيم في مصر الا بتنصيب والٍ عثماني حرّ واشار بتنصيب خورشد باشا وكان في الاسكندرية فوافقه العلماء والمشائخ في ذلك على ان يكون هو نائباً عنه في الاحكام بصفة قائمقام وبعثوا الى الباب العالي يخبرونه بذلك ويسترحمون تثبيت انتخابهم فاجيب طلبهم

على ان خورشد باشا رأى محمد علي مستأثراً بالنفوذ عليه بمن معه من الجند الالباني فخاف عاقبة ذلك فاستقدم جنداً مغربياً (الدالاتية أو الدلاة) يكونون له عوناً وقت الحاجة فادرك محمد علي قصده فوقف له بالمرصاد ٠ ثم جعل الدالاتية يسيئون معاملة أهل القاهرة وينهبون ويقتلون اعتماداً على نفوذ الباشا فسئم أهل القاهرة منهم ولا سيما المشائخ والعلماء

وفي ٢ صفر سنة ١٢٢٠ ورد لمحمد علي خطٌّ شريف بولاية جدة فالبسه خورشد باشا الفروة والقاووق المختصين بهذه الرتبة وقد سرّه قرب تخلصه منه فخرج محمد علي يريد الذهاب الى جدة وفي نفسه أن لا يخرج من مصر فقامت العساكر وطالبوه بالعلوفة فقال « هذا هو الباشا طالبوه بها » وسار الى منزله في الازبكية (قرب اوتيل شبرد) وهو ينثر الذهب على الناس فازدادوا له حباً ولخورشد باشا كرهاً

وبعد ثلاثة أيام (لا ندري ما دار في أثنائها بينه وبين علماء البلاد ومشائخها) سار المشائخ والعلماء جميعاً الى محمد علي في منزله ينادون بصوت واحد « لا نقبل خورشد باشا والياً علينا » فقال « ومن تريدون اذاً » قالوا « لا نريد أحداً سواك » فامتنع أولاً وجعل يرغبهم في خورشد ويحملهم على الاذعان والسكينة وهم لا يزدادون الاّ اصراراً على طلبهم فوافقهم فاحضروا له الكرك والقفطان والبسوه اياهما وبعثوا الى خورشد ان ينزل من القلعة فابى فحاصروه فيها وكتبوا الى الباب العالي بذلك فورد الفرمان بولاية محمد علي وعزل خورشد باشا فخرج هذا من القلعة بامر من الاستانة وغادر البلاد وفي نفسه من الغيظ على محمد علي ما ليس وراءه غاية

ولكن المماليك كانوا أشد غيظاً منه لما ظهر لهم من تلاعب محمد علي بهم واستخدامه اياهم لاغراضه فثاروا وفي مقدمتهم الالفي فانه حالما علم بتولية محمد علي نزل بعصابته وخابر حكومة انكلترا بخلع محمد علي واشترط على نفسه انها اذا فعلت ذلك سلمها البلاد حالاً . فعلم قنصل فرنسا بذلك فعرقل مسعاه فعكف على مصالحة محمد علي باشا على شيء يرضي به الاستانة فلم يتفقا فعاد الالفي لمخابرة سفير انكلترا فاقنع هذا الباب العالي فبعث والياً اسمه موسى باشا مع العفو عن المماليك وكادت تنطلي هذه الحيلة لو لم يقم العلماء والمشايخ من جهة وسفير فرنسا في الاستانة من جهة أخرى ويوضحوا للباب العالي مقاصد المماليك فثبت محمد علي ولكنه أمر ان لا يتعرَّض للمماليك فيما بعد لصدور العفو عنهم قبلاً ولكن التقادير ساعدته فتوفي البرديسي بعد قليل ثم الالفي فتولى على المماليك شاهين بك ولكن شوكتهم ضعفت ولم تعد تقوم لهم قائمة

الالياذة العربية

وآداب اللغة العربية

لما قرظنا الالياذة العربية في الهلال ١٧ من السنة الماضية قسمنا الكلام في ذلك الى قسمين تكلمنا في القسم الأول عن « الالياذة العربية والشعر العربي » وارجأنا الكلام في القسم الثاني « الالياذة العربية وآداب اللغة العربية » الى فرصة أخرى . فاغتنمنا الآن ظهور « هدية الالياذة » التي عني حضرة نجيب افندي متري صاحب مطبعة المعارف في رفعها الى صديقنا البستاني وقد جمع فيها ما قاله العلماء والشعراء والادباء في الالياذة العربية وصاحبها تقريظاً ووصفاً وعمدنا الى التكلم في تأثير هذا الكتاب النفيس على آداب اللغة العربية بوجه الاجمال فنقول :

ان نقل الالياذة الى لساننا العربي جعل لهذه النهضة مزية على سائر النهضات العربية ستخلد معها ويحيا ذكرها بها لان الالياذة بعد صبرها على الزمان ثلاثة آلاف سنة ولم يتغير شيء من رونقها فلا غرو اذا حسبناها خالدة . فكما يقال اليوم ان العرب نقلوا فلسفة اليونان وآداب الفرس والهند في النهضة العباسية في ابان التمدن الاسلامي

سيقال انهم نقلوا الياذة هوميروس احسن نقل في نهضة القرن العشرين . وسيكون نقلها في جملة مميزات هذه النهضة على سائر النهضات الاخرى . على اننا اذا نظرنا في الالياذة العربية من حيث ما تضمنته من المباحث والمواضيع رأيناها قد اغنت آداب اللغة عن كتب كثيرة في الادب والتاريخ كانت اللغة العربية في افتقار اليها ولم يتفق لكتابنا الاشتغال بها الا سطحياً اذ لا يتيسر استيعابها الا بمطالعة الالياذة وشرحها. وأهمّ ما اكتسبته اللغة العربية من ترجمة الالياذة فضلاً عن الشعر وآدابه — عدة علوم منهـا :



مجمع آلهة اليونان

(١) الميثولوجيا اليونانية — الميثولوجيا علم قائم بنفسه يبحث في اخبار الآلهة القدماء وخرافات الامم وكبار ابطالهم واقدم تواريخهم . واكثر الامم توسعاً في هذا الشأن اليونان القدماء والمصدر الرئيسي ان لم يكن الوحيد لمعرفة هذه الاخبار الياذة هوميروس . ومعظم ما تناقله الناس عن اخبار آلهة اليونان وخرافاتهم واحوال ابطالهم

واوائل تاريخهم انما هو منقول عن اشعار هوميروس وخصوصاً الالياذة . وقد مرَّ على اللغة العربية دهرٌ طويل وليس في آدابها شيء من ميثولوجيا اليونان حتى في هذه النهضة وقد ترجمنا العلوم الطبيعية والفلسفية والطب وغيرها ولا تزال لغتنا عطلاً من كتاب في هذا العلم ولم يكن ذلك ميسورًا من قبل الآ بترجمة ما استخرجه الافرنج من الالياذة الى السنتهم على ما يوافق لغاتهم وآدابهم . أما الآن فاصبح تدوين هذا العلم في لساننا ميسورًا بواسطة الالياذة العربية وما حوته من الشروح والمقابلات اذ يتيسر لنا وضع هذا العلم على ما يوافق آداب العرب مما لا ينفعنا فيه النقل عن كتب الافرنج . على ان مطالعة الالياذة العربية تغني الكتاب عن التأليف في هذا الموضوع لانها تمثله احسن تمثيل



ابطال الالياذة

(٢) تاريخ اليونان القديم — ذكرنا في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي ان العرب قلما همهم نقل تاريخ اليونان والرومان الى لسانهم في النهضة العباسية لانحصار غرضهم من النقل في كتب الفلسفة والطب لاسباب ذكرناها هناك فانقضى التمدن الاسلامي وليس في كتب العرب من تاريخ الامم القديمة الاَّ

شذرات مبعثرة مشوشة لا تشفي غليلاً واقبلت النهضة الأخيرة فاشتغل الادباء في نقل علوم الافرنج وتواريخهم نقلاً مختصرًا بسيطًا وفي جملة ذلك نبذٌ في تاريخ قدماء اليونان منقولة عن مصادر افرنجية مرجع اكثرها الى «الالياذة» لان تاريخ اليونان القديم ممتزج بالميثولوجيا اليونانية . فاصبحنا بعد ظهور الالياذة العربية اقدر على فهم تاريخ اليونان القديم واولى باستخراجه رأساً من مصدره

(٣) اداب اليونان القدماء — ليس في كتب اليونان ولا غيرهم كتاب يمثل آداب قدماء اليونان وعاداتهم واخلاقهم غير الالياذة وكل ما ذكره الباحثون في هذا الشأن انما عمدتهم فيه الالياذة وستبقى هي المرجع الوحيد ما دام العلم والادب

(٤) اداب العرب الجاهلية — ان هذه المزية خاصة بالالياذة العربية دون سائر الترجمات في كل لغات العالم لان صديقنـا البستاني حفظه الله وشى الياذته بكثير من الشروح والتعاليق لايضاح بعض عادات اليونان وآدابهم واخلاقهم فاودع تلك الشروح زبدة ما يعرف عن آداب العرب قبل الاسلام وعاداتهم واخلاقهم واكثره لم يسبق جمعه في كتاب على حدة فضلا عما ضمنه من النظر الفلسفي الاجتماعي والمقابلة بين عادات الامتين في عصر الجاهلية فابان ما اشتركتا أو اختلفتا فيه من الآداب أو العادات أو نحو ذلك مما لم يقدم عليه كاتب عربيٌ ولا غير عربي على ما نعلم . مما كشفه لنا من هذا القبيل أن الامتين تشتركان مثلاً في جزّ النواصي حزناً على الميت وفي اقامة الولائم في المآتم وفي الندب على الميت بالندابات وفي التفاؤل والتشاؤم والطيرة وفي البناية بالاهل على نحو ما عند العرب وقس على ذلك اكثر العادات الجاهلية . وبين لنا انهما تختلفان غالباً في ما تقتضيه البيئة من البداوة أو الحضارة فان العرب كانوا اهل بادية واليونان اهل مدن ولذلك كان العربي اقرب الى الكرم واحرص على الضيافة واليوناني اشدّ احتراماً للمرأة . والعرب اذا احتاجوا الى تشبيه شبهوا بحيوانات البادية وأما اليونان فاكثر تشبيهاتهم بالحيوانات الاهلية . فالبدوي يشبه عيون المرأة بعيون المها أي بقر الوحش وأما اليوناني فيشبها بعيون البقر الاهلية . واذا دعا العرب على اعدائهم بالموت تمنوا ان تصبح لحومهم طعاماً للكواسر

وأما اليونان فيدعون عليها أن تكون طعاماً للكلاب وقس عليه

وقابل أيضاً بين المعاني الشعرية عند الامتين فوجدهما تتفقان في اكثرهـا ولم يترك معنى من تلك المعاني الا بحث عما يقابله عند العرب . ففي الالياذة العربية نحو الف بيت شعر عربي من اقوال نخبة الشعراء الجاهليين والاسلاميين لمعان تقابلها في اشعار هوميروس ولو اردنا ايرادها كلها لما وسعها الا مجلد كبير فنكتفي ببعضها على سبيل المثال — فمن معارضة ذكرها صاحب الالياذة العربية بين اقوال اخيل بطل اليونان وعنترة بطل العرب قوله :

قال اخيل : وليهلك الغيظ من بين الانام فكم ... اغرى واوغر منقاداً حكيمهم

وقال عنترة : لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ... ولا ينال العلى من طبعه الغضب

قال اخيل : وليس من شاغل ذا اليوم يشغلني ... الا ادخار علىً تسمو به الهمم

وقال عنترة : دعني اجد الى العلياء في الطلب ... وابلغ الغاية القصوى من الرتب

قال اخيل : والدردنيات بفاتات الصدور يرى ... لهن دمع سخين جريه ديم

يمسحن ماسح عن غض الخدود وقد ... هاجت تلهفهن الابؤس الدهم

وقال ايضاً بعد ابيات :

فكم ثم طروادية دردنيـة ... سبينا بدار بأسنا فوقها امتدا

ينحن عليك اليوم والليل كله ... ويلطمن بيض الصدر والنحر والخدا

وقال عنترة : سلي عنا الفزار بيت لما ... شفينا من فوارسها الكبودا

وخلينا نساءهم حيارى ... قبيل الصبح يلطمن الخدودا

وقال ايضاً : ويل لشيبان اذا صبحتها ... وارسلت بيض الظبى شعاعها

وخاض رمحي في حشاها وغدا ... يشك من دروعها اضلاعها

واصبحت نساؤها نوادباً ... على رجال تشتكي نزاعها

وقال : وحولك نسوة يندبن حزناً ... ويهتكن البراقع واللفاعا

قال اخيل : يعلمن ان اعتزالي طال فاغتنما ... أعداء بوني وافي الآن بينهم

وقال عنترة : سكت فغر اعدائي السكوت ... وظنوني لاهلي قد نسيت

قال ذلك وهو في موقف موجدة واعتزال كموقف اخيل اذ خرج عن قومه غضبان فنزل على بني عامر واقام فيهم فاغارت هوازن وجشم على ديار عبس فارسلوا يستقدون

عنترة فابى وامتنع حتى اذا عظم الخطب على بني عبس خرجت اليه جماعة من نساء القبيلة وطلبن اليه ان ينهض معهنّ لمقاومة العدو والا تشتت شمل العشيرة فاحتمس ونهض وانشد ابياتاً استهلها بالبيت السالف الذكر

قال اخيل : حتى اذا شاء زفس في بطانته موتي فان حياتي تلك دونهمُ
هرقل لم يغن عنه بأسه ولا زفس فاودى وان اولوه ودّهمُ
اصابه كيد هيرا والقضاء اذا فلا لقى ميتاً اذا كانت كذا القسمُ

وقال عنترة : اذا كان امر الله امراً يقدر فكيف يفرّ المرء منه ويحذرُ
ومن ذا يرد الموت او يدفع القضا وضربته محتومة ليس تعبرُ

قال أخيل: فطرقل ارفعهم شاناً واعلقهم بمهجتي لا تضاهيه قرومهم
بهامتي كنت أفديه فوا لهفي عدمته مثلما كبارهم عدموا
نعم سأطلب هكطور الذي فتكت كفاهُ في قمةٍ تعنو لها القممُ

وقال عنترة في رثاء زهير بن جذيمة العبسي :

تولى زهير والمقانب حولهُ قتيلاً وأطراف الرماح الشواجر
وكان أجل الناس قدراً وقد غدا اجل قتيل زار اهل المقابر
فوا أسفا كيف اشتفى قلب خالد بتاج بني عبس كرام العشائر
وكيف انام الليل من دون ثأره وقد كان ذخري في الخطوب الكبائر

ناهيك بما بين معاني هوميروس ومعاني سائر الشعراء الجاهليين والاسلاميين من المشابهة الشديدة — فيقول هوميروس في سرعة الفكر :

كفكر يجوب الشرق والغرب طارقاً بلاداً وفيه ذكر تلك المطارقِ

ويقول ابن المعتز :

اسرع من ماء الى تصويب ومن وقوع لحظة المريب
ومن نفوذ الفكر في القلوب

يقول هوميروس في مجانبة السلطان واتقاء بطشه :

وليس لمرء يغضب الملك حيلةٌ وان كظم السلطان غيظاً واضمرا

ويقول ابن الوردي :

جانب السلطان واحذر بطشهُ لا تعاند من اذا قال فعلْ

قال هوميروس في الافتخار بالانساب :

وأعلى منـار جدودي الأُلى أُبلوا الفخار وشادوا العـلى
فذا نسبٌ فيـه يعتز مثلي وهذا اذا شئت أصلي وفصلي

وقال الفرزدق :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا ياجرير المجامع

وهذا المعنى كثير عند العرب وقد ذكر صاحب الالياذة العربية امثلة عديدة منه

وقال هوميروس في بكاء الرجال :

فغادر الربع آخيل وسار الى الجرف الحلي يفيض الدمع كالديم

وهذا المعنى كثير عند العرب ايضاً وقال امرؤ القيس :

وان شفائي عـبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معوّل

وقال ذو الرمة :

لعل انحدار الدمع يعقب راحة من الوجد او يشفي نجي البلابل

وقال هو ميروس يشبه بعيون البقر :

رمقتـه بطرف عين مهاة ثم قالت « وما الذي ترويه »

وقال ابن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

قال هوميروس في طيش الشبيبة وحكمة الشيخوخة :

فبنوه لا يتقون زمامـاً والتراخي طبيعة الفتيـان
ربمـا ينقضون ميثاق زفس انما الشيخ لا يخيب الاماني

وقال النابغة الذبياني :

على حين عاتبت المشيب على الصبا فقلت الماّ تصحُ والشيب وازع

وقال المسيب بن علس :

فرأيت ان الحلم مجتنب الصبى وصحوت بعد تشوق ورواع

قال هوميروس في وصف السيف بيد البطل :

فيعلم هكطور بان مهندي بيمنـاي للفتك الذريع تضورا

وقال ابو تمام :

كامنا وهي في الاكباد والفـة وفي الكلى تجد الغيظ الذي تجد

قال هوميروس يشبه الزمن بالحلم :

فذاك شأني كان يوم المحن ان لم يكن كالحلم ماضي الزمن

وقال البحتري :

وايامنا فيك اللواتي تصرمت مع الوصل أضغاث وأحلام نائم

قال هوميروس في ذم الطيرة :

ارت اني أطيع الطير ان رحت سيان تمل عنـدي كيفما سرحت
فلا تطيعن الا من أطاع جميع الـ جن والانس والدنيا به انتصحت

وقال طرفة بن العبد :

اذاما أردت الامر فامض لوجهه وخل الهوينا جانباً متنائيا
ولا يمنعنك الطير مما أردته فقدخط في الالواح ما كنت لاقيا

قال هوميروس في تفضيل الموت على حياة الذل :

لأجدر بي ان تفتح الارض جوفها فتبلعني من أن اذل وأهزما

وقال ابو خراش:

مخافة ان احيا برغم وذلة وللموت خير من حياة على رغم

وقال هوميروس في ان الموت لا بد من ان يأتي :

لكنما الموت منه لا مناص وقد يأتي بأي سبيل كان او سبب

وقال الشاعر العربي:

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الاسباب والموت واحد

وقال هوميروس في ذم الفوضى :

لا يستقيم الامر الا ان يكن فرد يخول صولجان الصولة

وقال الافوه الاودي حكيم الجاهلية :

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وقال هوميروس يصف هجوم هكطور :

كجلمود صخر قد انتزعا من الشم سيل به اندفعا
له الغاب مرتجة ترتجف الى القعر حيث بعنف يقف

وقال امرؤ القيس يصف جواده :

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقس على ذلك كثيراً مما اورده من المشابهة بين معاني الشعر في الامتين

القهوة

اصلها وتاريخ انتشارها

القهوة نبات عربي يمني انتقلت من اليمن الى اوروبا وغيرها من العالم المتمدن في القرن السابع عشر للميلاد باسمها العربي لان Caffée او Coffee تحريف «قهوة» كما انتقل التبغ من اميركا في القرن السادس عشر الى سائر انحاء العالم باسمه الاميركي الاصلي (Tobacco) وجعلها العرب تبغاً · ونبات القهوة او البن قديم في اليمن وهو من نباتات المنطقة الحارة ولذلك فهو ينمو كثيراً في بلاد الحبشة وغيرها من البلاد الحارة · واما شرب منقوعه على نحو ما هو شائع الآن فلم يكن معروفاً قبل القرون الاخيرة · والغالب ان عرب اليمن تعلموا شرب القهوة من الاحباش ثم نقلوها الى العالم المتمدن · وكان لفظ القهوة عند العرب قبل ذلك الحين اسماً من اسماء الخمر فلما عرفوا منقوع البن سموه به لان هذا المنقوع كان معدوداً عندهم من المسكرات وقد امرت الحكومات الاسلامية بمنعه وعاقبت متعاطيه · وكانوا في بادىء الامر ينقعون قشر البن و يشربون منقوعه ثم تفننوا بتحميص الحب على طرق مختلفة

وكان السبب الذي دعا الى شيوع القهوة بين المسلمين رغبة مشائخ الصوفية في السهر للاذكار لأنهم رأوا في منقوع القهوة قوة على التنبيه فتعاطوه وفي كتاب «عمدة الصفوة في حل القهوة» ان اول من تعاطاها في بلاد اليمن جمال الدين الذبحاني المتوفى سنة ٨٧٥ هـ وذلك انه كان يتولى وظيفة تصحيح الفتاوي بعدن وعرض له امر اقتضى خروجه من عدن الى بر العجم (بر افريقيا) فاقام بها مدة فوجد اهله يستعملون القهوة ولم يعلم خاصيتها ثم عرض له لما رجع الى عدن مرض فذكرها فشربها فنفعته فيه فوجد فيها من الخواص انها تذهب النعاس والكسل وتورث البدن خفة ونشاطاً فلما سلك الشيخ المذكور طريق التصوف صار هو وغيره من الصوفية بعدن يستعينون بشربها على السهر ثم تتابع الناس والفقهاء والعوام هناك على شربها للاستعانة بها على مطالعة العلم وغير ذلك من الحرف والصناعات قال : « وكانت القهوة تصنع اولاً من الكفتة اي الورق المسمى بالقات لا من البن ولا من قشره فما زالت تنتقل من بلد الى آخر حتى وصلت الى ثغر عدن فعدمت الكفتة في زمن الذبحاني المذكور وقال لمن يلوذ به و ينتمي اليه ان البن يسهر فامتحنوا بنا قهوته

فامتحنوها فوجدوها تعمل عمله مع قلة الثمن والمؤونة ثم استمر من منشاها وغيره» فالظاهر ان شرب القهوة من القشر كان معروفاً قبل زمن الذبحاني وهو اول من استخدم البن . وفي كل حال فالقهوة لم تنتشر قبل القرن التاسع للهجرة فانتقلت من اليمن الى ما يجاورها حتى اتت مصر في القرن العاشر

وكان اول ظهورها بمصر في حارة الجامع الازهر في العشر الأول من القرن المذكور وكانت تشرب في نفس الجامع برواق اليمن يشربها فيه اليمانيون ومن يساكنهم في رواقهم من اهل الحرمين . وكان يتعاطاها المشتغلون بالرواتب من الاذكار والمديح على طريقتهم وكانوا يشربونها كل ليلة اثنين وجمعة يضعونها في ماعون كبير (ماجور) من الفخار الاحمر ويغترف منها النقيب بسكرجة صغيرة ويسقيهم الأيمن فالأيمن مع ذكرهم المعتاد عليها وهو غالباً « لا اله الا الله الملك الحق المبين » وكان يشربها معهم موافقة لهم من يحضر الرواتب من العوام وغيرهم — قال العلامة ابن عبد الغفار « وكنا ممن يحضر معهم وشربناها فوجدناها في اذهاب النعاس والكسل كما قالوا بحيث انها تسهرنا معهم ليالي لانحصيها الى ان نصلي الصبح مع الجماعة من غير تكلف وكان يشربها معهم من اهل الجامع من اصحابنا وغيرهم خلق لانحصيهم ولم يزل الحال على ذلك وشربت كثيراً في حارة الجامع الازهر وبيعت بها دهراً في عدة مواضيع ولم يتعرض احد مع طول المدة لشاربها ولا انكر شربها لا لذاتها ولا لوصف خارج عنها من ادارة وغيرها مع اشتهارها بمكة وشربها في نفس المسجد الحرام وغيره بحيث لا يعمل ذكر او مولد الا بحضورها . وفشت بالمدينة الشريفة دون فشوها في مكة حيث ان الناس يطبخونها في بيوتهم كثيراً »

فلما ذاع شربها بين المسلمين على هذه الصورة تنبهت الحكومة وذهب بعض الفقهاء الى وجوب منعها لانها من المسكرات واول ماحدث التشديد في منعها بمكة عام سنة ٩١٧ هـ على يد رجلين العجميين كانا مشهورين بالحكيمين وكان لهما فضيلة في المنطق والكلام ومشاركة في الطب رحلا الى مصر في آخر دولة الغوري واقاما هناك حتى قدم اليها السلطان سليم الفاتح ففتحها ودخلت في حوزة الدولة العثمانية — قال في كتاب عمدة الصفوة « واعانهما على القيام بأمرها الشيخ شمس الدين محمد الحنفي الخطيب نقيب قاضي القضاة وسري الدين بن الشحنة وناس آخرون تبعاً لهم فاغرى الشيخ شمس الدين الخطيب الامير خاير بك المعمار باش مكة ومحتسبها اذذاك على ابطالها من الاسواق ومنع الناس من شربها وقرر عنده انها موصوفة بتلك الصفات القبيحة ورغبه بذلك جداً وحمله على

ان عقد له مجلساً عنده وانفصلوا منه على القول بحرمتها وكتبوا بذلك محضراً أنشأه لهم الشمس الخطيب وأرسلوه الى مصر وارسلوا معه سؤالاً من انشاء الحكيمين والخطيب وطلبوا مرسوماً سلطانياً لمنعها بمكة المشرفة • ثم لما انصرفوا من عقد المجلس شهر الامير خايربك النداء بالمنع من شربها وبيعها وشدد في ذلك حتى انه عزر جماعة من باعتها وكبس مواضعهم وأخرج ما وجده فيها من قش البن وأحرقه في وسط المبيع فبطلت حينئذ من السوق وكان الناس يشربونها في بيوتهم اتقاء شره لانه بلغه عن شخص انه يشربها فعزره وطاف به الاسواق • ثم ورد بعد ذلك المرسوم السلطاني ولكن لا على وفق غرضهم فتجاسر الناس على شربها لاسيما وقد بلغهم انها لا تمنع من مصر التي هي بلدة السلطان ولم ينكرها احد من علمائها اذذاك والاعيان وفتر خاير بك عن التسلط على الناس بسببها واستمر الحال على ذلك ثم قدم المرحوم ناظر الخواص الشريفة العلائي بن الامام الى مكة المشرفة في عام ثمانية عشر وتسعمائة لمهم سلطاني فمنع الشمس الخطيب من تحمل الشهادة وادائها وأراد حمله الى مصر ثم اعفاه من ذلك فانقطع الخطيب في بيته الى الموسم فازداد الامر فتوراً والقهوة ظهوراً وتوجه الخطيب صحبة الركب الى مصر وتوفي بالينبوع وقال في هذا المعنى بعض اهل المجون ونسب ذلك الى الشيخ ابي الفتح المالكي بالشام :

قهوة البن حرمت　　فاحتسوا قهوة الزبيب
ثم طيبوا وعربدوا　　وازلوا في قفا الخطيب

وقال غيره

قهوة البن حرمت　　فاحتسوا قهوة العنب
واشربوها وعربدوا　　والعنوا من هو السبب

• واتفق في عام ثمانية المذكور ان الامير قطلباي قدم الى مكة المشرفة صحبة الركب الشريف عوضاً عن خاير بك فاكثر من شربها فاشتهرت اضعاف اشتهارها الاول ثم لم يزل امرها يتزايد في الحرمين وغيرها ولم يتعرض لها احد بالمنع

• وبلغ الشيخ العارف بالله تعالى سيدي محمد بن عراق نفعنا الله ببركاته لما قدم الى مكة في ذي القعدة الحرام سنة اثنين وثلاثين انه كان يحدث في بيوت القهوة بعض المنكرات فاشار على الحكام بابطال بيوت القهوة مع تصريحه بحلها في حد ذاتها غير مرة لغير واحد بحيث بلغ ذلك منه مبلغ التواتر المفيد للقطع وكذلك لم يتعرض لابطالها من المدينة مع

طول اقامته فيها وبلغه ان امرأة شابة تبيع القهوة في المدينة مكشوفة الوجه فنعها من البيع فشكت اليه حالها من الحاجة فاذن لها في البيع بشرط الستر ففعلت . ولما توفي الشيخ رحمه الله بمكة في خامس صفر سنة ثلاث وثلاثين رجعت الحال الى ما كانت عليه ولم يزل في تزايد الى وقتنا هذا

« قلت ولم يزل اولياء الشيخ من بعده على القول بحل القهوة والمواظبة عليها حتى ان اجلهم قطب دائرة اهل الحرمين في الظهور علماً وصلاحاً وافتاء وتدريساً وتأليفاً كان اجل ما يحضره لمن يرد عليه من الاكابر ومن دونهم القهوة ويتكرر فعله لذلك في اليوم والليلة مرات خصوصاً في زمن الموسم وهي كانت مكرمتي عنده اذا قدمت عليه بمكة والمدينة او بالقاهرة في اوقات سفره اليها وكذلك يشربها بمنزلي ايام اقامته بالقاهرة نفعنا الله ببركاته وبركة سلفه توفي بالمدينة المنورة في عام ثلاث وتسعين وتسعماية بعد اخيه الشيخ عبدالنافع قاضي اليمن

« وفي عام تسع وثلاثين رفع الشيخ العلامة واعظ العصر شيخنا شهاب الدين احمد بن عبد الحق السنباطي الشافعي سؤال في القهوة صورته « ما قولكم رضي الله عنكم في شراب يسمونه القهوة يجتمع عليه الجماعة يشربونه ويزعمون انه مباح مع انه يترتب عليه مفاسد كثيرة فهل ذلك جائز ام حرام » فاجاب بحرمتها وانها مسكرة وكتب على هذا السؤال جواباً واسع العبارة على اخبار من شربها وتاب عنها وعلى ما يوصف به الجمع في بيوتها من الاوصاف المانعة لشربها

« وفي سنة احدى واربعين تعرضوا الشيخ في مجلس وعظه بذكر القهوة فافتى بحرمتها وصمم على ذلك في مجالسه بالجامع الازهر فتعصب جماعة من العوام لما سمعوا ذلك منه وخرجوا الى بيوتها من تلقاء انفسهم من غير امر حاكم بل لمجرد الخفلات العامية وكسروا اوانيها وضربوا جماعة ممن هناك فقام بسبب ذلك فتنة كبيرة وتعصبات ممن يقول بالحل والحرمة شهيرة واحتيج الى الاستفتاء ايضاً واتصل الامر بقاضي مصر الشيخ محمد بن الياس الحنفي فسأل عن حكمها جماعة من علماء القاهرة المفتين بها واعتمد على افتاء من قال بحلها من العلماء المعتبرين ثم استظهر على ذلك فامر بطبخها في منزله وسقى منها جماعات بحضرته وجلس يتحدث معهم معظم النهار ليختبر حالهم فلم ير فيهم تغييراً ولا شيئاً منكراً فأقرها على حالها . وفي منع الشيخ شهاب الدين بن عبد الحق السنباطي لبيع القهوة وافتائه بحرمتها وقيام العامة معه يقول بعضهم اظنه الفقيه الحجبون بجدة :

ان اقواماً تعدوا والبلا منهم تأتى
حرموا القهوة عمداً قد رووا افكاً وبهتا
ان سألت النص قالوا ابن عبد الحق افتى
يا اولي الفضل اشربوها واتركوا ما قال بهتا
ودعوا العذال فيها يشربون الماء حتى

«وفي عام خمس واربعين بينا جماعة في بيوت القهوة يستعملونها في شهر رمضان بعد العشاء اذ وافاهم صاحب العسس اما من تلقاء نفسه او لامر أوحي اليه واخرجهم منها على هيئة شنيعة بعضهم في الحديد و بعضهم مربوط بالحبال فباتوا في منزل السوباشاه ثم اطلقوا صباحاً بعد ان ضرب كل واحد منهم سبع عشرة ضربة ثم لم يلبثوا ان ظهر الحق وعاد الحال الى ما كان عليه أولا بعد يومين أو نحوهما

«وورد في عشر الخمسين وتسعمائة في موسم الحاج صحبة الركب الشامي الى مكة المشرفة حكم سلطاني بمنع القهوة وابطالها والزام باعتها بمنع التسبب بها وابطال محالها - ذكر ان سبب ذلك شكوى امرأة رومية كانت مجاورة بمكة قبل ذلك فاشهر النداء بابطالها والتحذير من السلوك في هذه المسالك وامتثل ذلك جميعه يوم المناداة ثم تعددت بيوتها ونعوتها لذويها من غير مبالاة من الموت وشربت في موسم تلك السنة جهاراً ودام استمرارها

«وكذلك منعت بالقاهرة مراراً فلم تطل المدة وعلا منارها ولم يزل امرها ظاهراً وتعداد بيوتها الى الكثرة وافياً وشاهراً يشربها العلماء والصلحاء وطلبة العلم واماثل الفقهاء و يقر عليها اهل الافتاء والتدريس و يواظب على شربها من اتصف بالفضل وكل نبيل ورئيس بالجامع الازهر والبقاع المكرمة وفي سائر الايام والاوقات» انتهى كلام عمدة الصفوة

ولم تعد الحكومات ولا الديانات تتعرض لمنعها واخذت في الشيوع حتى انتشرت في اربعة اقطار المسكونة فانتقلت من اليمن الى هولندا سنة ١٦١٦ للميلاد ومنها تفرقت في اوروبا فوصلت انكلترا سنة ١٦٤١ على يد رجل اكريدي الاصل واول قهوة عمومية أنشئت في انكلترا انشأها رجل يهودي اسمه يعقوب من اكسفورد سنة ١٦٥٠ و بعد سنتين جاء لندره تاجر انكليزي يتعاطى التجارة الشرقية ومعه خادم يوناني فتح اول قهوة عمومية في لندن سنة ١٦٥٢ وقس على ذلك ظهورها في الممالك الاخرى · وقد انتقلت الى اميركا سنة ١٧١٧ وكثر طلبها واصبحت تجارتها من اروج التجارات واربحها

صحة العائلة

الهضم والغذاء

لحضرة نعمة افندي ايليا الصيدلي القانوني في دمنهور

٣ المواد الغذائية

المواد الغذائية هي المواد التي تدخل الجسم لتعوض عما خسره بانحلال أنسجته وما الاحتياج الى الطعام الا نتيجة انحلال انسجة الجسم الحيواني بالاعمال الحيوية الصادرة عنها لان كل عمل حيوي مهما كان طفيفاً ينتج انحلال بعض الانسجة ولذلك تدعو الحاجة الى انسجة أخرى لتحل محلها ونظراً لتعدد أنسجة الجسم واختلاف وظائفها يلزم ان يحتوي الغذاء على اطعمة ذات عناصر مختلفة لتغذية كل نسيج • وتقسم تلك العناصر بالنسبة الى اعضاء الهضم الى اربعة اقسام كبرى الاول الاطعمة الاليومينية او النتروجينية الثاني النشائية والسكرية الثالث الزيتية او الدهنية الرابع المواد المعدنية • وتوجد عناصر هذه الاطعمة احياناً منفصلة بعضها عن بعض ولكنها تكون غالباً متحدة معاً بنسب مختلفة ويقال بالتقريب ان كل طعام يحتوي على كميات كبيرة او صغيرة من كل واحد منها

(١) المواد الاليومينية : وهي كثيرة في مملكتي الحيوان والنبات ومنها الكلوتين في القمح والاليومين النباتي في الشوفان والكاسين النباتي في الحمص والفول واللوبيا وغيرها من الحبوب المعدودة تحت الفصيلة القرنية واليومين البيض والبيومين وفيبرين الدم وكاسين اللبن في الحيوان • ولكل عناصر نسبة واحدة الى الجسم البشري وأعضاء الهضم فالبحث في واحد منها يغني عنه في كلها ، ولدى هضمها تحول الى دم وتغذي اقوى أنسجة الجسم الحية كالعضلات والدماغ والاعصاب والغدد وغيرها وتخدمها املاح عديدة تغذي العظام وتدخل في تركيب أنسجة أخرى • ويعتقد الدكتور أوستن والاستاذ ليك وعدد عظيم من مشاهير الفسيولوجيين بانها اعظم غذاء للحياة والقوى العضلية والعصبية من تحولت بالتمثيل الى انسجة

(٢) الاطعمة النشائية والسكرية : وهي تحتوي على كل اجناس النشاء والسكر فالاول

يوجد في الخضر والجذور كالبطاطا واللفت واكثر الاثمار والحبوب وهو ثلثاها او ثلاثة ارباعها حجماً او وزناً . وتختلف انواعه بشكل الحبيبات وحجمها وبان نشاء الخضر عموماً أقل سهولة في الهضم من نشاء الحبوب وفيما سوى ذلك فهي واحد . يغلف الحبيبات غلاف خارجي يقيها عمل الماء فيمنعها من الذوبان ولكن متى طبخت الحبوب جيداً ونضجت الاثمار تماماً ينقسم هذا الغلاف ويتمزق فيسهل ذوبان النشاء . ولذلك عدَّ نزعه ضرورياً قبل ابتداء الهضم . اما السكر فمع ان الاختلاف بين انواعه اكثر مما بين انواع النشاء فبينهما تشابه قريب لان الواحد مشتق من الاخر ونشاء الحبوب والبطاطا وكل البزور يحول الى سكر حين يفرخ النبات ويصير غذاء له مدة نموه . ولهذا وضع النشاء او السكر في صف واحد وان كانت أعضاء الهضم تعامل كلاً منهما معاملة خاصة اماقيمتهما الغذائية فظاهرة في حفظ التغذية بالقوة والحرارة

(٣) المواد الدهنية او الزيتية : اهمها الزبدة والشحم من الدهن الحيواني اما الزيوت النباتية فعديدة وتوجد في اكثر الحبوب وبعض الخضر وقليل من الاثمار ولا سيما الجذر وكل عناصرها سواء كانت نباتية او حيوانية متشابهة فلا يختلف الاولين والماركرين والستيرين الا في كونها سوائل او جوامد وذلك ناتج عن اختلاف النسب في اتحاد جواهرها . وكلها لا تذوب في الماء بل في الكحول . اما السوائل القلوية والامزجة فتقسمها الى اجزاء صغيرة جداً وتكون معها مستحلباً كما ترى في اللبن وهي تكون متحدة مع المواد الاليومينية والمعدنية في النبات وبهيئة خلايا في الحيوان وهي ايضاً ينبوع قوة وحرارة للجسم مثل سابقتها

(٤) المواد المعدنية . يجد الكيماوي لدى تحليله انواع الطعام املاحاً غير آلية اكثرها فصفات وكربونات البوتاس والصودا والكلس وكلوريد البوتاس والصودا لايمكن فصلها بطريقة ميكانيكية كما يفصل النشا والسكر والكلوتين وتوجد ايضاً في انسجة الحيوان وعظامه . وما عدا هذه الاملاح فان كل الاطعمة النباتية واكثر الحيوانية تحتوي على كميات من مواد غير معدنية تتألف منها انسجتها كالالياف الخشبية التي يستحيل هضمها ولا تصلح رأساً ولكنها تفيد جداً في الهضم أو تعطي حجماً كافياً للطعام وتهيج العصارات المعدية والعمل العضلي اللذين يتم بهما الهضم كما رأيت سابقاً . ولهذا السبب يفضل الدقيق الخشن الاسمر على الابيض الناعم الذي يتغذى به الاغنياء في ايامنا الحاضرة . اما القدماء فلم يستعملوا الدقيق الابيض الناعم ولذلك لم تكن امراض المعدة الشائعة الآن معروفة بينهم كما وان امماً كثيرة في عصرنا الحاضر كالمان والاسوجيين والنروجيين وسكان

الكرة الارضية اجمالاً ماعدا الانكليز والاميركان والفرنساويين يتبعون آثاراً ولئك القدماء

النسبة بين عناصر الطعام : تختلف عناصر الاطعمة اختلافاً عظيماً وقد اظهرت التجارب في الحيوان والانسان اهمية حفظ النسبة بينها اتماماً لحفظ النظام في غذاء الجسم ولا سيما بين العناصر الاليومينية والكربونية كالكلوتين والالبيومن والدهن والنشاء والسكر ووجدوا ان تلك النسبة يجب ان تكون جزءًا واحداً من طعام نيتروجيني والبيوميني الى سبعة اجزاء من طعام كربوني · ومن ذلك يظهر ان اكثر اصناف الطعام ينقصها عنصر او اكثر من العناصر المذكورة وللتعويض عن ذلك النقص يجب اصطناع الاطعمة ممزوجة من مواد مختلفة · ومن النظر الى الجدول الآتي تناظر تلك نسبة العناصر الكربونية الى الاليومينية في اكثر الاطعمة الشائعة وتعرف كيفية اتخاذها غذاء بالنسبة الضرورية للجسم

لحم البقر	فيه	جزء	١	اليوميني أو ازوتي	و	٠٫٥٠	كربوني
البيض	»	»	١	»	»	١٫٩٠	»
الحمص والفول ونحوهما	»	»	١	»	»	٢٫٧٠	»
العدس	»	»	١	»	»	٢٫٤٠	»
اللبن	»	»	١	»	»	٣٫٦٠	»
دهن البقر	»	»	١	»	»	٥٫	»
الشوفان	»	»	١	»	»	٦٫١٠	»
دقيق القمح	»	»	١	»	»	٧٫	»
دقيق الذرة	»	»	١	»	»	٩٫٨٠	»
البطاطا	»	»	١	»	»	١٠٫٧٠	»
الجزر	»	»	١	»	»	١١٫٥٠	»
الشعير	»	»	١	»	»	١٢٫٧٠	»
الارز	»	»	١	»	»	١٣٫	»

يتضح من هذا ان دقيق القمح هو الغذاء الوحيد الذي يجد فيه الانسان مايحتاج اليه جسمه من العناصر بالنسبة الطبيعية اللازمة · اما لحم البقر والبيض فتنقصها العناصر الكربونية والبطاطا · واكثر الخضر والارز تنقصها العناصر الاليومينية · فاذا مزجنا هذه العناصر بالنسبة المعينة كان لنا غذاء حسناً جداً لا يؤذي اعضاء الهضم ولا يسبب ادنى تعب للجسم ومنه يستنتج قلة لزوم اكل اللحوم كما سيأتي في مقالة خصوصية

قد تكون كمية الطعام كبيرة ولكن ينقصها بعض العناصر المغذية فاذا كان النقص في العناصر النشائية والدهنية شعر الآكل بتعب عظيم بعد الاكل واذا كان في المواد النيتروجنية اثر في المعدة اعظم تأثير فاضعفها تدريجاً وظهرت فيها الحوامض ونحوها وكذلك اذا كان في العناصر الغير المغذية فانه يشعر به حالاً اذ تضعف قوى المعدة والامعاء عن الافراز وينقص العمل العضلي ومن هذا تظهر اهمية اختيار انواع الطعام ولاسيما اذا قصد التعود عليه قانونياً لان طعاماً تنقصه بعض العناصر المغذية ولو كانت كميته كبيرة لايفيد شيئاً بل قد يسبب الاضرار الناتجة عن عدم الاكل . والاكتفاء بالخبز فقط والزبدة والشاي والقهوة يضعف الدم كما لو امتنع الانسان عن الطعام بالكلية غير ان الفرق يكون في اطالة الوقت اللازم لاحداث تلك النتائج . واكل الدقيق الابيض النقي المأخوذة منه كل قشور حبوبه الخارجية لايخلو من ضرر عظيم للمعدة ويفضل عليه اكل الدقيق الاسمر الخشن الحاوي لتلك القشور رغماً عن منظره لا بل هو لازم وضروري للصحة الاَّ اذا كانت المعدة ضعيفة لاتقدر على هضمه فتمتنع عنه موقتاً

ان مئات من السيدات ولا سيما بنات المدارس تراهنَّ مصفرات الوجوه فقيرات الدم ضعيفات الاعصاب سيئات الهضم لتناولهن طعاماً غير مغذٍ كأن يقتصرن على بعض انواع الغذاء دون البعض الآخر وكثيراً ما يولد فيهنَّ نتائج رديئة اخصها داء الاسكربوط كذلك يصيب الجنود المحاصرين الذين يقتصرون على بعض المآكل لنفاد مؤنتهم والنوتية الذين يعالون بطعام واحد غير كاف لغذائهم اثناء سفر طويل او اطعامهم طعاماً مالحاً فلا يتعجب مثل هؤلاء متى ظهروا صفر الوجوه غائري العيون سيئي الهضم اذا اقتصروا على ماذكر من الاطعمة او جعلوها الطعام الغالب لان طعاماً كهذا يضعف القوى وكثيرات من الامهات يضعفن اعضاء الهضم في اولادهن الصغار باعطائهم لغير سبب وبدون امر الطبيب النشاء والاروروت وما شابهها او خبز الدقيق الابيض النقي متى كبروا اذ قد اظهرت التجارب في الحيوانات ان الكلب يموت في مدة شهر واحد اذا اطعم خبز الدقيق النقي وحده وهكذا الامر في الانسان لان الدقيق الابيض المذكور هو دقيق الحبوب التي نزعت عنها قشورها الخارجية فلم يبق فيها سوى الاجزاء الداخلية التي ليست الا نشاء لايحوي شيئاً من الغذاء للدماغ والعضل والاعصاب بخلاف الدقيق الاسمر مع مافيه من العناصر غير المغذية فانه اصلح للهضم لان العناصر المذكورة تهيج الافراز وتزيد قوة الامعاء العضلية وتمنع القبض الذي يسبق اكثر امراض اعضاء الهضم

وينظر في التغذية من حيث حاجة الاعضاء البدنية الى ثلاثة امور مهمة (١) الصحة (٢) اللذة (٣) الاقتصاد · غير ان عادات الاكل الحاضرة تخالف نواميس الهضم الصحي بطرق عديدة مضرة لاعضاء الهضم عموماً ولا يمكننا الجواب على كيفية منشئها لكننا نرى غالباً ان التبعة الكبرى في انتشارها ملقاة على عاتق الاطباء لان بعضهم يغضون عن الطعام وقلما يحذرون مرضاهم من استعماله بحكمة فيقولون للعليل كل ما يخطر لك وتشتهيه حيثما اردت فنقول كهذا فاسد بالطبع لانه يدل على عدم وجود علاقة بين الطعام والجسم مع انه يجب تنويع الاطعمة واختلافها باختلاف نمو الجسم وعلاقته الخارجية وظروفه العديدة وانه يجب في المرض مراعاة ثلاثة امور مهمة (اولا) ان لا يطعم العليل طعاماً يزيد في مرضه (ثانياً) ان يطعم ما يحفظ الاعضاء السليمة (ثالثاً) ان يأخذ طعاماً خصوصياً صحياً بالنسبة الى حالته فالطفل قبل ظهور اسنانه لا يعطى غير اللبن لان اللعاب الذي يساعده على هضم اطعمة اخرى لا يفرز الا بعد طلوع الاسنان اما في الصبوة فيختلف عنه كثيراً وكذا المرضع يجب ان تكثر من اخذ لبن البقر واذا ظهرت حموضة في المعدة فيجب مزجه بماء الكلس لاصلاح الحموضة وتغذية عظام الطفل وان تكثر ايضاً من الاطعمة التي تزيد افراز لبنها · والحامل يلزمها تجنب الاكثار من الدهن واستعمال الاشربة الروحية لان الاشربة تحول القيء العرضي الى قيء ينتج عنه سوء الهضم وتكون النتيجة اشرّ من الاول · اما المتقدمين في العمر فانهم متى بلغوا الخمسين يضطرون حفظاً لقوامهم الى انقاص الطعام الجامد ولا سيما الحيواني لانهم لا يعودون يحتاجون الى المواد التي تنمي الجسم والتي تعرضهم لداء النقرس المسبب عن زيادة العناصر النتروجينية ثم يفقدون الشهية الاكل لنقص العصارات المعدية طبعاً فلا ينفعهم علاج ولا يخفف آلامهم الا مراعاة كمية الاكل حفظاً لصحتهم

وبالاجمال يقال ان الطعام يجب تغييره بالنسبة الى اطوار الحياة كما يجب تغييره بالنسبة الى الصحة والمرض · معدة العليل ضعيفة تعجز عن هضم اسهل الاطعمة فكم بالحري يكون هضم الطعام اللذيذ الفاخر كالمرق الممزوج بالبهارات والتوابل والمربيات ونحوها قال احد الاطباء كان الاولى بان يكتب على كل ضريح «قتيل الشفقة» وكثيرون يعتقدون ان الشهية هي دائماً القاعدة الصادقة لمعرفة صفة الطعام وكيته فلو كانت شهية كل انسان طبيعية لأمكن الاعتماد عليها غير اننا لا نجد في عصرنا هذا وبين الامم المتمدنة واحداً في المائة ان لم يكن اقل ذا شهية طبيعية وذوق سليم · لا تنكر ان الشهية

دليل صادق الى درجة محدودة مع وجودها تحت حكم العقل ومعرفة شرائع الهضم والنسبة لبين عناصر الطعام والمعدة حتى والجسم كله لكنه لا يجب الاعتماد التام عليها ولا رفضها بلو عرفت ان اميالها طبيعية لان كلا الاثنين فاسد وما قول الطبيب للعليل كل ما تشتهيه ولا كقولك له تكلم كل ما يخطر لك او اعمل كل ما تميل اليه · وفقد الشهية في المرض دليل على ان المعدة في حالة لا يمكنها معها هضم الطعام

اما اللذة فضرورية مع الطعام والاكل بانبساط يساعد على الهضم · فلا ينبغي اهمال النظر الى تحسين الغذاء ليؤكل بفرح وشهية كما وانه لا يجب التجاهل ان التغذية هي الغاية الاولية الحقيقية من الطعام وقد اظهرت التجارب ان الانغماس في المآكل بدون التفات الى الشرائع الطبيعية الحاكمة على تقدم الامم في المدنية يقود الى انحطاط كلي ودناءة عظيمة فيضعف العقل ويميت التمييز بين الفضيلة والرزيلة · اما من حيث الاقتصاد فان أوفر طعام هو ما احتوى على لوازم الجسم تماماً والوصول الى تلك الغاية يقتضي مزج أحسن الانواع بكل حكمة حفظاً للنسبة بين العناصر المختلفة · ولسوء الحظ ندر وجود يراعي ذلك لجهل الذين يناط بهم امر تحضير الطعام — وسيأتي الكلام عن تهيين الطعام



روجستفسكي اميرال اسطول البلطيك

الجنين الشهيد

هي قصيدة عصرية نظمها رصيفنا خليل افندي المطران صاحب الجوائب المصرية نابغة الشعر العصري وصف بها حال فتاة من بنات الهوى جاءت مصر ترتزق ببيع المكر فاغواها بعض اهل الطيش وابتز عرضها ومالها ثم اعرض عنها وهي حامل فحملها اليأس على الاسقاط فرثت جنينها بعبارات كلها حكمة وموعظة وقد اجاد شاعرنا في الوصف على اسلوب يجدر به ان يكون مثالا يتحداه طلاب الاساليب الجديدة وقد عمدنا الى نشرها تمهيداً لما سنكتبه عن الشعر العصري في هلال آخر

اتت مصر تستعطي باعينها النجلِ　　وعرض جمال لا يقاس الى مثل
غريبة هذي الدار بادية الذلّ　　جلت طفلة عن موطن ناضب محلِ
الى حيث يروي النيل باسقة النخلِ

فلاحية ما درها ثدي امها　　سوى ضعفها البادي عليها وهمها
ولم تتناول من ابيها سوى اسمها　　ولم تستفد من اهلها غير يتمها
واشقى اليتامى فاقد البرّ في الاهلِ

فكانت كنامي الغرس يزكو و ينضرُ　　ومطعمه طين ومسقاه اكدرُ
يحيط بها دوحان شيخ معمرُ　　وام عجوز القشر «والقلب اخضرُ»
تبيعهما قوتاً بشيء من الظلّ

فمن صبحها تسعى لجني ومكتدى　　وفي ليلها تقضي الذي يبتغى غدا
كما كان عبد الرق جنحاً ومغتدى　　يواصل مسعاه ليخدم سيدا
و يوسعه رزقاً و يغذى من الفضلِ

قضت هكذا بين الاسى والمتاعبِ　　مناشئها مذ لم تزل غير كاعبِ
فصحّت كنبت الطود بين المعاطبِ　　ومدّت الى حيث الثرى غير ناضبِ
اصولاً توافيها من الغور بالعلّ

فيا لقوى التمكين في جسم سالمِ　　يقاوم دون العمر كل مقاومِ
يجاذبن بالاوراق درّ الغمائمِ　　يهابطن بالاعراق قاع المناجمِ
خفافاً الى ضمّ صعاباً على الحلِ

مرت بها عهد الصبي والتدللِ　　على شظف في عيشها وتذللِ
وكم جرعت من صبرها كأس حنظلِ　　وكم نالها صرف من الدهر مبتلِ
فطال عليها لا يميت ولا يسلي

وكم ضاجع الجوع الاثيم بهاءها وقبَّلها حتى اجف دماءها
وكم ساعف الحرُّ المذيب شقاءها وكم نازع البردُ الشديد غماءها
نوائب تأْتي كالليالي وتنجلي

اذن نهاها في اعتكار التجارب بنيرانهن المحرقات الثواقب
وصفّى لها من فحم تلك الغياهب ذكاء من الالماس صفوا كلاهب
يري عينها ما لا ترى اعين النمل

دعاها بليلي والداها لتذكرا وهل كان صوتًا لاسمها ان يغيرا
على انها كانت مثالاً مصوَّرا تصور من ماء الجمال مقطرا
فحلاَّه في الابصار وهو به حلي

يسرّ برؤى حسنها كل سابلِ فينفحها من ماله غير باخلِ
وكم مدقع من شدة الفقر سائل يردُّ يديه لا يفوز بنائلِ
ولا جود للانسان الا على دخلِ

تحنُّ الى الصقع الذي لم يبرَّها وجرعها صاب الحياة ومرَّها
نأت ونأى اترابها عنه كرَّها ولا شيء كالاوطان نحمد ضرها
ونهوى الاذى فيها ولا النعم ان نجلِ

على انه ملهى رجال اسافلِ ومبغى نساء فاجرات عواطلِ
جديب خصيب بالبطون الحواملِ وما تقذف الامواج في كل ساحلِ
من الرمل ما يقذفن فيه من النسلِ

يعدُّ بنيه للمهانة والخنا ويلقي بهم في البحر تحت يد الفنا
فيتخذون التيه في الارض موطنا عراة حفاة خائرين من العنا
اذا نزلوا خصباً فبشّره بالمحلِ

فتحترف الازواج بغي نسائها وتحترف الزوجات خلع حيائها
وولدٍ خلت آباؤها عن ابائها يتاجر في اعراضها وبهائها
وتنمو على خلق المفاسد والختلِ

***

كذا ادّبت ليلى قطياً وعالها ذووها ليفحوا بعد حين عيالها
فتطعمهم من خزيها ما جنى لها وتكسوهم مما تعرّي جمالها

وتحمل ما في العيش عنهم من الثقلِ

ولكن نفس الطفل تبدي المساويا حسانًا يماثلن الصفات البواهيا
كاول طلع الحقل يجهل ناميا ولا تفرق العين الغريب المضاهيا

من النبت الا في اوان جنى الحقل

فلم يكُ في ليلى سوى ما يحبَّبُ بها من معانيها الجياد ويعجبُ
وكانت على الايام تنمو وتعذب كزاكية الاغصان والصقع طيبُ

يبشرن في فصل ويثمرن في فصلِ

الى ان غدت في اعين المتوسمِ تنيرُ كنور الشارق المتبسمِ
منعمة الاعطاف لا عن تنعمِ متممةً اوصافها لم تُتممِ

بحلي ولم تصلح بطلي ولا صقلِ

محاسن غرُّ لو رأتها اميرةٌ رأت كيف تعلوها فتاة حقيرةٌ
وكيف حوت جاه الملوك فقيرةٌ مضوَّرة مما تجوع جديرةٌ

باحسان ارباب المبرات والبذلِ

بهاءٌ به يسمو على الجاه فقرها وعريٌ به يزري الجواهر نحرها
وثوب عتيق ان فنا منه سرُّها اباح كنوزًا للنواظر صدرها

يحرّمها الجفنُ المرصد بالنبلِ

ورأسٌ اذا ما زانه تاج شعرها فاشرف من عرش غضاضة قدرها
وقد تشتريه ذات تاج بفخرها وترضى به تاجًا كريمًا لفقرها

بلا اسف منها على الجاه والنبلِ

***

وقال ابوها يوم تمَّ شبابها وحيك لها من نور فجر اهابها
ابا ام ليلى حسب ليلى عذابها توفر مسعاها وقلَّ اكتسابها

واسأم تكرار السؤال ذوي الفضلِ

اراها اصحَّ الآن جسمًا واجملا وقد حان ان نجني جناها المؤملا
نمت ونموُّ الفقر يأتي معجلا ولم ار كالحانات افضل موئلا

لمن يطلبون الرزق من بابه السهلِ

فقالت لها امٌّ شديد دهاؤها كريمٌ ما فيها سريع بكاؤها

بنية هذي الحال اعضلَ داؤها وانتِ لنا دون الانام دواؤها
ومن نرتجي الا ك للعون والكفل

فقالت اشيري يا اميمة انني لطوعك مهما تامري انفني
وما تؤثريه احترفه واتقن وكل الذي فيه رضاك يسرّني
وما لي عنه يا اميمة من شغل

فقالت لها اني ارى لك مهنةً تعيد علينا نعمة العيش منةً
تكونين فيها للنواظر جنةً والشار بين المستهامين فتنةً
فترقين اوج السعد من اقرب السبل

«فيا أمها أولى بها العدم والطوى من السعد تهديه اليها يد الهوى
واولى بها من ان تذال فتصفوا معاناة هم ناصب يوهن القوى
وسيرٌ على شوك القتاد بلا نعلِ »

كذلك ناجاها الضمير مؤنبا ولكنَّ جوع النفس فيها تغلّبا
فردَّ الى الصمت الضميرَ مخيبا وألقى بتلك البنت في اوّل الصبا
الى حيث يخشى ناسك زلة الرجلِ

***

فمرَّ بها في حانةٍ نفرٌ اولو مجونٍ دعتهم بالرموز فاقبلوا
وحيوا فحيتهم وفيها تدالُ فقال فتىً ما للمليحة تخجل
وحيث تكن تنزل على الرحب والسهلِ

تسمَّين يا حسناء قالت تحببا انا اسمي ليلى هل ترى اسمي معجبا
فقال لئن انشدته الصخرَ اطربا برقّة هذا الصوت او راهباً صبا
او الثاكلَ اعتاض السرورَ من الثكلِ

وقال فتى ما شاء ربك احكما جمالك يا ليلى فجاء متمما
رأيت ولكن لا كثغرك مبسما ولا مثل هذي العين تروي على ظما
ولا كحلاً في الجفن افصح للكحلِ

فلما سقتهم قال نشوان يمزحُ اسقينا روحاً وجفنك يذبحُ
ومدَّ يدا منهم فتى متوحُ اليها فجافت ثم صافت ليسمحوا
لها بمزيدٍ من شرابٍ ومن نقلِ

وقالت بتولٌ فارقبوا الله واتقوا ولكن اشار الحظ ان لا تصدقوا

فاضحكهم هذا العفاف الملفق وقال فتى شأن الرحيق يعتّق

ولكن تعتيق العفاف من الخبل

فتى ثانٍ وقال تفننا اما زلتِ بكرًا .. بشيها الدير ههنا

ولكنها الازهار تخلق للجنى والا فغبنٌ ان تطايب وتحسنا

الى ان نراها ذابلات على الاصل

وقال فتى ما كان في خير مذهب فقال تجيبٌ كاس راحٍ مطيب

فما شئت قلبها تشق ومشرب فان هي لم تعطب فليست بمذنب

وان كدرت باللمس تطهر بالغسل

وكان رفيقٌ منهمُ متألما يرى آسفا ذاك الدعاب المذمّما

وتلك الفتاة البكر خافقا متألما وعرضا غدا لتليمه متحتما

فقال « كفى هذا التطوّح في الهزل

لئن جاز مسّ البكر او ساغ لثمها بلا حرج مادام يؤمن اثمها

فلمْ زهرة الروض التي هي رسمها اذا ابتذلت جفت ولو صين كمها

ولم تستمد زهوا وطيبًا من الطل »

⁂

ايا ليل هل تصفو وتطلع انجما لتقذى بارجاس الورى اعين السما

ويا زمنًا قالوا به الرقّ حرّما علام أبيح الطفلُ للجوع والظما

فباعاه الفحشاء تحت يد العدل

اصيبية جاؤا المكان ليسهروا وقد اجلسوها يسكرون وتسكرُ

فلما نفى اللبّ الشراب المخمرُ تمادوا بها سيف غيهم وتهوّروا

وارقصهم طوافة الزمر والطبل

فهذا معاطيها وذاك مداعبٌ وهذا مداجيها وذاك مشاغبٌ

وهذا مراضيها وذاك مغاضبٌ وهذا مباكيها وذاك ملاعبٌ

وكلًّا ترى منهم على خلق رذل

يحاول كلٌّ ان يزيغ فؤادها وكلٌّ يرجّي ان ينال رشادها

يرومون منها ان تبيح وسادها ويبغون طرًّا بغيها وفسادها

سواء لديهم بالحرام وبالحلِّ

ذئابٌ تداجي نعجة لافتراسها وترقب منها فرصة لاختلاسها
ولكنها ردتهمْ عن مساسها تبالغ في تشويقهم باحتباسها
وتستنزل الآلاء يغدقنَ كالوبلِ

فما هي منها في الطهارة رغبةٌ ولا هي من فقد البكارة رهبةٌ
ولكنه علمٌ لديها ودربةٌ كما أبواها اذ أباها وعصبةٌ
أرتها فنونَ الغش بالقول والفعلِ

تصيد لهي عشاقها باحتيالها وتبتز منها امها فضل مالها
فتنفقه في روحها ودلالها وتقني الحلى معتاضة عن جمالها
باوسمة للقبح في الشيب والعطل

الا الخزي من عصر يفاخر ماخلا وقد عود الاطفال فيه التسولا
وسيمت به الابكار سوما محللا وباعت نساء ولدها واشترت حلي
والقى رجال بالبنوة في الوحل

***

على هذه الحال الشديد نكيرها نما الحسن في ليلى ومات ضميرها
فكانت كمشكاة يعزُّ نظيرها باتقانها لكن خبا الدهرَ نورها
وبان الحيا فالعين غمدٌ بلا نصلِ

فلما استوى شكلاً ربيع الصبا بها وشبَّ عن الاكمام زهر شبابها
ودلَّ على النعماء غضٌ اهابها وانكر ماضي فقرها وعذابها
حكت جنة فتانة القلب والعقلِ

وما هي الا دمنة لكن اكتسى ثراها من النبت المزور ملبسا
ويسطع منها الطيب لكن مدنسا وفي زهرها تنمو الرذائل والاسى
وموردها عذب ولكنه يصلي

تكامل فيها الحسنُ والمكر اجمعا كأنهما صنوان قد ولدا معا
ودرَّهما ثديٌ لأمٍّ فارضعا وشبأ بحجر واحد وترعرعا
وضماً بعقد مبرم غير منحل

فلو زرتها مملوءة النهد معصرا لابكاك ما ساءت خلالاً ومخبرا

وسرّك ما جادت بهاءً ومنظرا وقلتَ أليلى هذه وبها أرى
اشدّ طباق في الطوية والشكل

نعم هي ليلى لكن الآن تكذب ويكذبُ منها الحاجب المحدبُ
ويكذب فيها قلبها المتقلبُ الى ان يحار الناس فيها ويعجبوا
وما عهدت ليلى كذلك من قبلِ

وتكذب في ميلادها وولائها وتكذب في ميعادها ورجائها
وزرقة عينيها وبرد صفائها وحمرة خديها وورد حيائها
وفي عطفها المضنى وفي ردفها العبلِ

وتخلق زوراً في المحاجر ادمعا وتنشىء لوناً للحياء مصنعا
وتسجع للتمويه في الوجه برقعا وتبكي كما تفترّ في لحظة معا
وترضى مع الراضي وتأسى لذي الغلِ

تخاطب كلاً بالذي في ضميره لما هي تدري من خفي أموره
وتعجبه في حزنه وسروره وتصطاده لطماً بفخ غروره
فيفترُّ عن حزم ويسخو على بخل

حوى سيراً من كل ضرب فؤادها بها يهتدي سبل الخداع رشادها
ويقوى على ضعف القلوب ودادها فلا تنثني حتى يتمّ مرادها
ويرجع عنها الكلُّ راضين بالكلِ

يحدثها كلٌّ بأسٍ مجددا ويفشي لها أسراره متوددا
وما يكشف البدر الظلام اذا بدا كما تكشف الاسرار ليلى وما الصدى
بأسرع منها في الحكاية والنقلِ

وكم تصطفي ذا غرة لا يخالها محصنة بكراً وذي الحال حالها
فيغويه فيها أنسها وابتذالها ويسخو عليها ما يشاء احتيالها
وتعرض عنه حين يطمع في الوصل

اليس صفاء البكر في اول الصبى كقطر الندى الحالي به زهر الربى
فان يستحل ذاك الصفاء تلهبا فلا عجبٌ ان تحسب البكرُ ثيبا
ويخطىء فيها من يكون على جهل

وكم من سريٍّ مولع بالتعففِ سبت بالحياء الكاذب المتكلفِ

ونامته بالقول الجميل الملطف وبالتيه حيث التيه محض تزلف
وبالهجر حيث الهجر أجمع للشمل
فان البغايا ان حسنَّ ظواهرا وجارين في ادابهنَّ الحرائر
وكنَّ جميعاً كالنجوم سوافرا فاي حكيم يستبين السرائرا
وهل في ضياء الشهب فرق لمستجلِ

***

على انها لم ترض عن مستقرّها وكانت تناجيها اماني فكرها
بان تتولىَّ عاجلاً فكَّ اسرها فان وفقت فازت باعلاء قدرها
على كل من تعلو عليها وتستعلي
وكان فتى طلق المحيا جميلهُ ولكنه نذل الفؤاد ذليلهُ
يميل اليها وهي لا تستميله فيزداد فيه غيظه وغليلهُ
ويلتفُّ في احشائه اللؤم كالصلِّ
وكان كثيراً ما يودُّ خطابها فتصغي اليه وهي تحسو شرابها
فان ملأت مما يقول وطابها تولت وكان الصدُّ عنه جوابها
فثارت لفرط الكيد ادمعه تغلي
فآلى لها يوماً بان يتأهلا بها فاصاب الوعد منها المؤملا
فقالت كفاني خدمة وتبذلا وذي نعمة ارقى بها سلّم العلى
وما ذا ترجي بعدها امرأة مثلي
فابدت له الاقبال بعد التبرمِ ولكن أطالت خبره خوف مندمِ
فقالت لها النفس الطموع «الى كم تظلان في مشقٍ من الريب مؤلم
ويقضي نفيس العمر في الوعد والمطلِ
فلم ارَ اهوى من جميل وأطوعا فؤاداً ولا وجهاً أحبَّ وأبدعا
فتى لك يهدي قلبه واسمه معا فان طال هذا المطل منك تطلعا
الى امرأة تسموك بالجاه والاصل »
فخامر ليلى الخوف ثم تحولا الى غيرة والغيرة انقلبت الى
غرامٍ فامست لا ترى حسناً ولا تكاشف بالحبِّ النزيه مؤملا
سوى ذلك الغرِّ الجميل من الكلِّ

ومن نكد المخدوع ان زمانهُ　يسخر للخل المداجي امانهُ
فاذ يرعوي المغرى ليلوي عنانهُ　يكون المداجي قد اذاه وخانهُ
وأدرك ما يسعى اليه من السؤلِ
اصمَّ الهوى ليلى وأعمى ذكاءها　وردَّ عليها كيدها ودهاءها
فمن نفسها نالت وشيكاً جزاءها　ومشقي الورى منها أتم شقاءها
بان أخذت في فخها بيدي وَغلِ

***

وليلة أنس زارها من صحابها　فريقٌ بغوا ان يكشفوا سرَّ مابها
فدار حديث بينهم في عتابها　لاعراضها عن صحبها وانقلابها
الى أجدر العشاق بالصدِّ والرذلِ
فخالتهم يهجونه لمآربِ　وبينهم محضُ النصح في فم ثالبِ
فبينا تجافي دونه كل عائبِ　اتى يتهادى بين جيش معايبِ
تهادي َقيل حفَّ بالخيل والرجلِ
ففارقت الحضار طراً واقبلت　عليه وفي احشائها غلة غلت
وفي وجنتيها حمرة كاللظى علت　فحيته بالبشر الطليق واغفلت
سواه من الجلاس كالسامة الغفلِ «
« اهذا الذي فيه الملام يريبها　وفي حبه سعدُ الحياة وطيبها
همُ بغضاء والحبيب حبيبها　وهم بلهاء لا جميل خطيبها
وما لجميل بينهم من فتى كفلِ

***

وكان من الجلاس أشيبُ مغرمُ　وأقوى غرام المرء في حين يهرمُ
فقال الى كم نحن نعطي ونتئمُ　ايحظى بليلى آخرون وينعموا
فيسقون من خمر ونسقى من الخلِّ
دعاها فجاءته تجيب تلمظا　« نعم » فتلقاها بشتم وأغلظا
فقالت ماقبها اسىً وتغيظا　فثار جميل يقذف السمَّ واللظى
عليه بمدرار من السبِّ منهلِ
وبارزه حتى التراب تخضبا　ففاز على الشيب الصبي متغلبا

وأشبعه ذلاً لكي يتأدبا وعلمه ابن التصابي من الصبى
واقمعه بالاكم والاطم والركل

فلما رأت ليلى الذي كان قرّبت وفرّج عنها غيم حقد وحسرة
وأعجبها ذاك الوفاء فسرّت ونادت جميلاً يا ملاذي ونصرتي
فدى لك نفسي من شجاع ومن خل

والقت عياءً رأسها فوق صدره فزان سواد الشعر ابيض نحره
مثالان قاما للشباب ونصره وللحسن تجلو شمسه وجه بدره
وللحب مرفوع اللواء على العذل

فألوى عليها عاكفاً متدانيا يخاصر املوداً من القدّ واهيا
ويرشف من اجفانها الدمع جاريا على ورد خد يخجل الورد زاهيا
يحاكي باكليل من الدرّ مخضل

كأن جميلاً في ارتشاف شؤونها سقى وردة مخرورة من عيونها
كأن الندى المنثور فوق جبينها مدامع فجر افرغت في هتونها
على روضة شبه الهلال من الفل

***

وأوحى اليه المكر ان يتعجلا ليدرك من ليلى الوصال المؤملا
فان أمهلت حتى تفيق وتعقلا تقده كما تهوى صبورا مذللا
قياد بعير جرّه الطفل بالحبل

فسار بها في جنح الليل أهيم كهمّ على صدر الوجود مخيم
الى ربض قفر المسالك مظلم معدّ ليؤتى فيه كل محرم
بما تمّ من غاب ومن شجر جثل

فطارت به نفس الفتاة تروعا فراودها عن نفسها متضرعا
فعفّت فتاها فزادت تمنّعا فاقسم الا ان يموتا اذاً معا
طعيني حديد بين كفيه مستل

وبالغ في اغرائها متسماً لها بان فتاها من غد صار بعلها
ويرفعها شأناً ويكفل اهلها ويجعل في أسمى الصروح محلها
وينقذها من عيشة الاسر والذل

وكان يهمُّ الصبحُ ان يتطلعا وبفتضَّ ازرار السماء ليسطعا
ويرفع ثوب الليل عنه ليخلعا فلم يطو منه الذيلَ الا وقد وعى
دماً طاهراً اجراه أثم فتى نذلِ

دم كان سرًّا في البتول مقدسا فلما أراقته ابتذالاً تدنسا
أفي لحظة تغدو المصونة مومسا وتضحي عروس البغي اكليلها الاسى
ومرقدها فوق الحجارة والرملِ

فما الكوكب الدري زلَّ واعتما ولا الملك الهاوي الطريد من السما
باعجل من ليلى سقوطاً واعظما فلو رضيت بالموت بعلاً وانما
ارضى الردى بعلاً سوى امرأة اهلِ

* * *

مضت سنة تصفو الليالي وتعذب مراراً وليلى دائماً تتعذب
صبور على جمر الغضا تتقلبُ جفاها الاولى قدماً اليها تقربوا
وما لقيت منهم سوى الهجر والخذلِ

وكان جميلٌ كالنساء له حلى ويكدي جلابيب الحرير تبذلا
وتقرضه ليلى جنى خزيها ولا تضنُّ عليه خوف ان يتحوَّلا
و يفلت منها وهي في اشهر الحملِ

فيأخذ مال السحت والعيب رشوةً ويغدو كما لو كان يملك ثروةً
يشارك فيه والديها واخوةً تعولهمُ اكلاً ومأوىً وكسوةً
وتحرم ليلى لذة النوم والاكلِ

وكم مثل هذا سافلاً رقي الذرى وتاه على القوم الكرام تكبرا
ترزق يأتيه من حيث لا يرى كأنَّ له كنزاً خفياً عن الورى
هداه اليه ساحرٌ ضارب الرملِ

وظل جميل لا يفي دين وعده وليلى ثبوتٌ في صيانة عهده
وتهواه حتى في اساءة قصده وتحمل منه المطل خشية بعده
وتقبل منه ما يمرُّ وما يحلي

مصائبها برأنها من خطائها وحزنها من خبثها وريائها
عفا رثيها عنها لصدق ولائها واخلدها حرقاً بنار شقائها

وطهَّرها غسلاً بدمعها الجزلِ

فلما قضت من عدة الحمل اشهرا شكت المَا يستنفد الصبر منكرا
وكانت على المالوف تشرب مسكرا وتتعب حتى يطلع الفجر مسفرا
فتقضي بجسم خائر العزم معتلِ

فقالت لمن تهوى اراني ضئيلة فان تفنِ مالي يكن لي وسيلة
لاشفى والأ متُ حبلى عليلة فقرَّحها بالوعد افكاً وحيلة
وفرَّ فرار اللص من حاكم عدلِ

وطال عليها يومها في التوقعِ ومرَّ زمانٌ بعده في التوجع
تبيت على مهد الاسى والتفجع وتصبح في يأس اليم مصدعِ
وليس لها مشكٍ وليس لها مسلِ

ايهتك عرض البكر وهو مخاتلُ ويسرق ما تجنيه زلاء حاملُ
و يردي ابنه المسكين والعدل غافلُ فوا خجلتا زانٍ ولصٌ وقاتلُ
ويكرم بين الناس اكرام ذي فضلِ

***

وليل اشدُّ الداء ايسر خطبهِ بطي ، كأنَّ الموت فرجة كربهِ
تجنَّى على ليلى بانواع حربهِ ومدَّ لها شوكاً بانوار شهبه
واوردها الاسقام علاً الى نهلِ

اضاعت بهِ مما تقاسيه رشدها وعانت من الاوصاب فيه اشدَّها
يغالب آناً وجدها فيه حقدها ويغلب آناً حقدها فيه وجدها
وتصرخ من فرط التألم والأزلِ

«ايا ربِّ اني حاملٌ ثم مرضعُ وليس لقلبي من شقائي مفزعُ
ومالي من القوت الضروري مشبعُ واشعر ان ابني بجوفي موجعُ
فهل هو جانٍ ام يعذَّب من اجلي

لقد بعتُ كلَّ المقتنى ورهنتهُ وانفقت حتى خاتماً منه صنتهُ
هو العهد من ذاك الخؤون المؤتمنهُ ضننت به من حيث كنت ظننتهُ
لعودته فألاً فزال به فألي

ايا ربِّ قد يهفو الملاك تكبرا و يهفو وليٌّ ان سها حين كبرا

ويأتي وليد ان تبسم منكرا ولكن جنين لا يفوه ولا يرى
انجزبه في ذنبي وتلزمه جهلي

لتهنئك يا بنت النعيم سعادة كما شئتها تاتي وفيها زيادة
وتهنئك من بعل كريم عبادة ويهنئك حمل طاهر وولادة
وطفل ربيب المجد والسعد والفضل

تجف دماغي ما تفكرت انني على وشك وضع والشقاء يحفني
ولم أر حولي من معين ومحسن وكم أطلب الرزق المعنى فاتني
وقد ناء بي عن قصده ثقل الحمل

الا لم هذا الطفل يحيا ولا ابا له أليشقى شقوتي ويعذبا
كفى قلب احنى الوالدات تحوبا وحاشاه ان يأتي قريباً اذا أبى
حياة الاسى والجوع للولد الطفل

اتفنيك من مهد بقية اثاثي ويغنيك من شدو نواح تفجعي
وهل تتغذى من فؤادي المقطع وتشرب ماء من سواكب ادمعي
وهل ترتدي العار لستر ياخجلي

فيا ولدي المسكين فلذة مهجتي. ويا نسمة عوقبت فيها بنقمة
ومن كنت ارجوه لسعدي وبهجتي وكان يناجيه ضميري بمنيتي
وآمل ان يحيا ويرجع لي بعلي

تموت ولما تستهل مبشرا تموت ولم انظر محياك مسفرا
وتبرح قبراً فيه عذبت اشهرا الى جدث منه ابر واطهرا
وتحيا صغار الطير دونك والنحل

تموت وما سامت حتى تودعا وأمك تسقيك السموم انصرعا
وتنفيك من جوف به كنت مودعا لتكفيك عمراً لا يطاق بما وعى
من الحزن والالام والفقر والذل

فان تلق وجه الله في عالم السنى فقل ربي اغفر ذنب أمي محسنا
فما اقترفت شيئاً ولكن ابي جنى علينا فعاقبه بتعذيبه لنا
وامطره نيراناً تذيب ولا تبلي

كفرت بحبي في ذهول تفضني فمنوك يا ابني ما ابوك بمذنب

فقل رب امي اهلكتني لا ابي وامي زنت حتى جنت ماجنته بي
فزدها شقاء واجزها القتل بالقتل •

⁂

رأت شهب الظلماء مشهد ظلمها لدن اسقطت منها الجنين بسمها
فلم تتساقط مغضبات لحلمها واشرب نور الشمس من دم امها
كما يلغ الضاري الدماء ويستحلي

⁂

على ان ليلى بعد عام تصرما سلت في الملاهي امرها المتقدما
وعاش جميل ناعم البال مكرماً كأنهما لم يبتيحا محرما
وما عوقبت غير الطهارة والطفل

باب المراسلات

ايضاح عن حل رياضي

حضرة منشئ الهلال

اطلعت في العدد السادس لهذه السنة على ملاحظة لحضرة الفاضل الياس افندي جرجس بهنا على الفقرة المنشورة في الهلال الاول لتلك السنة بعنوان « حل رياضي » فشكرت حسن نيته واعجبني اهتمامه للوقوف على الحقيقة وعليها أجيب :

اني لم أتوصل من ذاتي للوقوف على هذا الضابط بل اقتبسته من فضلات القوم المتقدمين اذ عثرت عليه في بعض الكتب الروسية ولما رأيت اقتراح الخواجا ج . ل • اجبت عليه • وبعد مدة بينما كنت اقلب صفحات ذلك الكتاب في أوقات الفراغ وجدت ضابط ١٣ فندمت غاية الندم لاسراعي بارسال ضابط عدد واحد فقط مع ان الضابطين بنص واحد كما قال جناب الياس افندي انها تصدق على ١٣ فصرت ابحث لوحدي عن السبب الذي اعتمدعليه الرياضيون في وضع هذين الضابطين كما ذكرت الضوابط للاعداد

٢ و٣ و٤ و٥ و٦ و٨ و٩ و١٠ والسبب الداعي لوضع كلّ واحد منها في كتابي الجنة العقلية الجزء الثاني في الكسور الدارجة والتجارية المطبوع في بعبدا سنة ١٩٠٤ وذلك كله بغاية التفصيل والايضاح طبقاً لما تعلمته وعلمته وجنيته من المطالعة . اما كتاب الياس افندي فانه يشهد بعدم وقوفي عليه اومعرفتي به لانني لو كنت عرفته لكنت أضفت منه الى كتابي ماربما لم اقف عليه نظراً لطول باعه في هذا الفن مما يستدل من مضمون مرقاته . وبحوله تعالى بمداجتهاد الفكرة القاصرة وقفت على ذلك وصرت انتهز فرصة لانشره في هلالكم الزاهر حتى أخذت العدد السادس ورأيت ملاحظة الياس افندي وطلب ان اذكر الاساس الذي استندت عليه في الوصول الى ضابط العدد ٧ فرأيت من الواجب ان أجيب طلبه فانشر باختصار ما كنت اريده

واذ عرف جنابه مما مرّ انني مقتبس ولست بواضع للضابط المذكور فقد زال مابفكره انما اذكر الآن ما جادت به الذاكرة القاصرة من الاستناد لوضع الضابط ولا اعلم هل اصبت بذلك التعليل ام لا وها كم كيفية ذلك :

ابتدأت أولاً بقسمة العشرة على ٧ كما عملت عند ايجاد السند الداعي لوضع ضابط ٩ وقيدت الباقي من القسمة على حدة ثم المئة والالف وهكذا الى عشرات المليون الافرنجي الذي هو في الرتبة الثالثة فرايت الباقي أصبح يتكرر كل رتبة (ثلاث منازل) كالتي قبلها فسررت بغتة اذ تذكرت حدوث مثل هذا التكرار عند وجود الاساس الداعي لوضع ضابط ١١ لانهُ هناك تكرر كل رقم كالذي قبله بمنزلة وقلت اصبح المانع اذاً من قسمة العدد على ٧ كالمانع من قسمته على ١١ اي قيمة البواقي التي هي ارقام العدد بعد تكرار كل واحد بما بقي من منزلته وحيث تكرر بواقيها كما ذكر قبلاً وجب اسقاط الرتب بعضها من بعض كما في ضابط ١١ والنظر في الباقي الاخير اذا وجد حسب القاعدة

وهكذا ١٣ ابتدأت بالمئة الخ واذ قد حدث ما حدث في القسمة على ٧ عرفت مشابهة هذه الضوابط واهذا كثير في الحساب ولو اردت التطويل لضاق المقام عن استيعاب التفسير باجمعه وقد وعدت بالاختصار ما أمكن لعلمي ان في المجلة عدة ابواب وكل باب ليس لواحد من المشتركين

دوما (لبنان) ديمتري ماهلي

(الهلال) قد اقفلنا البحث في هذا الموضوع

المدارس والتعليم في مصر

نقلا عن تقرير اللورد كرومر (ترجمة المقطم)

كان تحت ادارة نظارة المعارف العمومية وتحت مراقبتها سنة ١٩٠٤ ما يزيد على ١٤٠,٠٠ تلميذ يقابلهم ٩٢,٠٠ في السنة التي قبلها و ٥٤,٠٠ سنة ١٩٠٢ و ٤٢,٠٠٠ سنة ١٩٠١ و ٣٧,٠٠٠ سنة ١٩٠٠ و ٩,٠٠ سنة ١٨٩٠ و ٥,٠٠٠ سنة ١٨٨٠

وقد استلزم هذا النمو ازدياد مصروف النظارة كثيرًا فجعل مصروفها ٢٠٣,٥٠٠ جنيه سنة ١٩٠٤ يقابله ١٤١,٧٠٩ جنيه سنة ١٨٩٤ و ١٢٥,١٧٩ جنيه سنة ١٨٨٤ وقد دفعت الحكومة منه ١٢٠,٥٠٠ جنيه والباقي وقدره ٨٣,٠٠٠ جنيه اخذ من ايراد اجرة التعليم وريع بعض العقارات وديوان الاوقاف . وقد قدر المصروف في السنة الحالية بمبلغ ٢٣٤,٨٠٠ جنيه اي بزيادة ٣١,٣٠٠ جنيه . وخص نحو ٨,٠٠٠ جنيه من هذه الزيادة بترقية التعليم في الكتاتيب و ٣,٥٠٠ جنيه بالتعليم الابتدائي و ٢٥٠٠ جنيه بالتعليم الثانوي و ١,٠٠٠ جنيه بتعليم المعلمين التعليم الصناعي و ١٠,٠٠٠ بترقية الرواتب في النظارة و ٥,٠٠٠ بامور اخرى

وبلغ عدد التلامذة في المدارس الابتدائية ٦,٤٩٤ عند نهاية السنة الماضية فزادوا ٥٤٥ منذ سنة ١٨٩٩ . ومما يستحق الذكر ان تلميذًا واحدًا فقط يتعلم مجانًا في المدارس الابتدائية ما عدا مدرستي عباس للصبيان والبنات فان بينهما وبين مصلحة السكة الحديد اتفاقًا خصوصيًا

اما ازدياد عدد التلامذة في المدارس الثانوية فاكثر بالنسبة اليه في المدارس الابتدائية فقد كان عددهم ٥٦٩ سنة ١٩٠٠ فصاروا الآن ١,٠٣٣ منهم تلميذ واحد يتعلم مجانًا . وقد ضاقت المدارس الثانوية بطلابها حتى اضطرت مدرستا القاهرة الى رفض ٣٥ تلميذًا هذا ولما كان عدد تلامذة المدارس الابتدائية عظيما فلابد من ان يزيد عدد طالبي الدخول الى المدارس الثانوية في السنوات المقبلة زيادة تذكر ولذلك يجب توسيع المدارس الثانوية والا توقف التعليم عن التقدم

هذا وقد ذكرت في تقاريري الماضية ما يبديه المسلمون من قلة الاهتمام بامر التعليم بالنسبة الى سائر الطوائف ويسرني الآن ان نسبة التلامذة المسلمين الذين نجحوا في

الامتحان الابتدائي والامتحان الثانوي كانت في السنة الماضية اعلى مما كانت عليهِ في السنين السابقة · فقد كان عدد الذين نالوا الشهادة الابتدائية ٨٩١ منهم ٥٨٤ من المسلمين و٣٠٢ من المسيحيين و ٥ من اليهود · وعليه كان ٦٦ في المئة منهم من المسلمين يقابلهم ٦٣ في المئة سنة ١٩٠٣ و ٦٠ في المئة سنة ١٩٠٢ وكان عدد الذين نالوا الشهادة الثانوية ١٣٦ منهم ٩٢ من المسلمين و ٤٠ من المسيحيين و ٣ من اليهود · وعليه كان ٦٨ في المئة منهم من المسلمين يقابلهم ٦٤ في المئة سنة ١٩٠٣ و٦٢ في المئة سنة ١٩٠٢ · على انهُ لما كان المسلمون ٩٣ في المئة من سكان القطر كلهم فلابدَّ لهم من جدّ كثير حتى يدركوا منزلتهم في منازل العلم والتهذيب

المدارس الخصوصية

كان عدد الذين درسوا في المدارس الاميرية وتقدموا لامتحان الشهادة الابتدائية ١٫٤٨٧ تلميذًا وعدد الذين درسوا في المدارس الخصوصية او في منازلهم ١٫٤٧٨ · وبلغ عدد المدارس الخصوصية التي تقدم منها تلامذة للامتحان في السنة الماضية ٩٣ يقابلهُ ٩٤ في السنة التي قبلها و٨٦ سنة ١٩٠٢ و٧٠ سنة ١٩٠١ و٥٣ سنة ١٩٠٠ و ٤٣ سنة ١٨٩٩ و٣٠ سنة ١٨٩٨ و١٢ سنة ١٨٩٣ · ثم ان ٤٤ من هذه المدارس تحت ادارة المسلمين و ٢٧ تحت ادارة الاقباط و ٢٠ تحت ادارة المرسلين او تحت ادارة اليهود

على ان عدم ازدياد المدارس الخصوصية التي يتقدم منها تلامذة لهذا الامتحان ليس مما يستحق الاسف لان ازدياد المدارس الابتدائية التي تنشأ على النسق الاوروبي وتقلد نظام المدارس الاميرية ازدياد سريع يدلُّ على عوج في منهاج التعليم

فان النظام الذي وضع للمدارس الاميرية قبل عهد الاحتلال البريطاني بزمان طويل وضع على ان يكون معظم تعليم التلامذة المصريين تعليماً اوروبياً فلم يكن نظاماً مطابقاً لما تحتاج اليهِ الامة في امر التعليم والتهذيب ولا يمكن اعتبارهُ وافياً بحاجاتها من هذا القبيل ولا يصح ان يكون هو النمط الذي يجري التعليم عليهِ الى ما شاء الله · اما التعليم الثانوي وتعليم فروع اخرى من فروع التعليم الاوروبي فمسلم انهُ لاغنى عن الزيادة في تدبير ما يلزم لسدّ مقتضياتهما · واما التعليم الابتدائي فلاشك في ان الاربع والثلثين مدرسة الابتدائية (١٣ في القاهرة و٢١ في بنادر الاقاليم) كافية لسد كل ماتحتاج اليهِ البلاد خصوصاً وعموماً من هذه الدرجة من درجات التعليم الاوروبي · بل لو فرضنا ان هذه المدارس الخصوصية المتزايدة توفي التعليم المقصود منها حقهُ لما كانت الزيادة في عددها زيادة ربح للتعليم

والتهذيب لان زيادتها تحول كثيراً من الجد والهمة عن المواضع التي يكون بذلها فيها خيراً وانفع · ولكن اكثرها ضعيف قاصر عن ان يوفي التعليم حقهُ كما هو مشهور عنها ومما لابد ان يكون في مثل الاحوال التي هي فيها لعدم وجود المعلمين الصالحين للتعليم فيها · فانهُ لما كثر الطلب على المعلمين الوطنيين لتعليم اللغة الانكليزية اضطرت نظارة المعارف ان تستخدم معلمين غير مدربين على التعليم للتعليم في مدارسها الابتدائية وذلك مع وجود مدارس المعلمين لديها لتستمد المعلمين منها لمدارسها فكيف يؤمل ان المدارس الخصوصية المنظمة على هذا النمط تجد الآن او بعد برهة من الزمان المعلمين الصالحين للتعليم فيها اذا تكاثر عددها وهي ليس لديها مدارس لتعليم المعلمين كنظارة المعارف · فلذلك يكون الصواب ان الجهد الذي يبذله الافراد في سبيل التعليم يحوَّل الى سبل يأتي فيها بفائدة اعظم ومنفعة اتم وان يترك امر المدارس التي تعلم فيها لغة اوربية للحكومة حتى تهتمَّ هي بها

والبلاد تحتاج الآن الى ثلاث طرق للتعليم عدا طريقة التعليم في المدارس الاميرية على النمط الاوربي (وهذه الاخيرة لا تكفي لغير النذر اليسير من الاهالي)

وتلك الطرق الثلاث هي اولاً انشاء كتّاب في كل قرية من القرى وفي كل حيّ من احياء المدن

وثانياً انشاء مدرسة عربية اعلى من الكتاب درجة في كل مدينة من اكبر مدن الاقاليم

وثالثاً الجمع بين هذه المدارس وبين اعمال الزراعة والصناعة بتنظيم ما يسهّل على التلامذة التمرن على تلك الاعمال وبانشاء مدارس صناعية

فهذه هي الطرق التي يحسن ان يحوَّل سعي اهل السعي اليها لان سعيهم فيها يأتي بالنفع المطلوب لا في تكثير المدارس المنظمة على النمط الاوربي · والحكومة مستعدة ان تقرن سعيها بسعيهم وشعورها بشعورهم في الاهتمام بهذه الطرق وتدبير ما يلزم تدبيرهُ لها حتى تقضي حاجات الامة بها · على ان النجاح في هذا السبيل يتوقف على مقدار اهتمام الاهالي به وعلى مقدار الاعانة المالية التي يتبرعون بها لهُ · لانه لا يسع الحكومة — بل لا يحسن بها — ان تقوم بهذه المهمة وحدها اذ لو فعلت ذلك للزمها ان تزيد عدد مستخدميها زيادة عظيمة جداً وتتقدم رواتب غير كافية رغماً عنها وكفى بذلك اعتراضاً على قيامها بهذه المهمة وحدها فكيف اذا اضيفت اليه الاعتراضات الاخرى المالية ايضاً

الكتاتيب

من اهمّ المسائل في مصر مسألة التعليم الابتدائي · فان نجاح المشروعات المختلفة التي

يقصد بها اصلاح حال الفلاحين يتوقف كثيراً على انتشار التعليم في القطر حتى يتمكن الاهالي من العلم بامور أُخرى غير ماعلموهُ بالتقليد · وعليه فان انشاء البنوك الزراعية والجمعيات الزراعية واصلاح حال الزراعة والمشروعات الموضوعة لاصلاح الاحوال الصحية في الارياف وغيرها من المشروعات — كل ذلك لايعود على اهالي الارياف بالفوائد الجليلة التي تنتظر منهُ مالم يختمر الخميرة التعليم الابتدائي

ولا ينكر ان التعليم الابتدائي تقدم تقدماً يذكر في السنين الاخيرة · فان في القطر الآن ٩٤ كتاباً تحت ادارة نظارة المعارف يتعلم فيها ٤،٣١٨ صبياً و ١،٣٥٣ بنتاً التعليم الابتدائي باللغة العربية (١) · والاصلاح الوحيد الذي تحتاج اليه بناء امكنة ملائمة للتدريس فان بعض الكتاتيب في حالة سيئة بسبب الازدحام · والامل ان هذه الحاجة تسدُّ تدريجاً

وفي القطر ايضاً كتاتيب خصوصية تحت مراقبة نظارة المعارف و بعضها ياخذ اعانات من الحكومة · وكان عددها ٣٠١ سنة ١٨٩٨ فزاد حتى بلغ ٣،٦٩٨ سنة ١٩٠٤ وكانت الاعانات التي دفعتها الحكومة ٥٠٠ جنيه سنة ١٨٩٨ وزعتها على ١١٠ كتاتيب فبلغت ٩،٥٠٠ سنة ١٩٠٤ وزعت على ١،٩٤٤ كتاباً · وزاد عدد التلامذة في تلك المدة من ٧،٥٣٦ (منهم ٦،٩٣٨ صبياً و٥٩٨ بنتاً) الى ١٢٤،٤٨٦ (منهم ١١٥،٨٧١ صبياً و٨،٦١٥ بنتاً) · و ينتظر ان يزيد ٨٠٠ كتاب من الكتاتيب التي تحت المراقبة هذه السنة وقد افرد مبلغ جديد قدره ٤،٠٠٠ ج · ليوزع اعانات · وسيزاد عدد المفتشين

على ان الامر ليس على تمام المرام بخلاف ما يتبادر الى الذهن من قراءة ما تقدم · فقد ظهر من التفتيش السنوي الاخير للكتاتيب الخصوصية ان نحو ٨١،٠٠٠ تلميذ من مجموع التلامذة كلهم وقدره نحو ١٢٤،٠٠٠ كما ذكر آنفاً لم يتعلموا الكتابة و ٧٠،٠٠٠ لم يتعلموا الحساب و ٥٤،٠٠٠ لم يتعلموا شيئاً من القراءة · وقد اصاب المستر دنلوب الذي خدم التعليم في مصر خدمة جليلة وخصوصاً في ما نحن بصدده حيث قال « ان آفة الكتاتيب الاصلية لم تزل عن هذه الكتاتيب

ولا تزال المشقات في هذا السبيل عظيمة لقد كان تاثير الكتاتيب الى يومنا هذا تحويل اولاد الفقراء عن مساعدة والديهم في الزراعة وغيرها من اعمال الفلاحة الى الكسل

---

(١) لا تستصوب الحكومة تعليم لغة اوربية في هذه الكتاتيب ولا تعطي اعانة للكتاتيب الخصوصية التي تعلم فيها لغة غير العربية . وانما ذكرت هذا لان بعضهم حاول تعليم الانكليزية فيها

والبطالة فالشحاذة . لان الاولاد يقبلون على الكتاتيب افواجاً لا ليتعلموا ما يفيدهم في مستقبلهم بل ليحفظوا القرآن غيباً و يصيروا فقهاء فيعفوا من العسكرية (١) . والفقيه في مصر لا يختلف عن الشحاذ الاّ اذا كان يعلم القراءة في كتاب من الكتاتيب (٢) او يجوّد القرآن في المآتم والافراح (٣) فقد ظهر من احصاء سنة ١٨٩٧ انه كان في الوجه البحري ٧٠٠و١٠٧ رجل من ارباب الحرف والمهن المختلفة مثل النجارين والحدادين والخياطين والسكافين وغيرهم . واما عدد الفقهاء الذين معظمهم شحاذون فكان ١٠٠و٠٠٠ والمساعي مبذولة لمداواة هذا الداء بتعيين الدروس التي يجب تدريسها في كتاتيب الاعانة وتقليل رغبة الاولاد الذين يزيد سنهم عن ١١ او ١٢ سنة في حضور الكتاتيب . والغرض من ذلك تحويل الكتاتيب الى مدارس ابتدائية مفيدة واجرة التعليم فيها رخيصة فيعلّم فيها شيء مما يختص بالدين مع ما يلزم التلميذ من العلوم الاخرى للعناية بأمر نفسه في معيشته . فاذا أُريد ان تبقى الكتاتيب نافعة لاولاد الفقراء وان تكون وافية بحاجاتهم في معيشتهم وجب ان لا يلتفت الى كل توسع فيها وتغيير في غايتها . ومما يستصوب كثيراً ان تؤيد المساعي المبذولة لاصلاح التعليم الديني في الكتاتيب وتنشيطه ولكن يجب ان يعلم الجميع ان الحكومة تعطي الاعانة لهذه الكتاتيب لا لزيادة عدد الفقهاء الجهلاء بل لتحويل الكتاتيب كلها او بعضها الى مدارس نافعة تسعى الى الغاية المشار اليها آنفاً . ولعلي لا اغضب احداً اذا قلت ان جمهور المصريين يعدون مشروع الاعانات امراً خيرياً يقصد به الاحسان الى فقرائهم لا امراً تهذيبياً يعود على القطر بالفوائد الجمة

—

(١) اقترح بعضهم ان لا يعفى الفقهاء من العسكرية الا اذا بلغوا درجة معلومة من العلوم وهو اقتراح جدير بالنظر والاعتبار ولا بد من مشاورة الائمة والعلماء في ذلك قبل اخراجه من القوة الى الفعل

(٢) عدد الفقهاء الذين يعلمون في الكتاتيب اقل من ١٠ في المئة من مجموع الفقهاء كلهم

(٣) اخبرت ان الاسلام ينهى عن اكتساب المعيشة بتجويد القرآن في المآتم والافراح . وقد عرض المفتي حديثاً تقريراً على مجلس شورى القوانين وافق المجلس عليه وجاء فيه ان حفظ القرآن مما تنبغي العناية به « اذا كان القصد منه الانتفاع به في الدين وحسن المعاملة ونظام المعيشة الصالحة لا ان يتخذ حرفة لنيل اخس ايش او اغاني يتغنى بها في الافراح والمآتم فان ذلك من انكر المنكرات الشرعية ولا يجوز لاحد ان يساعد على السعي اليه »

المكتبة الخديوية

وقال اللورد كرومر بشأن هذه المكتبة النفيسة :

اظن اني لم اشر في تقاريري الماضية الى المكتبة الخديوية التي يديرها الدكتور مورتز بهمة فائقة . فاذكرها الآن بعبارات وجيزة

مكان هذه المكتبة الآن بديع في بناء متحف الآثار العربية وهي مفتوحة للجمهور مجاناً وفيها غرف لعرض كتب الخط المهمة وغرف للقراءة وقسم لاعارة الكتب . وبلغ عدد كتبها ٥٦٫٣٣٠ في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٤ منها ٢٣٫٩٣٩ في الدائرة الاوربية و ٣٢٫٣٩١ في الدائرة الشرقية

وفي الدائرة الاوربية كتب بجميع اللغات الاوربية تقريباً منها ٣٫٠٠٠ كتاب او اكثر تبحث في علم الآثار المصرية القديمة

وفي الدائرة الشرقية كتب طبع وخط بالعربية والفارسية والحبشية والعبرانية وفي العربي منها مجموعة قراآت فريدة في بابها تشتمل على ٢٫٦٧٧ مجلداً . واهم ما في القسم الفارسي مجموعة ثمينة من كتب خط مزينة بالرسوم ومعظمها مأخوذ من مكتبة المرحوم مصطفى فاضل باشا

وقد بلغ عدد الكتب التي أُعيرت للقراءة في غرفة القراءة من ٥ مارس الماضي وهو يوم افتتاح المكتبة في محلها الجديد الى آخر السنة ٢٫١٩٤ كتاباً في الدائرة الافرنجية و ١٢٫٧٩٠ في الدائرة الشرقية . ودخل غرفة القراءة في تلك المدة نفسها ٣٫٣٣١ نفساً يقابلهم ٢٫٥٨٢ سنة ١٩٠٣ . وكان عدد الزائرين يختلف بين ٣٠ و ١٠٠ يومياً . وأُعير ٩٢٦ كتاباً خارج المكتبة طول السنة

ويزور غرف المعرض سنوياً نحو الفي نفس

وهناك مجموعة نقود فيها ٣٫٥٢٨ قطعة وما يختص منها بالخلفاء والدول المصرية من اوسع ما في العالم

هذا ولا تنحصر قيمة هذه المكتبة في فوائدها العلمية والتاريخية بل يؤمل ان يكون لها يد قوية في النهضة العقلية التي ذكرها يعقوب ارتين باشا منذ اعوام وكان له اليد الطولى في تقويتها وادارة حركتها

باب الأخبار العلمية

﴿ معالجة الحميات بالتبريد ﴾ يستعين الاطباء عادة في تخفيض درجة الحرارة في الحميات فضلاً عن الكينا ونحوها من العقاقير الخافضة للحرارة بحمامات من الماء البارد ونحوه على انهم قلما يستطيعون حفظ الموازنة في التبريد على هذه الصورة . فارتأى الدكتور ليدوك لخفض الحرارة رأياً جديداً يستحق الاعتبار وذلك انه اشار بتبريد الدم وهو في القلب بأن يوضع على جانب القلب من الصدر كيسٌ من الكاوتشوك مملوء بالثلج يجعل بينه و بين الجلد قطعة من الفلانلا فتنخفض حرارة الدم وهو في القلب ولا ينزعج المريض من برودة الثلج وتنخفض حرارة الجسم عند انتشار الدم في الانسجة وقد جرب هذه الطريقة فأتت بالغرض المطلوب

﴿ ذرات الغبار ﴾ عني احد كبار العلماء في درس احوال الغبار واشكال ذراته فوجده ملازماً للهواء حتى في اواسط البحور العظمى على بعد الوف من الاميال عن البر ووجد بالفحص المكروسكوبي ان بعض ذرات الغبار كروية الشكل وبعضها مثلثة او مربعة او اهليلجية او متشععة او غير ذلك من الاشكال الهندسية ومنها ترابي ومنها معدني او نيزكي او غير ذلك مع اختلافها حجماً ووزناً ولوناً .

﴿ المعالجة بالتنويم المغنطيسي ﴾ ذكرنا في غير هذا المكان ان بعض الاطباء يرون للارادة علاقة كبرى باحوال البدن من حيث القوة والضعف والصحة والمرض وقد بحث الدكتور هولندر الانكليزي في تأثير التنويم المغنطيسي في شفاء الامراض على هذا المبدأ بان يجعل الطبيب المنوّم همّه استهواء المريض بالتنويم واقناعه بما يريده من تحويل حاله ولا يكون ذلك في الامراض العضوية وانما يغلب تاثيره في الامراض العصبية وفي جملتها الشلل بانواعه . فقد ذكر الدكتور المشار اليه شفاء مريضة مرّ عليها زمن طويل وهي مُقعدة لا تستطيع تحريك يديها ولا رجليها ولا تشعر بهما فنوّمها واستهواها واقنعها انها قادرة على المشي والعمل - كرر ذلك غير مرة فشفيت شفاء تاماً كأنها لم يكن بها بأس

﴿ الوقاية من الزكام ﴾ معلوم ان سبب الزكام او الانفلونزا او الرشح البرد لانهُ يعدُّ الجسم لقبول ميكروب الزكام · وقد اجرى بعضهم تجارب عديدة في الارانب وغيرها للبحث عما يقي من الزكام فوجد البرد احسن واقٍ منه بمعنى ان العود على تبريد سطح الجسد بالحمامات الباردة او نحوها يهيئ الجسم لدفع تاثير ذلك الميكروب

﴿ السنُّ والاعمال العقلية ﴾ للاطباء ابحاث كثيرة في علاقة السن بقوة العقل فمنهم من يقول ان الانسان يكونُ اقدر على الاعمال العقلية في سنّ الاربعين مما في سواه و يقول آخرون بل في سن الخمسين او الستين او الثلاثين وكل منهم ياتي بالشواهد المؤيدة لرأيه مما ذكره التاريخ من اعمال الرجال العظام · والنتيجة الصحيحة التي توصلوا اليها في هذا الشان ان الشيخوخة انما تدرك الانسان عن طريق الدورة الدموية فتسرع اوتبطئ · تبعاً لنوع معيشته وتاثيرها على شرايينه وقلبه فمن لوازم الصحة ان تكون جدران الشرايين مرنة والقلب صحيحاً ليقوى على دفع الدم وايصاله الى الاعضاء بنظام و بكميات كافية · فالشرايين تتصلب عادة بالشيخوخة الحقيقية فتضيق مجاريها وتضعف وتقصر عن ايصال المقدار اللازم من الدم لوظائف الاعضاء وفي جملتها الدماغ مركز الاعمال العقلية · على ان بعض الناس يستعجل الشيخوخة الى جسمه بتعجيل تصلب الشرايين · واكبر الاسباب المؤدية الى تصلبها (١) الادمان على المسكرات (٢) الاكثار من الماكولات المغذية (٣) الاجهاد العضلي المتواصل وتحميل الجهاز الدموي فوق طاقته (٤) امراض الكلى · فالذي يصاب بتصلب الشرايين يعدُّ شيخاً ولو كان في سن الثلاثين و يعجز عن الاعمال العقلية لتقصير الدورة الدموية عن ايصال الدم اللازم الى الدماغ · واذا بلغ الرجل سن السبعين ولم يصب بهذا الداء فانه قادر على العمل العقلي بسهولة

﴿ تلقيح التربة ﴾ من اهم الاكتشافات الزراعية انهم وجدوا صحة السماد للارض يتوقف على الميكروب وتختلف درجة الخصب باختلاف نوعه وقد استنبتوا الميكروب النافع واعدُّوا منه انابيب يبيعونها كما تباع انابيب لقاح الجدري وانشأوا لها معامل في المانيا واميركا

﴿ الزواج في انكلترا ﴾ يهتم الانكليز الآن في مسألة من اهم مسائلهم الداخلية وذلك انهم وجدوا الزواج يتناقص في السنين الاخيرة عما كان عليه من قبل وهم يشتغلون بالافانه

﴿ ديون الدول ونفقاتها ﴾ ان دول الارض مستغرقة في الدين وتعدُّ ديونها بمئات

الملايين من الجنيهات واليك ديون اشهر الدول مرتبة باعتبار مقاديرها :

ديون فرنسا	١,١٧٢,٣٦٠,٠٠٠ جنيه	ديون اسبانيا	٣٨٧,٠٠٠,٠٠٠ جنيه
« روسيا	٦٥٦,٥٧٤,٠٠٠ «	« ارجنتين	١٨٣,٥٧٥,٠٠٠ «
« انكلترا	٦٣٨,٩١٩,٠٠٠ «	« البورتغال	١٧٧,١٩٢,٠٠٠ «
« النمسا	٥٩٠,٩٤٤,٠٠٠ «	« تركيا	١٧٠,٠٠٠,٠٠٠ «
« ايطاليا	٥١٠,٥٠١,٠٠٠ «	« المانيا	١٤٣,٧٩٩,٠٠٠ «

واذا اعتبرت هذه الديون بالنظر الى ثروة المملكة رأيت المانيا اخف ديناً من الجميع و يتضح لك حال كل دولة من هذا القبيل ايضاً اذا عرفت مقدار نفقات الدول العظمى فانها تدخل في ذلك وهي

نفقات روسيا	٢٩١,٠٠٠,٠٠٠ جنيه	نفقات المانيا	١١٥,١٣٢,٠٠٠ جنيه
« انكلترا	١٧٩,٧٥٠,٠٠٠ «	« النمسا	١١١,٢٠٣,٠٠٠ «
« فرنسا	١٤٢,٦٠٩,٠٠٠ «	« ايطاليا	٦٩,٨٦١,٠٠٠ «
«الولايات المتحدة	١٢٩,٥٠٠,٠٠٠ «		

ارباح المؤلفين المؤلف اذا راجت كتبهُ كثرت ارباحه وخصوصاً في اوربا واميركا لكثرة القراء ورواج سوق المطبوعات عندهم ولاسيما الروايات والشعر ونحوهما من المواضيع الخفيفة التي يقبل العامة عليها . فالسير ولتر سكوت الشاعر الانكليزي اكتسب من مؤلفاته ٨٠,٠٠٠ جنيه . وولكي كولنس قبض ثمن رواية واحدة من رواياته ٣,٠٠٠ جنيه واكتسبت جورج اليوت من رواية واحدة اسمها روموليا ٧,٠٠٠ جنيه وللورد روبرتس الانكليزي الشهير كتابٌ موضوعهُ « احدى واربعون سنة من حياة جندي » ساوموه على بيعه بعشرة آلاف جنيه فلم يقبل . وقد باع المستر مورلي الانكليزي كتابه في « حياة غلادستون » بعشرة آلاف جنيه وكذلك ستانلي الرحالة فقد باع رحلته الى افريقيا بنحو هذه القيمة . وباعت ماري كورلي روايتها « زسكا » بالف جنيه . واكتسب المستر هال كاين من حقوقه بطبع رواية الكرستشن وتمثيلها ١٠٠,٠٠٠ جنيه وقس على ذلك

اشعة (ن) ومستقبل العلم ذكرنا غير مرة انهم اكتشفوا اشعة يبعثها الانسان عن بدنه من نتائج العمل العضلي او الدماغي . وقد اخذ العلماء في درس خصائص هذه الاشعة وهم يتوقعون ان يعللوا بها كثيرًا من الغوامض الطبيعية التي لايزال العلم عاجزًا

عن تعليلها كقراءة الافكار والشعور عن بعدٍ بمصاب الاهل والاصدقاء مما يتحدث به الناس في مجالسهم ويعدهُ العلماء من قبيل الاوهام

❊ اصل بيت روتشيلد ❊ مؤسس هذا البيت رجل يهودي اسمهُ امشل روتشيلد كان يسكن في حارة اليهود بمدينة فرنكفورت ماين وكان من الذكاء والمهارة في اسباب الكسب على جانب عظيم · وكان يتعاطى تجارة التحف الغريبة في دكان جعل على بابها ترساً احمر تعرف بهِ · فلما اتسعت تجارته اشتغل بالربا ونحوه فمات عن ثروة قليلة وخلف عشرة اولاد خمسة ذكور وخمس اناث · ولما دنا اجله اوصاهم ست وصايا وهي :

(١) تمسكوا بشريعة موسى (٢) اتحدوا الى آخر العمر (٣) شاوروا والدتكم (٤) اجعلوا ثروتكم مشتركة في العائلة (٥) تزاوجوا فيما بينكم ٦) اطيعوا اكبركم سناً · فعملوا بهذه الوصايا وخصوصاً من حيث بقاء الثروة مشتركة · فهم الى الآن يعملون معاً وليس لاحد منهم ثروة خصوصية ولكن يقال ان شبان هذه العائلة اليوم وهم احفاد امشل روتشيلد المذكور قد انغمسوا في الترف واشتغلوا عن حفظ ثروتهم ولذلك اصبح الناس يخافون زوال مجد هذه العائلة

❊ رواتب رؤساء الحكومات في العالم ❊ اذا تدبرنا رواتب رؤساء الحكومات رأينا ها لا تتناسب دائماً مع ثروة المملكة بل هي تختلف باختلاف نوع الحكومة · فالملك المقيد راتبه أكثر من راتب رئيس الجمهورية والملك المطلق اكثر راتباً من الملك المقيد وقس على ذلك واليك رواتب ملوك العالم ورؤساء الجمهوريات مرتبة بالاكثرية

اسم الملك او الرئيس	مقدار الراتب السنوي	
قيصر الروس	٣,٣٠٥,٠٠٠	جنيه
جلالة السلطان	٧٩٤,٢٩٥	»
امبراطور المانيا	٦٠٠,٠٠٠	»
ملك انكلترا	٤٧٠,٠٠٠	»
امبراطور النمسا	٣٨٢,٢٠٢	»
ملك اسبانيا	٣٣٨,٠٠٠	»
امبراطور اليابان	٣٠٠,٠٠٠	»
خديوي مصر	٢٥٥,٣٦١	»
امبراطور الصين	٢٢٥,٠٠٠	»
ملك ايطاليا	١٥٧,٠٠٠	»

ملك البلجيك	١٣٢,٠٠٠	جنيه
ملك هولندا	٦٦,٦٦٦	»
ملك الدنمارك	٦٠,١٦٠	»
ملك اليونان	٥٣,٠٠٠	»
ملك السرب	٤٨,٠٠٠	»
ملك اسوج ونروج	١٨,٧٨٥	»
ملك الجبل الاسود	٨,٠٠٠	»
رئيس جمهورية فرنسا	٢٤,٠٠٠	»
» » اميركا	١٠,٠٠٠	»
» » اوروكواي	٧,٥١٣	»
» » شيلي	٣,٦٠٠	»
» » سلفادور	٣,٠٠٠	»

ويقال نحو ذلك في رواتب الوزراء ومن يجري مجراهم فالوزير الفرنساوي راتبه ٢,٤٠٠ جنيه في السنة والوزير الاسباني ١,٢٠٠ جنيه والالماني ٨,٢٠٠ جنيه والارجنتيني ٣,٤٠٠ جنيه والشيلي ١,٢٠٠ جنيه والانكليزي ٥,٠٠٠ جنيه والبلجيكي ٨٤٠ جنيهاً والوزير المصري راتبه ٣,٠٠٠ جنيه

(خسائر الحرب الروسية اليابانية) وضع بعضهم احصاءً لما خسرته كل من الدولتين المتحاربتين في اثناء العام الاول من حربها الى سقوط مكدن فبلغت خسائر الروس ٣٢٠,٠٠٠ نفس وخسائر اليابان ١٥٠,٠٠٠ بين قتيل وجريح . واليك تفصيل خسائر اشهر المعارك مع ذكر عدد الجنود المتحاربة في كل معركة :

مكان المعركة	عدد جند الروس فيها	خسارتهم	عدد جند اليابان	خسارتهم
يالو	١٦,٠٠٠	٣,٠٠٠	٤٠,٠٠٠	١,٠٠٠
لياويانغ	١٥٠,٠٠٠	٢٥,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	١٧,٥٠٠
شاهو	٢٥٠,٠٠٠	٦٠,٠٠٠	٢٣٠,٠٠٠	١٥,٩٠٠
مكدن	٣٥٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	٤٠٠,٠٠٠	٤١,٢٢٢
بور ارثور	٤٠,٠٠٠	٢١,٠٠٠	١٥٠,٠٠٠	٦٠,٠٠٠

هذا غير الخسائر في المعارك الصغرى وغير الخسائر المالية

مطبوعات جديدة

(مجلة سركيس) هي مجلة ادبية فكاهية لمنشئها سليم افندي سركيس الصحافي المتفنن الذي يغني اسمه عن تعريفه وهي اول مجلة عربية سميت باسم صاحبها ولا بد ان يجري الادباء في المستقبل على هذه الطريقة في التسمية فيكون لسركيس افندي حق السبق في ذلك مثل سبقه في كثير من ضروب الصحافة العربية بما خصّ به من حدة الذهن وقوة الاستنباط وحسن الاختيار وخصوصاً بعد ان خدم القلم (او استخدمه) زهاء عشرين سنة في القارات الاربع قضى الخمس الاخيرة منها في العالم الجديد يشتغل بالصحافة العربية والافرنجية فاطلع على ما بلغت اليه عندهم من أساليب التفنن وما أدركته من اسباب الارتقاء فازداد خبرة وعلماً فعاد بعد هذا الدرس الطويل وأنشأ مجلته التي نحن في صددها ووضعها على أسلوب جديد لم يسبقه اليه احد من كتاب العرب . فجعل مواضيعها مبتكرة لم تطرقها المجلات الاخرى واكثرها لا يمكن العثور عليه في الكتب او الصحف . فاودعها من الادب والفكاهة ما . يبهج ولا يزعج . بلغة سهلة خفيفة يطالعها القارىء براحة ولذة لغرابة اسلوبها وخفة روحها لانه تفنن في كل شيء منها حتى حجمها فجعلهُ مستطيلاً على شكل خاص وتفنن في تبويبها وتقسيمها وفي الاعلان عنها فاصدرلها منشوراً على مثالها جمع فيه خلاصة آراء كتاب العصر في مستقبل هذه المجلة من كتب خصوصية أجابوه بها على اسئلة القاها عليهم في هذا الشأن وشرح فيه موضوع المجلة . ثم احتفل بتدشين ادارتها وافتتاح مكتب الترجمة والنسخ بكيفية تخالف الطرق المألوفة عند الافرنج في هذا الشأن . فبدلا من ان يبدأ الاحتفال بفتح قنينة شمبانيا اطلق حمامة بيضاء من قفص وهي طريقة اليابانيين في التدشين وقس على ذلك سائر أساليب التفنن . ويصدر العدد الاول من مجلة سركيس يوم صدور هذا الهلال ثم يتوالى صدورها مرتين في الشهر وبدل اشتراكها ستون قرشاً في القطر المصري وعشرون فرنكاً في الخارج فنحث الادباء على مطالعتها ونرجو لها الرواج لانها جاءت حين الحاجة اليها وملأت فراغاً اعدَّته لها هذه النهضة في الصحافة العربية

(تذكار المهاجر) هو ديوان من الشعر العصري لرصيفنا قيصر افندي ابراهيم معلوف صاحب جريدة البرازيل ومحررها جمع فيه ما نظمه في أثناء هجرته هناك من قصائد الوصف على انواعه . وقد صدر الجزء الاول من هذا الديوان في ١٧٤ صفحة وفي

صدره مقدمة ضافية في الشعر وأساليبه وأحواله يليها قصائد رائعة منها قصيدة طويلة وصف بها مهجره اهله وضمنها ما لاقاه في طريقه الى المهجر من المدن والمشاهد والاحوال. وقصائد أخرى في مواضيع ادبية او عمرانية منها قصيدة في الفرق بين البنت البدوية والحضرية وأخرى في حديث بين ارملتين وصحافي وأخرى في وصف القمر بحكاية غرامية وكثير من قصائد التهنئة والتعزية وغيرهما على الاسلوب العصري الجديد. وفيه كثيرٌ من المعاني المبتكرة مع رقة وسهولة تدلان على ذكاء حضرة الناظم وسرعة خاطره. والكتاب يطلب من مطبعة المناظر في سانباولو بالبرازيل

(ديوان ابن نباتة) هو جمال الدين ابن نباتة المصري المتوفى سنة ٧٦٨ هـ وقد اشتهر برقة نظمه وعذوبة معانيه حتى جرى كثير من ابياته مجرى الامثال وتغنى ببعضها المغنون وله ديوان كبير جمع كثيراً من فنون الشعر طبع منه قسم صغير في الاسكندرية من زمن بعيد فاشتاق الناس الى الاطلاع على سائره فاخذت الاريحية حضرة الشيخ محمد القلقيلي للاقدام على نشره من نسخة خطية في المكتبة الخديوية ثم تهيب من كبر الديوان وما يقتضيه من النفقة. فاخذ رصيفنا ابراهيم رمزي بك صاحب مطبعة التمدن بيده لاخراج هذا الاثر الى عالم المطبوعات فاستحق الشكر على ذلك والديوان يدخل في نيف وستماية صفحة كبيرة ويطلب من حضرة الناشر ومن مطبعة التمدن وثمن النسخة عشرون قرشاً غير اجرة البريد

(قانون الرسائل) هو كتاب في الادب لتاج الرئاسة ابي القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفي من رؤساء الكتاب في عهد الدولة الفاطمية عني بنشره والتعليق عليه حضرة علي افندي بهجت وكيل دار الآثار العربية بالقاهرة نقلاً عن نسخة خطية بمكتبة كمبردج كتبت سنة ٥٩٧ هـ وفي الكتاب مقالات بليغة في وصف موكب الخليفة وركوبه في ايام الاعياد ونسخ سجلات رسمية لذلك العهد وخطب وأقوال فيها كثير من الفوائد الانشائية والادبية. والكتاب يطلب من حضرة الناشر فنحث الادباء على اقتنائه

(فتاة الغاب) هي رواية غرامية ادبية لمؤلفها يوسف افندي شديد ابي اللمع نزيل نيويورك وضعها على اسلوب مشوق بعبارة سهلة وضمنها كثيراً من احوال الاكليروس اللبناني وبالغ في اظهار مساوئهم وعلاقتهم بالاهالي وتوسطهم في شؤونهم واستئثارهم باوقاف الكنائس وفيه تفصيل كثير كأن الرواية وضعت لهذا الغرض التماساً للاصلاح بالانتقاد ولا ننكر صدق بعض اقواله على بعض رجال الاكليروس ولكنه شدد اللهجة

في انتقاده. واطلقه على الكل وهو ظلمٌ على ان الانتقاد لا يخلو من الفائدة — والرواية تطلب من ادارة الهدى في نيويورك

❊ فتاة المنيا ❊ هي رواية ادبية تاريخية عصرية غرامية تاليف حضرة محمد افندي صادق العنتبلي بالمنيا حوادثها جرت في تلك المدينة وفيها عبرة لمن يزوّج ابنته بمن يريده هو وان كرهته الفتاة. والكتاب يطلب من حضرة المؤلف وثمن النسخة عشرة قروش واجرة البريد قرش

(الدروس الابتدائية في المبادىء الجغرافية) هو كتاب مدرسي في الجغرافيا يشتمل على مقرر السنة الاولى الابتدائية حسب آخر بروجرام لنظارة المعارف العمومية تأليف حضرة سيد افندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية ومدير مجلة الهدى والمجلة المدرسية وفيه كثير من الرسوم الجغرافية ويطلب من حضرة المؤلف في السيدة زينب بمصر

❊ نظرة في المبارزة ❊ هي رسالة في المبارزة (الدويلو) بقلم سليم افندي عواد استخرج نصوصها العقابية من اشهر المؤلفات الفرنساوية في القضاء فصدرها بتعريف المبارزة مع بيان تاريخه وانواعه ثم احكامه باعتبار الدول فنثني على حضرته

❊ الزهرة في نظام العالم والامم ❊ هي نموذج من كتاب « نظام العالم والامم » لحضرة الشيخ طنطاوي جوهري مدرس اللغة العربية بالمدرسة الخديوية اصدرها مثالاً لسائر الكتاب ليكون القارىء على بينة من مضمونه قبل صدوره وفقه الله الى اتمام طبعه

وكلاء الهلال في القطر المصري

نرجو من حضرات المشتركين اعتماد حضرة منقريوس افندي يوسف وزكي افندي فهمي بالوجه البحري ومخائيل افندي عبد بالقاهرة في دفع بدلات الاشتراك بوصولات مطبوعة وممضاة بامضاء مدير الهلال

وتحتاج ادارة الهلال الى وكيل محصل في مدينة الاسكندرية لان وكيلها السابق محمد افندي رمضان بعد ان خدم الادارة خدمة صادقة قد استقال من وكالة الهلال لاشتغاله باشغال أخرى فمن أحبَّ ان يكون وكيلاً في الاسكندرية يخابر ادارة الهلال بمصر وأول شروط التوكيل ان يقدم الوكيل تأميناً نقدياً وليس ضمانة

الهلال

الجزء التاسع من السنة الثالثة عشرة

١ يونيه (حزيران) سنه ١٩٠٥ و ٢٧ ربيع اول سنة ١٣٢٣



قيصر الروس وولي عهده

الشعر العصري

ذكرنا في الهلال السادس من هذه السنة الادوار او الاعصر الخمسة التي مرَّ بها الشعر العربي من اول عهد التاريخ و بيناً مميزات كل دور او عصر باعتبار مالحقه من التغيير في اسلوبه ومعانيه . ونحن ذاكرون في مايلي دوره السادس وهي نهضته الاخيرة التي يعبرون عنها بالشعر العصري فنقول

تبدأ نهضة الشعر العربي الاخيرة مع نهضة العلم والادب والانشاء في اواسط القرن الماضي وان كانت لم تنضج تماماً حتى الآن . فالشعر في هذا العصر يمتاز عنه في الاعصر الماضية كما يمتاز التمدن الحديث عن سائر ما تقدمه من ضروب التمدن . لان الشعر يمثل اخلاق الامة وآدابها الاجتماعية في كل عصر فلا بدَّ لنا في فهم خصائص الشعر العصري (او كيف ينبغي ان تكون خصائصه) من بيان مميزات هذا العصر عن سائر الاعصر وهي كثيرة اهمها :

(١) ان هذا العصر يمتاز عما تقدمه من اعصر العلم بالابحاث العلمية الطبيعية المبنية على المشاهدة والاختبار . فلا يقبل فيه رأي او قول ما لم يكن مرجعه الى حقيقة قائمة على اساس محسوس او معقول . وبنبذ الاوهام والخرافات المبنية على التقاليد المأثورة فلا يهمنا مثلاً قول فلان الفيلسوف الكبير ان العناصر الاصلية اربعة وهي الماء والهواء والنار والتراب وقد علمنا بالبحث المبني على المشاهدة ان هذه العناصر لا تختلف عن سائر المواد وبعضها مزيج من عدة عناصر والبعض الآخر مركب من عنصرين والآخر من اربعة او خمسة او اكثر . وان العناصر الحقيقية التي تتألف منها المواد نحو ثمانين عنصراً . ولا يلتفت الى قول الآخر ان الارض ثابتة والفلك يدور حولها بعد ان ثبت دورانها بالبحث العلمي الانتقادي ولو كان القائل من اكبر الفلاسفة

(٢) ويمتاز هذا العصر من هذا القبيل ايضاً باطلاق الفكر من قيوده القديمة في المبادىء الادبية والآراء الفلسفية . فبعد ان كان الناس يبنون آراءهم على قواعد وضعها القدماء لا يجسرون على الخروج عنها اصبحنا لا نعبأ باقوال الاقدمين ولا غيرهم اذا لم تحقق صحتها بالاختبار او البرهان — قال القدماء مثلاً ان المرأة لا اهمية لها في المجتمع الانساني لغير الولادة والرضاعة وظل الناس على هذا الاعتقاد اجيالاً عديدة لا يجسرون على انكاره جرياً على عادتهم في المحافظة على التقليد . وقد علمنا الآن ان المرأة واسطة عقد

ذلك المجتمع وعليها تتوقف سعادة الامة وشقائها فنبذنا الاعتقاد القديم وعملنا بما يرشدنا اليه نور العلم

(٣) ان التربية الحديثة المؤسسة على المبادىء العلمية قد لطفت امزجة الناس ورققت احساسهم فاصبحوا ادق شعوراً وأرق احساساً وابعد ادراكا من ذي قبل فادركوا من عواطف الانسان وقواه واكتشفوا من اسرار قلبه ما لم يعلمه القدماء وغاصوا الى اعماق الفكر وشرّحوا اعمال القلب تشريحاً دقيقاً

(٤) ان تقدم العلوم الطبيعية والرياضية كشف لنا من اسرار الوجود مالم يكن اسلافنا يعرفونه ولا يحلمون به واظهر كثيراً من ادلة الحكمة والعناية في الخليقة وعلاقة الموجودات بعضها ببعض • فاضاف الى معارفنا معاني جديدة يرقي بها الخيال وتتسع التصورات المبنية على الحقائق

(٥) ان اعمال البشر المتعلقة بالحياة الاجتماعية مبنيُّ الآن على « الاقتصاد السياسي » ومعنى ذلك ان الناس لا يعملون عملاً تجارياً او صناعياً او ادارياً او سياسياً الا وهم ينظرون فيه من هذا الوجه • فلا ينفقون مالاً ولا وقتاً ما لم تعين الفائدة المنتظرة من وراء ذلك الانفاق فيفصلون الثوب على قدر الجسم

(٦) ان الاختراعات البخارية والكهربائية سهلت اسباب النقل فكثر اختلاط الناس بعضهم ببعض وخصوصاً بين الشرق والغرب فبعد ان كان اجدادنا لا ينتقلون من اوطانهم الا نادراً لصعوبة النقل وقلة الحاجة الماسة اليه واذا سافر احدهم من بلد الى بلد قريب اعدّ الركائب وحمل الاحمال وودع الاهل والخلان وتحمل الاخطار اصبحنا ونحن نركب البخار برّاً وبحراً باسهل ما يكون وغدا الانتقال بين القارات من اسهل الامور علينا حتى بلغ عدد الذين نزحوا من سوريا فقط نحو ٣٠٠,٠٠٠ نفس في مدة لا تزيد على ثلاثين سنة • وكان الافرنج من الجهة الثانية لا يأتون بلادنا الا نادراً للسياحة او التجارة وكان الشرقي اذا شاهد افرنجياً سخر به واستهزأ بقبعته فاصبحوا بعد الحوادث السياسية في اوائل القرن الماضي وهم ينزحون الينا بالمئات والالوف على اختلاف مللهم ونحلهم ويقيمون بين ظهرانينا للتجارة او غيرها من اسباب التعيش ونحن نقلدهم بملابسهم وعاداتهم حتى انك لا تفرق بين الافرنجي والعربي احياناً الا بعد اعمال الفكرة

(٧) قضت الاحوال على اهل الشرق ان يقتدوا بالافرنج في اسباب الارتزاق وسائر احوال هذا التمدن فاخذوا العلم من كتبهم وتعلموا التجارة من حوانيتهم وتفقهوا

الهلال

الجزء العاشر من السنة الثالثة عشرة

١ أغسطس (آب) سنه ١٩٠٥ و ٢٩ جمادى اولى سنة ١٣٢٣

اشهر الحوادث واعظم الرجال



الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصرية

الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصرية

ولد سنة ١٢٥٨ وتوفي سنة ١٣٢٣ هـ

أصيب الاسلام في أثناء الشهر الماضي بوفاة ركن من اركانه ورجل من أعظم رجاله أصيب بموت الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فابنته الجرائد ورثاه الشعراء وبكاه العقلاء ولا يزالون يبكونه ويرثونه . وستحتفل الامة المصرية في يوم الاربعين من وفاته الموافق ١٨ أغسطس الجاري مثل احتفال الشعراء بفقيدهم البارودي منذ بضعة اشهر وقد عينوا لتلك الحفلة سبعة اشخاص يسرد كل منهم شيئاً يتعلق به : فالاول يتلو تاريخ حياته وبعض آثاره في الجمعية الخيرية الاسلاميـة . والثاني يذكر طرفاً من اخلاقه ومزاياه والثالث يبين شيئاً من مركزه في الحياة الاجتماعية وأعماله في مجلس شورى القوانين . والرابع يشرح مآثره في الازهر وفضله على اللغة العربية واصلاحاته الدينية . والثلاثة الباقون يؤبنونه بالقصائد الشعرية . فنقتصر في ما يلي على فذلكة من تاريخ حياته وأعماله ونبسط الكلام في أسباب عظمته وحقيقة منزلته من العمران البشري على العموم والعالم الاسلامي على الخصوص

ترجمة حياته

(نشأته الاولى) نشأ الفقيد في قرية صغيرة محلة نصر) من ابوين فقيرين فلم يمنعه ذلك من الارتقاء بجده واستعداده حتى بلغ منصب الافتاء وأصبح علماً في الشرق وقطباً من اقطاب الدهر سينقش اسمه على صفحات الايام ويبقى ذكره ما بقي الاسلام

ولد عام ١٢٥٨ هـ وابوهُ يتعاطى الفلاحة وقد ادخل فيها أولاده الاَّ محمداً لانه توسم فيه الذكاء فاراد ان يجعله من الفقهاء فادخـله كتاب القرية تردد اليه حيناً ثم ارسلهُ الى الجامع الاحدي في طنطا اقام فيه ثلاث سنوات ثم نقله الى الجامع الازهر فقضى فيه عامين لم يستفد فيهما شيئاً وهو ينسب ذلك بالأكثر الى فساد طريقة التعليم

ثم انتبه لنفسه ولم يرَ بدّاً من تلقي العلم فاستنبط لنفسه أسلوباً في المطالعة واعمـل فكرته في تفهم ما يقرأه فاستلذَّ العلم واستغرق في طلبه فاحرز منه جانباً كبيـراً على ما يستطاع ادراكه بتلك الطريقة

واتفق ان ورد على مصر سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) السيد جمال الدين الافغاني



السيد جمال الدين الافغاني

فيلسوف الاسلام وصاحب الترجمة لا يزال في الازهر وقد ادرك الثلاثين من عمره . وتولى جمال الدين تعليم المنطق والفلسفة فانخرط الفقيد في سلك تلامذته مع جماعة من نوابغ المصريين تخرجوا على جمال الدين تخرجوا لا يشق لهم غبار كأنَّ الرجل نفخ فيهم من روحه ففتحوا اعينهم واذا هم في ظلمة وقد جاءهم النور فاقتبسوا منه فضلاً عن العلم والفلسفة روحاً حية ارتهم حالهم كما هي اذ تمزقت عن عقولهم حجب الاوهام فنشطوا للعمل في الكتابة فانشأوا الفصول الادبية والحكمية والدينية . وكان صاحب الترجمة الصق الجميع به واقربهم الى طبعه واقدرهم على مباراته . فلما قضي على جمال الدين بالابعاد من هذه الديار قال يوم وداعه لبعض خاصته « قد تركت لكم الشيخ محمد عبده وكفى به لمصر عالماً »

وتقلب الفقيد في بعض المناصب العلمية بين تدريس في المدارس الاميرية وتحرير في الوقائع المصرية وكتابة في الدوائر الرسمية . حتى كانت الحوادث العرابية فحمله اصحابها على السير معهم وهو ينصح لهم ان لا يفعلوا وينذرهم بسوء العاقبة . ولما استفحل امر العرابيين اختلط الحابل بالنابل وسبق الناس بتيار الثورة وهم لا يعلمون مصيرهم . فدخل الانكليز مصر والشيخ محمد عبده في جملة الذين قبض عليهم وحوكموا فحكم عليه بالنفي لانه افتى بعزل توفيق باشا الخديوي السابق . فاختار الاقامة في سوريا فرحب به السوريون واعجبوا بعلمه وفضله فاقام هناك ست سنوات فاغتنموا اقامته بينهم وعهدوا اليه بالتدريس في بعض مدارسهم

وانتقل من سوريا الى باريس فالتقى فيها باستاذه وصديقه جمال الدين وكانا قد تواعدا على اللقاء هناك فانشاءا جريدة العروة الوثقى وكتابتها منوطة بالشيخ فكانت لها رنة شديدة في العالم الاسلامي ولكنها لم تعش طويلاً . وتمكن الشيخ في اثناء اقامته بباريس من الاطلاع على احوال التمدن الحديث وقرأ اللغة الفرنساوية على نفسه حتى اصبح قادراً على المطالعة فيها . ثم سعى بعضهم في اصدار العفو عنه فعاد الى مصر فولاه الخديوي السابق القضاء وظهرت مناقبه ومواهبه فعين مستشاراً في محكمة الاستئناف وسمي عضواً في مجلس ادارة الازهر وعين اخيراً مفتياً للديار المصرية سنة ١٣١٧ ﻫ وما زال في هذا المنصب حتى توفاه الله في ١١ يوليو الماضي ولم يعقب ذكراً يبقي به اسمه ولكنه خلف آثاراً يخلد بها ذكره

مناقبه واعماله

كان ربع القامة اسمر اللون قوي البنية حاد النظر فصيح اللسان قوي العارضة متوقد الفؤاد بليغ العبارة حاضر الذهن سريع الخاطر قوي الحافظة . وقد ساعده ذلك على احراز ما احرزه من العلوم الكثيرة الدينية والعقلية والفلسفية والمنطقية والطبيعية وتلقى اللغة الفرنساوية وهو في حدود الكهولة في بضعة اشهر . وكان شديد الغيرة على وطنه حريصاً على رفع شأن ملته وذاع ذلك عنه في العالم الاسلامي فكاتبه المسلمون من اربعة اقطار المسكونة يستفتونه ويستفيدون من علمه وهو لا يرد طالباً ولا يقصر في واجب

ناهيك بما عهد اليه من المشروعات الوطنية فقد كان القوم لا يقدمون على عمل كبير الا رأسوه عليه او استشاروه فيه . فرأس الجمعية الخيرية الاسلامية وألف شركة طبع الكتب العربية وشارك مجلس شورى القوانين في مباحثه . وآخر ما عهد اليه تنظيم

مدرسة يتخرج فيها قضاة الشريعة ومحاموها . فضلاً عما اشتغل فيه من التأليف والتصنيف وما كان يستشار فيه من الامور الهامة في القضاء او الادارة بالمصالح العامة والخاصة . و بالجملة فقد كان كنز فوائد للقريب والبعيد بين افتاء ومشورة واحسان وكتابة ومداولة ووعظ وخطابة ومباحثة ومناظرة واستنهاض وتحريض وتنشيط وغير ذلك

اصلاح الاسلام

على ان عظمته الحقيقية لا تتوقف على ما تقدم من اعماله الخيرية او العلمية او القضائية وانما هي تقوم بمشروعه الاصلاحي الذي لا يتصدى لمثله الا افراد لا يقوم منهم في الامة الواحدة مهما طال عمرها الا بضعة قليلة . وهذا ما اردنا بسطه على الخصوص في هذه العجالة

﴿ العظمة الحقيقية ﴾ تختلف العظمة شكلاً واثراً باختلاف السبيل الذي يسعى صاحبها فيه او الغرض الذي يرمي اليه . فمنهم العظيم في السياسة او الحرب او العلم او الدين ومن العظماء من يتوفق الى اتمام عمله ومنهم من يرجع بصفقة الخاسر من نصف الطريق او ربعه او عشره . على ان اكثر العظماء انما يأتون العظائم لمجرد الرغبة في الشهرة الواسعة و يغلب ان يكون ذلك في رجال الحرب . وهؤلاء تنحصر ثمار اعمالهم في انفسهم او اهلهم او امتهم على انهم لا يستطيعون نفعاً لانفسهم الا بضرر الآخرين — اعتبر ذلك في سير كبار الفاتحين كالاسكندر و بونابرت وغيرهما فكم سفكوا في سبيل عظمتهم من الدماء او ارتكبوا من المحرمات وكان النفع عائداً على انفسهم او امتهم ولم يطل مكثه فيهم الا قليلاً

واما رجال العلم فعظمتهم تقوم بما يثيرون به الاذهان من الاصول العلمية او يكتشفونه من اسباب الامراض والوقاية منها او يضعونه من النظامات والقوانين او غير ذلك . ونفعهم يشمل القريب والبعيد الرفيع والوضيع ولا يسفكون في سبيل نشره دماً ولا يرتكبون محرماً وهو باقٍ ما بقي الانسان وينمو بنمو المدنية

واما رجال الدين ومن جرى مجراهم من واضعي الشرائع والاحكام فتأثيرهم اوسع دائرة واعم شمولاً لانه يتناول البشر على اختلاف طبقاتهم واجناسهم رجالاً ونساء كباراً وصغاراً وعليهم يتوقف نظام الاجتماع وآدابه واخلاق الناس وعاداتهم وعلائقهم بعضهم ببعض . وعظماء الدين فئتان الفئة الاولى واضعو الشرائع كالانبياء او من في معناهم ممن ينسبون اعمالهم الى ما وراء الطبيعة . والفئة الثانية المصلحون الذين يصلحون الدين بعد فساده — لان الدين اذا مر عليه بضعة قرون فسد وتغير شكله وانقلب وضعه تبعاً لمطامع الذين يتولون شؤونه فتفسد الامة وينحط شأنها حتى يقوم من يصلحه ويعيده الى

رونقه · ووضع الاديان عمل شاقٌ قلَّ من يفوز به والاصلاح الديني لا يقلُّ مشقة عنهُ وربما كان ادخال دين جديد ايسر من اصلاح دين قديم · فالديانة المسيحية لم تكلف البشر في قيامها من الدماء اكثر مما كلفتهم في اصلاحها · على ان ما يضيعهُ رجال الدين في نشره من الدماء يعوضونهُ بسرعة انتشاره اعتبر ذلك في الفرق بين النصرانية والاسلام في قيامها · ويقال نحو ذلك في الاصلاح فقد طلبهُ وسعى فيه غير واحد من رجال النصرانية فلم يتوفق منهم الى اصلاح كبير غير لوثير لان اهل السياسة نصروهُ · ولا بد من استعداد الاذهان لقبول الاصلاح وتهيئة الاسباب الاخرى · فكم نهض من المصلحين بالسيف فغُلبوا على امورهم وذهب سعيهم عبثاً · واقربهم عهداً منا صاحب مذهب الوهابية في نجد فقد استفحل امره في اوائل القرن الماضي واراد في الاسلام نحو ما اراده لوثير في النصرانية فلم يتوفق الى غرضه لان الجنود المصرية غلبته وفلَّت عزيمته · اما المصلحون بالموعظة الحسنة والتعليم فعملهم بطيءٌ ولكنهُ ارسخ في الاذهان واصبر على كوارث الحدثان — والشيخ محمد عبده واحد منهم

✻ هو وجمال الدين ✻ نشأ الشيخ المفتي نير البصيرة حرَّ الضمير وربي في الاسلام وتعلم علومه فشبَّ غيوراً عليه ثم اطلع على علوم الامم الراقية من اهل هذا التمدن ودرس تاريخ الاجتماع ونواميس العمران فرأى الاسلام في حاجة الى نهضة ترفع شأنه وتجمع كلمته · واتفق اجتماعه بالسيد جمال الدين الافغاني فاخذ عنهُ الفلسفة والمنطق والحكمة المشرقية وكان جمال الدين غيوراً على الاسلام راغباً في جمع كلمته ورفع شأنه فتوافقا في الغاية ولكنهما اختلفا في الوسيلة · لان جمال الدين سعى في ذلك من طريق السياسة فاراد جمع شتات المسلمين في اربعة اقطار العالم تحت ظلّ دولة اسلامية واحدة وقد بذل في هذا المسعى جهده وانقطع عن العالم من اجله فلم يتخذ زوجة ولا التمس كسباً وانما جعل همَّهُ السعي الى تلك الغاية فلم يتوفق الى غرضه لاسباب عمرانية طبيعية لا محل لذكرها · وكان الشيخ محمد عبده رفيقه في كثير من مساعيه واطلع على دخائل اموره وعرف اسباب حبوطه فعلم ان جمع كلمة المسلمين ورفع شأنهم من طريق السياسة لا يتيسر الوصول اليه فسعى فيه من طريق العلم · فجعل همَّهُ رفع منار الاسلام وجمع كلمة المسلمين بالتعليم والتهذيب وتقريبهم من اسباب المدنية الحديثة ليستطيعوا مجاراة الامم الراقية في هذا العصر · ورأى ذلك لا يتأتى الا بتنقية الدين مما اعتوره من الشوائب التي طرأت عليه بتوالي العصور وتغالب الدول واختلاف اغراض اصحابها

وائمتها كما اصاب النصرانيـة في القرون المتوسطة اذ تمسك الناس بالعرض وتركوا الجوهر واستغرقوا في الاوهام ونبذوا الحقائق · والسبيل الوحيد لمغالبة الاوهام والخرافات انما هو العلم الصحيح على ما بلغ اليه في هذا العهد · وعلم الفقيد رحمه الله ان محور العلوم الاسلامية اليوم مصر ومركز العلم بمصر او في العالم الاسلامي كافة الجامع الازهر فرأى انه اذا اصلح الازهر فقد اصلح الاسلام فسعى جهده في ذلك فاعترضه اناس من اهل المراتب يفضلون بقاء القديم على قدمه واستنصروا العامة عليه وغرسوا في اذهانهم ان المفتي ذاهب بالمسلمين الى مهاوي الضلال والبدع · فلم يهمه قولهم لعلمه ان ذلك نصيب امثاله من قديم الزمان — على انه لم ينجح في اصلاح الازهر الا قليلاً ولكنه وضع الاساس ولا بد من رجوع الامة الى تأييد هذه النهضة ولو بعد حين فيكون الفضل له في تأسيسها

على ان الجانب الاعظم من عقلاء المسلمين وخاصتهم يرون رأيه في اصلاح الدين ورجاله · وربما سبقه كثيرون منهم الى الشعور بحاجة الاسلام الى ذلك ولا سيما المتخرجين بالعلوم العصرية من الناشئة المصرية ولكنهم لم يجسروا على التصريح بافكارهم في غير المجتمعات الخصوصية لئلاً ينسبهم الناس الى المروق من الدين — فلما جاهر محمد عبده برأيه وافقوه وصاروا من مريديه ونصروه بالسنتهم واقلامهم · فحاجة الاسلام الى الاصلاح ليس هو اول من انتبه اليها ولكنه اول من جاهر بها كما ان لوثير المصلح المسيحي ليس اول من انتبه لحاجة النصرانية الى الاصلاح ولكنه اول من جاهد في سبيلها . وقد فاز بجهاده لقيام السياسة بنصرته واما مصلح الاسلام فكانت السياسة ضده · وانما حمله على تلك المجاهرة حرية ضميره وجسارته الادبية ومنصبه الرفيع في الافتاء

الاسلام والمدنية فلما صرح الشيخ محمد عبده بحاجة الاسلام الى الاصلاح انقسم المسلمون الى فئتين فئة ترى بقاء القديم على قدمه وهم حزب المحافظين وفئة ترى حل القيود القديمة واطلاق حرية الفكر والرجوع الى الصحيح من قواعد الدين ونبذ ما خالطه من الاعتقادات الدخيلة · وكان رحمه الله زعيم هذه الفئة يناضل عن مبادئها بلسانه وقلمه وبكل جارحة من جوارحه · وكانت مساعيه من هذا القبيل ترمي الى غرضين رئيسيين : الاول تنقية الدين الاسلامي من الشوائب التي طرأت عليه والثاني تقريب المسلمين من اهل التمدن الحديث ليستفيدوا من ثمار مدنيته علمياً وصناعياً وتجارياً وسياسياً · فاهل العصبية الاسلامية يرون هذا التقريب مغايراً لما يرجونه من استقلال المسلمين بالجامعة السياسية لان مجاراة اهل التمدن الحديث باسباب مدنيتهم وتسهيل

الاختلاط بهم يضعف عصبية الاسلام على زعمهم ويبعث على تشتت عناصره فيستحيل جمعها في ظل دولة واحدة · ولكن الشيخ المفتي كان يرى ذلك الاجتماع السياسي مستحيلاً في هذه الحال فلم يشأ ان يضيع وقته سدى كما اضاعه استاذه وصديقه جمال الدين وان يخسر فائدة تقرب المسلمين من اسباب هذا التمدن فسعى في ذلك بما نشره من فتاويه المتعلقة بالربا والموقوذة ولبس القبعة ونحو ذلك مما يقرب المسلمين من الامم الأخرى ويسهل اسباب التجارة

﴿ تنقية الدين ﴾ واما تنقية الدين الاسلامي من الشوائب الطارئة عليه فاساس سعيه فيها انهُ اطلق لفكره الحرية في تفسير القرآن ولم يتقيد بما قاله القدماء او وضعوهُ من القواعد التي يحرم الائمة تبديل شيء منها · فرأى ان يحلّ نفسهُ من هذه القيود ويفسر القرآن على ما يوافق روح هذا العصر فيجعل اقواله وآراءه فيه موافقة لقواعد العلم الصحيح المبني على المشاهدة والاختبار ولنواميس العمران على ما بلغ اليهِ هذا العلم الى الآن مع مطابقتهِ لاحكام العقل واصول الدين كما فعل النصارى في تفسير الكتاب المقدس بعد ثبوت مذاهب العلم الجديدة · وهو أوعر مسلكاً في الاسلام لارتباط الدين بالسياسة فيه · والقرآن اساس الدين والدنيا عندهم فيعلقون على تفسيره اهمية كبرى لانهُ مرجع الفقه وغيره من الاحكام الشرعية والسياسية ولذلك رأى اهل السنة تقييده باقوال الائمة الاربعة وخالفهم الشيعة باستبقاء باب الاجتهاد مفتوحاً فلا يرون بأساً في العدول عن تفسير الى آخر بشروط يشترطونها في مفسريهم وهم يعرفون عندهم بالائمة المجتهدين

﴿ التفسير ﴾ وقد توالى على تفسير القرآن احوال تختلف باختلاف العصور من اول الاسلام الى الآن ترجع الى اربعة أعصر — الأول العصر الشفاهي : وهو ينحصر في ايام النبي واصحابهِ فقد كانوا عند ظهور الدعوة كلما تليت عليهم سورة او آية فهموها وادركوا معانيها بمفرداتها وتراكيبها لانها بلسانهم وعلى اساليب بلاغتهم ولأن اكثرها قيلت في احوال كانت القرائن تسهل فهمها واذا اشكل عليهم شيء منها سألوا النبي فيفسرهُ لهم · وكان التفسير مختصراً بسيطاً لسذاجة الدولة الاسلامية يومئذ

ثانياً العصر التقليدي : ونريد به عصر التابعين او حواليه وكانت الدولة الاسلامية قد أخذت في النمو والارتقاء فاحتاجوا الى التوسع في التفسير وكان اكثرهم أميين فاذا أعجزهم تفسير بعض الآيات سألوا عنها من أسلم من اهل الكتاب ولا سيما اليهود المقيمين في اليمن وكانوا قد أسلموا وظلوا على ما كان عندهم من التقاليد المتناقلة شفاهاً او كتابة مما

لا تعلق له بالاحكام الشرعية

ثالثاً العصر الفلسفي المنطقي : ونريد به تدوين التفسير وضبطه بالقياس الفلسفي والحكم المنطقي بعد ان اختلط المسلمون بأهل العلم القديم في الشام والعراق وفارس واطلعوا على علوم القدماء وفلسفة اليونان والهند ونقلوا ذلك الى لسانهم واستخرجوا منه علم الكلام . وكان العرب قد وضعوا العلوم اللسانية وضبطوا معاني الالفاظ وأساليب التعبير فنظروا في التفاسير السابقة نظر الناقد ومحصوها وضبطوها بالقياس العقلي بالاعتماد على قواعد المنطق بما تقتضيه الفلسفة اليونانية القديمة على نحو ما فعله لاهوتيو النصارى قبل ذلك

رابعاً العصر العلمي : الذي نحن فيه وهو عصر الفلسفة الجديدة المبنية على العلم الطبيعي الثابت بالمشاهدة والاختبار ويمتاز عن العصر السابق باطلاق حرية الفكر من قيود التقاليد القديمة التي أغلت ألسنة أسلافنا وأقلامهم وأوقفت مجاري التمدن أجيالاً متطاولة . فالشيخ المفتي رحمه الله أراد ان ينقل التفسير الى روح هذا العصر فيفسر القرآن بما يطابق أحكام العقل ويحل الاسلام من قيود التقليد . فسار في هذا الطريق شوطاً بعيداً فالقى على طلبة الازهر خطباً كثيرة في التفسير نشرت في مجلة المنار وطبع بعضها على حدة وكان لها تأثير حسن في نفوس العقلاء . ولو مدّ الله في اجله لأتم هذا العمل ولكنه قضى آسفاً خائفاً ولسان حاله يردد هذين البيتين — وقد قيل انهما من قصيدة نظمها في أثناء مرضه وهما :

ولست أبالي ان يقال محمدٌ أبلّ او اكتظت عليه المآتمُ

ولكن ديناً قد أردت صلاحهُ أحاذر ان تقضي عليه العمائمُ

على انهُ خلف جماعة من تلامذته ومريديه أكثرهم من اهل العلم وأرباب الاقلام وفيهم نخبة كتاب المسلمين وشعرائهم في هذا العصر . وأكثرهم مجاهرة بنصرته واذاعة لارائه رصيفنا السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي

فالشيخ محمد عبده زعيم نهضةٍ اصلاحية لاخوف منها على الدماء او الارواح واكثر نهضات الامم في سبيل اصلاحها لاتخلو من اهراق الدماء — فهو رجل عظيم يجدر بالمسلمين ان يبكوه وان يقتفوا آثاره في التوفيق بين الاسلام والمدنية الحاضرة وتنقيته مما ألمّ به بتوالي الازمان وذلك ميسور لمن اطلق فكره من قيود التقليد واسترشد بما يهديه اليه العقل الصحيح بالاسناد الى العلم الصحيح . على اننا نرجو ان لا تعدم هذه النهضة من يخلف الامام الفقيد في الانتصار لها والعمل بها والله على كل شيء قدير

صحة العائلة

هيجين الطعام

لحضرة نعمة افندي ايليا الصيدلي القانوني

٨ — الاستحمام بعد الاكل : الاستحمام بعد الاكل حالاً بالماء البارد او الحار مضر جداً . كثيرون قد عرضوا انفسهم لتلك الاضرار فقاسوا اشد العذاب عدة سنين . اذا كان الماء حاراً يتحول قسم من الدم الى سطح الجسم بردّ الفعل وارتخاء الاوعية الشعرية والشرايين الدقيقة في الجلد فتنقص الكمية اللازمة في المعدة لسرعة افراز عصيرها الضروري لهضم الطعام واذا كان بارداً يتعرض الجسم للبرد فيتوقف الدم عن السير الى سطحه ويسبب احتقاناً في المعدة لا ينقص ضرراً عن الاول وكذلك قبل الطعام . قد ينفع بعضهم الاستحمام مرتين أو ثلاثاً في الاسبوع بعد طعام المساء حالاً قبل بدء الهضم لكنه ممنوع قطعياً قبله الا اذا كان لا بدّ منه فليكن قبل الطعام بساعتين والاستحمام صيفاً بدون التفات الى حالة المعدة مضرٌ جداً

٩ — الغلط في كية الطعام : اذا كان الغلط في كيفية الطعام يسبب سوء هضم فالغلط في كميته يسبب اضراراً اعظم والحالان متشاكلان لان كل تعدٍّ على النواميس الطبيعية بعادات جسدية او عقلية لا بد فيه من التشاكل والارتباط ولا سيما ما كان خاصاً بالاكل فمن يسرع باكله يأكل علاوة عما يلزم وهكذا لو تعددت الوان الطعام أو جعلت منبهة بالتوابل وخلافها فتكون الاضرار اذ ذاك مزدوجة وكثرتها تسبب اضراراً يطول شرحها لا تخفى على ذوي البصائر . ويعتقد بعضهم ان زيادة الاعمال البدنية والعقلية تستدعي زيادة كية الطعام بقدر زيادة العمل وهذا خطاء لان المعدة تحتاج الى قوة عصبية لاتمام عملها فاذا شغلت تلك القوة بعمل آخر لا يمكن استخدامها بالهضم فينتج بالضرورة نقص عمل تلك الاعضاء عما يطلب منها

فاضرار الشراهة في الاكل تفوق اضرار الشراهة في المسكر لا بل هي من

اعظم اسبابها واعظم الموانع في اصلاح السكيرين . والنهم او البطنة رذيلة شائعة لكن المحدثين لم يدركوا فيها شأو القدماء قبلهم فمكسيميليان احد امبراطرة الرومان كان يأكل نحو ١٨ كيلو من الطعام يومياً وكاليكولا كان يأكل حتى يملأ معدته الى حدّها الاعظم ثم يتناول مقيئاً فيفرغها ويعود الى الاكل ثانية. ويظن اهل البطنة أن الجسم يكتسب من الغذاء بنسبة ما يدخل المعدة من الطعام وهو خطاء لان العبرة بما يهضم من الطعام لا بما يؤكل وكثرة الاكل تضعف المعدة فتفسد الهضم وتكون النتيجة عكس المراد فيمتلئ الجسم من المواد الفاسدة التي لا تصلح للغذاء لانها تولد بعد تمثيلها وهضمها انسجة ضعيفة مهزولة وبالاختصار يقال أن عاقبة الاكل الكثير ضعف عام يعتري الجسم لان العضو المثقل باكثر من طاقته لا يمكنه اتمام واجباته ويولد التقصير المشار اليه حوامض تهيج الغشاء المخاطي وتتحد مع الغازات فتتمدد المعدة وترتخي جدرانها العضلية وتشل ثم يلتهب غشاؤها المخاطي ثم يصبح التمدد حالة ثابتة

١٠ — نقص الطعام عما يلزم : ان الاقلال من الطعام اقل شيوعاً من الاكثار ويكون غالباً في الذين يمتنعون عن بعض المآكل للاستشفاء بالجوع من امراض تنتاب اجسادهم فكانهم ينظرون الى غايتهم من جهة واحدة ويغضون النظر عن الجهة الاخرى فلا يلتفتون الى ما قد يحدث للمعدة من الضعف بتقليل كمية الطعام فتعجز عن اتمام عملها وتقصر في افراز العصير اللازم وتختل قواها العصبية وقد شوهد ذلك بالاختبار في من امتنعوا عن الطعام مدة ثم عادوا اليه وقد عجزت معدتهم عن هضم الكميات اللازمة لغذاء اجسادهم فاذا تناولوا القدر اللازم لغذائهم الاعتيادي اضرَّ بهم ضرر المواد السامة . قد يسأل بعضهم اذاً كم هي كمية الطعام التي يجب أن يتناولها الانسان ؟ وهو سؤال لا يمكن الاجابة عليه تماماً لان طعام كل واحد يتوقف على مقدار احتياجه انما الجواب الوحيد الذي يمكن استخراجه مما مرَّ أن كل ما يحتاج اليه جسمك وتقدر أن تهضمه معدتك . وقد تعجز المعدة في بعض الاحوال عن هضم ما يحتاج الجسم اليه من الغذاء كما لو شغل الانسان كل قواه العقلية أو العضلية أو فكر في أمر هام احتاج به الى تشغيل كل قواه فبالحالة هذه لا تقدر المعدة على

هضم المقدار اللازم للجسم من الطعام للتعويض عن الخسارة التي لحقته فيخسر وزناً ويفقد بعض قوته وفقد الشهية للاكل دليل كاف على عدم اقتدار المعدة للهضم لنقص افراز عصيرها . ولذلك يفسد عمل الهضم في من يعملون الاعمال العظمى لانهم يحتاجون من الغذاء الى اكثر مما يحتاج اليه الناس عادة فاذا اكثروا من الاكل ولم يلتفتوا الى ما تقدم يجدون المعدة بعد وقت قصير قاصرة عن هضم أقل كمية من الطعام الذي اعتادوا اخذه ولنا على ذلك امثلة عديدة في المتشرعين والاطباء وطلبة العلم . فلو أن الذين يجهدون قواهم بالاعمال العظيمة يقللون كمية الطعام عوضاً عن زيادتها لحفظوا قواهم الرئيسية وكذلك الذين يشتغلون ساعات كثيرة متتابعة بدون انقطاع مع نوم قليل فأنهم يحتاجون الى نصف كمية الطعام الاعتيادي أو أقل من النصف.

وقد تقرر ان كمية الغذاء لكل انسان يجب تعيينها بالنسبة الى عمله وسنه فالعامل في أعمال جسدية متعبة وأن كان مضطراً لاخذ طعام أقل ممن يشتغل باعمال عقلية تقابلها تعباً قد يستخدم طعاماً اكثر لان العمل العقلي يتلف الجسم باكثر سرعة من العمل الجسدي . وقد قرر الفسيولوجيون أن ثلاث ساعات بعمل عقلي تقابل عشر ساعات بعمل جسدي ولذلك فمن يشغل عقله عشر ساعات أو اكثر في كل يوم يحتاج الى تغذية جسده اكثر ممن يشغل عضلاته أو قواه الجسدية نفس تلك المدة فمن يقصد بالطعام القوة والصحة يجب عليه النظر الى الكمية التي يحتاج اليها لان الزيادة وان قلت فانها تعود عليه بنتائج رديئة ولا يخفى أن الذين اشتهروا باعمالهم من العلماء الاكولين كانوا يعملون بلذة وسرور في أحسن ساعات النهار وأنسبها للعمل وان شهرتهم تنسب بالاكثر الى ذكاء عقولهم لا لامر آخر كتشارلس دكنس الشهير بالاكل فان ساعات عمله كانت أحسن ساعات النهار . على اننا كثيراً ما نرى العلماء الاكولين يموتون باكراً اذ تتلف قواهم الجسدية من كثرة العمل وفساد الهضم ونيوتن الشهير كان منهمكاً في ايضاح نواميس الجاذبية وغيرها مما يحتاج الى عمل شاق ومع ذلك لم يكن يقتات الا بالخبز والماء . فالتعفف بالطعام يزيد القوى ويمنع اضراراً يمكن حدوثها عن تلك الاعمال والعمل بقليل من الطعام أقل تعباً منه بكثيره ولاشك

بان اهمال هذه القاعدة أمات كثيرين من السياسيين وغيرهم فجأة لان اتعاب المعدة والدماغ معاً عمل خطر جداً ولذلك يجب على ذوي الاعمال العقلية أن يقللوا طعامهم و يبتعدوا عن المنبهات والمخدرات لان اكثر حوادث الصرع تحدث والمعدة ملآنة . وصفاء الذهن الناتج عن التعفف يعوض على الانسان ماخسره من نكران النفس . وأيضاً تتوقف كمية الطعام على أدوار الحياة بالنسبة الى مقدار القوة الحيوية ففي الصبوة لما تكون القوى في أعلى درجاتها والجسم مفتقر للنمو والتعويض عما يتلف منه يكون الاحتياج الى الغذاء أكثر مما في أوقات أخرى . أما في الشبيبة فيتوازن التعويض والاتلاف فتكون الحاجة الى كمية من الغذاء تكفي للتعويض فقط عن الخسارة التي تلحق الجسم بالاعمال العقلية أو الجسدية وما يزيد عن ذلك فلا حاجة اليه . أما في الشيخوخة اذ يضعف المضم فيجب أن تكون كمية الطعام أقل مما يحتاج اليه الجسم حقيقة . والخلاصة أن كمية الطعام يجب انقاصها كلما تقدم الانسان في السن وكم يموت من الناس باكراً لعدم مراعاتهم هذا الامر . فيجب الانتباه التام الى كمية الغذاء والمتعففون يحفظون قوى جهازهم الهضمي و يزيدون عدد أيامهم

وقد تحدث الدسبيسيا عن ضرر ميكانيكي من صدع أو كسر في بعض أعضاء الجسم أو رضة قوية أو جرح أو اضرار يحتاج الانسان بها الى الراحة بضعة أيام أو أسابيع فاذا لم ينتبه العليل الى احتياجه للراحة وينقص كمية طعامه الاعتيادي يجد معدته بعد أيام قد قصرت في عملها ومن الناس من يجعلون يوم الاحد يوم وليمة عوضاً عن يوم راحة فيكثرون فيه من المآكل الطيبة والاطعمة اللذيذة فيعتدون بذلك على معدهم و يفسدون عقولهم وقد ثبت فسيولوجياً أن الانسان لا يستطيع أن يميز جلياً بين الحق والباطل والصواب والخطأ ومعدته مثقلة بالطعام الكثير ففي أيام الاحاد يفضل تناول المآكل البسيطة المؤلفة من الخضر والفاكهة فلا يضطر الناس حينئذ الى النوم في أثناء الصلاة أو في الاجتماعات الدينية أو الادبية او السهرات الاعتيادية فضلاً عن ان الدين يأمر بكبح جماح الشهوات ويمنع التعدي على المعدة كما يمنع التعدي على البشر وكثير من المعتقدات الدينية السخيفة كان مصدرها المعدة المريضة والكبد

السقيمة ولذلك قيل أن الخطوات الاولى لارجاع خاطئ عن ضلاله هي اصلاح معدته

فبناء على ما تقدم يجب على كل انسان أن يكون المرشد لنفسه من جهة كمية الطعام التي يجب أخذها في كل علفة بان يسلم نفسه لحكم العقل فيقرر من بدء الطعام مقدار ما يجب أخذه حتى اذا بلغ المطلوب بموجب اقراره الاول يتوقف حالاً والافضل أن يترك المائدة تخلصاً من التجربة . أما أكل الخضر والحلويات بعد الطعام فعادة مضرة لانها تبعث على الاخذ من الطعام فوق الحاجة واذا كان لا بد من الفاكهة فلتكن مع الطعام كانها جزء منه وليست تلك الخضر والحلويات سوى وسائط لسوء الهضم بالاكثار من الطعام ويقول المثل الاسيوجي « القرد يعلم متى يعود من مرعاه أما الجاهل فلا يعلم أبداً قياس معدته » فالاختبار اذاً أعظم دليل للجاهل على كمية الطعام التي تحتملها معدته بدون انزعاج أو ضرر فمتى وجد بعد اكله الطعام أن معدته امتلأت وعيونه تراخت وظهرت الحموضة والقراقر فليتأكد أنه اكل فوق طاقته فيقلل كمية الطعام تدريجاً يوماً بعد يوم حتى تختفي الاعراض التي ذكرت

جبل لبنان

حضرة صاحب الهلال

قرأت المقالة النفيسة المدرجة في هلالكم الاخير عن جبل لبنان ورأيت في صدرها انكم تودون معرفة اسم كاتبها فأنبئكم انه المرحوم جرجس اندراوس صوصه من اهل دير القمر (لبنان) وكانت هذه المقالة في جملة مجموعة عند المرحوم والدي فيها مقالة أخرى شبيهة بها عن ولاية سوريا وطبقات اهلها وعاداتهم وآدابهم واصطلاحاتهم مصدرة بفذلكة عن تاريخ سوريا وجغرافيتها من اول عمرانها الى ايام ولاية الجزار في عكا من قلم المرحوم الدكتور مخائيل مشاقة الشهير وكان في هذه المجموعة كثير من امثال هذه النفائس ولكنها فقدت لسوء الحظ بعد وفاة المرحوم والدي . وعلمت ان هاتين المقالتين ارسلتا معاً الى بلاد الانكليز بطلب قنصل انكلترا الذي كان في سوريا يومئذ فالذي نشر احداهما لا بد من وجود الأخرى عنده فعسى ان ينشرها ان لم تكن قد نشرت بعد

(المنصورة) انطون انطونيوس

مطبوعات جديدة

تراكمت المطبوعات الواردة علينا للتقريظ ولا بد من ذكرها في هذا الهلال لئلا يطول على اصحابها الانتظار الى السنة القادمة فنكتفي بذكر اسمائها ومواضيعها ونعتذر للذين طلبوا منا الانتقاد بضيق الوقت

❋ تذكار الصبا ❋ طبعة ثانية من منظومات المرحوم الشيخ نجيب الحداد الشاعر الناثر المشهور ويطلب هذا الكتاب من مكتبة الهلال وثمنه ستة قروش

❋ تاريخ دول العرب والاسلام ❋ تأليف محمد افندي طلعت حرب مدير قلم قضايا الدائرة السنية . صدرت الطبعة الثانية من الجزء الاول وفيها تاريخ العرب قبل الاسلام الى دولة الراشدين . ويطلب من مكتبة الهلال

❋ العقل والدين ❋ رواية ادبية تاريخية في حياة موسى المشترع الاسرائيلي وتحرير العبرانيين في مصر وتأسيس مملكة اسرائيل والشريعة الموسوية ومصادرها . تأليف رفول افندي سعادة . وتطلب من مطبعة المناظر في سانباولو بالبرازيل

❋ اسرار الثورة الروسية ❋ رواية تاريخية عصرية تأليف الدكتور خليل بك سعادة واسمها يدل على موضوعها . وتطلب من حضرة المؤلف

❋ التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية ❋ تأليف حضرة ابراهيم بك حليم مفتش اوقاف دمنهور وقد تبرع بما يرد من اثمان الكتاب للسكة الحديد الحجازية ويطلب من حضرته

❋ تنوير الاذهان ❋ هو الجزء الرابع من المجلد الاول من كتاب علم حياة الحيوان والانسان وتفاوت الامم في المدنية والعمران تأليف الدكتور بشارة زلزل وهو مطوّل في علم الحيوان وفروعه مزين بالرسوم ويباع اجزاء وبالاشتراك ويطلب من مكتبة الهلال

❋ هداية الطلاب الى حل مسائل الحساب ❋ تأليف عبد العزيز افندي فهمي وعلي افندي صبحي بالمكتبة الخديوية ويشتمل على مسائل محلولة وغيرها وقوانين عمومية لتلامذة السنة الاولى والثانية في المدارس الابتدائية ويطلب من حضرتيهما

❋ خيانة الوزراء ❋ رواية ادبية غرامية فكاهية تمثيلية تأليف محمد افندي زكي الديواني نجل عبد الفتاح افندي الديواني وثمن النسخة اربعة قروش وتطلب من حضرته

❋ الدر النظيم في فن التنويم ❋ هو اول كتاب صدر بهذا الموضوع في اللغة العربية تأليف لطيف افندي يعقوب شكيب احد تلامذة جمعية نيويورك العلمية ويطلب من المكتبة الشرقية

﴿ تاريخ طبرستان ﴾ عني الاستاذ برون المستشرق الانكليزي الشهير بضبط تاريخ طبرستان تاليف محمد بن الحسن بن اسفنديار احد كتّاب القرن السابع للهجرة ونقله من الفارسية الى الانكليزية نقلاً مختصراً فجاء مع ذلك في نيف و ٣٥٠ صفحة كبيرة والكتاب لازم لطلاب تاريخ الاسلام . وقد صدَّره بتمهيد وذيله بفهرس مطوَّل يسهِّل الاستفادة منه وهو جدير بان ينقل الى اللغة العربية لقلة ما جاء في كتب العرب عن تاريخ هذه المملكة

﴿ قراءة لغة الصولو ﴾ كتاب لتعليم قراءة لغة الصولو من لغات جزائر فيلبين تاليف الدكتور نجيب صليبي ناظر مدارس المورو في تلك الجزائر وهو اول كتاب الف في هذه اللغة باحرف عربية ومؤلفهُ عربي سوري

﴿ تذكرة الأولياء ﴾ جاءنا النصف الاول من هذا الكتاب تصنيف الشيخ فريد الدين العطار من اهل القرن السابع للهجرة في اللغة الفارسية و يشتمل على مذكرات الشيخ المذكور في التاريخ والادب وقد عني بطبعه وضبطه حضرة المستشرق رنولد نيكلسون مدرس اللغة الفارسية في جامعة كمبريدج ويطلب من مطبعة بريل الشهيرة في لايدن

﴿ ديوان الشيخ امين الجندي ﴾ حوى منظومات هذا الشاعر الشهير من قصائد ومقاطيع وقدود وموشحات وطبع بنفقة المكتبة الانسية ببيروت و يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة ثمانية قروش والبريد قرش ونصف

خاتمة السنة الثالثة عشرة

فرغنا بحول الله من السنة الثالثة عشرة وهي الاولى بعد رجوع الهلال الى صدوره مرَّة في الشهر . وقد رأينا فيه متسعاً لاستيعاب المقالات الكبيرة التي تفتقر في استيفاء موضوعها الى بضع عشرة صفحة فاكثر و يظهر ذلك للباحث من مراجعة اهلَّة هذه السنة فانهُ يرى فيها توسعاً في المواضيع لم يكن ذلك ميسوراً لنا والهلال يصدر مرتين في الشهر

وقد بلغنا في هذه السنة الى الحلقة التاسعة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام وسننشر في السنة القادمة الحلقة العاشرة وحوادثها في ابان حضارة الاسلام . وقد نشرنا مع هذا الهلال الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي وموضوعه سياسة الدولة . ويليه في السنة القادمة الجزء الخامس وموضوعه حضارة المملكة وابهة الدولة والآداب الاجتماعية وهو آخر اجزاء هذا الكتاب فنطلب اليه تعالى ان يوفقنا الى القيام بما علينا ويهدينا سواء السبيل

وقد اضطررنا الى ختم رواية ابي مسلم الخراساني في هذا الهلال على جاري العادة في كل سنة فاستغرق باقيها معظم صفحاته فلم يبق مجال لسائر المواد فنرجو المعذرة على ذلك

الهلال

الجزء الحادي عشر من السنة الثانية عشرة

١ مارس (اذار) سنة ١٩٠٤ و١٣ ذي الحجة سنة ١٣٢١

اشهر الحوادث واعظم الرجال

الامبراطوران المتحاربان

١ — امبراطور الروس

هو القيصر نقولا الثاني ولد سنة ١٨٦٨ وهو اكبر أنجال المرحوم الامبراطور اسكندر الثالث ووالدته البرنسس دكمار ابنة ملك الدنمارك . تولى الملك بعد وفاة والده سنة ١٨٩٤ وفي تلك السنة تزوج بالبرنسس الكسندرة ابنة غرانددوق هيس وقد ولد له أربع أنات اولغا وتاتيانا وماري واناستاسيا . وللقيصر اخ واختان الغرانددوق ميخائيل والغرانددوقتان خزينيا وأولغا . وله أيضاً أربعة أعمام وعمة

يتصل نسب العائلة القيصرية من جهة الاناث بميخائيل رومانوف الذي سمي قيصراً سنة ١٦١٣ بعد انقضاء بيت روريك . ومن جهة الذكور بالدوق كارل فريدريك هولستين قطرب المولود سنة ١٧٠٠ واشهر ملوكهم بطرس الاكبر

والقيصر نقولا مطلق التصرف في احكام مملكته شرعياً وقضائياً وتنفيذياً ويستعين على ذلك باربعة مجالس يحلها ويعقدها متى شاء وحكمه نافذ على نحو ١٣٠،٠٠٠،٠٠٠ من الناس يسكنون نحو سبع الكرة الارضية. دخله السنوي لا يمكن تعيين مقداره وانما هو عبارة عن ريع اراض مساحتها ١٠،٠٠٠،٠٠٠ ميل مربع اكثرها مزارع وحقول وبعضها غابات وأحراج فضلاً عن مناجم الذهب وغيره من المعادن في سيبيريا

ويعدّ قيصر الروس أرهب ملوك العالم واشدهم بطشاً واعظمهم تأثيراً في النفس وأكثرهم اشتغالاً في توسيع نطاق مملكته وزيادة ثروتها مع رغبته في المحافظة على السلام وهو في عيني رعاياه ممتاز عن سائر الملوك بما له من الرئاسة على الكنيسة فضلاً عن المملكة فينظرون اليه نظرهم الى ما هو أرقى من البشر وخصوصاً عامة الشعب من اهل القرى -- يروى ان عجوزاً من نساء القرى كانت من جملة الجماهير القادمين لحضور الاحتفال بتتويجه فاصابها ما اصاب الاكثيرين بسبب الازدحام في ذلك اليوم فحملت الى المستشفى. فلما ذهب القيصر لزيارة اولئك المصابين دنا بعض رجاله من فراشها وسألها عن سبب قدومها في ذلك الازدحام فقالت «لأرى القيصر» فقال «لماذا لا تنظرين اليه الآن وهو واقف بجانبك» فقالت «اراك تهزأ بي كأني لا أعلم ان القياصرة لم يخلقوا لمثل ذلك»

على ان الاحترام المذكور لم يقلل شيئاً من اسباب متاعبه في سياسة ذلك الملك الواسع. قال البرنس لوبانوف الوزير الروسي الشهير «ان ادارة هذه المملكة لا يستطيعها رجل من البشر مهما يكن من قوته» وقد أحس القيصر بهذا الحمل الثقيل في الليلة التي توفي فيها ابوه فبعد ان كان ميالاً الى الانبساط شديد الرغبة في محادثة اقرانه في اوقات السرور كما شاهده أهل مصر في اثناء زيارته هذا القطر سنة ١٨٩١ فأصبح بعد توليه الملك هادئاً كثير التفكر قليل الكلام وهو يعدّ منصبه عبئاً ثقيلاً لا يتمناه لألد أعدائه - ومع ذلك فهو نحيف البدن وخصوصاً بالقياس على والده لانه كان رحمه الله قوي العضل عامر البنية يلوي نعال الفرس باناملهِ. وكذلك كان معظم سلالة رومانوف فانهم من الجبابرة فقد كان طول بطرس الاكبر نحو سبعة اقدام ونقولا

الاول كان أطول أهل مملكته . اما القيصر الحالي فلم يرث قامة اجداده لانه يعدّ دون الربعة طولا وهو أقصر من امرأته القيصرة الكسندرة . وكان عند زيارته مصر حليق اللحية فأصبح الآن مرسلها اشقر الشعر ازرق العينين اقرب الشبه بعائلة والدته مما بعائلة والده ولذلك فهو كثير الشبه بابن خالته البرنس اوف ويلس ولي عهد انكلترا حتى لا يستطاع التمييز بين صورتيهما



القيصر نقولا الثاني عند زيارته مصر وهو ولي عهد

فالقيصر مطلق التصرف في شؤون دولته ولكنه لا يخلو من مشيرين من اهل الثقة والتعقل . ورجال الروس معدودون في الطبقة الاولى بين رجال السياسة في اوربا واعظم هؤلاء في روسيا الآن اثنان الموسيو دي ويت وزير المالية والموسيو بوبدونوستزف نائب المجلس المقدس (سينود) والاول بازلٌ اقصى جهده في اصلاح مالية البلاد وتحسين حال العامة من أهل الفاقة عملاً برغبة القيصر في ذلك . وترى مساعيها في هذا السبيل ظاهرة وخصوصاً في سيبريا بانشاء الخط الحديدي الكبير الذي يقطعها من الغرب الى الشرق والشمال . وسيبريا قابلة للاصلاح وهي بقاع واسعة الاطراف كثيرة الانهار والبحيرات

واشتهر القيصر بحنوه ودعته ورفقه حتى بالاحزاب المضادة لسلطانه — ذكروا ان

بعض تلامذة المدارس من أهل الثورة رفضوا مبايعته في اول ولايته فلما بلغه ذلك ما زاد على قوله « اذا لم يرق لهم ان يكونوا من رعاياي المخلصين فليخرجوا من روسيا في ٢٤ ساعة وليقيموا في مملكة اخرى حتى يكتسبوا رعويتها ثم يعودون لاتمام دروسهم هنا اذا شاؤا » فلما بلغ اولئك التلامذة قوله خجلوا من انفسهم وأقسموا يمين الطاعة



القيصر نقولا الثاني بعد التتويج

وأما حياته البيتية فانها مثال في رقة الجانب والرأفة حتى على الخدم والاعوان فقد شق عليه بعد زواجه ان يخرج خدمه من قصر انيتشكوف ليقيم خدم امرأته مكانهم . وهو كثير العناية بوالدته والاحترام لها والروسيون على اختلاف احزابهم يحترمونها كما يحترم الانكليز شقيقتها الملكة الكسندرة امرأة الملك ادوارد

والروس مشهورون بتمسكهم بالمذهب الارثوذكسي والقياصرة اكثر الناس تعلقاً به واقربهم الى الورع والتدين وقد وجهوا العناية الى اتقان الكنائس وانفاق

الاموال الطائلة في تشييدها وزخرفتها وقد اشرنا في ما تقدم الى الدخل العظيم الذي يستولي عليه القياصرة ولذلك فهم عائشون في بذخ وترف تقتضيه السلطة المطلقة واليك وصف بعض قصورهم وكنائسهم ملخصة من كتاب مشاهد اوربا وامير كالحضرة ادوار بك الياس مما شاهده عياناً — قال في اثناء وصفه شارع نفسكي في بطرسبورج

• والذي يقف في هذا الشارع العظيم يمكن له الوصول منه الى كثير من مشاهد بطرسبرج المشهورة • من ذلك كنيسة كازان (العذراء) الكاتدرائية ولها شهرة ذائعة في الخافقين فانها قائمة على ١٣٢ عموداً ضخماً من الرخام تشبه عمد كنيسة القديس بطرس في رومه وقد بنيت على النسق الكورنثي وهو الذي تحيط به اعمدة كهذه ولها قبة من النحاس الاصفر قطرها عشرون متراً وقد طليت بالذهب فكأنها هي ذهب خالص بما تشع من الانوار وما يظهر فيها من الجمال الساحر للانظار • والقبة هذه قائمة على عمد عدتها ستة وخمسون قوائمها وتيجانها من النحاس الاصفر المغشي بالذهب ايضاً وفي جدرانها اعلام غنمها الروس في حروبهم الكثيرة مع الاتراك والنمسويين والالمان والفرنسيس والايرانيين • والى جانب هذه الاعلام مفاتيح للمدن التي دخلها جيش الروس عنوة وضعت كلها تذكاراً لفعال الابطال الذين غنموها وعنواناً على فخر الامة بجيشها الباسل • واما هيكل الكنيسة وايقونستاسها فقد صنعا من الفضة الخالصة وفي الكنيسة صور للعذراء كثيرة ورسوم أخرى دينية ولم يقتصر الروسيون على تحلية هذه الايقونات بالفضة والذهب بل هم رصعوها بحجارة الالماس الكبيرة وهذا افتنان خاص بالروسيين دون سواهم

• وفي هذا الشارع بعد الكنيسة المذكورة المكتبة القيصرية المشهورة وهي من اعظم مكاتب الارض في كثرة المجلدات ان لم تكن اعظمها • فيها نحو مليون وستمائة الف كتاب مطبوع واكثر من أربعين الف كتاب بخط اليد وثمانين الف رسم متقن لجوانب الارض وكل هذه النفائس الثمينة في خدمة الذين يطلبون العلم من أهل البلاد وساكنيها • وبناء المكتبة واسع فخيم له طبقتان وقد قسم أقساماً جعل بعضها للكتب الدينية والبعض للكتب الفلسفية او الطبية او الرياضية او غير هذا من مواضيع العلم والمعرفة وقد رأيت فيها كتباً عربية قديمة العهد منها كتب بخط اليد ومنها ما هو مطبوع وتوراة يونانية من الجيل الخامس وجدها الاستاذ تشندورف في دير طورسينا • وفي المكتبة أيضاً معرض لادوات الكتابة من اول امرها الى الآن وأول كتاب روسي طبع في هذه السلطنة وغير ذلك

من التحف التي لا تعد · وقد أسس هذه المكتبة العظيمة القيصر بطرس الكبير وعنيت القيصرة كاترينا الثانية بتحسينها من بعده · وكيفما سرت في أنحاء المكتبة ترى رسوم هذا القيصر وهذه القيصرة اقراراً بفضلهما واحياء لذكر مآثرهما

· وفي هذا الشارع قصور عديدة للامراء والسراة لا يستفيد القارىء من عدها واشهرها قصر نقولاي كان جلالة القيصر الحالي يقيم اذ كان ولي العهد · وينتهي هذا الشارع بدير نفسكي الشهير وهو مقام رئيس الاساقفة واعظم أديرة روسيا شهرة وثروة ويعد من الاديرة القيصرية وهي ستة ثلاثة منها في روسيا اولها دير نفسكي هذا والثاني في ترويتسا والثالث في كيف وثلاثة في الخارج هي دير طورسينا ودير اورشليم ودير أثوس عند مدخل الدردنيل في بلاد الدولة العلية· ودير نفسكي هذا مبني على شكل حصن عظيم تحيط به الخنادق والاسوار القوية وهو اغنى اديرة روسيا بماله من الاوقاف وما فيه من الذخائر والكنوز بدأ به بطرس الكبير على مثل ما تقدم ووهبته الامبراطورة اليصابات سنة ١٧٥٢ ما استخرج من الفضة مدة سنة كاملة من مناجم روسيا التي اكتشفوها وقتئذٍ فبلغ ذلك ١٨٠٠ كيلو · واهديت اليه هدايا لا حصر لها ولقيمتها فزينت كنيسته بالذهب في اكثر جوانبها وعلقت فيها الايقونات الثمينة المرصعة وملئت جوانبها بالمصابيح الفاخرة والنقوش البديعة حتى ان منظر هذه الكنيسة في داخل الدير ليعد من اجمل ما تراه العين · والى يمين الكنيسة قبر القديس نفسكي الذي نقله بطرس الكبير من موسكو وقد صنع القبر من الفضة الخالصة وفوقه انجيل مغشى بالفضة وصليب من الذهب وامامه شمعدانان كبيران من الفضة هبة القيصر اسكندر الاول وتحف أخرى لا محل لذكرها · وعيد هذا القديس من الايام المشهورة في روسيا تقام له صلوات ويحضر القيصر بنفسه صلاة العيد في كنيسة هذا الدير واكثر الاحيان يتناول الغداء مع رئيس الاساقفة بعد الصلاة في منزله الكائن داخل سور هذا الدير العظيم · وفي فناء الكنيسة مدافن لبعض أمراء الاسرة القيصرية واشراف الدولة الروسية وهو بوجه الجملة من المشاهد العظيمة في هذه العاصمة

« على ان الذي مرّ كلهُ لا يذكر في جنب القصر الشتوي المشهور وما له من الاهمية الكبرى في مدينة بطرسبرج فان الواقف في الميدان المتسع امام هذا القصر الباذخ يرى اعظم المساكن لاعظم القياصرة ويرى متحف ارمتاج وقصر أركان الحرب ودار وزارة البحر وندوة الاعيان والمجمع المقدس وكلها تشرف على نهر النيفا حيث يمتد رصيف

عظيم الى جوانبهِ سفارات الدول الكبرى وقصور الامراء العظام حتى اصبحت تلك البقعة مركز روسيا وقلبها ونقطة التودد والفخامة فيها . فليس يخفى ان حكومة روسيا مطلقة غير مقيدة وللقيصر في أمورها القول الفصل غير ان جلالتهُ يعمل في مهام الدولة برأي مجلس الاعيان وهو مركب من وزراء البلاد وكبرائها وأصحاب الشأن الخطير فيها فيغني ذلك عن البارلمان او مجلس النواب . والمجمع المقدس يفصل في الامور الدينية كلها وله رأي في المسائل الادارية الكبرى أيضاً برئاسة القيصر كما انه يرأس مجلس الاعيان فلا عجب اذا قلنا ان القوة والعظمة في روسيا تنحصر في تلك البقعة التي بني فيها القصر الشتوي وما ذكرنا من القصور الاخرى

• ولطالما سمعت بشمم هذا القصر وبدائع صنعه وتاقت النفس مني الى رؤيته فأوصيت الدليل بعد استقراري في عاصمة الروس ان يأخذني اليهِ فقام بالامر وجاء في احد الايام بإذن يمكن لنا به دخول القصر وهو ذو ابواب ومداخل عدة منها ما خصَّ بآل البيت القيصري ومنها ما اعدَّ لسفراء الدول ومنها باب لوزراء الدولة الروسية وقوادها يدخلون لقضاء المهام وتلقي الاوامر العالية ومنها باب لعامة الناس والسائحين دخلناهُ والهيبة ملء الفؤاد لما رأينا من عظمة البناء في خارجهِ فان القصر هذا واسع عظيم الهيئة له اربع طبقات بنيت كلها على عمد متناسقة من الرخام وفوق عمدهِ ونوافذهِ وابوابهِ آيات من النقش والزخارف وضعت على نسق تراح لمرآهُ النفس وتحدث بعظمة البانين وبالمال الطائل الذي انفق على تشييد مثل هذا البناء الفخيم . وارتقينا من ذلك الباب سلماً عريض الذرى صنعت كلها من الرخام الابيض النقي حتى انتهينا الى بهو عظيم يعرف بقاعة اسكندر وهي قاعة فسيحة نخيمة قامت على عمد من الرخام يتوج كل عمود منها نقش دقيق وقد اعدت من عهدٍ بعيد لذكر مجد الدولة الروسية في الحروب واحياء الذكر لابطالها وقوادها المشهورين ففيها ٢٥٠ صورة محكمة الصنع تمثل اولئك القواد من أيام القيصرة كاترينا الثانية الى هذا العهد . وهناك يستقبل القيصر امراء البحر وقواد الكتائب من رجال اسطولهِ وجيشهِ فيرى القادم صور اولئك الرجال وصوراً أخرى تمثل بعض الحوادث العظيمة مثل دخول الروس مدينة برلين سنة ١٧٦٠ وباريس سنة ١٨١٢ وحصار وارنا سنة ١٨٢٨ واستيلائهم على ارضروم سنة ١٨٢٥ وغير هذا من الحوادث التي يفخر الروس بذكرها . وفي صدر هذه الرسوم كلها رسم بطرس الكبير بقدهِ الطبيعي وضع في برواز غالي الثمن وكل ذلك يذكر الرائي بمجد

الامة الروسية وفعال ابطالها في الحروب

• وقاعات هذا القصر العظيم اكثر من ان تعد هنا ولا مجال لوصف شيء منها غير القليل • اذكر منها قاعة الكساندرا كلها بيضاء مذهبة لمنظرها تأثير يفرح النفوس ويشرح الصدور وقد زاد بهاؤها في ان ادوات النور من الشمعدانات والثريات فيها صنعت من اللازورد الغالي الثمن ومقاعدها وكراسيها محلاة بالذهب الوهاج وملبسة بالحرير الابيض من احسن انواعه • وتليها قاعة بطرس الكبير وهي حمراء اللون كسيت جدرانها ومقاعدها بالمخمل الاحمر وفيها رسم هذا القيصر العظيم تحيط به الملائكة وشعار الدولة الروسية صنعت بماء الذهب ولها منظر فائق الجمال • وفي صدر هذه القاعة عرش القياصرة وهو مقعد كبير من الذهب مرصع بالحجارة الكريمة لا يقعد فيه القيصر الا مرة او مرتين في العمر • وقد اعتاد القياصرة في المدة الاخيرة استقبال سفراء الدول في هذه القاعة في رأس السنة وهو الاستقبال الذي يقول فيه القيصر شيئاً عن سياسة الدول ويرن صداه في كل اقطار الارض

• والعائلة القيصرية قدوة للامة الروسية كلها في الورع والتدين فلا يفوت افرادها حفلة عامة للصلاة ولها تمسك بالدين الارثوذكسي مشهور حتى ان امراء الروس لا يجوز لهم الاقتران بأميرة غير ارثوذكسية ولا بد للاميرة الاجنبية من اعتناق المذهب الارثوذكسي قبل الاقتران بواحد منهم وهذا الذي جرى لجلالة القيصرة الحالية والقيصرة الاخيرة وكثيرات غيرهما • فلما كانت هذه منزلة العبادة عندهم فهم اقاموا في داخل القصر الشتوي الذي نحن في شأنه كنيسة بنيت على اسم العذراء تقام فيها صلوات عامة في بعض المواسم والاعياد الكبرى وقد وضعوا على باب هيكلها صورة للعذراء ثمينة مرصعة بالالماس والياقوت والزمرد وبعض هذه الحجارة يساوي الوفاً من المال • وهنالك خزانة غالية الثمن وضعت فيها عظام يقولون انها بعض عظام ماريوحنا المعمدان ومريم المجدلية وقد أرسلت الصورة والعظام هذه الى قياصرة الروس من فرسان مالطة المشهورين اعترافاً منهم بفضل القياصرة على اهل النصرانية عامة • ويحتفل في هذه الكنيسة بقداس عظيم يوم عيد الغطاس من كل سنة بحضرة القيصر وأمراء البيت القيصري وكبراء السلطنة ورؤساء الدين وقواد البر والبحر وبعد الصلاة يسير القيصر في جمع غفير من الشعب ورجال الحرس الامبراطوري الى نهر النيفا وتنصب فوق الجليد مظلة كبيرة يحتفلون تحتها بصلاة يحمل فيها رئيس الاساقفة صليباً يغطسه في الماء المصلى فوقه ويرش به القيصر

واعضاء عائلته وبقية الحاضرين ثم يأخذ كل واحد شيئاً من ذلك الماء المصلى فوقهُ في زجاجةٍ ويبقيهِ في بيته للتبرك وقد رأيت منهُ زجاجة في غرفة القيصر نقولا الاول باقية في هذا القصر من أيام الامبراطور المذكور

• وأجل ما في هذا القصر العظيم وأثمنهُ قسم منهُ خصص لجواهر القياصرة ونفائس التحف النادرة المثال وقد وضعت هذه الجوهرات الثمينة في غرفة متينة ابوابها من حديد يقوم بحراستها أثنان من ضباط الحرس الامبراطوري فاذا اذن لاحد الناس بالدخول اليها دخل معه الضابطان وأوصدا من ورائه الابواب فيرى من غالي الحجارة الثمينة مايبهر الانظار ويسحر الافكار في جملة ذلك حجر من الالماس عظيم القدر والقيمة قيل انه كان في عين معبود الهنود في مدينة دهلي اسمه المغول الكبير وكان في العين الثانية الحجر المشهور باسم «كوه نور» اي جبل النور وهو الآن في حوزة الدولة الانكليزية والحجران من أثمن جواهر الارض طرًّا واعظمها جمالاً • ويقال في كيفية وصول ذلك الحجر الى قياصرة الروس ان هندياً سرقهُ من عين الصنم وفرَّ بهِ الى مدينة مالابار في جنوبي الهند فلقيه ربان لسفينة بورتغالية واشترى الالماسة منه بالفي جنيه ولما عاد الى اوروبا باعها لتاجر اسرائيلي بالفي عشر الف جنيه وباعها التاجر لصائغ ارمني في مدينة امستردام بهولاندا وهي مشهورة من قدم بصناعة الالماس وطرائق قطعه ونحته وصقله وكان هذا الصائغ الارمني روسي التبعة اسمه لازاريف فعرف بالامر الكونت اورلوف وهو يومئذ من كبراء الدولة الروسية واصحاب الثروة الطائلة فيها فاستقدم اليه الصائغ واشترى الجوهرة منهُ بنصف مليون ريال روسي ومعاش سنوي لذرية البائع مقدارهُ الفا ريال • ثم حمل الكونت ذلك الحجر الى القيصرة كاترينا الثانية وقدمه هدية لها ووزنه ١٥٨ قيراطاً فهو من اكبر الجواهر حجماً ووزناً • وللحجر الآخر الذي كان في عين الصنم بدهلي قصة أخرى تحكي هذه فان الفاتحين من ملوك ايران مثل نادرشاه ومحمود الغزنوي استولوا عليه مدة ثم عاد الى قبضة سلاطين دهلي حتى اتيح للانكليز دخول الهند والاستيلاء على بعض خزائنها فكان هذا الحجر الثمين اكبر ما احرزوا من الجواهر واعظمها فارسلوه الى امستردام ليصقل ويقطع • وكان الامير الهندي دوليب سنغ الذي أخذ هذا الحجر من خزائنه بعد ان طردهُ الانكليز من مملكته لا يتحسر على شيء قدر تحسره على تلك الجوهرة الثمينة واشتهر هذا الامير بالتجائه الى روسيا وعمل الدسائس الكثيرة ضد انكلترا فلما أخفق سعيه ورأى ان الحكمة في التسليم للقوة طلب الصفح من الملكة فكتوريا



القيصر نقولا الثاني بلباس القوزاق

فصدر أمرها بالعفو عنه ولما جاء لمقابلتها بعد العفو قال لها اني ارجو جلالتك في امر صغير قالت ما هو قال ان تسمحي لي بنظرة من كوه نور او هي تلك الالماسة العظيمة فاني اشتاق لرؤيتها اكثر من شوقي لرؤية الوطن والخلان فامرت الملكة باحضار الجوهرة وقدمتها له فاخذها بيده وجعل يقلبها ويعجب بباهر نورها ثم ردها الى الملكة قائلاً اني بكل احترام اقدم هذه الهدية العظيمة الى امبراطورة الهند وملكتي المعظمة فقبلتها الملكة باسمة شاكرة وانصرف الرجل • وان هذا الامير الهندي اسمه البرنس فكتور دوليب سنغ ربي في انكلترا واقترن بابنة اللورد كوفنتري احد اشراف الانكليز من عهد غير بعيد وجاء القطر المصري متنزها غير مرة » اه

٢ – امبراطور اليابان



امبراطور اليابان على جواده

يدعو اليابان مملكتهم « نيبون » أي مشرق الشمس ويسمونها أحياناً نيبون العظمى كما يسمي الانكليز مملكتهم بريطانيا العظمى لانها مؤلفة من جزر نيبون اكبرها . ويلقبون امبراطور اليابان « كوناي » ويعرف في الخارج باسم الميكادو أي « الباب الشريف » على نحو تسمية حكومة الدولة العثمانية بالباب العالي . واليابان يكرهون التفخيم في القابهم

والامبراطور الحالي اسمه « موتسو هيتو » ولد في كيوتو سنة ١٨٥٢ فهو الآن في الثانية والخمسين من عمره وخلف اباه على كرسي الملك سنة ١٨٦٧ وهو في الخامسة

عشرة — ويزعم انه متسلسل من جد اسمه جيموتنو أي ابن السماء وانهُ الملك الثالث والحادي والعشرون من أعقابه. وان دولتهم تأسست سنة ٦٦٠ قبل الميلاد — وفي سنة ١٨٦٩ تزوج موتسوهيتو الاميرة هروكو بنت الامير ايشيجو أحد عظماء الاشراف. والزواج عند اليابانيين ترتيبيٌّ بمعنى ان الرجل حتى الامبراطور نفسه لا يختار زوجته بطريق المحبة. وليس له ان يتزوج فتاة من العائلة المالكة بل هو يختار امرأته من احدى العائلات الخمس العظمى في اليابان. ويجوز له ان يقتني احدى عشرة زوجة من العائلات الوسطى مع ان تعدد الزوجات محرم في مذهبهم. ولا تسمى امبراطورة الا الزوجة الاولى. وقد ولد للامبراطور ثلاثة عشر ولداً خمسة ذكور وثماني اناث توفي اكثرهم والباقون هم (١) ولي العهد واسمهُ يوشيهيتو ولد سنة ١٨٨٦ وهو ضعيف البنية (٢) الاميرة ماساكو ولدت سنة ١٨٨٨ (٣) الاميرة فوساكا ولدت سنة ١٨٩٠ (٤) الاميرة نوبوكو ولدت سنة ١٨٩١ (٥) الاميرة توشيكو ولدت سنة ١٨٩٦ — وقد تزوج ولي العهد سنة ١٩٠٠ الاميرة ساكادو فولدت له سنة ١٩٠١ غلاماً قوي البنية

والامبراطور طويل القامة ليس في رعيته رجل اطول منهُ. يمشي بقدم ثابتة. وكان في أول حكمه يلبس اللباس الياباني ثم بدله باللباس الافرنجي ويغلب ان يتخذ السراويل (البنطلون) من نسيج أحمر وسائر البدلة بيضاء. وقد يتخذ ثوبه من اللون القرمزي والابيض وقبعتهُ سوداء. وفي الايام الاخيرة اكثر ما يظهر للناس بثوب عسكري يشبه أثواب القواد ويتقلد سيفاً مذهباً ويزين صدره بالاوسمة المرصعة. وهو يكره البحر والنزول فيه ولذلك لم يقتنِ يختاً خصوصياً مع ان بلاده محاطة بالمياه وكثيراً ما يضطر لركوب البحر الى احدى الجزر فينتقل في مركب تجاري

ولما تولى الملك أخذ في تعلم اللغات الافرنجية فرأى ذلك شاقاً عليه فعدل عنهُ وهو يتداول مع السفراء والسياح من الافرنج بواسطة التراجمة. وقد ذكر بعض الذين خبروه من النزالة الانكليزية في يوكوهاما انه من الفطنة والتعقل والحكمة على جانب عظيم ومع انهُ قضى طفوليته منقطعاً عن الناس على عادة ملوك الشرق في تربية أولادهم فقد تمكن من مطالعة آداب لغته وا كثرها عن الصين وعلمائها وفلاسفتها. وأتقن كتابة

الشعر وترتيب الازهار على النمط الياباني . وقد فطر على حب الاطلاع وله ارادة قوية ورغبة شديدة في اقتباس التمدن الحديث وتنوير اذهان رعاياه . فبعد ان كان معدوداً عندهم حاكماً روحياً لاينظر اليه أحدٌ ويبقى حياً واذا ذكروه قدسوه كما يقدسون الآلهة واذا جلس اليهم في حفلة أو جمعية تقنع وقعد بعيداً ولم يكن يلبس الثوب مرتين ولا يتناول طعامه من طبق واحد دفعتين — فقد أصبح يجالس الامراء ويفاوضهم ويركب في مواكبهم . ومع ذلك فانه قاسى في سبيل الحصول على هذه الحرية عذاباً شديداً . وكان نصيره في هذا الجهاد المركيز ايتو اكبر رجال سياسة



المركيز ايتو — اكبر ساسة اليابان

و « المركيز ايتو » اسمه هيروبي ايتو ولد في ولاية تشوشو من أعمال اليابان سنة ١٨٤١ وتلقى العلم فيها على قدر ما كانت تسمح به حالة تلك الايام . فلما تجاوز العشرين من عمره تاقت نفسه الى اكتساب العلوم العالية . وكانت ذكرى أوربا ترنّ في أذنيه فجاء انكلترا سنة ١٨٦٣ فاطلع على علومها وتفقد أسباب تمدنها فأضاف معارف الغرب الى معارف الشرق واتخذ من المزيج قوة أهلته لاكبر المناصب فكان

اكبر وسيلة ساعدت أمة اليابان على تلك النهضة التي أدهشت العالم وبهرت العقول

وأخذ ايتو منذ عاد الى بلاده يتدرج في المناصب حتى بلغ اعلاها . فتولى سنة ١٨٦٨ حكدارية هيوجو وكانت في حالٍ تدعو الى والٍ ذي دراية في السياسة الخارجية فلم يروا أليق منه لذلك . ولكنه لم يلبث سنة في هذا المنصب حتى رأت الحكومة انها تحتاج اليه في اصلاح المالية فولته وكالة نظارة المالية وشخص سنة ١٨٧٠ الى اميركا فقضى فيها سنة يدرس نقودها وما يتعلق بها . فلما عاد الى منصبه ظهرت نتائج ابحاثه في سرعة تقدمه فترقى سنة ١٨٧٣ الى رتبة الوزارة وتولى نظارة الاشغال العمومية ومنزلته ترتفع في عيني الامبراطور يوماً عن يوم فلم تدخل سنة ١٨٨٥ حتى عهد اليه بتشكيل الوزارة . فتولى رئاسة النظار ثلاث سنوات متوالية ثم اعتزل هذا المنصب وتنقل في مناصب أخرى بخدمة الامبراطور . فكان تارة رئيس الخاصة وطوراً صاحب الختم وآونة رئيس مجلس الشرفاء ونال لقب كونت

وعاد سنة ١٨٩٢ الى الوزارة وما زال فيها الى سنة ١٨٩٦ وجرت الحرب بين اليابان والصين في تلك الاثناء فأبان فيها من الدهاء والحزم ما خلد له الذكر الجميل . فلما انقضت الحرب كافأه الامبراطور بلقب ماركيز . ثم عاد الى الوزارة ثالثة سنة ١٨٩٨ ورابعة سنة ١٩٠٠ ولكنه لم يمكث في كليهما الا بضعة اشهر . ثم اقتضت صحته ومصالح بلاده انتقاله الى اوربا

ترى من سرعة ارتقاء هذا الرجل في مناصب الدولة انه ذو مواهب سامية . غير ان المواهب السامية لا تقتضي الاتيان بالمنافع الكبرى حتماً الا اذا تمهدت لها الاحوال وكان صاحب المواهب راغباً في الاصلاح . اما ايتو فأنه توفق الى خدم جزيلة يندر ان تتأتى لرجل وخصوصاً في الشرق وسبب نجاحه انه لم يشرع في عمل قبل ان يدرسه ويتفحصه وقد سار الى اوربا واميركا غير مرة لهذه الغاية . ومن أهم تلك الاعمال انه ادخل الشورى في الحكومة اليابانية فبعد ان كانت حكومة مطلقة وقول الملك فيها شريعة المملكة جعلها شوروية . ولا يخفى ما يحول دون ذلك من المشقة في أمة كان يزعم المتمدنون انها من الامم الخاملة .

بدأ بتأسيس الشورى سنة ١٨٨٣ فوضع لها اللوائح وطال به أمر التشريح والتعديل لمراقبة هذا النظام عندهم حتى تقرر رسمياً سنة ١٨٨٩

وخلاصة نظام الحكومة اليابانية ان الامبراطور هو رأس المملكة وله سلطة الاجراء بمساعدة مجلس شوراه وهم مسئولون بين يديه عن اعمالهم وهو يوليهم ويعزلهم . وهناك أيضاً مجلس خاص يبحث في المسائل الهامة المتعلقة بالمملكة مما يعرضه الامبراطور . وللامبراطور ان يشهر الحرب ويدعو الى السلم ويعقد المعاهدات . وفي اليابان مجلس للاعيان ومجلس للنواب فلا يسنّ الامبراطور قانوناً الا بمصادقتهما

ومن اعمال ايتو أيضاً أنه أصلح الجندية اليابانية في البر والبحر وبذل في سبيل ذلك العناية الكبرى . ولولا هذا الاصلاح ما استطاعت اليابان ان تتغلب على الصين في حروبها سنة ١٨٩٣ — ١٨٩٦ ولا حدثتها نفسها بالوقوف امام جنود الروس . وللمركيز ايتو لائحة في بناء السفن لا يزال العمل جارياً بها وقد جعلت أسطول اليابان من أمنع الاساطيل

والسر في نجاح مشروعاته واخراجها من القوة الى الفعل انما هو ثقة الامبراطور فيه وانقياده له ولولا ذلك لذهب سعي المركيز هباء منثوراً . ولكنه تسلط على رأي الامبراطور تسلطاً عجيباً وهان عليه اقناعه في ما يشرع فيه من الاصلاح . وخلاصة القول ان الله رضي عن اليابان فمنحها وزيراً حكيماً وسلطاناً سامعاً فلم تمض عليها ثلاثون عاماً حتى انتقلت من مصاف الامم الخاملة الى أرقى مدارج المدنية

يقيم المركيز ايتو الآن في عزبة له اسمها (أويسو) قرب مدينة طوكيو وهو يحب الرياضة البدنية كثيراً ولكنه يفرط فيها حتى تتوالى عليه النزلات الشعبية . وقد وخطه الشيب ولكنه يخضب شاربيه ولحيته . وهو الآن في العقد السابع من عمره لكنك اذا نظرت الى عينيه او سمعت صوته ظننته أصغر من ذلك كثيراً . وهو يلبس اعتيادياً اللباس الافرنجي وفوقه القباء الكبير المزرر من الامام كما تراه في الرسم وعلى رأسه طاقية افرنجية ويحسن التكلم بالانكليزية واذا خاطبته وذكرت نهضة اليابان الاخيرة تنسمت من مجمل كلامه اعجاباً بما كان له من الباع الطولى في ذلك

ومن أخلاقه التي يجب أن تكون مثلاً لكل شرقي — سواء كان من رجال السياسة أو العلم أو لاي فرد من أفراد الناس — انه مع رغبته في اقتباس عوامل التمدن الحديث والاقتداء بآداب المتمدنين وترغيب مواطنيه في اقتباسها لم يكن يقبل عادة افرنجية ولا عملاً افرنجياً الا بعد ان يلبسه حلة يابانية محافظة على جامعة الوطن واحتراماً لعوائد البلاد وشعائر أهلها . فهان عليه نشر ما أراد نشره من الامور النافعة ولم يحط من منزلة أمته . فما أجدره ان يكون مثالاً للناس بين ظهرانينا تراهم اذا اقتبسوا عادة افرنجية بالغوا في المحافظة على أصلها اكثر من محافظة أصحابها عليها وان يكن في بعض تفاصيلها ما يخالف الآداب الشرقية

وديانة اليابان وثنية مثل ديانة أهل الصين ففيها من الديانة الشنتوية احدى عشرة طائفة ومن البوذية ١٢ طائفة في ٣٠ مذهباً . وليس للحكومة ديانة معينة ولا هي تحمل الناس على دين دون آخر فالاديان حرة عندهم ولذلك فالمرسلون المسيحيون قلما يلاقون اضطهاداً حتى كثروا هناك واكثرهم من الكاثوليك والبروتستانت

والتعليم الابتدائي الزامي عندهم وعدد التلامذة في مدارسهم نحو ٨,٠٠٠,٠٠٠ غلام بين السادسة والرابعة عشرة . وفيها مدرسة جامعة مؤلفة من ست كليات للقضاء والعلم والطب والادب والهندسة والزراعة والحكومة تنفق عليها . وفي اليابان ٢٥ مكتبة فيها ٤٤١,٠٣٤ مجلداً وينتشر فيها من المطبوعات كل سنة نحو ٢٧,٠٠٠ كتاب و ٧٥٣ صحيفة بين يومية وأسبوعية وشهرية وعدد النسخ التي تنشر منها نحو ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ نسخة

مساحة جزيرة اليابان ١٤٧,٦٥٥ ميلاً مربعاً وعدد سكانها ٤٢,٢٧٠,٦٢٠ نفساً بينهم ٤,٥٣٣ من اهل الصين و ١,٩٦٠ من الانكليز و ١,٠٢٥ من الاميركان ونحو الف نفس من الالمان والفرنساويين والبروتوغاليين و ٢٦٩ من الروس . ويلحق بجزر اليابان جزيرة ايزو وتسمى ايضاً هوكيدو عدد سكانها ١٦,٩٧٨ نفساً

جزائرة القومور

احتجاج السيد علي المنزواني

نشرنا في الهلال الخامس من هذه السنة مقالة عن جزائر القومور بقلم صاحب «فيكتور هوكو وعلم الادب» جاء فيها كلام يتعلق بتاريخ العائلة الحاكمة في المنزوان خلاصته ان السيد علي بن السلطان سليم ثار على اخيه عبدالله وطالب بالملك فغلبه السيد عبد الله وتولى الملك . والسيد علي المذكور مقيم الآن في لقصر بالصعيد فاحتج على هذا القول احتجاجاً ننشره رغبة في تقرير الحقيقة . ولصاحب تلك المقالة الرأي فيه وهاك نص الاحتجاج قال :—

« ان الثورة التي ذكرها الهلال انما كانت من اخوينا الامير محمد والامير عثمان لاسباب لا محل لذكرها هنا . ولدى أن أخانا الاكبر عبد الله هو كفيف البصر قد قمت معضداً له عملاً بوصاية جدنا التي مقتضاها ان الملك يكون للاكبر فالاكبر وقد ساعدنا الله بالانتصار على اخوينا الثائرين وجلس أخونا الاكبر السلطان عبد الله على سرير الملك ويومئذ قلدني أخي أعظم نشان لديه انعاماً ومكافأة ولا يزال هو وبراءته لديَّ شاهدي حق على ذلك

وقد كان تقليده اياي بمحضر من قنصل الانكليز المستر ربت سنلي والدكتور ولسن الاميركاني والامير السيد سالم ابن السلطان عبد الله والشيخ احمد بن سلمين قاضي القضاة وغيرهم من الاكابر . وبعد ذلك قصدت حج بيت الله الحرام في شوال سنة ١٣٠٥ برضى ومفاوة من أخي السلطان وصدر لي التصريح باسمه وعليه تصديق من قنصل فرنسا ولا يزل هذا التصريح محفوظاً تحت يدي أيضاً

ولكن لدى عودتي من مكة ووصولي الى (مايوتة) لم أشعر الا وحاكمها (غفر نير بايتسو) جردني من أملاكي وأموالي وكل ما كان معي ثم أخذت أسيراً الى مدغسكر دون ان أعلم لي ذنباً . وبعد ذلك امكنتني الفرصة من وصولي الى موريس التابعة لحكومة انكلترا ومنها تنقلت من بلد الى بلد حتى وصلت مصر

ومن تاريخ قيامي حتى الآن لم أعد لبلادي ولم اجتمع على عائلتي وانما بلغني أمر وفاة أخي ووقوع عائلتنا بعد ذلك في قبضة الذل والهوان

وقد ذكر الهلال « ان دولة فرنسا أجلست السيد عمر على كرسي سلطنة هنزوان وكان طاعناً في السن ووارث لعلوي وهو السلطان المخلوع في سنة ١٨٤٣ وكان السيد عمر ميالاً لفرنسا الخ »

فأقول رداً على ذلك ان عمر المذكور ليس من عائلتنا ولا وارثاً لملكنا وانما والده يدعى حسن وأصله من بلدة تسمى (بات) تابعة لزنجبار وأهله موجودون فيها حتى الآن . وكان قد حضر الى هنزوان وتزوج فيها باحدى الفلاحات المسماة زينة وولدت له عمر المذكور وهذا نشأ في مدارس هنزوان وصار ترجماناً بعد ذلك لوالدنا السلطان سالم وبعد وفاة والدنا حصلت منه هو وعلوي بن حسين وعبد الله أخيه فتنة ضد أخينا الذي انتصر عليهم وقتل علي وعبد الله وفر عمر هارباً الى مايوتة وهناك رفع قضايا وتملق لفرنسا فأرجعته الى هنزوان على سفينة حربية فلما بلغ الخبر مولانا السلطان عبد الله تكدر وارتبج ووسط قنصل الانكليز في الامر واتفق انه في ذلك الحين حضر وابور حربي انكليزي عليه المستر مجيلى قنصل انكلترا في مسقط فاتفقا معا على دخول عمر بلاد هنزوان

وما زال بعيداً منها حتى توفي اخونا السلطان عبدالله وحصل ما حصل في هنزوان من الفتن فأسرع اليها عمر المذكور وادعى انه من عائلتنا فأمكنته حكومة فرنسا او عينته فعلاً سلطاناً على البلاد الهنزوانية وبعد وفاته خلفه ابنه محمد

واني لا أزال مطالباً بحقوق عائلتي معتقداً ان حكومة فرنسا متى وقفت على مظلمتي وان أملاكي واموالي سلبت مني خيانة وغدرا وان السلطان الحالي على هنزوان ليس من عائلتنا ولا وريثاً لها بوجه من الوجوه تساعدني على نيل مطالبي وتعدل عن مساعدة سالبي عائلتنا حقوقها

الامير علي
ابن السلطان سالم بن السلطان علوي
القادر الهنزواني

صحة العائلة

الاشربة الروحية

لحضرة نعمة افندي ايليا الصيدلي القانوني في دمنهور

٣ — بحث في احتجاج مستعملي المسكرات

(١) الكحول غذاء : يقول شاربو المسكرات ان الكحول طعام ويستشهدون باشخاص كثيرين عاشوا اسابيع عديدة وهم لا يقتاتون بغير الكحول والماء . فيجابون على هذا ان اشخاصاً عديدين لبثوا ثلاثين الى ستين يوماً لا يتناولون سوى الماء الزلال وقد ظلوا احياء بدون مساعدة الكحول وقد رأينا فيما مرَّ انه لا يتغير في الجسم فهو هو في الآلة التي ستقطره وفي المعدة وفي الدم وفي الدماغ وفي الكبد وفي الانسجة وفي النفس وفي العرق وفي البراز . وبالاختصار لا يستعمل الجسم الكحول بل يطرده منه كما يطرد السموم فهو ليس غذاء بل سم زعاف . قال رتشاردسون « لا اعتبر الكحول طعاماً الا اذا اعتبرت الكلوروفورم والايثير كذلك »

(٢) الكحول مضاد الفساد فهو يحفظ الجسم : اذا وضعتَ في الكحول تفاحة او حيواناً لا يدركه الفساد او الانحلال فاستنتج محبوهُ انه يقي انسجة الجسم من الانحلال . هل يتصور العقل غروراً اعظم من هذا ؟ السليماني والحامض الكبريتيك والمستحضرات النحاسية والحامض الكربوليك كلها من مضادات الفساد فمن يستعملها لحفظ الجسم او اطالة الحياة ؟ ومع ذلك فلو سلمنا ان الكحول حقيقةً يمنع انحلال الانسجة فيكون بذلك مانعاً لناموس الانحلال الطبيعي وبالنتيجة يكون عمله مضراً جداً لان عمل الحياة متوقف على التغييرات الحادثة في انحلال مادة الانسجة وكما يمنع هذا الانحلال يمنع العمل الحيوي ويقاوم احوال المادة الضرورية للحياة . فمن

هذا يظهر وهن اعتراض السكيرين . يزعمون ان ما يفقده الجسم باستعمال الكحول هو أقل منه في الممتنعين عن شربه اذا تساوت باقي الاحوال فكانهم يقولون الكحول يمنع التغييرات الحيوية ولذلك يحفظ الجسم من الانحلال والتلاشي وعلى هذا الاساس يصفونه لمن يتقدم على عمل شاق منهك للقوى الجسدية . يقولون ان كمية المواد المنحلة التي تظهر في بول السكير وغيره من المفرزات اقل مما في من لا يشرب المسكر فيستنتجون ما قيل سابقاً يمنع الكحول الانحلال . تلك نتيجة مدهشة لا يدركها الا المغرم بالمسكرات . لان النتيجة الحقيقية التي يجب استخراجها من تلك المقدمات ان الكحول يمنع الاعضاء المفرزة من اخراج المواد الميتة السامة في الجسم الحادثة من انحلال مادة انسجته وهي اكثر تصديقاً وأقرب الى الحقيقة لا بل هي الحقيقة بعينها لان الكحول نفسه سم يخرجه الجسم بواسطة الاعضاء المخصصة فيه لطرد المواد المائتة وتلك الاعضاء لا تقدر على اكثر مما فرض عليها من العمل . فاذا شغلت معظم قواها لاخراج الكحول عجزت عن اتمام واجباتها في اخراج المواد المنحلة ولذلك يزداد تجمع المواد المذكورة يوماً بعد يوم وتزيد ثقل الجسم وهذا هو سبب انتفاخ هيئة السكير الخارجية . وتجمع تلك الانسجة ليس سمناً صحيحاً ومع ذلك فلا يزال بعض العلماء يقولون بشرب الكحول لمنع انحلال مادة الجسم فعلمٌ كهذا يصدق عليه قول بولس « العلم الكاذب » . فان كان في الكحول قوة لمنع الانحلال او يظن بوجودها فيه ولاجلها جاز استعماله فيجوز لنا ايضاً استعمال الحامض التنيريك والزئبق اللذين بين الدكتور فايف من ايدنبرج انهما يفعلان نفس ذلك الفعل . غير ان الدكتور سميث وغيره بينوا جلياً ان الكحول لا ينقص انحلال الجسم بل يزيده كما يظهر من ازدياد كمية الحامض الكربونيك الخارجية من الرئتين مع ان كمية اليوريا الخارجة من الكلى هي أقل ولذلك تغير هذه الحقيقة وجه البرهان وتفند زعم القائلين بان الكحول طعام سلبي

(٣) الكحول يقوي العضلات : كثيرون من الفعلة والمسافرين والجنود يستعملان الكحول لانه في زعمهم مقوٍ فاذا تعب العامل تناول قدحاً من المسكر

ممزوجاً بالماء فيشعر بتحسين حاله ويتوهم زيادة في قوته غير ان تلك القوة لم تكن الاّ خداعاً . يظن شارب الكحول انه أقوى منه قبلاً وأقدر على الاعمال الشاقة واكثر احتمالاً للتعب والبرد لكن الامتحان يظهر له فساد معتقده فالشعور بالشيء والعمل به امران مختلفان . فالكحول قد غشه لانهُ خدَّر الاعصاب او شلها ففقدت حسها الطبيعي ولذلك ظن شاربه انه قوي حيث لا يعلم بتعبه . يشلُّ البرد القارس اليدين فتفقد الحس حتى يمكن وضع الاصابع بالنار بدون الشعور بفعلها المحرق لكن ذلك لا يمنع من الاحتراق . وقد جرب ذلك الدكتور كلوك وغيره ورفعوا نتائج ابحاثهم الى الجمعية الطبية الاميركية لمنع المسكرات فقالوا « ان شاباً صحيح الجسم تناول ٤ اواق طبية من الموسكي فنقصت قواه اجمالاً ثلاثة وثلاثين وثلث في المائة ونقصت قواه الحقيقية نقصاً عظيماً وكان معظم الخسارة في الرجلين . وظهر من تجارب أخرى عديدة ان الكحول ينقص القوة العضلية » وقال الدكتور برنتن « ان اقل كمية منه تضعف قوة العضلات » وقال الاستاذ باركر من نيويورك « تقرر ان الكحول متى دخل الجسم ينقص حرارته ويقلل قوته ويقصر الحياة بنسبة ٤٠ في المائة »

(٤) الكحول يزيد حرارة الجسم : ان الشعور بالدفء لدى شرب الكحول كاذب لان الدورة الدموية في الجسم تختلف موازنتها فيشعر بظهور زيادة الحرارة مدة بضع دقائق غير ان الترمومتر يدل على انخفاضها . قال الدكتور باركر « ان الاختبار أظهر فساد دعوى القائلين باستعمال المشروبات الروحية حتى البيرا والنبيذ لمنع البرد » وهكذا قال الدكاترة كين وكان وهابس وغيرهم . وقد أثبت الذين بعثوا للتفتيش عن السر جون فرانكلن من التوتية من لم يذق مسكراً على الاطلاق ليقووا على احتمال البرد . وقال الدكتور جانوي استاذ المواد الطبية في كلية بلڤي من خطاب لتلامذته « الكحول لا يساعد شاربيه على احتمال البرد » وأيد قوله بالحادثة الآتية قال «عينت الحكومة رجلاً لمسح الاراضي في الولايات الشرقية وكان البرد قارساً فاختار مساعديه ممن لا يذوقون مسكراً وذهب لهذه الغاية أيضاً جماعة أخرى مؤلفة من أناس تعودوا المسكر فمات واحد من الاولين وهلك الآخرون

كلهم اذ لم يكن لهم طاقة باحتمال البرد » وقال السر جون رتشاردسون « احسن مولد للحرارة هو الطعام الكافي والمهضم الجيد اما المشروبات فانها تنبه وقتياً ولكنها تخفض القوة المقاومة للبرد » وقال الدكتور هوكر وهو طبيب بعثة السر جون روس الى القطب الشمالي « الكحول يضر رحين الحاجة الى عمل شاق مدة طويلة في مكان بارد لان الذي يتناوله يرى نفسه بعد أخذه بربع ساعة اكثر تعباً وأعظم برداً مما بدونه » وقال الاستاذ ميلر « ان الحكومة العسكرية الروسية تحظر استعمال الكحول على الجنود وهم في الاماكن الباردة ومن واجبات القواد ان يفحصوا انفاس الجنود صباحاً فرداً فرداً فاذا وجدوا بينهم من تناول مسكراً ارجعوه لان البرد يضرهم وقد يميتهم » وقال الدكتور كاربنتر « ان شركة خليج هدسن حرمت المشروبات في البلدان الشمالية التي دخلت تحت دائرة نفوذها مدة سنتين فنجحت نجاحاً عظيماً » وهذا قاله رتشاردسون عن صحة وآداب الجنود القادمين من كندا وقبائل الهنود

(٥) الكحول يقي من الحرارة المفرطة : المحامون عن الكحول اشبه بذلك الرجل الذي كان ينفخ في البارد والحار أي انهم يدافعون عن الكحول في كل حال . قال الدكتور باركر « لا يخفض الكحول قوة السكير لاحتمال الحر بل يعرضه أيضاً لمرض المعروف بضربة الشمس » وقال الدكتور كاربنتر وغيره من ثقات الاطباء « ان زعم القائلين بلزوم المشروبات الروحية في الاقاليم الحارة زعم فاسد » وقال الدكتور جون بل « ان الذين لا يشربون سوى الماء الزلال هم اكثر قوة من شاربي المسكر على احتمال الاتعاب والتعرض للاخطار في كل اقليم » . كل من يتعاطى عملاً يستدعي حرارة عالية كما في الاعمال الحديدية ومعامل الغاز والسكر وخلافها يجد ان المشروبات الروحية تضره كثيراً جرب ذلك في اثني عشر حداداً يعملون في مرفأ بورتسموث في انكلترا فستة منهم لم يعطوا سوى الماء الصرف والباقون أعطوا ما اعتادوه من البيرا فتعب الاخرون في نهاية اليوم الاول اكثر من الاولين وهكذا كان تعبهم يتزايد في الايام التالية وفي آخر اليوم السادس قال شاربو الماء انهم لم يشعروا عمرهم براحة في اعمالهم كما في تلك الحال . وقال الدكتور بل ان الجنود الهندية

الانكليزية لم تتمتع بصحة جيدة مثل تمتعها في مصر العليا حيث لم يكن يعطى لها مشروبات كحولية نظراً لصعوبة النقل وعظم الحر اذ بلغت درجة الحرارة في الظل ١١٨ فورنهيت وقد وجد أيضاً ان من كان من الجنود الانكليزية في الهند ممتنعاً منعاً مطلقاً عن المسكرات احتمل تعب المشي الطويل في حر ذلك الاقليم اكثر من شاربه ووجد أيضاً في اميركا ان اكثر الذين يصابون بضربة الشمس مدة الحر الشديد هم من السكيرين وقلما يصاب سواهم

(٦) الكحول منبه : يقولون ان الكحول منبه وهكذا يفعل الافيون والستركنين والحامض الهيدروسيانيك واذا سئل ما هو المنبه لاجيب ان المنبه سم والتنبيه التسمم . ولما يؤخذ الكحول او غيره من السموم تتعاون الاعضاء على اخراجها من الجسم كما تقدم . وهذا الشغب العظيم والاضطراب القوي في الادارة الحيوية يدعى تنبيهاً . هذا تأثير الجرعات الصغيرة منه اما نتائج الجرعات الكبيرة فهي تهيج وقتي يعقبه انحطاط الجسم انحطاطاً عظيماً وشلل جزئي او كلي وقال الدكتور برودي « المنبهات لا تولد قوة عصبية » وعلى فرض ان الكحول منبه فالحقائق التي تقررت تمنع استعماله حيث يستعملونه

(٧) الكحول يقي الجسم من المرض : يستعمل الواحد كحولاً بجرعات صغيرة او كبيرة لدفع بعض الامراض كالجدري والهواء الاصفر (الكوليرا) ويأخذ الآخر جرعات كبيرة من الكونياك لمنع البردية وغيرهم يتعاطى الكحول كالنبيذ والكونياك مدة الشتاء دفعاً للبرد . فلو سلمنا بصحة دعوى هؤلاء فلا يزال ضرر كل واحد من الامراض المذكورة وغيرها مما لم يذكر أخف من أضرار الكحول وحده ولكن كيف نسلم بدعوى أظهر فسادها اختبار الاطباء العديدين فضلاً عن ادلة كثيرة تثبت ان الكحول هو السبب الرئيسي لامراض كثيرة عوضاً عن ان يكون الواقي منها . ولو كان يقي من الامراض حقيقة لكان شاربوه من أحسن الناس صحة ولعمر السكيرون اكثر من غيرهم لكننا نجد الامر بالعكس وقد قررت شركات ضمانة الحياة ان معدل عمر السكير في شبوبيته خمس معدل عمر مجتنب المسكر (البقية للآتي)

الشعوب الخاضعة لروسيا

باعتبار أجناسهم وأديانهم

سكان مملكة الروس نحو ١٣٠,٠٠٠,٠٠٠ نفس منهم ٩٥,٠٠٠,٠٠٠ في روسيا أوربا و ٩,٥٠٠,٠٠٠ في بولاندا و ٢,٥٠٠,٠٠٠ في فنلاندا و ١٠,٠٠٠,٠٠٠ في القوقاس و ٥,٥٠٠,٠٠٠ في سيبيريا و ٧,٥٠٠,٠٠٠ في تركستان وتوابعها • وتقسم الشعوب الخاضعة لروسيا باعتبار الدين على هذه الصورة

(في روسيا أوربا)

٧٥,٠٠٠,٠٠٠	روم ارثوذكس
٨,٥٠٠,٠٠٠	كاثوليك
٣,٠٠٠,٠٠٠	بروتستانت
٣,٠٠٠,٠٠٠	يهود
٢,٨٠٠,٠٠٠	مسلمون
٥٥,٠٠٠	أرمن والكنيسة المتحدة
٢٦,٠٠٠	وثنيون
٩٢,٣٨١,٠٠٠	

(في بولاندا)

٦,٣٠٠,٠٠٠	كاثوليك
١,١٥٠,٠٠٠	يهود
٤٥٠,٠٠٠	بروتستانت
٤٠٠,٠٠٠	روم أرثوذكس
٦٤,٠٠٠	أمم مختلفة
١٠٠,٧٤٥,٠٠٠	

(في القوقاس)
(وسيبيريا وتركستان)

٤,٠٠٠,٠٠٠	روم أرثوذكس
٢,٥٠٠,٠٠٠	مسلمون سنيون
١,٠٠٠,٠٠٠	أرمن
٨٥٠,٠٠٠	مسلمون شيعيون
١٠٧,٠٠٠	راسكولنية
٥٠,٠٠٠	يهود
٣٥,٠٠٠	بروتستانت
٢٢,٠٠٠	كاثوليك
١,٠٠٠,٠٠٠	أديان مختلفة
١١٠,٣٠٩,٠٠٠	(الجملة)

هذه هي نسبة الاديان في روسيا بعضها الى بعض وقد خرج من هذا الاحصاء الجند البري والبحري وبعض البلاد التي لم يمكن احصاؤها — وخلاصة ما تقدم ان معظم الشعب الروسي في روسيا أوربا الروم الارثوذكس وفي بولاندا الكاثوليك وبجوار البلطيك البروتستانت وفي جنوبي روسيا وشرقيها المسلمون وفي الجنوب والغرب اليهود • وباعتبار العدد

فالروم الارثوذكس نحو ٨٠,٠٠٠,٠٠٠ نفس ثم الكاثوليك ١٤,٠٠٠,٠٠٠ ثم المسلمون ٥,٣٠٠,٠٠٠ ثم اليهود ٤,٦٥٠,٠٠٠ وكان اليهود منذ بضع عشرة سنة أكثر من المسلمين فاصبحوا اليوم أقل منهم ولا يزالون آخذين بالتناقص والمسلمون قد تضاعفوا وهم آخذون في الزيادة

والجند الروسي مؤلف من كل المذاهب الخاضعة لروسيا على نسبة ذلك الاحصاء تقريباً فما يجمع من الشبان للقرعة العسكرية كل عام نحو ٩٥٠,٠٠٠ نفس منهم نحو ٤٠,٠٠٠ من اليهود ونحو ٥٠,٠٠٠ من المسلمين • وقد يرتقي القائد المسلم الى أعلى رتب الجندية وليس هو أقل من القائد المسيحي غيرة على دولة الروس ودفاعاً عن سلطانها

وفي روسيا ٦٣,١٩١ كنيسة للروم الارثوذكس و٥,١٥٦ كنيسة كاثوليكية و١,٨٦٦ كنيسة انجيلية و ١,٢٧٥ أرمنية و٩,٢٥٤ جامعاً للمسلمين و٦,٣١٩ كنيساً لليهود — وفيها نحو ١٠٠,٠٠٠ كاهن أرثوذكسي و ٣,٦٣٠ كاهناً كاثوليكياً و ٦٠٥ من القسس الانجيليين و ٢,٠٢٥ قسيساً أرمنياً و ١٧,٩١٤ من مشائخ المسلمين و ٥,٦٧٣ حاخاماً

روسيا واليابان

أسباب الحرب وسبب رغبة انكلترا في نصرة اليابان

كتب الينا غير واحد يسألوننا عما دعا الى النزاع بين روسيا واليابان حتى انتشبت الحرب بينهما، وما هو السبب الذي حمل انكلترا على تمني الانتصار لليابان • وجواباً على ذلك نقول بالاختصار : —

بدأ الخصام بين هاتين الدولتين عند انقضاء الحرب الصينية اليابانية سنة ١٨٩٥ وسببه ان الحرب المذكورة انما انتشبت بين الصين واليابان تنازعاً على مملكة كوريا وانقضت بخروجها من سلطة الصين الى سيطرة اليابان فادخلت اليابان فيها الاصلاحات التي كانت تطلبها لها • وكان من نتائج تلك الحرب أيضاً تنازل الصين لليابان عن بورارثر وطاليانوان والجزيرة المجاورة لها وقطعة كبيرة من الارض داخلة في منشوريا • ففرحت اليابان بهذه النتيجة وطمحت آمالها الى الاستقلال بكوريا • فلو أتيح لها ذلك لاصبحت من الدول العظمى • وكان من آمالها أيضاً ان تمد سلطانها في منشوريا كلها فينتشر اليابانيون في القارة وتتسع مملكتهم لان جزيرتهم ضاقت بهم ولا غنى لهم عن أرض يستعمرونها لهذه الغاية •

وبذلك فان القسم الذي ناوه من منشوريا أصبح مزدحماً بالتجار والعمال من اهل اليابان وكلهم مبتهجون بذلك الاستعمار

ولكن ابتهاجهم لم يمكث طويلاً لان دول أوربا اوجست خيفة من هذه الدولة الناهضة في عصر الحرية لئلا تمد سطوتها رويداً رويداً على منشوريا وغيرها من بلاد الصين فتصير دولة شديدة البطش تخافها الدول على ممالكها او تخاف على الاقل وقوفها في سبيل مطامعها في الشرق الاقصى • فطالت المفاوضة بهذا الشأن وافضت الى محالفة ثلاثية بين روسيا والمانيا وفرنسا قضت على اليابان بالتخلي عن البلاد التي كانت قد اكتسبتها من الصين — سبكوا لها ذلك بقالب النصيحة على أسلوب لطيف ولكنه كان بالحقيقة أمراً لا بدَّ من تنفيذه والاَّ فما وراءه الا السيف • فلم ير الميكادو بدًّا من الاجابة فانسحب من منشوريا وغيرها حالاً وفي نفسه مثل ما في نفس الفرنساويين عند انسحابهم من الالزاس واللورين • وقام في نفوس اليابانيين ان المحرك الاكبر لهذه الخسارة روسيا فنشأت الضغائن بين هاتين الدولتين واصبحت اليابان تعدُّ دولة الروس عدوتها من ذلك الحين • وتضاعفت تلك العداوة لما اذنت الصين لروسيا سنة ١٨٩٨ باحتلال بورارثر وطاليانوان وما يجاورهما • لان هذه البلاد كانت طعمة لليابان من قبل كما تقدم وقد أُخرجت منها قسراً

وكانت روسيا قد احتلت منشوريا لاسباب اهمها تسوية مسألة اليابان فلما تمت المحالفة وانسحب اليابانيون ماطلت روسيا في الانسحاب من منشوريا فخاطبتها اليابان في ١٨ اكتوبر سنة ١٩٠٣ خطاباً رسمياً طلبت منها فيه ان تنسحب من منشوريا محافظة على بقاء الصين سالمة — وهو السبب الذي احتج به أصحاب المحالفة على اليابان لما طلبوا منها الانسحاب من تلك البقعة مع انها كانت قد اكتسبتها بالحرب • فاجابت روسيا اجوبة لم تخرج عن الوعد والتسويف فاحست اليابان ان الروس يماطلونها ولا ينوون الانسحاب وان لا بدَّ من الالتجاء الى السيف فاخذت في اعداد المهمات فجمعت اسطولها وأوصت على الفحم وابتاعت جانباً كبيراً من الحبوب ونحوه من الزاد والذخيرة وعهدت بقيادة الاسطول الى الاميرال طوغو وتأهبت للخروج من المداولة الى المبارزة • وفي ٦ يناير الماضي صدر جواب روسيا فلم يعجب اليابان فكتبوا في ١٣ منه كتاباً يطلبون فيه مطالبهم بالحاح فلم يجبهم الروس عليه الاَّ بعد ٢٥ يوماً • ففي ٨ فبراير الماضي أعلنت اليابان قطع العلائق لاعتقادها ان الروس انما يماطلون لانهم على غير استعداد للحرب وكانت هي مستعدة فهجم اسطولها على بورارثر في نصف الليل بين ٨ و٩ من فبراير وهو بداءة الحرب

وأما رغبة الدول وخصوصاً انكلترا وأميركا في انتصار اليابان وانكسار الروس فمبنية على اسباب تهمّ أوربا بجملتها وهي عبارة عما بين الشرق والغرب من التنازع القديم وكان في الازمنة القديمة بين الفرس واليونان ثم صار بين أثينا والرومان ثم بين هؤلاء والعرب ثم بين المسلمين والافرنج وتسلسل على هذه الصورة حتى أصبح الآن بين أوربا والصين . ومعنى ذلك ان نهضة اليابان وفوزها على الصين أخافا دول أوربا من مستقبل تلك الدولة اذا تمكنت من امتلاك الدين وسَرت عوامل التمدن فيها فينتظم جيشها وأهل الصين كما لا يخفى يبلغ عددهم نحو ثلث عدد العالم برمته وهم أقوياء الابدان وانما يوقفهم عن الفتح جهلهم فاذا دخلوا في حوزة اليابان وتثقفوا ساروا تحت قيادة رجال منهم فيكتسحون العالم المتمدن الى جزائر بريطانيا العظمى . وقد بيَّن مخاوف اوربا من هذا القبيل احد كتابهم المشهورين برواية سماها « الخطر الاصفر » وهي مشهورة عندهم مثل فيها ما يمكن وقوعه من تمدن الصينيين وحملهم على ممالك اوربا واكتساحها . فتداركت الدول هذا الخطر باخراج اليابانيين من حدود الصين حفظاً لسلامتها كما تقدم ولم يخطر لهم ان يأول ذلك الى خطر اعظم كثيراً من ذلك بما توخته روسيا من توطيد سلطانها في منشوريا وما يترتب على ذلك من مطامعها في الصين . فاذا تأتى لها فتحها وتدريب جندها كان الخطر الاصفر على أوربا منها اشد كثيراً مما على يد اليابان . لان اليابان يسهل الفصل بينهم وبين الصين بالاساطيل وتهديد جزيرتهم بها . وأما روسيا فمن يفصل بينها وبين الصين واذا رسخت قدمها فيها فمن يستطيع نزعها . ولذلك فالدول كلها تفضل انكسار الروس وانما تظاهرت انكلترا وأميركا بذلك لمصالح أخرى لهما في ذلك الشرق

والحرب الحاضرة اما ان يفوز بها الروس قريباً فتمهد لهم السيطرة على الصين او ان يفوز اليابانيون فيكون ذلك التمهيد لهم . ولكن العارفين لا يعدّون الفوز لليابان الا موقتاً ولا بد أخيراً من فوز الروس — وهل اذا فاز الروس تبقى الدول الاخرى على الحياد مع ما يهددها من الخطر أم تتصدى للحرب بعضها مع روسيا وبعضها عليها وما تكون العاقبة بالنظر الى الموازنة الدولية — كل ذلك من الخبآت الخفية التي ستنكشف ونرجو ان تكون العاقبة خيراً

لدينا كثير من المطبوعات ضاق هذا الهلال عن ذكرها وعن غيرها من أبواب المجلة بما تدعو اليه الحالة الحاضرة من التوسع باحوال الروس واليابان وشؤون الحرب

كيفية اشهار الحرب

نظراً لما تداولته الجرائد واختلفت فيه الآراء في بداءة الحرب المنشبة اليوم في الشرق الاقصى عما كان من مبادرة اليابان الى الحرب قبل الاعلان الرسمي رأينا ان ننقل فصلاً خاصاً بهذا الموضوع من كتاب « حقوق الملل ومعاهدات الدول في الحرب » لصاحبه الامير امين ارسلان قنصل الدولة العلية في بروكسل قال :—

﴿ كيفية اشهار الحرب ﴾ كان لاشهار الحرب في الاعصر الخالية طرق مختلفة وكيفيات متنوعة . فالرومان كانوا يتخذون منادياً خاصاً للحرب معروفاً بهذه الصفة الى حدود الدولة التي رغبوا في محاربتها فيصيح باعلى صوته معلناً اشهار الحرب ثم ينتزع سهماً و يطلقه الى ارض العدو

وكانت الحرب تعلن في القرون الوسطى بكتاب موقع بامضاء الملك ومهره يحمله رسول خاص من كبار اهل البلاط الى الملك الآخر

ولما اعلن فردريك المعروف ببار باروس الحرب الصليبية ارسل الى السلطان صلاح الدين الايوبي رسولاً يحمل اليه كتاباً يخطره باشهار الحرب وانفذ الملك شارل الخامس ملك فرنسا الى ادوار الثالث ملك انكلترا بلاغ الحرب مع خادم حقير من خدم بلاطه فاندهش ملك انكلترة وارتاب في صحة الكتاب ولكنه لما فحص مهر الملك وثق بصحته وتأهب للقتال

على انهم لم يلبثوا طويلاً حتى عادوا في الجيل الخامس عشر والسادس عشر الى عادة ارسال منادٍ باشهار الحرب يطوف الشوارع بنبيء الناس . فلما اشهرت ماري ملكة انكلترا الحرب على هنري الثاني ملك فرنسا انفذت الى مدينة ريمس حيث كانت قاعدة الملك منادياً حربياً خاصاً وطاف في اليوم نفسه منادٍ آخر في شوارع لندره وساحاتها مصحوباً بحاكم المدينة وثلاثة فرسان يبوقون امامه ابلاغاً للشعب باعلان الحرب

وآخر بلاغ على هذه الكيفية حدث في بروكسل عام ١٦٣٥ لما أراد الملك لويس الثالث عشر اعلان الحرب على بلجيكا اذ أرسل منادياً حربياً خاصاً اسمه دالنسون تجاه المدينة على جواده وفوقه درعه وقلنسوته وبيده شارة الملك وهي عصا مرسوم عليها أزهار الزنبق يتقدمه نافخ بوق . فلما وصل ساحة المدينة الكبرى امام قصر الحاكم استأذن في مقابلته فلم يجبه الى ذلك فأخذ نسخة من اعلان الحرب والقاها على الشعب المجتمع وخرج من المدينة مسرعاً . فلما وصل الى القرية الاولى من حدودها

نصب خشبة وعلق عليها نسخة أخرى من الاعلان بعد ان نبه شيخ القرية بصوت البوق

اما في أيامنا هذه فكيفية اعلان الحرب تكون اما رأساً الى الدولة المعادية او كما فعلت فرنسا لما أعلنت حربها السبعينية على بروسيا اذ كلفت سفيرها بتدبيق بتبليغ الدولة البروسيانية اعلان الحرب في ١٥ تموز ١ يوليو وأما ان تكون بطريقة أخرى كالظاهرة او اخطار نهائي • ولا أهمية لكيفية البلاغ وصورته بل المهم للظاهرة واعلان النية وأهم منه تحديد الوقت وتعيين الساعة التي تبدأ بها الحرب

فان السرب لما اشهرت الحرب على بلغاريا عام ١٨٨٥ كلفت في ١٤ نوفمبر معتمد دولة اليونان في صوفيا ان يبلغ امارة البلغار بان الحرب تبدأ الساعة السابعة صباحاً • وفي اليوم نفسه زحفت جنود السرب على بلغاريا من ثلاث جهات

ان استدعاء السفراء ومعتمدي السياسة يعدُّ اليوم من علامات قطع العلائق السلمية بين الدول ولكنه لا يعدُّ دائماً علامة لاشهار الحرب • فاذا طال الامر كذلك وجب اخطار الدولة الاخرى بنيتها

والحرب تنتج أحياناً عن سبب عرضي او من اتيان عمل يمس حقوق دولة أخرى او يحط من مقامها تعتبره سبباً للحرب فيجب عليها حينئذ اخطار الدولة التي أتت ذلك الامر ببلاغ نهائي يعرفه الافرنج بكلمة (Ultimatum) أولتيماتوم والبلاغ المذكور هو عبارة عن لائحة سياسية بعبارة صريحة قاطعة نهائية تتضمن الاقتراحات المطلوبة محددة تحديداً جلياً وتطلب المجاوبة عليها جواباً باتاً بلا مطل ولا ابهام وقد يحددون مهلة الجواب فاذا مضت عدَّ ذلك الصمت اعلاناً للحرب

والمهلة يجب ان تكون معقولة اي لا طويلة تسمح للعدو بزيادة التأهب ولا قصيرة بنوع ان يعقبها زحف الجنود سريعاً

وقد لا يعينون مدة للجواب بل يكتفي بالقول انه اذا رفض البلاغ تكون الدولة الاخرى على بصيرة من أمرها • فاذا كان كذلك لا يعدُّ رفض البلاغ بمثابة اعلان الحرب بل يجب اتخاذ لائحة أخرى معلنة بذلك • وجملة الكلام ان الغاية من كل ذلك ألاَّ تكون الحرب مباغتة ولا الزحف مفاجئة بل ليكون الخصمان على حذر وبصيرة من الامر

واما اذا كانت الدولة مدافعة فلا يجب عليها اعلان الحرب على الدولة التي بادأتها بالعدوان لان الدفاع من مبادئ الحقوق الاولية

(نشر اعلان الحرب في الجرائد) ومن واجبات الدول المحاربة اخطار رعاياها

بان الحرب قد اشهرت بينها وبين الدولة الفلانية لان الحرب تقضي بتغيير العلاقات بين الامم التجارية فوجب والحالة هذه اخطارها بذلك . ولكل دولة اليوم جريدة رسمية تنشر فيها اعلان الحرب بعد ابلاغها الى المجالس النيابية اذا كانت الحكومة دستورية

﴿ مذكرة الجيب الهندسية ﴾ اهدانا حضرة ابراهيم افندي زكي مهندس مركز دمنهور كتاباً لم ينسج على منواله في العربية ويندر مثاله في الافرنجية . انه تذكرة للمشتغلين في الهندسة فلم يغادر شاردة من شوارد هذا الفن وفروعه الا دونها فيها كالري والنيل واوقات الزراعة وتصرف الآلات الرافعة والمدارف والمواسير ومواد وادوات البناء والحفر والردم وقياس الاخشاب والبراميل . وجداول بمقدار قوى الاعداد وجذورها وجداول اللوغرتمات والجبر وحساب المثلثات والقطاعات المخروطية وقواعد الضوء والصوت والحرارة والايدرومتاتيك ومراكز الثقل والاحتكاك والتصادم ومقاومة المواد والاعتاب والجمالونات والشقوق والحيطان والقناطر والممرات والبرشام والجاوبعات والسكك الحديدية والآلات البخارية والعمارة والطبوغرافيا وارانيك جسور النيل وقواعد عمومية على الانهر وحفظ شواطئها . وكل ذلك مفصل ومبوب وموضح بالرسوم والاشكال والجداول والقواعد على اسلوب مفيد جداً وقد ذيله بفهرس مطول والحق به ذيلاً نشر فيه الاوامر العالية والقرارات التي يهم المهندس الوقوف عليها واوراقاً بيضاء لتعليق ما يعن للمهندس تعليقه لنفسه . وصفحات الكتاب نحو سبعماية صفحة متوسطة بحرف دقيق وورق رقيق ومتين ليسع المواد التي أراد المؤلف تدوينها فيه وقد جلده بشكل مستطيل يسهل حمله بالجيب فالمذكرة المشار اليها عبارة عن قاموس هندسي لا يستغني عنه المشتغلون بالهندسة النظرية او العملية بكل فروعها وثمن النسخة مئة وخمسة وعشرون قرشاً و يطلب من مكتبة الهلال بمصر

﴿ الافكار ﴾ انشأ الدكتور سعيد افندي أبو جمره جريدة الافكار في سان باولو منذ عام وبعض العام فنالت في هذه المدة القصيرة من الاستحسان والاقبال ما لم ينله سواها في اعوام لما حوته من النصائح الصحية والابحاث الفلسفية فضلاً عن الاخبار العمرانية والفوائد التهذيبية العائدة بالنفع على القراء وخصوصاً في البرازيل ولم يدخر صاحبها الفاضل وسعاً في تحسينها وتوسيع نطاقها فرأى حرصاً على ما يجتمع فيها مما لا يتأتى لكاتب الا بعد العناء والتنقيب ويندر اجتماعه في جريدة واحدة ان يجعلها بشكل مجلة أسبوعية ليسهل جمعها وتجليدها لتحفظ في جملة ذخائر العلم والادب فنهنئ. حضرة صاحب الافكار ونرجو لجريدته دوام الارتقاء



قصور الكرملين

في مدينة موسكو

الهلال

الجزء الثاني عشر من السنة الثانية عشرة

١٥ مارس (اذار) سنة ١٩٠٤ و ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٢١

ديانة الروسيين القدماء

وكيف تنصّروا

كانت ديانة الروس قديماً وثنية مثل ديانات سائر الشعوب الآرية في ذلك العهد وكانت لهم آلهة عديدة يقدمون لها القرابين ويذبحون الذبائح أشهرها ستة وهي (١) بيرون اله الرعد والبرق والحرب والسلام (٢) واجدبوغ اله الشمس (٣) ديدلادو رب النور (٤) دوموفوي اله المساكن (٥) فوديانوي اله الماء (٦) ليشي اله الاحراج وكان عندهم ايام معدودة من السنة يعيدون فيها لكل من الالهة . وما زال الروسيون على الوثنية الى أواخر القرن العاشر للميلاد وهم آخر من تنصر من دول أوربا

ولما ظهر الاسلام وبلغت فتوح المسلمين الى اعالي اسيا كان الروس او الصقالبة في جملة الامم المتوحشة وكان تجار الرقيق يحملون جماعات منهم الى اسواق بغداد والبصرة ودمشق وقرطبة وطليطلة يبيعونهم بيع الامتعة وكانوا يعرفون بالمماليك الصقالبة فيستخدمهم الخلفاء في بلاطهم حرساً او جنداً او خصياناً وربما كان في بلاط الخليفة الوف منهم قد اعتنقوا الاسلام وأصبحوا من أقوى أنصاره وخصوصاً في دولة بني أمية بالاندلس ولم تتألف من الروس دولة يحكمها أمير الا في أواسط القرن التاسع للميلاد

وكان المسلمون في إبان مجدهم ومعظم سلطانهم وقد خفقت اعلامهم على القارات الثلاث. فكان أمير الروس في جملة ملوك اوربا يومئذ الذين كانوا يوفدون الوفود الى خلفاء المسلمين وأمرائهم وخصوصاً الى عبد الرحمن الناصر خليفة الاندلس. فقد كانت رسل ملوك الالمان والصقالبة والافرنج والروم يتزاحمون ببابه يحملون اليه الهدايا وأسباب المسالمة. وكان الخلفاء يكرمون وفادة اولئك الرسل ويوفدون رسلاً مثلهم

وأقدم من علمنا بارساله من المسلمين الى ملك الصقالبة احمد ابن فضلان أنفذه الخليفة المقتدر العباسي في اول القرن الرابع للهجرة فلما عاد من رحلته كتب رسالة يصف بها أحوال الروس ومعتقداتهم مما شاهده بعينه وهو أقدم من توفق له ذلك. وهاك نص مقالته مما يتعلق بديانتهم وفيه شيء من عاداتهم قال:—

« ورأيت الروسية وقد وافوا بتجارتهم فنزلوا على نهر اتل فلم أر اتم ابداناً منهم كأنهم النخل شقر حمر لا يلبسون القراطق ولا الخفاتين ولكن يلبس الرجل منهم كساء يشتمل به على أحد شقيه ويخرج احدى يديه منه ومع كل واحد فاس وسكين وسيف لا يفارقه منها شيء وسيوفهم صفائح مشطبة افرنجية من حد الظفر الواحد منهم الى عنقه مخضر شجر وصور وغير ذلك وكل امرأة منهم على ثديها حقة مشدودة من حديد واما من نحاس واما من فضة واما من ذهب على قدر مال زوجها ومقداره في كل حقة حلقة فيها سكين مشدودة على الثدي أيضاً وفي أعناقهن أطواق ذهب وفضة لان الرجل اذا ملك عشرة آلاف درهم صاغ لامرأته طوقاً وان ملك عشرين الفاً صاغ لها طوقين وكذلك كل عشرة الاف درهم كلما ازداد يزداد طوق امرأته فربما كان في عنق الواحدة منهن اطواق كثيرة. واجل الحلى عندهم الخرز الذي يكون على السفن يبالغون فيه ويشترون الخرزة منه بدرهم وينظمون عقداً لنسائهم وهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غايط ولا يغتسلون من جنابة كأنهم الحمير الضالة يجيئون من بلدهم فيرسون سفنهم باتل وهو نهر كبير ويبنون على شاطئه بيوتاً كباراً من الخشب ويجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والاقل والاكثر ولكل واحد منهم سرير يجلس عليه ومعه جواريه والروقة للتجارة ...

وساعة موافاة سفنهم الى هذا المرسى يخرج كل واحد منهم ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيذ حتى يوافي خشبة طويلة منصوبة لها وجه يشبه وجه الانسان

وحولها صور صغار وخلف تلك الصور خشب طوال قد نصبت في الارض • فيوافي الى الصورة الكبيرة ويسجد لها ويقول يارب قد جئت من بعد ومعي من الجواري كذا وكذا راساً ومن السمور كذا وكذا جلداً حتى يذكر جميع ما قدم معه من تجارته ثم يقول وقد جئتك بهذه الهدية ثم يترك الذي معه بين يدي الخشبة ويقول اريد ان ترزقني تاجراً معه دنانير ودراهم فيشتري مني كلما أريد ولا يخالفني في جميع ما أقول • ثم ينصرف فان تعسر بيعه وطالت ايامه عاد بهدية أخرى ثانية وثالثة فان تعذر عليه ما يريد حمل الى صورة من تلك الصور الصغار هدية وسألها الشفاعة وقال هولاء نساء ربنا وبناته فلا يزال الى صورة صورة يسألها ويستشفع بها ويتضرع بين يديها فربما تسهل له البيع فباع فيقول قد قضى ربي حاجتي واحتاج ان اكافيه فيعمد الى عدة من البقر والغنم ويقتلها ويتصدق ببعض اللحم ويحمل الباقي فيطرحه بين يدي تلك الخشبة الكبيرة والصغار التي حولها ويعلق رؤوس الغنم والبقر على ذلك الخشب المنصوب في الارض • فاذا كان الليل وافت الكلاب فاكلت ذلك فيقول الذي فعله قد رضي ربي عني واكل هديتي

• واذا مرض احدهم ضربوا له خيمة ناحية عنهم وطرحوه فيها وجعلوا معه شيئاً من الخبز والماء ولا يقربونه ولا يكلمونه في كل أيام مرضه لاسيما اذا كان ضعيفاً اوكان مملوكاً فان برئ وقام رجع اليهم وان مات أحرقوه • وان كان مملوكاً تركوه على حاله حتى تأكله الكلاب وجوارح الطير • واذا أصابوا سارقاً او لصاً جاؤا به الى شجرة طويلة غليظة وشدوا في عنقه حبلاً وثيقاً وعلقوه فيها أبداً حتى يتقطع بالرياح والامطار • وكان يقال لي انهم يفعلون برؤسائهم عند الموت أموراً أقلها الحرق فكنت أحب ان أقف على ذلك حتى بلغني موت رجل منهم جليل فجعلوه في قبره وسقفوه عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع ثيابه وخياطتها • وذلك ان الرجل الفقير يعملون له سفينة صغيرة ويجعلونه فيها ويحرقونها والغني يجمعون ماله ويجعلونه ثلاثة اثلاث فثلث لاهله وثلث يقطعون له ثياباً وثلث ينبذون به نبيذاً يشربونه يوم تقتل جاريته نفسها وتحرق مع مولاها • وهم مستهترون بالخمر يشربونها ليلاً ونهاراً وربما مات الواحد منهم والقدح في يده • واذا مات الرئيس منهم قال اهله لجواريه وغلمانه من منكم يموت معه فيقول بعضهم انا فاذا قال ذلك فقد وجب لا يستوي له ان يرجع ابداً ولو أراد ذلك ما تُرك • واكثر ما يفعل هذا الجواري • فلما مات ذلك الرجل الذي قدمت ذكره قالوا لجواريه من يموت معه فقالت احداهن انا فوكلوا بها جاريتين يحفظانها ويكونان معها حيث ما سلكت حتى انهما ربما غسلتا رجليها بايديهما واخذوا في

شأنه وقطع الثياب له واصلاح ما يحتاج اليه والجارية في كل يوم تشرب وتغني فارحة مستبشرة . فلما كان اليوم الذي يحرق فيه هو والجارية حضرت الى النهر الذي سفينته فيه فاذا هي قد أخرجت وجعل لها اربعة اركان من خشب الخلنج وغيره وجعل حولها ايضاً مثل الاناس والكبار من الخشب ثم مدت حتى جعلت على ذلك الخشب واقبلوا يذهبون ويجيئون ويتكلمون بكلام لا أفهمه وهو بعد في قبره لم يخرجوه ثم جاؤا بسرير فجعلوه على السفينة وغشوه بالمضربات والديباج الرومي والمساند الديباج الرومي ثم جاءت امرأة عجوز يقولون لها ملك الموت ففرشت على السرير الذي ذكرناه وهي وليت خياطته واصلاحه وهي تقتل الجواري ورأيتها جوانبرة (كذا) مكفهرة فلما وافوا قبره نحوا التراب عن الخشب ونحوا الخشب واستخرجوه في الازار الذي مات فيه فرأيته قد اسود لبرد البلد وقد كانوا جعلوا معه في قبره نبيذاً وفاكهة وطنبوراً فاخرجوا جميع ذلك واذا هو لم يتغير منه شيء غير لونه فالبسوه سراويل وزناناً وخفاً وقرطقاً وخفتان ديباج له ازرار ذهب وجعلوا على رأسه قلنسوة من ديباج سمورية وحملوه حتى ادخلوه القبة التي على السفينة واجلسوه على المضربة وأسندوه بالمساند وجاؤا بالنبيذ والفواكه والريحان فجعلوه معه وجاؤا بخبز ولحم وبصل فطرحوه بين يديه فجاؤا بكلب فقطعوه نصفين والقوه في السفينة . ثم جاؤا بجميع سلاحه فجعلوه الى جانبه ثم أخذوا دابتين فاجروهما حتى عرقتا ثم قطعوهما بالسيوف والقوا لحمهما في السفينة . ثم جاؤا ببقرتين فقطعوهما ايضاً والقوهما في السفينة ثم أحضروا ديكاً ودجاجة فقتلوهما وطرحوهما فيها والجارية التي تقتل ذاهبة وجائية تدخل قبة من قبابهم . . .

. فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة جاؤا بالجارية الى شيء عملوه مثل ملبن الباب فوضعت رجلها على اكف الرجال وأشرفت على ذلك الملبن وتكلمت بكلام لها فانزلوها ثم اصعدوها الثانية ففعلت كما فعلت في المرة الاولى ثم انزلوها واصعدوها ثالثة ففعلت فعلها في المرتين ثم دفعوا اليها دجاجة فقطعت راسها ورمت به فاخذوا الدجاجة فالقوها في السفينة فسألت الترجمان عن فعلها فقال قالت في المرة الاولى هوذا أرى أبي وأمي وقالت في المرة الثانية هوذا أرى جميع أقربائي الموتى قعوداً وقالت في المرة الثالثة هوذا مولاي قاعد في الجنة والجنة حسنة خضرا ومعه الرجال والغلمان وهو يدعوني فاذهبوا بي اليه . فمروا بها نحو السفينة فنزعت سوارين كانا معها ودفعتهما الى المراة التي تسمى ملك الموت وهي التي تقتلها ونزعت خلخالين كانا عليها ودفعتهما

الى الجاريتين اللتين كانتا تخدمانها وهما ابنتا المعروفة بملك الموت • ثم أصعدوها الى السفينة ولم يدخلوها القبة فجاء الرجال ومعهم التراس والخشب ودفعوا اليها قدحاً من نبيذ فغنت عليه وشربته فقال لي الترجمان انها تودع أحبابها بذلك ثم دُفع اليها قدح اخر فاخذته وطولت الغناء والعجوز تستحثها على شربه والدخول الى القبة التي فيها مولاها • فرأيتها وقد تبلدت وأرادت الدخول الى القبة فادخلت راسها بين القبة والسفينة فاخذت العجوز راسها وأدخلتها القبة ودخلت معها وأخذ الرجال يضربون بالخشب على التراس لئلاّ يسمع صوت صياحها فيجزع غيرها من الجواري فلا يطلبن الموت مع مواليهن ثم دخل القبة ستة رجال •••• ثم اضجعوها الى جانب مولاها فامسك اثنان رجليها واثنان يديها وجعلت العجوز التي تسمى ملك الموت في عنقها حبلاً مخالفاً ودفعته الى اثنين ليجذباه وأقبلت ومعها خنجر عظيم عريض النصل وأقبلت تدخله بين اضلاعها وتخرجه والرجلان يخنقانها بالحبل حتى ماتت • ثم وافى اقرب الناس الى الميت فاخذ خشبة فاشعلها بالنار ثم مشى القهقري نحو قفاه الى السفينة والخشبة في يده الواحدة والاخرى على قفاه وهو عريان حتى احترق الخشب المعبا الذي تحت السفينة ثم وافى الناس بالخشب والحطب ومع كل واحد خشبة وقد الهب راسها فيلقيها في ذلك الخشب وتأخذ النار في الحطب ثم في السفينة ثم في القبة والرجل والجارية وجميع ما فيها • ثم هبت ريح عظيمة هائلة فاشتد لهب النار واضطرم تسعرها وكان الى جانبي رجل من الروسية فسمعته يكلم الترجمان الذي معه فسألته عما قال له فقال انه يقول أنتم معاشر العرب حمقى لانكم تعمدون الى أحب الناس اليكم واكرمهم عليكم فتطرحونه في التراب فتأكله الهوام والدود ونحن نحرقه في لحظة فيدخل الجنة من وقته وساعته • ثم ضحك ضحكاً مفرطاً وقال من محبة ربه له قد بعث الريح حتى تأخذه في ساعته • فامضت على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة والحطب والجارية والميت رماداً ثم بنوا على موضع السفينة وكانوا اخرجوها من النهر شبيهاً بالتل المدور ونصبوا في وسطه خشبة كبيرة خدنج وكتبوا عليها اسم الرجل واسم ملك الروس وانصرفوا • انتهى كلام ابن فضلان

وما زال الروسيون على الوثنية الى أواخر القرن العاشر للميلاد اي بعد حكاية ابن فضلان ببضع عشرات من السنين اذ تولى شؤونهم الامير فلاديمر من سنة ٩٨٠ — ١٠١٥ م وعلى يده تنصر الروسيون



الامير فلاديمر — مدخل النصرانية الى روسيا

وفلاديمر هذا ليس أول من تنصر من ملوك الروس فقد سبقه الى ذلك أميرة يقال لها أولغا تولت حكومة الروس سنة ٩٤٥ م وكانت من التعقل والحكمة على جانب عظيم وكانت الديانة المسيحية قد امتدت سرًّا في بعض رعاياها وكانوا لا يجسرون على المظاهرة بها خوفاً من الاضطهاد وعلمت الاميرة اولغا بهم وسألت عن سبب تسترهم فقصوا عليها شيئاً من معتقدهم فضلاً عما توسمته فيهم من العفة والصدق والامانة فأثر ذلك في قلبها واشتغل خاطرها في أمر اخراها . فلم تجد راحة من هذا البلبال الا بالذهاب الى القسطنطينية وهي مقر الكنيسة الشرقية للبحث في هذا الشأن فعهدت بمقاليد الحكومة الى ولدها سفياتوسلاف وشخصت الى القسطنطينية فأعجبها ما فيها من الفخامة وأسباب البذخ وزارت بعض المعابد فبهرها ما هنالك من أسباب الرهبة والخشوع

وكان البطريرك القسطنطيني يومئذ بوليكتوس فعلمها الطقوس الدينية وعمدها في كنيسة اجياصوفيا الشهيرة . ثم عادت الى بلادها وأخذت ترغب ابنها في النصرانية فلم يطعها فتأسفت لذلك ولكنها كانت تعامل رعاياها المسيحيين معاملة حسنة جدًّا — فلما توفيت سنة ٩٥٧ خلفها ابنها المذكور وتولى الامارة خمس عشرة سنة قضاها في

الحروب ونحوها ولما توفي اختلف اولاده على الملك بعده ثم افضى الى أحدهما « فلاديمر » سنة ٩٨٠ م

واتفق في أيام هذا الامير ان جنوده عادوا من حرب وقد ظفروا بأعدائهم وكان من عادتهم في مثل هذه الحال ان يقدموا لأكبر آلهتهم ذبيحة بشرية فينتخبون من بين أهل البلاد شاباً أو شابة يذبحونها بين يدي الصنم . فوقع اختيارهم في ذلك العام على ابن رجل مسيحي فوقعت القرعة على الغلام فطلبوه من أبيه فأنبهم على ذلك العمل وأخبرهم ان الاله الحقيقي هو خالق الكل فاغلظوا له القول فأجابهم ووبخهم فهددوه بالقتل وقالوا « قدم ابنك للآلهة لانها تطلبه » فأجاب الرجل « اذا كانت هي تريده حقيقة فلترسل احداً من قبلها لاخذه » فازداد حنق الشعب وهموا بالرجل وابنه وقتلوهما . فلما بلغ ذلك الحادث الى الامير فلاديمر تأثر له قلبه وتوله الشكوك في اصنامه وأقر اخيراً على رفضها واعتناق ديانة الهية . فشاع خبره في الممالك المجاورة فعملت كل طائفة على ادخاله في ديانتها . فجاءته رسل الملوك من اوربا واسيا وفيهم المسلمون واليهود والنصارى من الشرق والغرب وكل منهم يدعوه الى ديانته

وكان اول من جاءه منهم وفد بلغاري يدعونه الى الاسلام وشرحوا له عقائده وأركانه فلما رآه يحرّم الخمر اجابهم « ارجعوا من حيث اتيتم فان الخمر فرح الروسيين لا يعيشون بدونها » ثم جاء وفود الاديان الاخرى فلم يقنعه احد منهم واخيراً جاءه رسول البطريرك القسطنطيني ومعه الهدايا الفاخرة وكان على جانب عظيم من العلم والفصاحة واسمه كيرلس . فلما وقف بين يديه اخذ يقص عليه عقائد المذهب الارثوذكسي بفصاحة و بلاغة خلبا لبه . واخيراً اراه صورة تمثل يوم الدينونة وفيها الامم وقوفاً وبعضهم الى اليمين و بعضهم الى اليسار وقصّ عليه خبرها فتأثر فلاديمر تأثيرا عجيباً من منظر تلك الصورة وبلاغة ذلك الخطيب ولكنه تمهل لزيادة البحث . فأرسل جماعة من اشراف مدينته الى الممالك المجاورة وطلب اليهم ان يتفحصوا احوال تلك الديانات في اماكنها . فعادوا وقد بهرهم منظر كنائس القسطنطينية بنوع خاص وقالوا للامير « لم نر احسن من ديانة اليونانيين لاننا

وقتنا في كنيستهم فلم نعلم أفي السماء نحن ام على الارض اذ ليس على الارض منظر ابهى من ذلك » فصمم على التنصر ولكنه لم يكن يستطيع ذلك الا بالتنازل لامبراطور القسطنطينية فاستنكف من التذلل فاخترع طريقة توصله الى المطلوب بشرف . وذلك انه جرد لمحاربة اليونان في القرم وكانت من املاكهم وحاصر خرصون ثم فتحها فكتب الى الامبراطور يهدده بفتح القسطنطينية او يزوجه اخته فاجابه « لا يجوز للمسيحي ان يزوج اخته لوثني فاذا تنصرت زففناها اليك » فاجابه بالقبول وتنصر واعتنق الديانة المسيحية على المذهب الارثوذكسي وتسلطت هذه الديانة في بلاد الروس من ذلك الحين

والروسيون من اكثر الامم النصرانية تمسكاً بالدين ومحافظة على تقاليده وكانت عاصمتهم لما تنصر فلاديمير في كيف ثم انتقلت الى موسكو وجعلوا يبنون فيهما من الكنائس والقصور ما لا مثيل له في اقطار العالم . واشهر تلك الاماكن « الكرملين » وفيه اعظم قصور الروس وافخر آثارهم واليك تعريف الكرملين كما وصفها عزتلو ادوارد بك الياس وقد شاهدها شهادة عين منذ بضع سنين

قصور الكرملين

او بذخ الروس وتدينهم (١)

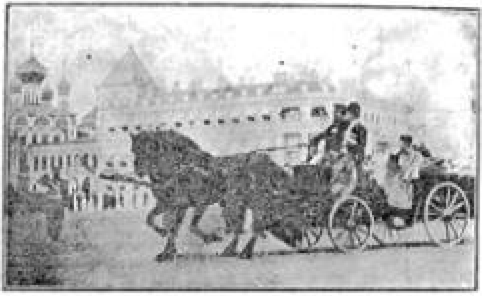
« الكرملن اهم اقسام موسكو وهو في منتصف البلدة آخره متصل بنهر مسكوفا بني على رابية مرتفعة واسعة قام فوقها القصر الامبراطوري والكنائس والاديرة . وقد جمعت هذه الابنية العظيمة كلها في الدائرة التي تعرف باسم الكرملن وأحيطت بسور واطیء محيطه نحو الفي متر . وللكرملن هذا عند الروس مقام عظيم واعتبار فائق حتى أن بين أمثالهم مثلاً معناه ان الكرملن يعلو كل شيء ولا يعلوه غير السماء . وله

(١) نقلاً عن مشاهد اوربا وامیرکا

مداخل عدة منها مدخل المخلص وهو باب عظيم علق فوقه ايقونة السيد المسيح جاء بها القيصر الكسي من بلدة سمولنسك وهم يضيئون امامها مصباحاً لا يطفأ في الليل ولا في النهار. وقد جرى الروس على عادة قديمة في عهد القيصر الذي ذكرناه واتبعوها بأمره هي انهم اذا مرّوا من تحت هذه الصورة رفعوا القبعات احتراماً لها وخشوعاً وصار الاجانب في موسكو يفعلون فعلهم أيضاً. ولما دخلتُ الكرملن من ذلك الباب اذهلني كثرة ما يضمه ذلك المكان من الابنية العجيبة والكنائس فانك كلما سرت خطوات معدودة وجدت أمامك كنيسة تزيد في محاسنها وغرائبها عن التي تقدمتها فقصدت قبل كل أمر قصر القياصرة الذي يقيمون فيه عند زيارة موسكو او حين حضورهم للتتويج. فارتقينا سلماً عريضاً من الرخام النفيس درجاته منبسطة لا يكاد الصاعد عليها يشعر بعناء الصعود وفي آخرها رسوم تاريخية منها رسم تتويج اسكندر الثالث ومشائخ الاقاليم يقدمون له الخبز والملح علامة الخضوع وغير هذا من رسوم الحوادث المشهورة . والقصر عظيم الاتساع فيه ثمانمائة قاعة وغرفة ورحبة. شرع نقولا الاول في بنائه سنة ١٨٣٨ على اطلال القصور السابقة التي أفنتها النار او تهدمت من طول الزمان. فما تم البناء الا سنة ١٨٤٩ وأنفق عليه حوالي ١٢ مليون ريال روسي. وفي أول القسم الجديد من هذا القصر الفخيم رحبة مستطيلة قائمة على عمد من الرخام المصقول وهي توصل الى قاعات ثلاث لها شهرة ذائعة في أوروبا كلها وقد سميت باسماء القديسين الذين أعطيت اسماؤهم لأشرف الوسامات الروسية وهي قاعة القديس جورجيوس وقاعة القديس اسكندر نفسكي وقاعة القديس اندراوس

« اما قاعة جورجيوس فسميت باسم القديس الذي تحترمه الطوائف الارثوذكسية وتروى عنه حكاية التنين وقد جعلوا طول هذه القاعة الفخيمة في قصر كرملن ٦١ مترًا و بنوها من الرخام الابيض البديع تزينه عروق من الذهب ورسوم كثيرة . وارض هذه القاعة من الخشب المصقول مثل اكثر القاعات الكبرى في قصور الملوك والاشراف وسقفها قائم على عمد ودعائم من الرخام أيضاً نقش عليها بماء الذهب تاريخ الفتوحات الروسية واسماء المواضع التي ملكها الجيش الروسي . وعلى الجدران

اسماء الفرق التي امتازت بالاقدام في هذه الحروب والقواد الذين شادوا لهذه السلطنة صروح الفخار في معامع النزال وأحسن اليهم بوسام القديس جورجيوس وهو أعلى وسام يناله المرء عندهم بسبب بسالته واقدامه . وفي آخر القاعة تماثيل قواد عظام من الفضة مثل القائد يرماك الذي فتح سيبيريا وفيها ثريات لا يقل عدد شموعها عن ٥٠٠ شمعة وكلها آية في الفخامة والبهاء . ويتصل بهذه القاعة العظيمة قاعة القديس اسكندر نفسكي وهي حمراء الجدران محلاة برسوم ذهبية طولها ٣١ مترًا وعلو قبتها ٢١ مترًا وفي هذه القاعة صور تمثل حياة القديس نفسكي الذي سميت القاعة باسمه وفيها ١٤ شباكًا امامها مرائي ترى فيها ماوراء القصر من المناظر وحركة المارين



القيصر والقيصرة بمركبتهما يطوفان في الكرملين

ثم قاعة القديس اندراوس وهو يعد حامي بلاد الروس ووسامه أشرف وسامات الدولة الروسية أنشأه بطرس الكبير سنة ١٦٩٧ وقد جعلوا هذه القاعة العظيمة خاصة بالعرش ولونها ازرق معرق بالذهب وضعوا في صدرها عرش القياصرة يحمله نسران عظيمان والقيصر يجلس عليه حين قدوم المهنئين بعد حفلة التتويج . وطول هذه القاعة ٤٩ مترًا وهي محاذية للقاعتين السابقتين تكوّن معها خطًا واحدًا وتتصل بهما بابواب فسيحة فطول القاعات الثلاث كلها ١٤٦ مترًا ولها منظر غاية في الجمال وهي

تقام فيها الحفلات العظيمة وتولم الولائم للسفراء ورؤساء الكنيسة وكبراء الدولة بعد انقضاء حفلة التتويج . ووراء قاعة العرش هذه قاعات للحرس الامبراطوري ثم قاعات القيصرة وسيدات الشرف من الاميرات اللاتي يسرن بمعيتها وكل هذه القاعات من الرخام الثمين المذهب وفي بعضها عمد بديعة الشكل من حجر المالكيت واما رياشها وأدواتها فيكفي ان يقال بانها تليق باعظم القصور واعظم القياصرة ولا حاجة بعد هذا للاسهاب وقد رأيت ان قاعة الطعام في هذا القصر كل كراسيها ومناضدها من الفضة الخالصة وأدوات الاكل كالملاعق والسكاكين من الذهب . وهنالك حمام على النسق الشرقي كله رخام وبلور ورسوم ذهبية وستائر ثمينة كتب فوق بعضها الفاظ شرقية وكل معداته دالة على منتهى الرغد . وكنيسة القصر هذا فاخرة فخيمة صنع بابها من الفضة المحلاة بالذهب ومثله الهيكل

« هذا كله في القسم الجديد من قصر القياصرة في الكرملن واما القسم القديم فانه باق على حاله من أيام القيصر فيودور الكسوفتش والد بطرس الكبير وهو بنى هذا المنزل لاولاده فله عند الروسيين اعتبار عظيم . ولهذا القصر القديم اربع طبقات كان بطرس واخوته يشتغلون في الاولين منها بالصنائع كالرسم والنجارة والحدادة وغيرها ويقيمون في الدورين الباقيين والغرف كلها واطئة بسيطة اذا قابلتها بقاعات القصور الحديثة . منها غرفة الرقاد فيها سرير من الحديد قديم في غاية البساطة لوالد بطرس الكبير وبساط صنعته ابنة ذلك القيصر العظيم بيدها وصندوق كانت توضع فيه عرائض المتظلمين والمشتكين . فكان القيصر ينزل في آخر النهار الى هذا الصندوق ويأخذ ما فيه من الاوراق بنفسه ثم ينظر فيها وينصف اصحابها . وفي داخل هذه الغرفة غرفة أخرى صغيرة خصت بالعبادة توقد فيها الشموع حول الايقونات ليلا ونهارًا . ومررنا من الدهليز الى القسم المخصص للمجمع المقدس حيث كانت تعقد جلساته للمفاوضة في الامور الدينية وفي جدران هذا القسم صور تمثل الحوادث الدينية المذكورة في التوراة والانجيل

« وعلى مقربة من قصر القيصر هذا دار التحف الامبراطورية وهي ذات

طبقتين الاولى منها للمربات الفاخرة كان يستعملها القياصرة في حفلات التتويج ترى في اشكالها المختلفة صناعة كل عصر وذوق أهله وأكثر المربات القديمة ضخمة ثقيلة واسعة تشبه القاعة الكبرى كثيرة الزخرف وأما المربات الحديثة واخصها التي استعملها اسكندر الثاني مدة تتويجه فجميلة رشيقة فاخرة قليلة الادوات والقسم الذي فوق العجلات منها كله ذهب واطلس نفيس . وقد كان القياصرة يسيرون في شوارع موسكو بعد التتويج بمرباتهم هذه ولكنهم صاروا يركبون الخيل ويسيرون على ظهورها ايرام الناس جميعاً من بعد تتويج اسكندر الثالث . وفي هذا القسم غير المربات المختلفة اسلحة استعان بها بطرس الكبير على زمرة من الجنود طغوا وبغوا يعرفون باسم اوسترلتز وهم اشبه بالمماليك الذين ابادهم محمد علي في مصر او الانكشارية الذين ابادهم السلطان محمود في الاستانة

« هذا جل ما في الدور الاسفل من دار التحف واما الدور الاعلى ففي صدره صورة الامبراطورة كاترينا الثانية امتطت جواداً مطهماً وقد ركبت كما يركب الرجال لا كما يركب النساء في هذا العصر وتردت باثواب الفرسان فلا يطلها الرائي لاول وهلة من النساء . وفي غرف هذا المتحف انواع الاسلحة من قديمة وحديثة وشرقية وغربية وفيها شيء كثير أهدي الى قياصرة الروس من سلاطين آل عثمان وملوك ايران وامراء خيوا وبخارا والبانيا والجركس . هذا غير اسلحة القياصرة الكثيرين مرتبة في دائرة واسعة وضعوا في وسطها رايتين للقائد يرماك فاتح سيبيريا وراية للبرنس بازارجسكي الذي انقذ الروس من دولة بولونيا في سنة ١٦١٢ اخرى للامبراطور الكسي وغيرها لبطرس الكبير وسواه تشهد بمفاخر الروس وفعالهم في الحروب

« وفي هذه الدار غرف وضعت فيها مجوهرات القياصرة والقيصرات وملابسهم الرسمية والاكاليل الفاخرة وعصي الملك الثمينة والحلى النفيسة وهي تامة هنالك مرتبة ترتيباً تاريخياً يوافق مدة هؤلاء القياصرة فترى ملابس كل قيصر او قيصرة في موضعها حتى الاحجبة التي كانوا يعلقونها تحت قمصانهم وكذلك كراسيهم او هي العروش يجلسون عليها في ساعات الحكم والامارة اذكر منها عرش القيصر الكسي وهو مرصع

بنحو ثمانمائة حجر من الالماس · وعرش ايشان فيه نحو تسعمائة حجر من الالماس والفيروز اكثرها هدايا من شاه ايران في ايامه · وقد جلس جلالة القيصر الحالي على هذا العرش يوم تتويجه وعرش بطرس الكبير فيه الفان ومايتا حجر من الالماس ورأيت هنالك كرسي الملك قسطنطين آخر ملوك الدولة الشرقية في الاستانة صنع من العاج وقد نقل من الاستانة الى موسكو بمساعي الامبراطورة صوفيا وهو الذي جلس عليه اسكندر الثاني يوم تتويجه

« ومما يذكر بين تحف هذه الدار العظيمة سيف عثماني مرصع بالالماس وسرج عربي مرصع ايضاً ولجام وركابات صنعت على النمط العربي وهي من الفضة محلاة بالذهب وقد اهديت هذه كلها الى الامبراطورة كاترينا الثانية من السلطان سليم الثالث · وهنالك آنية من الذهب وبقية المعادن الثمينة لا تعد اكثرها هدايا لقياصرة الروس من اقيال الشرق والغرب من ذلك آنية لمائدة كاملة كلها من الذهب الخالص تستعمل في ولائم التتويج · ومنضدة وسيف وديك ونسر من الفضة اهديت من مدينة باريس في أيام نابليون الاول وقصع جميلة قدم عليها الخبز والملح للقياصرة علامة الخضوع وطاقم صيني من انفس انواعه صنع في معمل سيفر المشهور واهدي من نابوليون الاول لاسكندر الاول · ورأيت هناك كرسي خان خيوا استولى عليه الروس سنة ١٨٧٣ وكرسي عباس ميرزا سلطان ايران اخذ سنة ١٨٢٧ وسرير لبطرس الكبير كان يضجع عليه مدة الحروب وسرير لاسكندر الاول لهذه الغاية وسريرين لنابوليون بونابارت وقعا في قبضة الروس سنة ١٨١٢ حين تقهقر ذلك الفاتح العظيم عن بلادهم بعد واقعة موسكو · وأما ملابس القياصرة الموجودة في هذه الدار فيعجز القلم عن وصفها ويضيق المقام اذكر منها ملابس اسكندر الثالث وقرينته وهما والد القيصر الحالي وهي حلة من الحرير الاصفر الفاخر فوقها رسوم النسر الروسي بالقطيفة السوداء ولها ذيل طويل مبطن بالفرو الابيض الثمين وفي صدرها (بطرشين) اكليريكي عليه رسوم النسر الروسي والملائكة وفوقها التاج البطريركي مرصع بانفس الحجارة الكريمة على اشكالها وفي قمته نسر من الذهب فوقه صليب من

الفضة . وأما حلة القيصرة فقد صنعت كلها من الفضة الرقيقة وبطنت بالحرير الابيض وزركشت برسوم مماثلة لما ذكرنا عن حلة القيصر وفوقها تاج اصغر من تاج القيصر ولكنه لا يقل عنه جمالاً وغنًى . وهذه حلة ثقيلة لا يمكن للقيصرة المسير بها ولكن الاميرات التابعات لها يرفعن جوانب الحلة من وراء القيصرة مدة وقوفها في حفلة التتويج ومسيرها القليل . وقد وضعوا هاتين الحلتين داخل قباء او مظلة من الحرير الأصفر المزركش بالرسوم الروسية يتدلى من جوانبها اهداب حريرية صفراء وهي قائمة على عمد رفيعة من الفضة المحلات بالذهب عددها اثنا عشر يمسك بكل منها قائد من قواد السلطنة الروسية ويرفعون هذه المظلة فيسير من تحتها القيصر والقيصرة بابهة عظيمة »

ديانة اليابانيين

اليابان والصين متقاربتان لغة وخلقاً وادباً ولكن اليابانيين أقل تديناً من الصينيين واضعف اعتقاداً بالغيب او تعلقاً بما لا يقع تحت الحواس . والديانة اليابانية الاصلية يقال لها « الشنتوية » من شنتو في الصينية ومعناها « طريق الآلهة » ويعبرون عن هذا المعنى باليابانية بقولهم « كامي نوميتشي » . والشنتوية قديمة في اليابان وقد نشأت من عبادة الاسلاف لانهم كانوا يؤلهون الآباء ويبنون لهم الهياكل ويقدمون لهم الذبائح بل كانوا يؤلهون الحيوان والنبات والانهر والصخور والرياح والنار والاجرام السماوية حتى الى زمن غير بعيد . فقد ألهوا بعض آباء الميكادو وشبهوه بالشمس وبنوا له هيكلاً جعلوا أخته كاهنة له وأصبح بناء الهياكل للآباء سنة عند اليابانيين من ذلك الحين ولكل هيكل كهنة وسدنة يغلب أن يكونوا من اعقاب ذلك المعبود او بعض اعوانه ولا يزال ذلك شأنهم الى هذا اليوم

فعبادة الآباء من القواعد الاساسية في ديانة اليابان ولا يخلو بيت من بيوتهم من مذبح عليه تماثيل بعض الاسلاف تقدم لهم العبادة كما تقدم لايقونات بودا وغيره .

وأشهر تلك المعبودات عندهم ما مثلوا به آباء امبراطورهم الميكادو ولذلك فقد اختلطت أخبار ملوكهم ووقائع دولتهم بالاقاصيص الخرافية ولم يمكن تمييز التاريخ عندهم من الخرافات

يعتقد اليابانيون انهم صفوة الخلق وانهم أول الخلائق وليس في حوادث الخليقة عندهم ذكر للامم الاخرى. وعندهم انه كان في بدء الخلق ثلاثة آلهة تولد منهم بتوالي الازمان ازواج من الآلهة الصغرى كل زوج منها أصل لصنف من المخلوقات وآخر تلك الازواج « ايساناجي » و« ايسانامي » ومنهما نشأت الارض والشمس والقمر والمخلوقات الحية . ومن الآلهة الّهُ يعبر عنه بالشمس تولدت منه العائلة الحاكمة في اليابان وأول ملوكها «جيموتنو » متسلسل من « نقيو نوميكوتو » حفيد الشمس . ولذلك فالملك يسمى عندهم « تيوشي » أي ابن السماء . ويعتقدون ان الشمس لما ولت « نيجو » هذا سلمت اليه « طريق الآلهة » وعاهدته على بقاء السلطة في نسله مابقيت الشمس والقمر والقت اليه ثلاثة أمور مقدسة وهي المرآة والسيف والحجر وقالت له « انظر الى هذه المرآة تظرك الى روحي واحفظها معك واعبدها كما تعبدني »

وما زالت الديانة الشنتوية المذكورة سائدة وحدها في اليابان حتى انتقلت اليها الديانتان البوذية والكونفوشية من الصين ثم تغلبتا عليها وخصوصاً من القرن التاسع الى القرن السابع عشر للميلاد حتى كادت الشنتوية تمحي تماماً. ناهيك بما دخلها من اعتقادات الديانتين الاخريين . فنهض في القرن المذكور ومابعده جماعة من علماء الدين لاحياء الشنتوية فألفوا فيها الكتب ونقوها مما خالطها من الاعتقادات الاخرى. وأشهر أولئك « المصلحين » ثلاثة مابوتشي (من سنة ١٦٩٧ — ١٧٦٩ م) وموتوري (١٧٣٠ — ١٨٠١) وهيراتا (١٧٧٦ ـ ١٨٤٣) وقد بلغت مؤلفات هذا الاخير نحو مئة كتاب . فتحركت عواطف اليابانيين واتحدوا لنصرة ديانتهم الاصلية وابطال الديانات الاخرى وخصوصاً البوذية ونصرهم ملكهم على ذلك فهبوا هبة واحدة لكنهم لم يتمكنوا الا من بعض مطاليبهم فنقوا ديانتهم مما خالطها

وجعلوها رئيسية وحلوا قيودها لكنهم لم يستطيعوا محو الديانة البوذية على انهم طردوا كنهتها من هيا كلهم واستولوا على ما اختزنوه فيها من الثمنات . ومع ذلك فالبوذية مازالت باقية في اليابان وهيا كلها عامرة والحكومة لا تزال تنفق عليها وربما كانت هي والشنتوية في منزلة واحدة . ولعل تلك الثورة الدينية بين الشنتوية والبوذية آلت الى تنازع السلطة بين اليابان والصين لاختلاط الدين بالسياسية عندهم

وخلاصة تعليم هيراتا المذكور ان اقدم واجبات الميكادو الاحتفال بعبادة الآلهة وان الميكادو الاول تلقن كيفية الملك من اسلافه المعبودين وقد علموه ان كل ما يحدث في هذا الكون انما يحدث بارادة ارواح الآلهة في السماء والارض . ولذلك وجبت عبادتهم والحكومة معناها « العبادة » فالملوك كانوا يصلون للآلهة ويتوسلون اليهم ان يعطوا رعاياهم خبزهم اليومي وان يوازروهم بما يحتاجون اليه من لوازم الحياة والوقاية من المؤثرات الطبيعية وكان الملوك يحتفلون مرتين في العام احتفالاً عاماً يسمونه احتفال الطهارة . وان الرعايا يجب ان يقتدوا بملوكهم في العبادة فيؤلهون آباءهم ويعبدونهم وبما ان الآلهة كثيرة العدد فليختاروا منها الاهم . وتقام العبادة في الهياكل وهي كثيرة عندهم ربما زاد عددها على ٠٠٠ر٩٨ فمن لم يستطع حضور الصلاة في الهيكل فليصل في البيت

ومن تعاليم هيراتا في تفسير معنى قولهم « اله الريح والاهته » قوله « والاصل في تسميتها الدلالة على دعامة السماء ودعامة الارض لان الريح تتسلط على ما بين السماء والارض وتحمل السماء كما يحمل عمود البيت سقفه فالصلاة لها تكون هكذا « أقول بلهفة : تنازلا و باركاني اغفرا خطاياي التي تنظرانها وتسمعانها وقد ارتكبتها فانفخاها عني واذهبا الارواح الشريرة من بين يدي لئلا تقف في سبيلي وارفعا الى الآلهة الاصلية في السماوات والارض ما أقدمه كل يوم من الادعية . اوصلاه اليها يوماً يوماً »

والهياكل الشنتوية في اليابان طبقات منها هياكل الولايات وهياكل المدن وهياكل القرى فاذا ولد لهم مولود حملوه الى الهيكل الاقرب يلتمسون حماية الآلهة له . ولآلهة كل بلد لها تأثير خاص في كل ما حواه ذلك البلد من الحيوان والنبات

ويفسبون مابين البلاد والقرى من الاختلاف عدد في سكانها وماشيتهم وخصب مغارسهم الى اختلاف قوى الآلهة التي تحميهم

واكثر معبوداتهم عدداً واكثرها انتشاراً الهة المنازل ففي كل منزل مقام مقدس كصندوق فيه الواح مغطاة بورق وعليه كتابة ملونة هي عبارة عن القاب الاله « ايزي » وغيره من الآلهة التي يرجعون اليها في مطالبهم المنزلية ويقدم رب المنزل بين يدي هذه الالواح شراباً يابانياً يسمونه « ساكي » وارزاً واغصاناً من شجرة عندهم يسمونها الشجرة المقدسة تشبه شجرة الشاي — يفعل ذلك في اول الشهر وفي ثانيه والخامس عشر والثامن والعشرين منه ويضعون على ذلك الصندوق كاساً فيه زيت يضيئونه كل مساء . وهاك الصلاة التي يتلوها صاحب المنزل كل ليلة هناك : « باحترام اسجد اولاً للاله العظيم رب القصرين ثم للثمانمئة ربوة من الالهة الارضية وللالف والخمسمئة ربوة من الالهة التي أسست لها الهيا كل الكبرى والصغرى في الولايات والجزائر (اليابان) وللالف والخمسمئة ربوة الالهة الذين يخدمونهم ولآلهة القصور الفرعية والهيا كل الفرعية ..... اتضرع الى هؤلاء جميعاً ان يتنازلوا لغفران خطاياي التي ارتكبتها عرضاً وقد رأوها وسمعوها واطلب اليهم ان يباركوني حسب نعمتهم ويجعلوني اتبع القدوة المقدسة واصنع خيراً في طريقي »

﴿ البوذية ﴾ واما الديانة البوذية فقد نشأت في الهند وانتشرت في الصين ثم نقلت الى اليابان وتغلبت على تعاليم الشنتوية لان البوذية اقرب الى العقل البشري لما فيها من التوحيد والحث على الفضائل والتعبير عن حاسات البشر . وأساس تعاليمها ان الانسان خلق شقياً يقضي حياته بالتألم والشقاء لايريدون بالتألم مايحدثه الجرح او المرض او نحوه بل هو شعور يحدث للانسان اذا تأمل ما هو داخل في تركيبه اذ يرى انه مركب من عقل وبدن او من ارادة وعواطف . ومصدر تألمه عجز ارادته عن التسلط على عواطفه وخصوصاً اذا كان حي الضمير فانه يكون اذ ذاك اشقى المخلوقات فيقضي حياته تعيساً حزيناً . ثم اذا تأمل في نفسه لم يستطع ادراك وجوده فضلا عن ماهيته ويعبرون عن ذلك بالجهل



بوذا

فالألم والجهل اساس ديانة البوذية والوسيلة الوحيدة للتخلص منها درس الكتب الدينية والالتجاء الى « القوة الابدية الثابتة » وبهذه القوة يلتمسون الخلاص من عوامل هذه الحياة الزائلة . ولكنهم لم يبينوا مرجعهم بعدها الى الخلود او الى الزوال لان بوذا نفسه لم يجسر على القطع في ذلك وأنما جعل همه الالتجاء الى تلك القوة التي سماها « ثابتة »

ولقد عرّف بوذا الباطل هذا العالم بعبارات لا نظن النصرانية عرّفتها بابلغ منها فخاطب تلامذته قائلاً « ان هجرتنا في هذه الحياة الدنيا تبتدىء منذ الازل لا يعرف لها اول بدأت منه ولا أصل نشأت عنه . انظروا الى البحور الاربعة العظمى انها ليست اعظم من دموعكم التي سكبتموها في اثناء هجرتكم الطويلة في هذا العالم فكم حزنتم وبكيتم لانكم بليتم بما لا تحبون ومنعتم مما كنتم تلتمسون . انكم منيتم بفقد الوالد والوالدة والاخ والاخت والبنين والبنات . وكم فقدتم من الاهل والاصدقاء وخسرتم من الاموال والعقارات . وبتوالي هذه الخسائر عليكم بكرور الاجيال يزداد حزنكم ويزداد انسكاب دمعكم وانتم تائهون في ديار غربتكم »

وقس على ذلك من عبارات الحزن والزهد . ولهم امثال وحكم مرجعها كلها الى مثل ما تقدم كقولهم « يجمع المرء ازهاراً ليسرّ بها قلبه فينهال عليه الموت انهيال السيل على القرى فيغرقه » و « ليس في الارض قناعة ولو صبّ الذهب بالمازيب » و « لا تحب شيئاً لان فقد المحبوب شرٌّ عظيم ومن لا يحب شيئاً ولا يبغض شيئاً فهو مطلق السراح . والحب مصدر الحزن وينبوع الخوف »

ويعرفون التقمص على كيفية خصوصية فعندهم ان الانسان اذا مات ظلّ وجدانه حياً حتى يتصل بصنف من الارواح او العناصر لا يعرفون ما هو فيحلّ في جرثومة حية يولد منها ثانية . ولا يزال ينتقل من جسم الى آخر حتى ينجو من التألم المتقدم ذكره

وعندهم ان الانسان مسؤول عما يعمله كما يعتقد أهل الاديان الالهية عندنا ومن وصاياهم الدينية « ليس في طبقات السماء ولا على سطح الارض ولا في قاع البحر ولا على قمم الجبال وما ينجيك من عواقب اعمالك » ويعتقدون ان الشقي ولو تاب ونال الخلاص فهو لا ينفك عرضة للعقاب على خطاياه السابقة . فلو ان سارقاً تاب عن السرقة ثم بلي بأذية فتلك الاذية عقاب له على ما اقترفه من قبل . ولكنهم يقولون انها تنجيه من عذاب ابدي في جهنم . وعندهم ان الانسان اذا بعث بعد الموت يقف امام الملك « ياما » فيسأله هل رأى في حياته على الارض البلايا الخمس وهي الحداثة والشيخوخة والقصاص والمرض والموت

والبوذية لا تسلم بنفس مستقلة عن الجسد بل هي تقول باتحادهما وأنهما يتألمان ولا تبحث في ما وراء ذلك

واساس الفضائل عندهم وصايا سلبية تشبه الوصايا العشر من بعض الوجوه ولكنها خمس وهي (١) لا تقتل حياً (٢) لا تسرق (٣) لا تزن (٤) لا تكذب (٥) لا تشرب المسكرات . ومن وصايا الرهبان عندهم « ضع الهراوة والسيف جانباً والتزم الحشمة والشفقة . وكن شفوقاً على كل مخلوق حي . لا تنقل الكلام لئلا تسبب الخصام . اجمع بالسلام ما يفرقه الناس بالخصام . شجع اصدقاءك

تكلم ما يلذ الاذن ويبلغ القلب · كن سروراً للشعب · لا تنطق بالحمق او الكلام الباطل · قل الحقيقة العائدة بالمنفعة الممتلئة بالحكمة · لا تأكل الا مرة في اليوم · لا ترقص ولا تغن الخ »

ومن تعاليم البوذية عن المحبة ما يشبه التعليم المسيحي ولكنهم بدلاً من ان يوصوا بالمحبة فانهم ينهون عن البغضاء ومن اقوالهم « من يستطيع كبح جماح غضبه فذاك فارس ماهر · تغلب على الغضب واغلب الشرّ بالخير واغلب الطمع بالقناعة والكذب بالصدق · والمداوة لا تنقضي بالمداوة على هذه الارض · ذلك هو الناموس الابدي »

واما الاحسان الى الاعداء في النصرانية فلا شبيه له عند البوذيين ولكنهم يقولون « اذا آلمني احد او فرحني فاني لا اعده مسيئاً ولا محسناً ولا انا اعرف المحبة ولا البغض لاني في السرور والحزن سواء · وفي الاهانة والشرف واحد »



شيطان بوذي

ويعتقد البوذية ان التربية متوقفة على قوة داخلية في الانسان فيقولون « حرّض نفسك بنفسك · امتحن نفسك · اكبح نفسك كما يكبح الفارس فرسه · اقطع الحواس الخمس واترك الخمس وتغلب على الخمس · وما نحن الا نتيجة ما نفكره »

وعندهم روح شرير يشبه الشيطان عندنا ويسمونه « مارا » واليه ينسبون الشرور التي تقع للناس · ولكن فلاسفة البوذيه ينسبون اليه كل عمل فيقولون حيث تكون العين ومرئياتها والاذن ومسموعاتها والفكر واعماله هناك يكون مارا »

فترى مما تقدم ان التعاليم البوذية من أرقى التعاليم الدينية فلا غرو اذا فضلها اليابانيون على ديانتهم الاولى مع ما فيها من الاغراق في الوثنية والخرافات المغايرة للتعقل ولكن جمهور العامة لا يزالون يحنون الى ديانتهم القديمة لما فيها من اكرام

الآباء والسجود لهم وستغلب البوذية عما قليل لاسباب ترجع الى الانتخاب الطبيعي وبقاء الانسب وفي اليابان شيء من المذهب الكونفوشي وقد بسطنا هذا المذهب في السنة السابعة من الهلال

البحرية الروسية



الاميرال الكسيف

نائب قيصر الروس في الشرق الاقصى

الروسية اكبر دول البر وأشدهن بطشاً واكثرهن جنداً وأما في البحر فانها لا تعدُّ من الطبقة الاولى لان طبيعة المملكة الروسية تقضي عليهم بذلك . على ان القياصرة ما برحوا من أيام بطرس الكبير يسعون في تقوية بحريتهم حتى لا تقوى عليها بحرية دولة أخرى ومن اكثر القياصرة سعياً في ذلك الاسكندر الثالث القيصر السابق فقد بذل عنايته في هذا السبيل وانفق فيه أموالاً لم ينفقها احدٌ من اسلافه حتى توفي رحمه الله والبحرية الروسية في الطبقة الثالثة بين دول البحار . ولما تولى القيصر الحالي وجه عنايته بنوع خاص الى البحرية على ان يجعلها تضارع البحرية الانكليزية لاعتقاده ان تلك

المملكة الواسعة لا تتقدم في معارج المدنية تجارة وصناعة الا اذا فتحها مسالك في البحار الكبرى • وللقيصر المذكور مع فرنسا مداولات في هذا الشأن منذ تبوأ الاريكة القيصرية ذكروا في جملتها مفاوضة من مقتضاها ان تتعاون الدولتان على انشاء أسطول يملك مياه البحر المتوسط ويكون للروس مخزن للفحم على سواحل فرانسا — ولم يتم لهم ذلك كما يشاؤون

على انهم عملوا على تقوية بحريتهم من جهات أخرى فانشأوا ميناء حربياً في بحر البلطيك عند فرضة ليبو فاقاموا فيها الاسوار والقلاع وابتنوا مرفأ يسع أسطولاً كبيراً واحتفل القيصر في فتحها احتفالاً شائقاً شهده بنفسه في صيف سنة ١٨٩٣ وفعل نحو ذلك في قلاع سباستبول على البحر الاسود وقلاع فلاديفستك على البحر المحيط • فتحدث الناس يومئذ بمستقبل البحرية الروسية وتوقعوا من وراء ذلك الاستعداد حرباً عظيمة تهتز لها أوربا وآسيا وتخشى ان يصدق توقعهم

والجند الروسي في البحر لا يقل بسالة ومهارة عن القوزاق في البر كما تشهد بذلك الحوادث التاريخية من عهد بطرس الكبير الى الحروب الاخيرة ولا يزال حصار سباستبول يرن ذكره في الآذان الى هذا اليوم وسيبقى دهراً طويلاً وقد كان للعمارة الروسية شأن كبير في الدفاع عن تلك المدينة التي تكاتفت دول أوربا العظمى على حربها فثبتت امام قنابلهن ثبوت الجبال ولم يستطيعوا دخولها الا تسلقاً على جثث الرجال

تجند روسيا بحريتها من سكان الشواطىء مثل فنلاند ونحوها ومع ذلك فان معظم رجال البحرية عندها من سكان أواسط المملكة ولذلك فانهم زرق العيون كثاثو الشعر بارزو الوجنات يمايدل على أصلهم التتري — ولا بأس من ذكر شيء من معيشتهم اليومية في سفنهم :

يبدأ النهار عندهم في الساعة الخامسة من الصباح فينفخ بالصفارة فينهضون ويحلون أسرتهم وهي شباك تعلق بالحبال ثم يدعون للشاي ويتناولون معه طعاماً آخر يسمى بلسانهم « كاشا » وبعد الطعام يجتمعون للصلاة على ظهر الباخرة باحترام وشوق شديدين فيصلي فيهم بعض كبار الضباط • فاذا فرغ من تلاوة الصلاة الربانية رأيت الجمهور يتموج برسم علامة الصليب على صدورهم • والروسيون مشهورون بتدينهم وصدق تقواهم وغيرتهم على أوطانهم ودولتهم ومن هذا القبيل اعتبارهم القيصر أرق من البشر

وبعد الصلاة يتفرق الرجال لبعض الاعمال الوقتية وفي الساعة الثامنة يتقدمون بالطبل

والصفارة فيجتمعون على ظهر الباخرة في صفوفهم فتعطى لهم الاوامر اللازمة كل واحد حسب رتبته ووظيفته وتجري بعض الحركات العسكرية على سبيل التمرين وقد يمرّنون في الهجوم والدفاع واطلاق المدافع وارسال الطوربيد ونحو ذلك من المناورات البحرية والكل يشتغلون كباراً وصغاراً. وبعد الفراغ من العمل تبطل الرسميات ويصير الكل أخوة يلعبون ويرتاضون بدناً وعقلاً

فاذا دنت الساعة الحادية عشرة توجهت الانظار والقلوب نحو المطبخ واصبحوا جميعاً في انتظار الصفير الذي يدعوهم للطعام. فاذا ازفت الساعة سمعوا منادياً ينادي « بروبوتا فيرخ » اي « الاجتماع على ظهر السفينة » فينقض البحرية انقضاض الصاعقة ويصطفون هناك وهم ينظرون الى المنادي وينتظرون الاوامر وهم يعلمون انهم انما دعوا للطعام. وبعد قليل يجيئونهم بجفنة فيها طعام مطبوخ هو في الغالب مايسمونه بلسانهم « بورش » شوربة كرنب باللحم او « تشي » بجفنة الجزر او سواها من البقول المطبوخة باللحم. وقبل تفريقها فيهم يتقدم القبطان ويذوقها ويحقق صدق طبخها. وطعامهم ايام الجمعة السمك فقط

وبعد تناولة الغداء يذهبون الى القيلولة وينهضون في منتصف الساعة الثانية للعمل. وفي الساعة الخامسة يستقدمون للطعام ثم يسمعون النداء للشرب وهو قولهم « تشاروتشكا » ولهم في ذلك النداء عبارة يغنونها بنغم مفرح هذا لفظها :

تشاروتشكا ماليا سيريبرانايا
نازولتون بلوديه بستا فليتايا

ومعناها « يا قدحي الفضي على الطبق الذهبي »

فاذا غابت الشمس انقطع العمل واركنوا الى الراحة او الى اللعب ولهم العاب كثيرة يمضون بها الليالي اكثرها من قبيل التمثيل او الرقص او الترتيل او الغناء او نحو ذلك حتى يأوون الرقاد

وبالجملة فالبحري الروسي يتمتع براحة وسعادة لايتمتع بمثلها الجندي البري وهو شديد الغيرة على وطنه يستهلك في الدفاع عن قيصره الى آخر نسمة من حياته. ومن اقرب الشواهد على ذلك ما قرأناه بالامس عن ثبات ذلك الربان في شمولبو اذ فضل الموت على ظهر السفينة على التسليم

واقعة شمولبو

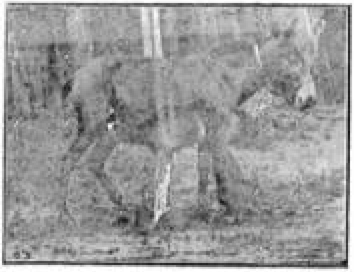
قفا بنا في شمُلبو حول ميناها ... نرثي من الروس ابطالاً فقدناها
جرت لهم في مجال البحر معركة ... يضيق ذرع القوافي عند ذكراها
ما كان ثمَّ سوى طرادةٍ لهم ... والمدفعية كورتيز برساها
فاستصوبت سفن اليابان غدرهما ... ياقاتل الله عنا من تولاها
وأقبلت تبلغ العشرين بارجة ... تكاد تعثر كبراها بصغراها
كالعيس تمعن في تسيارها خبباً ... وقد عراها الطوى في طيّ بيداها
لم تكترث لاعتراض العاذلين على ... قتالها في الحمى الكوريّ اعداها
ولم تحافظ على عهد الوفاء وهل ... يرجى وفا العهد ممن ينكر الله
وأعلنت انها تبغي نزالهم ... او انهم أُسَراها حسب دعواها
فلم تبال بها كورتيز وانطلقت ... كأنما لم يكن للموت مجراها
سارت ولو لم تكن تغلي مراجلها ... كفت عزائم من فيها لاغلاها
وانقضَّ من خلفها الطراد تدفعه ... حماسة تترك الجلمود امواها
وكان صوت نشيد النصر مرتفعاً ... يطبق الارض أقصاها وأدناها
فيستفزهم للذود عن وطن ... ودولة لم يخوضوا الموت لولاها
فيالها وقعةً هزت فرائصنا ... عند السماع فماذا لو شهدناها
سفينتان على الاسطول اقدمتا ... لاتعبآن بنارٍ منه اصلاها
وهكذا دام اطلاق القنابل من ... كلتيهما والمنايا رهن مرماها
لكن احداهما أودى بها ضررٌ ... فبات تحت حجاب اللجّ مثواها
واختار ربان كورتيز منيته ... لما رأى ضيق منجاه ومنجاها
فقال للجند زجّوا ثم اتلفها ... نسفاً لكي يمنع اليابان جدواها
وظل منتصباً في ظل رايتها ... يرنو اليها فتغشاه ويغشاها
ولم يزل رافعاً نحو العلى يده ... حتى توارى عن الابصار مرآها

فقرّ حينئذ من جندها عددٌ · وفضّل البعض ان يقضوا واياها
والبحر احمر من هدر الدماء وقد · طفت على سطحه اجساد قتلاها
اما العداة فما كانت خسارتهم · اخفّ وقعاً على ما قد علمناها
فالروس قد اغرقوا نسافتين لهم · وعطلوا قطعة ما حاش جرحاها
وسوف يلقون من غارات جيشهم · ما يترك الرعب في طلكيو وأنحاها

(بيروت) جرجي مخائيل سعد

عجائب المخلوقات

بغلة ولدت مهراً



بغلة ترضع مهرها

(ريوكلارو · البرازيل) رشيد افندي يعقوب الصائغ

كثيراً ما سمعت وقرأت في الهلال وغيره ان البغال لا تتناسل وهذا هو رأي

جمهور العلماء ولكنني قرأت منذ بضعة عشر يوماً عن بغلة في فلزنده وهي عزبة تبعد نصف ساعة عن هذه المدينة ولدت مهرًا ورأيت الناس يتسابقون لمشاهدتها فتاقت نفسي لذلك فشخصت الى المكان المذكور فرأيت الامر كما وصفوا وشاهدت البغلة ومهرها فأحببت ان يشترك معي في ذلك قراء الهلال . فنقلت صورة البغلة ومهرها بالفوتوغراف لتنشروها ونرجو ان تفيدونا عن رأيكم في ذلك

(الهلال) من الامور المقررة في العلم الطبيعي ان البغال لا تتناسل وكذلك كل حيوان يتولد من حيوانين مختلفي النوع كالبغل المتولد من الفرس والحمار فاذا كان الذكر من أبويه فرساً كان أقرب شبهاً بالافراس واذا كان الذكر حمارًا كان أقرب الى شكل الحمار — ومن البغال ما يتولد من الخيل وبقر الوحش — قال الدميري انه رآه بعينه فاذا هو بغلة في غاية الحسن . ومن هذا القبيل « البختي » المتولد من الابل الفالج والعراب وهو احسن أنواع الابل . والديسم المتولد بين الكلب والذئب و « السمع » المتولد من الضبع والذئبة و « العسبارة » من الذئب والضبع (الانثى) ونحو ذلك من التناسل الجاري على غير السنن الطبيعية فان نتاجه لا يتناسل لنقص في الاعضاء اللازمة لذلك . واذا شذت هذه القاعدة وذلك نادر كان شذوذها في اناث البغال اكثر مما في ذكورها . فالبغلة قد تحمل من فرس او حمار ولكن حملها لا يتم الا نادرًا جدًا واندر من ذلك ان يبقى نتاجها حياً ويعد بقاؤه من خوارق الطبيعة . والبغلة التي ذكرتم حملها وولادتها ونشرنا صورتها في صدر هذه المقالة تعد من هذا القبيل أيضاً . وقد يتفق ان يكون لبعض الحيوانات صورة البغل وبنية الفرس او الحمار مثلاً فاذا ولدت وعاش نتاجها كانت الوالدة حجرًا أو أتاناً وليس بغلة

(الذهب والفضة في العالم) يؤخذ من تقرير وضعه الموسيو ارنونه مدير دار الضرب بباريس عن مقدار الذهب والفضة في العالم ابتداء من اكتشاف أميركا أي منذ نحو اربعمئة سنة انهما بلغا مبلغاً عظيماً — لان الذهب الذي كان باقياً في أوربا قبل الاكتشاف المذكور لم يكن يزيد مجموعه على ١,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك اما المستخرج من

أميركا فمعدل مقداره في القرن السادس عشر ٨٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك في السنة وفي القرن السابع عشر بلغ ١١٥ مليون فرنك في السنة . وفي الثامن عشر أصبح المقدار السنوي ١٩٣ مليون فرنك . وصار في القرن الماضي ٢٢٧ مليون فرنك . على ان المستخرج زاد زيادة فاحشة بعد مضي النصف الاول من القرن المذكور فبلغ بين سنة ١٨٥١ و ١٨٧٥ نحو ٩٣٠ مليونًا في السنة ثلثاها من الذهب فقط وبلغ بين سنة ١٨٧٦ و ١٨٨٥ نحو ١٠٠٩٠ مليون فرنك في السنة . ومعدل ما بقي الى آخر القرن الماضي ١،٣٩٠ مليون فرنك . وبلغ مقدار ذلك في العام الماضي ٢،٣٠٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك . وقد حسبوا مقدار ما استخرجه الناس من هذين المعدنين في القرون الاربعة الاخيرة فبلغ مجموعه ١١٨ مليار فرنك (منها ٥٥ مليارًا من الذهب و ٦٣ مليارًا من الفضة) على تقدير قيمة النقود المضروبة بها . ومع ذلك فحاجة الناس الى الذهب تزداد اكثر من زيادة المقادير المستخرجة منه

وأما الاماكن التي يستخرج منها الذهب فهي الولايات المتحدة وفيها كلونديك ثم جنوبي افريقيا واوستراليا وروسيا ثم الصين ومقدار ما يستخرج منها نحو ٣٠ مليون فرنك . ثم المانيا وهونكاريا وشيلي والمكسيك وفنزويلا وكندا ويستخرج من كل منها ماقيمته بين ٦ و ٨ ملايين فرنك في العام . وتقدر النقود الدائرة اليوم بأيدي الناس في اقطار العالم بنحو ٢٥،٩٠٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك من الذهب و ١٩ مليار فرنك من الفضة فاذا أضيف الى ذلك قيمة النقود الورق بلغ المجموع ٥٩،٧٠٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك

(مقطوعية البيرا) بلغ مقدار ما انفق من البيرا في البلاد المتمدنة سنة ١٩٠٢ نحو ٢٦٣،٠٠٠،٠٠٠ هيكتوليتر فلو صب هذا المقدار من السائل في بحيرة مساحة سطحها عشرة كلومترات مربعة وعمقها ٢٦٣ مترًا لملأتها كلها

(روزنامة المحيط) اهدتنا جريدة المحيط الغراء التي تطبع في نيويورك روزنامة متقنة لعام ١٩٠٤ تدل على عناية منشئها منصور افندي الحداد ورغبته في ارضاء قرائه فنرجو لرصيفتنا المحيط دوام الارتقاء

مطبوعات جديدة

تكاثرت المطبوعات الواردة علينا للتقريظ حتى ضاق وقتنا عن مطالعتها وضاقت صفحات الهلال عن تقريظها فنرجو من أصحابها عذراً اذا اختصرنا في وصفها

(ديوان التعاويذي) التعاويذي هو ابو الفتح محمد بن عبيدالله بن عبدالله المعروف بسبط ابن التعاويذي المتوفى سنة ٥٨٣ هـ قال ابن خلكان « انه كان شاعر وقته لم يكن فيه مثله جمع شعره بين جزالة الالفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها وهو في غاية الحسن والحلاوة وفيما اعتقده لم يكن بمائتي سنة من يضاهيه » وقد جمع ديوانه بنفسه وصدره بخطبة بليغة ورتبه في أربعة فصول وكلما جدده بعد ذلك سماه الزيادات • وقد ظل هذا الديوان مقيداً بالخط حتى تصدى لطبعه ونشره المستر مرجليوث استاذ اللغة العربية في مدرسة اوكسفورد الجامعة وهو واسع الاطلاع في لسان العرب وتاريخهم وآدابهم • وقد ضبط الديوان المذكور بالشكل الكامل وصدره بجدول ذكر فيه كتب التاريخ والادب التي ورد ذكر التعاويذي اوشعره فيها • وذيله بفهرسين الجديدين الاول ذكر فيه أسماء الممدوحين والمهجويين وغيرهم ممن جرى ذكرهم في الديوان • والثاني أورد فيه المعاني التي عرض ذكرها في بعض أبيات الديوان — وفي هذا الفهرس فائدة كبرى للباحثين في آداب العرب وعاداتهم واخلاقهم لانه يدلك على ما قاله الشاعر في وصف الضيافة مثلاً اواستقراض الكتب او دست القاصد او رمي البندق او حال الكتاب او الوزراء او غير ذلك وقد يكون الوصف المذكور وارداً في بيت او بضعة أبيات في أثناء قصيدة مدح او هجو — وبالجملة فانا نثني على حضرة الناشر ثناء جميلاً لعنايته في نشر هذا الأثر العربي ونحث محبي الادب على مطالعته • والكتاب نحو خمسمائة صفحة ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة مجلداً ٤٠ قرشاً وأجرة البريد ثلاثة قروش

(فتاة اسرائيل) أخذ حضرة عبد المسيح بك الانطاكي صاحب جريدة العمران في تأليف سلسلة روايات تاريخية سماها « روايات تاريخ النصرانية الاكبر » سيأتي فيها على تاريخ الديانة النصرانية وما رافقها من الحوادث في سياق روايات أدبية غرامية تلذ مطالعتها ويشتاق المطالع الى اتمامها على نحو ما فعلناه في روايات تاريخ الاسلام • وهو مشروع عظيم الاهمية كبير الفائدة ولكنه كثير العقبات يحتاج الى عزم ثابت واطلاع واسع • فنرجو

ان يتوفق حضرة المؤلف الى اتمامه فيكون قد خدم اللغة العربية خدمة كبرى —
و « فتاة اسرائيل » هي الحلقة الاولى من تلك الروايات وتبحث في الوسط الذي ولد فيه السيد المسيح مع وصف حالة اليهود يومئذٍ وحالة الدولة الرومانية وأحوال المصريين اذ ذاك وكيفية تضحيتهم عروس النيل الى غير ذلك من الفوائد التاريخية · وقد صدرت في ٢٧٥ صفحة كبيرة وتطلب من المكاتب الشهيرة وثمن النسخة خمسة فرنكات

(الوفاق والطلاق) هي رواية اجتماعية غرامية ادبيــة مزينة بالرسوم تأليف طولستوي الفيلسوف الاجتماعي الشهير وقد نقلت الى العربية وطبعت بنفقة ابراهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية وتطلب من حضرته وثمن النسخة ستة قروش

(نسمات الصبا في منظومات الصبا) هو ديوان شعري نظمه حضرة جرجي افندي عطية احد شعراء بيروت ونجل الاستاذ شاهين افندي عطية واكثره في وصف المناظر الطبيعية والاختراعات الحديثة والفضائل الانسانية والآداب العصرية ونحو ذلك مما تقتضيه روح العصر من ترك المدح والهجو ونحوهما · والكتاب يطلب من ادارة جريدة لبنان الغراء في بعبدا وثمن النسخة ستة قروش

(الجاري في الحساب التجاري) هي المرقاة الرابعة لدرس السنة الرابعــة في الحساب لحضرة الياس افندي جرجس بيتا · وهو كتاب نحن في غاية الافتقار اليه لانه يبحث في ما يحتاج اليه التجار والصناع وغيرهم من المعاملات الاصطلاحية او الحسابات التجارية كتحويل الموازين والنقود والاقيسة الانكليزية والفرنساوية والعثمانية والسورية والمصرية بعضها الى بعض من اصغر تلك الاصطلاحات الى اكبرها · واستخراج الفوائد البسيطة والمركبة على اختلاف الازمنة وقواعد الخصم والتحويل باختلاف انواعها والتعديل على انواعه وفي الغرامة والميراث وغير ذلك مما لا يستغني عنه تاجر

(دليل البريد) صدر دليل البريد المصري لهذا العام وهو حافل بقوانين هــذه المصلحة وقواعدها وتعليماتها مطولاً في نحو ٢٨٠ صفحة · وفي كل سطر منها شاهدٌ على انتظام مصلحة البريد المصري ونشاط سعادة مديرها وان كان ذكر عنايته ونشاطه وسهره على هذه المصلحة اصبح من قبيل تحصيل الحاصل لاشتهار ذلك بين الخاص والعام

(كتاب التمرين على البيان والتبيين) هو المرقاة الثانية من مراقي علم الادب للشيخ طاهر الجزائري وهو عالم شهير بين أهل الادب في سوريا ومصر وفيهم جماعة كبيرة من مريديه ولذلك فلما أصدر كتبه تهافتت المدارس على اعتمادها في تمرين الطالب على

مارق وراق من النثر والنظم ليتمثل ذلك في مرآته ويقوى النور في مشكاته

(تدريب اللسان على تجويد البيان) وهذا للشيخ طاهر المشار اليه ايضاً جعله تتمة المرقاة الثانية ذكر فيه فن التجويد وشروطه وأحكامه ومخارج الحروف وصفاتها كالمجهورة والمهموسة والشديدة والرخوة والمصمتة والمذلقة وغيرها وكلاماً في التفخيم والترقيق وأحكام النون الساكنة والتنوين والادغام والمد والابدال والتسهيل والاسقاط والوقف على انواعه وغير ذلك من احكام التجويد. والكتابان مطبوعان بنفقة احمد افندي حسن طباره محرر جريدة ثمرات الفنون ببيروت ويطلبان من المكاتب الشهيرة وثمن الاول قرش ونصف والثاني قرشان

(ديوان الكاشف) صدر الجزء الاول من هذا الديوان لناظمه احمد افندي الكاشف بالقرشية بمصر وقد صدره بصورته تليها مقدمة في ترجمة حاله ثم قائمة بأسماء شعراء العصر من سنة ١٢٢٠ — ١٣٢٠ للهجرة مرتبة على حروف الهجاء يبلغ عددها نحو المئة . ويلي ذلك منظومات كاشف افندي في المدائح والتهاني وأكثرها في جلالة السلطان وسمو الخديوي وفي وصف بعض المهرجانات وقصائد أخرى في وصف بعض الاختراعات او المناظر او الوقائع . وفي الخاتمة بقية اسماء الشعراء وعدتهم نيف وثلاثون شخصاً . والكتاب المذكور يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة قروش وأجرة البريد قرش ونصف

(ماري تودور) هي رواية غرامية تاريخية أدبية تأليف فيكتور هوكو وقد نقلها الى العربية حضرة ابراهيم افندي سامي وطبعت على نفقة المكتبة الشرقية وتطلب منها وثمن النسخة قرشان ما عدا اجرة البريد

(الايضاحات الجلية) هو كتاب ديني قبطي في حقيقة الارثوذكسية تأليف الشماس ميخائيل شحاته واعظ الكنيسة القبطية الارثوذكسية بالسويس قال في مقدمته انه نهج في تأليفه منهج أولاد العسال والمكين وغيرهما من ارهاط علماء الطائفة القبطية وأخذ عنهم . والكتاب يطلب من المؤلف ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ثمانية قروش صاغ وأجرة البريد قرش ونصف



الهلال

الجزء الثالث عشر من السنة الثانية عشرة

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٤ و ١٥ محرم سنة ١٣٢٢

كوريا وامبراطورها

كتبنا في الهلال الثامن من هذه السنة فصلاً مختصراً عن كوريا ثم رأينا الحالة تدعو الى التوسع في هذا الموضوع فعدنا اليه والعود احمد (انظر الخارطة)

﴿ جغرافية كوريا ﴾ كوريا شبه جزيرة شكلها مربع مستطيل يحيط بها البحر من ثلاث جهات وتتصل من الجهة الرابعة بمنشوريا من مملكة الصين . يحدها من الشرق بحر اليابان ومن الغرب البحر الاصفر وخليج كوريا . ومن الشمال الغربي منشوريا ويفصل بينهما نهر يالو . ويحدها من الجنوب بوغاز يفصلها عن اليابان يقال له بوغاز كوريا . عاصمتها مدينة سيول في منتصفها نحو الغرب وأشهر مدنها على الساحل الغربي من الشمال الى الجنوب وي تشو (او ويجو) عند مصب نهر يالو ثم ان تشو (او انجو) تليها بيانغ (او بينانغ) في البر . ثم شينانبو وبعدها هوانغ شيو ثم هاي تشو تليها شمولبو وهي فرضة سيول وبعدها كونسان ثم موكبو . وعلى الساحل الشرقي سيانج تشيو ثم ون سان وأخيراً فوسان في بوغاز كوريا . ومن أشهر المدن على ذلك البوغاز ماسانفو . ويقطع كوريا طولاً من الشمال الى الجنوب خطٌّ حديدي يبتدئ من وي تشو في الشمال على الضفة اليسرى لنهر يالو فيمرّ بجانب أن تشو ثم بيانغ الى سيول ومنها يمر بعيداً عن وان تشو وكوي سان ثم بجانب سانج شو وتاي كو حتى ينتهي الى فوسان في الجنوب وبعضه لا يزال تحت الانشاء . وبين سيول وشمولبو خطٌّ آخر

ويحيط بكوريا وراء البحور من الشرق جزائر اليابان ومن الغرب مملكة الصين وجزء من منشوريا ينتهي برأس داخل في البحر اسمه بورارثر وهو في ايدي الروس وفيه جرت اكثر المعارك البحرية بين روسيا واليابان في هذه الحرب · ويحد منشوريا من الشرق جزء صغير من سيبيريا اي املاك روسيا في اسيا ينتهي في بحر اليابان بفرضة حصينة اسمها فلاديفستك فيها حامية روسية · وفي هذه الفرضة ينتهي الخط الحديدي العظيم المعروف بسكة حديد سيبيريا · فانه ينشأ من بطرسبورج في الغرب وينتهي في فلاديفستك بالشرق بعد ان يمرّ بروسيا اوربا ويقطع سيبيريا في أعالي تركستان ثم شمالي مملكة الصين فاذا بلغ منشوريا مرّ في أعاليها من الغرب الى الشرق حتى ينتهي بفلاديفستك · وقبل وصوله اليها يتفرع منه خط في محطة يقال لها خاربين ويسير جنوباً حتى ينتهي في بورارثر بعد ان يمر بمحطات تشنج تشن وتشانج تو وموكدن وهاي تشونج وطاشي كيو وطاليانوان قرب بورارثر · ويتفرع من هذا الخط عند طاشي كيو خطان يسير أحدهما غرباً الى فرضة نيوشوانج ومنها الى كوبانج تدي حتى يتصل بسكة حديد الصين التي تمرّ بشان هاي كوان وهي فرضة مقابل بورارثر ثم بطاكو على خليج بتشيلي ثم بتين سين ومنها الى باكين · والخط الآخر الذي يتفرع عند طاشي كيو يسير شرقاً الى نجام تنج عند مصب نهر يالو مقابل وي تشو · ويجانب نجام تنج على خليج كوريا مدينة انتنج · وعلى ساحل الصين الشرقي مما يقابل كوريا من الشمال الى الجنوب شيفو ثم واي هاي واي ثم كياشاو ثم هاي شا وبعدها نانكين وأخيراً شانغهاي (انظر الخارطة)

﴿مساحتها وتعدادها﴾ مساحة بلاد كوريا ٨٢,٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها كان يختلف تقديره بين ٨,٠٠٠,٠٠٠ و ١٦,٠٠٠,٠٠٠ فلما أحصوهم في أواخر القرن الماضي وجدوهم عبارة من ٢,٣٥٦,٢٦٧ عائلة عدد افرادها جميعاً ١٠,٥٣٨,٩٣٧ نفساً ذكورهم يزيدون على أناثهم نحو ١٠٠,٠٠٠ نفس · ومعظم سكان كوريا من أهلها والغرباء فيها قليلون لا يزيد عددهم على ثلاثين الفاً اكثرهم من اليابان — عدد سكان سيول (العاصمة) ٢٠٠,٠٠٠ وفي شمولبو عدد كبير من الاجانب شأن المدن البحرية

في كل بلاد وأكثر الغرباء من اليابانيين ففيها وحدها نحو ٦٠٠٠ ياباني — عدد سكان يتانج ٣٠٠٠٠ نفس

ولغة كوريا متوسطة بين اللغات المغولية التترية واليابانية مثل مركزها الجغرافي وكانت تكتب بالاحرف المقطعية الصورية مثل لغات الصين ثم شاع فيها استعمال أحرف الهجاء ولا تزال الاحرف المقطعية مستعملة عند الاشراف من أهلها

(ديانتها) ديانة كوريا الاصلية تشبه ديانة اليابانيين أي عبادة الاسلاف ثم انتقلت اليها الديانة البوذية وشاعت بين أهلها فأنشأوا لها الاديرة والهيا كل. واما الكونفوشية فانها ديانة الطبقة العليا من أهلها ولها منزلة رفيعة عندهم وهم يتسابقون الى درس آدابها وتعاليمها في كتب الصين ويرجون من وراء ذلك الرقي في مصالح الحكومة



كونفوشيوس صاحب الديانة الكونفوشية

(الديانة الكونفوشية) سميت بذلك نسبة الى كونفوشيوس الشارع الصيني الشهير الذي نبغ في القرن السادس قبل الميلاد وقد نشرنا ترجمة حياته في السنة الاولى من الهلال ونكتفي الآن بذكر منزلته وتعاليمه على وجه الاختصار

(منزلة كونفوشيوس) لا تقتصر تعاليم كونفوشيوس على الامور الدينية ولكنها تتناول العلم والسياسية والآداب العمومية . فقد جاء هذا الرجل العظيم بلاد الصين في عهد المملكة الوسطى من سلالة « شو » وقد فسدت احكامها واختل نظامها وانتشر فيها تعدد الزوجات وانحطت منزلة المرأة وكانت الاديان فوضى والشعب في شقاء من فساد حكومته . واليك ما قاله منسيوس احد اتباع كونفوشيوس في هذا الصدد « وكان العالم قد آل الى الانحلال فاختل النظام وانتشر الفساد علماً وعملاً حتى سطا الوزراء على ملوكهم وتعدى الابناء على آبائهم فارتعد كونفوشيوس لهذه المشاهد المخيفة فعوّل على الاصلاح .

على انه لم يكد يقال « مات كونفوشيوس » حتى صاح حاكم الصين يومئذ « ويحي قد مات كونفوشيوس فمن يبقى على هذه الحكومة بعده » كأنه لم يشعر بحقيقة مقامه الا بعد وفاته . فبنى له هيكلاً تقدم له فيه الذبائح اربع مرات في العام . فلما مات تلامذته ومريدوه أفسد الناس أقواله وكتبوا الكتب ضد تعاليمه فانقسم الصينيون فئتين فئة تقول بقوله وفئة تناقضها . فلما كان القرن الثالث قبل الميلاد على عهد عائلة تسين اقتضت سياسة مؤسس تلك العائلة محو كل آثار العلم ليبقى الناس في غياهب الجهالة . ولكن عمرها لم يطل فخلفتها عائلة « هان » فاصلحت ما أفسدته تلك وسار مؤسسها بنفسه سنة ١٩٤ ق م لزيارة قبر كونفوشيوس بقرب نهر « سي » شمالي قصبة « لو » وقرّب له ذبيحة ثوراً وامر بجمع كتاباته وسائر تعاليمه وتدوينها وحفظها

وأصبح قبره من ذلك الحين مزاراً لملوك الصين على ان أعظم ملوك العائلة الحاكمة الآن جثا امام تمثاله ثلاث مرات وكان في كل مرة يلصق جبينه بالتراب تحت قدمي التمثال وقد لقبه ملوك الصين بالقاب شتى ولكنهم يسمونه اليوم « كونغ » الاستاذ القديم والحكيم الكامل

وكانوا في بادىء الرأي يقدمون له بعض انواع العبادة فاصبح قبره بعد الميلاد المسيحي حجاً تأمه الناس بالذبائح والقرابين وأمر الامبراطور ان تقدم له الذبائح في كل المدارس الملوكية وغير الملوكية في سائر انحاء المملكة . ولم يمر القرن السابع بعد الميلاد حتى بنيت له الهياكل والقاعات العلمية المزدانة بافخر ما يتفاخر به الصينيون . فاصبح ذلك الفيلسوف المهمل معبوداً يحترمه مئات الملايين من الناس

(تعاليمه وأخلاقه) كان هذا الفيلسوف العظيم سهل الاخلاق صغير الدعوى



قبر كونفوشيوس

يدلك على ذلك انه لما قام بتعاليمه لم يختر شيئاً من أقوال أسلافه وقد قال محدثاً عن نفسه «لم أولد عالماً ولكنني أحب القديم فاسعى في الحصول عليه» وقد سمى نفسه «الناقل لا «الواضع» وبالحقيقة انه قلما جاء بشيء جديد ولكنه جمع اختبارات أسلافه ورتبها وبوّبها على أسلوب يوافق أهل الصين وهو لم يدّع الوحي ولكنه قال انه مرسل لشهادة الحق والمحافظة على النواميس القديمة

وقلما بحث كونفوشيوس في أصل الخليقة أو مصيرها ولا في مصير الانسان ولكنه اكتفى باصلاح الحال . وقد علم أربعة أمور — الآداب والاخلاق والتقوى والاستقامة

أما رأيه في الخليقة فقد قال الدكتور لِك ان اعتقاده بالخالق لم يكن واضحاً استدل على ذلك من مطالعة كتبه فقد رآه يذكر فيها حاكماً عاماً يسميه «تي» او «شنغ تي» يعتقد انه يدين جميع الامم ويجازي كلاً حسب عمله ان خيراً وان شراً ولكنه يعبر عنه بلفظ «السماء» اكثر مما بلفظ «الاله» فيقول مثلاً «ان من يغضب السماء ليس له من يصلي اليه» وقوله «ان السماء تعرفني»

وبناء على ذلك فانه قلما رق الشعور الديني في الصينيين فضلاً عن تنشيطه عبادة

الاسلاف والارواح . فقد كان يقدم القرابين للاموات كأنهم حضور ويذبح للارواح كأنها شاهدة . على انه لم يعترف صريحاً ببقاء تلك الارواح . وسئل مرة هل تشعر أرواح أسلافنا بما نقدمه لها من القرابين فاجاب « اذا قلت لكم انها تشعر خفت على أهل الحنو والمحبة من الابناء والاحفاد ان يتلفوا مقتنياتهم في سبيلها . واذا قلت انها لا تشعر خشيت من أهل العقوق ان يبادروا أسلافهم بلا دفن . فلا حاجة بكم ان تحققوا احد الوجهين الآن وسيأتي يوم تحققون ذلك بانفسكم »

فيستدل مما تقدم اما انه لم يكن يعتقد احد الوجهين او كان يعتقده وابى التصريح به على ان الباحث في معتقده قلما يرى ما يدل على اعتقاد له متين بالحياة المستقبلة

ومن تعاليمه في المرأة أقوال أثرت تأثيراً عظيماً في الهيأة الاجتماعية الصينية منها قوله « ان الرجل نائب السماء وهو رئيس كل شيء » . وأما المرأة فانها خاضعة لتعاليمه معينة له في تنفيذ مباديه فهي لا تأتي عملاً من عند نفسها بل تكون طوع ارادته مذعنة له في أحوالها الثلاث اذا كانت صغيرة اطاعت والدها وأخاها الاكبر فاذا تزوجت اطاعت زوجها فاذا ترملت أطاعت ابنها . ولا يليق بها ان تتزوج ثانية ولا يجوز لها الامر او النهي وانما عملها قاصر على اعداد الطعام والخمر . ولا بدّ من احتجابها حتى لا تكون معروفة خارج عتبة بيتها لا بالخير ولا بالشر . وهناك خمس بنات لا يحسن تزوجهن (١) ابنة اهل العصيان (٢) ابنة البيت المختل نظامه (٣) ابنة عائلة ارتكب أهلها الرذيلة في غير جيل واحد (٤) ابنة عائلة مصابة بداء الجذام (٥) كل فتاة فقدت والدها وأخاها الاكبر

والمرأة يحلّ طلاقها عنده لستة أسباب ينظر فيها من ثلاثة اعتبارات واليك علل الطلاق (١) عصيان والديّ الزوج (٢) العقم (٣) الفجور (٤) الغيرة (٥) الثرثرة كثرة الكلام (٦) السرقة . واما الاعتبارات التي قد تعارض هذه الاحكام (١) ان لا يكون لها بيت ترجع اليه (٢) اذا سبق لها انها شاركت زوجها بالحداد على والديه ثلاث سنوات (٣) اذا كان زوجها فقيراً وأثرى بعد التزوج بها

فترى مما تقدم ان المرأة حقيرة في عيني كونفوشيوس ولعل ذلك هو السبب في قصور الهيئة الاجتماعية الصينية عن مجاراة الامم المتمدنة في مراقي المدنية مع قدم عهدها وتوفر أسباب الارتقاء لديها

ومن تعاليمه في سير رجال السلطة وأهل الاحكام قوله « اذا حكمت الناس

بالضبط فمن يستطيع ان لا يكون مطيعاً . وجه رغائبك الى الصلاح فيصلح لك الشعب لان النسبة بين الرئيس والمرؤوس كالنسبة بين الريح والعشب فاذا هبت الريح على العشب انثنى »

ومن تعاليمه في تعامل الناس قضية مأثورة تشبه الآية الذهبية المشهورة عند المسيحيين وهي قوله « مالا تريد ان يفعله الناس بك لا تفعله انت بسواك » وهي حكمة سامية لكنها سلبية لا تقابل بقول السيد المسيح « كل ما تريدون ان يفعله الناس بكم فافعلوه انتم بهم فان هذا هو الناموس والانبياء » فانها حكمة ايجابية تأمر بالعمل لا بالكف عنه

والفضيلة التامة عنده ان الانسان اذا اعتزل الناس فليلازم الرزانة والسكون واذا باشر عملاً فلينجزه باعتناء وتعقل واذا عامل الآخرين فليعاملهم باخلاص

وسئل كونفوشيوس عن رأيه في مقابلة الاذى بالاحسان فاجاب « اذا فعلتم ذلك فباذا تقابلون الاحسان . قابلوا الاذى بالعدل وقابلوا الاحسان بالاحسان » ويقول في الانتقام « لا تسكن انت وقاتل ابيه تحت سماء واحدة . واذا رأيت قاتل اخيه فلا تتكلف الذهاب الى بيتك لتبحث عن سلاح تقتله به . واما قاتل صديقه فلا تسكن معه في مملكة واحدة » ولا يخفى ما في ذلك من التحريض على الانتقام وترى اثره ظاهراً في احكام اهل الصين الى اليوم

هذه هي تعاليم كونفوشيوس وهي كما ترى من ارقى التعاليم الدينية ولذلك لم يكن لها رواج الا عند الطبقة العليا من الكوريين

وفي كوريا جماعة من دعاة النصرانية واكثرهم من الكاثوليك وقد بلغ عدد المتنصرين من أهلها ٣٠,٠٠٠ كاثوليكي و ٣٠٠ انجيلي . وقد انشأت جمعية الكنيسة الانكليزية مدرسة ومستشفيين . وللمرسلين الاميركان مستشفيان في سيول أيضاً وقد بلغ عدد المبشرين المسيحيين منذ بضع سنوات ثمانين مبشراً انجيلياً وثلاثين كاثوليكياً

(المدارس) المدارس حديثة في كوريا لم تدخلها الامع المبشرين المسيحيين من الانكليز والاميركان والفرنساويين وغيرهم . ففي سيول مدرسة انكليزية فيها معلمان

ومئة تلميذ ومدارس لتعليم اللغات اليابانية والفرنساوية والصينية والروسية ومدرسة اميركانية . وفيها بضع عشرة مدرسة للاطفال تعلم فيها اللغتان الكورية والصينية فقط وقد أنشأ الالمان فيها مؤخراً مدرسة لتعليم اللغة الالمانية . والحكومة تساعد كل هذه المدارس على نفقاتها



اساتذة احدى مدارس كوريا وتلامذتها

﴿ ميزانيتها وجندها ﴾ معظم دخل حكومة كوريا من خراج الارض ومبلغ ذلك نحو ٢,٠٠٠,٠٠٠ ريال ثم عوائد الكمارك ومبلغها نحو ١,١١٠,٠٠٠ ريال وعوائد المنازل ٣٠٠,٠٠٠ ريال وعوائد أخرى بحيث يبلغ المجموع ٥,٠٠٠,٠٠٠ ريال وبلغت النفقات سنة ١٨٩٧ نحو ٤,٢٣٨,١٨٦ ريالاً يستولي الامبراطور منها على ٥٠٠,٠٠٠ ريال اي نحو ٥٠,٠٠٠ جنيه والباقي ينفق في مصالح الحكومة ولوازم الجند . وكان الجند الكوري عبارة عن خمسة آلاف رجل لا يحسنون الحركات العسكرية ولا استخدام السلاح فلا ينفعون لهجوم ولا دفاع . وكانت الحكومة قد انتبهت لذلك

النقص في جنديتها منذ بضعة اعوام فمهدت سنة ١٨٩٦ الى امبرالاي من الجند الروسي وثلاثة ضباط وعشرة صفضباط تدريب جندها فنظموا فرقة لحرس الملوكي مؤلفة من الف جندي اسلحتهم من بنادق بردان مصنوعة في روسيا. وفي سنة ١٨٩٨ رجع الضباط الروسيون و بقيت فرقة الحرس الملوكي سائرة على ما تعلمته من الحركات العسكرية وأخذ ضباطها يعلمون جنود الفرق الاخرى . وقد أنشأوا فرقة من الضابطة

(تاريخ كوريا) كوريا كما تراها في الخارطة واقعة بين الصين واليابان ولذلك فما برحت من اقدم ازمانها عرضة لمطامعها. ولدفاعها عن ذلك تاريخ يطول شرحه فنقتصر على ما كان من ذلك بعد تولي الدالة الحاكمة الآن في كوريا ومؤسسها اسمه « تاي تسو » او « ليتان » استلم زمنها سنة ١٣٩٢ م وتوالى الحكم في اعقابه الى اليوم. فاتفق في ايام احدهم « سيونغ سيونغ » الذي حكم كوريا من سنة ١٥٠٦ الى ١٥٤٤ ان اليابانيين طمعوا فيها فجردوا عليها جنداً كثيفاً فدفعهم الكوريون فعادوا خاسرين فتربصوا الى سنة ١٥٩٧ في ايام الامبراطور تيكوساما وهو من اعظم امبراطوري اليابان واعلام همة فجند للانتقام من كوريا حملة ذكر اوكاونسي مؤرخ تلك الحرب وقد شاهدها بعينه انها كانت مؤلفة من ١٦٣,٠٠٠ مقاتل فافتتح كوريا واحتل ثلاثة ارباعها وأخرب كثيراً من بلادها . وكانت كوريا قد استنجدت الصين فانجدتها بمئة الف مقاتل لكنها لم تستطع دفع ذلك القائد الياباني . على ان الاقدار غلبت على كليهما فمات تيكوساما سنة ١٥٩٨ فضعف أمر اليابان فانسحبوا وقد رضوا من الغنيمة بالاياب. ثم عادوا الى الحرب وعاد الكوريون الى الدفاع فلما ملوا الوقوف امام اليابانيين صالحوهم على ما يرضيهم فأمضوا سنة ١٦١٥ معاهدة تقضي على الكوريين بجزية يحملها وفد من رجال حكومتهم حتى يضعوها بين يدي امبراطور اليابان اعترافاً بالتسليم وما زالوا يفعلون ذلك الى سنة ١٧٩٠

وفي اثناء ذلك تغلب المنشو على الصين واستلموا ازمتها وهددوا كوريا ولم ينفعها الدفاع فاسترضتهم سنة ١٦٣٧ بجزية ثقيلة تؤديها لهم في كل عام وتعترف بسيطرة

المنشو عليها . وهي مع ذلك لا تزال على صلحها مع اليابان تجنباً للحرب لانها بين عدوّين أيهما انفرد بها التهمها . ولم تحدث بينها و بين احداها حرب من ذلك الحين . على انها استفادت من ارسال الوفود الى باكين في كل عام فوائد ادبية وعلمية ذات شأن لانهم كانوا يتداولون مع بعض الافرنج المقيمين في تلك العاصمة ويسمعون بأخبار التمدن الحديث و ينقلون تلك الاخبار الى سيول — يحكى ان بعض أولئك الوفد التقى في بعض خطراته الى باكين برجل افرنجي اسمه جان نيوك فأعطاه كتباً و بنادق ونظارات مكبرة (تلسكوب) ونحوها من المخترعات الافرنجية الحديثة فانبهر الكوري وحملها الى بلاده وهو يتحدث بغرائبها و يعرضها على اهله وذويه

وكان في جملة ما نقل على هذه الكيفية كتب وأخبار تتعلق بالديانة المسيحية فاهتم امبراطور كوريا سنة ١٧٨٤ في الامر وكلف وفده بزيادة البحث فجرّ ذلك الى توارد المبشرين من الطوائف النصرانية فانتشرت الديانة المسيحية كما تقدم

وتوالت على كوريا شؤون مختلفة في اثناء ذلك اهمها تداخل الافرنج في احوالها من جملة تداخلهم في احوال الشرق الاقصى على اجماله وتغيرت يومئذ العلائق بين كوريا واليابان وتوقفت كوريا عن إنفاذ الوفود فحدث في أواخر القرن الماضي ما دعا الى تداخل اليابانيين بشؤونها فقضى ذلك بمعاهدة تقضي اليابان بنائب يقيم في سيول مرعي الجانب وان تفتح ثلاث فرض كوريه لتجارة اليابان وان يكون لليابانيين الحق في الالتجاء الى المرافئ الكورية اذا اشتد عليها النوء او احتاجت الى الحمى ولبحريتها ان ينزلوا الى الشواطئ بلا معارض . وما زال ذلك شأنها حتى حدثت الحرب الاخيرة بين الصين واليابان على ما بيناه قبل الآن

الكوريون اكثر الكوريين يشتغلون بالزراعة فمنهم نحو سبعين في المئة فلاحون ومعظم صناعتهم الاخرى تابعة للفلاحة فالنجارون والحدادون والحياكون والبناؤون انما يخرجون من الحقول والمزارع ليصطنعوا ما تحتاج اليه الحراثة والدراسة او ما يلزم اصحاب الحقول من المساكن والثياب والآنية وهم مع ذلك يتعاطون الفلاحة حتى معلمي المدارس فانهم من ابناء الفلاحين وكذلك الصيادون فان الرجل يلقي شبكته

ويتربص لاستخراج صيده وامرأته تشتغل في الحقل . وكذلك تعمل اكثر نساء الكوريين فانهن يشتغلن في تنظيف القطن او الحرير او الكتان . والفلاحون انفسهم يقضون ساعات الفراغ في اصطناع الاحذية والحصر والكراسي وغيرها من الآنية الخشبية حتى خدمة الحكومة والتجار واصحاب الفنادق والحوانيت فان لهم علاقة بالفلاحة او بالفلاحين والحكومة معظم دخلها من خراج الارض والاهالي يعيشون على ثمار الارض

والكوريين سليقة طبيعية للفلاحة وفيهم سذاجة الفلاحين وصبرهم على العمل فالرجل عبد حقله يعمل فيه يومه بلا ضجر ولا ملل ولا يخرج من قريته الا الى السوق ليبتاع بعض حاجياته وأهم حيوانات الحقل عندهم الثور والخنزير واهم اصناف الزراعة الارز فانه معظم طعامهم يأكلون منه ستة اضعاف ما يأكلونه من سائر الحبوب . ولا يعافون شيئاً من لحوم الحيوانات بريها وبحريها حتى الكلاب فانهم يأكلون لحمها فضلاً عن لحم الخنزير والبقر . ولا يأكلون اللحوم الا ودمها فيها ويأكلون بعض الاسماك نيئة وبعض اللحوم مجففة ولهم اطعمة غريبة تعافها اذواقنا وهم اهل شره وبطنة ولذلك فالتخم تتوالى عليهم والدسبسيا متسلطة فيهم

وألبسة الكوريين بيضاء اللون على الاطلاق فالفقير والغني والصانع والزارع والتاجر كلهم يلبسون اثواباً بيضاء وانما تتفاوت اثمانها بتفاوت انواع النسيج . فالبسة الشرفاء ربما بلغ ثمن الثوب منها بضع مئات من الريالات واما شكلها فيكاد يكون واحداً فالثوب عبارة عن قفطان تحته سراويل ويلبسون على رؤوسهم قبعات كثيرة الشبه بقبعات بعض امم الافرنج

والمرأة الكورية تقضي معظم حياتها وراء الحجاب الا بعض اهل الوجاهة فانهن يخرجون بنسائهم في بعض الليالي ويندر ان تخرج المرأة الى السوق في النهار . واهم اعمال المرأة عندهم تربية اطفالها واذا تجاوزت الفتاة سن العشرين ولم تتزوج عدوا ذلك مصيبة كبرى عليها وعلى اهلها . ومن اكبر اسباب الطلاق عندهم العقم وقد تعمل المرأة اعمال الرجال كتربية دود الحرير او نسج النعال القش وقد تفتح حانة لبيع الخمر او مدرسة للتعليم ولكنها لا تشتغل بالتطريز ولا تبيع الاثمار — تلك هي القاعدة في نساء الطبقة العليا واما نساء الطبقة الوسطى فقد يتعاطين كل تلك الصنائع الا الطب والتعليم

فالمرأة الكورية من اكثر نساء العالم عملاً واقتصاداً وعليها تتوقف سعادة العائلة وهي مع ذلك مظلومة محتقرة يحملها الرجل ما لا تطيقه من الاعمال الشاقة ويجلس هو

في الكسل والرخاء والترف ومع ما مرّ عليها من ادوار الضغط والذل لاتزال الى اليوم اعظم تأثيراً في شؤون الحياة الاجتماعية من رجلها واكثر عملاً ونشاطاً وهمة وذكاء . تعمل عمل الرجل في السوق وفي البيت وتقوم مقام الثور في الحقل تخيط وتطبخ وتغسل وتكوي وتحرث وتزرع وتحصد وترتب البيت وتربي الاطفال وتعزي العائلة



بنَّاء كوري يبني جدار المنزل

ويبني الكوريون منازلهم بالاحجار على اسلوب خاص بهم فيصنعون شبكة ينصبونها عامودية ويضعون الاحجار في اخليتها كما ترى في الرسم ثم يطلونها بالطين ويغطون اسطحة منازلهم بالقرميد بدون استثناء فاذا اطللت على المدينة خيل لك انك ترى ارضاً مفروشة بالقرميد

ومن غرائب الاحكام القضائية التي كانت جارية عندهم الى أمد قريب ان يأخذوا العائلة بجرم فرد من افرادها . واليك ما رواه المستر هملتن وكان قد خالطهم وعاشرهم اعواماً :

الرجل الخائن	يعاقب بقطع رأسه ورأس رجل من ذوي قرابته الى الدرجة الخامسة وتسمم والدته وامرأته وابنته او يستعبدن
المرأة الخائنة	تعاقب بالتسميم
الرجل القاتل	يقطع رأسه وتسمم امرأته
المرأة القاتلة	تشنق او تسمم
الرجل السارق	يشنق او يقطع رأسه او يبقى وتستعبد امرأته وتصادر امواله

من يدنس القبور يقطع رأسه ورأس واحد من ذوي قرابته الى الدرجة الخامسة وتسم والدته وامرأته وابنته

المزوّر يشنق او يقطع راسه وتسم امرأته

﴿ امبراطور كوريا (١) ﴾ هو الامبراطور « هني بي » يتصل نسبه بمؤسس هذه العائلة سنة ١٣٩٢ م كما تقدم. وبينه وبين ذلك الجد ١٢ عقباً فهو العقب الثالث عشر له . وقد تولى الملك سنة ١٨٦٤ وهو في الثالثة عشرة من عمره وهو الآن في الرابعة والخمسين تزوج في الخامسة عشرة اميرة اسمها « مين » في نحو سنه فولدت له غلاماً هو ولي عهد المملكة . والامبراطور قصير القامة بالنظر الى معدل طول الكوريين سمح المحيا باسم الوجه وخصوصاً اذا تكلم رخيم الصوت . لا يعرف شيئاً من اللغات الافرنجية ولا اللغات الاسلامية (العربية والتركية والفارسية) ولكنه يحب الاطلاع على العلم الحديث فهو يطالعه في الكتب التي ترجمت الى الكورية لتعليم مبادىء العلوم . وقد ألمَّ بكثير منها . وهو يتكلم الصينية ويكتبها جيداً وله اطلاع واسع على تاريخ شعبه . وهو رقيق الجانب محبٌّ لتقدم بلاده عامل على مصلحتها وقد يقضي ليلة بعد ليلة ساهراً مع وزرائه للبحث في شؤون الحكومة الى الفجر . على انه لا يخلو من الضعف من بعض الوجوه بالقياس على ما نعلمهُ من أحوال العالم المتمدن وأما بالنظر الى أحوال أسلافه فانهُ يعدُّ من اكبر محبي الاصلاح

ومن مظاهر ضعفه استسلامه الى ذوي شوراه ورئيسهم « يي ونكيك » رئيس ادارة قصره فانه يتسلط عليه بواسطة نساء ذلك القصر ودسائسهن وسوء آدابهن فمن أراد شيئاً من الامبراطور عهد به الى احدى اولئك النساء او رشى بعض الوزراء فينال ما أراده . ولم يتفق لوزير ما اتفق لهذا الرجل من النفوذ بما يتخذه من الوسائل وببذله من الاموال حتى الامبراطور نفسه فانه يخافه ويرجوه لما يحتاج اليه من الاموال

---

(١) انظر رسمه في اول الهلال الثامن من هذه السنة

ومن اكثر أهل قصره نفوذاً واقتداراً الاميرة « أوم » وهي على جانب من الدهاء ولولا ذلك ما استطاعت التسلط على الامبراطور والتغلب على ارادته لانها قبيحة الخلق ولا تتسلط النساء على الضعفاء غالباً الا بجمالهن واما الاميرة « أوم » فانها من قبح المنظر على جانب عظيم فهي ضخمة البدن مع استرخاء وفي وجهها آثار الجدري . اسنانها متعرجة متقاطعة صفراء الوجه بلون الزعفران . في عينها حولٌ ربما كان من أثر طاعون أصابها في صباها ويندر ان ينجو كوريٌّ منه . ومما يزيدها تشويهاً انها تحاول اصلاح تلك القبائح بالتخطط والتبرج . ومع ذلك فهي مالكة قياد الامبراطور وهو لا يكاد يجري أمراً بغير ارادتها حتى في تصرفه مع نسائه الأخريات

وأما نظام الحكومة الرسمي الذي يظهر للناس فهو عبارة عن مجلس مؤلف من ستة وزراء ورئيسهم وستة مستشارين والسكرتير وقول الامبراطور هو النافذ . وادارات الحكومة يديرها تسعة نظار والنظارات تسعة الخاصة والداخلية والخارجية والاشغال العمومية والمالية والحربية والحقانية والمعارف والزراعة واكثر هذه النظارات قد تحسنت اداراتها بعد حرب سنة ١٨٩٦ لولا ما تقدم من الدسائس الداخلية

صحة العائلة

الاشربة الروحية

لحضرة نعمة افندي ايليا الصيدلي القانوني بدمنهور

فصل في احتياج مستعملي المسكرات

(٨) الكحول يساعد على الهضم : الشارب المعتدل يشرب درهماً صباحاً يقوي معدته لقبول الطعام ثم يأخذ بعد الطعام درهماً آخر ليساعدها على الهضم . يساعد الهضم لانهُ يذيب الطعام ويجزئ عناصره وقد رأينا فيما مر ان الكحول لا يفعل

ذلك بل يقسي الانسجة ويؤخر الهضم ولا يزيد قوة العصير المعدي بل يسلب قوتها للعمل اذ يرسب منها اهم عنصر فيها للهضم وهو البيسين بهيئة مسحوق تام أبيض اللون وقد جربوا ذلك في الكلاب فاعطوها كحولاً مع الطعام فوجد ان الهضم لا يبدىء الا بعد الأكل باثنتي عشرة ساعة لان المعدة اضطرت ان تطرد الكحول منها قبل بدئها بالهضم

(٩) الكحول مأخوذ من الحبوب : يقول من اعيته الحيل ان الكحول مستخرج من الحبوب فان كان مضراً فلماذا لا تضر الحبوب التي أخذ منها . كل شيء على الارض سمٌ قليل . فنجيب ان الكحول يستخرج من الحبوب لكنه لا يوجد فيها . وهكذا الدخان يخرج من الخشب لكنه لا يوجد فيه بل يحدث من احتراق مادته . فالكحول يستخرج من اتلاف الاثمار والحبوب واختمارها . والاعتقاد بوجود قليل من السم في كل شي باطلٌ . نعم قد كثر غش المبيعات في هذه الايام حتى ندر وجود طعام غير ممزوج بأشياء سامة لكن الطبيعة لا يوجد فيها شيء من ذلك

(١٠) المويسكي لا يضر : مدخن الافيون وشارب الابسنث وآكل الزرنيخ كلهم يدافعون بسلاح واحد وكل يذهب فريسة لرذيلته . السكير لا يعلم ما يعمله الكحول لان الكحول خداع وقد فقد الشعور والحس فلم يعد يدري باضراره . أما الاصدقاء والاقارب فيرونها وهو نفسه يراها في الآخرين فهل يختلف جسمه عن أجسامهم أو هل أنسجته من حديد او يختلف الكحول الذي يشتر به عما يشتر به خلافه كلا ، فالكل واحد

(١١) المشروبات النقية ليست رديئة : يقول بعضهم « لو وجد مشروب نقي كما كان يوجد قبلاً لما بلغنا الى هذه الحالة التعيسة فأشرب كأساً من هذه الخمر لانها نقية وقد صنعتها في بيتي لنفسي فهي لا تضرّ » فالكحول دواء سامٌ وجد بين المشروبات وليس ضرر ما يغش به باعظم من ضرره فالخمر الصرف هو سم زعاف صرف . الكحول فعله واحد سواء أخذ من بربيل المويسكي او الروم او الكونياك او البيرا او مما يصنع في البيت او من « المشروبات المرة » التي يقال انها لا تحوي كحولا

وهو ألد عدوّ يجب ان نحارب به معاً تنوعت الهيئة التي يظهر بها

(١٢) الشرب باعتدال غير مضر — كل انسان حتى السكير يعترف بان الافراط من المسكرات مضر و بعض الوجهاء يعتقدون ضرره اذا افرط في شربه ولكنه منعش غير مضر اذا شرب باعتدال وهذا أيضاً اعتقاد فاسد أضرّ بالوف من البشر لان الدرهم الواحد يزاد الى اكثر وخمر البوردو قد يبدل بآخر وهكذا بالتدريج يصبح الشريب المعتدل سكيراً والنقطة الاولى الصغيرة تولد حباً وميلاً لجرعات اكبر و (سكر) في اللغات الافرنجية مأخوذة من أصل لاتيني معناها (سم) . فالكحول سام واذا دخل الجسم البشري يسممه بقدر الكمية المأخوذة منه . وقد وجد الاطباء ان الشرب المعتدل يولد مرضاً يسمونه التسمم الكحولي المزمن وهو مخطر جداً ولا سيما على الشيوخ . وهو من أعظم الاسباب التي تعرض الجسم لداء السكتة والفالج وغيرها

(١٣) الاطباء يصفون الكونياك والخمر لمرضاهم والضعفاء : بكل أسف يقال ان عدداً عظيماً من الاطباء يصفون الكحول لمرضاهم عن غير انتباه وقد ظهرت نتيجة ذلك في الوف من السكيرين الذين لا يوجدون في غير الحانات لمعاقرة الخمرة وقد بينا عدم ضروريته استعماله فيما تقدم

(١٤) العلماء يصفون الكحول : ومما يوجب الأسف ان يخضع العلم الرذيلة والشهوات الفاسدة لتملق بعض رجال العلم بالكحول . فاشارة هؤلاء باستعماله مسببة عن شهواتهم فقط لا عن معارفهم . وهو حكم لا يجوز قبوله لان معظم العلماء قد بينوا اضراره وعلموا بالابتعاد عن شروره وقال الدكتور باركس « لو لم يكن الكحول معروفاً لاختفى نصف الشر الموجود بين البشر وزال الفقر والشقاء » وقد تبرهن في ما تقدم انه لا يصلح غذاء ولا دواء فليتنبه المخدعون ويصلحوا ماصدر قبلا من الخطأ في أقوال سابقة ويحذروا من استعمال الكحول لاي سبب كان

(١٥) كل الامم تستعمل الكحول : كثيرون يقولون بما ان استعمال الكحول عمومي فالميل اليه اذاً طبيعي . فلو سلمنا ان ذلك الميل تولد بالوراثة فما فائدة العقول وأية أمة لا يوجد فيها الكذب والسرقة وغيرها من أنواع المعاصي والذنوب فاذا كان

السكر شرًّا فشيوعه لا يؤخذ عذرًا لوجوب استعماله ولكنه ليس عموميًّا فهنود اميركا الشماليين مثلاً لم تكن لهم معرفة بالكحول فلما وصل اليهم لقبوه «بماء الناري» وكان ادخاله اليهم من اعظم الاسباب لانقراضهم وهناك قبائل كثيرة متوحشة لا تزال تجهل هذا السم المميت . فضلاً عن ان الميل للمشروبات الكحولية ليس طبيعيًّا . قدم للطفل كونياكًا يرفضه حالاً وما من حيوان يحبه من طبعه وان كان الانسان قد عود بعض الحيوانات على تعاطيه كالخنزير مثلاً فانه اقوى مشابهة للانسان بطلب المسكر . ذكر الدكتور فلويار احد كتبة القرن الماضي ان كلبًا لعامل بيرا تعود البيرا حتى احبها فصار يلحسها بلسانه من الحوض ولم تمرّ عليه سنين عديدة حتى اعتراه مرض النقرس فتورمت اعضاؤه كلها ومات بالاستسقاء ومع انه قد يولد ميلاً اصطناعيًّا لشربه فذلك الميل لا يغير فعله في الجسم فهو يبقى سمًّا والجسم يعامله كما يعامل السموم مع الميل الوراثي او الاكتسابي اليه

(١٦) استعمال المشروبات الروحية ينبوع عظيم شيدته الحكومة : يقول بائعو المشروبات الروحية انهم يستخدمون سنويًّا لاصطناع المشروبات وبيعها نحو خمسماية الف رجل ويشترون اكثر من ثلاثين مليون قنطار (مصري) من الحبوب يدفعون عنها للحكومة رسمًا سنويًّا مقداره ستون مليون جنيه او نحو خمسي مدخول البلاد فما أعظم خسارة الحكومة بفقد هذا المبلغ العظيم وما أقل شفقة البشر لعدم ايجاد عمل لخمسماية الف رجل . فيجابون ان ما اقل شفقة البشر باتلافهم ثلاثين مليون قنطار من الحبوب تعمل ستين مليون رغيف من الخبز وزن كل رغيف ٤ ارطال لا بل ما اقل الشفقة بعملها سمًّا لاماتة البشر فضلاً عن ان تلك المشروبات التي تعطي الحكومة دخل ستين مليون جنيه سنويًّا تطلب من الحكومة ايضًا مائة مليون جنيه لمنع ثمانماية الف صعلوك من السكيرين عن اقلاق الراحة والامن العام وزد على ذلك ما تطلبه العناية بثلاثين الف مجنون تلقى تبعة اضرارهم على عاملي الكحول . فما أقل النفع لدى مقابلته بالضرر . وما أعظم الخسارة التي تنتج من عدم الانتفاع بعمل اولئك الفعلة الذين يشتغلون بتحضير المسكر وقتل عدد كبير من السكيرين

المسلمون في مملكة الروس

ذكرنا في جملة الشعوب الخاضعة لروسيا نحو خمسة ملايين من الرعايا المسلمين فاذا اضفنا اليهم مسلمي امارتي بخارا وخيوا زاد مجموع مسلمي روسيا ومستعمراتها على تسعة ملايين على هذه الصورة :

٢,٨٠٠,٠٠٠	في روسيا اوربا
٢,٥٠٠,٠٠٠	« القوقاس وسيبريا وتركستان (سنيون)
٨٥٠,٠٠٠	« « « « « (شيعيون)
٢,٤٠٠,٠٠٠	« بخارا
٨٠٠,٠٠٠	« خيوا
٩,٣٥٠,٠٠٠	



امير بخارا

وأمير بخارا السيد عبد الاحد بهادر خان تولى اريكة بخارا سنة ١٨٨٥ بعد وفاة أبيه الامير مظفر الدين وقد تثقف وتعلم في مدارس الروس — دخلت بخارا في سيطرة روسيا على عهد أبيه [1] والامير الحالي يظهر غيرة شديدة على مصلحة الروس مثل سائر المسلمين الخاضعين لروسيا في مملكتها او مستعمراتها. ولذلك فلما انتشبت الحرب بين الروس واليابان بعث أمير بخارا تلغرافاً الى القيصر يشاركه في الاستياء من اليابان ويعرض خدمته بالجند والمال . وكذلك فعل خان خيوا . فاجابهما القيصر شاكراً وبعث اليهما بالهدايا وعلامات الرضاء والامتنان — على ان اهل الامارتين انفسهم ابدوا من أسباب المشاركة للروس في هذه الحرب ما استوجب ارتياح القيصر . فقد بعضهم الجمعيات لجمع الاعانات للجرحى والمصابين من الروسيين ووقف الخطباء في الجوامع يدعون للقيصر بالنصر على اعدائه

وأما جند بخارا فعدده ١١,٠٠٠ رجل منهم ٤,٠٠٠ في مدينة بخارا . وجند خيوا ٢,٠٠٠ رجل واذا أراد الاميران نصرة الروس بالجند جمعا اضعاف ذلك . وهم يحبون القيصر لانه يحترم شعائرهم الدينية ويكرم وفادتهم ويعاملهم بالحسنى



المسلمون في جند الروس يحلفون يمين الطاعة بين يدي فقيه مسلم

(١) راجع ما كتبناه عن بخارا وأميرها في الهلال التاسع من السنة الحادية عشرة

أما مسلمو روسيا في القوقاس وتركستان وروسيا أوربا فمنهم جمع كبير في الجند الروسي المحارب. لان التجنيد في روسيا يتناول كل الرعايا على اختلاف المذاهب والنحل ففي الجند الروسي نحو ٥٠,٠٠٠ من المسلمين وفيهم الضباط والعساكر وفي جملتهم جماعة من مشاهير القواد

والمسلم في الجند الروسي يؤدي واجباته الدينية كانه في دولة اسلامية فان لكل جماعة منهم شيخاً أو فقيهاً يصلون بين يديه ويخطب فيهم . وعند انتظامهم في الجندية يتولى الشيخ الاكبر عندهم تحليفهم يمين الطاعة والثبات في خدمة الدولة الروسية كما ترى في الرسم

ويظهر من الاخبار الواردة الينا على السنة الجرائد بعد انتشاب الحرب ان المسلمين نهضوا نهضة عامة لنصرة الروس وخصوصاً لان الدولة التي نهضوا لمحاربتها وثنية . واليك نص المنشور الذي بعث به شيخ الاسلام في بلاد القوقاس الى سائر مسلمي القوقاس وهاك تعريبه :

النصيحة لعموم المسلمين

« من عبد السلام اخوند شيخ الاسلام في القوقاس والرئيس الروحي لعموم المسلمين الى المسلمين الذين هم تحت رئاستي السلام . ولقد أرسلت اليكم مع هذا رسالة دينية لتكتب وتتلى في المساجد والمجتمعات بعبارتها المؤثرة ونصها الصريح

« ايها المسلمون ان سردارنا الاكرم وحينا الحكمدار الاعظم قد بلغانا امر اعلان الحرب من دولة اليابان الحانثة على دولتنا الروسية التي تجب علينا اطاعتها لانها ولية أمرنا وتجب علينا المدافعة عن أملاكها لان تلك الاملاك وطننا . فدعوة حكمدارنا واجبة اطاعتها بكل مسرة وارتياح والواجب علينا جميعاً ان نكون على أهبة تامة لمقاتلة الدولة الغادرة واعلموا ان مال المسلم منكم وروحه دين للوطن يجب اداؤه له كلما احتاج هذا الوطن اليه فلنظهر في هذه الاونة عواطفنا الصادقة نحو حكومتنا الروسية التي نرى منها دائماً العناية بنا والرعاية لحقوقنا لنعرف دائماً أبداً انا صادقون في حبها . فانتم الذين أظهرتم لروسيا منذ ٢٥ سنة في محاربتها مع الدولة العثمانية تلك الشجاعة والبطش والاخلاص جدير بكم ان تظهروا لها الآن فوق ذلك ان عدوها هو عدوكم واعلموا ان عدوكم مجوسي وثني وقد لعن الله في كتابه العزيز المجوس والوثنيين فعليهم اللعنة الدائمة

١٧ ذي الحجة عبد السلام

الفلسفة اللغوية

والالفاظ العربية

تأليف منشىء الهلال — الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب ومدار البحث فيه على خمس قضايا ونتيجة وهي : —

القضية الاولى • ان الالفاظ المتقاربة لفظاً ومعنى هي تنوعات لفظ واحد

القضية الثانية • ان الالفاظ الناقصة الدالة على معنى في غيرها (كحروف الجر والعطف وأحرف الزيادة ونحوها) انما هي بقايا الفاظ ذات معنى في نفسها

القضية الثالثة • ان الالفاظ التامة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء الى أصول ثنائية أحادية المقطع تحاكي أصواتاً طبيعية

القضية الرابعة • ان جميع الالفاظ المطلقة كالضمائر وأسماء الاشارة ونحوها قابلة الرد بالاستقراء الى لفظ واحد أو بضعة الفاظ

القضية الخامسة • ان ما يستعمل للدلالة المعنوية من الالفاظ وضع أصلاً للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابه في الصور الذهنية

النتيجة • ان لغتنا مؤلفة أصلاً من أصول قليلة احادية المقطع معظمها مأخوذ عن محاكاة الاصوات الخارجية وبعضها عن الاصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً

والكلام في ذلك كله مؤيد بالنواميس الطبيعية ومسند الى عوامل لا تزال عاملة في لغتنا الى هذا اليوم

وقد أضفنا الى هذه الطبعة فصولاً كاملة في أصل الكتابة والطريقة الطبيعية لاختراعها وأصل الخطوط المعروفة وفصلاً في أصل العد والارقام — والكتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة قروش وأجرة البوسطة قرش

باب السؤال والاقتراح

مؤتمر المستشرقين

(القاهرة) حسن افندي محمد

قرأت في الجرائد اليومية ان مؤتمر المستشرقين الرابع عشر سينعقد في جزائر الغرب في السنة القادمة فمن أسس هذا المؤتمر وما هو موضوعه واين انعقدت المؤتمرات الثلاثة عشر السابقة ومتى

(الهلال) نهضت اوربا من غفلتها في القرون الاخيرة وكان في جملة مصادر تمدنها الحديث مؤلفات الشرقيين في العلوم المختلفة . فلما نضج هذا التمدن في القرن الماضي عني بعض الافرنج في التنقيب عن آثار الشرق فجمعوا المؤلفات الشرقية وبحثوا في علوم الشرق ونشروا كثيرًا من مؤلفات الشرقيين وخصوصاً العرب . وبلغت تلك العناية معظمها في أواسط القرن الماضي . وكان في جملة مساعيهم في هذا السبيل ارسال البعثات للتنقيب عن الآثار الشرقية في بلاد العرب والهند وفارس وغيرها وانشاء المؤتمرات الدولية يجتمع فيها المستشرقون كل عام او بضعة اعوام في مدينة من مدن اوربا او غيرها لتسهيل المداولة والبحث في اللغات الشرقية وتاريخ الشرق وعلومه وآدابه وكل مايتعلق به . واول مؤتمر المستشرقين انعقد في باريس في أول سبتمبر سنة ١٨٧٣ ومؤسسه المسيو ليون دي روزني . ثم انعقدت مؤتمرات الاخرى في مدن أخرى ولكل مؤتمر رئيس وأعضاء . وهاك المؤتمرات وسني اجتماعها والمدن التي اجتمعت فيها :

عدد المؤتمر	السنة	المدينة	عدد المؤتمر	السنة	المدينة
المؤتمر الاول	١٨٧٣	باريس	المؤتمر الثامن	١٨٨٩	ستوكهولم
« الثاني	١٨٧٤	لندن	« التاسع	١٨٩٢	لندن
« الثالث	١٨٧٦	بطرسبورج	« العاشر	١٨٩٤	جنيفا
« الرابع	١٨٧٨	فلورنس	« الحادي عشر	١٨٩٧	باريس
« الخامس	١٨٨١	برلين	« الثاني عشر	١٨٩٩	رومية
« السادس	١٨٨٣	ليدن	« الثالث عشر	١٩٠٢	همبورج
« السابع	١٨٨٦	فينا	« الرابع عشر	١٩٠٥	جزائر الغرب

فترى مما تقدم ان المؤتمر القادم هو أول مؤتمر شرقي عقد او سيعقد في بلاد عربية وكان الاولى ان تكون مصر السابقة الى عقده فيها لانها في مقدمة مدن المشرق كلها في العلم والادب وسائر أسباب المدنية

وسيرأس المؤتمر الرابع عشر المذكور الموسيو روني باسي مدير مدرسة الآداب العليا في الجزائر. وسيكون مؤلفاً من سبعة أقسام :

(١) قسم اللغات الآرية والهندية

(٢) قسم اللغات السامية

(٣) قسم اللغات الاسلامية (العربية والتركية والفارسية)

(٤) قسم اللغات الافريقية ومداغسكر

(٥) قسم الشرق الاقصى

(٦) قسم البلاد اليونانية والشرق الادنى

(٧) قسم الآثار القديمة والصنائع الاسلامية

ومن أراد مخابرة المؤتمر بشأن الاشتراك فيه او ارسال شيء اليه فليكن ذلك باسم الموسيو ادمون دوتي كاتب مؤتمر المستشرقين في الجزائر

الف ليلة وليلة

(بورنيو في جزائر الهند) الشيخ محمد بن ريس بن طالب

من هو مؤلف كتاب الف ليلة وليلة وفي اي عصر ألفوه

(الهلال) اختلفت الآراء في مؤلف هذه القصة ولكن الاقرب الى الصحيح انها منقولة عن اللغة الفارسية في جملة ما نقله العرب عن الفرس من كتب السير والتواريخ والاسمار والحكايات في النهضة العباسية . وذلك انه كان في جملة تلك الكتب عند الفرس كتاب اسمه «هزار افسانه» اي الف حكاية وقد ذكر ابن النديم في كتاب الفهرست سبب تأليفه قال «ان ملكاً من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد فتزوّج بجارية من اولاد الملوك لها عقل ودراية يقال لها شهرزاد فلما حصلت معه ابتدأت تخرفه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى ان أتى عليها الف ليلة وهو مع ذلك يطأها الى ان رزقت منه ولداً اظهرته واوقفته على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها . وكان للملك قهرمانة يقال لها دينار زاد فكانت موافقة لها على ذلك وقد قيل ان هذا الكتاب تأليف لحماني ابنة بهمن»

وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب في عرض كلامه عن الهياكل المعظمة «وقد ذكر كثير من الناس ان هذه اخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك بروايتها وان سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية مثل كتاب افسان وتفسير ذلك من الفارسية ويقال له افسانه والناس يسمون هذا الكتاب الف ليلة وليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها شهرزاد ودينار زاد»

هذا اصل وضع هذا الكتاب في صدر الدولة العباسية ثم زادوا فيه بعد ذلك كثيراً من الحكايات مما كانت تتناقله الامم الشرقية في مصر والشام والعراق فوصل الينا على ما نراه وهو احوى كتاب لآداب القرون الاسلامية الوسطى وعادات اهلها في مجالسهم واحاديثهم واعراسهم ومآتمهم . ولذلك فقد نقله الافرنج الى السنتهم وعلقوا عليه الحواشي والشروح

الجمعية الاسيوية الملوكية

(اسكندرية) فهيم افندي بياضي في شركة مدلد

أرى بجانب اسم حضرتكم بالانجليزية هذه الاحرف M. R. A. S. وأعلم انها مقتطعة من الفاظ تدل على علامة شرف ولكنني لا أعرف معناها تماماً فارجو الافادة

(الهلال) ان هذه الاحرف مقتطعة من هذه العبارة الانجليزية Member of the Royal Asiatic Society اي عضو من الجمعية الاسيوية الملوكية

السفن الحربية وتوابعها

(الاسكندرية) حنا افندي صاوه

و (المحلة الكبرى) جورجي افندي شاغوري

و (ايتاي البارود) احمد افندي منير

نقرأ في الاخبار السياسية عن حرب روسيا واليابان اسماء السفن الحربية وملحقاتها كالنسافة والطراد والطوربيد واللغم وغير ذلك ولا نعرف الفرق بينها فهل الهلال ان يوضح لنا ذلك

(الهلال) سنجيب على اقتراح حضرتكم مطولاً في الهلال القادم ان شاء الله

الاميرال الكيف

(القاهرة) محمد افندي مصطفى

من هو الاميرال الكيف القائد الروسي

(الهلال) نشرنا رسم هذا القائد العظيم في الهلال الماضي واليك وصفه نقلاً عن اوثق المصادر :—

اسمه افغين إيفانوفتش الكيف احد رجال البحرية الروسية ولد سنة ١٨٤٣ من والد أرمني ووالدة روسية وكان والده قيماً على أملاك الكونت موردفينوف في جنوبي روسيا ولم تخل هذه العائلة ممن ينوب عنها في البحرية الروسية فكان نفوذها عوناً لالكيف

على الدخول في المدرسة البحرية في بطرسبورج ففاق دروسها كلها ولم يكن ممتازاً على رفاقه في المواهب العقلية ولكنه كان طلاباً للشهرة يتوهم استطاعته الحصول على المستحيل منها او على تمييز الافرنج « كان يبني قصوراً في الهواء »

وكان حر الفكر صادق اللهجة مثل اكثر رجال البحرية الروسية مع دماثة الاخلاق ولين العريكة . فلما خرج من المدرسة تولى قيادة الدارعة « افريقيا » وهي أول دارعة تولى قيادتها فاظهر مهارة فائقة في تدريب رجاله على واجباتهم وتنبيههم الى خطائهم بشدة وعنف فكانوا يخافونه كثيراً ولكنه كان من الجهة الثانية يسترضيهم بالعاب رياضية كان يفرضها عليهم ويجيز السابقين فيها وهو قدير على العمل قوي الارادة شديد الوطأة سريع الانتباه سريع الحكم في ما يعرض عليه مع سداد الرأي . ولذلك فانه ما زال يرتقي في البحرية الروسية حتى صار اميرالاً واصبح نائب القيصر في الشرق الاقصى

وقد بلغ الآن نحو الحادية والستين ولم يتزوج فلا يمدّ مطامعه في هذا العالم الا الارتقاء في مناصب الدولة الروسية وغاية ما يرجوه ان يصير معدوداً في جملة الكونتية الروسيين اصحاب الثروة الواسعة . فاذا توفق في هذه الحرب كان ارتقاؤه اقرب من حبل الوريد — ورجال الجندية يتوقف ارتقاؤهم في كثير من الاحوال على فرصة تعرض لهم قد لا تحتاج الى مواهب خارقة العادة فيرتقون بسرعة عظيمة . وأقرب ما أدركناه من هذا القبيل ارتقاء اللورد كتشنر في بضع عشرة سنة من أصغر رتب الجند الى أرقى مناصبه ونال اسمى القاب المملكة واحرز الاموال الطائلة

باب الأخبار العلمية

(الراديوم) العلماء مثل سائر البشر يدفعهم الرجاء ويسكرهم الامل وتأخذهم الاوهام وذلك شأنهم في كثير من الاحوال وخصوصاً في ما يتعلق بالاكتشافات والاختراعات . فاذا شاهد أحدهم عرضاً من أعراض المادة لم يعلمه

من قبل بني عليه العلالي والقصور وتوهم فيه الانتقال من طور الى طور . ثم لا يلبث أن يرى الامر أقل مما توهمه — فلما اكتشفوا أشعة الراديوم ورأوا ما لها من الخصائص الغريبة بحسب الظاهر توهموا انقلاب العلم وتغيير الحقائق واصبح نظرهم الى المادة غير ما كان عليه من قبل كما بيناه في غير هذا المكان . ويظهر ان تلك الآمال اخذت تتقلص بتوالي التجارب فذهب المسيو مانيان أحد علماء فرنسا الى ان الراديوم أقل أهمية مما كانوا يتوهمون وان ما بدا لهم من حرارته واشعاعه وتأثيره على المواد المنيرة انما هو نتيجة تفاعل كيماوي يتولد منه غاز الهيليوم . وكل ما راوه من الخصائص المذكورة يرد الى خصائص هذا الغاز . والهيليوم كان معروفاً من قبل ويتولد من غير الراديوم وتظهر منه تلك الاعراض ضعيفة . فكأن الراديوم أقوى على توليده فينبعث منه بكميات كبيرة فيظهر قوياً وتبقى بعده مادة يظنونها بسيطة لانهم لم يستطيعوا حلها بعد وربما استطاعوا ذلك في المستقبل

﴿مشاركة الشعور عن بعد﴾ من الاوضاع العلمية الحديثة قولهم Telepathy ويريدون بها تبادل الشعور بين الناس عن بعد كأن يشعر الانسان بانقباض لا سبب له ثم يعلم بعدئذ ان بعض أهله او أصدقائه كان في ضيق فشاركه في الشعور وهو لا يعلم . والاعتقاد في هذا الشعور قديم والحوادث التي يتناقلها الناس من هذا القبيل كثيرة . وما زلنا نعدها من قبيل الاوهام او الخرافات حتى ذهب بعض العلماء الى ان في الانسان قوة لا يدرون ما هي تنتقل بها الاحساسات بين الناس أرادوا بذلك ان يعللوا بعض ما ينسبه سواهم الى الارواح ونحوها . على أن المستر بوروز أحد علماء الانكليز ذهب الى أن تلك القوة موجودة في الحيوان بل هي فيه أقوى منها في الانسان . وضرب لذلك مثلاً سرباً من الطير اذا انطلقت فانها تطير معاً وتحلق في الجو وقد تدور وترجع ثم تنعطف وترتد وهي لا تزال مجتمعة صفوفاً او جماعات كأنها مشدودة بعضها الى بعض بامراس فهي عنده لا تستطيع ذلك الا بالشعور المتبادل — قال « وهذا ما نعبر عنه بالسليقة وهي ظاهرة في الحيوان واما في الانسان فقد أصبحت أثرية »

﴿ طرق الاعلان عند الافرنج ﴾ من أغرب طرق الاعلان عند الافرنج ان المستر ستيد صاحب مجلة المجلات الانكليزية أنشأ منذ ثلاثة أشهر جريدة يومية سماها « الصحيفة اليومية » (دلي بيبر) واستنبط الاعلان عنها طريقة لم يسبقهُ اليها أحد . وذلك أنهُ نشر في مجلته وفي غيرها من الجرائد الانكليزية قبل صدور العدد الأول من الصحيفة انه سيصعد في منطادٍ في ساعةٍ عينها وانه متى ارتفع المنطاد فوق اسطحة لندن نثر على الناس حوالات مالية قيمة كلٍ حوالة خمسة جنيهات تدفع لحاملها من ادارة مجلة المجلات في اثناء الايام الخمسة الأُولى من ذلك التاريخ وانهُ سينثر معها اوراقاً ذات قيمة في بعض المنافع لحاملها . فلما كان الوقت المعين تقاطر الناس الى الشوارع وشاعت أبصارهم الى المنطاد فلما ارتفع رمى بالاوراق فتطايرت وتطاير الناس في أثرها فمن التقط ورقة نال قيمتها . وكان عدد ما نثره من الحوالات مئة حوالة مع أضعافها من الاوراق الاخرى . وكل ذلك جزء صغير من مجموع ما أنفقهُ في بدء هذا المشروع لكن أهل لندن ظلوا يتحدثون بهذا الاختراع أياماً وتناقلته الجرائد في معظم مدن اوربا فنال المستر ستيد اعلاناً كبيراً عن جريدته الجديدة . وكان قد وضع لها ترتيباً لم يسبقهُ اليه أحد لكنه أضطر الى ايقافها بعد شهر مراعاة لصحته

﴿ نقل القوة بالتلغراف بلا سلك ﴾ ستلتئم في معرض سنت لوس هذا العام لجنة دولية للبحث في الوسائل المسهلة لركوب الهواء بالمناطيد أو غيرها . وقد عينت جائزة مقدارها ١٥٠٠٠٠ فرنك لمن يخترع من علماء الكهربائية طريقة لنقل القوة الى المراكب الهوائية بواسطة التلغراف بلا سلك في مسافة ٣٠٤ أمتار . ويكفي أن لا تزيد تلك القوة على قوة ربع حصان . وستتألف لجنة للحكم في ما يعرض من الاختراعات في هذا السبيل

﴿ أشعة (ن) أو الاشعة الحيوية ﴾ لا يزال المسيو شاربنتيه يوالي تجاربهُ في البحث عن خصائص الاشعة الحيوية المكتشفة حديثاً . ومن جملة ذلك أنه جربها في الكشف عن مقدار عمل العصب الشمي فوجد أنك اذا وضعت زهرة عطرية على

مسافة بعيدة من الانف ثم أدنيتها منه تدريجاً وقست درجة الاشعاع بالآلة المنيرة التي ذكرناها في الهلال العاشر من هذا العام رأيت النور يتزايد كلما اقتربت الزهرة من الانف وكذلك في كل ما يستدعي عمل الاعصاب . ورفع المسيو بلوندوت الى اكاذيمية العلوم في باريس مذكرة قال فيها أنه اكتشف أشعة جديدة خصائصها تضاد خصائص أشعة (ن) المذكورة أي بدلاً من ان تزيد قوة الضوء فانها تقللها . وعني المسيو ريشا في درس تأثير أشعة ن من حيث نفوذ الاجسام فوجد انها تنفذ الرصاص الصرف ولا تنفذ في اكسيده وتنفذ في الفضة بسهولة وأما النحاس والزنك والذهب فانها تنفذها بصعوبة ولا تنفذ البلاتين ولا الايريدوم مطلقاً . فهذه الحقائق مع ما يظهر من بعدها عن حاجيات الانسان لا يبعد ان تعود الى حلّ كثير من الغوامض الطبيعية التي لم يفهم الناس أسبابها

﴿ تسويد الزنك ﴾ اذب تسعين غراماً من كلورور الانتيمون في ليتر من الكحول وأضف الى المذوب ستين غراماً حامض هيدروكلوريك وأدهن بالمحلول سطح الزنك بواسطة فرشاة بعد غسله فيكتسب لوناً اسود

﴿ مظلة تلفونية ﴾ اخترع عمل شيفر في برلين مظلة او قبعة لتسهيل استخدام التلفون بدلاً من السماعة . وذلك بان تعلق تلك المظلة بالحائط بجانب آلة التلفون فمن أراد المخاطبة وقف تحت المظلة وانزلها حتى تغطي رأسه وتقفل على الاذنين بحيث تفصل بينهما وبين ما قد يكون من الضوضاء في الخارج . وجعلوا على مساواة عيني المخاطب زجاجاً ينفذ فيه النور لئلا يكون الظلام شديداً عليه

﴿ الراديوم والطب ﴾ خطب الدكتور داريه في اكاذيمية الطب بباريس عن تأثير الراديوم على داء السرطان والنفرالجيا وغيرهما من الامراض العصبية فبالغ في فائدته فيها

مطبوعات جديدة

﴿ رسالة المفعلة ورسالة جيد ﴾ هما رسالتان لغويتان تأليف الاستاذ

ظاهر افندي خير الله الشويري بحث بالاولى في ما جاء من الكلم على وزن مفعلة وهو قسمان قسم حاصل بالحاق اسم المكان تاء الاخصية كالمنزلة والمحلة وقد سماه المؤلف المفعلة الفرعية تمييزاً له عن المفعلة الاصلية التي بنيت من أصل وضعها على التاء كالمعرفة والمصلحة . وقسم كلم المفعلة الاصلية الى أقسام باعتبار حركة العين وأفاض في الكلام على خصائص كل منها . والرسالة الثانية في ما جاء على وزن جيد وما يتفرع منه . ويلي الرسالة الاولى مطلب في انقسام جمع التكسير الى ما يشترك بين ذي الحياة وغيره وما يختص بذي الحياة . ويلي الثانية مطلب الفعلان بفتح الفاء والعين وبسكون العين وضم الفاء وكسرها وفتحها الى غير ذلك مما يلذ للمشتغلين بالابحاث اللغوية . وحضرة المؤلف قد عانى هذه الابحاث نيفاً وثلاثين سنة وله فيها آراء تستحق العناية والنظر

﴿ روض المسرة ﴾ هو كتاب يحتوي على ما قالته الجرائد ونظمه الشعراء وكتبه الادباء وخطبه الخطباء في سيادة السيد جراسيموس مسرة بعد انتخابه مطراناً لابرشية بيروت وتوابعها وقد ملأت ١٧٦ صفحة كبيرة فجاء كتاباً ضخماً في كل عبارة منه دليل صريح على ما لسيادته من المنزلة السامية عند ابناء تلك الابرشية . ومن جملة مآثره أنه أمر بان كل ما يرد من اثمان هذا الكتاب يعتبر تبرعاً من الذين يدفعونه مساعدة لكنيسة القديس جاورجيوس التي شرع في بنائها بسوق الغرب . على أن مساعي سيادته في مصلحة الطائفة لا تحصى فنرجو أن تحقق الآمال فيه

﴿ تقويم المؤيد ﴾ ظهر هذا التقويم لسنة ١٣٢٢ هـ لمؤلفه محمد افندي مسعود محرر بجريدة المؤيد . وهو عبارة عن خزانة فوائد في الفلك والتاريخ واحوال ممالك اوربا ومصر والسودان وتخطيط اسكندرية والوجه البحري ومعلومات في القضاء والاحصاء والمعاهدات الدولية والمسائل السياسية وتراجم المشاهير وشذرات من العلوم والمعارف والاكتشافات والاختراعات والتدبير المنزلي والزراعة فضلاً عن الروزنامة والدليل المصري مما لا يمكن العثور عليه الا بمطالعة الكتب الكثيرة . وقد جمع ذلك في نحو ثلاثمائة صفحة مطبوعة طبعاً متقناً على ورق جميل وفيه كثير من الرسوم وثمن النسخة مع ذلك خمسة قروش واجرة البريد قرش واحد



الاميرال طوغو

قائد العمارة اليابانية في الشرق الاقصى

الهلال

الجزء الرابع عشر من السنة الثانية عشرة

١٥ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٤ و ٢٩ محرم سنة ١٣٢٢

تيبت واهلها

﴿ جغرافيتها ﴾ تيبت و يسميها العرب « تبّت » بقعة بيضية الشكل طولها من الشرق الى الغرب ١,٦٠٠ ميل ومعظم عرضها من الشمال الى الجنوب ٧٠٠ ميل ومجمل مساحتها نحو ٧٠٠,٠٠٠ ميل مربع واقعة في قلب اسيا يحدها من الشمال بلاد المغول وتركستان الشرقية ومن الجنوب بلاد الهند ومن الشرق الصين الاصلية ومن الغرب مملكة قشمير . وبلاد تيبت كثيرة الارتفاع يبلغ ارتفاع أعلى جبالها ١٧,٦٠٠ قدم فوق سطح البحر و يفصلها عما أحدق بها من الممالك جبال وعرة تجعل السلوك اليها شاقاً . فيفصلها عن بلاد الهند في الجنوب جبال حمالايا الشهيرة بارتفاعها العظيم ويفصلها عن بلاد الصين في الشرق سلسلة جبال يونلين ومن تركستان وبلاد المغول في الشمال جبال كوين لون

وأما من الغرب فانها تستدق حتى تنتهي الى قشمير بسهول بامير الفاصلة بين تركستان الروسية و بين الهند . ونظراً لوعورة تلك الحدود ظلت تيبت قروناً متطاولة ممتنعة على السياح وأهل الرحلة . ومع وقوعها في المنطقة المعتدلة فانها تعد من البلاد الباردة بالنظر الى ارتفاعها العظيم عن سطح البحر . والفرق بين جوها وجو الهند كبير

فالمنتقل من الهند الى تيبت ينتقل بغتة من الحر الى البرد . وبسبب وعورتها وما يحدق بها من الجبال العالية قلما مرَّ بها جند فاتح مع كثرة تجريد المغول على الهند والصين من قديم الزمان حتى جنكيزخان القائد المغولي الشهير لما أراد اكتساح الهند فانه زحف اليها عن طريق بخارا وافغانستان . ولذلك امتنع على سياح الافرنج الوصول اليها الى عهد غير بعيد . واقدم من وطئها منهم فراير اودوريك فقد وصل عاصمتها « لاصا » نحو سنة ١٣٢٨ م وبعد ذلك بثلاثة قرون دخلها انطونيو اندرادا بطريق الهند من جهة الغرب . وفي سنة ١٦٦٣ دخلها الأبوان كروبر ودورفيل بطريق الشرق الى « لاصا » ثم نزلا منها الى الهند بطريق نيبال . وفي أوائل القرن الثامن عشر دخلها الاباء الكبوشيون . واول رجل انكليزي وطئها جورج بوجل سنة ١٧٧٤ وكان قد سار بمهمة سياسية من حكدار الهند الى بعض أمراء تيبت ثم دخلها غيره

وتقسم تيبت من حيث جغرافيتها الطبيعية الى ثلاثة أجزاء تمتد عرضاً من الشرق الى الغرب وتزداد ارتفاعاً ووعورة من الجنوب الى الشمال . فالجزء الجنوبي أكثرها خصباً وعمراناً والجزء الشمالي اكثرها وعورة وهو مهجور تسرح فيه الحيوانات البرية وبعض القبائل الرحل من الترك والمغول . والجزء المتوسط عبارة عن سهول ترعى فيها الماشية ويسكنها قبائل من أهل الرحيل يقال لهم « يودبا » . فالجزءان الجنوبي والاوسط هي البلاد التي يصح ان تسمى عامرة وهما يقسمان الى أربع ولايات (١) نكاري في الغرب بين درجة ٧٤و٨٥ من الطول الشرقي (٢) دوخام او خام في الشرق (٣) تسانغ في الوسط بازاء نكاري (٤) أوس بازاء دوخام . وهاتان الاخيرتان واقعتان في الوسط وقد تسميان باسم واحد « اوتسانغ »

﴿ سكانها ﴾ يعتقد اهل تيبت ان جدهم الاول قرد تزوج بشيطانة تيبتية يسمونها « سرنمو » فولدت منه ستة أولاد وحالما فطموا سكنوا الغابات ثم عادوا بعد بضع سنين وقد صار عددهم ٥٠٠ فاستغرب أبوهم ذلك ولكنهم كانوا جياعاً فعمد الى خمسة أصناف من الحنطة حمل شيئاً منها وصعد الى جبل تيسي ورماها من قنه

الى أولئك القردة فكانوا كلما اكلوا منها قصرت أذنابهم وتساقطت شعورهم ثم نطقوا وصاروا آدميين واكتسوا بورق الشجر . على ان الاعتقاد بالتسلسل من القرد ليس خاصاً بأهل تيبت بل هو يشمل كثيرين من أهل اسيا الوسطى وفي جملتهم قبائل التنكوت وغيرهم . وأصحاب رأي الارتقاء يرون تلك الخرافة من بقايا الحقيقة التي ذهب اليها داروين عن تسلسل الانسان والقرد من اصل واحد



تاجر تيبتي

اما باعتبار ماهو معروف من اصناف البشر فالتيبتون من الجنس المغولي وقد وصفهم بعض الذين عاشروهم وخبروهم فقال انهم بالاجمال متوسطو القامة خفاف العضل أقوياء البنية سود العيون مفرقوها كبار الافواه سمر الشعور خفاف اللحى . وهم معتدلو المزاج ثابتون في العمل لطفاء الخلق يحبون الموسيقى والرقص والغناء مع ميل شديد الى الانبساط واللهو . فجاء ذلك مؤيداً لما كان يعتقده العرب فيهم واليك ما قاله ياقوت في هذا الشأن — قال :

« وقرأت في بعض الكتب ان تبّت مملكة متاخمة لمملكة الصين ومتاخم من احدى جهاته لارض الهند ومن جهة المشرق لبلاد الهياطلة ومن جهة المغرب لبلاد الترك ولهم مدن وعمائر كثيرة ذوات سعة وقوة ولاهلها حضرٌ وبدوٌ وبداويهم

ترك لاتدرك كثرة ولا يقوم لهم احد من بوادي الاتراك وهم معظمون في أجناس الترك لان الملك كان فيهم قديماً وعند أحبارهم ان الملك سيعود اليهم . وفي بلاد التبت خواص في هوائها ومائها وسهلها وجبلها ولا يزال الانسان بها ضاحكاً مستبشراً لاتعرض له الاحزان والاخطار والهموم والغموم يتساوى في ذلك شيوخهم وكهولهم وشبانهم ولا تحصى عجائب ثمارها وزهرها ومروجها وانهارها . وهو بلد تقوى فيه طبيعة الدم على الحيوان الناطق وغيره وفي أهله رقة طبع وبشاشة وأريحية تبعث على كثرة استعمال الملاهي وأنواع الرقص حتى ان الميت اذا مات لايداخل أهله كثير الحزن كما يلحق غيرهم ولهم تحنن بعضهم على بعض والتبسم فيهم عام حتى انه ليظهر في وجوه بهائمهم » اه .

وبلاد تيبت على الاجمال قليلة السكان حتى ان جانباً كبيرًا من بقاعها الشمالية لايسكنه البشر على الاطلاق ومعظم السكان في الجنوب والوسط . ونظرًا لكثرة القبائل الرحل فيهم يصعب احصاؤهم لكنهم يقدرون عددهم بوجه التقريب بنحو ٦،٠٠٠،٠٠٠ نفس — ذلك هو تقدير الروسيين لهم على ان غيرهم يقدرهم باضعاف ذلك والغالب انهم لايزيدون على هذا العدد

والديانة الغالبة في تيبت البوذية او هي فرع منها تسمى اللامائي نسبة الى كهنتها عندهم . وكانوا قبل ظهور هذا الدين يعتقدون ديناً اسمه « البوني » وقد غلبت البوذية عليه لكنه لايزال معتبرًا عند جماعة كبيرة من الاعيان وله اديار ومعابد كثيرة ويسمى اتباعه غالباً « بونبو » اي الشيعة السود تمييزًا لهم عن اهل اللامائية فانهم حمر أو صفر

واهل تيبت طبقتان أهل القرى ويسمون بلسانهم « يولبة » وأهل البادية واسمهم « جمبة » ولبدو التيبت عادات غريبة لا يشاركهم فيها أحد فهم يأكلون طعامهم نيئاً سواء كان لحماً او خضارًا او غير ذلك لانهم لا يعرفون الطبخ ويطعمون خيولهم اللحم بدلاً من العشب ويستخدمون اغنامهم في حمل الاثقال لضخامتها وقوتها فيعلقون النير في أعناقها ولا ينزعونه منها شتاء ولا صيفاً الا نادرًا . واذا سافروا

لتجارة نقلوا على اغنامهم احمال الملح والانسجة مما يحمل من تيبت الى الهند او غيرها . والجمبة أهل تجارة ينتقلون بهذه الاغنام واحمالها وربما ساق التاجر منهم نحو ١٠٠٠٠ منها الى هندستان في الشتاء فيبيعون سلعهم ويعودون في الربيع باحمالهم من محصولات الهند كالانسجة الهندية والرز والحنطة والاطياب

وأما أهل القرى فمنهم المزارعون والصناع وأصحاب الاسواق وفيهم طبقة ممتازة هي طبقة العلماء ويسمون بلسانهم « لاما » واللاما طبقات ولأهل كل طبقة لقب خاص فمنهم التشكانا والقهجاوار وغيرهما

﴿ محصولاتها ﴾ أكثر اشتغال التيبتيين في التجارة والحكومة تساعدهم على ذلك وتعين من جندها من يرافق قوافلهم لخفارة ويسمى هؤلاء الخفراء « كربون » ولا سبيل عندهم للنقل غير القوافل المؤلفة من البقر او الهجين المزدوجة السنام وهي كثيرة هناك . واعظم اسواق التجارة عندهم في ديكارشي واللاسا فتصل القوافل اليها في دسمبر ويناير من الصين ومغوليا ودوخام وتسي شوان و بوتان وسكيم ونيبال وقشمير ولداك

ومن أشهر محصولات تيبت المسك ومسكها مشهور بجودته و يفرزه غزال يسمى غزال المسك . واليك ما ذكره العرب من أمر هذا المسك وكيفية تولده — قالوا :

« والارض التي بها ظباء المسك التبتي والصيني واحدة متصلة وانما فضل التبتي على الصيني لامرين احدهما ان ظباء التبت ترعى سنبل الطيب وانواع الافاويه وظباء الصين ترعى الحشيش والامر الآخر ان أهل التبت لا يعرضون لاخراج المسك من نوافجه واهل الصين يخرجونه من النوافج فيتطرق عليه الغش بالدم وغيره . والصيني يقطع فيه مسافة طويلة في البحر فتصل اليه الانداء البحرية فتفسده . وان سلم المسك التبتي من الغش واودع في البراني الزجاج واحكم عفاصها ورد الى بلاد الاسلام من فارس وعمان وهو جيد بالغ . والمسك حال ينقص خاصيته فلذلك يتفاضل بعضه على بعض وذلك انه لا فرق بين غزلاننا و بين غزلان المسك في الصورة ولا الشكل ولا اللون ولا القرون وانما الفارق بينهما بأنياب لها كانياب الفيلة ولكل

ظبي نابان خارجان من الفكين منتصبان نحو الشبر او أقل او اكثر فينصب لها في بلاد الصين وتبت الحبائل والشرك والشباك فيصطادونها وربما رموها بالسهام فيصرعونها ثم يقطعون عنها نوافجها والدم في سررها خام لم يبلغ الانضاج فيكون لرائحته زهوكة تبقى زماناً حتى تزول . وسبيل ذلك سبيل الثمار اذا قطعت قبل النضج فانها تكون ناقصة الطعم والرائحة . واجود المسك واخلصه ما ألقاه الغزال من تلقاء نفسه وذلك ان الطبيعة تدفع سواد الدم الى سرته فاذا استحكم لون الدم فيها ونضج أذاه ذلك وحدث له في سرته حكة فيندفع الى أحد الصخور الحادة فيحتك بها فيلتذ بذلك فينفجر ويسيل على تلك الاحجار كانفجار الجراح والدماميل اذا نضجت فيجد الغزال بخروج ذلك لذة اذا فرغ ما في نافجته اي سرته (وهي لفظة فارسية) اندمل وعادت فدفعت اليه مواد من الدم فتجتمع ثانية كما كانت أولاً فيخرج رجال التبت فيتبعون مراعيها بين تلك الاحجار والجبال فيجدون الدم قد جف على تلك الصخور وقد أمكن الانضاج فيأخذونه ويودعونه نوافج معهم فذلك افضل المسك والخرة وهو الذي تستعمله ملوكهم ويتهادونه بينهم وتحمله التجار في النادر في بلادهم » اه

﴿ لاصا — عاصمة تيبت ﴾ ومعنى « لاصا » في لغة تيبت « أرض الاله » وهي مدينة عامرة واقعة في سهل ارتفاعه عن سطح البحر نحو ١٢,٠٠٠ قدم تحيط به الجبال من كل ناحية . وهي مستديرة الشكل قطرها نحو ميل كان حولها سور بنوه في القرن السابع عشر ثم تهدم لما احتلها الصينيون سنة ١٧٢٢ شوارعها الكبرى واسعة وأما الصغرى فانها في غاية القذارة . ابنيتها في الغالب من الطوب الجفف بالشمس الا منازل الامراء فيدخلها شيء من الحجر . واللاصا مركز ديانة أهل تيبت واليها يحجون لكثرة ما فيها من الاديار وبيوت العبادة البوذية فيؤمها الحجاج من أقصى البلاد حتى حالايا ومنشوريا . واكثرهم يجيئون يلتمسون غفران خطاياهم «من بوذا الحي» ويتوسلون اليه ان يمدّ لهم عمراً سعيداً . ثم يعودون الى بلادهم بالآثار المقدسة والذخائر المباركة كالسبحات والاصنام الصغيرة ونحوها . ولذلك كثر باعة هذه الاحجار هناك يخدعون البسطاء بانها من بقايا بوذا أو من اظافره أو عظامه او من عصاه او

بيته. ويكثر الاختلاط في ابان الحج وتتعدد أشكال الوجوه وضروب اللغات ولكن الغالب عليها كلها المغول بوجوههم العريضة وعيونهم الضيقة

ويصل التجار الى اللاصا في اثناء شهر دسمبر واكثرهم يجيئون من غربي الصين ومعهم الأنسجة الحريرية والطنافس والادوات الصينية ويأتي غيرهم وتجارتهم انواع الحلى الذهبية والسلع الروسية والسجاد الثمين والحجارة الكريمة وأصناف الفرش والخيول والماشية والتبغ. ويأتي آخرون من شرقي تيبت يحملون المسك التيبتي الشهير بكميات كبيرة وغير ذلك — وتجارة الشاي الصيني رائجة هناك وا كثر اشتغال أهل اللاصا بنسج الاقمشة المعروفة بالنسيج التيبتي واصطناع بعض أصناف الخزف

سكان اللاصا يقدرون بنحو ٦٠,٠٠٠ نفس اكثرهم من أهل تيبت وفيهم بعض الصينيين والقشامرة وبعض اهل بوتان ونيبال في أعالي الهند. والقشامرة اكثرهم مسلمون واكثر أصناف التجارة في أيديهم ولهم المساجد الاسلامية وهم يمتازون من سائر أهل اللاصا بعمائمهم وبشكل جماجمهم لانهم من الجنس القوقاسي. وفي اللاصا يقيم أمير البلاد ويسمونه في اصطلاحهم «دالي لاما» ويقيم في قصر خاص به يسمى «بوتالا»

(تاريخهم) أن تاريخ هذه البلاد مظلم لا فائدة من تعداد الآراء في شأنه وانما يقال بالاختصار أنها دخلت في حوزة الصين سنة ١٧٢٢ وهي تحت عمالة أمير ولاية تسي شوين من ولايات الصين. وللامبراطور الصين معتمد عال معه مساعد وهما يتوليان ادارة الجند والخارجية. وأما ادارة الداخلية والمعاملات الدينية ففي أيدي الوطنيين. ويتعين المعتمدان المشار اليهما لمدة ثلاث سنين وتحتهما قائدان كبيران يسميان بلغة البلاد «دولامي» وخازنان يقيم أحدهما في اللاصا والآخر في ديكارشي. ثم ثلاثة قومندانية يقيمون في اللاصا وديكارشي ودنكري على حدود نيبال. ويليهم ثلاثة صف ضباط وتحتهم الجند درجات. وعدد الجند الصيني هناك لا يزيد عادة على ٤,٥٠٠ رجل منهم ١,٠٠٠ في اللاصا و١,٠٠٠ في ديكارشي و١,٠٠٠ في جيانكشي و٥٠٠ في دنكري

اما ادارة الحكومة الملكية فمفوض أمرها الى الدالي لاما يساعده عليها موظف يشبه رئيس الوزراء عندنا يسمونه « نوموخان » بلسان المغول أي ملك الشريعة . وهو يتولى ذلك المنصب طول الحياة وتنتخبه حكومة الصين من بين رؤس الكهنة العظام عندهم وكلٌّ من هؤلاء والدالي لاما في جملتهم اذا ماتوا حلت أرواحهم في أطفال يقومون مقامهم متى بلغوا رشدهم ويساعد النوماخان على ادارة شؤن الحكومة خمسة وزراء أربعة منهم للمالية والقضاء والخراج والداخلية والخامس للامور الدينية . ويتولى كل ولاية من الولايات الاربع التي ذكرناها حاكم يسمونه بلسانهم « بكالون » ومعه أركان حرب وكلهم تحت ادارة النوموخان ويلي هؤلاء الامراء ولاة صغار

﴿ كهنتهم ﴾ وهم الذين يسمونهم « لاما » وكانوا يتزوجون ثم اقلعوا عن هذه العادة فهم اليوم ينذرون البتولة ولباسهم البرود الصفراء وهي ثياب الحكام في تيبت . واللاما العظيم المقيم في « لاصا » هو سربوذا ومقرّ نفسه وهو رئيس الكهنة فاذا مات ينظرون في من يخلفه فيختارون ولداً فيه علامات خاصة ويرفعونه الى مقام الرئاسة وجماعة اللاما أشبه شيء بالرهبان يسكنون أديرة خاصة بهم ويحلقون رؤوسهم ولباسهم نسيج أحمر صفيق خشن يرفعون طرفه الواحد فوق الكتف ويلفون الآخر حول الوسط وهم قذرون وبعضهم حفاة لكن الآخرين يلبسون أحذية ذات كعوب عالية ويعلقون في ثيابهم سبحة واسطوانة للصلاة طولها نحو أربعة قراريط وقطرها كذلك وعلى ظاهرها منقوش هذه العبارة « أيها الحجر الكريم في النيلوفر . آمين » ويشدون الى أسفل الاسطوانة خيط ينتهي بثقل من الرصاص أو نحوه فلا تبرح الاسطوانة تدور وعندهم ان كل دورة هي بمثابة صلاة يقدمها الحامل ويرددها الى السماء ولا ينفرد الكهنة بحملها بل ذلك شائع في العامة أيضاً وعلى باب كل بيت واحدة أو اثنتان منها يديرها أهل البيت والاضياف عند دخولهم وكذلك في الاهراء والمخازن ويقيمون على الانهار والينابيع بيوتاً يملأونها بهذه الاساطين تدور بقوة الماء

ورهبانهم أغنياء ولاديرتهم نصف البلاد ولا يبرح القوم يقطعونهم الاراضي

ويتركون لهم التركات وهم لا يدفعون ضرائب عن أراضيهم ولا يأتون عملاً ولهم عبيد تقوم بزراعة الارض واستثمارها ومع تدرجهم البتولة فهم في الغالب ساقطو الآداب والهمم ولذا باتت أديرتهم مهاوي فساد يهرع اليها كل كسلان فاتر العزم وبدأ الاهلون يظهرون سخطهم وكرههم لهم

تاريخ علم الادب

عند الافرنج والعرب — لكاتب فاضل

٣٢ — ظهور فيكتور هوكو

فجميع من ذكرناهم من الشعراء الفرنساويين وغير الفرنساويين تقدموا على فيكتور هوكو او عاصروه ومهدوا له طريق الادب الجديد . وكانت النفوس في ابتداء القرن التاسع عشر تائقة لرؤية أسلوب مستحدث في النظم والنثر ولحصول انقلاب في الادب كما حصل انقلاب في السياسة . لان الناشئة الجديدة من الخواص كانوا نافرين من قيود الطريقة المدرسية . وجمهور العوام كانوا متألمين من استبداد أصحاب الانقلاب الكبير باسم الحرية . فان رؤساء هذا الانقلاب لم يكتفوا بتغيير شكل الحكومة بل هدموا أساس الدين وسببوا حدوث الفوضوية في الامة . أي انهم فرطوا في جانب الدين والسياسة كما فرط قبلهم ذوو التيجان من الملوك المستبدين فكان الجمهور يترقب ظهور امام في الادب يعيد لهم الرجاء والامل بالله . والشعراء يترقبون ظهور هذا الامام ليخلص فن الادب من القيود التي قيده بها بوالو في كتابه المسمى (آر بوتيك) أي صناعة الشعر . فكانوا يتمنون كسر هذه القيود واعطاء الحرية التامة للفكر كما كسرت سلاسل الاستبداد وهدم بيت المظالم الاوهو حبس الباستيلية الشهير واطلق سراح المحبوسين فيه ظلماً وعدواناً

فظهر فيكتور هوكو وبرع في اللغة الفرنساوية وفي طرق الافادة بها . وفضلاً

عن معرفته بالمفردات والتراكيب اللغوية صار له خبرة بما للكلمات من القيمة الموسيقية اي بالنغمة التي تحدثها كل كلمة والتأثير الذي يحصل من جميع نغمات الكلمات وألحانها . لان الكلمة عند خروجها من الفم لها نغمة مخصوصة ولحن بحسب مخارج الحروف . وتختلف المخارج باختلاف الالسنة ولذا ورد في الحديث الشريف (اقرؤا القرآن بلحون العرب)

وقد عبر أئمة البلاغة من العرب عن هذه القيمة الموسيقية (باجراس الكلم) ولا يخفى ما في هذا التعبير من الحلاوة لان الصوت يرن بالالفاظ رنة الجرس . وصار لفيكتور هوكو أيضاً مهارة بعلم القوافي . فقوافيه عامرة مختلفة ليس فيها ما هو مكرر او مبتذل بل جميعها ترد على غير ما ينتظره السامع . والخلاصة كان يعرف أي كلمة يلزم وضعها في أي بيت وأي بيت يقتضي انتقاؤه لاي موضوع . وساعده الحظ في السفر الى رياض الاندلس التي تتغذى القرائح بنفحات ازهارها وتقر العيون بحسن مناظرها . فصار ذهنه كأنه آلة بديعة تفي بوظيفة السينماتوغراف والفوتوغراف معاً . فيصور ما يمر به من مشاهد الكون و يطبع ما يسمعه من حوادث الدهر ويعرضه على القراء والمستمعين بدون ان يضيع منه خبراً او يغفل منظراً . فصور في أشعاره الخائل وهي الشجر المجتمع الكثيف وكيفية تلاعب النسيم باوراقها والاغصان الملتفة وما ترسمه على بساط المرج الاخضر من الظل الظليل والجبال الراسية وما ينحدر عنها من الماء السلسبيل والانهار الجارية وما ينعكس على مرآة سطحها من ضياء القمر وشعاع الشمس . ووصف صفير البلابل وهديل الحمام وبغام الظباء وسجع اليمام وذكر غدوها ورواحها ما بين الرياض المزهرة والاشجار المثمرة والجداول المنحدرة وصور غير ذلك أيضاً تصويراً حقيقياً باوضح بيان وافصح تعبير حتى يخال من يقرأ أشعاره انه ينظر الى لوح من الالواح المصورة بقلم الرسام وفرشاته . ويسمع خرير الماء وصوت مزمار الراعي وهو يتناقص كلما ابتعد مع محبوبته في جوف الغابة . وجعل الالفاظ تلبس المعاني كما يلبس الثوب على الجسم فجاءت الفاظه طبقاً على معانيه . وكان بمجرد نظره في المواد تنفجر المعاني من قريحته فيزنها بميزان الحس ويصوغ لها على

قدرها قوالب من الالفاظ والتراكيب كأحسن صائغ لحلى وامهر سباك للمعادن . فكانت طريقته بادىء الامر عبارة عن وصف الطبيعة ومناظرها البديعة ثم هجم على قواعد المتقدمين وأساليبهم هجمة الامة المستيقظة من غفلتها وكسر القيود التي قيدها بها اولو عقول الشعراء ونبذ قواعد الطريقة المدرسية وراء ظهره وأصلح عروض الشعر الفرنساوي وغير تركيبه بمقاطيع مختلفة وجوز تكميل معنى البيت بالبيت الذي بعده فوضع الجملة الواحدة في بيتين مما لم يجوزه المتقدمون وجعل نظم الشعر موافقاً لاحتياجات الفكر . وفتح لاخوانه من ذوي النشأة الجديدة طريقة مستحدثة في الادب كانوا هائبين اقتحامها والولوج فيها

فأوجد فيكتور هوكو بذلك الطريقة الرومانية وحاد فيها عن استعارات الطريقة المدرسية وتشبيهاتها القديمة . ولم يتخذ كلام المتقدمين منوالاً لينسج عليه كما فعل اندره شينيه خاتمة أهل الطريقة المدرسية . بل اتخذ الـذوق الطبيعي والاحساس الباطني دليلاً له في النظم والنثر كما فعل المتنبي والمعري وأهل طريقتهما الخارجين عن أساليب العرب المتقدمين . فكلما شعر فيكتور هوكو بشيء صوره بقلمه كما يحس به في قلبه بدون تهافت منه على ترصيع الكلام بجواهر البديع وتدبيجه بحلل المجاز والتشابيه . فان أتى بشيء منها في كلامه عفواً بلا تصنع ولا تكلف فنعم . والا فهو لا يهتم الا بالمعاني وبما يتخيله فيها من حقائق الشعر واذا أراد تعيين الزمان مثلاً لم يتكلف ترتيب تلك الجمل المصنعة ولم يذكر حركات العقرب على مينا الساعة ولا شبه ذلك بدوران الفلك ولا بمنازل الشمس بل قال بذوقه الطبيعي:

« غداً اليوم الخامس والعشرون من حزيران سنة الف وستمائة وسبع وخمسين ... » كما ورد في مطلع رواية قروموبل وهي من الروايات التشخيصية المنظومة شعراً . فهذا مقتضى البلاغة في تعيين الزمان . وهذه الشطرة المطابقة للحال أبلغ من سواها . ومن المثال السابق الذي مثلنا به من كلام اندره شينيه . فكان السالك نهج هذه الطريقة اذا عطش قال هات اسقني كما قال أبو نواس

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمرُ ولا تسقني سراً اذا أمكن الجهرُ

وأما السالك نهج الطريقة المدرسية فكان يحيد عن السوق الطبيعي ويصنع كلامه ويقول « ألا ماء بارد نطفي به حرارة جوفنا » كما قال ذاك البارد التفي

فايضاحاً لحقيقة الطريقة الرومانية لا نرى بداً من تلخيص القواعد التي أوردها بوالو في صناعة الشعر ثم تلخيص القواعد التي ذكرها فيكتور هوكو في مقدمة رواية كرومويل وعارض فيها بوالو وجميع المنتسبين للطريقة المدرسية

٣٣ — طريقة بوالو

نظم الشاعر الفرنساوي بوالو كتابه الموسوم بصناعة الشعر سنة ١٦٧٤ م وهي أرجوزة طويلة محكمة البناء عالية النفس جامعة لقواعد الشعر وانواعه . اعتنى الشاعر في انشائها كثيراً وفكر فيها طويلاً لتكون قاعدة وانموذجاً في الشعر واقتفى في نظمها وتأليفها اثر الشاعر اللاتيني هوراس وهو نقل عن أرسطوطاليس في كتابه الموسوم بصناعة الشعر ولارسطوطاليس في الشعر كتاب آخر لخصه القاضي أبو الوليد ابن رشد وطبع هذا التلخيص المستشرق فوستولازينو في مدينة فلورانسه من ايطاليا سنة ١٨٧٣ ولا نظن بوالو اطلع على قصيدة ابن رشيق ولا على مؤلفاته في هذا المبحث لان الافرنج لم يكن لهم الفة بأدب العرب في القرن السابع عشر وانما كانت عنايتهم باللغة العربية قبل ذلك حينما ترجموا كتب علمها الى اللاتينية ولم يعودوا لدرسها الا في اواخر القرن الثامن عشر حينما نبغ شيخ المستشرقين سيلفستر دوساسي في باريس وشرح مقامات الحريري وألف الكتب المعتبرة . ولما ظهر ضيا باشا من متأخري الادباء العثمانيين وقرأ العربية ثم الفرنساوية اقتفى اثر بوالو ونظم بالتركية كتابه المعروف بالخرابات وانتقد فيه على كثير من شعراء الترك والفرس والعرب . فجاء كمال بك وانتقد عليه في رسالة سماها تخريب الخرابات وخطأه في كثير من مباحثه

فالفصل الاول من كتاب بوالو في صناعة الشعر يشتمل على تفصيل القواعد التي اجملناها في الكلام على الطريقة المدرسية . واكثر المؤلف في هذا الفصل من الحض على مراعاة قواعد النحو والصرف والمعاني وغير ذلك من علوم الآلات .

وحذّر كثيراً من الابتعاد عن سلامة الذوق ولو قدر شبر . وشرع في الفصل الثاني والثالث في تطبيق هذه القواعد العمومية على أفانين الشعر المختلفة وعرف كل فن منها على حدته وبلغت فنون الشعر عنده الى نحو أربعة عشر فناً . منها أنواع الغزل والتشبيب والمرقصات والمطربات وما احتوى على ذل العشق ورقة الكلام والادوار المنسوجة على منوال شعراء التروبادور المعاصرين للاندلسيين . ومنها أنواع المدح وأنواع الهجاء والهزل والسخرية والذم المشابه للمدح ومنها أنواع الرثاء ونحو ذلك . وتكلم أيضاً عن الروايات التمثيلية وهي (التراجيديا) أي الفاجعات و(الكوميديا) اي المضحكات وعرف كلاً منها وبين الشروط المقتضى مراعاتها في تأليف الرواية التمثيلية ولزوم وحدة الزمان والمكان والعمل . وعرف الشعر الموسيقي وهو النشيد والتلحين المسمى عندهم (ليريك) من كلمة ليروهي العود الذي يغنى عليه . وعرف أيضاً الشعر الحماسي المسمى عندهم (إپوپه) ومعناها في الاصل الخطبة التي يقولها الخطيب

فالشعر الموسيقي يمتاز عن الشعر الحماسي بخاصته الشخصية أو الفردية أي المفردة في ذات صاحبها . وذلك أن الشاعر يرى الحسناء فيشعر بالحب وبأمل الوصال . ويظهر له رقيب فيشعر ببغضه وبانقطاع رجائه من الوصال . وينال معروف الكريم فيشعر بالشكر له . ويموت صديق له فيشعر بالتفجع عليه . فبسبب هذه المشاعر تفيض نفس الشاعر بالغزل والتشبيب والمدح والهجاء والرثاء . ويشاهد أيضاً بدائع المخلوقات وينظر في خلق الارض والسموات فتفيض نفسه بالتسبيح والتهليل والتقديس والترتيل . فكل واحد مما ذكر فن من أفانين الشعر الموسيقي . ويختلف عروض كل منها وقوافيه باختلاف المشاعر التي يشعر بها واختلاف الالهام الذي يهبط عليه . ويعتريه من ذلك دهشة أو انذهال وحيرة وسرور وانشراح أو انقباض وحزن فيظهر اثر ماذكر في نظمه وشعره

وأما الشعر الحماسي فهو رواية الوقائع العجيبة التي يقوم بها الشجعان . فقولنا رواية أي خبر يفصل هذا النوع من الشعر عن الشعر الموسيقي لانه نشيد وغناء

وعن الشعر الدراماتيقي أي الدرام لان أساسه العمل . ولا يلتبس بالتاريخ الذي هو خبر ورواية أيضاً لان موضوع التاريخ الوقائع الصحيحة بلا اطراء ولا غلو . واما الشعر الحماسي فموضوعه الوقائع الملفقة المشتملة على غرائب الشجاعة ونوادر الفروسية واشهر كتب الحماسة الالياذة والاوذيسة لهوميروس اليوناني . و (انيد) لفرجيل اللاتيني . والكوميديا الالهية لدانتي الطلياني . والجنة الضائعة لملتون الانكليزي . وتخليص اورشليم لطاسو الطلياني وهانرياد لفولتير الفرنساوي والحماسة النابوليونيه لفيكتور هوكو . وعند أهل الشرق ماهابهاراته وراماياته الهنود والشهنامه للفرس وكتب الحماسة للعرب واشهرها كتاب الحماسة لابي تمام حبيب ابن اوس الطائي وقد طبعه مع شرح أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي عليه المستشرق الالماني فريتغ سنة ١٨٢٨ في مطبعة مدينة بونه . والجزء الاول من عكاظ الادب هو في الحماسة الحميدية فهو (ايوبة) الحرب اليونانية الاخيرة كما حرر فيكتور هوكو الايبوبة النابوليونية . ومن أمعن النظر في الشعر العربي وجد اكثره من قبيل الشعر الموسيقي أي النشيد والاغاني وهو الممتاز بخاصته الشخصية وباظهار الحواس الباطنة ووجد فيه أيضاً من الشعر الحماسي وهو الذي روى فيه أخبار الحروب وأطنب بشجاعة الشجعان . ووجد المقامات تشابه ما عند الافرنج من فن الكوميديا . غير ان صاحب المقامات جعل اهتمامه في انتقاء الالفاظ وبلاغة التعبير ولم يلتفت كصاحب الكوميديا لدرس اخلاق الرجال وبيان المزايا الخاصة بافراد القوم او الهيئة الاجتماعية . وكان الباحثون في ادب العرب لا يجدون فيه مثالاً « للدرام » الآتي تعريفه فجاء عبد الرحيم افندي احمد وعرض على المستشرقين في المؤتمر الحادي عشر المنعقد سنة ١٨٩٧ م في باريس رسالة الغفران للمعري وبين مشابهتها بالكوميديا الالهية ووعد بنشرها . وكان يوسف ضيا باشا الخالدي استنسخ رسالة الغفران المذكورة سنة ١٣٠٧ هـ من النسخة القديمة المحفوظة الآن بمكتبة الكوبريلي وهي تجاه نظارة المعارف وتربة السلطان محمود في الاستانة . وهم اذ ذاك بطبعها فحال دونه سفره لبلاد الاكراد واشتغاله السنين الطوال بترتيب القاموس

الكردي وتدوين قواعد هذا اللسان الذي نبغ من ابنائه امثال صلاح الدين الايوبي صاحب الفتح القدسي · فاذا نشرت رسالة الغفران (١) كما تطبع ترجمة الالياذة الآن في مطبعة الهلال تمكن قراء العربية من الاطلاع على فن جديد في ادب العرب غير الشعر الموسيقي والشعر الحماسي · والمأمول ممن ينشر رسالة الغفران ان يقابل بين النسخة المصرية والنسخة الاستانبولية لكيلا يقف ذهن المطالع كما حصل في المثال المنقول سابقاً من كتاب اعجاز القرآن للباقلاني بسبب وجود بياض في الاصل · ومن دقق النظر في لزوميات المعري عرف ما هو عليه هذا الشاعر الحكيم من علو الفكر واتساع القريحة ولم يشتبه في ان كتابه الموسوم بالايك والغصون لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من فنون الشعر والادب الا أحصاها · وقد أطنب المؤرخون في كلامهم على كتاب الايك والغصون وزعموا انه في مائة مجلد · ولكن اذا نظرنا في قولهم ان اللزوميات في خمسة مجلدات ثم رأيناها مطبوعة في الهند في مجلد واحد وفي مصر في مجلدين حملنا ذلك على الظن بأن المائة مجلد من كتاب الايك والغصون هي بمثابة عشرين مجلداً من اللزوميات طبعة الهند او أربعين مجلداً طبعة مصر · وعلى كل فهو من أعظم دوائر المعارف الادبية في لسان العرب · ولا يعجز عن الاتيان بمثلها رهين المحبسين · والايك هو الشجر الكثير الملتف فكأنه أشار بهذا الاسم الى ان الكتاب شامل لاصول الادب وفروعه

ثم ان بوالو بعد مافرغ من بيان القواعد العمومية للشعر وبيان فنونه ولزوم اتباع الصدق والحقيقة فيه ذكر في الفصل الرابع من كتابه في صناعة الشعر ما ينبغي ان يتخلق به الشاعر من الاخلاق الحميدة وما يجب ان يحض عليه من الخير والمعروف · فاعترضوا عليه بذلك وقالوا بأن هذا الفصل من مباحث علم الاخلاق لا من مباحث الشعر والادب · ولاموه أيضاً على اعتباره الشعر في مجرد قوالب الالفاظ وعلى تحديده بالحدود والتعاريف والزام الشاعر بمراعاة هذه الحدود في كل فن من فنونه

(١) (الهلال) رسالة الغفران تحت الطبع الآن في مطبعة هندية

وعدم الخروج عنها . وقالوا بأن الشعر هو الهام من الله والطبيعة ونور يفيض على القريحة التي فيها استعداد طبيعي لقبوله ولا يمكن تعليم ذلك ولا تحديده بالحدود والتعاريف والصحيح ان بوالو يعترف بأن أساس الفكر اي المعاني الشعرية لا يمكن تعليمها بالقواعد ويقول بأنها هبة من الله واستعداد فطري وغريزي في قريحة الشاعر . وانما الذي يدخل عنده تحت القواعد المذكورة هو شكل التعبير اي قوالب الالفاظ التي تقاد بها تلك المعاني الشعرية

الاساطيل

تاريخها وانواع سفنها وملحقاتها المهلكة

ركوب البحار قديم وأقدم الامم عناية في الاسفار البحرية الفينيقيون ولكنهم كانوا يسافرون في طلب الرزق بالتجارة او الاستعمار الى شواطىء البحر المتوسط . وعنهم أخذ اليونان والمصريون وغيرهما من دول تلك الشواطىء . فلما كثر السالكون في هذا البحر قام التنازع بينهم كما قام من قبل على اليبس . والانسان يدفعه الجشع الى الاستئثار بالمنفعة ويحارب اخاه على بلغة حتى تضيق القارة على اثنين ويتنازع الاخوة على درهمين فنشأ من جراء ذلك ما يعبر عنه بالقرصانية اي السطو على السفن وانتزاع ما تحمله من الارزاق ونحوها وهي أقدم حروب البحر . وأقدمها ما انتشب بين الفينيقيين واليونانيين اوالمصريين او بين اليونانيين أنفسهم . ومما دعاهم الى ذلك ضيق اليبس عن ان يسع مطامعهم فعمدوا الى السفن يسطون عليها وينهبونها وما زالت القرصانية شائعة الى عهد غير بعيد

على ان القتال على سبيل القرصانية جرّ اليونانيين الى اتقان سفنهم وتقويتها فاصبحت الاساطيل من جملة عدد الحرب وحصون الدفاع عندهم . واليونانيون أسبق الامم الى انشاء الاساطيل والقتال في البحار اما فيما بينهم او بينهم وبين الفرس أو غيرهم . ثم نشأت الاساطيل الرومانية فالقرطاجية فالعربية فالتركية فالافرنجية وغيرها حتى بلغت ما هي عليه الآن

وأشهر الوقائع الحربية في الزمن القديم حرب أهل كورنثية واهل كورسيريا سنة

٩٦٥ قبل الميلاد — واليك اشهر الوقائع البحرية بعدها في التاريخ القديم

(١) واقعة سلاميس في مياه قبرس بين اليونان والفرس سنة ٤٨٠ ق م وكانت سفن اليونان ٣٩٠ بقيادة تمستوكلس فغلبت سفن الفرس وكان عددها ٢,٠٠٠ سفينة وقائدها احشويرش ملك الفرس

(٢) واقعة يوريميدون في مياه قبرس أيضاً سنة ٤٦٩ ق م بين اليونان والفرس واليونان الغالبون

(٣) واقعة سيزيكون بآسيا الصغرى سنة ٤١٠ ق م وفيها استولى الاثينيون بقيادة السيبيادس على أسطول الفقدوميين

(٤) واقعة ارجينوزة في الارخبيل اليوناني سنة ٤٠٦ ق م بين أهالي أثينا وأهل سبارطة والاثينيون الغالبون

(٥) واقعة كنيدوس في آسيا الصغرى سنة ٣٩٤ ق م بين الاثينيين والفقدوميين وقد غلب الاثينيون

(٦) واقعة بوغاز ميلة في صقلية سنة ٢٦٠ ق م بين الرومانيين والقرطاجنيين وفيها نال الرومان اول فوز على القرطاجنيين وأسروا خمسين سفينة من سفنهم

(٧) واقعة تربانوم سنة ٢٤٩ ق م تغلب فيه القرطاجنيون على الرومانيين

(٨) واقعة اكتيوم سنة ٣١ ق م في جزائر اليونان بين اوكتافيوس قيصر وماركس انطونيوس ومعه كليوبطرا · وفيها غلب اوكتافيوس واستولى على ٣٠٠ سفينة

ولو أردنا تعداد كل الوقائع البحرية لضاق بنا المقام وخصوصاً بين الروم والقوط او بينهم وبين العرب او الاتراك او بين دول الافرنج كالواقعة الشهيرة بين الروم والقوط سنة ٢٩٦ م وفيها انتصر كلوديوس امبراطور الرومان واستولى على ٢,٠٠٠ سفينة من سفن القوط · وواقعة ليبانتو قرب كرونثية سنة ١٥٧١ م وفيها اتحدت أساطيل اسبانيا والبندقية وجنوا ومالطة والبابابوس الخامس بقيادة دون جون اوستريا على أسطول العثمانيين فغلبوه وأوقفوا المسلمين عن فتح اوربا كما اوقفهم عنه شارل مرتل من قبل · ناهيك بوقائع الاجيال الاخيرة بين دول أوربا وهي تعد بالمئات

(مسير السفن وأسلحتها) كانت سفن الحرب في عهد الدول القديمة تسير بالشراع وأسلحتها النبال والحجارة ترمى بالاوتار أو المقاليع او المجانيق · ثم اخترعوا النار اليونانية

فصاروا يرمون بها عن ظهور السفن كما ترى في الشكل الاول . ثم اخترعوا البارود وكلاهما من ثمار قرائح المشارقة . فالنار اليونانية اخترعها رجل من أهل الشام اسمه كالنكوس وأما البارود فالافرنج يعدونه من مخترعاتهم ومخترعه عندهم اسمه شوارتز وقد بينا في تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ١٤٥ من الجزء الاول انه من اختراعات العرب



(ش ١) اسطول عربي يحارب الروم ويرميهم بالنار اليونانية

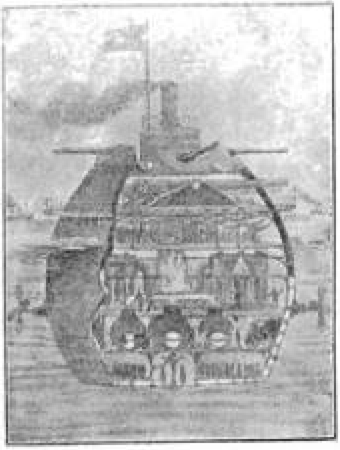
فليراجع هناك . فلما شاع استخدام البارود واصطنعوا المدافع والبنادق جعلوه من جملة معدات الدفاع في السفن الحربية ثم استنبطوا التوربيد والعوم لحماية المراكب . واول من استخدمها من الدول العظمى روسيا — استخدمتها في حرب القرم سنة ١٨٥٤ لكنها لم تأت بالفائدة المطلوبة . ثم عمل على اتقانها الاميركان في أثناء حربهم الاهلية سنة ١٨٦١ ثم الانكليز وغيرهم . ثم اخترعوا القنابل المفرقعة التي اذا سقطت في مكان انفجرت وعطلت ما حولها

وما زالت السفن تجري بالريح الى أوائل القرن الماضي . فالسفن التي جاء بها بونابرت في مياه الاسكندرية ثم حطمها نلسن في جون ابي قير كانت مسلحة بالمدافع ولكنها كانت شراعية . فلما اكتشفوا مرونة البخار واصطنعوا الآلات البخارية استخدموها لسفن فسارت بها وهو تحسين ذو بال انبهر له العالم في ذلك الحين . والاميركان أسبق الامم الى انشاء السفن البخارية فان أول سفينة سارت بالبخار انشأوها هناك سنة ١٨٠٧ وسموها « كليرمون » . واما أوربا فالانكليز اسبق دولها الى استخدام البخار في السفن . وأول سفينة مخرت في مياه أوربا بناها الانكليز في سكوتلاندا سنة ١٨١٢ وسموها كومت Comet طولها ٤٢ قدماً وعرضها ١١ قدماً وقوتها أربعة أحصنة وكانت السفن يومئذ تتحرك بدواليب جانبية تظهر فوق الماء على نحو الرفاصات التي تمخر في الماء الرقراق اليوم ثم جعلوها مستترة تحت الماء واخترعوا لولباً يجعلونه في مؤخر السفينة تحركه الآلة البخارية فيدفع السفينة الى الامام . وزادت العناية في انشاء السفن الكبرى وأهملت الاشرعة بالتدريج فاتخذت الاساطيل تسير بالبخار ومن جملتها الاساطيل الدولية التي اشتركت في حصار سباستبول في حرب الروسية سنة ١٨٥٤ ثم تفننوا في أشكال البواخر وتسييرها وضبط حركاتها حتى بلغت ما هي عليه الآن

(تدريع السفن) فلما اخترعوا المدافع والقنابل المفرقعة اصبحت السفن الحربية قريبة العطب فاذا أصابتها قنبلة في بعض جوانبها خرقتها فتتعطل آلاتها وتتوقف عن الحركة أو تدخل اليها المياه فتغرقها . فاعملوا الفكرة في ما يقيها من ذلك فلم يجدوا خيراً من تصفيحها بالحديد وهو ما عبروا عنه بالتدريع ويقال ان أول من قال بالتصفيح الاميركان في الولايات المتحدة . ولكن المشهور ان أول من صفح السفن الفرنساويون اكتفوا أولاً بتصفيح الجانبين فابتنوا خمس سفن بطنوا جوانبها بصفائح من الحديد ثخانتها اربعة قراريط ونصف . الاولى اسمها « تونانت » Tonante عليها ١٦ مدفعاً تم بناؤها في بريست سنة ١٨٥٥ ثم اصطنعوا اخواتها . وكان لهذه المدرعات حظ من العمل في الحرب الروسية . فان ثلاثاً منها ضربت كنبورن في البحر الاسود في ١٧ اكتوبر من ذلك العام

فاسرع الانكليز الى الاقتداء بالفرنساويين فاصطنعوا في ذلك العام دارعتين هما اربوس وتروز رستا في كنبورن ايضاً في ٢٤ اكتوبر المذكور فبادر الفرنساويون اذ ذاك الى تحسين اختراعهم فاستنبطوا التصفيح الكامل فانشأوا سنة ١٨٥٩ سفينة كبيرة سموها « لا كلوار » La Gloire (المجد) محمولها ٥,٦٠٠ طن وقوتها ٨٠٠

حصان فهبت عوامل الغيرة في قلوب الانكليز لانهم رأوا الدول الاخرى قد سبقتهم في البحرية وخصوصاً الفرنساويين فاهتمت حكومة انكلترا في تحسين بحريتها فالقت الجد لدرس الموضوع فاقروا على انشاء السفن البخارية وتحويل بعض ما عندهم من السفن الشراعية الى بخارية فلم يتمهم غير تقليد الفرنساويين بالتصفيح الكامل فانشأوا دارعة سموها « ورير » (Warrior) محمولها ٩,٢٠٠ طن وقوتها ٥,٤٧٥ حصاناً واشتهرت هاتان السفينتان في ذلك العهد وتجادل الناس في أفضلهما ثم عمدت سائر الدول الى انشاء المدرعات وتفننوا في أشكالها واقدارها واوضاع الاسلحة فيها



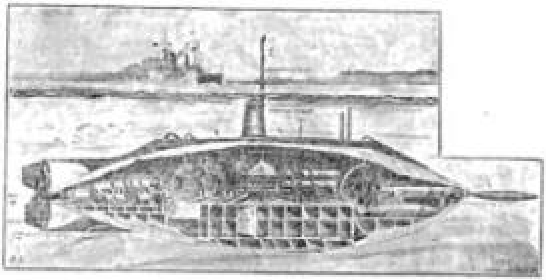
(ش ٢) دارعة كروية

واختلف شكل الدارعة وحجمها باختلاف المراد منها فجعلوا بعضها بساريتين والبعض الآخر بلا سارية وغيرها قصيرة الجدار فوق سطح الماء أو مستطيلة دقيقة اوعريضة قصيرة واحدث تلك الاشكال الدارعة الكروية التي اخترعها استوكس الاميركاني بالامس وهي عبارة عن سفينة كروية الشكل ثلثاها تحت الماء وحول الثلث الظاهر شرفة يسير عليها الناس وفوقها الآلات الحربية كالمدافع ونحوها • وفي الوسط مرقب كالمنارة • وترى في

الشكل الثاني صورة هذه الدارعة وقد فتح جانبها في الرسم ليظهر تركيب آلاتها

وتفننوا في استخدام السفن الحربية فخصصوا بعضها للهجوم وبعضها للدفاع والبعض الآخر للمطاردة او المدافعة او لارسال الطوربيد او للغوص في الماء او للطواف في البحار أو خرق السفن أو ارسال المخابرات او لغير ذلك وسموها باسماء تناسب الغرض منها كالسائقات والطرادات والغواصات والحراقات مما يضيق المقام عن تفصيله

(الطوربيد) ومن أهم المخترعات الحربية البحرية الطوربيد وقد تقدم ان الروسيين استخدموهُ في حرب القرم ثم الاميركان . وهو عبارة عن مقذوفات كالقنابل المستطيلة ترسل في الماء تحت السفن او فيما بينها ثم تنفجر فتفتح في البحر هوَّة تبتلع السفينة أو السفن الى قاعها . ثم تفننوا في اصطناع الطوربيد وفيه ما ينفجر بالصادمة او بالكهربائية ومنه ما ينفجر من تلقاء نفسه بعد مدة معينة وغير ذلك



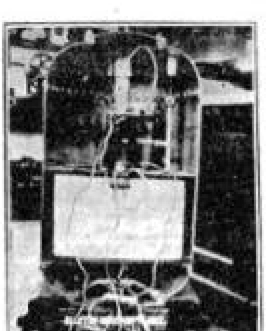
(ش ٣) غواصة لاطلاق الطوربيد تحت الماء

قد رسمت هذه الغواصة مقطوعة قطعاً عمودياً لتظهر آلاتها وكيفية العمل بها : (١) الطوربيد منطلقاً من مقدم السفينة (٢) طوربيد محفوظ للاطلاق عند الحاجة (٣) المدخنة وفيها المرقب فوق الماء (٤) سطح السفينة (٥) الولب الرقاص (٦) مخازن المعدات (٧) مخازن الهواء المضغوط (٨) مائدة عليها النظارة لمخابرة المراقبين خارجاً (٩) الآلات المحركة للسفينة (١٠) مخازن الماء

وفي سنة ١٨٧١ اخترع بعضهم طوربيداً يعرف بالسمكة البيضاء الرأس فابتاعت انكلترا سرَّ ذلك الاختراع واصطنعت لهُ سفناً خاصة ثم اقتدت بها الدول

الاخرى وأصبح الطوربيد المذكور شائعاً . وكانوا يطلقون الطوربيد أولاً تحت الماء من فوهة في أسفل مقدم الدارعة ثم وجدوا في هذه الطريقة خطراً فاصطنعوا سفناً صغيرة تغوص في الماء لا يبدو منها الا رأس المدخنة وحول المدخنة مرقب يشاهدون منه حركات سفن الاعداء فوق الماء ويرسلون الاوامر الى المقيمين في داخل الغواصة لاطلاق الطوربيد يميناً أو شمالاً أو غير ذلك كما ترى في الشكل الثالث

فالغواصة المذكورة كثيرة الشبه بالسمكة في أحد طرفيها اللولب المحرك لها في سيرها وهو بمنزلة ذنب السمكة والطرف الآخر عبارة عن رأس السمكة ومنه يطلق الطوربيد من أنبوب بواسطة الهواء المضغوط . وأما قنبلة الطوربيد التي تطلق من ذلك الانبوب فانها تسير الى المكان المطلوب حتى تنفجر حال مصادمتها الدارعة أو لتبق الى وقت يعين بآلة ملصقة بها . لان القنبلة المذكورة مستطيلة الشكل والمادة المفرقعة مستقرة في رأسها وبجانب الرأس غرفة صغيرة سرّية فيها الآلات اللازمة لتعيين العمق الذي يجب أن تسير القنبلة فيه



(ش ٤) اللغم في صندوقه والاسلاك ممتدة منه

(اللغوم) واللغوم من قبيل الطوربيد أيضاً لانها مؤلفة من مواد مفرقعة

لكنها لا تطلق اطلاقاً مثلها وانما هي توضع في صناديق ترسل في الماء حتى تستقر في المكان المراد لغمه . وفي الصندوق آلة منتظمة على اسلوب خاص . والغم من حيث اطلاقه على ثلاثة أنواع : الاول بين صندوقه وبين البر أو السفن الأخرى أسلاك كهربائية تحت الماء فاذا أراد أصحاب الغم اطلاقه عالجوا الاسلاك فيشتعل الغم بالكهربائية وينفجر فينفتح في الماء شبه واد يبتلع ما هناك من السفن . والنوع الثاني يطلق بالكهربائية أيضاً لكن يشترط في اطلاقه ان تصطدم به السفينة فتتم الدائرة الكهربائية المتصلة فيطلق الغم . واما النوع الثالث فلا علاقة له بالكهربائية وانما هو عبارة عن صناديق قد وضعت فيها المواد المفرقعة على أسلوب ميكانيكي فاذا أصابت الصندوق صدمة اشتعل الغم وانفجر حالاً . ويستخدم النوع الأول في المرافئ التي يكثر فيها مرور السفن التجارية او دوارع الدول المحايدة فتسير آمنة . والثاني يستخدم في المرافئ او البواغيز التي يقل مرور السفن التجارية او المحايدة فيها . واما الثالث فيوضع حيث يراد قطع الطريق على العدو والصديق . ونظن الغم الذي انفجر بالامس في برت آرثر واغرق دارعة الاميرال مكاروف قائد الاسطول الروسي من النوع الثاني أو الثالث



الاميرال مكاروف — قتيل الغم في ١٣ ابريل الجاري

باب السؤال والاقتراح

المسلمون الخاضعون لانكلترا

﴿ القاهرة ﴾ حسن أفندي سعيد بالسكة الحديد

قرأت أقوالاً متناقضة عن عدد المسلمين الخاضعين لدولة انكلترا في القارات الخمس فهل لكم ان تفيدونا عن أصدق الروايات . وان أمكن التفصيل باعتبار البلاد كانت الفائدة اتم

﴿ الهلال ﴾ احدث الاحصاآت واضبطها احصاء كوربت وقد نشره في عرض كلامه عن « الاسلام في المملكة البريطانية » واليك هو :

٥٧,٣٢١,١٦٤	في الهند الانكليزية	٣٤,٧٦٣	موريتيوس
١٧٤,٠٠٠	حدود الهند	١٥,٠٩٩	رأس الرجاء الصالح
٢٠,٥٠٠	شمالي اميركا واواسطها	١٤,٦٠٥	الهنود في أماكن مختلفة
٣٩,٠٠٠	اميركا الجنوبية	٤٩٣,٧٦٦	ملقا وتوابعها
١٩,٥٠٠	اوستراليا واوسيانيا	١٧٤,٠٠٠	بورنيو الشمالية
٢٢٠,٠٠٠	سيلان	١٧,٥٠٠	بروني
٣٠,٠٠٠	ملديف	٤٥٠,٠٠٠	سرواك
١٤,٤٤٠	لكاديف	٥,٥٦٠	لابوان
٥٠٠,٠٠٠	بلوجستان	٤٧,٩٢٦	قبرس
٣٥,٠٠٠	البحرين	٨,٩٨٧,٧٧٥	مصر
١٢,٠٠٠	سقطرة	١٠,٠٥٠,٠٠٠	السودان المصري
٤١,٩١٠	عدن وبريم	٢٥,٠٠٠,٠٠٠	نيجريا

٣٧٢,٠٠٠	لاغوس	٢٨١,٠٠٠	افريقيا الوسطى
١٥٠,٠٠٠	شواطئ الذهب	١٠٠,٠٠٠	اوغندا
٢٣,٣٠٠	كميا	٠٢٠٠,٠٠٠	زنجبار وبما
٧٠,٩٩٦	سيراليون	٥٠,٠٠٠	بلاد الصومال
٢,٢٥٠,٠٠٠	افريقيا الشرقية	١٠٧,٠٧٦,٨٠٤	(المجموع كله)

فمجموع عدد المسلمين في المملكة البريطانية يزيد على ١٠٧ ملايين نفس وعلى تقدير مجموع الرعايا الخاضعين لانكلترا من كل الاديان ٣٦٣ مليوناً تكون نسبة المسلمين منهم الى غير المسلمين كنسبة ٢٩ الى مئة . واذا اعتبرنا عدد المسلمين في كل العالم ٢١٥ مليوناً وهو تقدير كوربت المذكور كان نحو نصفهم تحت سيطرة بريطانيا العظمى

الشيعيون في العالم

(حلفا) ١٠ ص ٠

ما هو عدد المسلمين الشيعيين في العالم

(الهلال) لم نطلع على أحصاء للشيعة ولا نظن أحداً وضع أحصاء في عددهم فاستقرجنا الجدول الآتي من بعض المصادر التي نظنها اقرب الى الصواب حتى نتوفق الى ما هو اوثق منها وأدق :

٢٠,٠٠٠,٠٠٠	في الهند الانكليزية	١,٥٠٠,٠٠٠	في روسيا اسيا
٤,٠٠٠,٠٠٠	« « غير الانكليزية	٢,٥٠٠,٠٠٠	« داغستان
١,٠٠٠,٠٠٠	« بلاد الافغان	٨,٥٠٠,٠٠٠	« بلاد فارس
١,٠٠٠,٠٠٠	« بخارا	١,٠٠٠,٠٠٠	« العراق وما يجاوره
٤٠٠,٠٠٠	« خيوا	٣٨,٠٠٠,٠٠٠	(المجموع)

باب الأخبار العلمية

(حريق مكتبة تورين) في تورين بايطاليا مكتبة نفيسة تأسست سنة ١٧٢٠ وما زالوا من ذلك الحين يجمعون اليها الكتب المطبوعة والخطية حتى بلغ عدد كتبها نحو ٢٥٥,٠٠٠ مجلد في جملتها ٤,١٦٤ كتاباً خطياً اكثرها نادر الوجود و بعضها فريدٌ لا مثيل له في كل العالم و بينها كثير من المسودات الخطية العربية والعبرانية والسريانية . غير ما في المكتبة من الصفائح النحاسية المنقوشة وغيرها من الآثار الخطية القديمة . فالمكتبة المذكورة اصيبت بحريق هائل تكاتفوا على اطفائه فتمكنوا من ذلك ولكن قسماً عظيماً من الكتب ضاع بين الماء والنار وفي جملة ذلك نحو ثلاثة آلاف مجلد من الكتب الخطية . فوقع الرعب في قلوب مديري المكاتب العمومية في سائر مدن أوربا فطلب بعض نواب فرنسا من حكومتهم أن تخصص لمكاتبها الكبرى أموالاً ينفقونها في تصوير الصحف الخطية النادرة أو الوحيدة خوفاً من ضياعها في مثل هذا الحريق . فعسى أن تفعل الحكومة المصرية مثل ذلك بالمكتبة الخديوية فقد كفانا ما فقدناه من المؤلفات العربية في العصور الماضية

(تأثير أشعة الراديوم في سم الحية) جرب الموسيو فيسالكس في المتحف الفرنساوي تأثير أشعة الراديوم على محلول سم الحية فأرسلها فيه نحـو ٥٨ ساعة متوالية فضعف فعل السام كثيراً حتى حقنوا به حيواناً تحت الجلد فلم يؤثر فيه شيئاً

(أشعة ن والطب) ذكرنا بعض خصائص هذه الاشعة بالنظر الى اعمال الحياة وسميناها أشعة حيوية وتنبأنا بخير جزيل سيترتب على موالاة البحث فيها . وقد علمنا ان العلماء عاملون في البحث والتجربة وقرأنا ان الدكتور بالت أحد أساتذة مدرسة باريس امتحن ظواهر هذه الاشعة في الامراض العصبية فوجدها

ضعيفة في الاحوال العصبية التي يصحبها شلل العضلات القابضة وقوية في الشلل النصفي . والفرق المذكور يساعد على تعيين العلاج اللازم في كلا الحالتين

﴿ معالجة السرطان بالمصل ﴾ يشتغل الدكتور دواين في معالجة داء السرطان بمصل يصطنعه من مكروب وجده فيه كما يصطنعون المصل في سائر الامراض المكروبية

﴿ تذويب الجليد بالكهربائية ﴾ ان البحار في المنطقة الباردة يجمد ماؤها وخصوصاً في فصل الشتاء فتبطل الملاحة وتحبس السفن في اماكنها . ولا يخفى ما في ذلك من الاضرار بالتجارة وغيرها ولذلك فقد عني العلماء في استنباط طريقة لملافاة هذا الضرر . وأحدث تلك الطرق استخدام الكهربائية في اذابة الجليد بقساطر يرسل فيها مجرى كهربائي متوسط القوة — كذلك يفعل أهل كندا

﴿ تصلب الشرايين ﴾ هو مرض مزمن يصيب الشيوخ وغيرهم من أهل الرخاء الذين يكثرون من الاطعمة المغذية ولا يتعبون ابدانهم بالرياضة البدنية وقد نفدت حيل الاطباء في التماس العلاج الشافي له . لكننا علمنا ان الدكتور دارسنفال رفع الى اكاذيمية الطب في باريس طريقة اكتشفها لمعالجة تصلب الشرايين بالكهربائية وقال انه جربها فوفت بالغرض المطلوب

﴿ المركبة الهوائية ﴾ لا يزال بعض طلاب الاختراع يسعون في اتقان المركبة الهوائية (البالون) حتى يسهل السفر بها وادارتها كما تدار سفن البحر بالدقة . وكثيراً ما انتهت مساعي بعض اولئك المجتهدين بالموت كما حدث بالامس لراكب المنطاد فاريول في برشلونة فانه غرق هو والمنطاد في البحر . على ان ذلك لم يكن ليثني العزائم عن موالاة التجربة . وفي مقدمة اولئك المخاطرين المسيو فواس فانه اعلن عزمه على عبور البحر المتوسط بالمنطاد وهو يستعد لذلك بركوبه على شواطئ ذلك البحر فيتنقل به من مدينة الى اخرى حتى اذا تحقق نجاحه طار به في عرض البحر

(السنة الرابعة من الهلال)

من يعثر على أحد الاعداد ١ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١٣ و ١٧ و ٢١ من السنة المذكورة يتكرم بارساله بالثمن وله الفضل

مطبوعات جديدة

﴿ الفرج بعد الشدة ﴾ هو من أفضل كتب الادب عند العرب تأليف القاضي أبي علي المحسن التنوخي من أهل القرن الرابع للهجرة جمع فيه ما جاء في الفرج بعد الشدة من الآيات والاحاديث والاخبار في مجلدين كبيرين. ولا يخفى ما ينطوي في خلال ذلك من الفوائد التاريخية والادبية. وقد ظل هذا الكتاب محجوباً عن أهل المطالعة حتى عني حضرة محمود أفندي رياض بنشره عن نسخة كانت محفوظة في مكتبة جدهِ بعد مقابلتها بنسخة الكتبخانة الخديوية. فطبعها في مطبعة الهلال وعني بتصحيحها الشيخ محمد الزهري الغمراوي. وقد صدر الجزء الاول منها في ١٨٨ صفحة كبيرة وهو يطلب من حضرة الناشر ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة قروش والبريد قرش

﴿ رجع ما انقطع ﴾ هو الجزء الثاني من رواية الفرسان الثلاثة تأليف اسكندر دوماس الكبير وتعريب المرحوم الشيخ نجيب الحداد وقد طبع بنفقة مكتبة ومطبعة المعارف. وفي شهرة هذه الرواية وشهرة مؤلفها ومعربها ما يغني عن الاطناب بها. وهي تطلب من مطبعة المعارف ومكتبة الهلال وثمن النسخة ستة قروش واجرة البريد قرش

﴿ مغائر الجن ﴾ هي رواية غرامية تاريخية تأليف نجيب أفندي أسعد جاويش تتضمن وصف أحوال ايطاليا الاجتماعية والسياسية في أواخر القرن الرابع عشر في ولاية الدوق جان غلياس ويسكونتي الكبير على ميلان. وقد طبعت هذه الرواية منذ بضعة عشر عاماً ونفدت طبعتها الاولى. فعني جرجي أفندي غرزوزي صاحب المكتبة الخديوية بالاسكندرية باعادة طبعها فصدرت الطبعة الثانية في مجلدين كبيرين وهي تطلب من حضرته ومن مكتبة الهلال وثمن الجزئين ١٥ قرشاً والبريد قرشان

﴿ كتاب دلائل الاعجاز ﴾ هو من أوثق كتب العرب في علم المعاني تأليف الامام عبد القاهر الجرجاني الشهير وقد صحح أصله الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية والشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي ووقف على تصحيح طبعه السيد محمد

رشيد رضا منشئ المنار الاسلامي فلا غرو بعد ذلك اذا جاء الكتاب في غاية الضبط لفظاً ومعنىً . وقد طبع على ورق جيل في مطبعة المنار فبلغت صفحاته ٤٠٨ صفحات كبيرة فنحث طلاب الادب على اقتنائه وهو يطلب من المطبعة المذكورة ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرون قرشاً واجرة البريد قرشان

(نفير الحرب) هي مجلة أسبوعية مصورة مختصة بحرب روسيا واليابان تصدر بمصر مساء الاحد من كل أسبوع لصاحبها عزتلو خليل بك صادق صاحب مكتبة ومطبعة الشعب . وتباع في المطبعة المذكورة وثمن النسخة خمسة مليمات . وهو مشروع مفيد لاحتوائه على أخبار الحرب وصور رجالها ومواقعها مما لا يعثر عليه مجموعاً في جريدة

(نجعة الرائد وشرعة الوارد) لرصيفنا الشيخ ابراهيم اليازجي صاحب الضياء كتاب بهذا الاسم في المترادف والمتوارد من الفاظ اللغة وقوالبها شرع في نشره ببيروت منذ بضعة عشر عاماً فطرأ على المطبعة حريق اودى بالمطبوع منه . ثم قدم الشيخ الى مصر واشتغل بالضياء وغيره عن استئناف الطبع والادباء يتقاضونه نشره فنبشر حضراتهم انه قد اعلن عزمه على ذلك في نشرة ضمنها مثالاً من الكتاب المذكور في « حسن المنظر وقبحه » وسيبلغ حجم الكتاب نحواً من الف صفحة بقطع الهلال تصدر في ثلاثة اجزاء مضبوطة بالشكل الصرفي واللغوي مع تفسير الغريب باصح تعاريفه . وتيسيراً لاقتنائه عرضه للاشتراك وقيمة النسخة تسعة فرنكات تدفع على ثلاثة اقساط متساوية . ولمن يشترك بعشر نسخ فما فوقها اسقاط خصوصي يختلف باختلاف عدد النسخ . وتنتهي مدة قبول الاشتراك في آخر هذا العام — فنحث الادباء وخصوصاً الكتاب على اقتنائه

(تحذير المسلمين من الاحاديث الموضوعة على سيد المرسلين) هو كتاب يدلُّ عنوانه على موضوعه ألفه الشيخ محمد البشير ظافر الازهري جمع فيه الاحاديث الموضوعة المشتهرة على الالسنة ورتبها على حروف المعجم وبين فساد روايتها . فهو أجمع كتاب في هذا الموضوع و يطلب من حضرة المؤلف

(الفلسفة اللغوية) تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة قروش والبريد قرش





بطرس الاكبر

اعظم قياصرة الروس — وعليه الدرع

الهلال

الجزء الخامس عشر من السنة الثانية عشرة

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٤ و١٥ صفر سنة ١٣٢٢

بطرس الاكبر

اعظم قياصرة الروس

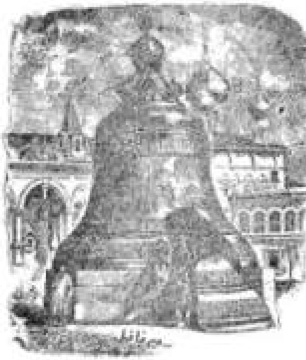
ولد سنة ١٦٧٢ وتولى سنة ١٦٨٢ وتوفي سنة ١٧٢٥

﴿ نسبه ﴾ يتصل نسب هذا القيصر بمخائيل رومانوف ابن المطران روستو فلاديت وكان لروستو هذا نفوذ وسطوة في روسيا وكان بوريس احد مغتصبي كرسي المملكة قد حمله على الترهب هو وزوجته كرهاً ثم تولى الملك ديمتريوس فأخرج روستو من السجن وانفذه سفيراً الى بولونيا فسجنوه هناك . وفي اثناء سجنه كانت روسيا في اضطراب والشعب ثائر على الحكومة واهل المطامع والمظالم يتنازعون السلطة حتى انف اشراف المملكة من ذلك فعقدوا جمعية سنة ١٦١٣ وانتخبوا مخائيل رومانوف المذكور ملكاً عليهم وهو لا يزال في الخامسة عشرة من عمره . فسعى اولاً في افتداء والده فافتداه ونصبه بطريركاً على روسيا فكانت الحكومة بالحقيقة لروستو وبالاسم لمخائيل . وتوفي مخائيل سنة ١٦٤٥ وخلفه ابنه الكسيس مخائيلوفتش وسنه ١٦ سنة وهو والد بطرس الاكبر . وكان الكسيس محباً للاصلاح فأدخل صناعة الاقمشة الى بلاده وبذل جهده في الاصلاح ولكن الاضطرابات الداخلية والفتن الاهلية حالت بينه وبين غرضه فتوفي سنة ١٦٧٧ وقد تزوج امرأتين ولد له من الاولى ذكران هما فيدور وايفان وست بنات ومن الثانية بطرس وناتاليا وقد اوصى بالملك لفيدور لانه اكبر اولاده

بطرس هو ابن القيصر الكسيس المذكور ولد في مدينة موسكو في ٣٠ مايو سنة ١٦٧٢ . توفي والده وهو في الخامسة من عمره فتولى المملكة اخوه الاكبر فيدور وكان فيدور ضعيف العزم والعزيمة لا يليق بالاحكام وكان اخوه ايفان مثله بالضعف فرض هذا واشتد عليه المرض فأوصى بالمملكة لبطرس وسنه عشر سنوات لعلمه ان ايفان لا يقوى على سياسة الملك لدمنه

وكان في جملة اخوات بطرس فتاة اسمها صوفيا وكانت ذات ذكاء ودهاء فلما رأت ايفان ضعيفاً وبطرس صغيراً طمعت بالسلطة فدخلت في الامر كمن يطالب بحقوق ايفان لانه اكبر منه . وكان في جملة الجند الروسي وجاق اشبه شيء بوجاق الانكشارية عند الدولة العلية يقال له وجاق الاسترلتس فاغرتهم صوفيا على التمرد فثاروا بدعوى تأخر مرتباتهم فأعطيت لهم مطاليبهم فادعوا سواها ولم ينفكوا حتى احملوا اسلحتهم في بلاط الملك فقتلوا بعضاً من اخوة بطرس واطبيه واجروا فظائع كثيرة تقشعر منها الابدان وانتهت تلك الدسائس باشتراك ايفان وبطرس في الاحكام تحت وصاية اختهما صوفيا وهذا ما كانت تسعى فيه هذه الداهية . وكان ذلك سنة ١٦٨٢ فصارت الاحكام اليها والحل والعقد بيدها ولكنها رأت بعد حين ان اخاها ايفان لا يصلح للملك فتخلت عنه واستبقت بطرس واستوزرت رجلاً يدعى الامير بازيل غالتزين وكان من اعقل الناس واقربهم الى الحكمة والتبصر وحسن التدبير فأول شيء وجه اليه انتباهه وجاق الاسترلتش لانه رأى من تمردهم واستبدادهم ما يخشى منه على قوام الدولة فاستخدم الحكمة والدراية في تشتيت شملهم وتفريق كلمتهم فرقهم في انحاء المملكة وهم لا يشعرون وتخلصت المملكة من شرهم (موقتاً) ولم يضطر في ذلك لسفك الدماء كما حصل في ابادة وجاق الانكشارية في الاستانة وجماعة المماليك في مصر

ثم رأت صوفيا ان اخاها بطرس يزداد نفوذاً في الرعية يوماً فيوماً فخافت ان يتمكن بعد قليل من نزع السلطة من يدها فاتحدت مع وزيرها على قتله فاستدعى هذا من كان لا يزال في موسكو من جماعة الاسترلتش واغراهم على قتل بطرس فعلم بطرس بالامر ففر الى دير يدعى دير الثالوث الاقدس وهو معد لحماية العائلة الملوكية ولما استقر به المقام هناك استدعى احزابه اليه وفيهم الجمسو يون وغيرهم من الغرباء وخطب فيهم يستحثهم على قتل اخته صوفيا لانها السبب الرئيسي لجميع هذه المتاعب



جرس ايفان فليكي بموسكو

هو اعظم اجراس الدنيا سقط من قبته لعظم ثقله وانكسر ولا يزال ملقى على الارض هناك وعلوه ثمانية امتار ومحيط فوهته ٢٤ متراً يمكن لعشرين شخصاً ان يجتمعوا تحته وعليه نقوش دينية

ففاز حزب بطرس وجيء بالوزير والملكة صوفيا الى ما بين يديه فعفا عنهما على ان تذهب صوفيا الى الدير كما كانت قبل الملك وان يبعد الوزير الى مدينة كرغا · وقتل جانباً من الاحزاب فخلا له الجو فعاد الى كرسي الملك وليس من يناظره عليه وكان ذلك من حسن حظ العالم الروسي لان بقاء هذا القيصر عليهم كان سبباً لرفعهم من حضيض الجهالة والهمجية الى افق التمدن والمعارف

وتزوج بطرس سنة ١٦٨٩ بابنة احد رعيته على مقتضى العادة التي كانت جارية عندهم اذ ذاك · وهي ان الملك اذا اراد التزوج جيء اليه بعدة من اجمل بنات المملكة فتتناولهن سيدة قصره وتضع كل واحدة منهن في غرفة على حدة ثم تأتي بهن وقت الطعام وتقف بهن حول المائدة فيأتي الملك متنكراً او غير متنكر فالتي تقع في عينيه موقعاً حسناً يخلع عليها خلعة العروس فتكون امرأته ويفرّق الواباً اخرى على البنات الاخريات

وكان بطرس يتقدم يوماً فيوماً في الاختبار والمعرفة وكان يعتقد ان مملكة انما اقرب

الممالك الى التمدن والعلم فدرس لغتها واللغة الفلمنكية • واما الاعمال الحربية فكانت افكاره متجهة فيها لمحاربة التتار وتفريق الاسترلتس تفريقاً تاماً وابادتهم • ففرق الاسترلتس وحارب التتار ولكنه لم يفز عليهم فوزاً تاماً • فترك الاعمال الحربية وعمد الى اصلاح المملكة فأخذ يدرب جنده على الفنون العسكرية وأتى ببناة السفن الحربية وبنى جانباً منها • ومما رغب رعيته في الطاعة انه كان اذا أمرهم بتعلم شيء بدأ هو بتعلمه قبلهم بل كان يعامل نفسه كافل واحد فيهم فاذا نظم جنداً دخل هو فيه بصفة ضارب الطبل او نفر عسكري وهي من الامور الغريبة التي لم يسبقه اليها أحد من الملوك ونظراً لخلو روسيا اذذاك ممن يحسنون التنظيمات العسكرية كان يستقدم اليه رجالاً من الدول الاخرى الاوروبية • وكان في جملة اعوان بطرس في هذه التنظيمات رجل ايطالي اسمه لوفورت وكان من اهل الحسب والحزم • فلما رأى مقاصد هذا القيصر تعهد له بتنظيم جند جديد على النمط الحديث الذي يريده ويكون له عوناً على وجاق الاسترلتس الذي كان الى ذلك العهد لا يزال عثرة في طريق الاصلاح كما كان وجاق الانكشارية في الاستانة فاذن له بذلك فنظم جنداً من الفرنساويين الهاربين من بلادهم وعددهم ١٢ الفاً فسرّ بطرس بذلك واقام لوفورت هذا قائداً عاماً عليهم

وكانت الحدود الروسية من جهة ممالك الصين غير متفق عليها فألف بطرس وفداً روسياً اجتمع بوفد صيني وقرروا الحدود ولم يعهد بالصين انها انفذت وفداً سياسياً قبل ذلك الحين لعقد اتفاق مع احدى الدول وكان وفد الروس تحت رئاسة غالوين حاكم مقاطعة سيبريا واصطحب الوفد الصيني قسيسين احدهما برتغالي اسمه بريرا والآخر فرنساوي اسمه جربلون وهما يعرفان اللغة الصينية واللاتينية وأتى غالوين برجل نمساوي يعرف اللسانين الروسي واللاتيني وكانت اللغة اللاتينية واسطة المخابرة بين هاتين الدولتين • فعينوا الحدود وعقدوا اتفاقاً باللغة اللاتينية ايضاً يقضي بالمسالمة بينهما وكان ذلك الاتفاق وسيلة لترويج المصالح الروسية في بلاد الصين فبعث القيصر سفيراً الى بلاد الصين فروج التجارية بين المملكتين

وفي سنة ١٦٩٥ حارب الدولة العلية وكان هو في جملة الجند المحارب ولكنه لم يفز ثم عاد الى الحرب سنة ١٦٩٦ ففتح قلعة ازوف

(اصلاحاته) ومن اهم اعمال هذا الرجل العظيم تكرره وطوافه في ممالك أوروبا لاكتساب الصنائع الحديثة فرحل الرحلة الاولى متنكراً بصفة خادم ومعه ثلاثة من

كبار قواده سنة ١٦٩٧ فساروا يجولون ويتفقدون احوال البلاد التي يمرون فيها وعينا بطرس تنظران الى كل شيء يرى فيه غرابة او اتقاناً ويقرر في ذهنه ان يدخل كل ذلك في مملكته حتى دخلوا برلين عاصمة بروسيا وهم في لباس اهل المشرق وعلى رؤوسهم القلانس المرصعة وسيوفهم مسترسلة على احقائهم ٠ وأما بطرس فكان لابساً على الزي النمسوي ومعه أمير بلباس فارسي وهناك افترقوا ثم اجتمعوا في امستردام وبطرس بزي قبطان فزار معملاً للسفن في قرية امستردام فاعجبه ما فيه من اجتهاد العمال واتقان صناعتهم ودقة ادواتهم فدخل في ذلك المعمل بصفة أحد الفعلة وتزيا بزيهم وعاش عيشتهم ٠ ولما اتقن صناعة السفن دخل معامل الحديد والحبال والمطاحن والمعاصر ومعامل الورق والاسلاك المعدنية ودعي اسمه في سجل الفعلة بطرس ميخائيل وكانوا ينادونه المعلم بطرس

ومن الغريب انه كان وهو في حالة الفعلة يلاحظ حالة بلاده ويبعث الاعلامات اليها أمراً او نهياً ٠ ودرس فوق هذه الصنائع فن التشريح وعمل عمليات جراحية

وبعد اتقانه كل هذه الفنون سار بصفته الملوكية لزيارة وليم ملك انكلترا فنال منه كل رعاية واكرام ثم عاد الى معمل السفن واصطنع فيه سفينة كبيرة بنفسه تحمل ستين مدفعاً ٠ وكان أثناء وجوده في المعامل ينتخب من يختبر مهارتهم في الصناعة ويبعث بهم الى موسكو ليعملوا هناك على نفقة حكومته ٠ وعاد مرة أخرى الى بلاد الانكليز واتقن فيها بعض الصنائع التي لم يتممها في امستردام واتقن هناك صناعة الساعات وغيرها

ويقال بالاجمال انه اتقن بسفرته هذه اكثر الصنائع والفنون ولا سيما صناعة السفن ودرس من العلوم شيئاً كثيراً كالطبيعيات والرياضيات وغيرها

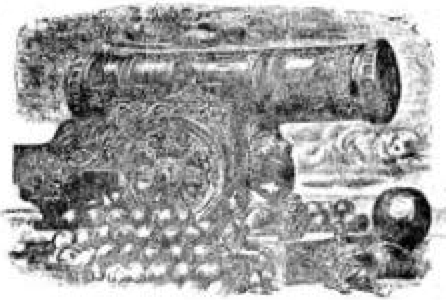
وفي سنة ١٦٩٨ برح انكلترا عائداً الى بلاده فمر ببلاد الفلمنك وصحب جانباً من أرباب الصنائع والحرف والمهندسين والطوبجية وسار بهم وفرقهم في اماكن مختلفة من بلاده لبث صنائعهم بين ظهراني رعيته ٠ ومر بطريقه على النمسا ليشاهد ما عندها من العلوم والمعارف العسكرية حتى لا تفوته فائتة وكان مع ذلك يراقب احوال ما يمر به من الدول سياسيا وأدبياً وتجارياً وكان في نيته ان يمرّ بالبندقية فجاءه نبأ عن فتنة ظهرت في بلاده فعاد اليها سراعاً واخمد تلك الفتنة بقتل جماعة من القسيسين والاسترلتس لانهم كانوا سبب ذلك العصيان

ولما هدأت الاحوال اخذ في تدريب جنده على النظام النمسوي والبسه اللابس

القصيرة على نمط واحد وجعل اساس نظام ذلك الجند المساواة بين الرفيع منهم والوضيع وأخذ من الجهة الثانية في انشاء القلاع والجسور والحصون واصلاح السفن ولم يقصر اصلاحه على الامور العسكرية ولكنه وضع قوانين ونظامات ادارية ومدنية ودينية وابطل الرهبنة القاضية بعدم الزواج فنضب عليه جماعة الاكليروس · وعكف على نشر فن الطباعة والمعارف والآداب لتنوير اذهان رعيته · وابطل عادة التحجب القاضية بان لا يرى الرجل زوجته الا بعد الاقتران بها وصار من يطلب زواج ابنة يعاشرها ويختبر اخلاقها قبلاً · وابطل الالقاب التبجيلية التي كانت تستعملها الرعية في مخاطبة ملوكهم وابدلها بكلمة (احد رعيتكم)

وكان مع انهماكه في هذه الاصطلاحات لا يغفل عن توطيد علائق المودة مع الدول المجاورة وفي مقدمتهن الدولة العلية فعقد معها معاهدة صلح عادت عليه بالنفع الجزيل

﴿ حروبه ﴾ ثم قامت الحرب بينه وبين اسوج ولم يلبث غير ان قتله لم يثبط عزيمته فعاد ثانية واوقد نار الوغى وعاد مكللاً بالظفر · وكان في جملة البلاد التي افتتحوها بلدة مريانبورغ على حدود ليفونيا استأسروا نساءها وكان في جملتهن ابنة اسمها كاترينا احبها بطرس بعد ذلك وتزوجها واصبحت بعد حين امبراطورة عظيمة حكمت مملكة روسيا عدة سنين وذاع صيتها في الآفاق



مدفع القيصر او قيصر المدافع من ايام بطرس الاكبر

ولما عاد بطرس من حرب الاسوجيين ظافراً عكف على اصلاح موسكو عاصمة بلاده

الى ذلك العهد واسس مدينة على اسمه سماها بطرسبورج وهي عاصمة الروسيين الى هذا اليوم

وعادت الحرب بينه وبين الاسوجيين عدة مرار كان الفوز في اغلبها له حتى استولى على اقليم انغريا وعاد الى موسكو ولم يستقر له المقام فيها حتى اضطر لمحاربة البولونيين ثم الاسوجيين وكان الفوز تارة لهذا الجانب وطوراً لذاك ولكن الاغلب للروسيين ٠ وكان من عواقب تلك الحروب اختلال العلائق الودية بين الروسيين والعثمانيين وقامت الحرب بين الفريقين سنة ١٧١١ واظهر بطرس في تلك الحرب شجاعة الابطال وكذلك امرأته كاترينا فانها كانت تركب امام الجند تشجعهم وتزور الجرحى وتشجعهم ولكن العثمانيين ضيقوا عليهم كثيراً وخصوصاً في موقعة البروث ولولا حكمة كاترينا وتدبيرها بعقد الصلح مع العثمانيين لما عاد من الروسيين مخبر ٠ ومن مقتضى تلك المعاهدة عود مدينة ازوف وما يلحق بها من الضواحي الى كنف الدولة وهدم عدة قلاع صغيرة واقعة على نهر ازوف ٠ ولما تم الصلح على هذه الصورة عاد كل من الفريقين الى حال سبيله

ولم يفارق السعد بطرس الا في محاربته الدولة العلية اما فيما خلا ذلك فكان السعد خادماً له وقلما قام لحرب الا عاد ظافراً وعلى الخصوص مع الاسوجيين

ولما هدأ بطرس من الحروب عزّ له ان يتجوّل في بلاد اوربا بصفته الملوكية يتفقد احوالها ويتدبر شؤونها فلما وصل امستردام سار تواً الى المعمل الذي تعلم فيه صناعة السفن منذ ١٨ سنة فاذا به قد تحسن عن حالته الاولى ٠ ولا تسل عما لاقاه هذا الامبراطور من الاحتفاء في تلك المدينة لانهم كانوا قد عرفوه قبلاً بصفة عامل في معاملهم وكان كلما زار مدينة لاقى احتفالاً يليق به ولا سيما في فرنسا وانكلترا ثم عاد الى بلاده

﴿ عدله ﴾ كان لبطرس ولد اسمه الكيكس من امرأته الاولى (غير كاترينا) وكان ذميم الاخلاق مسرفاً وقد تزوج بامرأة فاضلة ماتت ضحية قسوته عقيب ولادة فشق ذلك على بطرس فكتب اليه يوبخه وينهاه عن غيه ويهدده بحرمانه من ولاية العهد اذا لم يكف عن غروره ومما قاله له « اني امهلك فترة من الزمن لتقلع عما انت فيه فاذا اصررت على غيك فاني محرمك من حق الملك ولا يغرنك مني الحنو الابوي لاني ابذل نفسي عن وطني فكيف لا اضحي بولدي وخير لي ان اولي امر بلادي اجنبياً يصونه من ان اعهد به الى ولدي واعز الناس عندي ويهدمه لان شعبي ووطني اعز شيء عندي »

وكان قد ولد لبطرس في اثناء ذلك غلام من كاترينا فكتب اليه الكيكس انه

يتنازل عن ولاية العهد لولده الجديد فكتب اليه بطرس « قد اطلعت على كتابك فاذا انت تخاطبني في امر الولاية بعدي كاني استفتيك بها وقد قلت لك انه يهمني من امرك ما انت فيه من سوء التصرف وقد اوعزت اليك ان تنصرف عن ذلك فلم تجبني فقد كتبت اليك كتابي هذا وهو آخر كتبي اليك . فبالله ما الذي تفعله بامتي بعدي وانت تحتقرني في حياتي فلا اشك بانك تدوس كل مشروعاتي وتميت كل مقاصدي وانا اعلم انك لو وعدتني الوعود الوثيقة بعدولك عن غيك لا تلبث بعد موتي حتى تعود الى غوايتك اذ يعدل بك اصحاب اللحى (القسوس) الى اغراضهم ويحملونك على نقض ما ابرمته لانهم واثقون ان يفوزوا بواسطتك لما يرونه من ميلك الى مواساتهم فها قد علقت عمري ولم تطعني فيما اردت من الخير لبلادك منذ بلغت اشدك فالبدار الى اصلاح هذا الخلل واسع في ما تصير به اهلاً لولاية الملك بعدي والا فالانتظام في سلك الرهبنة اولى بك والاقامة بين الرهبان اقرب الى طباعك فعليك بالاجابة على هذا والا فاني اعاملك معاملة الاشرار المتمردين والسلام »

فاجابه الكسيس انه يفضل الترهب وعوّل على الفرار من وجه ابيه حتى يسكن غضبه فشق ذلك على بطرس ولكنه عمد الى التروي وطول الاناة وكتب الى ولده يستقدمه اليه وينصح له ان يطيعه فخاف الكسيس عقاب والده فجاءه في موسكو سنة ١٧١٨ وتقدم اليه وجثا عند ركبتيه وقبلهما ثم جلسا يتحادثان فظن الناس انهما تصالحا

وفي الصباح التالي امر بطرس بتسليح فرقة من الحرس وضرب الجرس الكبير وكان لا يامر بضربه الا لامر ذي بال وبعث الى اكابر الدولة واعيانها فحضروا الى دار الحكومة ثم امر بالكسيس فجاؤا به مجرّدًا من سلاحه فلما مثل بين يدي والده جثا امامه باكيًا ودفع اليه كتابًا يتضمن الاعتراف بخطائه والتماس اعفائه من ولاية العهد وحقن دمه

فامسكه الامبراطور بطرس بيده واوقفه ثم خلا به في غرفة مدة يسأله بعض الاسئلة ويهدّده بالقتل اذا لم يجب عليها الجواب الصريح ثم عاد به الى حيث المجلس منعقد وقرأ اعلانًا يتضمن مؤاخذته لعدم اعتنائه في التعلم وسوء سلوكه مع زوجته وميله الى فتاة من رعاع الناس وذهابه الى فينا ودخوله في حماية النمسا وقال انه بذلك هتك حرمته وخانه وبنى على ذلك استحقاقه القتل ولكنه يعفو عنه شفقة عليه واما ولاية العهد فحرمه منها رسميًا امام ذلك المجلس فاذعن الكسيس لذلك . ثم عاد بطرس فتفكر في عاقبة الامر فرأى ان وجود الكسيس حيًا بعد موته يكون سببًا لعوده الى التمرد ومناظرة اخيه على

الملك فتعود الفتن وتصبح البلاد في خطر السقوط فعاد الى استنطاقه ليستعلم منه عن الاحزاب التي كانت تنصره في اعماله الماضية وبعد البحث والتنقيب تبين للناس من اقراره انه كان مقاوماً لمقاصد ابيه ويود قتله والتولي مكانه وان بعض القسيسين وافقوه على ذلك. فوقف بطرس في الجمهور وقال ما ملخصه :

« ان الشرائع الالهية والقوانين البشرية تمنع افراد الرعية من الحكم على اولادهم اما نحن فلنا السلطة المطلقة في الحكم نظراً لما ظهر من اعمال ولدنا الكيس ولكن لما كان الطبيب الماهر لا يطبب نفسه بنفسه بل يدعو طبيباً آخر فاخشى تهوري في حكمي على ولدي هذا ولا سيما بعد ان اقسمت بالله ان اعفو عنه فاتقدم اليكم ان تحكموا عليه بمقتضى حقوق الدولة والامة والوطن ولا تسلكوا سبيل التملق »

فاجابه القسيسون ان هذه القضية ليست من متعلقاتهم وان للملك وحده حق الحكم ولكنهم ادخلوا في جوابهم هذا ما يدل على ميلهم الى العفو عنه . وبعد الاخذ والرد وتكرار جلسات المجلس مراراً اقروا على اعدام الكسيس وكان المجلس مؤلفاً من ٤٤ عضواً وارادت كاترينا التوسط في العفو عن قتله فلم يصغ بطرس الى كلامها

ولما صدر الحكم احضر ولده وقرأ صورة الحكم علانية على مسمع من الجميع وفي جملتهم الكسيس فاصابه تشنج غيبه عن هداه ولما فاق طلب مواجهة ابيه وبكى الاثنان بدموع الندامة والحنو وطلب الولد من ابيه فعفا عنه علانية ولكنه مات بحضور ذلك الديوان في اليوم الثاني من قراءة الحكم

ولم نأت على تفصيل هذه الحادثة بنوع خاص الا لانها تدل دلالة صريحة على عدالة بطرس وحبه لرعيته ورغبته في مصلحتهم حتى بذل ابنه الاكبر فداء عنهم . ولا ننكر ما في عمله هذا من القسوة والمغالاة في الصرامة ولكنه اوقع الرعب في قلب الرعية كافة وجعل العدالة تمثالاً حياً نصب اعينهم اما ولده الآخر فلم يعش الا اربع سنوات

﴿ وفاته وصفاته ﴾ ولما فرغ بطرس من حروبه وقد صفا له كأس الزمان واتسعت مملكته اراد ان يقاسم امرأته كاترينا في ذلك لانها شاركته في اكثر اعماله الحربية فتوّجها في ١٨ مايو سنة ١٧٢٤ فتذكرت وهم يضعون التاج على رأسها في الكنيسة ما وصلت اليه من النعم بعد ان كانت من احقر الناس فاحبت تقبيل ركبة القيصر فمنعها

وفي اول السنة التالية (١٧٢٥) اشتد المرض على بطرس ومات على ذراعي كاترينا ودفن بالهيبة والاكرام وخلفته هي على سرير الملك



بطرس الاكبر بلباسه الملكي

كان بطرس الاكبر ثابت العزم رابط الجاش حسن التبصر بالعواقب حازماً مجداً صبوراً على العمل هماماً نشيطاً وكان قوي البنية لطيف المزاج جميل الخلقة طويل القامة معتدلها ذا هيبة ووقار مقداماً لا يخشى المصاعب والاهوال ولو كان ممن تربوا تربية حسنة وتثقفوا في المدارس من صغره لاوصل بلاده الى اكمل مما اوصلها اليه ٠ وكان في زمن شبابه يحب اللهو ومعاشرة النساء وربما كان ذلك من اشد العوامل في تهذيب اخلاقه ولين جانبه ٠ وكان مع ذلك محباً للبحث في الامور العسكرية والمباحث السياسية ٠ وبالاجمال انه من اعظم بني الانسان في اطواره ٠ ومن غريب ما يحكى عنه انه كان في صغره يخاف ركوب البحار خوفاً شديداً ولكنه اصبح بعد يسير اول من خاطر في ركوبها عن خبرة وارتياح ٠ وخلاصة القول ان هذا الرجل مجتمع الغرائب فقد كان لوطنه امبراطوراً عظيماً ولرعيته اباً حنوناً ولحقوقهم قاضياً عادلاً ولجندهم قائداً عظيماً ولابنائهم معلماً ولصناعتهم مؤسساً ولدولتهم مصلحاً كبيراً

ويذكرون لبطرس الاكبر وصية تعرف باسمه دوّن فيها ما يريد من خلفائه على الملك ان يسعوا فيه ومن جملة ذلك « الاقتراب من الاستانة ومن بلاد الهند بقدر الامكان ومحاربة شاه العجم وامتلاك شواطىء البحر الاسود وبحر البلطيك » وغيرها

ومن اعماله التي لا تزال آثارها باقية الى الآن انه الغى منصب البطريرك من بلاده وذلك ان الروسيين تنصروا على يد بطريرك القسطنطينية كما ذكرنا في الهلال ١٣ من

هذه السنة وكان يتولى ادارة الكنيسة في روسيا اسقف يوليه البطريرك المذكور وظلوا على ذلك الى سنة ١٥٨٦ اذ تمكن الملك ثيودور بمساعدة البطريرك الانطاكي يومئذ من استمالة سائر البطاركة الشرقيين فوافقوه على انشاء بطريركية خامسة في روسيا . فانتخب البطريرك الروسي الاول سنة ١٥٨٩ واسمه ايوب . وما زال البطاركة يتوالون في روسيا حتى الغى ذلك المنصب بطرس الاكبر سنة ١٧٢١ لما رآه من تداخل البطاركة في السياسة واقام في مكانه مجمعاً دائماً (سينود) يقيم في بطرسبورج ولا يزال كذلك الى اليوم



الاميرال سكريدلوف

ولد سنة ١٨٤٤ فهو في الستين من عمره وقد انتظم في الحربية منذ شبابه ومهر فيها وشهد حرب الروسية الاخيرة مع الدولة العلية فابدى مهارة عظيمة فنال من القيصر وسام صليب القديس جورجيوس واشتهر من ذلك الحين وجعلت دولة الروس تعهد اليه في مهماتها وفي جملتها تسوية مسألة كريد الاخيرة فقد كان قائداً لاسطول الروس هناك . وتعين سنة ١٩٠١ اميرالاً لاسطول الباسيفيكي في اثناء حرب البوكسرس في الصين واظهر مهارة غريبة في تلك الحرب . فلما انتشبت الحرب الاخيرة في الشرق الاقصى عينه القيصر في السنة الماضية اميرالاً لاسطول البحر الاسود ثم جعله اميرال اسطول البحر البلطيك . حتى اذا اصاب الاميرال مكاروف ما اصابه استدعاه القيصر لقيادة اسطول الشرق الاقصى مكانه . وهو ربع القامة ممتلئ الجسم قوي البدن حاد المزاج قوي الارادة طلاب للعلى ويعد من خيرة رجال الروس

تاريخ علم الادب

عند الافرنج والعرب   لكاتب فاضل

٣٦ — هوكو والادب الفرنساوي

ولما ألف فيكتور هوكو رواية كرومويل التمثيلية سنة ١٨٢٧ وضع لها مقدمة بين فيها ما هو الاساس الذي انشأ عليه ابنية اوراقه وما هو أصل الشجرة التي اثمر فرعها فاكهة روايته . كما وضع المعري مقدمة للزوم ما لا يلزم وافتتحها بقوله « كان من سوالف الاقضية اني أنشأت ابنية اوراق توخيت فيها صدق الكلمة ونزهتها عن الكذب والميط » . ثم ذكر القواعد التي راعاها في تأليف هذا الكتاب وبين اللوازم التي تلزم القافية بدون أن يفتقر اليها حشو البيت وأتى لها بالامثال والشواهد المعتبرة من كلام الحكمة والموعظة الحسنة كما هو مفصل في بابه . فخلاصة مقدمة كرومويل :

ان الانسان منذ النشأة الاولى الى الزمان الحاضر تقلب باعتبار التمدن أي الحضارة والعمران في ثلاثة ادوار : (١) القرون الابتدائية (٢) القرون القديمة (٣) القرون الاخيرة . وحيث كان الشعر سابقاً على الاجتماع الانساني وملازماً له فقد تقلب معه أيضاً في ثلاثة أشكال :

(١) الشعر الموسيقي أي الغناء[1] (ليريك)

(٢) الشعر الحماسي أي الحماسة (اپيك)

(١) قد يتغنى المرء بالشعر الحماسي ايضاً . لان الغناء انما هو تلحين الشعر موسيقياً كان او حماسياً . ولكن الغالب في الغناء اظهار ما في نفس الانسان من الحس والشعور ولذا خصصناه هنا بالشعر الموسيقي الممتاز عن الشعر الحماسي بخاصته الشخصية وكتاب الاغاني ألفه ابو الفرج الاصفهاني مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المغنون للرشيد . ولكنه جامع لكل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء فهو ديوان العرب

(٣) الشعر الدراماتيقي أي الحالة (دراماتيك)

وذلك ان الانسان لما انتبه في القرون الابتدائية لعوالم الموجودات — وكانت قريبة عهد بالحدوث — انتبه معه الشعر · فانبهر من رؤية بدائع المخلوقات واسكرته الدهشة حتى لم يكن أول كلامه الا « هللة » · وكان تفكره تجلياً وجذباً وتصوره وحياً لقربه من موجد الكائنات وهو الله · فكان يناجي بقلبه ويهلل بلسانه كما يتنفس برئتيه · ولم يكن لعوده الا ثلاثة اوتار الخالق والنفس والمخلوقات.[1] غير أن هذا السر المثلث يشمل كل ما في الوجود · وكانت الارض مقفرة تقريباً وليس عليها من بني آدم الا بطون وفصائل ولم توجد بعد القبائل ولا الشعوب وكان لهم آباء لا ملوك · وكل عرق من عروق البشر متمتع بقاته ولا معرفة لافراده بالملكية ولا بالشريعة ولا بالخصومة ولا بالحرب · بل الكل لكل واحد والكل · فكان الاجتماع الانساني شركة لا شيء فيها يضايق أفراد الانسان · فكانوا يعيشون عيشة الرعاة والبداوة التي ابتدأ منها كل تمدن وعمران · وهذه المعيشة أوفق ما يكون لسانحات الفكر وهواجس القلب · فكانت نفس الانسان سائحة على جناح الاهواء · سابحة في بحر الخيالات وفكره اشبه بسحابة تسيرها الرياح وتغير شكلها ووجهتها بحسب مهبها · فهذا هو الانسان الاول · وهذا هو الشاعر الاول · فهو شاب وموسيقي · ودينه الصلاة بمناها اللغوي فقط وهو الدعاء وشعره الغناء · فهذا الشعر وهذا الغناء الذي للقرون الابتدائية هو « سفر التكوين »

ثم زال عن الانسانية هذا الشاب رويداً رويداً · واتسعت فيها جميع الدوائر · وصار البطن قبيلة والقبيلة شعباً وامة · واحتشد كل مجتمع من هذا الاجتماع الانساني العظيم حول مركز مشترك وتأسست الممالك · وحلت طبيعة العمران محل طبيعة البداوة · وتبدلت الخيام بالقصور ومحطات الرجال بالمدائن وتابوت العهد بالهيكل ·

---

(١) لا يخفى ان فيكتور هوكو جعل الف رواية كرومويل كان من حزب الملوكيين المتمسكين بالدين الكاثوليكي ولذا فهو يرى التثليث في كل امر ومسئلة

وأصبح رؤساء هذه الدول المتقدمة رعاة — المواشي — بل الشعوب والامم . وتبدلت عصا الرعاية بصولجان الملك . ووقف كل شيء وتعين . واخذ الدين شكلاً مخصوصاً وانقلبت الصلاة من المعنى اللغوي الى المعنى المصطلح عليه عند أهل كل مذهب . وتعينت أقوالها وأفعالها بحسب ذلك المذهب . وضرب الاعتقاد نطاقه على العبادة . وعلى هذا الوجه اقتسم الكاهن والملك أبوة الشعب . وعلى هذا الوجه قامت مقام الشركة الابوية الجمعية الثيوقراطية وهي الدولة الجامعة أحكامها بين الديانة والسياسة . وازدحمت الشعوب والامم على سطح الكرة فتضايقوا وتخاصموا واشتبت بينهم الحروب واصطدمت الممالك بعضها ببعض وطغى قوم على قوم فاوجب هذا الطغيان مهاجرة الشعوب والامم وتغربهم ورحلاتهم . وتصور الشعر هذه الوقائع العظيمة وانتقل بذلك من الافكار الى الاشياء وتغنى بالقرون والشعوب والممالك وصار حماسة وولد هوميروس . فهذا الشاعر في الحقيقة أحسن معرف للاجتماع الانساني في القرون القديمة . وكل ما في هذا الاجتماع بسيط وحماسي . والشعر عندهم دين والدين شريعة أي قانون . فبعد بكارة الدور الاول ظهرت طهارة الدور الثاني من ادوار الانسانية . واستولى نوع من الوقار والاحتشام على الاخلاق البيتية والاخلاق العمومية . ولم تحفظ الشعوب من عوائد بداوتها الاحرمة الغريب ورعاية ابن السبيل . وصار للعائلة وطن يربطها ونشأت محبة الوطن والدار وزيارة القبور . فالتعبير عن مثل هذا التمدن لايمكن ان يكون باشعار الحماسة . وتقلبت اشعار الحماسة في اشكال كثيرة بدون ان تضيع خاصتها المميزة لها . فاذا تأملنا كلام الشاعر اليوناني بندار وهو من أهل القرن الخامس قبل الميلاد والملقب بأمير الشعراء الغنائيين لجودة قريحته في الشعر الموسيقي نجد كلامه كهنوتياً اكثر مما هو أبوي وحماسياً اكثر مما هو موسيقي . وفي هذا الدور الثاني من أدوار العمران ظهر المؤرخون وجمعوا الآثار وأرخوا القرون ومع ذلك فظهور التاريخ لم يستلزم محو الشعر من الوجود بل استمر التاريخ حماسة وكان المؤرخ هيرودوس كأنه هوميروس ثان . ومن نظر في روايات التراجيديا القديمة التي الفها شعراء اليونان ومثلوها على

مراسحهم تبينت له جلياً أساليب شعر الحماسة ورأى علوهم في كل شيء وتجاوزهم الحد في العظمة والجبروت والهيبة والفخامة . فالاشخاص الممثلة في هذه الروايات هم من الجبارين وانصاف الآلهة والآلهة . ومواضيع الروايات احلام وهواتف ومقدرات والواحها تمداد نفوس وتشييع جنازات وحروب وغارات . وما كان ينشده الرواة من الاشعار كان يشدو به الممثلون . ففن التمثيل عند اليونان كان مقتصراً على هذا فقط . وكانوا يبنون مراسحهم على سفح الجبل بلا سقف يقي حر الشمس ومطر السماء وانما هي درجات بعضها فوق بعض على شكل نصف الدائرة المسمى عندهم (امفيثياتر) وموضع التمثيل على الارض في صحن المرسح وهو غاية في السعة والجسامة ويستوعب تمثيل معبد بغنائه وسراي بدوائرها وقصورها وابراجها ومدينة بأسواقها ومعسكر بهماته وكذا محل المتفرجين يستوعب ثلاثين الف متفرج . مع ان مراسح الاوروبيين لا تستوعب الاربعة آلاف . والمرسح الفرنساوي في باريس لا يستوعب الا ١,٤٠٠ ومرسح الاوبره فيها يستوعب ٢,٢٠٠ ومرسح الشاتله وهو اكبر المراسح في باريس يستوعب ٣,٦٠٠ وكان التمثيل عند اليونان يبتدىء في الصباح ولا ينتهي الا في المساء وربما مثل في المرة الواحدة روايتين او اكثر . وكان الممثلون يفخمون اصواتهم ويعظمون قياماتهم ويتبرقعون بالبراقع المناسبة للرواية حتى يحاكي الواحد منهم الجبار العنيد او البطل الصنديد الذي يمثل دوره . فيمثل برومثه بن تيتان وهو مقيد بالسلاسل فوق جبل قفقاس والنسر يأكل في احشائه . لانه صور من طين الارض على هيئة الانسان ثم أراد ان يأخذ من نار السماء او نورها لينفخ فيه الروح فأغضب الآلهة وجازاه كبيرهم بذلك الجزاء على ما اقترفت يداه . ويمثل أيضاً انتيغون وهي في أعلى الابراج تفتش عن أخيها الذي كان في معسكر الاعداء من الفينيقيين . وقد ذكر خبرها الشاعر سوفوقل في رواية نظمها قبل الميلاد بأربعمائة سنة وسماها (اديب الملك) ونسج على منوالها الشاعر الفرنساوي فولتير وسمى روايته الفرنساوية بهذا الاسم أيضاً . واديب هذا ابن ملك من ملوك اليونان قتل أباه وملك على قومه وتزوج بأمه بدون علم منه فلما وقف على حقيقة الامر لم يتحمل هذه المصيبة

فقلع عيني نفسه بيديه وخرج من ملكه هاجاً وابنته انتيغون تقود به . ويمثل الممثلون أيضاً على مراسح اليونان مركباً كبيراً ينزل منه خمسون أميرة بما يتبعهنّ من الخدم والحشم كما في الرواية التي ألفها الشاعر ايشيل قبل الميلاد بخمسة قرون . فكان يجتمع على مراسحهم فخامة البناء مع فخامة الكلام . ويمتزج التاريخ بالدين . وكان اول المضحكين عندهم من الكهان . وكانت العابهم احتفالات دينية ومواسم أهلية . فجميع الروايات الحزنة اليونانية هي من أشعار الحماسة . وجميع الشعراء المتقدمين عيال على هوميروس ورواياتهم مستنتجة من الالياذة والاوذيسة ومواضيع الجميع منها يعود الى محاصرة تروادة

٣٦ — الديانة المسيحية والادب

ثم أخذ هذا الدور الثاني من أدوار الشعر يتقلص و يتعتق كما تعتق العمران القديم . وجاء الرومانيون ونسجوا على منوال اليونانيين ونسخ شاعرهم فيرجيل عن هوميروس وانتهى دور الشعر الحماسي وفتح دور جديد للشعر والتمدن بظهور الديانة المسيحية . فالديانة الوثنية مادية ظاهرية والديانة المسيحية روحانية باطنية . فلما حلت احداهما محل الاخرى ودخل الايمان بالمسيح قلب التمدن القديم قتله ووضع في جنازته المتعفنة جرثومة التمدن الحديث وثبت بتعاليمه دعائم الاخلاق . واول حقيقة جاء بها هذا الدين هي القول بوجود حياتين للانسان . احداهما فانية والثانية خالدة . احداهما على الأرض والثانية في السماء . وأعلم الانسان بانه مركب من حيوانية ونطق اي من جسد ونفس . وأنه نقطة الفصل المشترك . وهو في علم الهندسة النقطة المشتركة بين خطين والخط المشترك بين سطحين والسطح المشترك بين جسمين . او بأنه الحلقة المشتركة بين سلسلتين من المخلوقات احداهما تتألف من الماديات والثانية من الروحانيات . احداهما تبتدي من الجماد وترتقي للانسان . والثانية تبتدى من الانسان وتصعد الى الله

وربما فقه بعض الحكماء المتقدمين شيئاً من هذه الحقائق ولكن أول من أوضحها وجلاها الانجيل الشريف . فأصحاب الديانة الوثنية خبطوا خبط عشواء وساروا في

ظلام الليل على غور هدى ولم يفرقوا في طريقهم بين الحق والباطل · والبعض من فلاسفتهم افاض من نبراس حكمته على الاشياء نوراً طفيفاً لم يغش منها الا الجانب الاصغر وزاد في الظل الممتد وراء جانبها الاكبر · فنشأ من ذلك جميع تلك الاشباح والخيالات التي وردت في فلسفة المتقدمين واساطيرهم · لان اضاءة تلك الاشياء بتمامها لا يتيسر الا بنور الحكمة الالهية · فلما جاء امر الله قام النور الالهي مقام هاتيك الانوار المرتعشة التي أتت بها الحكمة الانسانية · وكان فيثاغورس وبقراط وسقراط وافلاطون سرج الليل فجاء المسيح بن مريم (عليهما السلام) ضوءاً للنهار · فحيث كانت عبادة الاوثان ديانة مادية لم يخطر على بال الاقدمين التفريق بين الروح والجسد كما في الديانة المسيحية · بل اوجدوا شكلاً وهيئة لغير الماديات وشخصوا المعنويات · فكل شيء عندهم مرئي محسوس متجسد · وآلهتهم مفتقرون لسحابة يختفون فيها عن الابصار · فهم يأكلون و يشربون وينامون · وتصيبهم الجراح فتسيل منهم الدماء · ويلقى بهم من السماء الى الارض فيتحطمون كما حدث لفولكين اله النار حينما حملت به أمه من (جوبيتر) المشتري كبير الآلهة ووضعته في أشنع صورة فاستنكفت منه ان يكون ابنها ورمت به الى الارض فهبط على جزيرة لمين من جزر الممالك العثمانية وانكسرت رجله · وذهب لبركان اتنا ووضع فيه كور الحديد · فهو يعرج من وقعته و يشتغل في صنعته ابد الابدين ودهر الداهرين · ومن هؤلاء المعبودات ما هم آلهة ومنهم ما هم أنصاف آلهة فقط · ودنياهم معلقة بسلسلة من الذهب يمسكها كبير الالهة · وشمسهم يجرها في مركبه اربع رؤوس من جياد الخيل · وجهنمهم هاوية عميقة يعين الجغرافيون موضعها على سطح الكرة · وجنتهم على جبل اوليمبوس في تساليا يسكنها الالهة ويتلذذون بنعيمها · فالديانة الوثنية مجنت جميع المفتريات من اساطيرها في طينة واحدة وصغرت آلهتها وكبرت اوادمها حتى تشابه الفاني بالحي الذي لا يموت · فالابطال الذين تكلم عنهم هوميروس في اشعاره كادوا يكونون أقراناً للمعبودين · فأبوا الفوارس اجاكس غضب على جوبيتر وهو راجع من محاربة تروادة واعلن الحرب عليه وعلى جماعته · واشيل عنترة الحروب

اليونانية يضاهي في القوة والشجاعة المريخ (مارس) اله الحرب وجلاد الفلك . بخلاف الدين المسيحي فانه فرق بين المادة والروح . وحفر واديا عميقاً بين الجسد والنفس ووادياً آخر بين الانسان والالهة . فبظهور النصرانية وبنشر تعاليمها دخل قلب الناس شعور جديد لم يكن معروفاً للمتقدمين واتسعت دائرة هذا الشعور عند المتأخرين اتساعاً غريباً . فهذا الشعور هو المالنخوليا اي السوداء وهي أشد من الوقار المستولي على قلوب القدماء وأخف من الحزن . فالنصرانية وضعت في طبع المتدينين بها المزاج السوداوي وجعلت الصلاة للفقير كالغنى للغني وأسست بين الناس المساواة والشفقة والحرية . فمنذ أدخل الانجيل النفس بين الحواس ووضع الخلود وراء الحياة اصبح المتمسكون به يرون الاشياء بشكل جديد



الجنرال كورباتكين

قائد جند الروس البري في الشرق الاقصى

الشعر واللغة

نبذة من مقدمة الالياذة للبستاني

قال ابو بكر الخوارزمي « من روى حوليات زهير واعتذارات النابغة وحماسيات عنترة واهاجي الحطيئة وهاشميات الكميت ونقائض جرير وخمريات ابي نواس وتشبيهات ابن المعتز وزهريات ابي العتاهية ومراثي ابي تمام ومدائح البحتري وروضيات الصنوبري ولطائف كشاجم ولم يخرج الى الشعر فلا اشبّ الله قرنه » وهو كما ترى قول متحمّس مولع بالشعر وقد انالته الفطرة منه حظاً وافراً . والاّ فالخروج الى الشعر متعذرٌ على من لم يكن ذلك في طبعه . على ان هذا القول صادقٌ على من كان الشعر في سجيته فان مطالعة نفيس الشعر تشحذ الذهن وتهذّب اللفظ وتجلو المعنى فتستقيم بذلك وجهة الشاعر المطبوع

واللغة العربية شعرية بطبعها لتفرّع مفرداتها وتنوُّع اشتقاقاتها القياسية على اسلوب لا يُرى له مثيل في اللغات الآرية . والقوافي مزدحمة فيها ازدحاماً يسهل النظم . وهي بخلاف ما يزعم بعض الاعاجم جزلة التركيب محكمة الانسجام . وفيها من طرق الحذف والتقدير والتقديم والتأخير ما يتفسح معه المجال للشاعر لصوغ عبارته على قوالب شتى . وتلك مزية تُمدح عليها اللغة في الشعر وان عيبت في النثر حيث يُقصد الجري على نمط واحد جليّ . وهي على الجملة متسعة للشعر اكثر منها للنثر . فشعرها منذ القديم ارفع طبقةً من معظم نثرها وجيده اسهل منالاً من جيد النثر حتى لقد تجد النثر شعراً في كثير من الاحوال

ولا شك ان الزمان قد طوى كثيراً من الفاظها الوضعية . ولكن ما بقي منها فوق حاجة الشعراء لتأدية المعاني الفطرية والافكار البديهية والاوصاف الخلقية والحقائق الحِكَمية وسائر ما توخى تدوينه قدماء الشعراء كهوميروس وفنداروس وفرجيليوس وهوراس . فهي بهذا المعنى لا تقصر بشيء عن لغة الالياذة اليونانية المشهورة بجزالة تركيبها ورقتها وانسجامها واحكام وضع المفردات فيها

ولا ترجح اليونانية على العربية الا باتساعها لمشاكلة الالفاظ للمعاني وتوفر اسباب النحت فيها لصوغ الالفاظ المركبة . وفي ما سوى ذلك لا اخال لها رجحاناً بل ترجح العربية في اتساع المفردات وتشعُّب طرق التركيب والخروج بقياس الاشتقاقات الى ما لا نهاية له من المعاني

ولقد بدا لي اثناء التعريب من ثروة العربية في الالفاظ الوضعية القديمة ما اغناني عن الانحراف بالمعنى على نحو ما اضطرَّ اليه بعض نقلة الافرنج على ما تقدم في الفصل السابق . ورأيت من المماثلة بين اللغتين في دقة الوضع ما يدهش له الناظم والناثر . وبيان ذلك ان العرب لم يغفلوا وضع شيء من الالفاظ الدالة على جميع مطالعاتهم ومحسوساتهم حتى اصبحت مفردات اللغة في زمنهم رابيةً على حاجة التعبير ولا سيما في الحسيات . وما هذا النقص البادي الآن في إحكام التعبير وخصوصاً في المعنويات الا نتيجة اهمال الخلف اقتفاء آثار السلف

وهو معلومٌ ان الالياذة نُظمت في زمنٍ كانت احوال المعاش فيه قريبة لاحواله بين قدماء العرب . ولهذا كان على المعرِّب ان يقابل معانيها بما رادفها من لغة العرب بلا انحرافٍ ولا تأويل واللغة متسعة لذلك . فاذا وصف الناظم السلاح وهو سلاح العرب في الجاهلية بل الناظم الدلالة على كل ما قال من الشكة اي السلاح الكامل الى الخنجر . فلا يعدم الناقل وسيلةً للتعبير عن كل ما ذكر من السيوف والمدى ومناصلها واغمادها . والرماح والزِّجاج وكعوبها واسنتها وصعادها . والدِّلاص والابدان والدروع وحلقها وزردها وقتيرها . والخوذ والترائك والمغافر وبيضها وقوانسها وعذباتها . والتروس والجواشن وحرابيها وحمائلها وهدّابها . والقسيّ وما لازمها من النبل المقذَّذ والسهم المريش والوتر والفوق والفرض والسرية والنيزك . وسائر ما أُهمل او كاد يُهمل من معدَّات الهجوم والدفاع كالقاس والخذفة والنعأيس — واذا اتى على ذكر الخيل فما من لغةٍ اوسع من العربية بأوصافها وتمثيل عَدْوها وجريها وتطبيقها وتقريبها وحُضرها وارتفاعها — واذا ذكر الحروب وعليها مدار الالياذة فلم تتفنن امةٌ فوق العرب بوصف القتال والنزال والمجاولة والمصاولة والمشق والرشق والحذف والقذف والماصعة والنفح بالمناصل والضرب بالمعاول والوخز بالعوامل . وقس على ذلك جميع ما تناول وصف الاحوال المعاشية والروابط القومية والاحكام العرفية والمناظر الطبيعية من وهادٍ وهضابٍ ومطرٍ وسحابٍ وبحرٍ وبرٍّ وزرعٍ وضرعٍ وماءٍ وهواءٍ وارضٍ وسماء . — بل قد تجد خزانة العربية اجمع وثروتها اوسع بما حوت من الالفاظ المفردة التي لا يعبر عنها في لغات الاعاجم الاَّ بعبارات . واني موردٌ لك الآن امثلةً مما عُبر عنه في اليونانية بكلمتين فأكثر ويتيسر ردُّه في النقل العربي الى كلمةٍ واحدة في الافعال والاوصاف والموصوفات . ذلك كالسَّلهب للجواد الطويل . والاجيد للجواد الطويل العنق . والاجرد للفرس القصير

الشعر · والقبّ للخيل الضامرة والقباديد للخيل الطويلة · والتبيع والتبيعة لولد البقر لحولٍ واحدٍ والحوليّ لابن سنة من ذوات الحوافر وغيرها · والسديس للذي اتمّ خمس سنين والجبهاء العريضة الجبهة · والاكبس لمن اقبلت جبهته وادبرت هامته من الناس · والطّحور للقوس البعيدة المرى · والزّجاج والمطارد للرماح القصيرة · والثلة لجماعة الغنم والمعز · والرّعيل للقطعة من الخيل · والصوار لقطيع البقر · والسبيع لخرز العنق من الكاهل والوتيرة لما بين المنخرين · والبأديل اللحم بين الابط والثندوة او لحم الثدي · وصرّح بمعنى رمى ولم يصب وامثال ذلك مما سترى منه في الالياذة شيئاً كثيراً

ومن جميل المشاكلة بين اليونانية والعربية في الاصل والتعريب على نمطٍ واحدٍ جري بعض الالفاظ مجرىً واحداً باللغتين في الحقيقة والمجاز · فمن ذلك ما تشترك فيه معهما لغاتٌ كثيرة كاطلاق لفظة (γεροντες) الشيوخ بطريق المجاز على الزعماء وكبار القوم · ومنه ما لا يكاد يتعدّاهما الى غيرهما كاستعمال لفظة (خيتي) (χαιτη) الشعر وورق الشجر ويقابلها الفرع بالعربية

وبين اليونانية والعربية فرقٌ كبيرٌ في نسج العبارات وتركيب الجمل من حيث التقديم والتاخير وصيغ الاشتقاق والجموع والحروف والنعت وتركيب الاسماء ولكن نهج كل لغة حسنٌ في بابه واسباب الفصاحة متيسرة لابناء كل لغة اذا احكموا الرصف على نهجهم

ولكن للعربية مزيتين في مفرداتها تقصر اليونانية وسائر اللغات عن مجاراتها فيها · وهما كثرة المترادفات في الالفاظ الدالة على المعنى الواحد وتعدد المعاني للفظة الواحدة · فقد ذكروا عشراتٍ ومئاتٍ من الالفاظ الموضوعة لمسميات معينة من الحيوان كالاسد والحية والبعير والناقة والفرس والثور والكلب والهرّ · والمأكولات كالتمر واللبن والعسل · والمشروبات كالماء والخمر · والسلاح كالسيف والرمح · والصفات كالطويل والقصير والكبير والصغير والشجاع والجبان والكريم والبخيل · وغير ذلك من مألوفهم كالنور والظلام والشمس والقمر والسحاب والمطر والتراب والحجر · ولهم مثل ذلك في الافعال · فقد عدّ احدهم اكثر من الف فعل يمكن اطلاقها على معنى واحد · ويقابل ذلك تعدد معاني اللفظ الواحد فاذا تصفحت معاجم اللغة وقرأت باب الخال والخال والعين والعجوز وامثالها تولاّك العجب لكثرة معاني كل كلمة منها

ولقد يعلم اللبيب ان كل تلك المترادفات لم توضع في اللغة على نية الوضع بل وقع ذلك اتفاقاً : إما لمنقولٍ عن الاعاجم · واما لاختلاف المدلولات في لغات القبائل المتباعدة · واما للمح صفة مقصودة يتغير بها المعنى تغيراً طفيفاً لا يُشعر به لوحدة المسمى · فالخمرة

مثلاً انما سميت كذلك لاختيار موادها فاذا قيل الراح لمح الى الروح والارتياح · او الرحيق نُظر الى صفائها وطيب رائحتها · او السلسبيل قصدت سهولة مساغها ولطف جرْيها · ولكن هذه المميزات فُقدت في الاستعمال واصبحت المترادفات متشابهة يقوم كلٌّ منها مقام الآخر مع انه لا يوجد في الاصل ترادفٌ تامٌّ في مفردات اللغة الا في ما صدر عن لغتين لقبيلتين مختلفتين كالليث والورد للاسد او نُقل من لغة الاعاجم الى العربية مع بقاء اللفظ العربي فيها كالليثا من اليونانية للفرضة البحرية

وان للناظم فائدةً من هذا الاتساع اذ يتيسر له ان يلتقط من هذه المترادفات ما يوافق بحره وقافيته · فقد اتفق لي اثناء التعريب ان استعملت كثيراً من اسماء الاسد كالليث والغضنفر والضرغام والقسورة والهزبر والورد والضيغم · ولكن هذه الفائدة لا تذكر في جنب ما يلقيه هذا التراكم من العثرات في سبيل المنشيء الناثر والطالب الراغب في الاحاطة باوابد اللغة وشواردها · حتى لقد يرتبك بها الشاعر في بعض الاحوال · ومن ذا الذي تحدثه الدعوى الى زعم الالمام بجميع هذه المترادفات بل اي حافظة تعي خمسمئة اسم للاسد ومئتين للحية ومئتين وخمسين للناقة · وما عسى ان تكون الجدوى من وجود اربعمئة اسم للداهية · ونعم القول قول الثعالبي «ان تكاثر اسماء الدواهي من الدواهي» · فامثال هذه المترادفات عبءٌ ثقيل على كاهل اللغة · فانما يحسن حفظها في مطوّلات المعاجم المرجوع اليها في استجلاء غوامض الكلام والشعر القديم ضناً بذلك الذخر الثمين ان يتشتت وتذروه عوامل الغموض والنسيان · ولكنه لا يجدر بالطلاّب والكتاب ان يتشبثوا بوحشيها ويهملها لئلا تستغلق عبارتهم وتجهد قريحتهم على غير جدوى فيتعبون ويتعبون ويثقل روحهم على روح المطالع

وقد جرت العرب منذ القديم عادة حميدة في مجاراة الزمان وسنن الطبيعة واهمال ما تقادم العهد على نبذه · فكانوا يتحاشون في شعرهم ونثرهم ايراد الالفاظ المهملة في عصرهم · وفي روايات الاصمعي كثيرٌ من كلام الاعراب المتوغلين في البداوة مما لم يكن يفهمه اهل زمانه لاهمال النطق به والعدول عنه الى مرادف اسهل واحلى · وايضاً فانهم لم يكونوا يكثرون من استعمال الالفاظ الدالة على معاني مختلفة الا في ما شاع من معانيها مطّرحين ما غمض منها او احتاج الى تأويل · ولهذا كان شعر المولدين اقرب مما سواه الى فهمنا لقرب عهده منا وخلوه من كثير من غوامض الكلام · ويتلوه شعر المخضرمين ثم شعر الجاهليين · فحسبنا ان نتبع خطتهم فنبلغ بالنظر الى عصرنا ما بلغوا بالنسبة الى عصرهم فيسقط ما قضى عليه الزمن بالسقوط ويبقى ما صلح للبقاء

باب السؤال والاقتراح

الخصيان

﴿ سان لويس · ارجنتين ﴾ ر · و · أرايو من موظفي الحكومة
(ورد علينا السؤال الآتي باللغة الاسبانية وهذا فحواه بالعربية)

اكد لي بعض ابناء وطنكم ان الهلال يجيب على اي سؤال في اية لغة كانت فارجو الافادة عن معنى كلمة (Eunuco) (خصي) وسبب دلالتها في اللغات الافرنجية على الخصيان · وقد بلغنا ان الخصيان عديدون في قصر سلطان تركيا فهل ذلك صحيح وما هو اصل هذه العادة ومتى بدأت ومن اين يأتون بالخصيان وما هو تاريخهم · ولماذا يسمون اورشليم المدينة المقدسة

﴿ الهلال ﴾ نشرنا في الهلال الثاني من هذه السنة مقالة وافية في تاريخ الخصيان في الامم القديمة والحديثة وخصوصاً عند المسلمين فلتراجع هناك · ونكتفي هنا بالبحث عن اصل تسميتهم بالاسماء المعروفة في اللغات المشهورة مع ما يدل عليه ذلك من تاريخ احوالهم ومنزلتهم عند سائر الامم على اختلاف العصور لان الادلة اللغوية اصدق الآثار التاريخية وخصوصاً قبل زمن التاريخ فنقول :

يعبر اليهود عن الخصي بلفظ سريس סריס ومعناها عندهم « الخصي والسيد والقائد والحارس ورب المجلس » ويدل ذلك على منزلة الخصيان في اعتبارهم كما شاهدوهم في مصر على ايام الفراعنة لان المصريين القدماء كانوا يعبرون بلفظ الخصي بلسانهم عن ارباب المجالس في الحكومة — وسريس لفظ سامي لا يزال باقياً بلفظه ومعناه في العبرانية والعربية والسريانية وهو يدل في العربية على « العنين او الذي لا يأتي النساء او من لا يولد له والفحل لا يلقح والضعيف والكيس الحافظ لما في يده » فترى في معناه الاخير ما يلمح فيه معنى الخدمة في المنازل · واما في السريانية فاللفظ المذكور يدل على الخصي فقط بمعناه الحقيقي · على ان العرب والسريان اهملوا اللفظ المشترك واتخذت كل امة لفظاً آخر للدلالة على ذلك المعنى فاستعمل العرب « خصي » وهي مشتقة من العملية التي يخصون

بها الغلمان . وقد يتبادر الى الذهن انها مبدلة من « كوشي » اي حبشي او زنجي لان الخصيان يؤخذون في الغالب من السود . وعبَّر السريان عن الخصي بلفظ مشتق من ܗܝܡܢ اي آمن به وصدقه واركن اليه ومنها ܡܗܝܡܢܐ مهيمنا (الامين او قيم القصر او القهرمان والقيام بادارة شؤون القصور من اهم اعمال الخصيان بل هي الخدم وظائفهم

واما اللغات الافرنجية فاللفظ الدال على الخصي فيها متشابه يرجع الى Eunuch وهو لفظ يوناني εὐνοῦχος منحوت من جملة يونانية هذا نصها οἱ τὴν εὐνὴν ἔχοντες ومعناها « الذي ينظر في غرف النوم » اي القيم او القهرمان

وفي التركية يسمون الخصي « اغا » ومعناها في الاصل السيد والاخ الكبير ولعلها مقلوبة عن « اقا » في الفارسية اي السيد والشريف ويدلُّ هذا على نفوذ الخصيان وسمو منزلتهم في الدول التركية والفارسية

واما تسمية اورشليم بالمدينة المقدسة فرجعها الى منزلة هذه المدينة عند اليهود لانها اقدس المدن عندهم . وهم الذين سموها بهذا الاسم وعنهم اخذ العرب فسموها بيت المقدس او البيت المقدس وقد يريدون به القبر المقدس فقط

الوسامات بعد موت أصحابها

(الاسكندرية) فهيم افندي الياضي بقومبانية مبدانه

اذا مات أحد حملة الوسامات (النياشين) هل تبقى وساماته عند ورثته أم ترجع الى الدولة التي وهبتها .

(الهلال) العادة في النياشين التي تهبها الملوك او الحكومات ان تكون ملكاً لصاحبها يتركه لاهله تذكاراً ولا يجوز لاحدهم ان يتقلده . الا الدولة العثمانية فانها تسترجع نياشينها بعد موت أصحابها بدعوى انها انما أعطيت علامة شرف لشخص معلوم فلا يجوز ان تترك في جملة المتروكات لئلاَّ تباع او تهان . ولا نظن ذلك يجري على غير مستخدميها لانه ليس قانوناً مكتوباً . على ان بعض وسامات الدولة العلية يعطى على ان يكون ارثاً في عائلة حامله كنيشان « الافتخار » الذي وضعه المرحوم

السلطان عبد المجيد فانه اذا خلع على أحد بقي في عائلته وكان لها حق التصرف به ويطلب ان تسترجعه الدولة بعد ان تدفع قيمته للورثة او تصرح لهم بنزع الاحجار الكريمة عنه وارجاع ما بقي .

ومن عادة الدولة من هذا القبيل انه اذا أحرز أحدهم وساماً ثم أنعم عليه بوسام آخر من نفس النوع ولكنه أرفع منه درجة او درجات فعليه ان يرجع الوسام القديم ويأخذ الجديد فاذا كان أحدهم حائزاً الوسام المجيدي الرابع مثلاً وأنعم عليه بالمجيدي الثاني فعليه ارجاع القديم واستلام الجديد واما اذا أنعم عليه بالوسام العثماني وكان حائزاً المجيدي او بالعكس فلا يرجع شيئاً

البخر — رائحة الفم

(شبراخيت) محمد افندي قنديل وكيل التلغراف

لي صديق كريه رائحة الفم منذ عشر سنوات وقد أعيته الحيل في معالجته وقد قيل له ان السبب في ذلك مرض في الانف فما قولكم وهل من علاج لذلك .

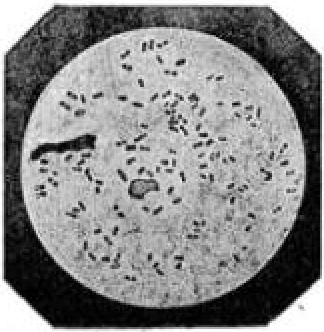
(الهلال) لرائحة الفم الكريهة أسباب كثيرة ذكرناها في الهلال العشرين من السنة الرابعة وقد يكون سببها مرض في الانف يقال له في اصطلاح الاطباء (اوزينا) يصيب الغشاء المخاطي المبطن للانف فتتساقط منه قشور دقيقة وتتصاعد عنه رائحة كريهة تظهر انها خارجة من الفم لاستطراق بينهما . وأما العلاج فيختلف باختلاف سبب العلة ولا بد من مشورة طبيب ماهر

الطاعون — تاريخ ظهوره

(ترزينا — البرازيل) الياس افندي ابو مشرق

أي متى ظهر الطاعون لاول مرة وفي أي مدينة ومن اكتشف مكروبه

﴿ الهلال ﴾ الطاعون ويسميه بعض الافرنج الموت الاسود او الوباء الشرقي او الوباء الهندي ويسميه عامة أهل الشام (صوابٍ) ويسميه المصريون (الكبة) هو داء فتاك شديد الوطأة ويؤخذ من المصادر التاريخية القديمة انه قديم جداً فأول مرة ذكرت فيه اعراضه في القرن الخامس عشر قبل الميلاد كما يؤخذ من نص الاصحاح التاسع وما بعده من سفر الخروج فقد قيل هناك انه ضرب الطبابه في مصر (سنة ١٤٩١ ق م) ولكنه ظهر ظهوراً عاماً بعد ذلك سنة ٧٦٧ ق م فعمّ سائر أقطار المسكونة ثم ظهر سنة ٤٥٣ ق م في رومية العظمى فتك فيها فتكاً ذريعاً ثم ظهر في أثينا سنة ٤٣٠ ق م وامتد منها الى مصر والحبشة . ثم ظهر في الارخبيل اليوناني ومصر وسوريا سنة ١٨٧ ق م واشتد حتى كان يميت الفي نفس في كل يوم



ميكروب الطاعون

أما ميكروبه فقد اكتشفه اثنان في وقت واحد سنة ١٨٩٤ أحدهما الدكتور يرسين الفرنساوي والآخر الدكتور كيتازاتو اليابانى وشكل هذا الميكروب قصير طرفاه مستديران يتلون بألوان الانيلين فيتشبع طرفاه من الصبغ اكثر مما يتشبع وسطه وقد لا يتلون وسطه . واذا غمس في محلول يودور البوتاسيوم فيه شيء من اليود ثم غسل

بالكحول زال اللون منه تماماً خلافاً لغيره من أنواع الميكروب . وينبت ميكروب الطاعون عادة في المرق والجلاتين ونحوهما مما ينبت فيه الميكروبات الاخرى . ومن أهم خصائصه التي تبنى عليها وسائل الوقاية منه انه لا ينتقل بالماء ولا يطير في الهواء كغيره من ميكروبات الاوبئة الاخرى

مطبوعات جديدة

﴿ أشهر مشاهير الاسلام ﴾ صدر الجزء الثالث من هذا الكتاب لحضرة مؤلفه صديقنا رفيق بك العظم وفي شهرة الكاتب ورواج الجزئين السابقين ما يغنينا عن الاطناب في هذا الجزء وان لم يسعنا غير التصريح بمزية هذا التأليف النفيس على سائر ما ظهر من أمثاله في العربية لسلامة ذوق مؤلفه وتوخيه ما يلائم هذا العصر من ترتيب المواضيع وتبويبها وتمحيص الحقائق بالمقابلة والمراجعة والقياس الصحيح على غير المألوف في مؤلفات القدماء . فضلاً عما يبديه من الملاحظات العمرانية او السياسية او الملية في عرض الكلام

وموضوع هذا الجزء سيرة رجال عمر بن الخطاب وهم ابو عبيدة ابن الجراح وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص فقد ذكر نسب كل منهم وحاله في الجاهلية والاسلام وسيرته في قومه واسلامه وصحبته وحروبه وفتوحه وخطبه وأخلاقه وسيرته الى وفاته وكل ذلك بالتدقيق والاسهاب . ولذلك استغرقت ترجمة هؤلاء الثلاثة الجزء الثامن كله وصفحاته نحو ١٧٠ صفحة كبيرة . ويتخلل كلامه في تلك التراجم فصول انتقادية في العمال وفي القبور ودعوة المسلمين الى الاخاء وتحقيق الكلام في حريق مكتبة الاسكندرية . وخلاصة رأيه في ذلك ان هذه المكتبة احرقها الرومان قبل الاسلام وان رواية أبي الفرج الملطي من احتراقها على يد عمرو بن العاص بأمر عمر بن الخطاب قد وضعها أبو الفرج المذكور لغرض في نفسه اذلم يذكرها أحد قبله - وهو رأي جماعة كبيرة من المؤرخين . ولما الفنا كتابنا « تاريخ مصر الحديث » منذ

بضع عشرة سنة جارينا أصحاب هذا الرأي. ثم توفقنا بتوالي البحث في هذا الموضوع الى الاطلاع على نصوص تاريخية خطية لو اطلع عليها اولئك لعدلوا عن رأيهم وسيأتي على بيان ذلك في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي الذي يصدر في أثناء هذا الصيف ان شاء الله. ويطلب كتاب أشهر مشاهير الاسلام من مكتبة الهلال وثمن النسخة من الجزء الثالث خمسة قروش وأجرة البريد قرش

(جمعية السلام السورية) جاءنا قانون هذه الجمعية وقد تأسست في اراراكوارا بالبرازيل في ٥ نوفمبر سنة ١٩٠٣ وغايتها «العمل على دوام الالفة بين السوريين المقيمين في ناحية اراراكوارا ومساعدة من تمسه الحاجة منهم» فنثني على حضرات المؤسسين جزاهم الله خيراً

(المخالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية. والمكاري والكاهن) امين افندي ريحاني نزيل نيويورك من خيرة الناشئة السورية في الولايات المتحدة ومن أهل الاطلاع على آداب الافرنج وآراء فلاسفتهم المتأخرين. فتولد له رأيٌ في السياسة والدين والهيأة الاجتماعية يظهر من خلال كتاباته مهما يكن موضوعها. وقد نهج في الانشاء العربي نهجاً خاصاً أطلق فيه العنان لقلمه على نسق لم يسبق له مثل في العربية وقد تحدى فيه بعض كتاب الافرنج ممن يتسابق القراء الى مطالعة كتاباتهم وقد كان لبعضهم تأثير كبير في تهذيب الاخلاق وبث روح الحرية — على ان هذا الاسلوب من الانشاء لا يزال غريباً على قراء العربية لحداثته — ومما الفه ريحاني افندي في هذا السبيل كتاب «المخالفة الثلاثية في المملكة الحيوانية» وهو كتاب فلسفي انتقادي سبكه في قالب هزلي وجعل الكلام فيه على لسان بعض الحيوانات وضمنه رسوماً هزلية تساعد على بيان غرضه من ذلك الكتاب. ومن هذا القبيل كتابه «المكاري والكاهن» وفيه انتقاد على بعض أحوال الكهنة. والكتابان يطلبان من ادارة جريدة الهدى في نيويورك

(جرائد ومجلات) (١) الحاقي: هي جريدة اسلامية سياسية ادبية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبها «غازي جهان بك زاده علي حاقي بك» بدل اشتراكها جنيه مصري في الممالك الاسلامية وثلاثون فرنكاً في سواها (٢) السعادة العظمى: هي مجلة علمية اسلامية تصدر في تونس الغرب مرة كل شهر لمنشئها عبده محمد الخضر بن الحسين بدل اشتراكها ثمانية فرنكات في المملكة التونسية وعشرة في الجزائر وطرابلس

و ١٢ في سواها (٣) الاجابة : هي جريدة تجارية زراعية تصدر بمصر مرة بالاسبوع باسم « شركة التسهيلات العمومية » اشتراكها قرشان في الشهر (٤) الصواب : جريدة علمية سياسية أدبية تصدر في تونس الغرب لصاحبها محمد بن فرحات الجنابي بدل اشتراكها ثمانية فرنكات بتونس وعشرة في الجزائر و ١٣ فرنكاً في سائر البلاد (٥) المنهل : هي مجلة علمية تاريخية أدبية تصدر بمصر مرة في الشهر لمنشئها عطيه افندي حنا قيمة الاشتراك ٣٠ قرشاً بمصر و ٤٠ في الخارج (٦) الفتى القبطي : نشرة دينية تهذيبية تصدر بطنطا مرة في الشهر لمحررها الشماس باسيل بطرس واعظ بكنيسة طنطا اشتراكها خمسة قروش في السنة (٧) شريف : جريدة سياسية تصدر في لاهور الهند في اللغة الاوردية مرة في الاسبوع لمنشئها السيد جالب دهلوي . فنتمنى لهذه الجرائد والمجلات الثبات والنجاح

(روايات) (١) زواج التوأمين : هي رواية ادبية غرامية تعريب علي افندي فهمي الالفي وسيد افندي كامل وتطلب منهما بمصر (٢) في بيوت الناس : هي رواية تهذيبية ادبية عصرية تأليف « شاب فقير » تشتمل على حوادث شهدها بطل الرواية بعينه وثمن النسخة قرشان والبريد ٢٠ بارة (٣) اسرار ديوان التفتيش : وهي الرواية السادسة من حديقة الفكاهة واسمها يدل على موضوعها ثمن النسخة قرشان وتطلب من المكتبة الشرقية بمصر (٤) تاج الملوك : هي رواية تمثيلية ادبية حكمية دمجاء ذات خمسة فصول لمنشئها ابراهيم افندي ممتاز بمدرسة الحقوق الخديوية وهي تباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة ثلاثة قروش والبريد نصف قرش (٥) مكارم الاخلاق في أحوال العشاق : هي رواية أدبية شعرية نثرية تأليف الفقيد جرجس افندي زكي كاتب بالمحكمة المختلطة سابقاً ثمن النسخة خمسة قروش وأجرة البريد نصف قرش

(تقاويم) (١) تقويم المساحة : هو روزنامة هجرية لسنة ١٣٣٢ عملت في ادارة عموم المساحة التابعة لنظارة الاشغال العمومية وفيه من الفوائد الزراعية والاحصائية والادارية الرسمية وغير الرسمية ما لا يوجد في سواه ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة قرشان ونصف والبريد قرش (٢) نتيجة قبطية مصححة لسنة ١٦٣٠ للشهداء صدرت من بطركخانة الاقباط الكاثوليك مصدرة بصورة غبطة بطريركها وهي تطلب من هناك (٣) مطبوع المكتبة العمومية : وهو المعروف بمطبوع الارمن ترجمه عن الارمنية الخوري سوكياس ورتبيت جريان الارمني الكاثوليكي وطبع بنفقة المكتبة

العمومية في بيروت ويطلب منها وثمن النسخة قرش ونصف خالص أجرة البريد

(مشروع ارثوذكسي في نيويورك) ورد الينا تقرير عن خلاصة مشروعي انشاء كنيسة واقتناء مقبرة لابناء الطائفة الارثوذكسية في نيويورك ويليه وصف حفلة تدشين الكنيسة المذكورة كما روته الجرائد العربية مع رسوم أكثر مشاهد الحفلة ونبذة في نشأة الكنائس المسيحية وتغير هيآتها الداخلية والخارجية وما فيها من الآنية ونحوها بقلم سيادة المطران رفائيل هواويني الدمشقي اسقف الطائفة الارثوذكسية في اميركا فنهنىء اخوتنا الارثوذكسيين بسيادة المطران ومشروعاته ونرجو لهم التوفيق على يده

(ديوان الهمذاني) بديع الزمان الهمذاني مشهور بمقاماته التي نسج الحريري على منوالها ولم نكن نعرف للهمذاني شعراً مجموعاً في ديوان حتى عني حضرة الشيخ عبد الوهاب رضوان ومحمد شكري افندي المكي بنشره عن نسخة خطية كانت عند سعادة احمد بك تيمور مصححة بقلم الشيخ الشنقيطي فجاء كتاباً في نيف وثمانين صفحة تحوي نحو الف وستماية بيت من الأشعار البليغة وهو يباع في مكتبة الهلال وثمنه ٥ قروش صاغ والبوسطة قرش

(نتيجة الفرضيين في تبيين فرائض الوارثين) هو كتاب في المواريث لحضرة الشيخ حسن حسن اللالاحة الفوي وضعه على مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان في شكل جداول مطولة يستخرج بها الجواب على أي سؤال من مسائل المواريث بأقرب سبيل والكتاب يطلب من مكتبة الشيخ محمد علي المليجي بمصر

(القوانين الجديدة) اصدرت المطبعة العمومية بمصر مجلداً فيه قانون العقوبات الاهلي المصري بموجب الامر العالي الصادر في هذه السنة وقانون تحقيق الجنايات بموجب ذلك الامر وملحق التعديلات على لائحة ترتيب المحاكم الاهلية وتعيين اختصاص كل محكمة والقاضي لجلة اوامر . والكتاب بجملته يطلب من المطبعة المذكورة ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة منه عشرة قروش وأجرة البريد قرش

(البورصة) هي رسالة في البورصة وأعمالها وحالاتها وايضاح كثير من اصطلاحاتها التي لا تزال مغلقة على كثيرين وفي ذيل الرسالة قصيدة في وصف البورصة وتحذير الناس من حبائلها تأليف حضرة نسيم افندي العازار وتطلب من حضرته ومن سائر المكاتب وثمن النسخة قرش والبريد عشر بارات



وفد من الممرضين والممرضات

مرسل من قبل جمعية الصليب الاحمر الروسية

الى ساحة الحرب بالشرق الاقصى

الهلال

الجزء السادس عشر من السنة الثانية عشرة

﴿ ١٥ مايو (ايار) سنة ١٩٠٤ و٢٩ صفر سنة ١٣٢٢ ﴾

جمعية الصليب الاحمر والحرب

﴿ الحرب ﴾ اختلف كتبة العمران في تعريف الحرب . وتعريفها بالحقيقة بسيط ولكن السبب في ذلك الاختلاف اختلافهم في الجهة التي نظروا منها . فقال بعضهم « الحرب اختلاف بين فريقين يفصل بقوة السلاح » وقال غيرهم « الحرب داء الامراء » وقال اميل دي جيراردين الكاتب الفرنساوي « الحرب عبارة عن القتل والسلب تعلمها الحكومة للشعب بكالها الفخر وتضرب لها قبب النصر » وآخرون يعدُّ الحرب من ضروريات الحياة كما يعدون الاوبئة الوافدة اذ يحسبونها تضيق الارض بمن عليها . وقد قدروا عدد الناس الذين ماتوا بالحرب من اول التاريخ الى اليوم بنحو ٧٬٠٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠ نفس اي نحو خمسة اضعاف سكان الكرة الارضية . واذا اعتبرنا مضاعفة هذا العدد بالتناسل على توالي الاجيال بلغ شيئاً كثيراً وتحقق عندنا ان الارض تضيق عنه . فالحرب بهذا الاعتبار ضرورية مثل كثير من الشرور التي يعرف الناس اضرارها وتنزل الشرائع في تحريمها وتسعى الحكومات في منعها ومع ذلك فانها باقية على ممر الاجيال والقرون وستبقى الى ما شاء الله

وقد كتب في الغاء الحرب وسعى في ابطالها جماعة كبيرة من عقلاء الرجال وفحول الكتاب في اوربا واميركا في اواسط القرن الماضي . فكتبوا الكتب والمقالات وعرضوا تشكيل جمهورية عامة اعضاؤها ينتدبون من امم العالم المتمدن في اوربا واميركا وانشاء محكمة دولية تحلُّ ما قد ينشأ من الخلاف والمشاحنات بالتحكيم . فعقدوا المؤتمرات والقوا

الجمعيات والقوا الخطب في هذا السبيل والدول صامتة لاتبدي حراكاً كأنهم ينفخون في واد او ينفخون في رماد · فتبادر الى اذهان الناس في سبب ذلك الفشل ان الدول الكبرى التي يحكمها الملوك تطمع في الفتح ولا يطمع في ذلك الا اصحاب الحكم الملكي وخصوصاً المطلق · اما الجمهوريات فلا تصلح للفتح او الاستعمار · فقام بالامس اكبر ملوك الارض اطلاقاً واستبداداً واقدرهم على تجريد الجيوش نعني به قيصر الروس الحالي فدعا الدول الى عقد مؤتمر السلم غايته نزع السلاح وابطال الحروب · فسايروه وعقدوه في لاهاي ولكنه لم يتفرط عقده حتى انتشبت الحرب في الترانسفال ثم في الشرق الاقصى وصاحب الحرب الاخيرة هو الذي دعا الدول الى السلم

فالحرب مع ظهور ويلاتها وفظائعها يظهر انها ضرورية باقية — على ان بقاءها يدل في كل حال على ضعف الانسان وتسلط القوة الحيوانية فيه على القوة الانسانية · وفي اعتقادنا ان الحروب من اكبر الادلة على بقاء البشر بعيدين عن التمدن الحقيقي · فهل قدّر للانسان ان يبقى كما كان على عهد قايين وهابيل يقتل اخاه منافسةً على بلغةٍ او حسداً منه على مجد باطل لا حقيقة له الا في تخيلاته واوهامه ؟

واغرب من ذلك قيام جمهور من مشاهير الكتبة للدفاع عن الحرب وفيهم جماعة من رجال النصرانية كالقديس اوغسطينوس ولوثير المصلح الشهير ناهيك بالفلاسفة والعلماء والشعراء مثل باكون ودانتي ومونتسكيو وغيرهم وفي اعتقادهم ان الحرب ما زالت من قديم الزمان من اقوى دعائم الوطنية · ومن ادلتهم على ذلك ان الحروب عبارة عن احتكاك المواهب والقوى والاحتكاك يعقبه في الغالب نهضة عامة كما حدث على اثر فتوح الاسكندر من نشر العلم وتوسيع نطاق التجارة وكما عقب الحروب الصليبية نهضة اتاقت بها اوربا من غفلتها بما اقتبسته عن المسلمين في أثناء تلك الحروب · وينسب غيرهم الى الثورة الفرنساوية وحروب نابوليون نشر مبادىء الحرية والمساواة في العالم · ورد غيرهم بان تلك النتائج لم يكن منها بدّ ولو لم تحدث الحرب

ومهما يكن السبب فالانسان لم يستطع ابطال الحرب حتى الآن فهي ملاصقة للبشر ومرافقة لدولهم وشعوبهم وهم يبذلون الوسع في استنباط الوسائل المهلكة والآلات المدمرة كالطوربيد واللغوم والقنابل المفرقعة والمدافع الرشاشة وغيرها مما يضمن الظفر · فلما رأى العقلاء واهل الحنان ذلك حولوا عنايتهم الى تخفيف ويلات الحروب بقدر الامكان فوضعوا لها القوانين والشرائع والحدود وبينوا الحقوق المتبادلة للدول

والف بعضهم الجمعيات لمعالجة الجرحى والمصابين في ساحة الحرب وهي ما يعبرون عنها بجمعيات الصليب الاحمر

(جمعيات الصليب الاحمر) ويراد بها الجمعيات التي تشكلت لاعالة الجرحى في الحرب وهي حديثة لم يمض على انشائها نصف قرن . واما قبل ذلك فربما تبرع بعض الناس باعالة الجرحى بلا قياس ولا قاعدة وكان العرب قبل الاسلام وبعيده يعول الجرحى في حروبهم النساء يحملن القرب والضمائد ويطفن ساحة الحرب يسقين العطاشى ويضمدن جراح الجرحى وكان يحدث نحو ذلك في بعض الامم الاخرى مما لا يشفي غليلاً حتى تأسست جمعيات الصليب الاحمر

وقد سموها بهذا الاسم اشارة الى جمعية تألفت في أوائل القرن الحادي عشر للميلاد في أورشليم . وسبب تأليفها ان مدينة أمالفي في ايطاليا اشتهرت منذ القرن العاشر للميلاد بالتجارة فكان أهلها اكثر تجار الارض انتشاراً في الشرق وخصوصاً مصر وفلسطين فكانوا اذا قدموا أورشليم شاهدوا ما يقاسيه الحجاج اللاتين من العذاب في أسفارهم وخصوصاً اذا اصابهم مرض او فاقة . فتقدم جماعة من أولئك التجار سنة ١٠٢٣م الى الظاهر بالله الخليفة الفاطمي بمصر ان يأذن لهم بانشاء بيمارستان (مستشفى) في أورشليم لاعالة المرضى والفقراء من حجاج اللاتين . فاذن لهم فانشأوه باسم القديس يوحنا وادارة شؤونه في ايدي اخوية انقطعت لهذه الغاية وتكاتف اغنياء أوربا على اعانته وبذلوا الاموال الطائلة في تنشيطه . وكان أعضاء تلك الاخوية او الجمعية يسمون Hospitallers نسبة الى Hospital اي بيمارستان . وكانوا يمتازون عن سائر الناس بلابس خاصة مثل سائر أخويات تلك الايام المعروفة باخويات الفرسان . فكان الفرسان الهيكليون مثلاً يتشحون برداء اسود عليه صليب ابيض والفرسان البيمارستانيون كانوا يتشحون بأردية بيضاء عليها صلبان حمراء والفرسان التيوتونيون كان صليبهم اسود على رداء ابيض

فلما أراد أهل القرن الماضي انشاء جمعية لمعالجة جرحى الحرب اتخذوا الصليب الاحمر شعاراً لهم لانه كان شعار جمعية غرضها مثل غرضهم — واليك ما جاء في كتاب « حقوق الملل في الحرب » للامير امين ارسلان قال :

« والفضل في الانتباه لحالة الجرحى والاشارة بوجوب استنباط طريقة لسرعة معالجتهم وتمريضهم يعود الى رجل سويسري الاصل من أهل البر والاحسان يدعى هنري ديران وكان قد تفقد عام ١٨٥٩ ساحات الحرب التي نشبت بين فرنسا والنمسا في شمالي ايطاليا

وشاهد اهم معاركها المعروفة باسم سولفرينو وكان قد سقط بها اربعون الفاً بين جريح وقتيل ونحو ذلك العدد من المرضى وكان قد اخذ على نفسه الاعتناء بمواساة الجرحى ومعالجتهم فشاهد بلواهم بام عينه وسمع انينهم وعويلهم وبكاهم باذنيه مما تتفطر له القلوب فنشر بعد الحرب كتاباً سماه تذكار سولفرينو شرح فيه ما عاينه ووصف حالة أولئك احسن وصف مما أهاج العواطف واثار الحاسات الانسانية في عموم الطبقات ومختلف البلدان وشاركه في جهاده الخيري جمعية خيرية سويسرية ٠ وكانت الغاية أولاً تأليف الجمعيات في كل البلاد لمساعدة جرحى الحروب ٠ ولكن أشار بعض الالمان بوجوب تعاهد الدول على صيانة تلك الجمعيات وعدم التعرض لها وغير ذلك مما استلفت انظار الحكومة السويسرية فدعت في ٦ يونيو سنة ١٨٦٤ جميع الحكومات الاوربية والاميركية لعقد مؤتمر دولي في جنيفيا وساعدت فرنسا ذلك المشروع كثيراً فتم انعقاده في ٨ اوغسطس ووضعوا مشروعاً قرروا فيه كيفية معاملة الجرحى في حومة الوغى وصادق عليه معتمدو الدول الاوربية اجمع ووافقت عليه أخيراً تركيا والعجم واليابان وسيام والكونغو وغيرها وأضيف الى ذلك المشروع بنود خاصة بالمعارك البحرية لم يتم مصادقة الدول عليها حتى الآن ٠ ولا يسعنا في هذا المختصر الا اقتطاف اهم ما جاء في ذلك المشروع من الامور التي تختص بمعاملة جرحى الحرب

١ — قرروا وجوب حياد المستشفيات وعدم ضربها أو مسها اذا كان فيها مريض او جريح على شرط الا يكون فيها جند ما لاي عذر كان سواء للهجوم او الدفاع

٢ — صيانة الاطباء والممرضين والجنود النقالة والكهنة ٠ فاذا وقعوا في قبضة العدو لا يمكن عدهم أسرى حرب ولكنهم اما يبقون في اجراء وظيفتهم عند العدو واما يرجعون الى معسكرهم مخفورين وليس في ذلك المشروع ذكر للجمعيات الاخرى التي تتألف عادة عند انتشاب الحرب لمساعدة الجرحى ولكنهم في الغالب يحسنون معاملة القائمين بها ٠ والسكان الذين يعتنون بالجرحى يعفون من ضرائب الحرب وغرامتها

٣ — الاعتناء بجميع الجرحى على السواء بقطع النظر عن مللهم او اجناسهم او مذاهبهم ويحق للقواد اعادة الجرحى الى معسكرهم اذا تعذر عليه تمريضهم

٤ — اعادة الجرحى الذين لا يصلحون للحرب بعد شفائهم الى بلادهم

٥ — لا يحق لاحد التعرض لعجلات الجرحى او لقطرها الا اذا كان سيرها مضراً بحركات الجند وترتيب صفوفه فيحق للقائد اجبارها على السير في طريق آخر

وقد اتفقوا تسهيلاً لتمييز تلك العربات وعمال تلك المستشفيات على علامة تظهر عن بعد فاختاروا العلم السويسري اعترافاً بفضل تلك البلاد على هذه الجمعية وهو صليب احمر على علم أبيض يرفعونه على قمم المستشفيات أو على ظهور العربات والقطارات ويتقلده الممرضون والمستخدمون على سواعدهم

وقد ابدلت الدولة العثمانية الصليب الاحمر بهلال احمر أبان الحرب الاخيرة مع الروسية وصار الهلال من ذلك العهد علامة مستشفيات الدول الاسلامية وأشار البعض بوجوب اختيار علم آخر جديد ليس فيه اشارة الى ديانة او انتماء الى أمة

وأثارت هذه المسألة خلافاً شديداً بين الفرنسويين والبروسيين في الحرب السبعينية واشتد اللجاج بين بسمارك والكونت دي شودوري من أجل كيفية معاملة الجرحى وكان كل فريق يلقي الذنب على الفريق والآخر بلا جدوى ولا طائل

وأما الدولة الروسية فقد جمعت في كراس صغير جميع التعليمات اللازمة لهذا الشأن ووزعته على جنودها وكلفتهم حفظ قواعده والعمل بموجبه ٠ اه

وفي صدر هذا الهلال صورة وفد من الممرضين والممرضات قد أوفدتهم جمعية الصليب الاحمر الروسية الى الشرق الاقصى وأعضاء هذه الجمعية من النساء والرجال وادارتها بيد الدكتور ارابورف ٠ وزعيمها البرنس مستشرسك ميتشر سكايا ٠ وقبل سفر هذا الوفد ذهبوا لمقابلة القيصر وامرأته ووالدته ٠ وقد بلغ عدد الذين أوفدتهم هذه الجمعية الى ساحة الحرب ٧٤٤ نفساً وفيهم الاطباء والتلامذة والممرضات والمساعدون ومعهم من المعدات ملء ٧٤ عربة (واكون) وفي جملة ذلك ١,٨٧٥ فرشة وكثير من الالبسة واللفائف والعقاقير ويستعدون لارسال ٤٤٥ شخصاً آخرين مع ٦٣ عربة فيها كل اللوازم و ١,١٢٥ فرشة

أما اليابانيون فقد تقدم لهم واتفقوا على انشاء تلك الجمعيات وكانوا قد نكبوا بالثورة الاهلية ورأوا من غوائل الحرب عشرات الالوف من جرحاهم ليس لهم من يعولهم فانشأوا جمعية سموها « هاكو أيشا » اي جمعية الاحسان العمومية فلما اتفقت دول أوربا على انشاء جمعيات الصليب الاحمر سموا جمعيتهم هذه جمعية الصليب الاحمر اليابانية واعضاؤها نحو ٩٠٠,٠٠٠ نفس ولهم عناية كبرى في تدريب الممرضات على اعالة الجرحى في الحرب فتقضي الممرضة في ذلك ثلاث سنوات في درس متواصل ٠ وعند الجمعية المذكورة جيش طبي مؤلف من ٢٧٩ طبيباً و ١,٥٥٨ ممرضاً وممرضة و ٦٤٠ مساعداً غير التلامذة ٠

وفي طوكيو مستشفى خاص بهذه الجمعية لدرس التمريض وقد فتحت ابوابه في حال السلم لمعالجة الفقراء مجاناً . اما في حال الحرب فيتحول حالاً الى مستشفى عسكري يرسلون منه الممرضين والممرضات وفوداً وفي هذا الرسم وفدٌ من الممرضات ومعهن رئيستهُ على مركبة يجرها الرجال وعليهن ملابس خاصة بهذه الجمعية



وفدٌ من الممرضات اليابانيات

مرسل من جمعية الصليب الاحمر اليابانية الى ساحة الحرب

قال محمد الوراق :

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذى فوقي فاعرف قدره واتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذي دوني فان قال صنتُ عن اجابته نفسي وان لام لائم
وأما الذي مثلي فان زلَّ او هفا تفضلتُ ان الحرَّ بالفضل حاكم

تاريخ علم الادب

عند الافرنج والعرب — لكاتب فاضل

٣٦ — الديانة المسيحية والادب

وعدا هذا في التاريخ الذي انتشرت فيه الديانة المسيحية حدث في العالم انقلاب كبير لم يتيسر معه ان لايحصل انقلاب في العقول . لان الانقلابات التي حدثت قبل ذلك التاريخ كانت عبارة عن سقوط دولة وقيام أخرى ولم يكن لذلك تأثير كبير في قلوب العموم . بل المصيبة الحاصلة من تلك الانقلابات كانت كالصاعقة لاتصيب الا الاماكن العالية والمقامات المرتفعة فعبروا عنها باشعار الحماسة . ففي الاجتماع الانساني القديم كان الفرد سافلاً حتى كانت المصائب لاتؤثر عليه الا اذا نزلت بيته وأصابت أهله . ولا يعرف الواحد من أهل تلك القرون الخالية البؤس ولا التعاسة خارج الآلام البيتية . ولا كان يُسمع في تلك الاجيال بأن المصائب العمومية الحادثة في المملكة تمس المعيشة الفردية . فلما حدثت تلك الانقلابات الكبيرة إبان انتشار الديانة المسيحية وأصبحت الامم الاوروبية في هرج ومرج يتلاطمون كالامواج في البحر العجاج وانقرض التمدن القديم باستيلاء الاقوام البربرية على ممالك الرومان حدث من ذلك تأثير في قلوب العامة وانفعال في نفس كل فرد من الرادم . وأخذوا يفكرون في مصائب الدهر ومرارة الحياة وعرفوا بأن هذه الدنيا الفانية ما هي الا هزء ولعب وكدر وتعب لاينبغي للعاقل ان يغتر بها . فهذا الشعور الذي ولد اليأس في قلوب المشركين كما علم من حال الاديب الروماني قاتون ، ولد في قلوب المتنصرين المالنخوليا وهي السوداء

وفي ذلك التاريخ أيضاً تولد فكر التجسس والاختبار . لان تلك الوقائع العظيمة كانت أشبه برواية كبيرة مثلت على مرسح الدنيا وشهد المتفرجون عواقبها المدهشة .

فهذه الوقائع عبارة عن وثبة وثبها الشمال على الجنوب وتغير بسببها شكل العالم الروماني . فأصبح يقاسي نزاع الموت وبلغت روحه التراقي . فلما مات هذا العالم قام جمهور من النحويين والبيانيين والسفسطائيين يتقاتلون على جنازته ويقلبون جسده الذي لاحراك به . ويشرحون ويفسرون ويميزون ويحللون ويناقشون ويجادلون كانهم ذباب يتساقط على جيفة التمدن القديم . فمن سعادة هؤلاء المشرحين للعقول وحسن حظهم انهم وجدوا جيفة يجرون عليها اول تجاربهم ويسبرون قروحها بمبارهم . فكان اول جسد شرحوه جسد امة ميتة

وعلى هذا الوجه نرى الآن ظهور جنية المالنخوليا والتفكر بجانب عفريت التحليل والتضاد . ونجد في أحد طرفي هذا الدور الانتقالي البياني الشهير لونجين (٢١٠ – ٢٧٣ م) ولد في حمص من سوريا والف باليونانية في علم البيان رسالة الاعجاز التي ترجمها بوالو للفرنساوية . ونجد في الطرف الآخر القديس اوغوستين (٣٥٤ – ٤٣٠ م) صاحب المؤلفات اللاتينية . فجميع أدباء القرون الوسطى استقوا افانين العلم والادب من حياض الروم في القسطنطينية . ولا يجوز لنا احتقار هذا الدور الانتقالي من أدوار الادب لان فيه النطفة التي تخلقت وولدت وكبرت حتى صارت عروساً تمتع اليوم بديع جمالها . فكتبة ذاك الدور – ونرجو هضم هذا التعبير الحر مع انهُ سوقي مبتذل – زبلوا رياض الادب ليجتني المتأخرون ثمارها

فحيث كان هناك دين جديد وأمة جديدة اقتضى ان ينشأ على هذين الاساسين أبنية جديدة في الشعر . لان شعر المتقدمين كان حماسة صرفاً وبسبب تأثير الدين الوثني والفلسفة القديمة كان الشعراء لايدرسون من الطبيعة الواجب عليهم تقليدها الا وجهاً واحداً وهو وجه الجمال . وينبذون وراء ظهورهم جميع مالا علاقة له بشيء من نموذج الجمال بدون ان تأخذهم رأفة على صناعة الادب المقتضي لها تقليد مافي الطبيعة من خير أو شر . فهذه الطريقة كانت في بادئ أمرها معتبرة . ولكن باضطرادها على قياس واحد زال رونقها وذهبت طلاوتها ونقصت قيمتها كما هو شأن كل ما اضطرد على وتيرة واحدة . فلما ظهر الدين المسيحي جرّ الشعر الى الحقيقة

ووضعه في مكانه . وصارت قريحة الشاعر النصراني ترى الموجودات بعين أوسع وأرق مما كانت تراها قريحة الشاعر الوثني . فشعرت هذه القريحة الجديدة بأن المخلوقات ليست كلها جميلة باعتبار الانسان بل الشنيع منها بجانب الجميل والمستظرف بقرب المستقبح والشر اكثر من الخير والظلام سابق النور والجد مخلوط بالهزل وكلام السخرية وراء الاعجاز بالفصاحة . فقالت القريحة في نفسها :

أحكمة الشاعر النسبية الجزئية أحسن من حكمة الخالق المطلقة الكلية ؟

أبلغ من حد الشاعر ان يقوّم ما اعوجَّ على زعمه من خلق الله ؟

وهل الابتر والاجدع والاجذم أجمل من كامل الاعضاء ؟ وهل يحق لصناعة الادب ان تنزع بطانة الثوب الذي تردت به الانسانية والحياة والمخلوقات ؟

وهل يجوز نزع عضلة من الجسم او لولب من الدولاب ان أريد انتظام دورانه ؟

وهل من الواجب على المطرب ان لا يعرب ؟

ثم نظرت هذه القريحة الجديدة في وقائع العالم فوجدتها مضحكةً مرعبةً معاً واعتراها المزاج السوداوي بسبب الاعتقاد المسيحي وأثر عليها أيضاً الانتقاد الفلسفي المستفاد من ذلك الدور الانتقالي فخطت في الادب خطوة كبرى زلزلت بها العالم العقلي وقلبت عاليه سافلة وحذت في الشعر حذو الطبيعة وخلطت في اختلاق المعاني النور مع الظلام وكلام السخرية مع الاعجاز بالفصاحة بدون ان تمزج أحدهما بالثاني . و بتعبير آخر جمعت في الشعر بين النفس والجسد و بين الحيوانية والنطق . لان الشعر والدين متلازمان والنقطة التي يسير منها أحدهما يسير منها الآخر . فأوجدت في الشعر نموذجاً جديداً وأسلوباً غريباً بالنظر للمتقدمين . وشرطت فيه شرطاً قلب شكله وأصلح قالبه . فهذا النموذج وهذا الشرط هو كلام السخرية الذي يظهر في قالب الكوميدية . فهذا هو الفرق الذي يفرق في نظرنا بين صناعة الادب الجديدة وصناعة الادب القديمة وبين الشكل الجديد الحي والشكل القديم الميت . او بتعبير اشهر من هذا ولو كان مبهماً هذا هو الفرق بين ادب الطريقة الرومانية وادب الطريقة المدرسية . فيقول لنا حينئذ اهل الطريقة المدرسية :

— ها نحن أمسكناكم واخذناكم بالسنتكم . انتم تتخذون من القبيح نموذجاً للتقليد ومن كلام السخرية اسلوباً لصناعة الادب ؟؟؟ ولكن اين اللطافة في ذلك اين حسن الذوق ؟ اما تدرون ان صناعة الادب ينبغي لها ان تقوّم ما اعوج من الطبيعة ؟ اما تعلمون ان الواجب عليها اعلاء شأن الطبيعة ؟ اما تعلمون ان الاجدر بها انتخاب الاحسن مما في الطبيعة ؟ هل ادخل المتقدمون القبيح او السخرية في كلامهم ؟ هل مزجوا الكوميديا بالتراجيديا ؟ فاتبعوا يا سادة اساليب المتقدمين واقتفوا في فنون الادب اثر ارسطو و بوالو ولاهارب ...... الخ

— وفي الواقع ان حجج اهل الطريقة المدرسية دامغة . ولكن لسنا مكلفين بالرد عليهم لاننا لا نريد وضع قواعد جديدة ولا تقييد العقل بالعقال كما قيدوه . اذ حمانا الله من القواعد . . وانما نحن حققنا وجود امر . فنحن مؤرخون ولسنا متقدين ولا مشرعين . فهذا الامر موجود سواء اعجبهم اولم يعجبهم . فقريحة الشعر الجديد تولدت من انضمام نموذج السخرية بالكلام الى نموذج الاعجاز بالفصاحة . وهي غزيرة النبع في ابتكاراتها مختلفة الاشكال في تصويراتها . بخلاف الشعر القديم فانه وحيد الشكل وحيد الاسلوب لبساطته واضطراده على وتيرة واحدة . فهذا هو الفرق الحقيقي والاساسي بين ادب الطريقتين الرومانية والمدرسية

نعم ان المتقدمين لم يجهلوا بالكلية حقيقة الكوميديا ولا السخرية التي نحن بصددها اذ لا بد لكل شيء من اصل . وجرثومة الدور الثاني لا بد ان تكون في الدور السابق عليه . ففي الالياذة كل من (فولكين) و (تيرسيت) نموذج لهذه السخرية والكوميديا . والاول مثال الآلهة وقد مر ذكر السبب في عرجه وليس على اعرج من حرج . والثاني مثال البشر ووصف هوميروس في الفصل الثاني من الالياذة هذره في المنطق وهذيانه في الكلام وبين كثرة جلبه واستهزائه بجميع الناس حتى بالملوك . فكان في محاربة تروادة مضحكة اليونان يسخر بهم ويسخرون منه لان فيه جميع النقائص والعيوب . ومن امثلة السخرية ايضاً محاكاة منيلاس مع بواب القصر في رواية (هيلانه) التي نظمها الشاعر اليوناني اوريبيد في القرن الخامس قبل الميلاد

ومن السخرية أيضاً ما نراه عند اليونان من الاشخاص الخارقة الطبيعة كالذي نصفه الواحد انسان ونصفه الآخر سمكة والذي بعين واحدة في جبهته وعرائس الجن اللواتي يظهرن على الانس كانهن حور الجنان كل واحد من ذلك نموذج للسخرية. غير ان ادباء اليونان الاقدمين لم يتمكنوا من ايفاء هذا الموضوع حقه بسبب ما في اشعارحماستهم من الفخامة وما في رواياتهم من العظمة والجلالة . فالسخرية في كلامهم ليست في موقعها لانها مستورة بجلالة الشكل الحماسي . واسلوب الحماسة يفوق فيها على أسلوب السخرية ويمنعها من الظهور والبيان . بخلاف الادباء المتأخرين فان أسلوب السخرية له في شعرهم ورواياتهم موقع مهم . وهو في كل موضع من كلامهم . ويصورون بهذا الاسلوب الشناعة والفظاعة من جهة والهزء واللعب من جهة اخرى . ويلحقون به في الدين الف وسوسة وأباطيل غريبة وفي الشعر الف معنى مبتكر وتصور بديع فأسلوب السخرية هو الذي اوجد في القرون الوسطى جميع هذه المخلوقات التي اعتقد الناس وجودها بين الانسان والله من عوالم الجن والروح والملك وملؤا بها الهواء والماء والارض والنار فلم يبق محل في الفضاء الا وهي ساكنة فيه . ومنها من هو على اكتافنا يكتب أعمالنا ومنها من يأكل ويشرب معنا من طعامنا وشرابنا ومنها من يلبسنا لبس الجلد على اللحم ولا يخرج منا الا بالضرب الشديد والتعذيب . وهذه السخرية هي التي جعلت لشيطان النصارى قرون التيس وأرجل الخنزير وأجنحة الخفاش وجرت الشاعر دانتى الطلياني وملتون الانكليزي الى تصوير تلك الصور الجهنمية العجيبة ووصفها بالاوصاف الهائلة والاشكال المخيفة . حتى جاء في القرن السادس عشر المصور الشهير ميكل انجلو ونقش على جدار كنيسة في الفاتيكان الذي يسكنه البابا صورة مفخّمة بديعة سماها اليوم الآخر وهو يوم العرض والحساب . ولو قرا القرآن الكريم لصور جهنم ترمي بشرر كالقصر كانه جمالة صفر . ومن أمثلة هذه السخرية أيضاً الخادم الجني ميفستوفلس المرافق لفوست في الرواية المتقدم ذكرها ومنها الساحرات التي مركزهن في رواية ماقبث وأنواع كثيرة من الخدام والرصد القائمين على حفظ الكنوز المخفية والعيون الجارية والاشجار الكبيرة . وكذا الموت الذي يظهر في

البحر كالجزيرة العشبة والثعابين التي تحاكي في الضخامة الفيلة وتحرق بنفسها كل مخضر ونحو ذلك . فالمتأخرون عبروا عن جميع ما ذكر بكلام أفصح وأبلغ من كلام المتقدمين

فأسلوب السخرية ماهو في نظرنا الا ضد قام بجانب أسلوب الاعجاز بالفصاحة ليميزه ويظهره . لان الاشياء تتميز بضدها . فهو أغزر المنابع التي فتحتها الطبيعة لصناعة الادب . فطريقة المتقدمين أورثت الملل والكلال باضطرادها على نسق واحد ومراعاتها لاسلوب واحد وهو أسلوب الاعجاز . لان الاعجاز على الاعجاز والبلاغة وراء البلاغة والبيان تلو البيان متعب للفكر مجهد للذهن . فاذا فصل بينها بكلام السخرية تفكه العقل وارتاح مما أجهده واضناه واستأنف السير نحو الاعجاز وهو في نشاط وارتياح بسبب توقفه بكلام السخرية والهزل . ثم لايخفى ان الجميل اذا قرن بالقبيح زاد جماله رونقاً وصفاء وتلألؤاً واعتلاء ولذا كانت الجنة التي وصفها ميلتون ألذ وأشهى من جنان الايليزه التي وصفها هوميروس وفرجيل . لان ميلتون صور تحت جنة عدن جهنما أشد دهشة ونكالاً من (تارتار) المتقدمين . ولولم يصف لنا دانتي حبس ذلك الجبار العنيد في برج مدينة بيزه وسد باب البرج عليه حتى هلك جوعاً بعد ان اكل أولاده لما وجدنا طلاوة لحسن فرانسواز دو ريمني ولا لجمال بياتريس التي دخلت به جنان النعيم اذ لولم يكن في كلامه تلك الشدة والقسوة والعذاب الاليم لما كان فيه تلك الحلاوة الرائقة والعذوبة السائغة

ففي شعر المتأخرين الاعجاز بالفصاحة يشبه النفس الناطقة المطمئنة بتعاليم النصرانية . والسخرية أي الهذر بالكلام يشبه الجسد الحيواني الذي في الانسان . فالنموذج الاول بتجرده من الهذيان وسلامته من العيوب حاز كل الحسن والجمال والرشاقة والاعتدال والجذب واللطافة والرقة والحلاوة . واخرج من خدور الافكار عرائس مثل جوليت واوفيليه اللتين صاغهما شكسبير في رواية روميو وجوليت ورواية هاملت . ولعلهما تشبهان ليلى التي افتتن بها قيس العامري على عهد الدولة الاموية ولقب لاجلها بمجنون ليلى . وفاطمة التي هام بحبها امرؤ القيس وقال لها « افاطم مهلا بعض هذا التدلل » . والنموذج الثاني ظهرت فيه جميع العيوب

والملل واتصف بالبشاعة والشناعة والهذيان والانهماك في الشهوات الحيوانية والرذائل الدينية وفي جر المنافع ولو بايقاع المفاسد والجنايات . فهو فسيق ، دني ، شره ، مهذار ، بخيل ، طماع ، مرائي ، مفسد ، مفتن ، قواد ، غدار، كذاب ، محتال . ويتمثل في صورة باصيل و فيغارو و تارتوف و هارباغون . والاول اسم راهب يحب مسايرة العاشقين على اهوائهم ولكنه كثير الطمع في اموالهم . والثاني اسم خادم نشيط ظريف قواد لسيده اوصله الى معشوقته ومكنه من وصالها بمهارة حيله ودسائسه . وهما من الاشخاص التي اوجدها مارشه في رواية (حلاق اشبيليه) و (زواج فيغارو) ونكت بها على اخلاق المعاصرين من الفرنساويين قبل الانقلاب الكبير اي في عهد لويس السادس عشر والخامس عشر و بين اسرافهم واستهزأ بأفعالهم . وفي سنة ١٨٥٤ اي في عهد الامبراطورية الثانية انشأ احد الكتبة جريدة هزلية سماها (فيغارو) اشارة الى انها تخدم خدمة فيغارو مع التنكيت والتبكيت وعدم المبالاة بشيء ولا التعصب لامر فاصبحت جريدة الفيغارو اليوم من اعظم الجرائد اليومية في باريس . و (تارتوف) نموذج الرياء وهارباغون نموذج البخل وهما من أشخاص روايات موليير . ويمكن ان يعد من هذا القبيل ايضاً ابو زيد السروجي في وعظه الناس بالمواعظ الحسنة ثم جمعه الفلوس واشترائه اللحم والخمر والجلوس المنادمة مع غلامه كما هو موضح في مقامات الحريري . فالجميل ليس له الا نموذج واحد والقبيح له الف نموذج لان جمال الجميل ما هو الانسي بالنظر الى الانسان و باعتبار تركيب اعضائه . والقبيح له نسبة وعلاقة مع غير الانسان فهو جميل بالنسبة الى عموم المخلوقات وقبيح بالنظر للانسان وحده

ففي القرون الوسطى نرى لكلام السخرية موقعاً بجانب الاعجاز بالفصاحة وكثر استعمال السخرية في الادب في الرسم والتصوير والحفر وفي الاخلاق والعادات كالرسوم الى احسن في تصويرها المصور الشهير ميكل انجلو الطلياني والمصور موريلو الاسباني وابدع ما اتت به قريحته الراسمة التي نقش فيها كيفية الصعود الى السماء ثم ظهر شكسبير وصار ملك الشعراء كما قال دانتي عن هوميروس ومزج كلام السخرية بكلام الاعجاز وصاغ منهما الدرام . فشكسبير هو ابو الدرام والدرام هو الخاصة المميزة

للدور الثالث من ادوار الشعر والادب المصري وهو جامع المرهب والمضحك من الكلام اي الكوميديا والتراجيديا .

صحة العائلة

الاشربة الروحية

لحضرة نعمة افندي ايليا الصيدلي القانوني بدمنهور

(١٧) شرب الكحول باعتدال ضروري لتقوية الاعصاب في الشيوخ : كثيرون يدعون معرفة حفظ الصحة فيدافعون عن استعمال الخمر في الشيخوخة لان الشيخوخة تضعف حركة الجسم فتحتاج الى منبه يحافظ وظائفها العصبية ولدى التأمل بهذا الموضوع يظهر بطلانه باجلى وضوح . لماذا تكون وظائف الجسم في الشيخوخة اضعف منها في الشبيبة ولماذا تضعف قوى العقل ؟ لان اعضاء الجسم قد اتلفها الاستعمال الطويل ولذلك لم يمكن حفظ انسجتها صحيحة مدة التحليل وبالنتيجة لم تعد كفوءة للعمل وليس لها طاقة باحتمال الاتعاب وثقل الاعمال العظيمة التي لم تكن تكربها في الشبيبة وتلك القوى المتناقصة قد اوجدتها الطبيعة في الجسم مؤونة مدخرة لاطالة الحياة الى اجل غير محدود و بتوقف انحلالها على اعمال الجسم الموجودة فيه . فكلما كان العمل عظيماً اسرع انحلالها وضعفها فاستعمال الكحول ينتج سرعة في العمل من دون زيادة في قوة الجسم وبعبارة اوضح يتلف الانسجة ويمنع اصلاحها وفي القوة الكاذبة التي تظهر منه خطر عظيم لانه ان كان يمكن الانسان من الاسراع في حياته فهو يقصر مدة بقائه . فضلاً عن ان الجرعات المعتدلة تحدث حؤولاً خاصاً في جدران الاوعية الدموية فيضعفها اذ يرسب دهناً او كربونات الكلس مكان الانسجة العضلية التي تؤلف الاوعية الصغيرة وذلك الحؤول هو دليل الشيخوخة حتى في غير المكبرين وان كان ضرره فيهم قوياً فكم يكون ضرره بالمكبرين . و يحدث الحؤول المذكور غالباً في شرايين الدماغ الصغيرة فشرب الكحول يسهل الطريق لتجمع الدهن وكربونات الكلس ويزيد الخطر . ولما تضعف الشرايين يزيد

اندفاع الدم الى الرأس فينفجر احدها وتنتهي الحياة بداء السكتة او الفالج فالقليل من الكحول يحدث احتقان الدماغ ويعرض الشيوخ للموت

(١٨) الكحول يبدد الهموم · لا ينكر ان الكحول يخفف الاحزان والاوجاع ويضعف الهموم ومصائب الدهر ويوم الفقير الذي لا مأوى له ولا صديق انه ملك غني وينسي القاتل المحكوم عليه بالاعدام قرب انفصاله عن العالم وبالاختصار فهو ينسي شاربه موقتاً كل ما لا يروق في عينيه فيرتاح · غير ان تلك الراحة ليست الاّ لحظة ثم يعقبها رد فعل عظيم فيزيد وخز الضمير قوة الشعور بقبح الآثام الماضية فيا لسوء المصير لان دماغهُ كان قبلاً مخدراً بفعل الكحول فلم يقدر ان يفهم حقيقة نفسه اذ سدل ضباب المسكرات عليه وعلى جميع حواسه غشاء كثيفاً

(١٩) الكحول يزيد القوى العقلية : كثيراً ما نرى المؤلفين والمشترعين والتلامذة والكتبة حتى خدمة الدين يضعون امامهم زجاجات الخمر والكونياك اذ يعتبرونها من الامور الضرورية لهم فيتصورون انهم يتقصون بالاقداح القليلة التي يبتلعونها من تلك الزجاجات زيادة في قوام · وكم من كاتب بليغ جمدت قريحته وشاعر مفلق عجز عن تأدية المراد وخطيب مصقع تلعثم لسانه وواعظ طلق اللسان وقف كالصنم لا يحرك فاه ان لم يتناول كأساً او كاسات من الشراب قبل ارتقائه المنبر · لان الكحول بزعمه ضروري لانهاض قواه وصقل ذاكرته وفصاحته وايقاظ غيرته الشعرية لاتمام واجباته فمثل هذا لاعتقاد انما هو من قبيل العادة فقط · ان تلميذاً مجتهداً في احدى المدارس اعتاد العبث بزر في صدرته اثناء التسميع فقطع رفاقه ذلك الزر يوم الفحص فلم يستطع الاجابة على ما أُلقي عليه من المسائل لعدم وجود الزر مكانه واشتغال فكره به وكاد يخسر مركزه في الصف لولا انتباه الفاحص لذلك فهل كان ذلك الزر يزيد معرفته او يقوي ذاكرته ؟ ويقال من جهة خدمة الدين ما قاله الدكتور جامس ارفولد « بلاموّن لتغطية الكتاب الالهي بدخان الكحول وهو القائل لا تنظر الى الخمر اذا احمرت حين تظهر حبابها في الكاس وساغت مرقرقة في الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالافعوان واذا فحصت دقة القوى الحقيقية للناظرة في من يتعاطى الخمرة لوجدتها غير صالحة للاستعمال كقوى الممتنع عن شربها

(٢٠) الكحول علاج طبي : ان كان الكحول نافعاً للعليل ألا ينفع صحيح الجسم : قد يمكن ولكن استعمال الكحول طبياً غير ضروري الاّ في احوال مخصوصة ومشاهير الاطباء يفضلون التعويض عنه بعلاجات لا ضرر منها وقال الدكتور كلي « الاصحاء والمرضى

بامراض مزمنة لا يحتاجون الى وسائط طبية كل يوم بعد الاكل ومع ذلك فكثيرون يتعاطون الحبوب المقوية قبل الاكل وقدحاً من النبيذ بعده »

(٢١) التوراة تجيز استعمال الخمور : قسم كبير من البشر يدعي ان الكتاب الالهي يجيز استعمال المشروبات الروحية وفيهم عدد كبير من خدمة الدين وباثمي المسكرات والاغبياء فيجيب ان التوراة ذكرت ايضاً الاسترقاق وتعدد الزوجات وغيرها من الامور الباطلة المكروهة كالمسكرات . ولكننا لدى البحث لا نجدها تجيز واحداً من تلك الشرور المذكورة ولو كان فيها برهان واحد على جواز استعمال المسكرات لكانت بيد الملحد والكافر سلاحاً قوياً ضدها . فاذا امكن اظهار توافق العلم والشعور العام والوحي زالت كل صعوبة وفهم كل ما قيل في الكتاب عن المسكرات فحص الموضوع بالتدقيق يقنع كل معترض بفساد اعتراضه الذي جاء به من الكتاب زوراً وبهتاناً

فالوحي والعلم الصحيح والشعور كلها متوافقة وكل اختلاف ظاهر ينتج اما عن سوء فهم معنى اللفظة المستعملة او من نقص في معرفة الحقائق العلمية . يقول العلم قولاً جلياً لا جدال فيه ان كل المشروبات المختمرة تحوي كحولاً . وان الكحول سم مهما كانت جرعته وقد ايد العقل هذا الحكم وعلّم الشعور العام ان المادة التي خواصها كخواص الكحول لا تكون الا سماً فاذا كانت التوراة تعلم حقيقة ان الكحول تحت هيئة الخمر او غيره نافع لظهر نوراً الوحي اقل حكمة من العقل والعلم وان الانسان المخلوق قد فاق الخالق عز وجل في الحكمة والمعرفة . والحقيقة انهم اخطأوا في القاء هذه التهمة على الكتاب الالهي ويظهر ذلك باكثر وضوح بالفحص المدقق في صفات الخمر المذكورة في الكتاب

ذكر الكتاب نوعين من الخمر : جاء ذكر المشروبات المسكرة في الكتاب وورد ذكر نوع من المشروبات او الخمر مراراً وهو غير مسكر وقد حفظ المؤرخون القدماء الفرق بين النوعين وفرقوا بين الخمر المسكرة وغير المسكرة

الخمر غير المسكرة : تنسب صفات الخمر المسكرة لفعل الكحول الموجود فيها فالا يحوي كحولاً فهو غير مسكر والكحول ينتج من الاختمار فالخمر التي لم يحدث فيها اختمار ليست مسكرة وما يطلب لحفظ الخمر من الكحول والصفات المسكرة هو منع الاختمار فاذا راجعنا التاريخ وجدنا ان القدماء كان لهم معرفة بطرق عديدة لمنع الاختمار

الخمر المسكرة : ذكرنا قبلاً ان العنصر المسكر في الخمر هو الكحول الناتج عن انحلال السكر مدة الاختمار وكل مادة فيها سكر يمكن تكون الكحول منها فاستخرج القدماء الخمر

المسكر من العنب والبلح واللوبية والفول وعصير التمر والنجاص والتين والرمان والثمار الاخرى وكانت هذه المشروبات معروفة عند اليهود وكثيراً ما اشار الكتاب اليها ففي الامثال ٢٣ : ٣١ تذكر الخمر المختمرة بان تظهر حبابها في الكأس ولكنها في الآخر تلسع كالحية

تمييز الخمور في الكتاب : قد لا يوجد فرق بين الخمور في ترجمة الكتاب الى اللغات الاخرى اما في اللغة العبرانية التي كتب فيها العهد القديم فقد ذكرت انواع كثيرة من الخمر يدل عليها بكلمات مختلفة وان تكن قد ترجمت كلها بكلمة واحدة اما الكلمات العبرانية الرئيسية المستعملة فهي יין (يابن) שכר (شكر) תירוש (تيروش) فيابن حسب قول الباحثين في التوراة تشير الى عصير العنب تحت اشكاله حامضاً كان او حلواً مختمراً او غير مختمر . وشكر تشير الى عصير حلو ماخوذ مما سوى العنب وقد ترجمت احياناً عسلاً ويقصد بها غالباً عصير التمر وهي مثل يابن تحتوي على العصير المختمر وغير المختمر اما تيروش فاطلقت على ثمر العنب الناضج وعصير العنب قبل ابتداء الاختمار فيه وتترجم غالباً بالخمر الجديدة . وبالاختصار يقصد بالاولى الخمر المختمرة وغير المختمرة او عصير العنب وبالثانية عصير التمر مختمراً كان او غير مختمر وبالثالثة عصير العنب الحلو قبل الاختمار او الخمر الجديدة . اما العبرانيون فاطلقوا لفظة يابن على الخمر الماخوذة من العنب مهما كانت حالته كما تطلق لفظة Cider على عصير التفاح قبل اختماره او بعده حديثاً كان او قديماً اما في اللغة اليونانية فالكلمة المستعملة Oinos توافق الكلمة العبرانية يابن وهذا كله يكفي لاثبات نوعين من الخمر يذكرها الكتاب المقدس الواحد حلو غير مختمر وغير مسكر والآخر مختمر مسكر وان كلة واحدة قد تستعمل لكليهما . فاذا رأينا الكتاب يتكلم مرة عن خمر غير محرمة وفي اخرى عن خمر محرمة الا يكون الاولى فهم الخمر غير المختمرة حين الاشارة الى ما يجوز استعماله وما اختمر منها الى ما لا تجيزه

القتلُ على يد القوابل

لحضرة الدكتور جرجي الياس نور بالمنصوره

كتبت من ثماني سنين وأنا في أميركا مقالة بهذا العنوان الى مجلتكم الغراء اثبت فيها آفة التمدن العصري وتعمد المرأة الغربية المتمدنة قتل الجنين واسقاطه وغالباً قتل نفسها

وذلك كله بفضل المدنية التي وصلت اليها ... اما الآن وان يكن عنوان مقالتي هذه هو ذات عنوان المقالة السابقة فالحقيقة هي على نقيضها والشكوى ليست من التمدن وآفته بل هي من الجهل وظلمته . لان تلك تتعمد الضرر عن معرفة فتفعل فعلها الشنعاء متخذة تبعة الضرر على ذاتها

أما المرأة الشرقية فلا تضر نفسها تعمداً بل ان ما يأتيه بعض النساء من الاعمال يساعدها على زعمهن حينا تكون بحالة الولادة او بحالة النفاس فيكون سبب ضرر من حيث يأملن النفع وما ذلك الا نتيجة الجهل والادعاء . والحقيقة التي أريد كشفها على صفحات مجلتكم — ويا حبذا لو كتب في موضوعها اخواننا الاطباء — هي تنبيه الامة والشعب الى القيام بواجباتهم نحو نسائهم في زمن من حياتهن يوجب لهن الشفقة والحنان والاعتناء التام ولقد مضى عليّ في المنصورة ثلاثة أشهر استدعيت في أثنائها لعلاج عدة نساء من اضرار الحبل والاهمال واليك شرح حال ثلاث منهن :

أولاً امرأة ولدت على يد قابلة (داية) وبعد مضي يومين من ولادتها قال لها صديقاتها وقابلتها الجاهلة انه يوجد معك ورم وللحال اتين بقطعة من نسيج وسخة قديمة واحرقتها ووضعن الزيت على رمادها وبعد ان صررن هذا المعجون في خرقة قذرة وحشتها ذلك المحل الوسخ اصابها تسمم والتهاب لم تشف منه الا بعد مدة من الزمن

اما الثانية فكانت تلد على يد قابلة ولما تعسرت ولادتها جربت لها القابلة مع صديقاتها كل ما في وسعهن من الخرافات لمدة اربعة ايام حتى قنطن وشعرن بالخطر فارسلن يستدعين الطبيب فلما وصلت وجدت المرأة في غرفة مظلمة مملوءة بالقذارة لا يدخلها هواء ولا نور ومملوءة بالنساء الجاهلات وبعد الفحص وجدت المرأة بحالة النزع فاخبرتهن بذلك وبعد ان نقلت هذه المسكينة الى غرفة مناسبة بادرت حالاً لاستخراج الجنين فوجدته ميتاً تتصاعد منه رائحة كريهة دلالة على الانحلال وان الجنين ميت في جوفها من ثلاثة ايام على الاقل وبداعي التسمم الذي نتج عن الانحلال ماتت الوالدة أيضاً . وما ذلك الا بفضل الجهل وحماقة النساء المدعيات . والحادثة الثالثة تشبه الاولى الا ان الدواء الذي عالجن الورم به كان على زعمهن قطعة طربوش عتيق قذر ومن جراء ذلك حصل لهذه الامرأة المسكينة تسمم وهي الآن بحالة الخطر ولا شك ان مثلها كثيرات بين الوطنيات . فالى متى تدوم هذه الحالة في الديار المصرية مهد المدنية والعلوم القديمة والى متى نتقاعد عن العلم الحقيقي والمدنية الحقيقية والى متى نصدق الدجالين والنساء الجاهلات القذرات بتصرفهن

وتأمن مثلهن على ارواح نسائنا وبنينا ونعرض عن الاطباء المتنورين فلا نستدعيهم الا بعد فوات الفرصة المناسبة ان هذا لمنتهى العجب

واغرب من هذا كله انه في الحادثة الثالثة قد منع والد هذه المرأة المسكينة صهره عن استدعاء طبيب لعلاج ابنته مدعياً ان الطبيب يقتلها وعليه فقد فضل ان يستدعي لها ممرضاً

فمن سرد هذه الحوادث الثلاث يتضح ان الاولى والثالثة قد نجتا عن القذارة التي استعملتها القابلة والصديقات الجاهلات وهذا كان سبب مرضهما الذي تعرضتا به الى الخطر واحتمال العذاب والآلام فضلاً عن تكدير العائلة واربابها وخسارة الوقت المفيد والدرهم . ولما كنا نوضح لهؤلاء النساء ذلك كن يجبن بكل وقاحة ان قطعة الطربوش العتيقة نفعتها ولكنها مصابة بشيء من البرد .. فتأمل

اما الحادثة الثانية فظهر بكل ايضاح ان سبب موت الطفل والوالدة هو جهل القابلة ليس الا وانه لو استدعي الطبيب في الوقت اللازم اي في اول يوم الولادة لكانت انقذت الوالدة والطفل من الموت . وبما ان هذه الحوادث قد كدرتني كثيراً اردت ان ارسلها اليكم كي تدرجوها في مجلتكم ليعلم الخاص والعام بان الجهل يقتل اهله وكفى بذلك عبرة

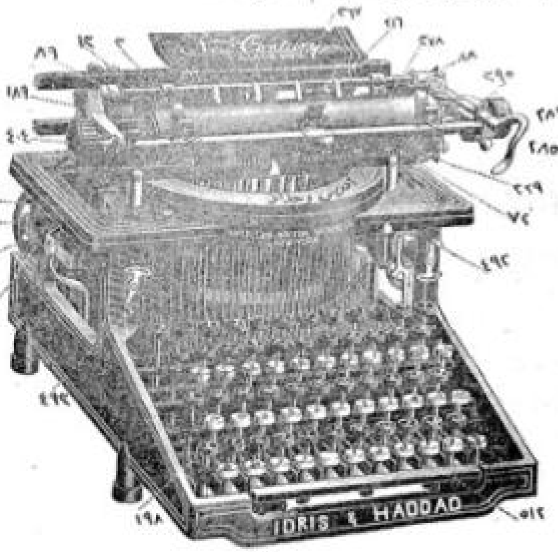
﴿ الهلال ﴾ ان امثال هذه الحوادث كثيرة في هذا القطر حتى في العاصمة . وقد عرفنا نساء ذهبن ضحية جهل القوابل ومن في عنفوان الشبيبة وفيهن عرائس لم يتم العام على زفافهن . وكان سبب الوفاة فيهن حياءهن من الاطباء وتعويلهن على القابلة — ولا بأس من التعويل عليها اذا كانت ممن تخرجن في المدارس وعرفن قواعد فن الولادة فاذا رأين حاجة الى استعانة الطبيب نبهن الى ذلك . ولكن المصيبة من القوابل اللواتي تناولن هذا الفن بالتقليد او الوراثة فيحدث في اثناء الولادة عوارض لا يفهمنها ولا يستطعن ملافاتها فتعود العائدة على الوالدة واهلها . ومن اقرب الحوادث التي تحققنا وقوعها في اثناء الشهر الماضي ان عروساً وطنية من عائلة عريقة في الحسب والنسب لا داعي لذكرها الخاص استدعوا لها قابلة (بلدية) فقضت تلك المسكينة ثلاثة ايام وهي تموج والقابلة تستمهلها حتى اذا خافت القابلة فروغ صبرها استعملت السلاح لخرج الجنين ولكنها لم تستخدم مضادات الفساد فلم يمض يومان حتى ظهرت الحمى العفنية فهرعوا الى الاطباء فاجتمعوا وقد فاتت الفرصة فتوفيت النفساء على الاثر

باب السؤال والاقتراح

الآلة الكاتبة العربية

(مونتريل كندا) جرجس افندي جرجوره حنا

وعدتم في الهلال السادس عشر من السنة التاسعة انكم ستنشرون صورة الآلة الكاتبة العربية وتبينون مزاياها فهل لكم ان تنجزوا الوعد



صورة الآلة الكاتبة

(ج) الآلة الكاتبة ويسميها الافرنج Typewriter من اختراع

الاميركان · وقد كان الناس في اوربا واميركا يسعون من اوائل القرن الثامن عشر في اختراع آلة تغنيهم عن الكتابة باليد للمراسلات فتضبطها وتمنع الالتباس في قراءتها مع الاقتصاد في الوقت · فلم يتوفقوا الى ذلك الا سنة ١٨٧٣ فاصطنعوا الآلة الشائعة الآن ورسمها في الصفحة المقابلة — واول من توفق الى ذلك معمل رمنتون واولاده في ايليون باميركا · فلما ظهر ما لهذه الآلة من الفوائد اقتبستها امم اوربا وشاعت في سائر العالم المتمدن · وهي عبارة عن آلة مكعبة الشكل توضع على طاولة وفي الشكل رسم وجهها الذي يستقبله المشتغل بها اذا وقف لاستعمالها · وفي اسفل الوجه المذكور اسطوانات صغيرة قائمة على قضبان من الحديد (انظر رقم ١٩٨) يقال لها المفاتيح على أوجهها الظاهرة صور الحروف الهجائية والارقام والحركات التي يراد الكتابة بها · والمفاتيح المذكورة تتصل من اسفل قضبانها باسلاك مصطفة وراء المفاتيح عمودياً وهي ظاهرة في الرسم حتى تنتهي في رؤوسها بحروف من الفولاذ تقابل الحروف المرسومة على المفاتيح كل حرف في اعلى السلك يقابله رسمه على المفتاح المتصل بذلك السلك · فلو كشفت القسم العلوي من الآلة لظهرت الحروف المذكورة مرتكزة على رؤوس الاسلاك · واهم ما في القسم العلوي المذكور اسطوانة من الكاوتشوك (٣٧٨) توضع عليها الورقة وتمسك بالجناح (٣١٦) وتحت الاسطوانة قدقمن نسيج مشربة بالحبر تفصل بينها وبين الحروف يقال لها الحبرة · فالمشتغل بهذه الآلة اذا اراد كتابة اسم «عباس» مثلاً ضرب باصبعه اولاً على المفتاح المرسوم عليه حرف (ع) فتنتقل الحركة بالسلك الى الحرف المقابل له في الداخل فيضرب على الاسطوانة وبينه وبينها الحبرة والورقة فتنطبع صورة الحرف المذكور على الورقة وتنتقل الاسطوانة نحو اليمين استعداداً لحرف التالي ثم يضرب باصبعه على حرف (ب) فترسم الباء بجانب العين ثم يضرب على الالف فالسين فترتسم متجاذبة وتقرأ «عباس» · فاذا اراد كتابة سطرين فاكثر سار على هذه الكيفية يضرب على المفاتيح فترتسم الحروف والاسطوانة تنتقل حتى ينتهي السطر فيرد الاسطوانة ويديرها للسطر الجديد بمفاتيح خاصة بذلك ويعود كما بدأ والكلام يرتسم في الداخل على ما يرام — وفي الآلة حركات كثيرة متممة للدقة وسرعة الحركة يطول الكلام في تفصيلها · وانما يقال بالاجمال انها سهلة لا تحتاج في استخدامها الى غير التمرين في نقل الاصابع على المفاتيح كما يتعود ضارب البيانو او القانون · والذي يتعود ذلك يكتب عليها بسرعة تفوق سرعة الكتابة باليد فضلاً عن تناسب الحروف ووضوحها ودفع الالتباس في قراءتها ولذلك اسرعت الامم الى

اقتباسها واستخدامها

فشاعت هذه الآلة في اوربا واميركا وكثرت اساليبها واشكالها بسرعة غريبة لسهولة اصطناعها وتطبيقها على احرف لغات الافرنج لانها احرف واحدة تقريباً . واذا وجدت بينها فرقاً فيوماً لا يعتد به ويسهل تلافيه — فلما افاق العرب من غفلتهم واخذوا في اقتباس عوامل التمدن الجديد كان في جملة ما احبوا اقتباسه الآلة الكاتبة فاشتغل غير واحد في هذا السبيل منذ نيف وعشرين سنة فاعترضتهم مصاعب كبيرة ثنت عزائم الاكثرين لاختلاف الحروف العربية عن الافرنجية عدداً وشكلاً بما يجعل استخدام تلك الآلة لكتابة العربية شاقاً لاسباب اهمها ثلاثة وهي (١) ان الحروف الافرنجية اللازمة للكتابة لا يزيد عددها على ٩٠ حرفاً واما الحروف العربية فربما زادت على ٩٠٠ وقد بينا سبب ذلك في مقالة « حروف المطابع العربية » صفحة ٣٦٥ من هلال السنة الماضية . (٢) ان حجوم الحروف الافرنجية متقاربة فيهان عليهم ان يجعلوا لها فسحات متساوية . واما الحروف العربية فتختلف حجومها باختلاف الحروف اختلافاً كبيراً فمنها ما هو متناهٍ بالرقة مثل ; : ؛ ء ا ا ونحوها ومنها ما هو متناهٍ في الضخامة مثل ص . ك ـــك . ج ونحوها ومنها ما بين ذلك بحيث يزيد عدد الحجوم على عشرين حجماً فلا يمكن ان تعطى فسحات متساوية (٣) ان الحروف الافرنجية ترسم متفرقة ولا بأس اذا لم تكن المسافات بينها متناسبة واما الحروف العربية فاكثرها لا بدَّ من التحامه من جانبيهِ حتى تبدو كانها مكتوبة بالقلم والا فانها تفقد رونقها

فاستخدام الآلة الكاتبة لكتابة الحروف العربية لا يتم الاَّ بإلافاة تلك الصعوبات وقد توفق الى ذلك حضرة الدكتور سليم افندي حداد بعد معاناة التجربة عدة سنوات واستعان في اخراج اختراعه الى حيز العمل بصاحب العطوفة ادريس بك راغب فسافر الى الولايات المتحدة بنفسه فاصطنع الآلة التي ترى رسمها في صدر هذه المقالة وهي على طرز « كليغراف » المشهور

واما التعديل الذي ادخله على الحروف العربية حتى استطاع استخدامها لهذه الآلة فينحصر في تغييرين مهمين : الاول انه اختصر من اشكال الحروف العديدة على ٥٥ حرفاً ولم يكن يظن قبل ذلك امكان اختصارها الى اقل من مئة وبعض المئة اذ لأكثر الحروف العربية اربعة اشكال واحدٌ لبدء الكلمة وواحد لوسطها وواحد لآخرها وآخر للحرف المنفرد على هذه الصورة جـ . ـجـ . ـج . ج و صـ . ـصـ . ـص . ص . فقي

الحروف الوسطى والانتهائية تنوء بارز من يمينها للربط في ما قبلها يعبرون عنه بالرابط · وطريقة حداد افندي في آلته انه اقتصر على الاشكال الابتدائية والمنفردة وعوض عن الشكلين الآخرين باطالة الطرف الايسر من الحروف الابتدائية بحيث يسهل التحامها بالطرف الايمن من الحروف التي تليها فيستغنى بذلك عن الحروف الوسطى والانتهائية فكلمة « حجج » مثلاً لا يمكن جمعها من حروف للطابع الاعتيادية الاَّ من ثلاثة حروف مختلفة الشكل وهي حـ جـ ج واما حروف هذه الآلة فالحرفان الاوَّلان من شكل واحد حـ حـ اذا تقاربت تلاحمت على هذه الصورة « حجج » فكانهُ نقل الرابط من يمين الحرف الى يساره

والتغيير الثاني انه عدَّل حجوم الحروف العربية التي تلحم من احد جانبيها فجعلها حجمين فقط باعتبار مخافة اجسامها فجعل الاحرف الرقيقة مثل ؛ : ة ا ة ونحوها في حجم متساو وهو نصف حجم الحروف الثخينة مثل س ح ط وغيرها · فاصبحت تلك الحروف اما حجماً مفرداً او مزدوجاً · وادخل في الآلة حركة تناسب هذا الفرق فاستطاع بهذه الوسيلة من حفظ رونق الحروف العربية مع ذلك الاختصار · واليك بضعة اسطر منقولة عن كتابة الآلة نفسها حجماً وشكلاً :

هذه كتابة حروف المكنة الكتابية العربية المختصرة وعددها خمسة وخمسون حرفا فقط اما المكنة فتضاهي احسن المكنات الافرنجية وقد استخدمتها الحكومة المصرية في جميع دوائرها وهي سهلة الاستعمال واسرع واوضح من كتابة اليد ويكتب بها نسخا متعددة بوقت واحد وفيها الحبر الاسود البسيط والحبر الكوبيا للطبع

تالت على بدها

(طنطا) عبد العزيز افندي عزت بالبوسطة

قيل ان يزيد بن معاوية بن ابي سفيان الاموي هو الناظم للقصيدة المشهورة التي مطلعها « نالت على يدها ما لم تنله يدي » فما هي

(الهلال) ان في نسبة القصيدة المذكورة الى يزيد شكاً والغالب انها من نظم الوأواء الدمشقي وهو محمد بن احمد ابو الفرج الوأواء الغساني الدمشقي المتوفى في أواخر القرن الرابع للهجرة وهاك احاسن ابياتها

نالت على يدها ما لم تنله يدي	نقشاً على معصم أوهت به جلدي
كأنه طرق نمل في أناملها	أو روضة رصعتها السحب بالبرد
خافت على يدها من نبل مقلتها	فألبست زندها درعاً من الزرد
إنسية لو رأتها الشمس ما طلعت	من بعد رؤيتها يوماً على أحد
سألتها الوصل قالت لا تغرّ بنا	من رام منا وصالاً مات بالكمد
فكم قتيل لنا في الحب مات جوى	من الغرام فلم يبدي ولم يعد
فقلت استغفر الرحمن من زلل	ان المحب قليل الصبر والجلد
قد خلفتني طريحاً وهي قائلة	تأملوا كيف فعل الظبي بالأسد
قالت لطيف خيال زارني ومضى	بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمأ	وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا في الحب شيمته	يا برد ذاك الذي قالت على كبدي
واسترجعت سألت عني فقيل لها	ما فيه من رمق دقت يداً بيد
واستمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت	ورداً وعضت على العناب بالبرد
هم يحسدوني على موتي فوا أسفي	حتى على الموت لا أخلو من الحسد

روتر وهافاس

(القاهرة) حسن افندي محمد بالمالية

كثر تحدث الناس في أثناء الحرب القائمة الآن في الشرق الاقصى باخبار روتر وهافاس فتخيل لنا ما لهذه الشركات من الفوائد العظمى لانا ونحن على ضفاف النيل تصل الينا أخبار المعارك على ضفاف اليالو ببضع ساعات وهي على نحو ستة آلاف ميل عنا فتاقت النفس الى معرفة مؤسس هذه الشركات وما هي

(الهلال) هي شركات تلغرافية تقوم بنقل الاخبار الى مشتركيها تلغرافياً كما تنقلها

الجرائد بالبريد · وصاحب هذا المشروع ومستنبط هذا الفكر رجلٌ الماني اسمه البارون بوليوس روتر ولد في كاسل سنة ١٨٢١ وبعد ان تلقى العلم استخدم في بعض البنوك ثم ألحق ببعض المكاتب · فلما حدثت ثورة سنة ١٨٤٨ خربت المكتبة فسافر روتر الى باريس وأنشأ فيها مكتباً لنقل الاخبار الى الجرائد يطبعها على الحجر ويفرقها فيها · وكانت الخطوط التلغرافية لا تزال في أول نشأتها وهي قليلة فكان يستجلب الاخبار بواسطة حمام الزاجل · وفي نحو سنة ١٨٥٠ نصبت حكومة روسيا الخط التلغرافي بين برلين واكس لاشبل فانتقل روتر الى اكس ليتمكن من استخدام ذلك الخط في نقل الاخبار مع اتمام المخابرات في البلاد الاخرى بواسطة الحمام · وفي سنة ١٨٥١ انشيء الخط التلغرافي الموصل بين كالي ودوفر بالبحر فانتقل روتر الى لندرا واستقر فيها وتجنس بالجنسية الانكليزية وكانت الخطوط التلغرافية قد اخذت تتكاثر فانشأ وكالات فرعية في المدن الكبرى لنقل الاخبار التجارية ونحوها ففرح التجار بذلك فرحاً شديداً · وأما أرباب الصحف فتقاعدوا في بادىء الرأي عن تنشيطه ولعلهم خافوا من مشروعه على صحفهم · وأشهر جرائد الانكليز يومئذ التيمس فذهب روتر الى مديرها وأعلن له مشروعه وطلب اليه أن يعتمد عليه في استجلاب الاخبار التلغرافية فاستحسن المدير ذلك الفكر لكنه أجابه « قد وجدنا بالاختبار اننا أقدر على قضاء حوائجنا بانفسنا مما يستطيع قضاءها لنا سوانا » فلم يقعده ذلك الجواب (الانكليزي) عن السعي · فتركه وانصرف الى صاحب جريدة المورنن بوسط وكانت تلي التيمس بالانتشار والاهمية فعرض عليه مشروعه ورغبه فيه فوافقه وعقد معه اتفاقاً · فلما وجدت الجرائد الاخرى مزية الاعتماد على هذه التلغرافات تسابقت الى الاشتراك فيها وفي جملتها جريدة التيمس نفسها

فدخلت الصحافة بعد ذلك في دور جديد وتضاعفت فوائدها وزادت رغبة الناس في المطالعة · واوّل ما رأى الناس فوائد هذه التلغرافات في حرب ايطاليا سنة ١٨٥٩ فتعاظم شأنها وتسابق ارباب الاموال الى ابتياعها فعقدوا سنة ١٨٦٥ شركة للقيام بهذا المشروع عهدوا بادارتها الى روتر · وفي تلك السنة نال روتر من حكومة هنوفر امتيازاً بانشاء خط تلغرافي تحت البحر بين المانيا وانكلترا ثم نال من فرنسا امتيازاً بخط بين فرنسا والولايات المتحدة الاميركية نحو سنة ١٨٦٩ وفي سنة ١٨٧١ منحه دوق كوبورج غوطا لقب بارون اعترافاً بفضله على التجارة والسياسة · وفي السنة التالية منحه شاه العجم امتيازاً بانشاء

السكك الحديدية والانتفاع من المناجم والاحراج في مملكة العجم كلها ولكن ذلك لم يخرج الى حيز الفعل

وبالجملة ان البارون روتر نجح في مشروعه نجاحاً باهراً وخدم الصحافة والسياسة والتجارة خدمة جزيلة . فلما ظهرت فوائد مشروعه جرى الناس في النسج على منواله فتألفت شركة هافاس وغيرها . ومع ذلك فلا تزال شركة روتر الاولى من سواها

الياذة هوميروس

نظم البستاني

﴿ ما هي الالياذة ﴾ كان على شواطىء آسيا الصغرى مما يلي الدردنيل مملكة من ممالك التمدن القديم يقال لها طروادة واسم عاصمتها اليون وكانت طروادة معاصرة لدولة اليونان او الاغريق نحو القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وكانت بلاد اليونان يومئذٍ ممالك صغيرة تتحالف احياناً وتتشاق اخرى اشهرها اسبارطة واثينا . وكان بين اليونان والطرواد صلة تجارة ونسب . فحدث ان منيلاوس ملك اسبارطة خرج من عاصمته في مهمة وان فاريس بن فريام ملك طروادة قدم اسبارطة برسالة فنزل ضيفاً على منيلاوس وهو غائب فرأى امرأته هيلانة فاحبها وما زال بها حتى استهواها فاحبته ووافقته على الفرار معه الى طروادة . فلما علم الاغريق بذلك الفرار أعظموه ولما اعيتهم الحيلة في استخلاص هيلانة تأهبوا للحرب واستصرخوا قبائلهم فاجتمعوا ورأسوا عليهم اغاممنون اخا منيلاوس وساروا جيشاً كثيفاً يعيثون في بلاد الطرواد يخربون المدائن ويقتلون الرجال ويسبون النساء الى ان بلغوا عاصمتها فحصروها واقاموا على حصارها عشر سنين فساءت حال الفريقين وتقلدت الارزاق وبادت المقاتلة وكاد الاغريق ينثنون الى اهلهم ويقنعون بمن بقي منهم لو لم يوافهم اوذيس بخدعة فتحوا بها اليون

وهوميروس اقدم شعراء اليونان نبغ في القرن التاسع قبل الميلاد فتناول اياماً قلائل من السنة العاشرة لحصار اليون وبنى عليها قصة شعرية مؤلفة من نحو ١٦٫٠٠٠ بيت سماها « الالياذة » ومعناها « الاليونية » نسبة الى اليون المذكورة . ومفاد القصة تنازع بعض ابطال تلك الحملة على فتاة جميلة من سباياهم وقعت في سهم اخيل عنترة الاغريق فانتزعها منه اغاممنون زعيم الزعماء واستخلصها لنفسه فعظم الامر على اخيل

وكاد يبطش باغاممنون لولا ان اثينا الاهة الحكمة هبطت من السماء وصدته قسرًا · فانكفأ عنه واعتزل القتال هو وعشائره · فحمي وطيس الحرب بين الاغريق والطرواد واخيل في عزلته يتحرق غيظًا · فاشتدت عزيمة الطرواد لاحتجاب اخيل فنكلوا بالاغريق في مواقع كانت الغلبة في معظمها لهم · فلما ثقلت الوطأة على الاغريق اوفدوا الوفود استرضاء لاخيل فما زاد الا عتوًا وكبرًا · فوقعت هيبة هكطور زعيم الطرواد وابن ملكهم فريام في قلوب الاغريق وما زالت تتوالى له الغلبة بعد الغلبة حتى كاد يحرق سفائنهم ويردهم خائبين · وكان لاخيل صديق حميم هو فطرقل فتى جمع بين كرم الخلال وبسالة الابطال صحب اخيل في معتزله وهو مع هذا يتلظى اسى لنكبة قومه ويستفز اخيل للاخذ بيدهم واخيل كالحجر الاصم لا يرق ولا يلين · ولما اشتدت الازمة على الاغريق وكاد يقضى عليهم جعل فطرقل ينتحب كالطفل فاذن له اخيل ان يتقلد سلاحه ويحمل على الطرواد بجند المرامدة قوم اخيل · فحمل عليهم حملة مزقت شملهم وردتهم على اعقابهم واذا به خر قتيلًا امام هكطور فدارت الدائرة بموته على قومه فولوا مدبرين وهكطور يضرب في اردافهم · ولما علم اخيل بموت فطرقل قتيلًا تسعر حزنًا على حليف وده والتهب حقدًا على الطرواد وتحول غضبه من عن الاغريق اليهم ونهض للاخذ بالثار فصالح اغاممنون واغار على الطرواد فبطش بهم بطش الاسود بالحملان فلاذوا بالفرار وتحصنوا في معاقلهم ما خلا هكطور فانه برز له فقتله اخيل ومثل به · ولكنه ما لبث ان سكن جاشه وخبا غيظه فانقلب ذلك الغيظ رفقًا وعطفًا اذ رق لشيبة فريام فالقى اليه بجثة ابنه وسعى بامنه فانتهت القصة بسكون وسلام

وضمن هوميروس الياذته كثيرًا من الحقائق التاريخية والجغرافية والسياسية فضلًا عن عادات تلك العصور واخلاق اهلها ومعتقداتهم وآدابهم وقد وصف العواطف والشعائر والافكار وصفًا لم يسبق له مثيل ولم يأت المتأخرون باحسن منه بعبارة جلية بليغة سهلة · لحرص اليونان على تصفح الالياذة واستظهارها وتناشدها وتناقلها

﴿ ترجمتها ﴾ فلما دالت دولة اليونان وقامت دولة الرومان كانت الالياذة في مقدمة ما نقلوه الى لسانهم وكانوا يترنمون بانشادها ويحذون النظم على مثالها · وفعل مثل ذلك ايضًا الهنود والفرس والسريان من اهل التمدن القديم · فلما بزغ نور التمدن الحديث تسابقت الامم الحديثة الى ترجمتها فنقلوها الى الايطالية والفرنساوية والانكليزية والالمانية وغيرها نظمًا ونثرًا وعلقوا عليها الشروح التاريخية واللغوية والادبية ونحوها

اما العرب فمع حرصهم على علوم الادب وشغفهم بالشعر وعنايتهم بنقل آداب الهند والفرس والروم الى لسانهم في اثناء النهضة العباسية وما بعدها لم تكن الالياذة في جملة ما نقلوه لاسباب اهمها الدين · لان في الالياذة من ذكر الآلهة الوثنية واخبارها ما يناقض تعاليم التوحيد ولذلك كان شأنها في اوائل النصرانية مثل شأنها في اوائل الاسلام حتى اذا رسخت قدم النصرانية اشتغل علماء النصارى في ترجمتها وشرحها · ولهذا السبب كان يجب ان تنقل الى العربية بعد تأيد الاسلام وانتشاره ولكنهم تقاعدوا عن ذلك في الدولة العباسية لتقاعد العرب عن درس اليونانية وعجز النقلة الذين يعرفون اليونانية عن نظم الشعر — ناهيك بافتتان العرب باشعارهم واحتقار سواها · ولمثل هذا السبب لم يلتفت اهل الاندلس الى هوميروس والياذته وبعد هاتين الدولتين لم يكن للدول العربية عناية مثل عنايتهما في نقل العلوم او ادخارها

الالياذة العربية ومهما يكن من الاسباب التي حالت دون نقل الالياذة الى العربية فانها ما زالت محجوبة عن اهل هذا اللسان الى هذا اليوم ونحن في القرن الرابع عشر لنهضة العرب حتى تصدى صديقنا سليمان افندي البستاني لكشف ذلك الحجاب وابراز فتاة اليونان بحلة عربية قشيبة فاقدم على عمل تقاعد عنه العرب بضعة عشر قرناً وهو واسع الاطلاع في كثير من اللغات كالفرنساوية والانكليزية والايطالية والفارسية والتركية وله المام باللاتينية واليونانية وباللغات الشرقية فتصفح ترجمات الالياذة بلغات اوربا ثم توسع في درس اليونانية ليطالع الالياذة كما نظمها هوميروس بلسانه فساعده ذلك على تفهم دقائق المعاني

فنظم الالياذة في نحو ١١٠٠٠ بيت التزم فيها المعنى الاصلي التزاماً لم يسبقه اليه احد من نقلها الى الالسنة الأُخرى واجتنب حوشي الكلام ووحشيه · وضبط الشعر بالشكل الكامل وعلق عليه شروحاً قابل فيها بين جاهلية اليونان وجاهلية العرب في الادب والشعر والاخلاق والعادات وافاض في ذلك حتى ضُمّن شرحه اكثر ما يعرف عن احوال العرب في جاهليتهم واوائل اسلامهم

وصدَّر الكتاب بمقدمة ضمَّنها — فضلاً عن سيرة هوميروس والياذته وتحليلها ونشر نحوها — ابحاثاً جديدة في اصول التعريب وقواعده فتطرق من ذلك الى وصف النهج الذي سلكه في تعريب الالياذة · ثم تكلم عن النظم في التعريب واوزان الشعر وابوابه وعلاقة الاوزان والقوافي بالمعاني وهو بحث لم يسبقه احد اليه · وافرد باباً خاصاً للكلام في الالياذة والشعر

العربي فبحث اولاً في الشعر العربي من اقدم ازمانه الى زمن الاسلام وما كان من تأثير القرآن عليه. ثم قابل بين لغة قريش المضرية ولغة الالياذة اليونية وكيف عاشت الاولى وتلاشت الثانية. ثم بحث في طبقات الشعر العربي من الجاهلية الى المحدثين وبين مزية كل طبقة ونحولها واطال خصوصاً في شعر المولدين وفنونه واساليبه وما حدث فيه من التشطير والتخميس والتسميط واللغز والتدويت وما يلحق بذلك من التاريخ الشعري والموشح والمواليا والزجل وعروض البلد والمزدوج والملعبة والزهري والمعنّى وغيرها . ثم تطرق الى البحث في علوم الادب عند المولدين واطوار الشعر وطبقات شعرائهم الى الشعر العصري — ونظر نظراً خاصاً في الملاحم او منظومات الشعر القصصي في الجاهلية والاسلام ومقابلة ذلك بما عند الافرنج. وفصل الكلام في الحقيقة والمجاز وتأثير الحضارة في استهجان المستحسن واستحسان المستهجن في التشبيه والمجاز ومزية العربية على لغات الافرنج في هذا الباب . وختم الكلام بفصل في الشعر واللغة نقلنا بعضه الى الهلال الماضي

والمقدمة المذكورة نحو ٢٠٠ صفحة كل فقرة منها تشهد باقتدار صاحب الالياذة العربية على النظم والانشاء واطلاعه على آداب العرب والافرنج وسعة علمه في التاريخ وآدابه وفلسفته . وقد ذيل الكتاب بمعجم للالفاظ اللغوية ومعجمين لسائر مواد الكتاب من اعلام وتاريخ وعلم وصناعة واخلاق وعادات وعلم جرّا . فضلاً عن فهارس الرسوم والقوافي فجاء ذلك كله في كتاب صفحاته ١،٣٦٠ صفحة كبيرة فهو عبارة عن قاموس في الشعر والادب عند اليونان والعرب وفي اخلاق الامتين وعاداتهما في الجاهلية وغيرها . والكتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة مئة قرش مصري واجرة البريد للقطر المصري خمسة قروش وللخارج عشرة

﴿ الدليل النفيس في اعمال البوليس ﴾ هو كتاب جزيل الفائدة ألفه حضرة محمود افندي لطفي كاتب مركز ضبط ادفو وضمنه كل ما يهم الناس معرفته من قوانين ادارة البوليس وتعليماتها ومنشوراتها ولوائحها وما طرأ عليها من التعديلات مع جداول اللوائح والمكربتات المتداولة . وقد قاسى في سبيل ذلك مشقة كبرى مما يقتضيه اختصار النصوص الرسمية من العناية والدقة فجاء كتاباً وافياً صفحاته ١٣٦ صفحة كبيرة وفيه من الفوائد ما لم يسبق جمعه في كتاب على هذه الصورة بحيث يسهل تناوله ويكثر الانتفاع به . وهو يطلب من حضرة المؤلف ويباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة اثنا عشر قرشاً واجرة البريد قرش ونصف

﴿ رسائل ابي العلاء ﴾ اهدانا حضرة الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي واستاذ اللغة العربية في جامعة اكسفورد نسخة من «رسائل ابي العلاء» التي عني هو بنشرها وضبطها منذ بضع سنوات في اكسفورد مع ترجمة انكليزية وتعاليق وشروح تاريخية وادبية وترجمة منشئها الفيلسوف المعري . ومن يطلع على رسائل هذا الفيلسوف في اصلها العربي يعرف ما للاستاذ مرجليوث من سعة الاطلاع في علوم اللسان العربي وآداب العرب اذ بدون ذلك لا يتيسر له ضبط تلك الرسائل ولا ترجمتها . فنشكر لحضرته على فضله في نشر مآثر اسلافنا جزاه الله عنا خيراً

﴿ نعيم البتولية ﴾ هو كتاب في فضائل التبتل والعفاف لمؤلفه صليب افندي يوسف بقي ضمنه مقالات في النفس والجسد والنذر ومنزلة البتولية عند السيد المسيح ورسله ومواعيد القديسين وكثيراً من المواعظ في هذا الشأن وزينه بالرسوم الدينية والكتاب يطلب من مؤلفه وثمنه خمسة قروش

﴿ قلب الرجل ﴾ هي رواية ادبية غرامية تأليف السيدة لبيبة هاشم الكاتبة المعروفة . ألفتها خدمة لجمعية السيدات المارونيات التي تشكلت في القاهرة لتعليم البنات البائسات اللواتي يعجز اهلهن عن الانفاق في تعليمهن . فنشرت مدام هاشم روايتها المذكورة على ان يضم ما يجمع من اثمانها الى صندوق الجمعية المشار اليها ففي ابتياعها فائدة وفكاهة واحسان وفي ذلك ما يكفي لاستحثاث الادباء على مطالعتها فضلاً عما لحضرة المؤلفة من سلامة الذوق في عالم الانشاء . والكتاب يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة اربعة قروش واجرة البريد نصف قرش

(كنز النفائس في اتحاد الكنائس) هو كتاب يختلج فؤاد كل مسيحي فرحاً عند قراءة اسمه لما يترتب على الاتحاد من الفائدة الشاملة . الفه باليونانية المعلم قولا ابرازي استاذ مدرسة فرفاكيون في أثينا ونقله الى العربية حضرة الاب الخوري يوحنا حزبون البيتلحمي راعي الكنيسة الارثوذكسية بيافا وأضاف اليه اضافات كثيرة وحواشي مهمة وصدره بمقدمة يدعو فيها الطوائف المسيحية الى الاتحاد لان الاسباب التي دعت الى انشقاقهم في أوائل النصرانية اصبحت اليوم من قبيل الترهات والخرافات . وفي الكتاب ابحاث في كنائس النصرانية على اختلاف اماكنها ومذاهبها وما تختلف فيه بعضها عن بعض . عدد صفحات الكتاب ٢٤٠ صفحة كبيرة وثمن النسخة عشرة قروش وأجرة البريد قرش ونصف ويطلب من حضرة المؤلف ومن مكتبة الهلال



هوميروس

صاحب الالياذة اليونانية

الهلال

الجزء السابع عشر من السنة الثانية عشرة

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٤ و١٧ ربيع الاول سنة ١٣٢٢

الالياذة العربية

والنهضة الادبية

اتينا في الهلال الماضي على ذكر الالياذة اليونانية وصاحبها وتاريخ نقلها الى الالسنة الاخرى واجملنا في محتويات الالياذة العربية تمهيداً للكلام في وصفها وما سيكون من تأثيرها في اداب اللغة العربية في نهضتنا الاخيرة · لاننا في نهضة ادبية شعرية لم يتفق للعرب مثلها الا في ابان حضارة الاسلام · وبين ظهرانينا كتاب وشعراء لم ينبغ مثلهم منذ عدة قرون · فظهور هذا الكتاب الجليل خطوة كبيرة في سبيل هذه النهضة

وقد قلنا « الالياذة العربية » ولم نقل الالياذة اليونانية او الالياذة (فقط) لان الالياذة العربية تمتاز عن اليونانية وعن سائر ترجماتها في اللغات الاخرى بعدة امور اهمها انها تحتوي على ابحاث في العرب وادابهم واللغة العربية وادابها والشعر وفنونه واساليبه مع مقابلة كل ذلك بما عند اليونان القدماء مما لم يتأت لاحد من نقلة الالياذة الى غير العربية ولذلك فاننا سننظر في هذا الكتاب من وجهين نبحث في الوجه الاول بما سيكون من تأثيره في الشعر العربي وفي الوجه الثاني بما اكتسبته اللغة العربية به من العلوم والاداب مما لم يكن فيها من قبل

١ — الالياذة العربية والشعر العربي

﴿ ما هو الشعر ﴾ الشعر عند العرب « الكلام المقفى الموزون » وهو تعريف النظم وليس تعريف الشعر · لان النظم غير الشعر اذ قد يكون الرجل شاعراً ولا يحسن النظم وقد يكون ناظماً وليس في نفسه شعر · على ان النظم يزيد الشعر طلاوة ووقعاً في النفس لانه القالب الذي يسبك فيه الشعر · والفرق بينه وبين الكلام المرسل اننا نعبر بهذا عما نشاهده او نستنتجه من اعمال الحياة بالقياس والبرهان ونعبر بالشعر عن شعورنا بالانفعالات النفسية بلا قياس ولا برهان — فالكلام المرسل لغة العقل والشعر لغة القلب او النفس



القنطورس — عن الالياذة العربية

والشعر من حيث موضوعه ينقسم الى قسمين : الاول يعبر به الشاعر عن عواطفه وعواطف ذويه وهو الذي يسميه الافرنج « ليريك » اي الغنائي او الموسيقي ويدخل فيه حكاية كل ما تشعر به النفس من الحب والشوق والوجد والحماسة والفخر او ما علَّمه بالتعقل وطول الاختبار كالامثال والحكم · والقسم الثاني يصف به الشاعر احوال الآخرين

ويسمونه ايبك اي الشعر القصصي او الوصفي وهو عبارة عن نظم الحوادث والوقائع ووصف ما يرتسم في الذهن من الصور

﴿ الساميون والشعر ﴾ والساميون (العرب والعبران والسريان) اهل خيال وعواطف ولذلك كانوا من اكثر الامم شعراً واكثر اشعارهم من النوع الموسيقي . فالعبرانيون ارقى اهل الارض وانكام والشكام والمزامير والمراثي ونحوها من قبيل العواطف والامثال والجامعة من قبيل الحكم فالخيال الشعري منصرف فيهم الى الاحساس الدينى . واما العرب فانه منصرف فيهم الى المفاخرة والحماسة والتشبيب مما تدعو اليه احوال البادية . وقد عدوا من اشعارهم بضعة عشر نوعاً معظمها من قبيل الشعر الموسيقي كالغزل والفخر والمدح والهجاء والعتاب والاعتذار والزهد والرثاء والتهاني والوعيد والحماسة وبعضها من قبيل الوصف كالزهريات والخمريات وبعضها من قبيل الحكم والامثال . ولو تدبرت معانيها لرأيتها ترجع الى التعبير عن عواطف الشاعر او عواطف قبيلته

﴿ الشعر القصصي وشعراء العرب ﴾ واما الشعر القصصي او الوصفي فلا نقول انه معدوم في العربية ولكنه قليل جداً وخصوصاً بعد زمن الجاهلية واكثر ما عثروا عليه منه لا يتجاوز وصف بعض الادوات او الحيوانات او بعض الوقائع القصيرة . واما الشعر القصصي على نحو ما في الياذة اليونان او مهابهاراتة الهند او شهنامة الفرس فلا وجود له عندهم . ولو تدبرت شعر العرب في الجاهلية وشعرهم في الاسلام على اختلاف عصوره لرأيته واحداً في موضوعه واسلوبه لولا التغيير الطفيف الذي لحق بعض اوزانه وبحوره مع ارتقاء عبارته بسبب القرآن والتمدن الاسلامي . واما في حقيقته فقد ظل كما كان في اقدم ازمانه — شعراً موسيقياً — وزادته الاجيال الاسلامية الوسطى ركاكة وضعفاً . فاشرق التمدن الحديث ونبغ شعراء هذه النهضة وفيهم من يضاهي البحتري وابا تمام والمتنبي في حدة الذهن وجودة القريحة ولكنهم لم يخرجوا في منظوماتهم عن تقليد القدماء في الاساليب والعبارة حتى المعاني فانها معاني القدماء وهم انما يغيرون قوالبها و يبدلون الوانها — الا فئة قليلة ممن اطلعوا على آداب الافرنج وقرأوا اشعارهم القصصية وما تضمنته من الاساليب والفوائد فاستاؤوا تجرد الشعر العربي منها واخذوا يقلدون الافرنج فيها . على ان جمهور الشعراء يعدون ذلك بدعة وفي قلوبهم وحول اعناقهم ما يحسّن لهم البقاء على القديم

فقضى شعراؤنا اوائل هذه النهضة وهم بين دافع الى الامام يرغبهم في الشعر القصصي والوصفي وجاذب الى الوراء يرجع بهم الى ما كان عليه اسلافهم منذ عشرة قرون من وصف الشوق

واستعطاف الحبيب والتفنن في اساليب المدح والرثاء والهجاء . يستهلون القصيدة بالغزل او وصف الطرثم يتخلصون الى المدح او الى الفخر والمعاني قديمة والاساليب قديمة — اقتضت اوائل هذه النهضة والقرائح نوعًا كما كانت حال الافرنج في اوائل انتقالهم من الطريقة المدرسية في الادب الى الطريقة الرومانية — ولا بد من التردد والتوقف في اوائل كل نهضة . ثم لا تزال الموازنة محفوظة في الجانبين حتى ينبغ من اهل القرائح من يرجح احدى الكفتين فيقيم الحجة على افضلية احدى الخطتين ببرهان محسوس . كما فعل فيكتور هوكو في ترجيح الطريقة الرومانية في الادب الفرنساوي على الطريقة المدرسية بانشاء نظمه واثبته فاستحسن الناس ذلك بعد المعاينة . وكما فعل صديقنا البستاني في نظم الالياذة وهي في اصلها اليوناني اصدق مثال الشعر القصصي . ومن اعظم النعم على الادب العربي ان يتولى هو تعريبها فيخرجها لاهل هذا اللسان الياذة عربية ولو تولى ذلك غيره ربما جاء تعريبها قاضيًا على الشعر القصصي في اللسان العربي اذ يندر ان يتوفر في شاعر واحد ما في البستاني من المواهب الطبيعية مع سعة الاطلاع في العلم والادب وسلامة الذوق في اللغة والشعر مما يستدعيه هذا العمل العظيم ليكون اثباته حجة على القائلين ببعد الشعر القصصي عن الاساليب العربية

والشعر القصصي ويسميه ناظم الالياذة العربية « الملاحم » أحفظ لتاريخ الامة واقدر على تصوير عاداتها وآدابها . ولو نظم عرب الجاهلية الشعر القصصي على هذا النحو لما اظلم تاريخهم ولا ضاعت اخبار رجالهم ولا تشاككت ادابهم وعاداتهم بل كان شأنهم مثل شأن جاهلية اليونان بالياذة هوميروس او شأن الهنود بالمهابهاراتة . وربما فاقوا الامتين فيه لانهم اطبع على الشعر من كليهما . ولكنهم رغبوا في رنة الشعر الموسيقي العاجلة عن فائدة الشعر القصصي الآجلة وزادت هذه الرغبة فيهم بعد تأسيس دولتهم وانشاء تمدنهم لاحتياجهم الى الشعر الموسيقي في اثارة النفوس واستنهاض الهمم واستجداء الخلفاء بالمدح ونحوه . فنظموا منه ما لم يتفق لأمة من امم الارض في عصر من العصور في كثرته وجودته حتى عدت قصائدهم بعشرات الالوف وكلها بليغ متين . ولكن اكثرها ضاع لزوال الاسباب التي دعت الى نظمه او ساعدت على حفظه ولم يبق من شعر الجاهلية والاسلام الا القليل وسيذهب هذا ايضًا بتوالي الاعوام كما ذهب ما نظمه اليونان من الشعر الموسيقي وبقيت الالياذة وستبقى ما بقي الشعر . فلو كان شعر العرب قصصيًا لبقي اكثره

ولما اشتغل المسلمون بنقل علوم اليونان وآدابهم الى العربية في العصر العباسي لم تكن

الالياذة في جملة منقولاتهم ولو نقلوها واحسن ناقلها سبكها لتحدى شعراء العرب النظم على مثالها واصبح الشعر القصصي في جملة آداب التمدن الاسلامي كما تحدَّوا الهند والفرس في تأليف القصص نثرًا بعد نقل كليلة ودمنة وهزار افسانه وسندباد الحكيم وبهرام شوس الى العربية على نحو ما نراه في كتاب الف ليلة وليلة وامثاله



محاربة زفس للطيطان — عن الالياذة العربية

ولو نظموا الشعر القصصي لخلدوا من صور حروبهم واخبار رجالهم ونجدتهم وآدابهم اكثر كثيرًا مما خلده شعرهم الموجز وقد يعجز عنه النثر لامكان تطرق التحريف والتصحيف والزيادة والحذف الى النثر وامتناعه في النظم لتقيده بالقافية والوزن

﴿ الالياذة العربية وهذه النهضة ﴾ فبعد ظهور الالياذة العربية لم يبق لشعرائنا عذر في التقاعد عن نظم الشعر القصصي والوصفي لا سيما وان ناظمها حفظه الله قد توخى في نقلها اسباباً تبعث على الرغبة في ذلك فانه مع محافظته على الاصل اليوناني المحافظة التامة اجتنب حوشي الكلام ووحشيه واتى بما في الالياذة من التراكيب الوصفية الغريبة الفاظاً تناسبها ونهج اسلوباً في التركيب الوصفي يوافق الاساليب العربية · وفعل نحو ذلك في تعريب المعبودات والاعلام ولاحظ تآلف الاحرف وتنافرها مع مراعاة اساليب الفصاحة العربية فجاء النظم فصيحاً بليغاً متناسباً متناسقاً · ولولا تنافر الاعلام اليونانية في بعض القصائد لخيل لك اذا قرأت الالياذة العربية انك تقرأ منظوم نوابغ الشعراء في ابان التمدن الاسلامي · ولا غرو اذا اغلق فهم بعض ابياتها على العامة لان مواضيع الالياذة لا تلذُّ الا خاصة الادباء وذلك هو شأنها في سائر ما نقلت اليه من اللغات

﴿ اوزان الشعر ومواضيعه ﴾ وقد احدث ناظم الالياذة في اساليب النظم العربي واوزانه قواعد جديدة تساعد على نظم الشعر القصصي وتزيده طلاوة ورونقاً لم يفطن لها احدٌ قبله · فبيّن العلاقة بين بحور الشعر ومواضيعه مما اكتسبه بمزاولة النظم وتحسّسه بالذوق السليم · فقال مثلاً ان البحر الطويل يستوعب ما لا يستوعبه غيره من المعاني ويتسع للفخر والحماسة والاستعارات وسرد الحوادث وتدوين الاخبار · ومن امثلة ما نظمه على هذا الوزن قوله :

اصاخوا ولبوا واستجاش اولو العزم — يعبّون ابطال المقاتلة البهمِ
بِيدْ العدى آلوا واعراض جندهم — مضت تتوارى فوق فلكهم الشمِ
تكاتفت الاغريق يلتفُّ جيشهم — وفي ملتقى الجيشين هجَّ الى الهجمِ
طعانٌ مضت عن كل ساعد أيهمِ — ووبل سهام عن بطون الكلى يرمي

وان البسيط يقرب من الطويل ولكنه لا يتسع مثله لاستيعاب المعاني ولا يلين لينه للتصرف بالتراكيب والالفاظ وهو من وجه آخر يفوقه رقة وجزالة ولذلك قلَّ في شعر ابناء الجاهلية · ومن امثلته في الالياذة قوله في مطلع النشيد الثامن عشر :

صداهمُ كاوار النار تحتدمُ — وانطلوخ به قد خفّت القدمُ
أتى اخيل لدى الاسطول يخبط في — بحر سرائره قلقاً مما بدا لهمُ
يئنُّ وهو يناجي النفس مضطرباً : — «ويلاه علامَ أرى الأرغوسة انهزموا
ولوا عباديد نحو الفلك شاردة — هل جلَّ خطب به الارباب قد حكموا

والكامل اتم الابحر ويصلح لكل نوع من انواع الشعر لكنه اجود في الخبر منه في الانشاء واقرب الى الشدة منه الى الرقة — ومن نظمه عليه :

طارت فبث فأبسته مجنها ... فالاس في هذابه المسترسل
وعلى محياه غمامة عسجد ... ألقت بنيض لها لهيب المشعل
فكأنما بلد بقلب جزيرة ... حصرت علامته الدخان المعتلي
خرجت بنوه الى مبارزة العدى ... وقضوا نهارهم بقرع الانصل
حتى اذا برحت براح تألقت ... نيرانهم من تحت ليل أليل

والوافر ألين البحور يشتد اذا شددته ويرق اذا رققته واكثر ما يجود به النظم في الفخر كمعلقة عمرو بن كلثوم · وفي الالياذة على هذا الوزن مطلع النشيد الخامس :

حبت فالاس ذاك اليوم عزماً ... وبأساً لابن تيذيس منيعا
ليعظم في بني الاغريق شأناً ... ويبلغ فيهم الشرف الرفيعا
وفوق صفاح مغفره أفاضت ... وفوق مجنه قبساً بديعا
فشب برأسه ومنكبيه ... شعاع فاض متدفقاً سطيعا
ككوكبة الخريف قد استحمت ... بلج البحر وامتطت الرقيعا

والرمل بحر الرقة فيجود نظمه في الاحزان والافراح والزهريات ولهذا لعب به الاندلسيون كل ملعب واخرجوا منه ضروب الموشحات · ومن امثلته في الالياذة قوله في موشح :

بهما النور عن الارض ارتفع ... وغمام التبر بالنور سطع
وحباب القطر من أكنافه ... كحبوب الدر للارض وقع

والسريع بحر يتدفق سلاسة وعذوبة يحسن فيه الوصف وتمثيل العواطف ومن امثلته في الالياذة قوله من مطلع النشيد التاسع عشر :

ما اشتمل الفجر بثوب الجساد ... من به يبزغ فوق البلاد

يرمقه معبودها والعباد

حتى انبرت دون الخلايا ثتيس ... في تحف الرب هفستس تميس
فابصرت آخيل فوق الثرى ... معانقاً فطرقل واري الفؤاد

والمتقارب بحر فيه رنة ونغمة مطربة على شدة مأنوسة وهو اصلح للعنف منه للرفق ومن امثلته :

وفوق جوارحه العرقْ من الجهد كالسيل يندفقْ
فشقَّ تردُّدُ أنفاسه عليه وقد كاد يختنقْ
وسيم على أزمةٍ أزمةً وزاد على القلق القلقْ
ألا ليت شعري كيف الاوار علا الفلك فلن فيان المق

والمحدث بحر أصابوا بتسميته بالخبب لشبهه بخبب الخيل فهو يصلح لوصف زحف الخيل او وقع المطر ومنه مطلع النشيد الثالث :

نحما الحيّين على الحمد نظم الفؤاد سرى الجند
زحفت طرواد عن بعد بصديد عال مشتد
ودويٌّ يعصف كالرعد

والرجز يسمونه حمار الشعر ولسهولة نظمه وقع عليه اختيار جميع العلماء لنظم المتون العلمية كالنحو والفقه والمنطق فهو اسهل البحور للنظم لكنه يقصر عنها جميعاً في ايقاظ الشعائر واثارة الخواطر فيجود في وصف الوقائع البسيطة وايراد الامثال والحكم

(أساليب جديدة) ومما تضمنته الالياذة العربية مما لم يسبق له مثيل في الشعر العربي اساليب جديدة في نظم القصائد والاراجيز سماها ناظم الالياذة باسماء خاصة بها كالمثنّى : وفيه بنى القصيدة على قافية يرجع اليها في كل بيتين مرة وعروض البيت الثاني فيه مطلقة من القافية على نحو ما اصطلح عليه المتأخرون في الرباعي او الدوبيت • والمربع : وهو كالمثنّى انما يرجع الى القافية في كل اربعة أبيات ومثلها المثمن او المربع المسمط والموشح المسبع والموشح المثمن والموشح المردف • ثم المستطرد : وهو ما بنى القصيدة فيه على قافيتين فاكثر يرجع الى كل واحدة منها كلما استطرد الى الموضوع الذي قيلت في أوله • ومصرّع المتقارب : وهو عبارة عن تصريع بحر المتقارب على تلك الصورة ومثله مصرع الرجز ومقفاه • ويعدُّ هذا التنويع ارتقاء في الشعر العربي ويسهل السبيل الى نظم الشعر القصصي

(تاريخ الشعر العربي) وفي مقدمة الالياذة العربية فصل في تاريخ الشعر العربي من أول عهده الى اليوم وهو يدل على احاطة المؤلف بفنون الشعر وأساليبه وطبقات الشعراء وأشعارهم وتاريخ العرب وادابهم وعلومهم في جاهليتهم واسلامهم بما لم يبق بعده غاية • وقد جرَّهُ ذلك الى البحث في اللغة العربية وما أثره فيها القرآن ثم قابل بينها وبين لغة الالياذة اي لغة قدماء اليونان وبين كيف تلاشت الثانية وبقيت الاولى والفضل في بقائها

القرآن • ثم تكلم في اطوار الشعر العربي وبين الصفات المميزة لكل طبقة من طبقات الشعراء الجاهليين والمخضرمين والمولدين والمحدثين والمتأخرين وجرى في ذلك التقسيم على ما دله عليه بحثه مخالفاً فيه تقسيم القدماء وأتى بالادلة والامثلة مما لم يدع سبيلاً



فرسيس على الفرس الطيار — عن الالياذة العربية

لمستزيد • وانتقد شعر كل طبقة وبين حسناتها وسيئاتها على أسلوب طلي لذيذ • وفصل الكلام في علوم الادب عند المولدين كالعروض والبديع والبيان بما كان لها من التأثير في شعر المولدين • وذكر فصلاً خاصاً في الملاحم وما هي عند اليونان والعرب واقتضى ذلك ان ينظر في جاهلية الامتين فبحث فيهما بحث عالم مدقق واستخرج النتائج الصحيحة الدالة على دقة النظر وسعة العلم • واردف ذلك ببحث فلسفي في الحقيقة والمجاز وعلاقتها بالشعر ثم بحث في النقل والسرقة وتوارد الخواطر فانتقد على الباحثين في الشعر العربي لانهم يضعون البديهيات موضع المبتكرات فينكرون على

كل شاعر متأخر ان ينتحل معنى سبق اليه فيخلطون بين السرقة وتوارد الخواطر • فتشبيه الوجه المستدير بالقمر واستعارة النار للتعبير عن الشوق والكناية عن الرجل الشجاع بالاسد انما هي من البديهيات فلو جاءت في أقوال عدة شعراء لا تعد سرقة بل توارداً ولذلك فانه خالف رأي صاحب « الابانة عن سرقات المتنبي » في قوله ان ابن الرومي وأبا المندي محمد بن هشام الفاري والمتنبي تناقلوا بعضهم عن بعض معنى طول الليل الذي يقول فيه ابن الرومي

فكأن ليلتنا علي؟ لطولها ثبتت تمخض عن صباح الموقف

ثم قال فيه الآخرون نحو ذلك لان هذا المعنى من البديهيات تتوارد على خواطر الشعراء وغير الشعراء • وتطرق بذلك الى نظر شعراء اللاتين والافرنج في هذا الموضوع فبين انهم لم يحاذروا مثل هذه المحاذرة ولا سيما بالنظر الى الالياذة فانها كانت مورد السرقة لهم جميعاً وأتى بالامثلة على ما اقتبسوه منها • ثم انتقل الى فصل فلسفي في تأثير الحضارة على الاذواق بحيث يستهجن الناس اليوم ما استحسنوه بالامس وضرب من الامثلة الفاظاً عربية كان يستخدمها القدماء لمعان تبدلت الآن بما يخالفها او يناقضها وقابل في ذلك بين ما جاء في الالياذة اليونانية وما في اللغة العربية من أمثالها كلفظ الثور مثلاً فانها كانت تدل عند قدماء العرب على السيد وكذلك الرت وهو الخنزير معناه عندهم أيضاً الباسل المقدام واظهر مزية لغة العرب في هذا الباب على لغات الافرنج

وجملة القول ان الالياذة العربية بما فيها من الابحاث الشعرية المبتكرة جديرة ان تكون بدء نهضة جديدة في الشعر العربي فتتجه عناية شعرائنا الى نظم الشعر القصصي او الوصفي بعد ان تبين من نظم الالياذة ان اللغة العربية متسعة لذلك والنهضة العمومية تستلزم هذا الاصلاح • وان تصرف القرائح في الشعر الموسيقي عن الاساليب القديمة كالاستهلال بالتشبيب او ذكر الخمر او الزهر والتخلص الى المدح او غيره فيسير الناس على ما يقتضيه نور العلم في تحدي المعقول والاقتراب من الحقيقة بقدر الامكان — وسنتكلم عن الالياذة العربية والآداب العربية في هلال آخر

تاريخ علم الادب

عند الافرنج والعرب

لكاتب فاضل

٣٧ — الاجمال

فاجمالاً لما تقدم لنا ذكره نقول :

ان الشعر له ثلاثة أدوار وهي الغناء والحماسة والدرام . ولكل منها مناسبة بدور من ادوار الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم . فالقرون الابتدائية غنائية . والقرون القديمة حماسية . والقرون الجديدة درامية والغناء يترنم في الازل . والحماسة تحتفل بالتاريخ والدرام يصور حياة الانسان . وخاصة الاول السذاجة . وخاصة الثاني البساطة . وخاصة الثالث الحقيقة . فرواة اليونان — ويسمونهم رابزود وهم اشبه برواة العرب الذين جاء منهم حماد الراوية وكانوا يطوفون القرى ويرددون اشعار بندار وهوميروس وأيشيل — يدلون على دور الانتقال من الشعراء المغنيين أي الناظمين لشعر الاغاني الى الشعراء الحماسيين . والرومانيون اي مؤلفو الرومانات وهي الاقاصيص الموضوعة يدلون على دور الانتقال من الشعراء الحماسيين الى الشعراء الدراميين . وبظهور الدور الثاني ظهر المؤرخون . وبظهور الدور الثالث ظهر الباحثون في حكمة التاريخ وبيان أسباب الوقائع وعللها

وأشخاص شعر الاغاني عظام الاجسام طوال القامات والاعمار مثل آدم وقابيل وهابيل ونوح . ويدخل في زمرتهم عوج بن عناق . وأشخاص شعر الحماسة من القوم الجبارين وهم أقوياء أشداء . مثل أشيل بطل الحروب اليونانية واسترة آلهة العدل وأوريست بن أغا ممنون الذي الف فيه شعراء اليونان رواياتهم ثم جاء فولتير ونسج على منوالها روايته المشهورة باسم اوريست . ويدخل في زمرتهم عنترة بن شداد . وأشخاص الدرام هم بشر على الصورة الحقيقية للانسان مثل هاملت وماكبث

وأوتيلو الذين صورهم شكسبير في رواياته المشهورة بهذه الاسماء · وربما دخل في زمرتهم أبو زيد السروجي في مقامات الحريري والشيخ علي بن منصور الحلبي في رسالة غفران المعري · ومنبع الاغاني الوهم والخيال ومنبع الحماسة العظمة والفخامة ومنبع الدرام الحقيقة · وتنفجر هذه الينابيع الثلاثة من ثلاثة بحور كبيرة التوراة وهوميروس وشكسبير

فهذه هي أشكال الفكر المختلفة بحسب اختلاف القرون التي تقلب فيها الانسان والعمران · وهي في ثلاثة ادوار الشباب والكهولة والشيخوخة فسواء نظرنا في أدب أمة على حدتها أو في أدب البشر على وجه العموم فالنتيجة التي نستنتجها من جميع ذلك واحدة · وهي تقدم الشعراء المغنين او الغنائيين وهم الناظمون أشعار الاغاني على الشعراء الحماسيين أي الناظمين شعر الحماسة وتقدم الشعراء الحماسيين على الشعراء الدراميين · ففي فرانسا ماليرب (١٥٥٥ — ١٦٢٨ م) سابق على شابلين (١٥٩٥ — ١٦٧٤ م) وشابلين سابق على قورنيل (١٦٠٦ — ١٦٨٤ م) والاول هو الشاعر الغنائي (ليريك) الذي أصلح اللغة الفرنساوية وقال فيه بوالو « وفي النهاية أتى ماليرب » ······ فذهبت مثلاً · وأما الثاني فانتقد عليه بوالو الشعر وسخر به حتى جعله أمجوبة وهزءاً · ويلقب الثالث بأبي التراجيديا وهي الروايات الفاجعات · وكذا الحال عند قدماء اليونان فشاعرهم المسمى (اورفيوس) متقدم على هوميروس · وهوميروس متقدم على (ايشيل) الملقب بأبي التراجيديا اليونانية · وفي كتاب العهد القديم أي التوراة سفر التكوين متقدم على سفر الملوك · وسفر الملوك متقدم على سفر أيوب عليه السلام · واذا نظرنا في أدب البشر على وجه العموم نرى التوراة قبل الايلياذة · والايلياذة قبل شكسبير

ولا غرو في ذلك فان الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم يبتدئ في الترنم بما يتخيله · ثم يقص مايسمله · ثم يصور مايفتكره · فالدرام بجمعه بين الاوصاف المتضادة كان اوسع للافكار الفلسفية والتصورات العميقة · وكل مافي الطبيعة وما في الحياة يتقلب في هذه الاشكال الثلاثة وهي الغناء والحماسة والدرام ·

لان كل ما في الوجود يولد ويعمل ويموت . ولوأبيح التعبير عن الحقائق البرهانية بالتخيلات الشعرية لقال الشاعر بلسان الشعر ان الشمس عند طلوعها ترنم بالغناء وعند القائلة أي الظهيرة تفاخرُ بالحماسة وعند الغروب تفجعُ بالمصيبة وهي الدرام . فهذا التعبير هو من باب الشعر وربما كان ضرباً من الجنون – انتهى كلامه ببعض تصرف وزيادة

ثم شرع صاحب مقدمة كرومويل في الرد على أصحاب الطريقة المدرسية في تقسيمهم الشعر الى الاجناس التي سبق ذكرها في الكلام على بوالو وفي تحديدهم كل جنس منها بالحدود والتعاريف وفي تفريقهم بين التراجيديا والكوميديا . وابطل قولهم بلزوم وحدة الزمان والمكان في الروايات التمثيلية ولم يقبل من وحداتهم الثلاث الا وحدة العمل . وقد ضربنا صفحاً عن ايراد كلامه في هذه المباحث خوف التطويل ولان الروايات التمثيلية على ما فيها من الفوائد الجليلة في أساليب البلاغة لم تشتهر لهذا الزمان بين المتكلمين بالعربية ولا اعتنى فحول أدبائنا في تأليف الروايات لا بالنظم ولا بالسجع ولا بالنثر كما عنت النشئة الجديدة من أدباء اللسان العثماني .

وقد حض فيكتور هوكو في تلك المقدمة على تأليف روايات (الدرام) بالشعر لا بالنثر وقال : بأن بيت الشعر يحيط بالمعنى احاطة الثوب الافرنجي بالبدن ويضيق عليه ويوضحه معاً . ويعطيه شكلاً الف وأدق وأتم من شكل النثر . ويديره علينا كانه نوع من أنواع الاكسير الذي استخرجه الكيمائيون من خير الذهب وزعموا ان فيه لذةً للشاربين وشفاءً للاجسام من جميع العلل والاسقام . فبيت الشعر على رأي فيكتور هوكو هو القالب الشفاف الدمق . واذا تلطف الشاعر في نظمه وانشائه اكسب المعنى رونقاً لولا بيت الشعر لمرّ ذلك المعنى غير ملتفت اليه . فالشعر هو العقدة التي تربط سلك المعاني او المنطقة التي تضم حواشي الهدم على الجسم وتطويه طيات متناسبة بالهندام . والشعر يزيل من الالفاظ ما هو سوقي مبتذل او عامي سخيف ويكسب المعاني حلاوة وطلاوة ورشاقة . سيما اذا اقتصر الشاعر على استعمال الالفاظ المتعارفة بين الناس المتداولة على الالسن . وترك ما كان

وحشياً غريباً في اللغة . وعرض فيكتور هوكو بالذاهبين الى ان « أعذب الشعر كذبه » بقوله ليت شعري ما الذي يضيع من الشعر ان دخلت فيه الطبيعة والحقيقة ؟ وهل تنتقص الخمر صفة من أوصافها ان وضعت في أباريق الزجاج وختم عليها ؟ كلا بل أصير رحيقاً معتقة ختامها مسك يتنافس بها المتنافسون . وختم المؤلف مقدمة كرومويل ببيان المقتضى للشاعر من النسج على منوال الطبيعة (لان كل ما في الطبيعة هو في صناعة الشعر) . وان كان الشاعر جيد القريحة فلا حرج عليه في شيء من القواعد وله الحرية المطلقة في التصرف بجميع أفانين الشعر على حسب ما يرتئيه

فهذه خلاصة مقدمة كرومويل الشهيرة بين الادباء على اختلاف لغاتهم وتباين مذاهبهم ومنها يفهم ان الطريقة الرومانية ارجعت الشعر الى الحقيقة والطبيعة والحياة وتركت فيه التصنع وزخرفة الكلام واجراس الالفاظ . ولم تلتفت الى زعم اهل الطريقة المدرسية بان زخرف القول من مقتضى الذوق السليم للشاعر . وازالت جميع الحواجز التي تعرض امام سجية الطبع وتصد الفكر عن تصوُّر الحقيقة والطبيعة وتوصيف الموجودات بحسب ما هو مغروس في جبلة كل منها سواء كان من صفات القبح او صفات الجمال بلا تفريق بينهما . ولذا نكتت بعض الجرائد بقولها على سبيل التقريظ والتبكيت : « فليعش الانكليز والالمان . فلتعش الطبيعة الممجية الوحشية التي نشاهد جمالها في اشعار فيكتور هوكو واخوانه من أهل الطريقة الرومانية . » أشارة الى ان أساليب هذه الطريقة أول ما ظهرت في أدب الانكليز والالمان كما تقدم بيانه . وعرف بعضهم الروماني اي السالك نهج الطريقة الرومانية « بأنه رجل ابتدأ عقله في الاختلال »

فمن امعن النظر في البحث الاخير من تلك المقدمة وجده مطابقاً لما ذكره أئمة البلاغة والادب في لسان العرب كأبي بكر الباقلاني وعبد القاهر الجرجاني وابن خلدون وأمثالهم . ولا حاجة لايراد أقوالهم في هذا الباب فأنها معلومة ومحصلها وجوب نصرة المعنى على اللفظ لان الالفاظ خدم المعاني . قال الباقلاني « والشعر وان ضيق نطاق

القول فهو يجمع حواشيه . ويضم اطرافه ونواحيه . فهو اذا تهذب في بابه . ووفق له جميع أسبابه . لم يقاربه من كلام الآدميين كلام ولم يعارضه من خطابهم خطاب » وقول فيكتور هوكو إن الخاصة المميزة لادب الطريقة الرومانية عن غيره هي الجمع بين نموذج السخرية ونموذج الاعجاز بالفصاحه اشبه بقول المتنبي « وبضدها تتميز الاشياء » ولعل السبب الذي حمل المتنبي والمعري على ترك اساليب الجاهلية والنسج على منوال جديد هو الذي ذكره فيكتور هوكو من ان أساليب المتقدمين كانت معتبرة في بادىء امرها ثم باضطرادها على قياس واحد مراعاة للقوانين ثقلت على السمع وملها الطبع وسترى حقيقة ذلك في التعريف الآتي للطريقة الرومانية

اما عدم تعرض فيكتور هوكو لادب العرب كما تعرض لادب الامم الاوروبية ولادب الفارسية القديمة فهو لجهله — سيما في ذلك التاريخ الذي ألف فيه مقدمته — بفصاحة العرب واعجاز القرآن وحضارة الاسلام . فان التمدن العربي لم يدرس حق درسه ليومنا هذا . ولم يزل صاحبنا المستشرق البودابستي العلامة كولدزيهر يحض المستشرقين من كل أمة على التعاون والاشتراك في تأليف دائرة للمعارف الاسلامية فان تم هذا المشروع وانجزت ترجمة المهم من كتب الادب العربية ربما تيسر بعد ذلك للباحث الاطلاع على كنه العلوم والآداب الاسلامية . ولم يزل المستشرقون يترجمون في الصور بون القرآن الكريم وتفسير البيضاوي ترجمة صحيحة مدققة ولا يكملون في كل سنة اكثر من بضع صحائف ولم يترجم من كلام المعري سوى وريقة فيها نحو مائتي بيت نشرت بالالمانية في فيينا عاصمة النمسا سنة ١٨٨٨م . فهم يتقربون من فهم حقيقة الادب العربي رويداً رويداً . وقد رأينا فيما تقدم ان صاحب أغاني رولان يعتقد بأن الاسلام فرع من عبادة الاصنام ويحسب ابولون من جملة اوثان المسلمين . ولو علم فولتير من احوال الشرق ما يعلمه حقاً . هذا العصر لاستحيى من نفسه ومزّق الرواية التي حررها باسم « محمد النبي » عليه السلام وقدمها للبابا بنوا الرابع عشر بعد ان سجد لديه وقبل قدميه (١) . ولما ذهب فيكتور هوكو لاسبانيا

(١) قدم فولتير روايته المذكورة مع تحرير منه للبابا ختمه بالسجود بين يديه ولثم

رأى آثار العرب في المباني والقصور والقناطر وقدرها حق قدرها ولكنه لم يفهم من الآيات والابيات المنقوشة على جدرانها اكثر مما نفهمه من احرف الصين المنقوشة على البضائع الصينية وخصوصاً على علب الشاي . ولما ظهر رينان وصار شيخ العلماء في عصره درس ادب العرب الاندلسيين من حيث الفلسفة ولخص ما حققه في كتاب سماه « ابن رشد » . فقام اليوم البارون قرا دوفو معلم العربية في الانستيتو الكاثوليكية بباريس ونشر كتابين احدهما « ابن سينا » والثاني « الغزالي » ودرس في الاول ادب العرب وفلسفتهم الشرقية وفي الآخر علومهم الكلامية والالهية فالكتب الثلاثة المذكورة من أحسن ما حرر في هذا الصدد ولكن الموضوع محتاج الى تعميق وتدقيق . ولا يتيسر ذلك الا بعد استخراج الكتب العربية وفهمها . وقد خبط رينان في بعض ماحرره عن الاسلام خبط عشواء وفتح لشارل ميزمر وأمثاله باباً للاعتراض عليه . كما ان البارون الكاثوليكي تعصب على ابن سينا والغزالي في ما حرره . ومع هذا قال رينان في الخطاب الذي نشره سنة ١٨٨٣ م « بان اوربا ظلت منحطة في العلم والادب عن العالم الاسلامي وخاضعة فيهما اليه حتى أوائل القرن الثالث عشر . وفيه أخذ العالم المسيحي يرقى درجات العلم والعمران والعالم الاسلامي يهبط في الدرك الاسفل من الجهل وانحطاط الحضارة . واندثرت علوم العرب بعد ما نفحت جراثيم الحياة في الجسم العالم اللاتيني الغربي واستمر المترجمون من سنة ١١٣٠ م الى سنة ١١٥٠ يترجمون في مدينة طليطلة كتب العلم من العربية الى اللاتينية وهم تحت حماية الاسقف ريموند . وفي السنين الاولى من القرن الثالث عشر شرعت مدرسة باريس الكلية في تدريس كتب ابن رشد ارسطوطاليس العرب . أما ارتحال البابا سلفستر الثاني لطلب العلم في أشبيلية وان كان مشكوكاً فيه فقسطنطين الافريقي علامة عصره لا شبهة في أخذه العلم عن المسلمين . اه »

وقسطنطين الافريقي الذي يذكره رينان ولد سنة ١٠١٥ م في قرطاجنة وبعد ان حصل علوم الطب والحكمة صار كاتباً لاحد الامراء ثم دخل سلك الرهبنة في ايطاليا

قدميه لحمله البابا الى ظاهره وأجابه عليه بجواب لطيف مؤرخ ١٩ سبتمبر سنة ١٧٤٥

وادخل فيها علوم العرب وله مجموعتان كبيرتان باللاتينية طبعتا في بال سنة ١٥٣٩ م

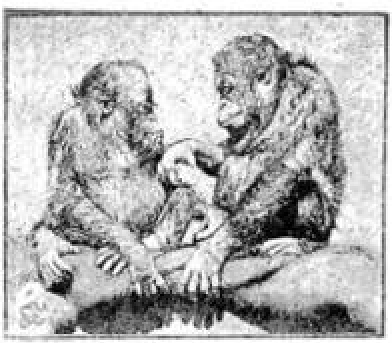
ودام قول فيكتور هوكو هو المعول عليه في الطريقة الرومانية الى ان اشتهرت الطريقة الطبيعية (ناتور اليزم) في سنة ١٨٦٠ على عهد الامبراطورية الثانية وقام أصحابها يناقشون فيكتور هوكو وشيعته وينتقدون عليهم . على ان الرجل وان ظهرت له معجزات في آيات البيان فهو ليس بنبي ولا تجب له العصمة عن الخطاء والنسيان ومن هو الرجل الذي تحمد كل سجاياه ؟ ومن هو المبرء من كل عيب ؟ وكفاه نبلاً انه خطا في الادب خطوة الامام ومهد الطريق لمن أتى بعده ولولا ظهور الطريقة الرومانية لما ظهرت الطريقة الطبيعية ولا حصل ارتقاء ونهضة في الادب . ثم ان مقدمة كرومويل وان بحث فيها المؤلف عن تاريخ الادب وبيان الخاصة المميزة لادب الطريقة الرومانية عما سواه فهي احق بان تكون تعريفاً لنوع الدرام وحده وهو فن من فنون الشعر والادب . وأما التعريف الشامل لجميع ما حرر من فنون الادب على نهج هذه الطريقة المتقدمة منظوماً كان او منثوراً فهو ما يأتي . اذ من شرط التعريف ان يكون جامعاً للافراد مانعاً من دخول الاغيار فيه . ولا يكفي ان يكون منطبقاً على فرد من أفراده فقط . وتعريف الطريقة الرومانية تعريفاً جامعاً مانعاً ليس بالامر السهل ولا يتيسر الا بالنظر في الخواص الظاهرة والمشتركة بين جميع فنون الادب المنسوجة على أساليب الطريقة الرومانية والمنشأة في قوالبها

تاريخ التمدن الاسلامي

سيصدر الجزء الثالث من هذا الكتاب في أوائل اوغسطس القادم . وموضوعه البحث في تاريخ العلم والادب في التمدن الاسلامي وما كان منها قبل الاسلام وما اثره الاسلام في القرائح والعقول وما ترتب على ذلك من ظهور العلوم الاسلامية . ثم البحث في حال العلم عند الروم والفرس في أوائل الاسلام . وكيف نقل العرب علوم الاقدمين الى العربية والاسباب التي دعت الى كل ذلك ووصف حال العلم بعد

تخبه في التمدن الاسلامي وبيان ما أنشأه المسلمون من المدارس والمكاتب والمراصد والمارستانات وما أحدثوه من العلوم أو ادخلوه من الاصلاح والتعديل في علوم الاقدمين وما نقله عنهم الافرنج في نهضتهم الاخيرة وغير ذلك بحيث لا نغادر حادثة لا نسندها الى سبب معقول · وسنرسل هذا الكتاب ملحقاً بالسنة الثانية عشرة من الهلال الى المشتركين الذين سددوا ما عليهم على جاري العادة في كل عام

عجائب المخلوقات



الاوران اوتان — شبيه الانسان

لم يقل داروين بوحدة أصل الانسان والقرد اعتباطاً فان الناظر في ملامحهما والدارس لطبائعهما يجد بينهما مشابهة كلية · والقردة طوائف كثيرة تتفاوت شكلاً وجرماً وقوة وذكاء فمنها القصير والطويل والصغير والكبير والمنتصب والمنحني ومنها مستدير الوجه ومستطيله وعريضه وضيقه · وأقربها شبهاً بالانسان ثلاث طوائف وهي الاوران أوتان

والشمبانزي والغورلا والاول أشبهها به من سائر أصناف القردة • ومن النظر الى صورته في الصفحة المقابلة يتضح لك ذلك جليا

والاوران اوتان لا يعيش ويتكاثر الا في بورنيو وسومطرة من جزائر الاوقيانوس الهندي وهو هناك كثير يسرح في الغابات كالسلطان ومعدل طوله اربعة اقدام الى خمسة • ورجلاه قصيرتان بالنظر الى سائر اعضاء البدن ويداه طويلتان جدًّا بحيث اذا انتصب وارخاهما بلغتا الى العقب • ولذلك فهو قلما يبدو منتصباً على القدمين ويندر ان يقف الا ويداه مستندتان الى عصا او شجرة او عكاز • ويمشي وهو يتوكأ على عكازه كأنه شيخ هرم قد أثقل كاهله الزمان لما في سحنته من الشبه بالعجائز على انه اكثر انقباضاً وسوداوية منهم • واذا نظرت الى اصابعه رأيت الشبه بينها وبين اصابع الانسان قريباً جدًّا — وهو بطيء الحركة يمشي متثاقلاً كأنه مصاب بالماليخوليا

يقتات الاوران في وطنه على النبات والخضار ويقيم في مساكن يبنيها هو بالاغصان المشتبكة كما يفعل كثير من طوائف الناس المتوحشين ولعله ارقى حالاً من بعضهم لان من البشر من لا مأوى لهم غير المغر لعجزهم عن بناء المساكن — فهؤلاء لا يفرقون في ظواهرهم عن هذا القرد الا بقلة الشعر على اجسادهم فانه كثير الشعر اشقره فضلاً عن طول يديه وقصر رجليه • وهو مستدير الجبهة مرتفعها والذكور تنبت لهم لحى قد تطول حتى تسترسل • وليس له ذنب وابهامه قصيرة في يده وطويلة في رجله • ودماغه اقرب ادمغة القردة من دماغ الانسان واكثرها شبهاً به

وكان قدماء اهل الجزائر الهندية يعدون الاوران من البشر ومنها اسمه « اوران اوتانغ » فان معناه بلسانهم « الانسان الوحشي الذي يأوي الى الغابات » واهل بورنيو يسمونه ايضاً « مياس » وهو يشبه الانسان في كثير من عاداته واخلاقه فان الذكر منه يعيش مع انثاه كما يعيش الرجل وامرأته ويتعاونان على تربية الاولاد — وهو مسالم لا يسطو على حيوان ولا يسطو عليه حيوان الا التمساح فقد ذكروا انه يترقب اقترابه من ضفاف الانهار ليفترسه ولكن الاوران حالما يرى التمساح قادماً اليه يثب على ظهره ويأخذ في ضربه ولا يزال يعبث به ويحتال عليه حتى يقطع حلقومه

وذكاء الاوران اوتان مشهور فقد علموه كثيراً من اعمال البشر كالطعام على المائدة بالسكين والشوكة والملعقة وركوب الدراجة وركوب الخيل وعودوه فهم كثير من الفاظهم وعباراتهم ولم ينقصه غير النطق

باب السؤال والاقتراح

الحب وأسبابه

(شيكاغو . أميركا) رشيد افندي مزهر

ماهو الحب وكيف يبتدىء وهل هو اختياري أم هو عامل اضطراري اذ قد يحب الانسان ما لا يريده وقلما يريد مالا يحبه فما هو تعليل ذلك

(الهلال) الحب أنواع ودرجات وله أسباب مختلفة وأحكام متباينة مما يجعل البحث فيه مضطرباً مشوشاً . واذا أمعنا النظر رأيناه ينقسم الى قسمين كبيرين اضطراري واختياري . فالحب الاضطراري هو الحب الجنسي بين الرجل والمرأة لانه طبيعي يندفع الانسان اليه من فطرته بلاسبب ولا مسوغ ولادليل — فقد يرى الشاب شابة لاول مرة فيشعر بجاذب يقوى بالتكرار وقد يكون قوياً من أول نظرة لو سألته عن سبب ذلك الحب لاسنده الى جمال أو أدب أو اعجاب ببعض الخصال أو المناقب والحقيقة أنه لايعرف السبب الحقيقي . وقد يبدأ الحب الجنسي بسبب أو باعث من قبيل ماتقدم وانما يكون ذلك في بادىء الرأي فاذا تمكن ضاعت الاسباب وأنسيت البواعث ولذلك قيل :

والحب أول مايكون مجانة فاذا تمكن صار شغلاً شاغلا

اذ قد تنقلب تلك الاسباب الى ضدها ولا يؤثر ذلك الانقلاب شيئاً في عواطف المحبين . كأن ينعطف الشاب الى شابة عند أول مقابلة اعجاباً بفصاحتها أو آدابها فاذا تكرر الاجتماع تدرج الاثنان في التجاذب من الارتياح الى الميل فالرغبة فالاشتياق فالهوى فالعلاقة فالكلف فالعشق فالشغف فالجوى فالتيم فالتبل فالتدليه فالهيوم فالجنون — ويتفاوت الناس في بلوغ هذه الدرجات — على انه اذا تجاوز الميل وبلغ

الى الهوى (وكان الحب طاهرًا) فلا حيلة في الرجوع ولو رأى الشاب في الفتاة غير ما كان يتوقعه من المناقب وقد يتركها ويحاول السلو ولكنه يفعل ذلك مضطرًا ولا يزال قلبه يختلج عند ذكرها على حد قول الشاعر:

تركت حبيب القلب لا عن ملالة ولكن جنى ذنبا يؤدي الى الترك
أراد شريكاً في المحبة بيننا وايمان قلبي لا يميل الى الشرك

وقول الآخر:

انت وعدتني يا قلب اني اذا ما تبتُ عن ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى فما لك كلما ذكرت تذوب

وقد يقاسي المحبون عذاب الجحيم في سبيل الحب وهم لا يزدادون الا حباً وقد لا يكون الحب متبادلاً مع ان تبادله يزيد القلوب ائتلافاً . فاذا بلغ الحب درجاته الاخيرة لم يعد لصده من سبيل ولو تحقق المحب امتناع حبيبه عليه واليك ما قاله مجنون ليلى:

فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها عليَّ فلن تحموا عليَّ القوافيا
فاشهد عند الله أني أحبها فهذا لها عندي فما عندها ليا
قضى الله بالمعروف منها لغيرنا وبالشوق مني والغرام قضى ليا
يقولون ليلى أهل بيتٍ عدوّةٌ وأفديك ياليلى بنفسي وماليا
يقولون ليلى بالعراق مريضةٌ فيا ليتني كنت الطبيب المداويا
يقولون سوداء الجبين ذميمةٌ ولولا سواد المسك ما كان غاليا
خليلان لا نرجو لقاء ولا ترى خليلين الا يطلبان التلاقيا
فيارب اذ صيرت ليلى هي المنى فزني بعينيها كما زنتها ليا
والاَّ فبغّضها اليَّ وأهلها فاني بليلى قد لقيت الدواهيا

فالمحبون يفعلون ذلك وقد غلب الحب على عقولهم فيأتون مالا يأتيه غير المجانين قال جميل بثينة:

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ولكن طلابيها لمافات من عقلي

والحب الاختياري يشمل معظم ما بقي من ضروب الحب وأهمها حب البنين والاهل وحب الاصدقاء والوطن . فحبُّ البنين سميناه اختيارياً لانه يحدث بالعادة والائتلاف تدريجاً ولكنه لا يلبث أن يصير اضطرارياً . فالانسان يحب امرأته حباً طبيعياً لا تكلف فيه ولا تمحل فاذا ولد لهما طفلٌ أحباه في أول الامر لانه من ثمار تلك المحبة ثم تتزايد محبته بالعادة والالفة حتى يشعر الوالدان أنها طبيعية وانهما مندفعان اليها بالفطرة

وحب الاصدقاء قد يكون من نتائج العادة ولكن الغالب ان يكون سببه حب الصفات المجردة كالفضائل او المواهب او نحوها من المناقب التي يرغب فيها الناس . فحب العلم مثلاً يحبب العلماء ومحب الشجاعة يحب الشجعان ومحب الفضيلة يحب الفضلاء ولهذا السبب ترى الحب يتعاظم أحياناً بين رجلين لم يتواجها ولكنهما تحابا لما بين طباعهما من التشابه . وقد يحب الرجل رجلاً مات منذ قرون لاتصافه بخلال تنطبق على اميال هو . ومن هذا القبيل حبُّ قراء الروايات لبعض اشخاص الرواية التي يقرأونها ولا وجود لاولئك الاشخاص الا في مخيلة المؤلف . فهم انما يحبون مناقبهم وخصالهم . فالراغب في الشجاعة اذا قرأ قصة عنتر أحب عنترة وعشقه وتألم لكل ما يصيبه من أسر او طعن وفرح بما يناله من نصر او كسب وقس على ذلك

ومن هذا القبيل أيضاً الحبُّ الديني اي حب الانسان لابناء مذهبه ولو تباعدت البلاد واختلفت اللغات والعادات . فالمسلم المصري اذا احب المسلم الهندي فهو انما يحب الاسلام . والنصراني العربي اذا أحب النصراني الافرنجي فهو انما يحب النصرانية

وحب الوطن او العشيرة او نحوهما من الجماعات مرجعه الى حب الذات لان الانسان يحب ذاته ويحب كل ما يأتيها الخير على يده . وقد يكون للعادة أو الالفة دخل في ذلك مثل دخلها في سائر أنواع المحبة ولكن الاصل في حب الجماعات على الاجمال ارتباط المنافع بها للافراد بالتبادل . كما يتآلف أهل البلد الواحد ولو اختلفوا في الطبائع والاذواق فهم انما يجتمعون للانتفاع المتبادل . على ان في كل وطن او عشيرة آداباً مشتركة وعادات مشتركة تدعو الى زيادة الالفة

على انك لو تدبرت كل انواع الحب ورجعت في التعليل الى اسبابها الاصلية رأيت مرجعها الى حب الذات (راجع مقالتنا « الحب والجاذبية » في الهلال الرابع من السنة السابعة)

الجامعة الشرقية

(القاهرة) حسن افندي محمد الحسيني

سمعت بعض المتحزبين لليابان من اهل هذه البلاد يجعلون سبب تحزبهم اننا واليابانيين ابناء وطن واحد هو الشرق فما هي هذه الجامعة

(الهلال) الانسان اجتماعيٌّ من فطرته وسبب ميله الى الاجتماع والعصبية احتياجه الى التعاون لسد حاجياته لانها كثيرة واقدم العصبيات « الجامعة الانسانية » فلما كثر الناس وتنازعوا انشأت الجامعة العائلية ثم الوطنية ثم جامعة اللغة ثم تدينوا فنشأت الجامعة الدينية . ولما تمدنوا وتعددت اسباب الاجتماع كثرت الوسائل المؤدية اليه وتضاعفت وتقاطعت حتى ترى الواحد منا تجمعه مع عمرو جامعة الدين ومع بكر جامعة اللغة ومع خالد جامعة الصناعة او المهنة او الغرض او غير ذلك . ولا يكاد يخلو اثنان من اسباب تجمعها واسباب تفرقها فيختاران من تلك الاسباب ما يوافق حاجتهما الوقتية . فاذا احتاج المصري الى الاجتماع بالياباني والافتراق عن الروسي مثلاً قال ان اليابان من اهل الشرق مثلنا وان الروس من أهل الغرب . واذا اراد العكس رأى اليابانيين يفترقون عنه لغة وديناً وادباً وتمدناً وخلقاً وجنساً ورأى الروسيين اهل كتب الهية مثل كتبنا واهل تمدن مثل تمدننا وانهم اقرب الينا وطناً وخلقاً

واما الجامعة الشرقية بحد ذاتها فتختلف حدودها باختلاف حدود الشرق وهذه يختلف تعريفها باختلاف الاعصر والاغراض . فمنهم من يعد الشرق مصر والشام فقط وآخرون يضيفون اليه العراق و بلاد العرب . ومنهم من يريد به المملكة العثمانية ويسمونه الشرق الادنى وآخرون يجعلون بلاد ايران والهند من جملة الشرق وغيرهم يضيفون اليه

الهند والصين وما وراءها . وتختلف حدود الشرق أيضاً باختلاف المراد به فاذا أريد السياسة أو الجغرافية او الدين او غير ذلك فالشرق حدود تختلف باختلاف هذه الاعتبارات

فالشرق بحد ذاته لا يعدُّ جامعة معينة الا اذا قرن بجامعة أخرى كالدين او اللغة — فالذين يحصرون الشرق بمصر والشام والعراق و بلاد العرب يؤيدون قولهم بما في هذه البلاد من جامعة الدين واللغة غير العادات والاخلاق . والذين يضيفون اليه ايران والهند ينظرون اليها باعتبار الدين لكثرة المسلمين فيها وما يترتب على ذلك من انتشار اللغة العربية لانها لغة الاسلام — اما الصين واليابان وسائر اهل الشرق الاقصى فانهم بعيدون عن أهل الشرق الادنى بعداً شاسعاً في الدين واللغة ناهيك بالفرق العظيم بين الشرقين بالآداب والعادات والاخلاق وغير ذلك

بيض الانوق والجامع الازهر

(المنصورة) حنا افندي أسعد فهمي

١ — من المشهور أن المستحيل ثلاثة : الغول والعنقاء والخل الوفي . الا اني قرأت في بعض الكتب العلمية أنه يوجد رابع المستحيلات وهو « بيض الانوق » فما هو هذا الطير وأين يعيش ولماذا أطلقوا على بيضه المستحيل ٢ — من الذي أسس الجامع الازهر وفي أي سنة كان بناؤه ٣ — ماهو أول جامع بني في مصر ومن الذي أمر ببنائه

(الهلال) الأنوق طائرٌ كالرخمة أو هو هي ولا نعلم أنهم يقولون باستحالة بيضها ولكنهم يقول في أمثالهم « أعزّ من بيض الانوق » و « أبعد من بيض الانوق » لان أنثاه تجعل أوكارها في رؤوس الجبال والاماكن الصعبة المنال ومن أشعارهم

وكنت اذا استودعت سرًّا كتمتهُ كبيض أنوق لا ينال لها وكرُ

والجامع الازهر بناه القائد جوهر فاتح مصر للدولة الفاطمية أثر بناء القاهرة نحو سنة ٣٦٢هـ . وأما أول جامع بني في مصر فهو جامع عمرو بناه عمرو بن العاص سنة ٢١هـ في الفسطاط ولا تزال آثاره باقية الى الآن بجوار مصر القديمة

باب الأخبار العلمية

داء النوم واسبابه

ذكرنا في الهلال غير مرة مرضاً فتاكاً ظهر في أواسط افريقيا منذ بضع عشرة سنة أهم أعراضه الظاهرة الميل الشديد الى النوم . وان العلماء اهتموا في البحث عن أسبابه وتعينت اللجان من الاطباء وسافروا الى تلك الاصقاع المحرقة لدرسه في أماكنه . واصبح العالم المتمدن على مثل الجمر في انتظار نتيجة تلك الابحاث . وقد توفق بعضهم بالامس الى اكتشاف علة ذلك الداء كما ستراه مفصلاً في ما يلي بعد أن تقدّم الكلام في ماهيته واعراضه فنقول :

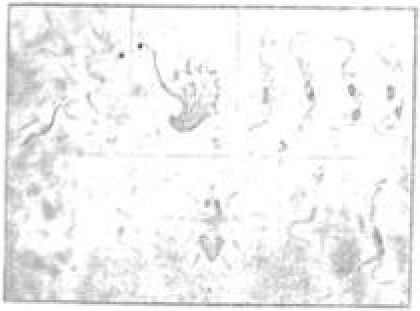
(وطن هذا الداء وفتكهُ) ظهر داء النوم في الكونغو والسودان واوغندا وما يجاورها من أواسط أفريقيا وتفشى هناك بسرعة عظيمة لكنه لم يصب غير القبائل الزنجية وقد اشتد فتكه فيهم لشدة اعراضه وسرعة الاصابة به وقلة الشفاء منه حتى قدَّروا أنه لا يشفى مصابٌ واحد من كل ١٥٠ مصاباً . وربما نزل في بلد أهله بضعة آلاف فيصبحون بعد قليل بضع مئات . فعني بعض الساعين في البحث عن أسباب هذا المرض ونقلوا من أهل كونغو لا ثلاثة رجال اصيبوا به وأتوا بهم الى باريس واسماؤهم بوبانغي وماكايا وسابان فماتوا هناك رغم ما بذله الاستاذ بلانكار والطبيبان بروموت وورتز من العناية في شأنهم

(اعراضه) لاتظهر اعراض هذا الداء الا بعد حضانة تختلف مدتها طولاً وقصراً باختلاف الاحوال . وأول ما يشعر به المصاب ألمٌ خفيف في الرأس وتعب غير واضح في أعلى الصدر . ثم يحسُّ بانحطاط في قوته واضطراب في مشيته

وثقل في كلامه مع ميل الى النوم في أية ساعة من ساعات النهار او الليل حتى وهو ماش أو مشتغل في أي عمل كان. ثم ترتفع حرارته الى درجة ٣٩ سنتكراد ويسرع نبضهُ حتى يضرب من ٩٠ الى ١٣٠ ضربة في الدقيقة. ويشعر بانقباض النفس والميل الى الانفراد وتضعف ذاكرته — هذا هو الدور الاول من سير هذا الداء واذا عولج بالعناية الكافية ربما حدث فيه بعض التحسين والا فينتقل الى دور الشدة فالخطر. واعراض هذا الدور ضعف متواصل يزداد بالتدريج ونعاس غالب لا يمكن ردهُ وانحطاط عضلي شديد. اذا مشى المصاب ترنح كالسكران فيستلقي على الرمل من شدة النعاس ولو ترك انام ليلاً ونهاراً لا يلتمس طعاماً ولا شراباً ولا يبالي لذعه الشمس أو قرصه البرد. واذا عمدوا الى ايقاظه بالعنف انهض رأسه بمشقة وعيناه عابستان وشفتاه مفتوحتان والانقباض ظاهر في سحنته واللعاب يتحلب من فيه. واذا خاطبوه أجاب بالفاظ متقطعة وعاد الى الرقاد. وكثيراً ما يرافق هذه الاعراض تضخم غدد العنق والغدة العابية واتساع الحدقة. وفي دور التقهقر يهيج العصب ويحدث الحكاك ثم يتلوه الخدر والشلل الموضعي وانقباض عضلات العنق ثم يسرع النبض مع ضعفٍ وتقطعٍ وتظهر حبوبٌ في الوجه. ويعقب ذلك نومٌ متواصل يليه السبات فالتشنج فالموت. وتختلف مدة الاصابة بين شهرين واربعة وستة وثمانية وقد تدوم سنتين وسيرها بطيء

(سبب حدوثه) ما زال سبب هذا الداء مجهولاً الى عهد غير بعيد وكان المظنون أولاً ان سببه فساد الهواء بالمستنقعات وحرارة الاقليم او الاستقاء من المياه القذرة أو تناول الاغذية الناقصة ونحو ذلك. وما زال ذلك اعتقادهم الى سنة ١٨٩١ فأشار بطريك مانسون الى نوع من المكروب وجدهُ في دم المصابين بهذا الداء ثم قال غيره نحو ذلك. وفي العام الماضي عني الدكتور كاستلاني بالبحث في أواسط أفريقيا بين بحيرة البرت نيانزا وفكتوريا نيانزا فعلم ان علة هذا الداء مكروب اسمه « تريبانوسوما » Trypanosomes وجده في الدم وتحقق بالتجارب انه ينتقل من المريض الى الصحيح بواسطة ذباب اسمه بلغة أهل البلاد « تسي

تسي » بطريق اللسع كما ينقل الناموس ميكروب الملاريا



ميكروب داء النوم والذباب الذي ينقله

والترپانوسوما كانت معروفة من قبل وأول من شاهدها المسيو كروبي سنة ١٨٤٣ في دم الضفدع على الصورة التي تراها في هذا الشكل (رقم ب) وهي عبارة عن ميكروب مستطيل مسطح شفاف يلتف على نفسه مراراً كاللولب حجمه يختلف من $\frac{٤}{١٠٠}$ الى $\frac{٨}{١٠٠}$ من المليمتر طولاً و $\frac{٥}{١٠٠٠}$ الى $\frac{١}{١٠٠}$ من المليمتر عرضاً . احدى حافتيه مستوية والاخرى مسننة ينتهي من طرفيه برأسين حادين . وحركته الانتقالية غريبة في بابها فانه ينتقل بالدوران الانقلابي فيدور على نفسه ١٥٠٠٠ دورة في الساعة

وفي سنة ١٨٧١ عثر لانكستر على هذا الميكروب في دم الضفدع على شكل آخر فظنهُ غير ذلك وسماه « اوندولينا رانارم » Undulina Ranarum ووصفهُ بانهُ مسطح مروحيهُ الشكل منشاريهُ الحافة (رقم ج)

ثم وجد هذا الميكروب غراسي في صغار الضفادع ووجده غيره في السلاحف وغيرها . وتحقق الناس حينئذ ان الترپانوسوما ميكروب ينقله الذباب ويلقح به الحيوانات فتصاب بامراض قتالة . وقد فتك في كثير من الحيوانات الاهلية كالفرس والحمار والبقر وغيرها في جنوبي افريقيا وجنوبيها الشرقي بما يعبرون عنه بداء النكانا

وكذلك الامراض الحيوانية التي تصيب الخيول والبغال والبقر في تونكين و بلاد فارس ونحوها و يسمونها « سرَّة » وغيرها من الامراض الحيوانية

والتريبانوسوما أشكال غير هذه وكلها لا تصيب الانسان ولا تدخل دمه الأ الشكل (رقم هـ) فقد وجده الدكتور كستلاني في المصابين بداء النوم وسماه « التريبانوسوما الاوغندية » وهو مغزلي الشكل ينتهي من أحد طرفيه برأس مخروطي الشكل ومن الطرف الآخر بزائدة خيطية واذا انتقل لحركة كان رأسه المخروطي الى الامام بخلاف سائر انواع هذا الميكروب. وهو يتناسل بالانقسام الطولي كما ترى (رقم ز) وعند تشريح جثث الموتى بداء النوم وجدوا هذا الميكروب كثيراً في الدم وفي السائل الدماغي الشوكي . وقد درس هذا الموضوع أطباء آخرون فكانت النتائج متشابهة

والذباب « تسي تسي » (رقم و) الذي ينقل المكروب كثير الشبه بالذباب الاعتيادي واسمه العلمي Glossina Moristans طول الذبابة ١١ مليمتراً رأسها أسمر مصفرٌّ يبرز منه منقار دقيق مستطيل. صدرها أسمر محمر أجنحتها مدخنة اللون بطنها أصفر مؤلف من ست حلقات على بعضها نقط بيضية سمراء . والذباب المذكور ينقل الميكروب من المرضى الى الاصحاء بمنقاره

(العلاج) وأما علاج داء النوم فلا يزال مجهولاً ولم تفلح في معالجته وسيلة حتى الآن على أنهم يعالجونه بمستحضرات الحديد والزرنيخ ونحوه وقد وصفوا له أيضاً الكينا والقهوة والسنطونين وغير ذلك — ووجدوا للمصل الانساني تأثيراً شافياً في الاوبئة الحيوانية الناتجة عن هذا الميكروب بالحقن تحت الجلد

(طلبة العلم والنهضة الاسلامية في الهند) ذكرت مجلة البيان الهندية في جزئها الاخير عدد المتخرجين في الهند من المدارس الجامعة التي انشئت هناك من أواسط القرن الماضي على مثال مدارس الانكليز وقابلت بين عدد الذين نالوا شهاداتها الثانوية فما فوقها ، و بينت النسبة بين المسلمين منهم والبراهمة . وخلاصة ذلك

ان الذين نالوا تلك الشهادات من سنة ١٨٥٨ (وهي السنة التي أنشأوا فيها أول مدرسة جامعة في الهند) الى سنة ١٩٠٢ بلغ عددهم ٣٢,٦١٣ نفساً أي نحو واحد و بعض الواحد من مئة من مجموع عدد أهل الهند كافة وهم نحو ٢٨٣,٣٠٠,٠٠٠ نفس . ومن المتخرجين المذكورين ١,٥٧٠ فقط من المسلمين والباقي أي ٣١,٠٤٣ نفساً من الهنود البراهمة . وعدد المسلمين في الهند نحو ٥٢,٥٠٠,٠٠٠ وعدد البراهمة نحو ٢٣٠,٠٠٠,٠٠٠ فيكون التعليم الحديث في الهنود البراهمة اكثر رواجاً وانتشاراً منه في الهنود المسلمين عدة مرار . ثم قسم البيان المدة المذكورة الى مدتين الأولى تنتهي سنة ١٨٩٢ والثانية سنة ١٩٠٢ وقابل بين المتخرجين من البراهمة والمسلمين في كل منها فكان عدد البراهمة في المدة الأولى ١٤,١٤٥ وعدد المسلمين فيها ٥٠٠ نفس فكانت النسبة بينها كنسبة مئة الى ٣½ واما في الاعوام العشرة الاخيرة فقد تخرج ١,٠٧٠ من المسلمين يقابلهم ١٦,٣٩٨ من الهنود فكان عدد حاملي الشهادة من المسلمين تضاعف تقريباً بالنسبة الى الهنود . وهو يدل على نهضة أدبية في مسلمي الهند بالاعوام الاخيرة . ومع ذلك فلا يزال البراهمة الى الآن اكثر رغبة في العلوم الحديثة من المسلمين . الاّ اذا استمر المسلمون في هذه النهضة على نحو ما أتوه في السنين العشر الاخيرة فلا يمضي عشر سنوات أخر حتى يفوقوا البراهمة

﴿ الرياضة البدنية والصحة العمومية ﴾ كثيراً ما حرضنا القراء على ترويض الابدان لاعتقادنا بما يترتب على ذلك من حفظ الصحة ويسرنا ان بعض أدباء الشرقيين الماهرين في هذا الفن أنشأ محلاً عمومياً لتعليم الحركات الرياضية في التوفيقية بمصر سماه « جمناز هرقل » أعدّ فيه كل أدوات الرياضة كالاكر الحديدية المفردة والمزدوجة على اختلاف أوزانها والحبال المدلاة وفي أطرافها حلق الحديد . والعوارض المنصوبة وأماكن للوثب والجز والركض وسائر أنواع الرياضة . واحتفل في ١٥ مايو الماضي بسباق حضره جماعة من وجهاء العاصمة وأدبائها وشاهدوا من الألعاب المختلفة ما يسرّ قلب كل وطني لنجاح هذا المشروع لما فيه من الفوائد الصحية الثابتة وقد رأينا

جماعة كبيرة ممن شهدوا ذلك الاحتفال لم يتمالكوا عن الاشتراك في هذا العمل لكثرة نفعه وقلة نفقته لان النفقة لا تزيد على عشر بن قرشاً في الشهر

﴿ المولد النبوي ﴾ وافق تذكار المولد النبوي في هذا العام يوم الجمعة ٢٧ مايو فاحتفلت مدينة القاهرة بذلك على جاري العادة في الساحة المعدة لنصب السرادقات في العباسية وقد ازدان احتفال هذا العام خصوصاً بتشريف الجناب العالي سرادقه ثم سرادق سماحة السيد توفيق البكري نقيب الاشراف حيث تليت خاتمة المولد على مسمع سموّه وكان الاحتفال في غاية الابهة أعاده الله على المسلمين كافة بالخير والهناء

﴿ كتاب المخصص ﴾ هو معجم لغوي معنوي ترتبت فيه الالفاظ باعتبار المعاني لا باعتبار الحروف . ألفه عليّ بن أحمد بن اسماعيل المعروف بابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ في بضعة عشر مجلداً كبيراً . وكانت منه نسخة خطية في الكتبخانة الخديوية والناس يتمنون طبعها حتى عنيت جمعية احياء العلوم العربية بذلك فطبعت الكتاب وأعلنت مجازطبعه بكراس وصفته فيه وذكرت أثمانه ونفقات ارساله باختلاف البلاد — ومتى اطلعنا على الكتاب المذكور نوفيه حقه من الوصف

﴿ تاريخ اللغة العربية ﴾ هو بحث حديث يعدُّ متمماً لكتابنا « الفلسفة اللغوية » وكنا قد نشرنا شيئاً منه في هذه السنة على سبيل المثال ثم أتممناه ونشرناه كتاباً مستقلاً وهو يبحث في ما لحق ألفاظ اللغة العربية وتراكيبها من التغيير وما دخلها من الالفاظ والتراكيب الاعجمية في أثناء الادوار التي مرت بها من قبل زمن التاريخ الى اليوم وهي ثمانية أعصر (١) العصر الجاهلي (٢) العصر الاسلامي من حيث الالفاظ الاسلامية (٣) الالفاظ الادارية في الدولة العربية (٤) الالفاظ العلمية في الدولة العربية (٥) الالفاظ الاجتماعية في الدولة العربية (٦) الالفاظ النصرانية (٧) الالفاظ الاعجمية في دول الاعاجم (٨) النهضة الحديثة . وخاتمة في لغة الدواوين المصرية . وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة قروش وأجرة البريد نصف قرش

سيصدر الهلالان القادمان (١٨ و ١٩) معاً في أول يوليو القادم

الهلال

الجزءان ١٨ و ١٩ من السنة الثانية عشرة

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٤ و ١٧ ربيع ثاني سنة ١٣٢٢

اشهر الحوادث واعظم الرجال



اسكندر بوشكين

اشعر شعراء الروس

اسكندر بوشكين

. اشعر شعراء الروس

ولد سنة ١٧٩٩ وتوفي سنة ١٨٣٧ م

يتحدث الناس اليوم بروسيا وحربها وقواتها العسكرية وتاريخها الاداري والسياسي بمناسبة الحرب القائمة بينها وبين اليابان ولم نرَ احداً تعرض للكلام في تاريخ آداب الروس وعلومهم فانها تدل على حقيقة منزلتهم في مراتب التمدن الحديث

(آداب اللغة الروسية) الروسيون او السلاف فرع من الشعوب الآرية التي نزحت الى اوربا من اعالي الهند قبل زمن التاريخ . فهم آريون مثل سائر شعوب اوربا وليسو تتريين كما توهم بعضهم . واللغة الروسية من اللغات الآرية ولكن الروسيين من احدث امم أوربا في العلم والادب . على انهم ساروا في تاريخ آدابهم على نحو ما سارت عليه الامم الاخرى . فأقدم آداب اللغة الروسية الشعر وهو اقدم الآداب عند سائر الامم . وينقسم الشعر عند الروس الى طورين عظيمين طور التلقين وطور التدوين . وكل منهما ينقسم الى اعصر لا محل لتفصيلها ولكن يقال بالاجمال ان اقدم اشعار الروس عبارة عن اقاصيص الابطال وانصاف الآلهة على نحو ما كان عند اليونان القدماء وغيرهم من الامم القديمة . يليها اقاصيص فلاديمير امير كيف الذي ادخل النصرانية الى روسيا في القرن العاشر للميلاد كما الف الافرنج في شارلمان والعرب في هرون الرشيد . وبعدها اقاصيص نوفكورد يصفون بها ثروة بعض العظماء مثل حكايات قارون عند العرب . ويلي ذلك منظوماتهم في وصف موسكو وبذخ اهلها وحروب القوزاق . واهمها جميعاً شعرهم في بطرس الاكبر واخيراً الشعر العصري . وما زالت الاقاصيص الشعرية تتناقل بالسماع والحفظ الى اوائل القرن السابع عشر وأول من عني بتدوينها رجل انكليزي من متخرجي جامعة اكسفورد وكان تابعاً لسفارة انكلترا في روسيا فدون شيئاً من تلك الاقاصيص سنة ١٦١٩

على ان الكتابة دخلت روسيا قبل ذلك الحين ببضعة قرون تابعة للدين واقدم

مادوّن فيها الاناجيل سنة ١٠٥٦ ثم دونوا اخبار الحروب والتواريخ ثم الشعر. ودخلت الطباعة عندهم سنة ١٥٥٣ واول ما طبع بها اسفار الرسل ثم غيرها من كتب الدين ثم التواريخ وكتب العلم مما يطول شرحه وليس هنا محل الكلام عليه

﴿ النهضة الاخيرة ﴾ نهض الروس لاقتباس عوامل التمدن الحديث كما نهض غيرهم من الامم الحديثة. وأوّل من حملهم على ذلك كبير قياصرتهم بطرس فانه زار الممالك المتمدنة في عصره ونقل كثيرًا من صنائع اهلها وعلومها كما هو مشهور. وأكبر اعوانه في نشر العلم وتعميم التعليم في روسيا بروكوبوفيتش ويوسوشكوف وكنتمير فانهم الفوا في الحض على طلب العلم ونبذ التقاليد القديمة ونقلوا شيئًا من علوم الافرنج الى الروسية. واشهر من هؤلاء جميعاً ميخائيل رومانوف فقد كان شاعرًا ناثرًا نظم القصائد والملاحم وألف الروايات والفواجع ويليه غيره وغيره

وفي اواسط القرن الثامن عشر نهضت آداب اللغة الروسية نهضة كبرى بما نقلوه اليها من العلوم الحديثة او نسجوه على منوال الامم المتمدنة في ذلك العصر وخصوصاً فرنسا. فانهم قلدو شعراءها وادباءها ونقلوا عنها كثيرًا من الاداب القديمة المنقولة اصلاً عن اليوناني او اللاتيني وقلدوها في انشاء المراسح والجمعيات ونحوها. ومن اكثر قياصرة الروس رغبة في آداب القدماء كاترينة الثانية المتوفاة سنة ١٧٩٦ فكثر الشعراء والادباء في عصرها قبل ان ينضج الادب والشعر لانها كانت تسوق شعبها اليهما سوقاً اقتداء بانصار العلم من الملوك العظام. حتى اذا تولى اسكندر الاول فكان الشعر قد تقدم شوطاً بعيدًا ونبغ في عصره نقولا كرمزين الشاعر المؤرخ القصاص وايفان ديمتروف واوزروف وكريلوف وزوفسكي المتوفى سنة ١٨٥٣ وكان هذا الاخير ناقلاً اكثر مما كان ناظماً. وهو الذي ادخل الطريقة الرومانية الى روسيا نقلاً عن الفرنساويين. وكان عالماً بلغات كثيرة ترجم عنها احاسن منظومات اصحابها. فنقل بعض اشعار كوتيه وشيلر وأولاند عن الالمانية واشعار بيرون ومور وسوثي عن الانكليزية غير ما نقله عن الفرنساوية. وقد ترجم فصولاً من مهابراتة الهند وشاهنامة الفرس واوذيسية اليونان ولم يكن يعرف اللغات الاصلية التي

نظمت فيها هذه الملاحم فنقلها عن اللغات الافرنجية الحديثة وخصوصاً الالمانية . واما الياذة هوميروس فقد نقلها الى اللغة الروسية كنيدتش نحو ذلك الزمن عن اللغة اليونانية رأساً وهي احسن ترجماتها عندهم . ونقل غيره احاسن منظومات الفرنساويين وخصوصاً موليير وكورنيل وراسين واكب الروسيون على تقليد الفرنساويين في اكثر آدابهم الحديثة وخصوصاً الروايات التمثيلية فانهم نسجوها نسجاً فرنساوياً في لغة روسية كما كان يفعل اهل اللسان العربي في أول نهضتهم الحديثة في مصر والشام . وما زال الروسيون مقلدين في اكثر آدابهم يكتبون اللغة الروسية القديمة ويتكلمون باللغة الحديثة حتى نبغ اسكندر بوشكين امام شعراء الروس فغير أساليب اللغة على نحو ما فعل فيكتور هوكو في اللغة الفرنساوية . وكانا متعاصرين ولكن بوشكين مات شاباً ولم يمنعه ذلك من اظهار مواهبه كما ترى من ترجمة حاله في ما يلي

﴿ اسكندر بوشكين ﴾ هو اشهر شعراء الروس بلا منازع . ولد في موسكو سنة ١٧٩٩ ويتصل نسبه ببيت عريق في الذكاء والشاعرية غيران والدة جده الثاني كانت زنجية ومنها اكتسب بوشكين جعودة الشعر وسمرة اللون وغيرهما من الملامح الزنجية كما ترى رسمه في صدر هذا الهلال

نشأ صاحب الترجمة في بيت شعر وادب وكان في حداثته يجالس اعمامه ومن يشهد مجالسهم من الادباء ويسمع ما يدور بينهم من المذاكرات في الشعر وغيره . وكانت اللغة الفرنساوية لغة الادب عندهم . فنظم بوشكين الشعر بالفرنساوية قبل ان يدرك العاشرة فاعجب به اهله فعملوا على تعليمه فادخلوه سنة ١٨١١ مدرسة كلية انشئت يومئذٍ بضواحي بطرسبورج اسمها مدرسة تسارسكوي سالو . فدخلها رغم ارادته لانه كان يكره الدرس حتى توهموا فيه الكسل وكادت تخيب آمالهم في مستقبله وخصوصاً لما رأوه من رغبتهِ عن الالعاب المدرسية وقضاء اكثر اوقاته مستانباً في البيت على انفراد . فقضى في هذه المدرسة ست سنوات وهو معدود من التلامذة الكسالى ليس لضعف مداركه ولكنه كان يشتغل عن تحضير دروسه بمطالعة كتب الادب والشعر وتراجم الادباء والشعراء . وكان في مكتبة ابيه شيء كثير من امثال هذه الكتب في اللغة الفرنساوية فلم يغادر ديواناً من دواوين شعراء الافرنج الا قرأه وتفهم معانيه فنمت فيه قريحة الشعر ومال الى تقليد ما حفظه من منظومات الافرنج وكان معجباً بولتير الشاعر الفرنساوي فنظم وهو في المدرسة رواية فرنساوية

قلده بها . فلم يكن لما وقع حسن أثر كما كتبا غير ان ذلك لم يثنه عن المثابرة على النظم

وخرج من المدرسة سنة ١٨١٧ وهو في الثامنة عشرة من عمره فتوظف في نظارة الخارجية وفي تلك السنة بدأ بنظم قصيدة او رواية اسمها روسلان لودميلا وفرغ من نظمها سنة ١٨٢٠ وهي تمثل حادثة في ايام فلاديمير بطل الشعر الروسي القديم . وكان لها وقع عظيم عند الروسيين فمال الناس الى بوشكين وتحدثوا به فازداد رغبة في النظم ورأسه مملوءة بما اقتبسه من المبادي الفرنساوية المؤسسة على حرية الفكر والقول . ورأى من بعض مجالسيه ميلاً الى تلك المبادي وارتياحاً الى سماعها فخيل له انه في باريس وذهب من خاطره ان الشعب الروسي غير الشعب الفرنساوي وحكومة الروس غير الحكومة الفرنساوية وان الذين يجالسهم انما هم فئة قليلة اكتسبوا تلك المبادئ من الكتب كما اكتسبها هو ولم تنمُ في نفوسهم نمواً طبيعياً — فنظم قصيدة سماها « الحرية » قامت لها الحكومة وقعدت ولولا توسط بعض ذوي النفوذ لنفي الى سيبيريا ولكنهم اكتفوا بنقله الى كشينيف في جنوبي روسيا — وكثيراً ما يقع لادبائنا المستغرقين في المواضيع الحرة التي يطالعونها في كتب الافرنج مثل ما وقع لشاعر الروس فيكتبون مالا يفي بحاجة قرائنا ولا يلائم اذواقهم ولا يطابق اعتقادهم او عاداتهم ولا يوافق مصلحة الحكومة فلا ينال اولئك الكتاب الا النقمة والاضطهاد والشواهد على ذلك كثيرة نراها بين ظهرانينا كل يوم

فقضى بوشكين في كشينيف اربع سنوات استفاد في اثنائها اختباراً كثيراً لانه رأى نفسه في بيئة غير التي كان فيها فنظم ما شاهده هناك من مناظر الدانوب وغيرها واستعان بذلك على ما نظمه فيما بعد . وفي سنة ١٨٢٢ احتاج الى تبديل الهواء فشخص الى جبال القوقاس فشاهد من مناظره الطبيعية مالا عهد له به من قبل . فجادت قريحته على قمم تلك الجبال فنظم رواية سماها « اسير القوقاس » وصف بها حب فتاة جركسية لشاب روسي كان ضابطاً واخذ اسيراً . ثم نظم قصيدة سماها « ينبوع بكشي سراي » ولا تزال هذه القصيدة تمثل على مراسح بطرسبورج الى اليوم وصف بها احتباس اسيرة بولندية اسمها الكونتس بوتوكا في السراي المذكورة وهي من قصور خانات القرم . ونظم ايضاً قصيدة في نابوليون لم يحسن الاجادة بها . ثم نظم رواية في « النوَر » (الغجر) وهي قصة شرقية مدارها على الحب والانتقام وصف بها احوال النوَر وعاداتهم احسن وصف

ووقع بين بوشكين ورئيسه في كشينيف نفور سببه ان رئيسه وهو الكونت فورنتزوف امره ان يذهب للبحث عن احوال الجراد وكان متفشياً يومئذ في جوار تلك المدينة

فاعتبر بوشكين ذلك اهانة له فقدم استعفاء، فكتب الكونت بشأنه تقريراً الى الحكومة الروسية يطلب فيه نقله « لانه يخالط جماعة من المتهوسين في السياسة والادب فربما حمله استحسانهم اقواله على الاعتقاد في نفسه المقدرة على الشعر والانشاء وما هو بالحقيقة الا مقلد للورد بيرون » فانتقل بوشكين من هناك سنة ١٨٢٤ ونظم في اثناء طريقه قصيدة وصف بها البحر

واقام بوشكين في بطرسبورج ولكنه لم يكن يلق راحة لارتياب الحكومة في مقاصده فنصبوا له العيون والارصاد وعدوا عليه انفاسه وقيدوا خروجه ودخوله فاضطر الى الاعتزال والهدو . وفي اثناء تلك العزلة درس الشعر الروسي القديم فزاده ذلك توسعاً في الشعر وكان كثير التعلق بمطالعة اشعار بيرون الانكليزي واندريه شينيه . ونشر سنة ١٨٢٥ رواية محزنة سماها « بوريس كودونوف » قلد بها اسلوب شكسبير وكان فن التمثيل الى ذلك العهد لا يزال على الاسلوب الفرنساوي وأكثر ما نقل الى الروسية من مؤلفات موليير وكورنيل وراسين كما تقدم فادخل بوشكين فيها الاسلوب الانكليزي

وفي تلك السنة حدثت المؤامرة السياسية التي كان غرضها الظاهر تأييد الغراندوق قسطنطين ضد اخيه نقولا وغرضها الحقيقي انشاء حكومة جمهورية في روسيا . وبلاد الروس لم تكن قابلة لهذا التغيير وانما اقدم الروسيون على ذلك اقتداء بالفرنساويين في حكومتهم كما اقتدوا بهم في آدابهم واشعارهم — ولا بأس من القدوة اذا تساوت الاحوال والا فانها تعود بالخسارة الكبرى — عقد المؤامرون تلك المؤامرة وفيهم جماعة كبيرة من اصدقاء بوشكين ولم يكن هو بنكر عليهم ذلك لاستغراقه في الافكار الحرة كما تقدم بل كثيراً ما كان يحرضهم على الثبات . ولكن الحظ اسعده بذهابه الى منزله في ميخايلوفسكي واحراق الاوراق التي يخاف ان تدل على اشتراكه في الامر . وكان عازماً على الرجوع الى بطرسبورج التعاون على ذلك العمل فاتفق له وهو خارج من باب منزله انه لقي قسيساً ثم راى ثلاث ارانب مرت في الطريق امامه معارضة والروسيون يتطيرون من ذلك فعاد الى منزله . وقد افاده تطيره لان المؤامرة ما لبثت ان انكشفت حتى امر القيصر نقولا بالقبض على المؤامرين وكانوا يعدون بوشكين منهم لكن تخلفه في منزله خفف التهمة عنه ثم توسط بعض ذوي النفوذ بشأنه فعفا القيصر عنه فقدموه له في موسكو على اثر حفلة التتويج فرحب به واكرمه — ويقال انه لما خرج بوشكين من تلك المقابلة قال القيصر للكونت بلودوف احد جلسائه « لقد خاطبت في هذا اليوم اذكى رجل في روسيا »

واصبح بوشكين من ذلك الحين مقرباً من القيصر ورجال حكومته واصبح عشراؤه اهل الطبقة العليا فازدادت رغبته في النظم فنشر سنة ١٨٢٨ رواية بولتافا وصف فيها حملة شارل الثاني عشر على بطرس الاكبر وما كان بينهما من القتال · ورحل في السنة التالية مرة اخرى الى بلاد القوقاس برفقة حملة البرنس باسكوبتش فكتب في ذلك رحلة جميلة



نتالي زوجة بوشكين

وفي سنة ١٨٣١ تزوج شاعرنا بفتاة من عائلة كونشاروف اسمها نتالي كانت مشهورة بجمالها في كل بلاد الروس · وفي السنة التالية اعيد الى نظارة الخارجية براتب مقداره ٥٠٠٠ روبل واخذ في تاليف تاريخ مطوَّل لعصر بطرس الاكبر · والف قصصاً كثيرة اشهرها قصة « بنت القبطان » يقال انه ترجمها عن اللغة العربية و تولى ادارة جريدة سوفرمانيك وانعم عليه القيصر باعلى رتب الخدمة في بلاطه و بذل له عشرة آلاف روبل لطبع مؤلفاته واصبح في رغد وهناء · ولكن المنية عاجلته فمات مقتولاً سنة ١٨٣٧ بسبب امرأته المذكورة :

وذلك ان شريفاً اسمه دانتيز تزوج اخت نتالي امرأة بوشكين وكان دانتيز من اهل اللهو والخلاعة فتطرق الى نتالي بما وجب غيرة زوجها فطلبه بوشكين للمبارزة على عادة الافرنج فتبارزا فاصيب بوشكين برصاصة لم يعش بعدها الا يومين · وكان القيصر لما بلغه

خبر الجرح بعث اليه طبيبه الخاص . ولما تحقق وقوع الخطر كتب اليه يقول « اذا لم نجتمع في هذه الدنيا فيجمعنا العالم الآتي . دع امر زوجتك واولادك اليَّ ومت براحة وطمأنينة » فاجابه بوشكين شاكراً وانه يأسف لموته شاباً

واحتفل القيصر بدفنه احتفالاً عظيماً على نفقته الخاصة وامر بايفاء دينه وعيّن لأرملته خمسة آلاف روبل في السنة ولاولاده ستة آلاف . اما ارملته فتزوجت بعدئذٍ بضابط اسمه لنسكوي وتوفيت سنة ١٨٦٣ اما اولاده فلا يزالون يستولون على هذه الرواتب الى الآن . وفي سنة ١٨٨٠ نصبوا لهذا الشاعر تمثالاً في موسكو باحتفال فائق ويعدُّه الروس من اكبر اركان نهضتهم الاخيرة واكثر اشعاره متداولة يتدارسها الادباء ويتحداها الشعراء

صدور الهلال

ترتيب جديد

شكا الينا جماعة من قراء الهلال ضيق صفحات الجزء الواحد منه عن استيعاب المقالات الضافية مع تكاثر المواضيع والابواب . وطلبوا الينا ان نزيد عدد صفحاته حتى يكون فيها متسع للكتابة في سائر ابوابه . وقد تكررت هذه الشكوى ونحن ننظر في اقتراحهم فرأينا ان الاجابة على ذلك الاقتراح تكون اماً بزيادة صفحات الجزء الواحد ملزمة او ملزمتين — فبدلاً من ان تكون صفحات الجزء اربعين صفحة تصير ٤٨ او ٥٦ صفحة — ونزيد قيمة الاشتراك بنسبة ذلك . او ان نضم جزئي الشهر الواحد في جزء يصدر في اول كل شهر او في منتصفه — فيصدر الهلال مرة في الشهر وصفحاته ثمانون صفحة مع بقاء الملحق كل سنة — ويبقى بدل الاشتراك على حاله . فنتمكن في الفترة بين هلال وهلال من البحث المتواصل في ما نحن آخذون في تاليفه من المواضيع التي تحتاج الى درس وتنقيب ونصدرها ملحقة بالهلال في كل عام

فنطرح هذين الوجهين لحضرات القراء للنظر فيهما ريثما تدخل السنة الثالثة عشرة من الهلال في اول اكتوبر القادم . وسننظر في ما يرد علينا في هذا الشأن ونعمل بما يوافق استحسان حضراتهم والله الموفق في كل حال

تاريخ علم الادب

عند الافرنج والعرب
لكاتب فاضل

٢٨ — مؤلفات فيكتور هوكو (١)

طبعت مؤلفات فيكتور هوكو مراراً عديدة في قطع متفاوت في الصغر والكبر . ومنها ماهو مزين بالتصاوير والرسوم البديعة ومنها ما هو على أجمل ورق تمكنت المعامل الاوروبية من طبخه وصقله . وآخر طبعة طبعت للجمهور في اجزاء صغيرة الحجم (قطع ٣٢) يقرب عددها من ثلاثمائة جزء ثمن الجزء ٢٥ سنتيماً . وأواسط هذه الطبعات ما كان بالقطع الثمن في ٤٨ مجلداً ثمن المجلد عشرة فرنكات يضاف اليها اثنا عشر مجلداً طبعت بعد وفاة المؤلف فيبلغ بذلك عدد المؤلفات ستين مجلداً . منها ١٦ مجلداً في الشعر وهي

(١) المدائح والمطربات
(١) الشرقيات . اوراق الخريف
(١) أغاني الشفق . الاصوات الداخلية . الاشعة والظلال
(١) القصاص
(٢) التأملات أي سانحات الفكر
(٤) سير الدهور
(١) أغاني الشوارع والاحراج
(١) السنة المهولة
(١) صناعة كون الانسان جداً

(١) هذا آخر ما ننشره من هذا الكتاب النفيس في الهلال اجابةً لطلب الادباء وقد تركنا ما بقي منه لينشر عند طبع الكتاب كله على حدة وسنعلن ظهوره في حينه

(١) البابا · الرحمة العالية · الاديان والدين · الحمار

(١) رياح العقل الاربع

ومنها خمسة مجلدات في الروايات التمثيلة المنظومة وتسمى « درام » وهي :

(١) كرومويل

(١) ايرناني · ماريون دولورم · الملك تيسلي

(١) لوكريس بورجيا · انجلو · ماري تيدور

(١) روى بلاس · اسميرالده · بورغراف

(١) توركاده · امي روبار

ومنها اربعة عشر مجلداً في القصص وتسمى « رومان » وهي :

(١) هان الاسلاندي

(١) بوغ جارغال · آخر يوم من أيام المحكوم عليه أو قلود كو

(٢) نوتردام دوباري أو كنيسة باريس الجامعة

(٥) البؤساء

(٢) المشتغلون في البحر وفي مقدمته ارخبيل بحر المانش

(٢) الانسان الضاحك

(١) ثلاث وتسعون

ومنها ثلاثة مجلدات في التاريخ وهي :

(١) نابوليون الصغير

(٢) تاريخ جرم

ومنها مجلدان في السياحة عنوانها (نهر الرين)

ومنها مجلدان في الفلسفة أحدهما أدب وفلسفة والآخر وليم شكسبير

ومنها ستة مجلدات في الاقوال والاعمال وهي :

(١) قبل النفي

(١) مدة النفي

(٣) بعد النفي
(٢) فيكتور هوكو تاريخه

هذا ما سلمه الشاعر بعد التنقيح والتهذيب للطبع فنشر في حياته . وله مؤلفات أخرى جمعت من التساويد التي سودها والاوراق التي تركها وطبعت بعد وفاته بغير تصحيح في اثني عشر مجلداً وهي :

(١) الاشياء المرئية . (١) الله . (١) عاقبة الشيطان . (٣) كل العود
(١) المرسح الحر . (١) التوآئم . (١) مراسلات الخطيبة
(١) السياحة في فرانسا والبلجيك . (١) السياحة في جبل الالب وفي جبل البيرينه
(١) السنون المشؤمة

فما ينشر بعد موت المؤلف يسمى (Posthumes) ويجوز فيه التنقيح والتهذيب عند اعادة طبعه . والذي ينشر في حياة المؤلف يسمى (ne Varietur) أي الذي لا يتغير ولا يجوز التبديل فيه بعد وفاة صاحبه ولا تحريف الكلم عن مواضعها . ولو وجد من يتحرى في أوراق فيكتور هوكو لربما تمكن من استخراج مجلد أو مجلدين أيضاً . كما جمعت أخيراً المكاتيب التي حررها العلامة رينان لامه وهو في المدرسة حديث السن وطبعت في مجلد . ولعل القارىء يستكثر عدد هذه المؤلفات التي لا يجد الانسان وقتاً لمطالعتها فضلاً عن تحريرها وسبك انشائها سيما ما يحتاج منها لدقة وتألف كقرض الشعر ونظم الروايات التمثيلة ولكن اذا تأمل في همة رجال العلم والادب واقدامهم زال استغرابه وعلم ان ملكتهم رسخت في النظم والانشآء حتى صار التحرير طبيعة ثانية لهم كالكلام . واننا نشاهد المبعوثين في مجلس نواب الامة يتكلم الواحد منهم الساعات الطوال بدون أن يتلعثم . ويضبط كلامه بالاصول المعروفة بالاستنوغرافيا وينشر في جرائد المسآء فيملأ الاعمدة الكثيرة والصحائف الكبيرة . وقد بلغنا عن مبعوث في بلاد المجر انه تكلم في موضوع اثني عشرة ساعة بحيث انه بدأ في الصباح وبعد استراحة الظهر عاد لموضوعه واكمل بحثه في اليوم الثاني . فتألف من كلامه مجلد ضخم . ولو قرأنا فهرست الكتب التي ألفها الكندي

والرازي وأصحاب المعاجم والتآليف الضخمة لوجدناها تقارب هذا المقدار أو تزيد عليه . ورأينا فيما تقدم ما ألفه العرب في أفانين الادب من المؤلفات الكبيرة ككتاب الايك والغصون المعري ونحوه . على ان فيكتور هوكو معينين في أعماله . فتاريخ فيكتور هوكو في مجلدين حررته زوجته الشرعية الشاهدة على حياته . وكانت الممثلة البارعة جوليت دروه تنسخ له وهو يملي عليها . وربما كتب له أيضاً الشاعر اوغوست فاكيري . وحرر ابنه فرانسوا من جزيرة كيرنزي لاحد أصحابه في فرانسا يقول

« نحن كلنا نشتغل . والدي يتمم نظم الحماسات الصغيرة . وشارل يصنف روماناً وأنا اتحف فرانسا بشكسبير واجتهد بان اكون ترجماناً صادقاً لهذه القريحة الواسعة . »

وفي الحقيقة ان فرانسوا هوكو ترجم مؤلفات شكسبير أحسن ترجمة فطبعت في ١٨ جزءاً بعد ان عرضها على أبيه واستكتبه عليها المقدمات والحواشي . فجميع المؤلفات كانت تعرض على فيكتور هوكو وبعضها يطبع باسمه لانه كان رأس هذه العصبة ومدير هذه الجمعية المؤلفة من زوجته وصاحبته وأولاده وأصحابه . ولم يزل صغار الكتبة والشعراء في أوربا ينسبون مؤلفاتهم واشعارهم الى مشاهير الرجال ترويجاً لها وانفاقاً لبضاعتهم في سوق العلم والادب . فان المؤرخ الشهير الفرنساوي ميشله المستند في مؤلفاته على القصص التاريخية التي ألفها والترسقوت الانكليزي نسب لنفسه في التاريخ الطبيعي الكتب الاربعة التي عنوانها الطير ، الحشرة ، البحر ، الجبل مع أن المحرر الحقيقي والمصنف لهذه الكتب الذهبية على مايقال هي زوجته المادام ميشله وكانت من الفاضلات . ووجد المتفننون في تاريخ الكيمياء أن بعض كتبها القديمة حررها أصحابها في القرون الوسطى وعزوها الى جابر وهرمس تقوية لسندها وانفاقاً بصحتها . فانتحال الشعر أو الكتاب المصنف شائع بين الكتاب والشعراء وتارة يكون برضاء المؤلف الحقيقي وتارة يكون بغير رضائه وهو السرقة . وقد يكون السارق المنتحل أشعر وأقدر من صاحب الشعر والتصنيف ولكن وقته لم يسمح له بالاتيان بمثل ذاك المؤلف . ولذا اتهمت الاكادمية فيكتور هوكو بسرقة القصيدة

التي عرضها على لجنة التحكيم والمسابقة وسماها (فوائد المطالبة) ولم يعطوه الجائزة التي استحقها

وكان يحدث امثال ذلك في أيام العرب وفي حضارة الاسلام كما اتهم الحريري في مقاماته . وكان قد عمل مقامة واحدة على مقامات البديع الهمذاني وعرضها على انوشروان بن خالد بن محمد وزير السلطان محمود السلجوقي وكان الحريري خصيصاً به فأمره الوزير بانشاء المقامات وتمامها فصنف أربعين مقامة وأتى بها من البصرة محل تحصيله العلم الى بغداد ونزل في الحريم وهي سرة الدسكرة والمحلة المشتملة على دار الخلافة وقصور الامرآء والاعيان وكان ذلك في خلافة المقتدي بالله سابع وعشرين الخلفاء العباسيين . فاستحسن الادباء طرز المقامات وحسدوه عليها واتهموه بسرقتها . ولما امتحن سدد عليه ولم تجد قريحته بشيء وهو في الحريم وسط تلك الدسكرة الكثيرة الزحام والجلبة فنفي الى المشان قرية بقرب البصرة مشتملة على نخل وزرع ولكن هوآءها فاسد بسبب المستنقعات وكان اذا غضب على شخص نفي اليها . فألف الحريري في المشان عشر مقامات اخرى وكانت مصنفاته خمسين مقامة فقال فيه ابن جكينا يهجوه

شيخ لنا من ربيعة الفرس ينتف عثنونه من الهوس
انطقه الله بالمشان وقد الجمه في الحريم بالخرس

وكان الحريري ينتسب الى ربيعة الفرس وهي قبيلة من قبائل العرب على حدود فارس . وكان اولع بنتف لحيته والعبث بها . ووعده أحد الامراء يوماً بولاية على شرط أن يترك نتف لحيته فامتثل برهة ولم يستطع الصبر فقال « أحب الي أن تعاد لي الولاية على لحيتي من كل ولاية » . ونشأ الحريري في مجمع العلماء والادبآء واليهم نسبت الاقوال الكثيرة في النحو فقيل مذهب البصريين ومذهب الكوفيين وكانت ولادته في البصرة وقيل لا بل ولد بالمشان المجاورة لها (٤٤٦ - ٥١٥ ه) وكانت السيادة والنفوذ في ذلك العصر للدولة السلجوقية التي ظهرت في العراق العجمي واتخذت مدينة لري عاصمة لها ويقال المنسوب لها الرازي وقد صار علماً على كثير

من العلماء والفلاسفة ولم تزل خرابات الري مشاهدة بظاهر طهران عاصمة الدولة الايرانية ويقال لها عبد العظيم نسبة لاحد الاولياء المدفون فيها وهناك كان مقتل الشاه السابق . وسميت ملوك هذه الدولة السلجوقية بسلاجقة ايران تمييزاً لهم عن سلاجقة الروم الذين اتخذوا قونية عاصمة لهم وعن سلاجقة كرمان الذين حكموا في الجنوب الشرقي من بلاد العجم . وظهر في سلاجقة ايران ١٤ ملكاً في ظرف ١٦١ سنة واعظمهم ثالثهم ملكشاه (٤٤٧ — ٤٤٥ هـ) ابن الب أرسلان ويسمى ابا الفتح جلال الدين واليه ينسب التاريخ الجلالي الذي وضعه عمر الخيام الاديب الفلكي الشهير وكان وزيره نظام الملك صاحب المدرسة النظامية في بغداد . فيفهم من ذلك ان ملوك هذه السلالة ووزراءها وامراءها كلهم حريصون على تعزيز جانب العلم والادب ولا غرو ان أتى الادبآء في زمانهم بمثل المقامات الحريرية . وألف كمال بك امام الادب في اللسان العثماني رواية بليغة سماها « جلال » وجعل لها مقدمة يعدها الادبآء من أبلغ ما حرر في اللسان العثماني على الاسلوب الجديد

فيتضح مما سبق ان مؤلفات فيكتور هوكو على نوعين منظوم ومنثور . وكل واحد منها يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام . فالمنظوم منه ماهو شعر ويشتمل على فنون كثيرة مثل الاود والبلاد والايلجي ..... الخ ولكل منها عروض مخصوص . ومنه ماهو روايات تمثيلية تتلى على المراسح كما يتلى النثر المرسل بغير التفات الى أوزان النظم ولا قوافيه أي بلا ترنم ولا تطريب ولا تغريد ولا ترخيم في الصوت ولا وقوف على القافية . ونظمت هذه الروايات التمثيلية التي يقال لها درام على عروض البحر الاسكندري في الغالب وهو المبني على اثني عشر هجآء

فاذا جرى التوقيع بالروايات الدراماتيقية على آلات الطرب ولحن فيها على طريقة الصناعة الموسيقية سميت « اوبرة » ولاجلها بنيت المراسح الكبيرة التي يقال لها اوبرة كالاوبرة الخديوية في القاهرة والمرسح الذي بني في الاستانة ثم احترق ولم يجدد بناؤه . ويقال لاوبرة باريس أكادمية الموسيق لانها شعبة من شعب أكادمية الصنائع النفيسة التي هي في عداد الاكادميات الخمس الشهيرة في باريس . ومثال

ذلك اوبرة فوست التي صنف قصتها الدراماتيقية الاديب الالماني كوته ثم جاء الملحن الفرنساوي كونو ووفق ترجمة كلامها على صناعة الالحان . وكذا رواية عائدة (آيده) التي وضعها على صناعة الالحان الملحن الشهير الطلياني فردي ثم نظمها بالفرنساوية أدبيان من ادباء الفرنساويين . وأول ما مثلت هذه الرواية الاخيرة في الاوبرة الخديوية بالقاهرة سنة ١٨٧١ ثم مثلت في باريس على المرسح الطلياني سنة ١٨٧٦ وتمثل اليوم على جميع المراسح الفرنساوية في العاصمة والايالات وفي اكثر المدن الاوروية ولعل هذه الرواية هي التي ترجمة للعربية باسم (عائدة) .

فالاوبرة هي تأليف دراماتيقي اجتمع فيه الشعر والموسيقى . ولذا فهي تشتمل على أوزان العروض وأنغام المزامير وأقاويل الشعر أي ما فيه من التشبيه والتخييل فان دخل في الاوبرة مع الكلام المنظوم كلام منثور أيضاً سميت أوبرة — كوميك كرواية كرمن . وان لم يكن موضوع الرواية دراما أي فاجعة بل كان كوميديا مضحكة سميت (بوف) و (بوفون) و (أوبيريت) تصغير أوبرة . واجتهد بعض الادباء الترك في التأليف بين الشعر والموسيقى في اللسان العثماني فترجموا رواية كرمن نظماً للتركية وخصوها مع الانغام الموسيقية على المراسح المتخذة من الاخشاب في محلة السراي وفي منتزهات ضواحي الاستانة . ومع أن مشروعهم ابتدائي فالتمثيل كان لا بأس به رغماً عن حداثة نشأته . فلو حصلت عناية في تنشيط هذا المشروع بقوة المال وهمة الرجال لنجح ولا شك باللغة التركية وباللغة العربية أيضاً . فان دوائر البلدية في مدن أوروبا الثانوية فضلاً عن العواصم تنفق النفقات الباهظة في كل سنة لاعانة المراسح . لان ما يجمع من اجرة الدخولية لا يكفي لتحسين المراسح الى الدرجة التي بلغتها مراسح أوروبا . وكان لعلماء العرب وفلاسفتهم المتقدمين اهتمام بعلم الموسيقى وللفارابي فيه اليد الطولى ومما ألفه كتاب الموسيقى الكبير . ونقل صاحب الارز في ما نشره من الازجال والموشحات عبارة عن ابن رشد وجدت له في تلخيصه كتاب أرسطوطاليس في الشعر الذي طبعه المستشرق فوستو لازينو في مدينة فورانسه سنة ١٨٧٣ قال ابن رشد : .

« المحاكاة في الاقاويل الشعرية تكون من قبل ثلاثة أشياء . من قبل النغم المتفقة ومن قبل الوزن ومن قبل التشبيه نفسه . وهذه قد يوجد كل واحد منها مفرداً عند صاحبه مثل وجود النغم في المزامير والوزن في الرقص والمحاكاة في اللفظ . أعني الاقاويل المخيلة الغير الموزونة . وقد تجتمع هذه الثلاثة بأسرها مثل مايوجد عندنا في النوع الذي يسمى الموشحات والازجال وهي الاشعار التي استنبطها في هذا اللسان أهل هذه الجزيرة أي الاندلس » . اه . ولا شبهة في أن أعاريض الموشحات والازجال من أنسب العروض لنظم روايات الاوبرة لسهولة التوقيع بها على آلات الطرب بخلاف البحور الستة عشر في العربية أو البحور الثمانية عشر بالفارسية والتركية . ولا نطيل الكلام في هذا البحث فإن أهله أولى بالبحث فيه والتفتيش عن دقائقه وخوافيه ونعود للصدد الذي كنا فيه

وأما النثر الذي ألفه فيكتور هوكو فكله من قبيل المرسل وهو الذي يطلق فيه الكلام اطلاقاً ولا يقطع أجزاء بل يرسل ارسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها . وليس عند الافرنج سجع . وهذا المنثور على أقسام وفنون شتى منها القصص التي يقال لها « رومان » وهي ما صور فيها مؤلفها غرائب الواقعات وعجائب الاتفاقات واستلفت نظر القارئ أو السامع بمخترعاته واختلاقاته وتخيلاته البديعة . وسميت هذه القصص رومان او رومانس باسم اللغة القديمة التي كتب فيها رومان رولان وأمثالها من القصص والحكايات المنظومة والمنثورة . والرومانات على أقسام كثيرة منها الرومان التاريخي والغرامي أو الاحساسي والروحاني والفني والسياسي الخ ومن منثور فيكتور هوكو أيضاً التاريخ والسياحة والفلسفة والاقوال والاعمال والرسائل والخطب والسياسيات وغير ذلك .

٣٩ — نظم فيكتور هوكو

قرض فيكتور هوكو الشعر في أعاريض مختلفة . منه ما هو على وزن البحر الاسكندري المنسوب لاحد الشعراء اليونانيين أو المدينة الاسكندرية التي زعمت

فيها العلوم والمعارف والآداب اليونانية على عهد البطالسة . ويتألف عروض البحر الاسكندري من اثني عشر هجاء اذا كانت القافية مذكرة ومن ثلاثة عشر اذا كانت مؤنثة . ويقسم كل بيت الى شطرين بوقفة Césure تأتي بعد الهجاء السادس المساواة الشطرين . والنظم في هذا البحر صعب يحتاج الى نفس عال وتلطف كثير ومهارة زائدة وبه تظهر قوة الشاعر واقتداره على التصرف في الكلام ولذا اختص بالمواضيع الجدية العالية لقصائد الحماسة وروايات الفاجعة . واختاره فيكتور هوكو لنظم روايات الدرام التمثيلية المذكورة في الكتب الخمسة المتقدم بيانها ولنظم غيرها من الاشعار الحماسية والتاريخية . ولكنه غير فيه كثيراً ولم يراع الوقوف على الهجاء السادس بل قسم البيت الى شطرين غير متساويين وجوز تكميل معنى البيت الاول بالفاظ من البيت الثاني مع أن العرب يشترطون ان يكون كل بيت من ابيات الشعر تاماً في بابه مستقلاً في معناه . ويمكن تشبيه البحر الاسكندري بالبحور العربية الستة عشر او البحور الفارسية الثمانية عشر

ومن شعر فيكتور هوكو ما هو على أوزان مختلفة تتألف من ستة او ثمانية او عشرة هجاآت نظمت أسماطاً أسماطاً واغصاناً اغصاناً وجعل لها ادواراً ولازمات على نسق ما استحدثه الاندلسيون وبقية شعرآء العرب المتأخرين من الموشحات والازجال . وهي اسهل طريقة واقرب تناولاً من البحر الاسكندري كما ان الموشحات والازجال العربية اسهل من بقية البحور . ولها عند الافرنج اسماء بحسب أجناسها مثل اود وبالاد وروندو وايلجي الخ . ولها أدوار تسمى قوبله وستروف ولها أيضاً لازمات refrain الخ . واقتبس الفرنساويون هذه الاعاريض من شعرآء التروبادور تلقوها عن عرب الاندلس كما أخذوا منهم علم القوافي . فان شعرآء الافرنج على الاطلاق لم يكن لهم معرفة بالقوافي وانما كانوا يعتاضون عنها في أشعارهم بما يسمونه (اسوتانس) وهو شبه القرادي والعتابي كما مر ذكره . ومثلنا فيما سبق لقافية بكلمتي (ساج) و (باج) ولما يسمونه اسوتانس بكلمتي (ساج) و (آرم) والافرنج لا يلتزمون في القصيدة او المنظومة قافية واحدة أو رويا واحداً كما يفعل العرب . ففيكتور هوكو

لم يلتفت كثيراً لاوزان العروض التي نظم فيه من تقدم عليه من الشعراء· بل تساهل جداً في جانب الالفاظ واستحدث من عند نفسه أنواعاً جديدة ووضع هذه القاعدة وهي

« ان الشعر ليس في قوالب المعاني وانما هو في المعاني نفسها · فالشعر هو الامر الباطني لكل شيء في الوجود »

فهذه القاعدة ليست مجهولة باتمام عند أدباء العرب · ولعل ابن رشد اشار اليها في العبارة السابقة بقوله عن المحاكاة في اللفظ « اعني الاقاويل المخيلة الغير الموزونة » · وحكي عن حسان بن ثابت حينما اتاه ابنه عبد الرحمن وهو صبي يبكي و يقول — لسعني طائر

فقال حسان — صفه يا بني

فقال — كانه ملتف في بُرْدَيْ حبره وكان لسعه زنبور

فقال حسان — قال ابني الشعر ورب الكعبة

فمقصود الصبي ان الطائر الذي لسعه يشبه في اجنحته وشكله المنقش المحبوب الشخص الملتف بداء موشى ومصبغ · وقول حسان حجة على أن الشعر لا ينحصر في الكلام المقفى الموزون وانما حقيقة الشعر في المعاني والتخيل وفيما يحدثه على النفس من التأثير · ولكن درج تعريف الشعر على الالسنة بانه كلام مقفى موزون· وسبق لنا ذكر تعريف ابن خلدون للشعر بانه « الكلام البليغ المبني على الاستعارة او الاوصاف المفصل اجزاء متفقة في الوزن والروي· مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة » · وعلى هذا التعريف يكون كلام المتنبي والمعري ليس من الشعر في شيء· وقال ابو الفداء عن المعري « وطبق الارض ذكره ... وا كثر مصنفاته ركيكة فهجرت لذلك » · والصحيح ان كلاً منهما امام مجدد في الادب خرجا بالكلام عن تلك القيود المدرسية واطلقا للقريحة عنان الحرية وكان النوع المعروف بين الادباء هو نوع القصيد وله أساليب معروفة عندهم تختص بمطلع القصيدة و بيت التخلص والختام وذكر الاطلال والرسوم والراحلة

والسفر . فالمعري والمتنبي خرجا عن هذه الاساليب ولكنهما افرطا في ايراد التشابيه الغامضة والالفاظ اللغوية واحتاج شعرهما الى شرح طويل وتفسير ثم صار هو أيضاً شعرًا مدرسيًا بسبب نسج المتأخرين على منواله وتهافتهم على التشابيه الغامضة .

وقال فيكتور هوكو في كتابه المسمى أدب وفلسفة :

« لا يكفي ان يكون الشعر قالب حسن الالفاظ بل يلزم ان يحتوي على معنى او تشبيه او احساس . ليكون له رائحة ولون وطعم . تسعى النحلة في بناء الواجهات الست لبيوتها من الشمع . ثم تملأها بالعسل . فهذه البيوت او الخلايا هي ابيات الشعر . والعسل هو الشعر . » اه

فشبه الشعر بالشهد وهو العسل في شمعه . وبالخمر أيضاً ولها أوصاف ثلاثة: رائحة تفوح منها كما يفوح المسك . وتسمى باصطلاحهم (بوكه) . ولونٌ كأنه ياقوتة سيالة او صفراء فاقع لونها . وطعم يعرفه أهل الذوق كما نعرف طعوم المآكل ويميزون فيه بين الحسن والاحسن والضار والنافع والانفع . ورأيت في أهل الذوق من رسخت لهم ملكة حتى أصبحوا يعرفون الخمر من أي كرم وقرية ومن محصول اي سنة بمجرد معاينة اوصافها الثلاثة بالحواس الثلاث حاسة البصر وحاسة الشم وحاسة الذوق . وتشبيه الشعر بالخمر والعسل معروف عند العرب ويقولون فلان من أهل الذوق في الكلام وتقول العامة (كلام بلا طعم) ومما يؤيد ان الشعر في المعاني قول أبي محمد الخازن من ادباء اصفهان وكان ينتسب للصاحب بن عباد ويراسل ابا بكر الخوارزمي قال :

لا يحسن الشعر ما لم يسترق له حر الكلام وتستخدم له الفكر
انظر تجد صورة الاشعار واحدة وانما لمعاني تعشق الصور

ثم ان تقسيم الشعر عند الافرنج الى اود وبالاد وايليجي ... الخ هو تقسيم باعتبار الشكل الخارجي أي باعتبار قوالب الالفاظ وبحور العروض والادوار ... الخ .. واما باعتبار المعنى فيقسم الى ثلاثة أقسام غرامي وحماسي ودرامي .. فالغرامي — ويسمى الموسيقي أيضاً لان الاصل فيه الانشاد على نغمات الاوتار — هو كل

شعر أعرب عن الحواس الشخصية . فوافقه يبين فيه احساسه وعواطفه وحبه وبغضه وشقاءه وسعادته . فاذا جرى التوقيع به على آلات الطرب كان أشد وقعاً وتأثيراً على النفوس . والشعر الحماسي هو ما وصف به شجاعة الشجعان وذبهم عن الحريم والاوطان وفيه احاديث الشهامة والغيرة والحمية فهو بهذه الصفة تاريخي . والدرام هو ما صور فيه الحياة الانسانية وتقدم تفصيل الكلام عليه

قالاود والبلاد والايليجي . . . الخ يقابلها في العربية المدح والغزل والرثاء . . . الخ غير ان هذه الاقسام في العربية من الاقسام المعنوية واما عند الفرنساويين فهي من الاقسام اللفظية التي لكل منها عروض مخصوص وشكل معروف . ومن هذه الاقسام اللفظية أيضاً الشعر الفاجع وهو ما صور فيه الشاعر حادثة مهمة من شأنها تهييج العواطف وتحريك الغضب واستجلاب الشفقة والرحمة وتنتهي الرواية الفاجعة في الغالب بمصيبة فروايات المتقدمين التي على هذا الطرز تسمى تراجيديا . وروايات أصحاب الطريقة الرومانية التي على أسلوبها تسمى درام . واما الكوميديا فهي مصورة لأخلاق الهيئة الاجتماعية ومساويهم ومعايبهم بصورة هزلية مضحكة . كروايات مولير ومنها رواية تارتوف وهي مترجمة للتركية ومنشورة في مطبعة ابو الضياء . وأشعار الهجاء عند الافرنج تشتمل على الهجو والذم والانتقاد والتعريض والاستهزاء وخلط الجد بالهزل ونحو ذلك . ومن أنواع الشعر عندهم أيضاً الشعر البدوي المصور لاخلاق البدو والرعاة وهم في البادية والجبال . ولقد أحسن لبيد بن ربيعة العامري في تصوير اخلاق البادية والمعيشة البدوية قبل الاسلام وديوانه مطبوع في فينّا عاصمة النمسا . ومن الشعر ما تقص فيه الحكايات وتضرب الامثال على السنة الحيوانات كحكايات لافونتين . ومنه أيضاً الشعر الذي على نهج الرسائل والمكاتيب . . وله امثال عند العرب ومن شعراء دمشق المتأخرين من نظم حجة شرعية بجميع ما يلزمها من القيود والشروط

وجل مهارة فيكتورهوكو في الشعر الغرامي او الموسيقي المعرب عن الاحساس الشخصي . ولشعره نغمة مطربة وقوافٍ عامرة . والحان تحن له القلوب وترتاح لسماعها النفوس .

وهو الذي اوجد عند الفرنساو بين المجو الموسيقي في المنظومات التي هجا بها نابوليون الثالث . ولم تزل هذه الانغام والتوافي والالحان هي الباعثة على رواج اشعاره واقبال الجمهور عليها

وكما ان فيكتور هوكو غير أفاعيل الشعر وتفاعيله واصلح عروضه على المثال المشار اليه آنفاً ، أصلح كذلك الفاظ الشعر ومعانيه . وابطل جميع اصطلاحات الادباء أي الاساليب والتعبيرات المصطلح عليها بينهم والتي لا يفهمها الا أهل الغوص على المعاني وهم خواص الناس . وقال بان جميع الالفاظ سوآء . لا فرق فيها بين اللفظ الذي وقع اختيار الادبآء عليه و بين اللفظ الذي رفضوه وقالوا عنه سوقي مبتذل . وجوز للكتبة والشعراء الاخذ بكل واحد من نوعي الالفاظ المختارة والسوقية واستعمالها بلا فرق في النظم والنثر (١) على شرط توافقها لقواعد النحو والصرف وابطل أيضاً ما كان يستعمله الادبآء في كلامهم من المقدمات والدوارات التي من شأنها تغطية المعنى والتثقيل عليه وكذا التعبيرات العمومية والاجمالية التي يتلاشى بها المعنى و يستبهم كما يفعل ادبآء العرب في خطبة الكتاب المصنف وفي مقدمته . ولم يرض من جميع ذلك إلا بالتعبير الاصلي والمعنى الحقيقي الدال على خصوصية الموضوع . لان الغرض من تأليف الكلمات وتصنيف الكلام انما هو تشخيص الموضوع وبيان مزيته وغرابته . فلا حاجة للاستعارة ولا المعنى المجازي . ويقوم مقام الاستعارة التشبيه أو التخييل الذي هو نوع من الاحساس لا التشبيه والتخييل المستفاد من طرز الكتابة . فالواجب على الكاتب ان لا يشغل نفسه بالاستعارات وأنواع البديع وان لا يتصنع ولا يتعمل في الكلام بل ينبغي له ان يهتم ببيان الموضوع الذي هو فيه وايضاحه ووصفه بالاوصاف السديدة المظهرة له ظهور الشمس في رابعة النهار و بوضع انفعالاته

(١) ذكر الجرجاني في اسرار البلاغة المطبوع اخيراً في مصر في الكلام على الالفاظ المتحسنة ان تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم ، ويتداولونه في زمانهم ، ولا يكون وحشياً غريباً ، او عامياً سخيفاً ، سخفه بازالته عن موضوع اللغة ، واخراجه عما فرضته من الحكم والصفة ، كقول العامة (اشغلت) و (انفسد)

النفيسة في ذاك الموضوع ليكون أشد تأثيرًا على السامع . فتأثير الكلام يكون من جهة الانفعال النفسي والتصوير الطبيعي لا من جهة الاستعارات

غير أن فيكتور هوكو وأهل طريقته لم يمنعوا انفسهم من استعمال الاستعارات المدرسية والتعبيرات المصنعة لرسوخ ملكتهم فيها . ومن الاستعارات التي وردت لفيكتور هوكو على الطرز القديم قوله « نجوم المركبة » ويريد المصابيح التي تنار بها المركبات ليلاً وتظهر عن بعد كالنجوم

فادبآء العرب قالوا بان جل محاسن الكلام ان لم تكن كلها متفرعة عن التشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية وجعلوها اقطابًا تدور عليها المعاني . ولذا تجد غزلهم مثلاً يدور دائمًا حول التفنن في تشبيه القدود بالاغصان والنهود بالرمان والخدود بالورد والجلنار والعيون بالنرجس ونحو ذلك . على حد قول الشاعر

قلبي على قدك المشوق بالهيف   طير على الغصن أم همز على الالف
وهل سويداء خال بخدك أم   خويدم أسود في الروضة الانف

وهي قصيدة غراء من كتاب ريحانة الالبآء المطبوع في بولاق . والمراد تشبيه قده المشوق بالغصن او بالالف . وقلب العاشق بالطير او بالهمزة . وفي البيت الثاني تشبيه سويدآء القلب وهي الحبة السوداء التي فيه بالخال الذي على خد المحبوب وتشبيه الخال بالخادم الصغير الاسود وهو في الروضة . لان جسد الحبيب في اصطلاحهم بستان فيه جميع الازهار والفواكه والاشجار والانهار والتلال والوهاد والاغوار والانجاد . فكان جميع المخلوقات الطبيعية تتشخص في هذا الجسد . فجميع اشعارهم في الغزل وجميع تفنناتهم فيه يدور ويرجع لاصل واحد واحسن مثال له القصيدة الآتية

نالت على يدها مالم تنله يدي   نقشًا على معصم اوهت به جلدي
كأنه طرق نمل في اناملها   او روضة رصعتها السحب بالبرد
خافت على يدها من نبل مقلتها   فالبست زندها درعًا من الزرد
مدت مواشطها في كفها شركًا   تصيد قلبي به من داخل الجسد

وقوس حاجبها من كل ناحية ... ونبل مقلتها ترمي به كبدي
ومعقرب الصدغ قد بانت زبانته ... وناعس الطرف يقظان على الرصد
ان كان في جلنار الخد من عجب ... فالصدر يطرح رماناً لمن يرد
وخصرها ناحل مثلي على كفل ... مرجرج قد حكى الاحزان في الخلد
انسية لو رأتها الشمس ماطلعت ... من بعد رؤيتها يوماً على أحد
سألتها الوصل قالت انت تعرفنا ... من رام مناوصالاً مات بالكمد
وكم قتيلاً عاشق في الحب مات جوى ... من الغرام ولم يبدي ولم يعد
فقلت استغفر الرحمن من زلل ... ان المحب قليل الصبر والجلد
وخلفتني طريحاً وهي قائلة ... ما تنظرون فمال الظبي بالاسد
قالت لطيف خيال زارني ومضى ... بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظمأ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد
قالت صدقت الوفا في الحب شيمته ... يا برد ذاك الذي قالت على كبدي
واسترجعت سألت عني فقيل لها ... ما فيه من رمق دقت يداً بيد
وامطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ... ورداً وعضت على العناب بالبرد
وانشدت بلسان الحال قائلة ... من غير كره ولا مطل ولا مدد
والله ما حزنت اخت لفقد اخ ... حزني عليه ولا ام ولا ولد
فاسرعت واتت تجري على عجل ... فعند رؤيتها لم استطع جلدي
واغمرتني بفضل من عواطفها ... فعادت الروح بعد الموت للجسد
هم يحسدوني على موتي فوا اسفي ... حتى على الموت لا اخلو من الحسد

فهذه القصيدة اشتملت على كثير من التشابيه وعلى شيء قليل من المعاني وعلى شيء اقل من الاحساس . فشبه النقش الذي تنقشه الماشطة على يد العروس بطرق النمل وهم ذاهبون لمساكنهم قطاراً بجانب قطار . وبالبرد النازل على روضة البقل وبدرع الزرد . وبشرك الصيد اي شبكته . وشبه الحاجب بالقوس والاهداب بالنبل والكبد بالهدف . وشبه الشعر الاسود على الصدغ بالعقرب وطرفه الملوي

بالزبانة . وزباتا العقرب قرناها . وشبه الخد بالجلنار وهو زهر الرمان وبالورد ايضاً والثدي بالرمان . وشبه نفسه بالاسد وشبهها هي بالشمس والظبي وشبه دموعها باللؤلؤ وعينيها بالنرجس وانامها المصبوغة بالحنا الاحمر بالعناب واسنانها بالبرد . وردفها بالحزن وهو ما غلظ وارتفع من الارض ويسمى الراية والكثيب ايضاً

وأما المعاني التي في هذه القصيدة فهي سؤاله الوصل وجوابها بالرد وصبره وجلده على البعد ووفاه في الحب حتى لم يبق فيه رمق . فشفقت عليه وبكت وحزنت حزن الاخت لفقد اخيها والام على ولدها واتت اليه تجري على عجل وتعطفت عليه وانقذته لحسده العوازل

فادباء العرب يستعذبون هذا الكلام المصنع المرصع كما يستحسنون النقش على اليد والصبغ الاحمر على البنان . والفرق بين اليد البيضاء الطبيعية والانامل المنظفة بالمبرد والمقص وبقية الآت التنظيف وبين اليد المنقوش عليها نقشاً وحشياً والانامل المخضبة بالحناء لا يخفى على اهل النظر والذوق والامم المتوحشة لا يستحلون العرائس الا اذا كثر على اجسادهن النقش والوشم وشرحت خدودهن وكسرت اسنانهن ليحصل فيها الفلج وثقبت انوفهن وشفاههن واذانهن ليعلق فيها الاقراط والحلقات فهم يبدلون خلقة الله بما يرونه حسناً بحسب اذواقهم . وكذلك الادباء يعدلون بالكلام عن السوق الطبيعي الى تلك التشابيه والاستعارات واذا نظرت الى مدحهم رأيته ايضاً يدور حول طول النجاد وكثرة الرماد كقوله

طويل النجاد رفيع العماد كثير الرماد اذا ما شتى

فهذا البيت يليق مدحاً حقيقياً بشيخ قبيلة بدوية او بملك امة متوحشة من امم أواسط افريقيا لا في كل ممدوح . واذا مدح به ملك امة لها حظ من الحضارة ينقلب المدح ذماً . وهكذا يقال في بقية فنون الكلام وضروبه مثل الهجاء والرثاء والاستماحة ، والشفاعة ،والشكر ،والاستعطاف ، والافتخار ،وبث الشكوى ، والمواعظ، والحجج ُلاسيما الوصف وهو اهمها وا كثرها ضروباً فان كل فن من هذه الفنون يدور حول تشابيه معلومة واساليب مدرسية يندر فيها الاحساس الشخصي والانفعال

النفس وانما هي تقاليد يتبع فيها الخلف السلف

فقيكتور هوكو وأهل طريقة لايرون شيئاً من الحسن في هذه التشابيه والاستعارات المدرسية ولا يستعذبون معنى من تلك المعاني التي ليست بطبيعية · بل يجدونها من المعاني السخيفة الغير المعقولة · خرج بها اصحابها عن الذوق السليم وعن دائرة الطبيعة · وشوهوا وجه الكلام بتلك الاستعارات كما شوهوا وجه العروس ويدنها بالنقش والوشم والصبغ ثم جاؤا يقولون (نالت على يدها ما لم تنله يدي) · و رأينا في معرض بارنوم الذي يطوف به صاحبه مدن العالم القديم والجديد شخصاً من المتوحشين وشم جميع بدنه فكان يتجلى امام الناظرين كأنه لابس ثوباً مبرقشاً · والوشم هو ان يغرز الجسد بابرة ثم يذر عليها النؤور وهو النيلج (نبات النيلة) · وفي الحديث لعن الله الواشمة والمستوشمة ·

باب السؤال والاقتراح

الصيفية والاصطياف

﴿ القاهرة ﴾ اسكندر افندي عبد الملاك بالداخلية

لا يكاد يدخل فصل الصيف حتى نرى اهل القاهرة وخصوصاً الاجانب يتأهبون للرحيل من هذا القطر لقضاء ذلك الفصل في اوربا او سوريا ويندر فيهم من يطلب رأس البر او رمل الاسكندرية او غيرهما من مصايف هذا القطر ويعبرون عن ذلك بتبديل الهواء فهل في هواء اوربا او سوريا عناصر صحية لا توجد في هواء مصر والا فلماذا يتكبدون النفقة والمشقة في الذهاب اليهما

﴿ الهلال ﴾ الهواء واحد في عناصره على سطح الارض الا ما قد يطرأ عليه من

رطوبة او جفاف في البقاع القريبة من البحور او البعيدة عنها أو مايكون من اختلاف أهوية بعض الاماكن باختلاف احوال تربتها بين ان تكون رملية او اجية او يكون موقعها مرتفعاً او منخفضاً أو باختلاف قربها من خط الاستواء او بعدها عنه مما يؤثر في درجة حرارة الهواء او درجة رطوبته ولكنه لا يؤثر شيئاً في العناصر الاصلية التي يتألف هو منها

اما مايكتسبه الناس من الصحة في الاصطياف فسببه ليس تبديل الهواء بمعناه الحرفي وانما هو تبديل البيئة على اجمالها من الهواء والمسكن والمأكل وما يلحق ذلك من طرق المعيشة واساليبها. فالانتقال من اقليم الى اقليم ولو من اواسط السودان الى اعالي لبنان ان لم يصحبه تغيير المعيشة على اجمالها فلا يأتي بفائدة. ولو صيف الانسان في بلده وغير طرق معيشته لاغناه ذلك عن مشقة الانتقال. واذا امعنا النظر في القواعد اللازمة للاصطياف لرأيناها تنحصر في اسباب يسهل على الانسان الحصول على اكثرها وهو في بلده وهي:

(١) الراحة من العمل: وهي من أهم شروط الاصطياف لان الغالب في احتياج الانسان الى الصيفية ان يكون سببه التعب فلا بد للمصطاف قبل كل شيء من الكف عن العمل الذي كان سبب تعبه. فاذا كان كاتباً فليكسر القلم ويمزق الورق قبل الخروج من بلده واذا كان تاجراً لا يسأل عن البورصة ولا يبحث في الاسعار ولا يخابر عملاءه في ما يدعو الى اعمال الفكرة. واذا كان من موظفي الحكومة فهو لا يحتاج الى توصية في تناسي وظيفته وما يتعلق بها — فالكف عن العمل يريح الاعصاب فتنتظم التغذية وتنشط الاعضاء

(٢) الاشتغال بالرياضة البدنية. لا يكفي المصطاف ان يكف عن اعماله الاعتيادية بل يطلب منه ان يشغل اوقاته بما يسليه ويروض فكره من الاعمال البدنية كركوب الخيل أو الصيد أو الذهاب في الجبال الوعرة مشياً على الاقدام أو تسلق الاشجار ونحو ذلك من اسباب الحركة العضلية فانها تحرك الدورة وتنقي الدم وتقوي الهضم وتساعد على راحة الاعصاب. والمصطافون يساقون الى الرياضة البدنية

رغم ارادتهم لانهم اذا فرغوا من الطعام والشراب لا يجـدون ما يشغلون به ساعات النهار فيخرجون من المنازل الى الخلاء يمشون وحديثهم في الغالب مما تنقضي به الاوقات من السمر المضحكة فربما قضوا بضع ساعات في المشي وهم لا يشعرون

(٣) تناول الاطعمة المغذية : قلنا ان الاعمال الرياضية تزيد اسباب التغذية ولكن الاصطياف نفسه يدعو الى زيادة التغذية لاشتغال المصطافين بطعامهم وشرابهم عن كل شيء فهم يصبحون ولا هم لهم الا بماذا يفطرون وبماذا يتغدون فينتقون من الاطعمة ما تلتذ له نفوسهم ويملونه ويتأنقون في صنعه . ونظرًا لخلو بالهم من مشاغل المدن يقضون معظم اوقاتهم في اعداد الطعام او في تناوله ويغلب ان تكون اطعمة الجبال والقرى في المصايف نباتية مما تتطلبه طبيعة الانسان وهي مزية كبرى تساعد على تغذية الابدان لان الاكثار من تناول اللحوم من اكبر آفات المدن كما بينا ذلك في غير هذا المكان

(٤) اكل الفاكهة : افردنا الفاكهة عن سائر الاطعمة لما لها من الاهمية في الصيفية . فالمصطاف اذا لم يكثر من اكل الفاكهة كالعنب والمشمش والتين ونحوها فانه لم يفعل شيئاً لان الفاكهة فضلاً عن سهولة هضمها وسرعة تمثلها فان فيها كثيرًا من الاملاح اللازمة لاعمال الحياة

(٥) الرقاد باكرًا : الرقاد لازم للصحة اكثر من لزوم الطعام اذ قد يصبر الانسان على الجوع اكثر من صبره على السهر او الارق . واذا كنا لا نشعر بتلك الحاجة فلاننا لا نتكبد النفقة في الحصول على النوم كما نتكبدها في سائر حاجات البدن . وقد جرت العادة في المدن الكبرى ان يطيلوا السهر وهو مجلبة للاسقام . اما في القرى والجبال فلا مراسح ولا ملاعب تدعو الى السهر الطويل — الا في اماكن المقامرة والمقامر غريق في اسباب الشقاء فلا يهمه ما يتوقعه من عواقب السهر — وهو الغريق فلا يخشى من البلل

(٦) نقاوة الهواء وبرودته : لا مشاحة في أن هواء الجبال والقرى أنقى من هواء المدن لقلة الزحام لان بدن الانسان من اكبر مصادر القذارة فحيثما تزاحم الاقدام

يفسد الهواء وتكثر الامراض والهواء النقي أصلح للصحة . وبرودة الاقليم تنشط الاعضاء فتطلب الحركة وهي الرياضة البدنية وتنشط عمل المضم فتكثر التغذية . ولذلك جرت العادة أن يصطاف الناس في اقليم ابرد من اقليمهم وفي أفق أعلى من أفقهم — ولعل هذا هو السبب في توهمهم أن السر في الاصطياف انما هو الانتقال الى الجبال الباردة وقد اغفلوا ما سوى ذلك من الاسباب التي هي في اعتبارنا اهم من ذلك الانتقال . وليس الانتقال من الشروط الرئيسية للاصطياف وانما الشرط الرئيسي الراحة من العمل وتغيير طرق المعيشة التي تعودها الانسان لانه انما طلب الانتقال مللاً منها . فاذا كانت عادته في بلده ان يشغل عقله ويريح بدنه وجب عليه في الصيفية ان يشغل بدنه ويريح عقله والعكس بالعكس — وقس على ذلك سائر ضروب التغيير

فترى مما تقدم ان الاصطياف بالمعنى المقصود به ميسورٌ للانسان بدون انتقال او بانتقال قليل على شرط ان يراعي ما تقدم من اسباب الراحة وتغيير اساليب المعيشة — وان كنا لا ننكر فائدة الاقامة في الجبال العالية والاقاليم الباردة فانها متممة لاسباب الصيفية . فاذا لم يكن السفر اليها ممكناً فالذهاب الى الارياف ونحوها من الاماكن المطلقة الهواء يعدُّ اصطيافاً اذا روعيت فيه الشروط المذكورة

منية

﴿ المنصورة ﴾ ابراهيم افندي الظاهري

في القطر المصري كثير من البلاد تسمى بلفظ « منية » او « ميت » بالاضافة الى لفظ آخر كقولهم منية النصارى ومنية سمنود وميت غمر وميت عاصم وميت غراب ولا اجد لهذه اللفظ بمعناها العربي محلاً في تلك التسمية فما هو المراد منها

﴿ الهلال ﴾ ان اللفظين منية وميت تحريف لفظ واحد قبطي الاصل هو في القبطية موني (mon) ومعناه المنزل والوطن والبلد والدير فالاصل في التسمية المذكورة اضافة هذا اللفظ الى صاحب ذلك البلد او حال من احواله كما فعل العرب

بتركيب اسماء بعض المدن من « محلة » والفظ آخر كقولهم محلة روح ومحلة ابو علي و المحلة الكبرى ومن هذا القبيل تركيبها من كفر ولفظ آخر كقولهم كفر الزيات وكفر الدوار ونحوهما .

بيت شعر

(الدر . السودان) محمود افندي محمد الزهار بلوك امين مركز الدر

ما ذا يعني الشاعر بهذا البيت :

ولو ان ما بي من جوى وصبابة على جمل لم يدخل النار كافر

(الهلال) يعني الاشارة الى الآية « ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط .. » فهو يريد ان الجوى والصبابة اللذين المّا به لو كانا على جمل لاستطاع من شدة الضعف ان يدخل في ثقب الابرة

أما ما قيل لكم عن البئر التي تخاطب الارواح منها في بيت المقدس فلا صحة له

مؤلفات دوماس المترجمة الى العربية

(القاهرة) عبد الرحمن افندي الطوبر برحبة عابدين

ما الذي ترجم الى العربية من مؤلفات اسكندر دوماس الكاتب القصصي الشهير

(الهلال) اشتغل السوريون في نهضتهم الاخيرة في ترجمة روايات اسكندر دوماس اكثر من اشتغالهم في ترجمة كتب سائر من القصاصين حتى تجاوز عدد ما ترجم منها بضعة عشر كتاباً غير ما لم يذكر اسم المؤلف فيه اما الكتب التي ترجمت ونشرت فاليك اسماؤها واسماء الذين ترجموها

اسم الرواية	اسم المترجم
العاشقة المتنكرة	نجيب الحداد
فرسان الليل	« «

الفرسان الثلاثة	وعودٌ على بدء	نجيب الحداد
فضيحة العشاق		« »
الكونت دي مونتوميري . ومتليدة جزآن		سامي قصيري
شقاء الغرام		طانيوس عبده
الملكة مرغريت جزءان		توفيق دوبريه
الكونت دي مونتوكريستو		نخلة قلفاط
حداثة هنري دي نافار خمسة اجزاء		نجيب طراد
ما دام دسي كامليا . فاتنة باريس		حافظ عوض
الهناء بعد العناء		نجيب مرقص

هذا ما امكن الوقوف عليه من مؤلفات دوماس المترجمة الى العربية واذا وقفنا على غيرها ذكرناه

تنفس الديدان

(طنطا) محمد افندي عثمان السعدي كاتب في النيابة

المشهوران الحيوان لا يعيش بلا تنفس فكيف تتنفس الحيوانات التي تعيش في قاع البحر او في الطين كالاسماك والديدان الصغيرة وكيف تتنفس الدودة التي تشاهد في حجر مقفل

(الهلال) تختلف آلات التنفس في الحيوانات باختلاف مراتبها فالانسان وسائر ذوات الاربع تتنفس برئات مستقرة في صدورها والاسماك البحرية تتنفس بخياشيمها . واما الديدان ونحوها فتتنفس من جلودها والجلد ابسط آلات التنفس في الحيوان فيمتص الاكسجين من الهواء بواسطة مسام الجلد فيتناول هذا الغاز ويخرج الحامض الكربونيك وبخار الماء كما تفعل اكبر الحيوانات واقواها . وقد فصلنا ذلك في مقالة تنفس الحيوان في السنة التاسعة من الهلال فاذا كان الحيوان عائشاً في الهواء يتناول الاكسجين من الهواء رأساً واذا كان غائصاً في الماء كالاسماك ونحوها

فانه يستخرجه بخياشيمه من الهواء الذائب في الماء واما الديدان التي يعثرون عليها داخل الحجارة فلا بد من منفذ ينفذ اليها الهواء منه ولو كان السدُّ عليها محكماً لماتت

وزن الارض

(ميت غمر) مسيحه افندي مخائيل صاحب المطبعة الاهلية

لو وزنت الارض في ايام جدنا آدم ووزنت الآن هل يوجد فرق في ثقلها

(الهلال) كلاً . لان كل ما نشاهده في الاجسام الحية من الولادة والنمو والموت وفي المواد الجامدة من الاحتراق والتصعد والتبخر والدثور انما هو تغير يحدث في ظواهر المادة ولا يدرك مادتها . فالمادة لا تتلاشى وانما هي تنتقل بالاعمال الحيوية والتفاعلات الطبيعية والكيماوية من حال الى حال

وليمة البستاني

او احتفال الامة بالالياذة العربية

قلنا في اثناء كلامنا عن الالياذة العربية اننا نرجو ان يكون ظهورها بدء نهضة جديدة في الشعر العربي والآداب العربية ولم يخطر لنا ان تكون بدء نهضة جديدة في نفوس وجهاء الامة وافاضلها لاكرام اهل العلم اكراماً رسمياً في مجتمع يشترك فيه نخبة العلماء والشعراء والوجهاء . وهي اول مرة اجتمع الشرقيون للاحتفال بكتاب . ولا غرو فقد احتفلوا بسفر من خيرة ما انتجته القرائح وبرجل من نخبة ما اخرجه الشرق من الرجال

لم تكد تظهر الالياذة العربية حتى اشتغلت الجرائد والمجلات العربية والافرنجية في مصر والشام والاستانة واليونان في وصفها وتقريظها والثناء على ناظمها وشارحها بما لم يسبق له مثيل من قبل . وتهافت خاصة الادباء على مطالعتها والاعجاب بما حوته من الادب والشعر والاخلاق والفلسفة والتاريخ وحاروا كيف يشكرون البستاني على تلك الخدمة وبماذا يعبرون عن شعورهم بفضله . فكتب اليه بعضهم رسائل خصوصية اعربوا بها عن ذلك الشعور بعبارات تفننوا في تنميقها وتحبيرها . وتقاطر آخرون الى منزله يؤدون شكرهم شفاهاً . وبعث اليه غيرهم بالرسائل البرقية في هذا المعنى

على انهم لم يروا في هذا ولا ذاك ما يفي بالتعبير عن شعائرهم او يؤدي ما يخالج افئدتهم من شعائر الاكرام. فعمدوا الى مأدبة فاخرة ادبوها باسم الالياذة العربية في فندق شبرد مساء ١٤ يونيو الماضي اجتمع فيها نحو مئة من خيرة ارباب الاقلام وقادة الافكار واصحاب المناصب من السوريين والمصريين. فتناولوا العشاء معاً في حديقة ذلك الفندق وقد زينت بالانوار الكهربائية والمصابيح الملونة على موائد مزدانة بالازهار والاثمار



سليمان البستاني

صاحب الالياذة العربية

وبعد الفراغ من الطعام خطب زميلنا الدكتور صروف صاحب المقتطف بالنيابة عن لجنة الاحتفال خطاباً انيقاً في موضوع تلك الحفلة وما الذي دعا اليها. ووصف الالياذة العربية وبيّن مزاياها وعدد مآثر صديقنا البستاني في عالم الاقلام وخصوصاً في الالياذة. ثم تليت عدة رسائل وردت ممن تخلف عن الحضور من المدعوين افتتحها اصحابها بالاعتذار عن سبب تخلفهم وختموها بالثناء على البستاني والياذته. منها رسالة من

الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وأخرى من الدكتور شميل وأخرى من الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد

ثم انبرى جماعة من المدعوين والقوا الخطب في نحو هذا المعنى بلهجة تدل على منزلة البستاني عند أهل الفضل . وممن شنف الاسماع من الخطباء الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي وابراهيم بك رمزي صاحب التمدن والقيت خطبتان بالفرنساوية احداها من يوسف باشا تكور واخرى من رئيس المدرسة العبيدية وخطبة باليونانية من احد اساتذة هذه المدرسة . ثم وقف البستاني فتحولت اليه الاذهان وشخصت فيه الابصار فالقى خطاباً شائقاً تنصل فيه من استحقاقه مثل ذلك الاكرام — وان لم يقم الدليل الكافي على ذلك — ثم جعل مدار كلامه على اشتراك مصر والشام في المصلحة الادبية والعلمية . وأجاد في بيان الرابطة الوثيقة بين القطرين وحاجتهما الى التعاون والتكاتف في خدمة العلم وانهما ما زالا من قديم الزمان ولا يزالان شقيقين لا يستغني احدهما عن الآخر . وكان لذلك الخطاب وقع عظيم في النفوس وتأثير شديد على العواطف لما كان يتجلى في وجه الخطيب من دلائل الاخلاص وما في نغمة صوته من صدق اللهجة . فكنت كيفما اجلت نظرك لا ترى الا وجوهاً باسمة وعيوناً شاخصة وقد ساد السكوت على تلك الجلسة وغشيتها الهيبة حتى رأينا بعضهم يبكي سروراً — والبكاء ابلغ ما يعبر عن السرور . فلما فرغ الخطيب من كلامه نهض الناس لتهنئته او التعرف به . وبالجملة فقد كانت تلك الوليمة حفلة ادبية يجب ان يخلد ذكرها في بطون التاريخ لانها اول وليمة اقيمت احتفالاً بكتاب . فنهنئ صديقنا البستاني بهذا الاكرام . ونشكر لاولياته لانها حركت نفوس الامة لاكرام العلم والعلماء

(يوبيل لسان الحال) احتفل أفاضل البيروتيين بمرور ربع قرن على جريدة لسان الحال لزميلنا خليل افندي سركيس احتفالاً اشترك فيه سائر أصدقاء اللسان في سوريا ومصر . فقدمت لجنة الاحتفال الى سركيس افندي رسمه جلساً وبجانبه مجموعة اللسان لخمس وعشرين سنة وامامه الروزنامة السورية . وقد جرى الاحتفال في دار حضرته فخطب الخطباء وتليت الرسائل والقصائد في تعداد مآثر صاحب اليوبيل ولا غرو فان لصاحب اللسان منزلة رفيعة عند كل الذين عرفوه او قرأوا لسانه نظراً لما فطر عليه من صدق اللهجة والنشاط والاخلاص فنهنئ زميلنا بذلك

(جمعية العروة الوثقى) ومما يجمل تدوينه ليخلد في بطون التاريخ احتفال جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية في وضع الحجر الاساسي لمدرسة محمد علي الصناعية فقد كان احتفالاً عظيماً شهده الجناب العالي ونخبة الامراء والوزراء مما فصلته الجرائد في حينه وانما نشير الى ما اختصت به هذه الجمعية من الرقي السريع حتى فاقت اخواتها. أُسست في الاسكندرية منذ بضع عشرة سنة ولا نظن حضرات المؤسسين توقعوا يومئذ ان تبلغ ما بلغت اليه من السعة والغنى وتمشيه ما انشأته من المدارس ولكنها توفقت بمن وازرها من أهل الثروة والكرم وسنأتي على تاريخ هذه الجمعية في فرصة اخرى

باب الأخبار العلمية

(المعالجة بالهواء المطلق) ذهب بعض مشاهير الاطباء الى معالجة كل الامراض بالهواء المطلق كما يعالجون السل الآن وخصوصاً اصحاب الامراض الضعفية الناجمة عن المعيشة في المساكن المقفلة او في المدن المزدحمة بالناس فيصابون من جراء ذلك بفقر الدم وضعف المعدة واكثرهم من الفتيات في أبان صباهن فهؤلاء اذا عاشوا مدة في الخلاء وتنسموا الهواء المطلق ذهب عنهم كل ضعف . ومما يؤيد صحة هذا الرأي ما نشاهده بين ظهرانينا من معيشة أولاد الازقة الذين لا مأوى لهم مع قلة تغذيتهم وفساد معيشتهم وتعرضهم للحر والبرد فانك تراهم أصحاء أقوياء

(احتلاب البقر بالكهربائية) لا يخفى ما للبن من الاهمية الغذائية وما يحتاج اليه من العناية في احتلابه ومعالجته حتى ينجو من الميكروبات المرضية اذ كثيراً ما يتصل اليه الميكروب من أيدي الحلابين لعدم العناية بتنظيفها . فاستنبط احد الفرنساويين طريقة لاحتلاب البقر بمصاصات كالاقماع توضع على حلمات البقر بحيث تكسوها وتتصل من اطرافها بأنابيب تفضي الى جرة عليها آلة كهربائية تجتذب اللبن بتفريغ الهواء على نحو ما يجري في الطلمبات فينصب في الجرة نظيفاً لم تمسه يد

(التعابين الاهلية) عني بعض الانكليز بتربية الثعابين الصغيرة كما يربون القطط والكلاب

في المنازل حتى أصبح يلاعب الثعبان بين اصابعه وهو سائر في الطريق كما يلاعب السبحة فاذا ملَّ من ذلك وضع الثعبان في جيبه فيلبث هناك هادئاً مطمئناً حتى يستخرجه صاحبه ويلاعبه او يلفه حول عنقه او حول ذراعه وربما جعله يُرضه في فيه وهو لا يخاف بأساً

(العقم والتمدن الحديث) من اكبر نتائج هذا التمدن قلة المواليد اما بسبب العقم او بالامساك عن الزواج او بالاكتفاء بالنسل القليل وقد اخذ العلماء في البحث عن اسباب العقم والسعي في ملافاته

(حوت هائل) قذف البحر على جزيرة سين حوتاً ميتاً طوله ١٥ متراً ومحيطه خمسة أمتار

(الرسالة ضائعة) ارسلت اكاذيمية العلم في بطرسبورج وفداً لارتياد القطب الشمالي برئاسة البارون تول في العام الماضي وآخر ما بلغها عنهم انهم برحوا جزيرة بنيت في شمالي سيبيريا الجديدة في ٢٦ اكتوبر سنة ١٩٠٣ وساروا نحو الجنوب ومعهم الفلكي سيبرغ ولم يسمعوا عنهم شيئاً من ذلك الحين فقلقت عليهم الخواطر واعلنت الاكاذيمية انها تكافىء من يكتشف خبرهم بخمسة آلاف روبل

﴿ اشعة رنتجن في تصلب الشرايين ﴾ دخل مستشفى روين بفرنسا مريض شخص الاطباء مرضه تصلب الشرايين فصوَّر الدكتور كسكا بعض الشرايين باشعة رنتجن فوجد لها ظلاً كثيفاً مثل ظل العظام . ولما توفي المريض شرحوا جثته فوجدوا الشرايين متحجرة تحجراً شديداً فحللها الدكتور المذكور كيماوياً فوجد نحو نصفها من مواد ترابية اكثرها من فصفات الكلس على نحو ما في مادة العظام

﴿ الوفيات بداء السرطان ﴾ وضع الدكتور فوكول من اكاذيمية الطب في باريس احصاء استقرائياً عن الوفيات بالسرطان باعتبار الاقاليم فوجدها على معظمها في الاماكن الرطبة المخنقة حيث يفسد الهواء ويقل التعرض لأشعة الشمس

﴿ التلغراف من الجزائر الى السنغال ﴾ اخذت فرنسا في مد خط تلغرافي من الجزائر نحو الجنوب حتى يمرّ بتومبوكتو الى سانت لويس في السنغال

﴿ نفقٌ تحت المانش ﴾ تخابر فرنسا وانكلترا من جديد في احتفار نفق تحت خليج المانش موصل بين القارة والجزيرة

(مناجم الذهب) بلغ مقدار الذهب المستخرج من مناجمه في سائر اقطار العالم لسنة ١٨٩٨ ماقيمته ١،٤٨٥ مليون فرنك وما زال يتزايد كل سنة عما قبلها حتى بلغ

في السنة الماضية ١,٧٠١ مليون فرنك واكثره من اوستراليا والولايات المتحدة والترانسفال وغيرها وهاك جدولاً في ما استخرج منه من سنة ١٨٩٨ الى سنة ١٩٠٣ باعتبار البلاد والمقادير المذكورة ملايين الفرنكات

اسم البلد	١٨٩٨	١٨٩٩	١٩٠٠	١٩٠١	١٩٠٢	١٩٠٣
اوستراليا	٣٢٢	٤٠٨	٣٨٠	٤٠١	٤٢٩	٤٥٨
الولايات المتحدة	٣٤٠	٣٦٣	٤٠٥	٤٠٩	٤١٦	٣٨٧
الترانسفال	٤٠٤	٣٧٧	٣٧	٣٦	١٨٣	٣٢٠
روسيا	١٢٨	١٢٣	١١٩	١٣٥	١٢٧	١٢٥
كندا	٧١	١٠٩	١٤٥	١٢٧	١٠٨	١٠١
المكسيك	٤٢	٤٨	٤٩	٥٤	٥٩	٦٥
الهند الانكليزية	٤٠	٤٣	٤٨	٤٩	٥٠	٥٨
الصين	٣٤	٢٩	٢٢	١٦	٢٩	٣١
كويانا	٣٢	٢٤	٢٢	٢٣	٢٤	٢١
روديسيا	٢	٦	٩	١٦	١٩	٢٢
كوريا	٦	٧	٩	١٢	١٨	٢١
البرازيل	٨	١١	١٤	١٤	١٦	١٥
كولومبيا	١٩	١٢	١٢	١١	١١	١٠
هنكاريا	٩	١٠	١٠	١١	١١	١١
البلاد الاخرى	٣٨	٤٠	٤٢	٥٣	٥٥	٥٦
المجموع	١,٤٨٥	١,٦١٠	١,٣٢٣	١,٣٥٧	١,٥٥٥	١,٧٠١

﴿ معرض سنت لويس باميركا ﴾ افتتح هذا المعرض في اول مايو الماضي باحتفال على جاري العادة ولم تتم كل معداته بعد والمظنون انها لا تتم قبل اول يوليو الجاري

﴿ تمثال شلمنصّر ﴾ اكتشفوا بجوار بغداد على تمثال شلمنصّر الثالث ملك اشور الذي تولى الملك في اواسط القرن التاسع قبل الميلاد وقد جاء ذكره في التوراة غير مرة وعلى التمثال نقوش كتابية يمكن مقابلتها بما ذكر هناك

﴿ الاشعة الحيوية او اشعة ن ﴾ هي الاشعة التي تنبعث من الاجسام الحية وقد

قد بلناها في الهلال العاشر من هذه السنة . واطلعنا اليوم على ما اجراه بكريل وبروكا من التجارب في خصائص هذه الاشعة على الناس في حال التخدير تحت البنج — وذلك ان الاشعة المذكورة تتكاثر عند الشروع في التخدير ثم تقل حتى تنقطع عند الخدر التام ويخرج بدلاً منها اشعةٌ ثانوية عبروا عنها برقم واحد فوق النون (نْ) يقول بكريل انها اطول تموجاً من تلك . واهمية هذا الاكتشاف الطبية ان الاشعة (ن) اذا انقطعت وابدلت بالاشعة الثانوية فصاحبها في غيبوبة واذا انقطعت هذه تماماً دلَّت دلالة قاطعة على الموت . واذا تكاثر اشعاعها من المخ كان صاحبها في خطر على حياته

﴿ مرض الاطفال في نيويورك ﴾ تفشى في اطفال نيويورك في هذه الاثناء داء يسمونه الحمى الرقطاء وهو شديد الوطأة سريع الخطر بلغ عدد الوفيات فيه مئة كل يوم ويندر فيه الشفاء على ان الذي يخرج منه حياً لا يخرج سالماً

(أشعة رنتجن والسرطان) لا تزال التجارب جارية في معالجة داء السرطان بأشعة رنتجن فتحققوا تأثيرها في تخفيف الالم وتقليل الورم وقد جربوها على ثلاثة مرضى مصابين بالسرطان في امكنة لا يمكن اجراء العملية فيها فأتت الاشعة بفوائد عظيمة جداً

مطبوعات جديدة

﴿ علم قراءة اليد ﴾ هو فرع من الفراسة اشرنا اليه في كتابنا « علم الفراسة الحديث » مختصراً . وبين يدينا الآن كتاب مطوَّل فيه تأليف حضرة نجيب افندي كاتبة رئيس القلم الافرنجي بالسكة الحديدية السودانية نقله وجمعه من كتب افرنجية وعني بضبط لغته حضرة الصاغقولاغاسي محمد افندي فاضل اركان حرب السكة الحديدية السودانية . وموضوعه الاستدلال على اخلاق الناس واطوارهم من النظر الى اسرَّة اكفهم . فيختلف الحكم في ذلك باختلاف طول تلك الخطوط واتجاهها وتقاربها وتباعدها اوغير ذلك . ولهذا الفن اشياعٌ كثيرون في اوربا وغيرها ويعتقد صدقه جماعة من ادبائهم ويزعمون انه مبني على الاستقراء الطويل ويسندون بعض قواعده الى النواميس الطبيعية . واما رأينا فيه فمثل رأينا في علم الفراسة على الاجمال وقد ذكرناه في غير هذا المكان . والكتاب الذي نحن في صدده سهل العبارة حسن التنسيق صفحاته ٢٠٠ صفحة كبيرة وفيه ٢٩ رسماً من رسوم الكف

على اشكالها المختلفة تسهيلاً لدرس خطوطها . وهو يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرون قرشاً واجرة البريد قرشان

﴿ الشعر العصري ﴾ هو نبذة ثالثة من شعر سعادتلو سليم بك عنحوري الشاعر الدمشقي الشهير سماها الجوهر الفرد وضمنها نحو مئتي قصيدة او مقطع في التربية والعوائد والاخلاق والحقوق والواجبات منظومة على النسق العصري من اساليب الوصف الطبيعي مما نتمنى ان يجري عليه شعراؤنا بدلاً من الاسلوب القديم الذي يستهلون به المدح بالتشبيب والفخر بالخمر لان احسن القول مادلّ اوله على آخره . ولولا ضيق المقام لاتينا بأمثلة من نظم العنحوري في ذلك . والكتاب يطلب من المكتبة الجامعة في بيروت وثمن النسخة ستة قروش واجرة البريد نصف قرش

﴿ ميامر تاودورس ابي قرة ﴾ هو اقدم كتاب عربي نصراني تأليف تاودورس ابي قرة اسقف حران المتوفى في عصر المأمون العباسي وموضوعه ديني جدلي . عني حضرة الخوري قسطنطين الباشا احد رهبان دير المخلص في نشره من نسخة خطية كانت في مكتبة الدير المذكور وصدره بمقدمة في تعريف المؤلف واخرى في تعريف الكتاب وختمه بمؤلفات ابي قرة اليونانية والكتاب يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة قروش والبريد قرش

﴿ رواية عود على بدء ﴾ هي تابعة لروايتي الفرسان الثلاثة ورجع ما انقطع تأليف دوماس الشهير وتعريب الشيخ نجيب الحداد . وهي اربعة اجزاء اصدرت مطبعة المعارف لصاحبها نجيب افندي متري الجزء الاول منها في ٣٤٠ صفحة كبيرة وثمن الجزء ستة قروش ومن اراد الاشتراك بالاجزاء الاربعة معاً فقيمة الاشتراك ١٦ قرشاً . والكتاب يطلب من المطبعة المذكورة بالفجالة بمصر ومن مكتبة الهلال

﴿ شرح قانون العقوبات الجديد ﴾ واهدتنا مطبعة المعارف ايضاً شرح قانون العقوبات الجديد تاليف حضرة فوزي بك جورجي المطيعي النائب لنيابة مديرية جرجا مطبوعاً طبعاً متقناً على ورق جميل وفيه فصول ضافية في انواع الجرائم والعقوبات الاصلية والتبعية واشتراك عدة اشخاص في جريمة واحدة وفي الشروع والعود واسباب الاباحة وموانع العقاب والمجرمين الاحداث وحق العفو وغير ذلك وهو يباع في المطبعة المذكورة وفي مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة عشر قرشاً واجرة البريد قرش ونصف

﴿ رواية الجنتين ﴾ هي رواية ادبية تاريخية تاليف فريدريك سوليه نقلها الى العربية حضرة حنا افندي صاوه وقد طبعت بنفقة منصور افندي عبد المتعال الكتبي بشارع

محمد علي وهي تطلب منه ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة قروش والبريد نصف قرش

﴿ رواية الجريمتين ﴾ وهي رواية تاريخية ادبية تأليف جاك بريتون الفرنساوي وقد عربها حنا افندي صاوه ونشرها منصور افندي عبد المتعال ايضاً وتطلب من حضرته كالتي تقدمتها . وثمن النسخة ثمانية قروش واجرة البريد قرش

﴿ الفضيلة ﴾ هي رواية ادبية اخلاقية تاليف محمود افندي طاهر حقي بنظارة الاوقاف واسمها يدلّ على مغزاها . تطلب من المكاتب الشهيرة وثمن النسخة خمسة قروش واجرة البريد نصف قرش

﴿ الهناء بعد العناء ﴾ هي رواية تاريخية غرامية من مؤلفات دوماس الشهير نقلها الى العربية نجيب افندي مرقس اللاذقاني وطبعت بنفقة المكتبة الشرقية بمصر وتطلب منها ومن سائر المكاتب وثمن النسخة عشرة قروش واجرة البريد قرش

(رواية الخرافة الحسناء) هي رواية تهذيبية تأليف حضرة اسماعيل افندي شكري وقد سماها « هدية الحكماء الى الاغنياء » اشارة الى المراد منها . وهي تطلب من المكاتب الشهيرة وثمن النسخة خمسة قروش واجرة البريد نصف قرش

(جرائد جديدة) (١) الدليل . وهو جريدة سياسية تصدر في نيويورك مرة في الاسبوع لحضرة صاحبها اسعد افندي الملكي بدل اشتراكها اربعة ريالات بالولايات المتحدة وخمسة في الخارج (٢) الاكسبرس . جريدة سياسية ادبية تصدر في الاسكندرية مرة في الاسبوع لصاحبها عبدالله افندي رشدي ومحمود افندي ابراهيم اشتراكها السنوي مئة قرش (٣) المعرض . هي جريدة مصورة اسبوعية تصدر في سنت لويس بامبركا في اثناء المعرض لصاحبها ومحررها سليم افندي شاهين بدل اشتراكها عن كل مدة المعرض من أول مايو الى آخر اكتوبر خمسة فرنكات في الولايات المتحدة وثمانية في الخارج (٤) النافع . جريدة سياسية تصدر بطنطا مرة في الاسبوع لصاحبها ومديرها مصطفى افندي نافع بدل اشتراكها مئة قرش في مصر ولبرتان عثمانيتان في الخارج (٥) المنعم جريدة سياسية وطنية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لمحررها لطفي بك عيروط المحامي ومديرها سليم افندي عيروط بدل اشتراكها ستون قرشاً

(مجلات جديدة) (١) الحكمة . هي مجلة علمية طبية تهذيبية تاريخية تصدر مرة في الشهر لمنشئها الدكتور عبد العزيز نظمي من كلية مونبيليه بفرنسا بدل اشتراكها ثلاثون قرشاً بمصر وعشرون قرشاً للاطباء والصيادلة وعشرة فرنكات في الخارج

(٢) لسان الامم · مجلة علمية ادبية مدرسية باللغتين العربية والانكليزية تصدر بمصر مرة في الشهر لمديريها ومحرريها حسين افندي روحي وم · ع · ابو الحلاوي الدراجي قيمة الاشتراك ٣٠ قرشاً بمصر وعشرة فرنكات في الخارج (٣) النور · مجلة ادبية اخبارية زراعية اقتصادية (لبنانية) تصدر في الاسكندرية مرتين في الشهر لمنشئها داوود افندي سليمان مجاعص من الشوير لبنان بدل اشتراكها ١٥ فرنكاً في الممالك العثمانية و٢٠ فرنكاً في الخارج فنتمنى لهذه الجرائد والمجلات كل نجاح

الهلال العشرون

وملحق هذه السنة

جرت لنا العادة منذ جعلنا سنة الهلال عشرة أشهر وعوضنا عن الشهرين الباقيين بملحق نرسله للمشتركين في آخر السنة ان نرسل العدد الاخير من الهلال في ١٥ يوليو ثم نردفهُ بذلك الملحق في أول اغسطس · ولكن مصلحة البريد اعترضت على اعتبار ذلك الكتاب ملحقاً ان لم يكن مضموماً الى الجزء الاخير المشار اليه ويرسلا معاً في مجلد واحد · وعليه فسنرسل الجزء العشرين من هذه السنة وملحقها في مجلد واحد في أول اوغسطس القادم · وفي الجزء العشرين المذكور تتمة رواية شارل وعبد الرحمن وفهرس السنة الثانية عشرة

واما الملحق فهو الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي وموضوعه البحث في نشوء العلوم والآداب في عهد ذلك التمدن وما كان منها قبل الاسلام وما أثره الاسلام في القرائح والعقول وما ترتب على ذلك من ظهور العلوم الاسلامية · ثم البحث في حال العلم عند الروم والفرس في أوائل الاسلام وكيف نقل العرب علوم الاقدمين الى العربية والاسباب التي دعت الى كل ذلك ووصف حال العلم بعد نضجه في التمدن الاسلامي وبيان ما أنشأه المسلمون من المدارس والمكاتب والمراصد والمارستانات وما أحدثوه من العلوم او ادخلوه من الاصلاح والتعديل في علوم الاقدمين وغير ذلك بحيث لا نغادر حادثة لا نسندها الى سبب معقول · وسنرسل هذا الكتاب والجزء الاخير من هذه السنة معاً في أول اغسطس القادم الى المشتركين الذين سددوا ما عليهم على جاري العادة في كل عام — ولا يرسلان لسواهم



مجلس الآلهة عند اليونان

في صدره زفس على عرشه وبيده صولجان الملك

والى جانبه هيرا زوجته

(الالياذة العربية)

الهلال

الجزء العشرون من السنة الثانية عشرة

أول اوغسطس (آب) سنة ١٩٠٤ و ٢٠ جماد اول سنة ١٣٢٢

ختام السنة الثانية عشرة

اعلنّا في الهلال الماضي ما اقترحه علينا حضرات القراء من امر الهلال وتكبير حجمه واتساعه للمقالات الضافية وبيناً رغبتنا في زيادة صفحاته مع استبقائه على صدوره مرتين في الشهر على ان نزيد قيمة الاشتراك . ثم رأينا ان نعرض هذا الرأي على حضرات المشتركين ونخيرهم بين ذلك وبين ان نضمّ هلالي كل شهر معاً نصدرهما في اول الشهر مع بقاء بدل الاشتراك على حاله . وقد وردت علينا اجوبة عديدة وفيها من يستحسنون الراي الاول ويحرضوننا عليه وفيها من يفضل الراي الثاني . وستعمل باغلبية الآراء في اوّل اكتوبر القادم اذ يكون قد تكامل عندنا عدد الاجوبة فيتيسّر لنا الحكم القطعي .

اما الآن فاننا نختتم السنة الثانية عشرة من الهلال ونودّع القلم الى اجل قريب وموعدنا اول اكتوبر القادم فنصدر الهلال في شكله الجديد على ما تجمع عليه آراء حضرات المشتركين . وفي كل حال فان سنة الهلال ستبقى عشرة اشهر على ان نعوّض عن الشهرين الباقيين بالملحق كما نفعل الآن

واما ملحق هذه السنة فهو الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي وموضوعه البحث في العلوم والآداب في عهد ذلك التمدن . والجزء المذكور يرسل لحضرات المشتركين مع هذا الهلال . وسنجعل ملحق السنة القادمة الجزء الرابع من هذا الكتاب وموضوعه طبقات الناس والآداب الاجتماعية في المملكة الاسلامية في اثناء ذلك التمدن . وسيصدر في مثل هذا الوقت من السنة القادمة ان شاء الله

ونظراً لرغبتنا في اصدار بقية رواية شارل وعبد الرحمن في هذا المجلد على جاري العادة في كل عام فلم يبق من صفحاته الا ملزمة واحدة لا تتسع للمقالات او تراجم المشاهير او غير ذلك من الابحاث الواسعة فنقتصر فيها على ذكر الاخبار العلمية ووصف المطبوعات الجديدة لئلاَّ يطول تاجيلها الى السنة القادمة والله المستعان

باب الأخبار العلمية

﴿ التصوير الشمسي الملوَّن ﴾ استنبط بعض الفرنساويين طريقة جديدة للتصوير الشمسي الملوّن رفع تفصيلها الى اكاذيمية العلوم في باريس وخلاصة القول فيها ان يذرَّ على سطح الزجاجة ذرات صغيرة من مواد ملوَّنة حتى يتكون منها طبقة رقيقة جداً ثم يكسوها بالراتنج كساء لطيفاً يسكب فوقه السائل الحساس وتعرض الزجاجة للتصوير بالآلة الفوتوغرافية كالعادة فترتسم الصورة بالوانها الطبيعية على ان هذه الطريقة لا تزال تحتاج الى تمحيص وتحسين

﴿ مكاتبو الجرائد في الشرق الاقصى ﴾ من اسباب التضييق على مكاتبي الجرائد في الحرب الروسية اليابانية ان الكاتب اذا طلب مرافقة الجند طلبوا منه صورته وصرحوا له بمرافقتهم على شرط ان لا ينقل من الاخبار الاَّ ما يلقونه عليه فاذا حدثت معركة لا يخط حرفاً حتى يأتيه من يلقي عليه خبرها رسمياً

﴿ اكتشاف ديني ﴾ ما برح علماء التوراة منذ قرن وبعض القرن ينقبون عن الآثار في بلاد التمدن القديم في اشور وبابل وفينيقية ومصر لعلهم يقفون على ما يؤيد نصوص الكتاب · فعثروا على اشياء كثيرة في جملتها اسطوانة من الطين الجاف وجدوها في اشور وعليها نقوش مسمارية قراوا فيها حكاية تشبه حديث التوراة عن برج بابل وان ارتفاعه ١٥٠ قدماً · وفيها قرائن كثيرة تؤيد قول التوراة وان حكاية البرج واقعية وليست من قبيل الخرافات المتناقلة كما يزعم البعض

﴿ مدرسة الصحافة ﴾ يتبادر الى اذهان الذين يشاهدون انحطاط بعض الصحف

عندنا ان ذلك خاصٌ بالصحافة العربية والواقع انه شامل سائر الممالك المتمدنة حتى انكلترا واميركا . وقد نهض المستر بوليتزر احد افاضل الاميركان لانشاء مدرسة للصحافة تعلّم اربابها واجبات الصحافي نحو امته وحكومته ونحو نفسه . وقد كتب المستر بوليتزر في هذا الموضوع مقالة بين فيها اهمية هذا المشروع وانه لا ينقضي هذا القرن حتى تصير مدارس الصحافة من ضرورات المدنية الحاضرة مثل مدارس الطب والقضاء . وقد دعاه الى انشاء تلك المدرسة ما للصحافة من التأثير في مصالح الناس العمومية والخصوصية . فاذا لم يكن الصحافي على علم صحيح وضمير حيّ اضرّ في الحياة الاجتماعية ضررًا بليغًا وكانت الصحافة في يده كالسيف في يد المعتوه . ولذلك فسيجعلون الغرض الرئيسي من التدريس احياء الضمير ومعرفة الواجب . فاذا تأتّى لهم ذلك خدموا العالم خدمةً كبرى

﴿ التصوير من ثقب الابرة ﴾ من نواميس النور ان اشعته اذا دخلت من ثقب ضيق تقاطعت . فاذا وقعت على سطح وراء الثقب ظهرت الصورة مقلوبة وحجمها كبير فبنى بعضهم على هذا الناموس طريقة للتصوير بدون العدسة البلورية فاصطنع صندوقاً عوّض فيه عن العدسة بثقب في احد جدرانه فيوضع الشبح المراد تصويره امام الثقب فترتسم صورته على الجدار المقابل في داخل الصندوق فيضعون هناك زجاجة مكسوة بالمواد الحساسة فتنطبع الصورة عليها كما تنطبع في الآلات الفوتوغرافية الاعتيادية ولا يكلف اصطناع الآلة المذكورة الا بضعة قروش

﴿ مرسح سابح ﴾ من مخترعات الاميركان مرسح كبير يطفو على سطح الماء يسع الف شخص فيمثلون فيه الروايات في الابحر والانهار وينتقلون به من بلد الى آخر فيقيمون بجوار البلد ما شاؤا ثم ينقلون الى غيره

﴿ سرعة انتشار الروائح ﴾ من المألوف ان الروائح العطرية وغيرها تنتشر بسرعة كلية وان كانت سرعتها تختلف باختلاف حال الهواء من الحركة او السكون . فعني بعض الاميركان في درس ناموس ذلك الانتشار في الهواء الساكن فاصطنع انابيب من زجاج طول الانبوب متر ونصف ووضع بعضها افقياً والبعض الآخر عمودياً وجعل اطرافها من الجهة الواحدة مستطرقة الى غرفة هواؤها ساكن يطلقون فيه الرائحة والاطراف الاخرى يقف عندها المختبر لمراقبة وصول الرائحة وتعيين الوقت اللازم لوصولها . فوجدوا رائحة الامونياك لا تصل قبل مرور ساعتين ورائحة الكافور اسرع منها وجربوا ذلك في انابيب تختلف طولاً ووضعاً وخلاصة ما توصلوا اليه ان الوقت اللازم لانتشار الرائحة يساوي مربع طول الانبوبة

اشعة رنتجن والسرطان — رفع الدكتور هالوبو الى اكاذيمية الطب في باريس نتيجة تجاربه في معالجة السرطان باشعة رنتجن وفي جملة ذلك انه عالج بها الابثيليوما في اللسان فأتت بنتائج حسنة جداً

مؤتمر الصحيين العام — اجتمع مؤتمر الصحيين في ١٧ يوليو الماضي برئاسة الموسيو كازمير بيريه وبحث في امور كثيرة اهمها التدرّن ومقاومته

سكان لندن — لندن اكثر مدن العالم سكاناً وقد بلغ عدد سكانها اخيراً ٤,٥٣٦,٥٤١ نفساً حسب احصاء المجلس البلدي. وهو يزداد على التوالي لان الولادات في زيادة والوفيات في نقصان ومعدّل الولادات ٢٨٥ في الالف ومعدّل الوفيات ١٧٢ في الالف. فيزداد سكان لندن ٥١,٠٠٠ نفس كل سنة غير من يهاجر اليها من ممالك اوربا وذلك نحو ٣٠,٠٠٠ نفس في السنة تأتي من روسيا او بولونيا

الزرنيخ في جسم الحيوان — بحث العالمان غوتيه وتوسان في اكاذيمية العلم في باريس عن سبب وجود الزرنيخ في الحيوانات ومنها الانسان. فوجدا مصدره من الخمور ومياه الشرب واملاح البحر وقدّروا ما يدخل جسم الانسان منه فكان مقدار ذلك $\frac{21}{1000000}$ من الغرام في اليوم او ٧ مليغرامات ونصف في السنة

التلغراف بلا سلك — يتخابرون الآن بالتلغراف بلا سلك فوق البحر الاتلانتيكي. فاذا كانت الباخرة على خمسين او ستين ميلاً من الشاطئ خابرته رأساً والاَّ فانها تخابره بواسطة محطات مقامة في البحر لهذه الغاية

داء النوم — يزداد هذا الداء انتشاراً ووطأة في الكونغو وغيرها من اواسط افريقيا حتى لقد يدخل البلد فلا يبقي على احد من اهله

مدرسة اكسفورد الجامعة — قلّدت هذه المدرسة الشهيرة الاستاذ كوري مكتشف أشعة الراديوم رتبة الدكتورية في العلم مكافأة له على خدمته المشهورة ومنحت رتبة دكتور في القضاء للمسيو كمبون سفير فرنسا هناك

اللغة العامة — ذكرنا في غير هذا المكان سعي بعض الافرنج في وضع لغة عامة يتفاهم بها اهل العالم المتمدن تسهيلاً للمخابرات التجارية وانهم وضعوا غير لغة من جملتها لغة سموها فولابيك واخرى سموها اسبرانتو اتينا بامثلة منها وقلنا اننا لا نرجو لها البقاء. وقد ذهبتا جميعاً ولكن الرغبة في وضع اللغة العامة لم تذهب فوضع الدكتور نيقولا في باريس لغة اخرى سماها « سبوكيل » والف كتاباً في نحوها وصرفها طبعه ونشره. ولا نرجو البقاء

هذه لان اللغة من الكائنات الحية التي لا تتولّد من غير الحي واذا فرضنا بقاءها فلا تلبث ان تتغير بتوالي الاعوام وتتفرع عملاً بناموس الارتقاء العام كما حصل بلغة البشر الاولى فقد كانت واحدة وتفرعت حتى صارت تعد بالالوف

مطبوعات جديدة

﴿ تاريخ الوزراء ﴾ اهدانا حضرة المستشرق امدروز في لندن نسخة من كتاب تحفة الامراء في تاريخ الوزراء لابي حسن الصابي الكاتب الشهير ومعه الجزء الثامن من كتابه في التاريخ . وقد كان هذان الكتابان في جملة ما غشيه الحدثان من مؤلفات النهضة العباسية حتى ابرزه حضرة المستشرق المشار اليه الى الوجود من نسخة خطية في مكتبة غوتا ونسخة اخرى في مكتبة باريس الاهلية . وقد تعب تعباً جزيلاً في التصحيح والتطبيق على عادة اولئك العلماء في ما ينشرونه من الكتب العربية . والكتاب الذي بين يدينا يحتوي على ما بقي من مؤلفات الصابي في التاريخ وقد طبع طبعاً متقناً في نحو ٥٠٠ صفحة ذيلهُ بفهرس لاعلام الرجال الذين ورد ذكرهم في التاريخ وفي صدره مقدمة باللغة الانكليزية لزيادة الايضاح فنثني على حضرة الناشر ثناء جميلاً على هذه الخدمة

﴿ المدرسة الكلية السورية ﴾ جاءنا برنامج هذه المدرسة الشهيرة لعامها الاخير وهو يتضمن قوانينها ودروسها واسماء اساتذتها ومعلميها وتلامذتها والذين نالوا رتبها . وخلاصة ذلك ان المدرسة المذكورة فتحت ابوابها لقبول التلامذة سنة ١٨٦٦ واول صف حاز شهادتها العلمية سنة ١٨٧٠ واول صف حاز شهادتها الطبية سنة ١٨٧١ وجعلت تتزايد بمرور الاعوام حتى اصبحت اليوم وهي عبارة عن خمس مدارس كبرى الاستعدادية والعلمية والطبية والصيدلية والتجارية . وقد بلغ عدد الذين نالوا شهادتها الطبية الى العام الماضي ٢٣١ والذين نالوا الشهادة الصيدلية ١١٨ والذين نالوا الشهادة العلمية ٢٣٧ والذين نالوا الشهادة الاستعدادية ٥٧٧ وجملة ذلك ١٦٦‚١ غير الذين خرجوا منها قبل نيل الشهادة . وللمدرسة الكلية فضل كبير في نهضة الشرق الاخير . فنحث الوالدين على ارسال ابنائهم اليها فيكتسبون العلم والتربية والصحة

﴿ القبطان الحر ﴾ هي رواية تاريخية غرامية تأليف ادمون لبليه الكاتب الفرنساوي وقد نقلها الى العربية حضرة حنا افندي صاوه وحنا افندي اسعد فهمي وجعلاها

ثلاثة اجزاء الأول اسمه مشنقة الملك والثاني انتقام البرتوغالي والثالث العذراء الشهيدة وتصرفا في تعريبها تصرفًا بسيطًا على ما يلائم المقام . فجاءت سهلة العبارة فازدادت رقة وفكاهة وهي تطلب من ملتزم طبعها احمد افندي رفاعي بجوار الحقانية بالاسكندرية

﴿ لصوص البحر ﴾ هي رواية تاريخية ادبية مزينة بالرسوم تبحث في اعمال القرصان الشطيعة وما كان بينهم وبين الاسبان وما قام بين الفريقين من العدوان الذي افضى الى القتال وهي تاليف ليون فيل الكاتب الفرنساوي . نقلها الى العربية حنا افندي اسعد فهمي بالمنصورة بتصرف وتطلب من ملتزم طبعها منصور افندي عبد المتعال بشارع محمد علي بمصر

﴿ حدائق المنثور والمنظوم ﴾ هو كتاب مدرسي في الادب العربي اسمه يشير الى موضوعه قد انتقاه وضبطه سعيد افندي الشرتوني استاذ الفصاحة العربية في مدرسة الحكمة في بيروت فجمع فيه امثلة من نخبة اقوال القدماء نظماً ونثرًا وجعله قسمين افرد احدهما للمنثور وجعله اجزاء وكل جزء قسمين . وقد صدرت منه الحديقة الاولى في كتاب صفحاته ٢٨٠ صفحة مضبوطة بالشكل الكامل والكتاب جدير بان يعتمد عليه في المدارس لاكتساب اساليب العرب وفنون الادب

﴿ منتهى البيان في حقيقة الانسان ﴾ للشيخ محمد الشربتلي احد محرري الصحف العربية بمصر وهو عبارة عن شرح القصيدة النونية العرفانية الانسانية من نظم احمد بك فوزي الطوبجي . وفيها بحث فلسفي في المراتب الانسانية ومنازل الوجود

﴿ الاخ الغادر ﴾ هي رواية تاريخية فكاهية معربة عن الفرنساوية بقلم حضرة محمد افندي كامل حجاج مدير مطبعة الشعب . وهي الجزء الاخير من مجلة مسامرات الشعب الشهيرة لصاحبها وناشرها خليل بك صادق صاحب المطبعة المذكورة فنحث الادباء على مطالعة المجلة المذكورة

﴿ كتاب المنتخبات العربية ﴾ هو كتاب في الادب العربي لحضرة امين افندي عمر الباجوري ومحمد افندي حسن محمود بنظارة المعارف العمومية جمعا فيه نخبة ما قالته العرب من الخطب والحكم والآداب والنصائح والوعظ ومكارم الاخلاق والوصف والفخر والحماسة وعزة النفس وعلو الهمة والمدح والشكر والتهاني والرثاء والشوق والرجاء والتعارف والاعتذار والعتاب والشكوى والمقامات نظماً ونثرًا وفي جملة ذلك بعض التراجم ومنتخبات متفرقة والمعلقات السبع وقد طبعاه طبعاً متقناً على ورق جميل متين في ٢٥٦ صفحة وثمن النسخة سبعة قروش ويطلب من مكتبة الهلال بمصر فنحث المدارس على اقتنائه

شارل وعبد الرحمن

رواية تاريخية غرامية

هي الحلقة الثامنة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام

تتضمن فتوح العرب في بلاد فرنسا الى ضفاف نهر لوار
بجوار تورس · وما كان من تكاتف الافرنج
هناك على دفعهم بقيادة شارل مارتل
والاسباب التي دعت الى فشل
العرب ونجاة اوربا منهم

تأليف

جرجي زيدان

منشىء الهلال

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

سنة ١٩٠٤

مقدمة

هذه الحلقة الثامنة من روايات تاريخ الاسلام التي اخذنا على عاتقنا تأليفها ونشرها بين قراء العربية . ويسرنا ان نرى ثمار هذا السعي قد اخذت في النضج وهي عبارة عن تشويق الناس الى مطالعة التاريخ الاسلامي وهو تاريخ الشرق وآدابه وعلومه بعد عصر الرومان . والفضل في ذلك التشويق راجع الى سبك التاريخ في قالب الرواية على نحو ما نفعله في رواياتنا التاريخية . اذ يقدم القارىء على مطالعة الرواية لما فيها من الحوادث الغرامية المشوقة فلا يفرغ من تلاوتها الا وهو مطلع على حادثة تاريخية مهمة بتفصيل وايضاح لا يجدها في كتب التاريخ . لاننا نمثل في سياق القصة كثيراً من عادات اهل ذلك الزمان واخلاقهم وآدابهم الاجتماعية وسائر احوال معائشهم — ناهيك بما يتخلل حوادث الرواية من الحكمة والعبرة ونقد الاخلاق ونحو ذلك مما لا يتعرض له التاريخ الا باختصار

وموضوع هذه الرواية زحف العرب على فرنسا في اوائل القرن الثاني للهجرة وما الذي حملهم على ذلك وما كان من فوزهم حتى قطعوا اكيتانيا كلها الى ضفاف نهر لوار بجوار مدينة تورس حيث لقيهم شارل مارتل جد شارلمان العظيم وتفصيل المعركة التي انتشبت بين الافرنج والعرب هناك والاسباب التي دعت الى فشل العرب وكلها مستندة الى شواهد تاريخيـة وادلة عقلية . ويتخلل ذلك شرح داخلية بلاد الافرنج وعلاقة الشعب بالاكليروس وعلاقة كليهما بالحكام . وقد بسطنا ذلك على وجه يمثل الحقيقة تمثيلاً صحيحاً لم تخرج في اساسه عن الحقائق التاريخية الثابتة مع تقييد الحوادث بالزمان والمكان . ونطلب اليه تعالى ان يأخذ بيدنا لاتمام هذا المشروع وهو حسبنا

الفصل الاول

فتوح العرب في بلاد الافرنج

فتح المسلمون اسبانيا سنة ٩٢ هـ (٧١١ م) بقيادة طارق بن زياد البربري كما بيّنا ذلك في رواية « فتح الاندلس » . وكان طارق من موالي موسى بن نصير عامل بني امية على افريقية اي من اتباعه وموسى يومئذ شيخٌ قد ناهز الثمانين من عمره . فلما فُتحت الاندلس اصبحت من توابع تلك الولاية او فرعاً من فروعها . وعامل افريقية يقيم في القيروان وهو الذي يولّي عمّال الاندلس . وما زال ذلك شأن الاندلس حتى استقلت على عهد الدولة الاموية الاندلسية بعد ظهور العباسيين في المشرق

فلما تهيأت اسباب الفتح لموسى وهو في افريقية استشار الخليفة في ذلك فوافقه وحذره فلم يشأ موسى ان يفرط في جند العرب وهم يومئذ قليلون بالنظر الى اهل البلاد الاصليين في معظم البلاد التي فتحوها وخصوصاً في افريقية فأنفذ في تلك المهمة حملة اكثرها من البربر سكان افريقية الاصليين وقائدهم مولاه طارق . فلما حصلت الواقعة بين طارق ورودريك في فحص شريش وقتل رودريك سنة ٩٢ هـ اصبح فتح الاندلس امراً مقضياً ولم تمض سنة حتى فتحت قرطبة ومالقة وطليطلة وغيرها من مدن الاندلس العظمى وتأيدت شوكة المسلمين هناك

فلما بلغ خبر ذلك النصر السريع الى موسى تمنى ان تكون له يدٌ فيه فكتب الى طارق ان يتوقف ريثما يأتيه هو وجنّد جنداً آخر من العرب والبربر وقدم الى اسبانيا من جهة أخرى ففتح مريدة وسرقوسة وغيرها . ولما رأى سهولة الفتح عليه أوغل في اسبانيا حتى تجاوز جبال البيرينة الى فرنسا فغزا بلاداً منها الى ربونة وقد عزم على مواصلة الفتح في بلاد اوربا حتى يعود الى الشام من طريق القسطنطينية[1] فيتم له فتح العالم المعمور يومئذ ولم يكن باقياً منه الى ذلك الحين غير اوربا وكانت في غاية الاضطراب والانقسام كما سيأتي

(١) المقري ج ١

فوقع في اثناء تلك الحروب خلافٌ بين موسى وطارق واستفحل حتى اضطرَّ الخليفة في دمشق الى استقدامهما اليه للنظر في امرهما فشخصا الى الشام وولّى موسى على اسبانيا ابنه عبد العزيز فجعل قصبته اشبيلية · اما موسى فاته اتى دمشق ومعه من الغنائم والسبايا ما لا يحصى وجاء طارق ايضاً (سنة ٩٤ هـ) وتحاكم الاثنان الى الخليفة الوليد · فتوفي الوليد في اثناء المحاكمة فخلفه اخوه سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ وكانت بينه وبين موسى ضغائن فشدد النكير عليه وعلى اولاده فأوعز الى بعض الامراء في الاندلس ان يقتلوا عبد العزيز فقتلوه وحملوا رأسه محنطاً الى دمشق · وكان موسى في السجن فاستقدمه سليمان واراه رأس ابنه وسأله هل يعرفه فدعا موسى على قاتله وأثّر ذلك المشهد فيه فمات بعد قليل · ولا ندري ما انتهى اليه امر طارق

ذهب موسى وطارق ولم يذهب من فكر العرب فتح اوربا فكانوا يرقبون الفرص ويحول دون مرادهم ما انتشب من الخصام بين قبائلهم · على انهم عادوا الى مشروع موسى من طريق آخر فانفذ الخليفة سليمان سنة ٩٨ هـ حملة كبيرة عن طريق القسطنطينية بقيادة اخيه مسلمة بن عبد الملك لحاصرها · وطال حصارها حتى توفي سليمان وتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ هـ فاسترجع الجند وقد امتنع عليهم الفتح من ذلك الطريق فعادوا الى السعي فيه بطريق الاندلس

وتوالى على الاندلس عدة امراء فتحوا مدناً كثيرة من جنوبي فرنسا لم تثبت اقدامهم الاّ في قليل منها · ثم افضت الامارة الى عبد الرحمن الغافقي سنة ١١٢ هـ (٧٣٠ م) وكان رجلاً حازماً كريماً تقياً محترماً غيوراً على الاسلام والمسلمين فأخذ على عاتقه استئناف العمل لفتح اوربا عن طريق غاليا (فرنسا) فالمانيا فالمملكة الرومانية الى الشام · وكانت قصبة الاندلس يومئذ قد انتقلت الى قرطبة فأخذ عبد الرحمن في اعداد الجند للخروج على بلاد الافرنج وكانوا يسمونها يومئذ الارض الكبرى وكان عبد الرحمن حذوراً يخاف الفشل في مهمته كما فشل سلفاؤه وكان قد عرف علة فشلهم فعمد الى تلافيها فطاف اسبانيا بنفسه وتعهد احكامها فعزل الضعفاء واهل المطامع من امرائها وابدلهم برجال ذوي دراية وحلم يحسنوا سياسة الناس من اهل الذمة وانصف هؤلاء فردّ اليهم ما كان سلفاؤه قد اغتصبوه من كنائسهم واملاكهم [1] واعادهم الى ما كانوا عليه من العهود من زمن موسى بن

(١) رينو (عن ايزيدور الباجي)

تصير لعلمه انه لا يفوز في مهمته الا اذا احسن سياسة الرعية وعاملهم بالحق والرفق والا فانهم يكونون عوناً عليه . وكان عبد الرحمن وهو في ذلك الطواف يخطب المسلمين في المساجد ويحرضهم على الجهاد في سبيل الله لفتح غاليا وما وراءها حتى يعمّ الاسلام كل العالم(١)

وكان لكلامه تأثيرٌ عظيم في المسلمين من العرب وغيرهم فتقاطروا من افريقية ومصر والشام والحجاز واليمن وفيهم العرب والبربر والمولدون من المصريين والسوريين على اختلاف القبائل والشعوب وقد تكاتفوا وقاموا جهاداً في سبيل الدين اجابة لدعوة عبد الرحمن وهم انما وثقوا به لما اشتهر من حزمه وكرم اخلاقه وعدله وصدق اسلامه وتألفوا حوله فرقاً باعتبار قبائلهم واجناسهم وهو اميرهم الاكبر

الفصل الثاني

فتح بوردو

وكانت فرنسا في ذلك الحين تسمّى بلاد الغال او غاليا وكانت الدولة الرومانية قد تقلص ظلها عنها وتولتها عائلة من قبائل الجرمان يسميها المؤرخون ميروفنجيان اول ملوكها كلوفس (Clovis) حكمها سنة ٤٨١ م وتتابع الحكم في اولاده الى اوائل القرن الثامن وقد ضعف امرهم وانقسمت مملكتهم وافضى النفوذ الى رجال دولتهم شأن الدول في ادوار انحطاطها . وكان وزير الملك في ذلك الحين رجل اسمه شارل من قبيلة الافرنج وكانت غاليا تقسم الى مقاطعات كانوا يسمون الجنوبية منها سبتمانيا قصبتها اربونة وكانت قد دخلت في حوزة المسلمين يليها من الشمال اكيتانيا وقصبتها طولوزة وهي مقاطعة كبيرة حاكمها امير افرنجي اسمه اود وحدودها من الشمال نهر اللوار ومن الشرق نهر الرون ومن الجنوب جبال البيرينة ومن الغرب الاوقيانوس . ويلي اكيتانيا من الشمال مقاطعة نوستريا ووراءها اوستراسيا وحاكمها شارل المذكور فضلاً عن اقسام اخرى . وكان كل دوق او حاكم يريد الاستئثار بالسلطة العامة لنفسه . وكان عبد الرحمن قد ادرك اختلال امورهم او جاءه البشير بذلك فعزم على فتح بلادهم

(١) روبي ج ٣

فأمر عبد الرحمن بالرحيل للجهاد فبلغه وهو في الطريق ان احد قواد المسلمين على الحدود الشرقية في جبال البيرينة مخالف لذلك الرأي . وكان الامير المذكور قائداً بربرياً يسمى المنيذر[1] وكان شجاعاً باسلاً غير انه كان قليل الاتحاد بالعرب ينظر الى امرائهم نظر الحسد مثل اكثر قواد البربر . وكان المنيذر قد أبرم عهداً مع اود دوق اكيتانيا فازوجه اود ابنة له جميلة اسمها لمباجة[2] فلما علم عبد الرحمن بتلك المعاهدة اوجس خيفة من المنيذر فبدأ به فبغته في امارته وقتله وقبض على امواله ونسائه وامر بارسال لمباجة الى الخليفة في الشام

فلما اطمأن بال عبد الرحمن من المنيذر وامن على الاندلس حمل برجاله وقواده على بلاد الافرنج فاخترقها شمالاً وجنده يفتحون البلاد ويحرزون الغنائم وليس من يدفعهم . وقد استولى الرعب على الافرنج وخافوا على بلادهم واود لا يقوى عليهم حتى وصلوا مدينة بوردو الشهيرة اليوم بخمورها ففتحوها بالسيف وقبضوا على الكونت حاكمها وهم يحسبونه اود نفسه فقطعوا رأسه ليرسلوه الى الخليفة في الشام على جاري العادة

وبوردو كان اسمها يومئذ بورديغاليا وهي واقعة عند نهر غارون على ضفته اليسرى وكانت من المدن المحصنة يحيط بها سور مربع الشكل عليه الابراج العالية . وكان الرومانيون يعدونها من اكثر مدن غاليا علماً وادباً وفيها امفيتياتر روماني عظيم كانوا يسمونه امفيتياتر غاليوس وكنيسة كبرى اسمها كنيسة الصليب ولا تزال آثار هذين البنائين باقية الى اليوم

فلما جاءها المسلمون خيموا في ظاهرها ثم فتحوها عنوة وامعنوا فيها نهباً وسلباً فلما فرغوا من القتال عادوا بالغنائم والاسرى والسبايا الى ساحة كبيرة امام المعسكر فأمر عبد الرحمن اميراً من امرائه اسمه هانىء كان قائداً لفرقة الفرسان وهي اهم فرق الجند عندهم — لان مهارة العرب في الفروسية كانت من جملة ما ساعدهم على الفتح وخصوصاً في بلاد الافرنج

وكان هانىء شاباً في نحو الخامسة والعشرين من عمره اشتهر في معسكر عبد الرحمن بالبسالة وشدة البطش وقد شب على ظهور الخيل فاذا ركب لا يبالي من يلاقي ولو كانوا مئات . وكان عبد الرحمن يحبه حباً شديداً ويقدمه على سائر القواد مع صغر سنه ومع كونه من غير قبيلته . لان عبد الرحمن من قبيلة بني غافق وهي من القبائل اليمنية[3] وهانىء من

(١) سماه ايزيدور (Munuza) ونقله رومي المؤرخ « ابو نسعة » وهو عثمان الخثعمي وعندنا انها تحريف المنيذر لانه البربري واما ابو نسعة فانه خثعمي اي من العرب (٢) رينو

(٣) نهاية الارب في قبائل العرب (خط)

قيس وهي من قبائل الحجاز وكان التنافر متمكناً يومئذٍ بين اليمنية والقيسية فلم يبال عبد الرحمن بذلك . وكان هانئ من الجهة الأخرى يحب عبد الرحمن ويحترمه احتراماً شديداً لكرم اخلاقه وسعة صدره . وكانا قد تحالفا سرًّا على الاتحاد المتين في اثناء هذه الحرب حتى يفرغا منها لعلمها ان الذين حاولوا فتح اوربا قبلهما انما كان سبب فشلهم الانقسام . فكان عبد الرحمن بالنظر الى ثقته بهانئ يعهد اليه بكل ما يفتقر الى الثقة وحسن الظن ومن هذا القبيل اعتماده عليه بعد فتح بوردو بقسمة الغنائم وتدبير امر الاسرى

وكانوا يومئذ في اوائل الخريف سنة ١١٤ هـ (٧٣٢ م) وضواحي بوردو مكسوة بالكروم وقد نضجت اعنابها وكان هانئ قد ابلى في ذلك الفتح بلاء حسناً حتى بهر الناس ولم يتحوَّل عن جواده طول ذلك اليوم وهو يجول ذاهباً وجائياً يحرض رجاله ويستحث القواد على الثبات والصبر ولم يكن في امراء ذلك الجند من لا يحب هانئاً ويعجب بيسالته واقدامه الا من حسده لتقربه من الامير الكبير مع صغر سنه لكن حساده لم يجدوا سبيلاً الى اذيته بسبب شدة محبة عبد الرحمن له . وكان هانئ طويل القامة عريض الصدر اذا مشى عرفه الناس من طوله وعرض كتفيه واذا أقبل اليك توسَّمت مناقبهُ مصورة في محياه فقد كان على غضاضة شبابه واضح الملامح بارز الحاجبين والوجنتين حاد العينين صغير الانف والفم بارز الذقن خفيف العارضين اسود الشعر لايتاك وجههُ باسماً مع وقار . وركب في ذلك اليوم على جواد ادهم لا يحب الركوب على سواه لخفة حركته وجمال مشيته وصبره في ساحة الوغى وقد توسَّم فيه الخير لانهُ لم يركبهُ في قتال الا عاد منصوراً وما في معسكر عبد الرحمن من لا يعرف تعلق هانئ بادهمه حتى توهموا انه شغل به عن ملاذ الدنيا . وبالحقيقة انه لم يكن همَّهُ الا مراعاة ذلك الجواد واتقان عدته حتى البسه لجاماً مذهباً وسلسلة وركابين من فضة وعلق على جبهته لؤلؤة كبيرة عثر عليها في بعض غزواته في غاليا فصاغها في شكل نجمة وعلقها هناك . وكان الادهم شديد التعلق بصاحبه اذا ناداه اتاه صاغراً واذا استحثه في ساحة الوغى اسرع حتى تظنه طائراً فاذا استوقفه وقف بغتة

الفصل الثالث

الغنائم والسبايا

فأقبل هانئ في اصيل ذلك اليوم على ادهمه كأنه جبل يسعى وقد تعمم بعمامة حمراء وتزمّل بعباءة حمراء وتقلد حسامه وقد نقش اسمه على نصاله ورصع قبضته بالحجارة الكريمة وامر بعض رجاله ان يفرزوا الغنائم كل صنف منها على حدة فجعلوا الاسرى في جانب والسبايا من النساء والاطفال في جانب والغنائم من الاسلحة والآنية والاموال والجوهرات في جانب · واستدعى هانئ امراء الجند وهم جماعة كبيرة وفيهم البربر من اهل افريقية وهؤلاء كثيرون · لان العرب كان معتمدهم في حروبهم بالاندلس وفرنسا عليهم وكان هؤلاء اهل بطش وشدة ولكنهم لم يكونوا على قلب واحد في نصرة الاسلام لما كان من استبدال العرب يومئذ لغير العرب ولو كانوا مسلمين (١) فكان البربر يصحبون العرب في حروبهم رغبة في الغنيمة اكثر مما في نصرة الاسلام · على ان بعض قبائلهم كانوا يرافقون العرب في الجهاد وما هم من الاسلام على شيء او ربما تظاهروا به وهم يهود او وثنيون · ويقال نحو ذلك في سائر فرق الجند غير العرب · فقد كان في جملة رجال هذه الحملة اناس من الاسرى او العبيد اشتراهم العرب وربوهم في حجر الاسلام وهم في الاصل من الصقالبة (السلاف) او من الافرنج او الروم او غيرهم (٢)

فلما اجتمع القواد على خيولهم بين يدي هانئ امر بالغنائم من الآنية والاموال فجيء بها فأمر بالخمس وهو حق بيت المال فافرزه جانباً وفرق ما بقي على الامراء باعتبار تعداد رجال كل منهم · وكان اذا رأى اختلافاً بينهم على قسمة بذل من سهمه واسهم رجال سبيل التوفيق

وبعد الفراغ من قسمة الغنائم تحولوا الى جهة الاسرى وكانوا عديدين وقد شدوهم بعضهم الى بعض بالحبال او السلاسل وساقوهم سوق الاغنام وجاؤوا بهم حتى اوقفوهم بين يدي هانئ فالتفت هانئ الى القواد وقال لهم « ان هؤلاء الاسرى من جملة الغنائم واقتسامهم لا يمكن فاعرضوهم للبيع ··· اين التجار ··· ؟ » ولم يتم كلامه حتى جاء جماعة من يهود القيروان

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٢ (٢) دوزي ج ٣

وقرطبة وغيرها من مدن الاسلام كانوا قد صحبوا الحملة للتكسب من امثال هذه التجارة — واليهود لا تفوتهم هذه الفرص · فلما حضروا تقدم واحد منهم وعلى رأسه عمامة سوداء واسعة ولحيته مسترسلة على صدره وانفه اعقف كبير وعليه قباء واسع ووراءه احمال من الدراهم والدنانير · فقال له هانئ « بكم تشتري هؤلاء الاسرى يا هرون »

قال « بالذي يأمر به مولاي »

فقال « لولا عزمنا على السفر الى الحرب ما بعناهم بل كنا نستخدمهم في منازلنا او نتوقع الفداء من اهلهم اذ ربما كان بينهم من اولاد الاغنياء من يفتديه اهله بالاموال الطائلة ولكننا على اهبة المسير للحرب ولا وقت لنا فاشترِ » قال هانئ ذلك عن بساطة وانفة ولكن هرون تمسك بقوله وصمم على الاحتيال للابتياع بأقل الاثمان فقال « صدق مولاي ولكن ابتياع هذا القدر من الناس خطر علينا اذ لا ندري كيف ننقلهم الى اسبانيا او الى افريقية او الى الشام حيث يعرضون للبيع وفي ذلك من مشقة والنفقة ما فيه . . . »

فضجر هانئ من المطاولة وهو يودُّ الفراغ من هذه البيعة لامرٍ يهمه في البيعة التالية — بيعة السبايا — فقال « اشترِ الاسير بدينار كباراً مع صغار على ان تكون اسلابهم لنا غير ما يكسو عوراتهم »

فضحك هرون وهو يمشط لحيته ثم يقبضها بيده ويرسلها على صدره ويتظاهر انه استكثر المبلغ وقال « ألا يكفي ان ادفع اثمان هؤلاء وهم مئات ثم تطالبني باسلابهم وما عليهم منها الاّ الثياب . . . . »

فقال هانئ « قد بعناك فادفع المال الى هذا الكاتب وهو يحصي العدد ويقبض الثمن » قال ذلك واشار الى كاتبه وساق فرسه الى جانب آخر من تلك الساحة حيث كانت السبايا وفيهم النساء والاطفال فتبعه هرون وهو يقول « لا تبع السبايا لسواي » فاعترضه تاجرٌ آخر شهد بيعة الاسرى وصاح فيه « قد اشتريت الاسرى وحدك فدع السبايا لنا » فأجابه ذاك جواباً جافياً فانتصر بعض الوقوف من اليهود لهرون والبعض الآخر لرفيقه وعلت الضوضاء فسمع هانئ ضوضاءهم فصاح فيهم وقال « لا تغضبوا انا اقسم البيعة بينكم على السواء »

فلما وصلوا الى موقف السبايا ساق هانئ جواده الى آخر موقفهم وكانوا قد صفوهم صفوفاً نساء واطفالاً فمرَّ بهم الهوينا وهو يتفرَّس في الوجوه كأنه يفتش عن ضائع والنساء يتضرَّعن اليه بالايماء والبكاء لانهنَّ لا يعرفنَ العربية وهو لا يلتفت الى احدٍ حتى وصل الى آخر الصف حيث عثر على ضالته وهي فتاة لم يرَ الراؤون اجمل منها

وبجانبها امرأة في نحو الاربعين من عمرها والهيبة والجلال ظاهران فيهما . ومع هول سائر النساء والاطفال فانهما كانتا هادئتين لا تبديان حراكاً وليس في ملامحهما ما يدلُّ على الخوف او الاضطراب . وكانت المرأة بيضاء اللون شقراء الشعر زرقاء العينين وقد لمت شعرها وضمته في اعلى رأسها تحت خمار اسود واكتست رداء اسود يجللها كلها حتى يحسبها الناظر اليها من سكان الاديار . وكانت جالسة حينئذٍ على حجر وقد اطرقت كأنها تفكر في امر ذي بال وفي يدها محفظة من جلد قد حرصت عليها حرصاً شديداً

أما الفتاة فكانت واقفة بجانبها وعليها لباس اسود مثل لباسها وقد امتدت يدها الى كتف المرأة وهي مكشوفة الزندين الى الكوع وقد التف زنداها التفافاً بديعاً . وكانت طويلة القامة مع اعتدال ورشاقة وقد بدت النضارة في محياها مع النشاط . واذا حزرت عمرها ربما حسبتها في الخامسة والعشرين وهي في الحقيقة دون العشرين . سمراء اللون سوداء العينين كحلاء الجفون حادة البصر مع وداعة ورقة . تدلُّ وقفتها على الصحة والقوة معاً ويتجلّى فوق ذلك كله لطف نسائي يسحر الالباب . وكان ثوبها الاسود بسيطاً وقد انفتح الرداء من اعلى الصدر فظهر عنقها الدال على الصحة والقوة بامتلائه واستدارته . وضفرت شعرها الكستنائي الجميل ضفيرتين مستطيلتين ارسلتهما على صدرها من جانبي العنق فبلغتا الى تحت الخصر فوق منطقة من جلد . وغطت رأسها بنقاب اسود يكسو شعرها ويسترسل على كتفيها وظهرها . والناظر الى الفتاة بجانب تلك المرأة يتبادر الى ذهنه انها والدتها وان اختلفتا خلقة وشكلاً لان المرأة كانت بيضاء اللون شقراء الشعر والفتاة سمراء كما تقدم

أقبل هانئ اليهما والفتاة تنظر الى والدتها وتخاطبها همساً . فلما وصل اليها رفعت نظرها اليه وتفرست في وجهه وتفرس هو فيها هنيهة لا تدري ما دار في اثنائها بينهما من حديث العيون . ثم امر بعض الغلمان ممن في ركابه ان ينقلها الى مكان منفرد ريثما يفرغ من مهمته . فلم يستغرب احدٌ طلبه لان ذلك من الامور العادية في مثل هذه الحال فالفاتحون يختارون من غنائمهم ما شاؤوا لانفسهم ويبيعون ما شاؤوا

ثم عاد هانئ الى اواسط الصف ونادى التجار وقال « كيف تقتسمون هذه السبايا »

فتقدم هرون وقال « لا يمكن الاقتسام في هذه الحال لان ثمن الفتاة او المرأة يختلف باختلاف درجة جمالها وعقلها وما تستطيعه من الصنائع كالغناء او الرقص او الحياكة او الطباخة وباختلاف صحتها وغير ذلك فالاحسن اذا شاء مولاي ان ينتقي كلٌّ منّا ما يشاء من هؤلاء على شرط ان من يختار اولاً يدفع ثمناً غالياً ثم يقلُّ الثمن في الاختيار الثاني فالثالث »

فاستحسن هانئ هذه الطريقة فقال « ان الذي يتقدم اولاً لاختيار من يريد من هؤلاء تحسب عليه المرأة بخمسة دنانير والغلام بدينار والذي يتقدم ثانية فانه يدفع نصف هذه القيمة ... » قال ذلك والتفت الى الكاتب وامره ان يتم البيعة ويستولي على الثمن ويقسمه في الجند باعتبار العدد وساق جواده الى السيدتين

الفصل الرابع

بسطام

وكانت الشمس قد آذنت بالزوال وتراجع المسلمون الى مضاربهم وتركوا قسمة الغنائم الى امرائهم · وكان الامراء في انتظار الفراغ من بيع الاسرى والسبايا حتى يقتسموا ما يجتمع من اثمانها · فجلسوا في خيمة بجانب فسطاط الامير عبد الرحمن لهذه الغاية وكان في جملتهم اميرٌ من البرابرة يقال له بسطام لم يدخل هو وقبيلته في الاسلام الا طمعاً في الكسب والنهب من الغنائم ونحوها · وكان قويّ البدن فظ الخلق يكاد الناظر اليه يرتعد من منظره لضخامة هامته وسعة وجهه مع عظم انفه وانتفاخ منخريه · وكان في عينيه احمرارٌ وحدّةٌ خارقة حتى يوهمك اذا نظر اليك انه يخترق صدرك ببصره · وقد زاد منظره وحشةً كثافة حاجبيه وبروزهما بروز الطنف واقترانهما كأنهما خط واحد غليظ · فضلاً عن لونه الزيتوني وعمّا يتجلى في مجمل سحنته من القسوة والخشونة وما يدلُّ عليه غلظ شفتيه من الميل الشديد الى اللذات الشهوانية · وكان بسطام رئيس قبيلة كبيرة من قبائل البربر فلما سمع بحملة عبد الرحمن الى بلاد الافرنج وكان يسمع بغناها وخيراتها تظاهر بالاسلام وادعى انه انما يريد الجهاد في سبيل الدين — ولم يكن حال هذا وامثاله يخفى على عبد الرحمن ولكنه كثيراً ما كان يغضي عن ذلك رغبة في اكتساب القوة · لان هؤلاء البرابرة أبلوا في تلك الحروب بلاء حسناً وخصوصاً بسطام فانه كان يهاجم الاسوار ويتلقى السهام ويستقبل الفرسان بقلب لا يعرف الخوف · وكان كلما فرغوا من معركة واقتسموا غنائمها انتقى ما يطيب له من السبايا وعبد الرحمن يتساهل في معاملته حذراً من غضبه لئلا تسوقه الحدة والخشونة الى الانقلاب على المسلمين فتنقلب معه قبيلته وقد يقتدي بها غيرها من قبائل البربر او غيرهم من غير العرب (الموالي) ممن انتظموا في تلك الحملة

وفي نفوسهم حسدٌ لما يميزّبه العرب انفسهم عن سائر المسلمين كالاستئثار بالسلطة واحراز الاموال . وكان التحاسد سائداً ايضاً بين العرب انفسهم أيمنية في جانب والحجازية في جانب آخر ناهيك بما بين الامويين والهاشميين من التنازع على الخلافة . على ان المسلمين غير العرب اذا كانوا حسني الاسلام قد يغفلون عن هذا التحاسد وخصوصاً في اثناء الجهاد . اما الذين كانوا يظهرون الاسلام رغبة في الغنائم فاذا فاتهم المقصود من انضمامهم انقلبوا الى الضد

فاتفق في واقعة بوردو ان بسطاماً جاهد جهاد الابطال وهو الذي هجم بنفسه على المنزل الذي كانت فيه هاتان المرأتان وقبض عليهما وارسلهما مع بعض رجاله الى المعسكر في جملة الغنائم على أمل انهُ متى عرضت السبايا للبيع طلب الفتاة لنفسه وهو لا يتوقع ان يكون لهُ مزاحم او معارض في ذلك . . .

وكان بسطام في جملة الامراء المجتمعين في ذلك اليوم ينتظرون اقتسام الغنائم وقد اوصى بعض رجاله ان يراقب تلك الفتاة لئلا تخرج من يدهِ . فلما رأى هانئاً افردها مع رفيقتها لم يجسر الرجل على منعه او الاعتراض عليه ولكنه اسرع الى بسطام فاخبره فغضب وصاح فيه « اذهب وقل لذلك القبطي ان الفتاة للامير بسطام لانها سبيتي وقد نلتها بحد سيفي »

فظل الرسول واقفاً ولم يبد جواباً فأدرك بسطام انه لا يجسر على مخاطبة هانئ بمثل ذلك فقال له « ما بالك لا تمشي . . ؟ »

فتحول الرسول من الخيمة ومشى الهوينا وهو يغرس انامله في شعر رأسه الملبد المتكاثف كالعمامة السوداء ويحكّهُ وقد تأبط جراباً من جلد حرص عليه كل الحرص لما حواه من المواد الثمينة التي نهبها في اثناء الواقعة او التقطها وهم يجمعون الغنائم ولم يكن يرى سبيلاً لحفظها الآن يحملها معه مع ثقلها عليه — وكذلك كان يفعل اكثرهم وخصوصاً الساعون في الجهاد رغبة في الغنائم — مشى ذلك البربري وهو يتباطأ في مشيته ويهمّ ان يلتفت الى الوراء كأنهُ يتوقع من يسترجعهُ . وكان بسطام ينظر اليه ويراقب مشيتهُ بعينيهِ الحمراوين وقد حمي غضبهُ لما في ذلك التردد من الاستخفاف به فصاح فيه فوقف وتراجع فقال لهُ « يظهر انك خائف منهُ . . . لا تكلمه بل اذهب انت ومن شئت من رجالي فأتوني بالفتاة سريعاً »

فمشى الرجل مثل مشيتهِ الاولى فازداد غضب بسطام ووثب وفي يده خنجر روماني

كان قد قتل صاحبه طمعاً فيه لاتقان صنعه فاستله وضرب به الرسول فأصابت الضربة ظهره فقتلته . وكان بالقرب من الخيمة جماعة من رجال قبيلته والتابعين لبعض الشؤون فصاح بسطام فيهم « هلموا الى خيمة هذا الجبان فهي وكل ما في خيمته من المنهوبات ملك حلال لكم » فأسرعوا الى جثته وهموا باقتسام ما في جرابه حتى كادوا يختصمون ويتضاربون

اما بسطام فانه ردَّ الخنجر الى مكانه ووثب الى جواده فركبه واتجه نحو الساحة . وكان قد علم بمكان الفتاة ورفيقتها فسار توًّا اليه ولم يحرِّ بهانئ ولا خاطبه بهذا الشأن . وكان هانئ لا يزال الى ذلك الحين مشتغلاً ببيع السبايا

فلما فرغ من مساومة اليهود ساق جواده نحو الفتاة وهي على مسافة ميل وبعض الميل منه والشمس قد توارت وراء ابنية بوردو واختلطت الظلال تلك القصور حتى صارت ظلاماً خيَّم على الغالب والمغلوب والقاتل والمقتول ــ خيَّم على المسلمين وقد اشتدت عزائمهم بما اوتوه من النصر فاشتغلوا باقتسام غنائمهم . وعلى الغالبين من اهل بوردو وقد غلبوا على ما في ايديهم فقتلت رجالهم وسبيت نساؤهم ونهبت بيوتهم ومعابدهم . ولولا اشتغال هانئ بما جاش في فؤاده من عوامل الغرام وما غشي بصيرته من عواطف الشبيبة لاعتبر بما كان لقي بوردو من الشقاء وقد اشتدَّ احمراره حتى يحسبه الناظر اليه رمزاً عن الدماء التي سفكت في ذلك اليوم هناك . ولكنه كان مشتغل الخاطر بشيء لا يعرفه غير الذي يعانيه ــ وهو الحب ــ ومن غريب امر الحبِّ انه يقع على الناس وقوع السبات من حيث لا يعلمون . وربما كان الباعث على وقوعه نظرة واحدة فلا تكاد تلتقي العين بالعين حتى تجيش العواطف وتتجاذب القلوب تجاذباً لا سبيل الى دفعه . ولا يحدث ذلك عند كل نظرة ولا في كل انسان وانما هو تأثير بعض العيون على بعض القلوب . فاذا تلاقحت العينان استيقظ القلبان وتجاذبا كأنهما كانا على موعد وقد تاها وكل منهما يبحث عن رفيقه ثم التقيا بغتة وتعارفا عن طريق النظر

الفصل الخامس

التنازع

كذلك حدث لهانئ فانه لم يكن يعرف تلك الفتاة قبل ذلك اليوم فوقع نظره عليها للمرة الاولى وهو واقف بباب المدينة يراقب اخراج الغنائم والسبايا ويحصيها . وكانت الفتاة

في جملة الخارجين وقد ساقها بعض البرابرة من رجال بسطام باشارة منه كما تقدم · فرآها هانئ تمشي بثوبها ونقابها الاسودين وتحت النقاب ضفيرتاها المرسلتان على صدرها وقد اطرقت لا تلتفت يمينا ولا شمالاً ورفيقتها ماشية بجانبها · فلما بلغت الفتاة الى عتبة الباب سمعت هانئ ينادي كاتبه ويسأله عن عدد الذين خرجوا الى ذلك الحين ثم قال له « لا تحص هذه من جملتهم » فوقع صوته في اذنها وقوع السهم في قلبها · فلم تتمالك ان رفعت بصرها اليه وحدقت به فقرأ في تلك النظرة ما يعجز الخطيب عن ادائه في خطاب ولا يستطيع الكاتب التعبير عنه في كتاب ـ قرأ فيها الاستعطاف والاستنصار والحب والاستسلام مع الانفة وعزة النفس · فأجابها بنظرة قرأت فيها جواباً صريحاً على ما يحتاج قلبها فاطمأن بالها ـ حدث ذلك كله في لحظة والناس حولها في غفلة بين باك ونادب وراج وخائف ـ اما هانئ فحالما وقع نظره عليها صمم على ان يستأثر بها لنفسه · ثم اكبر ان يتخذها سبية لما آنس من هيبتها وجمالها فعزم ان يقترن بها · ولم يكن قد تزوج ولا حدثته نفسه بالزواج الى ذلك الحين لاشتغاله بالجهاد منذ نعومة اظفاره في بلاد الافرنج التماساً لفتح اوربا · ولذلك فلما دعاه عبد الرحمن الى تلك الحرب لبى سريعاً · فلما احس بتحرك قلبه لم يتمالك عن التفكير بالزواج ـ والغالب في طالبي الزواج ان يكونوا على هذه الصورة · فربما قضى احدهم الاعوام الطوال وهو لا يرى الزواج ولا يسعى فيه فاذا تحرك قلبه بنظرة او كلمة بذل جهده في سبيله ـ ولذلك فان هانئاً افرد الفتاة وبعد الفراغ من البيع سار الى استلامها بنفسه · ولم يعهد بذلك الى احد من رجاله مبالغة في الحرص عليها

فلما ثنى عنان جواده نحو ذلك المكان رأى بالقرب منه فارساً عرف بنور الشفق من شكل الفرس وعدته انه بربري فاستحث جواده وهو مطمئن الخاطر على حبيبته لعلمه انه ليس في جند المسلمين من يجسر على مخاطبتها بعد ان امر هو بافرادها · ولكن الغيرة من اقوى ظواهر الحب ومن اكبر الادلة عليه · وهي عمياء صماء لا تذعن للعقل ولا تدعي لنصحه ـ فاركض هانئ فرسه وقلبه يخفق غيرة ومالبث ان رأى الفارس قد وقف بجانب الفتاة وسمعه يتهدد ويتوعد فساق جواده حتى تطايرت اطراف عباءته في الهواء وقبل الوصول اليهم عرف الفارس فناداه « بسطام » فالتفت بسطام وعيناه تقدحان شرراً وهو يقول « ما بالك ايها الامير · · ؟ »

قال « تنح عن هاتين فاني فرزتهما لنفسي »

قال « وكيف تفعل ذلك وهما غنيمتي · · »

ولو لم يكن هانئ قد علق بالفتاة وتعشقها لما جادله عليها ولكنه توقع ان يسترضي بسطاماً من باب آخر لعلمه بشره هؤلاء البرابرة للمال والغنائم فابتسم وهو يقول « هب انها غنيمتك وقد رأيتني افردتها لنفسي فتجاوز عنها لي ولك علي ما تطلبه من سهمي في الغنائم . . » قال ذلك وهو يتشاغل بشربة عرف ادهمه اظهاراً الاستخفاف بالمسألة واخفاء لما ثار في قلبه من عوامل الغيرة

فأجابه بسطام وهو لا يقوى على كتمان ما في نفسه « ذلك لا يمكنني واذا كان لابد لك من مقاسمتي في هذه الغنيمة فانها امرأتان خذ تلك وانا آخذ هذه » قال ذلك واشار باصبعه اولاً الى الكبيرة ثم الى الفتاة

وكانت الفتاة واقفة بالقرب من رفيقتها وكلاهما صامتتان تنتظران عاقبة ذلك الجدال . ومن الغريب انه لم يبدُ في وجه تلك الفتاة شيء من امارات الخوف كأنها وثقت بفوز حبيبها . ولكنها كانت اذا وقع بصره عليها ابتسمت وفي ابتسامها اطراء وتشجيع فاذا حولت بصرها نحو بسطام قرأ هانئ في شفتيها كل ملامح الاستخفاف والبغض — وقد ادرك هانئ ذلك منها رغم ما تقاطر من جيوش الظلام . فلما سمع بسطاماً يعرض المقاسمة على هذه الصورة اعظم استخفافه به فأجابه بصوت هادئ ولكن ملؤه التهديد وقال « لا احب المقاسمة وانما هذه الفتاة لي فارجع الى معسكرك وخذ سهمك مما بعناه من الغنائم والاسرى والسبايا »

فازداد بسطام هياجاً ووقف على الركاب بغتة حتى أجفل جواده وصاح قائلاً « لا يمكن لأحد ان يأخذ غنيمتي مني ولو كان الامير عبد الرحمن نفسه . . اما كفاكم معاشر العرب ما تسوموننا من الخسف فتستأثرون بكل شيء دوننا كأن غير العرب ليسوا مسلمين — وانت تعلم اني قادر على ان اعتزل مع رجالي عنكم وارجعكم على اعقابكم فلا تفتحون بلداً ولا تكسبون غنيمة . . »

فلما سمع هانئ ذلك التهديد كبر عليه أمره ولكنه تصور ما يترتب على مجاهرته من الضرر . وهو يعلم ان بسطاماً لا يهمه الاسلام ولا المسلمون فاذا غضب وغضبت قبيلته تضعضع الجند وهذا ما لا يرضاه هانئ ولا عبد الرحمن . على ان حدة الشباب غلبت عليه والتقى بين يدي حبيبته فلم يتمالك ان هم بسيفه فاستله وهجم على بسطام لا يبالي اي عضو يصيب منه . فاذا بالمرأة تقدمت بثوبها الاسود وامسكت بعنان فرسه وخاطبته بالعربية قائلة « لا تقتتلا فما نحن غنيمة احد وقد كفى خصاماً . . » قالت ذلك بلسان اهل

اليمن مع شيء من العجمة . فبغت الاميران وتعجبا لما سمعاه بالعربية

اما بسطام فانه ما زال مصمماً على طلبه وخصوصاً بعد ان سمع تهديد هانىء له بين يدي تلك الفتاة وهي تفهم العربية فقال لها « بل انتِ غنيمتي . . . واذا شئت الانحياز الى هذا الامير فلا بأس واما هذه فانها لي . . » قال ذلك وانحنى عن سرجه وتطاول ومدَّ يده الى الفتاة وهمَّ ان يمسكها فتباعدت وهي تنظر اليه شزراً ولم تضطرب . فتبعها بفرسه فلما رأى هانىء تلك الجسارة لم يعد يتمالك عن الغضب وقد سرَّهُ تباعد الفتاة لان في تباعدها تصريح بتفضيلها اياه ونفورها من بسطام . فاحسَّ ان تعقله وكظمه لا ينفعان مع هذا البربري شيئاً فهمز جواده والسيف لا يزال مسلولاً في يده فوثب الجواد وصهل كأنه شارك فارسه بعواطفه وتباعدت المرأة وقلبها يختلج وما كادت تأمل حتى سمعوا وقع حوافر جواد يعدو نحوهم من جهة المعسكر وصوتاً ينادي « هانيء هانيء اغمد سيفك » فالتفتوا فاذا بالفارس قد اقبل حتى دنا منهم وقبل ان يروا وجهه عرفوا من فرسه ولباسه انهُ الامير عبد الرحمن . فاستغربوا قدومه في تلك الساعة على حين غفلة وبغتوا ولم ينبه احد منهم بكلمة ولم يتمالك هانىء عن اغماد سيفه

الفصل السادس

مريم

وكان عبد الرحمن ربع القامة جليل الطلعة صبوح الوجه عريض اللحية والجبهة قد خالط شعره بياضٌ . وكان كبير العينين مع حدة وذكاء بغير جحوظ اقنى الانف وقد تزمل بعباءة سوداء وعلى رأسه عمامة بيضاء كبيرة . فلما وصل استولى السكوت على الجميع فالتفت الى هانىء وقال « اراكم تختصمون وتفترقون وكان قلبي دلَّني على ذلك مذ سمعت بسطاماً يخاطب رسوله في خيمتي فخفت النزاع بين امراء هذا الجند ونحن في اشد الحاجة الى الاجتماع فراقبت رجوع بسطام فلما ابطأ أسرعت اليكم فأحمد الله على ذلك »

فأعجب الجميع بسهر هذا الامير على مصلحة جنده وسعيه في جمع كلمته واحسَّ هانىء بتوبيخ ضميره لانه تعاهد هو وعبد الرحمن على الاتحاد والاجتماع كما تقدم فقال « لم اكن

لأُخاصم مسلماً على شيء وان عزّ ولكن بسطاماً يعترضني في سبية اخترتها من بين مئات بمثاهنّ الآن بيع السلع . فلو اننا بعناها لبعض اولئك اليهود فما الذي كان يفعله ..؟ »

فاعترضه بسطام قائلاً « كنت افديها من شاريها بالذي يرضيه .. »

فتقدمت المرأة نحو عبد الرحمن بقدم ثابتة وجاش رابط وقالت « اظنني واقفة بين يدي عبد الرحمن الغافقي امير هذا الجند ؟ .. »

فاستغرب عبد الرحمن تكلمها بالعربية وقال « نعم اني هو . وكيف عرفت ذلك .. »

قالت « عرفتك من سهرك على اجتماع جندك وقد كنت اسمع ذلك عنك — ان الاميرين يختصمان علينا وما نحن لواحد منهما ولكن لنا امراً نعرضه على الامير .. »

فرآها عبد الرحمن تخاطبه بجسارة لاتكون في الاسرى او السبايا فهابها وزاده تهيباً ما آنسه من رزانتها وبساطة لباسها وسواده ووقعت عينه في اثناء ذلك على الفتاة فأعجبه جمالها ومال بكليته الى استطلاع حقيقتها فقال للمرأة « قولي ما بدا لك »

قالت « لا اقول شيئاً الآن وانما اقصّ حديثي على الامير في خلوة »

وكان في ركاب عبد الرحمن رجلان من خاصته فأمرهما ان يأتيا بفرسين يحملان المرأة ورفيقتها الى فسطاطه على انهُ لم يتمالك وهو ينتظر قدوم الفرسين عن سؤال المرأة عن رفيقتها من هي فقالت « هي ابنتي .. »

وكان هانئ واقفاً صامتاً وقد وقع في حيرة من امر الفتاة وامها وخاف ان يكون في حديث الوالدة ما يحول بينه وبين ابنتها وقد ازداد تعلقاً بها بعد ما عاينه من رغبتها فيه واحسّ انها تحبه حباً شديداً فاغتنم اشتغال الامير بخطاب المرأة ودنا من الفتاة واراد ان يسمع حديثها ويستطلع امرها فقال وصوته يدلّ على هيامه « ما اسمك يافتية ..؟ »

فأجابته بصوت ادلّ على لواعج الحب وبلسان عربي فصيح « اسمي مريم » فأعجبته غنة صوتها وزاد افتتانه بها للغنة في لسانها تنطق بها الراء غيناً فكأنهُ سمعها تقول « اسمي مغيم »

فقال « وانا اسمي هانئ ... هل حفظته كما حفظتُ اسمك ؟ . »

فأدركت غرضه وقالت « لقد حفظته قبل ان اعرفه فكيف بعد ان عرفته ورأيت منه ما رأيته » ففرح بذكائها وسرعة خاطرها واطمأن باله من نحوها فاجابها وهو يقلد لغتها تحبباً « انجو ان تكون معقفة متبادلة »

فابتسمت مريم ابتسامة اخذت بمجامع قلبه وتوردت وجنتاها خجلاً واطرقت اطراق الحياء وتشاغلت باصلاح ذيل منطقتها

اما بسطام فكان يراها بتكتمان والحنق يكاد يخنقه وهو لا يجسر على الكلام في حضرة الامير ولكنه اضمر لهما الشر . وبعد هنيهة جاء الجوادان فركبت مريم وامها وساقوا الخيول الى المعسكر وكان هانئ لا يرفع نظره عن مريم فرآها امتطت الفرس بأسرع من لمح البصر كأنها ولدت على ظهور الخيل فازداد هياماً بها . ولكنه ما زال موجساً من تلك الخلوة حتى اذا اقتربوا من فسطاط عبد الرحمن وهي اكبر الخيم وفي بابها الاعلام التفت عبد الرحمن الى هانئ وقال « عد الى تدبير امر الجند وكن كمهدي قبلك فاننا في بلاد العدو » والتفت الى بسطام وقال « وانت يا بسطام امير ذو بطش فامض الى شأنك وانس ما دار بينك وبين هانئ . . . اننا مقبلون على فتوح كثيرة وستصيب من الغنائم والسبايا ما يعوض عليك اضعاف هذه الخسارة . . . »

فسار الاميران وتحول عبد الرحمن ودعا مريم وامها الى النزول فنزلتا ودخلتا الخيمة في أثره وفي يد الوالدة تلك الحقيبة وقد شدتها الى زندها وقبضت عليها بكفها كأنها تخاف ان يخطفها احد من يدها

الفصل السابع

الخلوة

فلما دخلوا الخيمة اشار عبد الرحمن الى من كان فيها من الامراء والحاشية فخرجوا جميعاً وبقي هو والمرأة وابنتها وقد تشوق لاستماع ذلك الحديث فجلس في صدر الخيمة على بساط ثمين كانوا قد خصوه به من غنائم ذلك اليوم واجلسهما بين يديه . فالتفت كل منهما بردائها الاسود والنقاب الاسود على رأسيهما . فنظر عبد الرحمن الى وجه المرأة على نور المصباح فرأى الجمال لا يزال بادياً في وجهها مع تجاوزها سن الشباب . ونظر الى مريم فرأى بصره قد علق في عينيها الجذابتين وقد زادها التفكر والاطراق هيبة فسبح الخالق على ذلك الصنع العجيب . ثم غلب عليه شوقه الى استماع تلك القصة فحول نظره الى المرأة فرأى الاهتمام ظاهراً في عينيها وهي تنتظر الاشارة للشروع في الكلام فقال لها عبد الرحمن « من انت يا اخية وما خبرك وما هو غرضك ؟ »

قالت « اما خبري فسأُطلعك عليه في فرصة أُخرى . واما غرضي فرؤية هذا الجند حتى أُحقق اماني »

فلما سمع عبد الرحمن كلامها استغرب تلك الغيرة من امرأة لا يعرف من هي وقد توسم في كلامها وان كان عربياً شيئاً من العجمة . فأراد ان يستطلع حقيقتها فقال لها « ما الذي حملكِ على هذا الغرض وكلامك يدلُّ على انك غير عربية وقيافتك ولباسك يدلان على انك غير مسلمة فلا يعقل ان يكون هذا هو غرضك فاصدقيني »

فنظرت اليه نظر الاستغراب وقالت « لم امثل بين يدي الامير عبد الرحمن الغافقي لأُلفق له حديثاً مكذوباً ولا أرى فراسته فيَّ صحيحة لاني وان كنت غير عربية ولا مسلمة فليس ثمة ما يمنع غيرتي على نصرة العرب او المسلمين . وفي نفس هذه المدينة وفي غيرها من مدن النصارى والافرنج من يؤثر انتصار المسلمين العرب على انتصار النصارى الافرنج لاسباب لم اكن اظنها تخفى على مولاي الامير »

فأطرق عبد الرحمن وقد تضاعف استغرابه ولكنه صبر الى النهاية لعله يستنشق شيئاً في عرض الحديث يكشف له الحقيقة فقال لها « لم افهم مرادك . . . . . . هل يتمنى اهل هذه البلاد انتصار المسلمين على ملوكهم ؟ . »

قالت « كانوا يتمنون ذلك مذ سمعوا بحال الاسبان بعد دخولهم في حوزة العرب لانهم رأوهم انتقلوا تحت ظل الاسلام من الرق الى الحرية ومن الظلم الى العدالة . . . »

قال « وهل عدلوا اليوم عن ذلك الراي »

قالت « نعم »

فقال « ولماذا . . ؟ ارجو الافصاح »

قالت « لا يخفى على مولاي ان المسلمين لما فتحوا اسبانيا منذ ٢٢ عاماً عاملوا اهلها بالرفق والحق فلم ينهبوا بيعة ولا سفكوا دماً بريئاً ومن اختار البقاء على دينه حافظوا على عهده ومن اعتنق الاسلام وكان عبداً فانه يصير حراً له ما للمسلمين وعليه ما عليهم — وكان حكام القوط يعدون رعاياهم ملكاً لهم يستخدمونهم في منازلهم وحقولهم استخدام الارقاء فلما جاء المسلمون وفتحوا بلادهم خيروهم بين الاسلام والجزية وان من اسلم وكان عبداً صار حراً فتهافت جانب عظيم من اولئك الارقاء الى الاسلام استهلاكاً في سبيل الحرية لانها كانت عزيزة عندهم لا ينالها الا الافراد فيلون مكافأة على شجاعة عظيمة او خدمة ذات بال . ومع ذلك فان المعتقين في ايام القوط والرومان لم يكونوا يتمتعون بكل حقوق الاحرار وانما

كانوا وسطاً بينهم وبين الارقاء . اما المسلمون فمن اسلم من رعاياهم عاملوه معاملة الاحرار تماماً ومن ظل على النصرانية تركوا له الحرية في معاطاة دينه وعاداته وآدابه وسائر معاملاته حتى الحكومة والقضاء (١) فأحسَّ الاسبانيون انهم انتقلوا بالفتح الاسلامي من الضيق الى الفرج ومن الرق الى الحرية فشاع ذلك في سائر انحاء هذه البلاد فرأى موسى بن نصير سهولة الفتح عليه لهذا السبب فعزم على اتمامه حتى يعود الى دمشق من طريق القسطنطينية بعدان يفتح كل اوربا . ولكن السلطين عجلوا عليه وعلى ابنه عبدالعزيز رحمهما الله بما لايخفى عليك . ولولا ذلك لتم الفتح للمسلمين من ذلك الحين ولكانت هذه البلاد التي جئتم لفتحها الآن مُلكاً لهم منذ نيف وعشرين سنة . ولكن الذين خلفوهما على امارة الاندلس كان معظمهم من اهل المطامع فاساؤا الى النصارى والى المسلمين من غير العرب ففسدت النيات وشاع خبر ذلك في هذه البلاد فأصبح فتحها صعباً لان اهلها لايرون فائدة من الانتقال الى دولة غير دولتهم دينها غير دينهم ... »

الفصل الثامن

هانئ

ولما بلغت الى هنا توقفت وتنحنحت وتشاغلت بمسح فمها وعبد الرحمن ينظر اليها وهو يستغرب حديثها لما فيه من الحكمة وسعة الاطلاع وجعل يتأمل ملامحها ويفكر في من عسى ان تكون هذه المرأة وصبر لعل في خاتمة حديثها ما يكشف له القناع عن حقيقتها ولكنه أراد ان يستنطقها خلسة فاغتنم سكوتها وقال لها « يظهر لي انك اكثر اطلاعاً على حقيقة الاحوال من معظم رجالنا واشد غيرة على مصلحة المسلمين من المسلمين انفسهم ... » ثم تنهد وقال « ان الامر الذي ذكرته يا اخية هو الواقع بعينه واعلمك سمعت اني استدركته قبل اقدامي على هذا العمل فلم اخرج الى هذه الحرب حتى طفت مدن الاندلس وغيرها مما فتحه المسلمون من بلاد الافرنج (فرنسا) وتعهدت احكامها وعزلت الضعفاء واهل المطامع من امرائها وابدلتهم برجال من اهل الدراية والحكمة ليحسنوا سياسة الناس على اختلاف النحل

(١) دوزي ج ٢

ورددت على النصارى كنائس كان بعض الامراء المسلمين قد اغتصبوها منهم واعدت ما كان لهم من العهود من زمن موسى بن نصير وابنه عبد العزيز(١) — وقد بذلت الجهد في هذا السبيل لعلمي ان الاسلام يأمرنا بذلك وان الصحابة الاولين لم يستطيعوا ما استطاعوه من الفتح الا بما كانوا يتوخونه من الرفق ومعاملة اهل الذمة بالحسنى والعدالة ..»

فقالت وهي تصلح نقابها والتفكير ظاهر في عينيها « قد علمت بكل ما عملته وما تعمله وكل ما نويته وما تنويه ولذلك كنت اتوقع لك الظفر .. ولكنني رأيت خلاف ما سمعته فصرت اخاف فشلك ...»

فقال وهو يستغرب حريتها وتعقلها « وكيف ذلك ؟ ..»

قالت « انك تعلم ما اهله من هذا القبيل ويكفي ما شاهدته الآن بنفسك ما بين هانئ وبسطام لم يكد يسفك الدم بينهما من اجل هذه الفتاة ؟ ..» واشارت الى مريم وكانت جالسة بجانب والدتها تسمع حديثها باهتمام وشوق كانها لم تكن تعرف منه شيئاً

فلما سمع عبد الرحمن كلام المرأة تشاغل باصلاح شاربيه وحك عثنونه بين سبابته وابهامه وظهر التأثير في عينيه وجبينه . والتفت الى المرأة وهو يحاذر ان يتنهد وقال « ان ما رأيته انما هو من قبيل المنافسة بين أميرين على سبية جميلة وما ذلك بالامر الغريب ..»

فضحكت ضحكة اغتصابية وقالت « الامير عبد الرحمن الغافقي لا يجهل ان سبب هذه المنافسة انما هو فساد نيات الامراء فيما بينهم لاختلاف أغراضهم في هذه الحملة لان اكثرهم جاؤا للنهب والسلب وخصوصاً البرابرة ومن على شاكلتهم — فهؤلاء لا يفهمون معنى الجهاد او الفتح ولا يعرفون ما هو الاسلام لانهم انما انضموا اليه رغبة في الغنائم ومن كان هذا غرضه لا يهمه رضي أهل البلاد او غضبوا — يدلك على ذلك ما رأيته بنفسي في أثناء هذا الفتح اليوم فان بعض رجالكم لم يميزوا بين المنازل والكنائس ولا بين الرهبان والعامة . فقد نهبوا كنيسة بوردو وهي من اعظم كنائس الغاليين فأصبح هؤلاء فضلاً عن نفورهم من المسلمين يعتقدون ان صاحب هذه الكنيسة سينتقم لهم منكم ...»

فلم يتمالك عبد الرحمن عن قطع حديثها فقال « نهبوا الكنائس ؟ .. نهبوها ؟ .. رغم ما أوصيتهم به من المحافظة عليها واستبقاء كرامة القسس والرهبان .. ؟ » ثم صفق وصاح

---

(١) رينو . ورومي ج ٣

« بالغلام » فدخل رجل من غلمانه الذين يقفون ببابه خفيف اللباس خفيف العضل ممن يقتنونهم للمراسلة ونحوها . فابتدره حال دخوله قائلاً « ادعُ الامير هانئاً الساعة »

فأشار الغلام اشارة الطاعة وخرج . فعجلت المرأة بالكلام قبل خروجه وقالت للامير « فاني ان اطلب اليك الافراج عن خادمي فانه أُخذ في جملة الاسرى على شيخوخته وعلى كونه عربياً . . »

فنادى عبد الرحمن الغلام فوقف فقال له « وقل الامير هانئ، ان في الاسرى شيخاً » والتفت الى المرأة وقال « وما اسمه . . » قالت « اسمه حسان » فقال « قل للامير ان في الاسرى شيخاً عربياً اسمه حسان فليأت به معه . . »

ولا تسل عن مريم عند ما سمعت اسم هانئ فانها أحست بخفقان قلبها بغتة وكانت جالسة مطرقة فتحركت واعتدلت في مجلسها . ولو انتبه عبد الرحمن لوجهها لرأى فيه احمراراً يشف عن شاغل قلبي ظهرت آثاره في بريق عينيها

فقضوا مدة غياب الرسول صامتين وخصوصاً عبد الرحمن فانه لبث مطرقاً وهو يلاعب لحيته بين اصابعه يطؤها كأنه يخاف العجلة ان تشوش على تجاري افكاره فتقطعها او تعترضها . وسكتت المرأة تهيباً لسكوت عبد الرحمن . وبعد قليل سمعوا وقع حوافر جواد ثم سمعوا صهيله فعرف عبد الرحمن انه صهيل الأدهم وان هانئاً قادم . ولم تمض هنيهة حتى دخل ذلك الغلام وقال « ان الامير هانئاً بالباب »

فقال عبد الرحمن « يدخل »

وقبل ان يرجع الرسول بالاذن اقبل هانئ كأنه داخل الى بيته نظراً للدالة التي كانت له على الامير وكان لا يزال بثوبه الاحمر وسيفه المرصع وسائر سلاحه . فلما رآه عبد الرحمن داخلاً لم يتمالك ان بش له ورحب به ودعاه الى القعود بجانبه فقعد وبصره في مريم ووالدتها ولكنه تشاغل بالالتفاف بعباءته وهو يصلح مجلسه . اما مريم فانها اطرقت حياء وعيناها تسترقان النظر الى هانئ وتراعي كل حركة من حركاته . ودخل في اثر هانئ شيخ طاعن في السن عليه لباس اهل غاليا وعلى رأسه عمامة صغيرة وقد قلب شعره مع كثافة واسترسلت لحيته كثيفة وخف عضله وتغضنت جبهته وتجعد خداه ورقبته حتى يتوهم الناظر اليه انه في حدود التسعين واذا تكلم اومشى أوهمك خفة حركته وشدة عارضته انه في ما دون الستين . فدخل الخيمة وعليه قباء الى الركبة بعضه مبطن بالجلد . واما ساقاه فكانتا عاريتين وقد غشاهما شعر كثيف لا يبان الجلد من تحته وقد شد بقدميه نعلين من صنع

بوردو — ووقف الشيخ بباب الفسطاط فلما رآه عبد الرحمن اشار اليه ان يقعد فقعد هناك متأدباً . اما هانئ فلما قعد قال له عبد الرحمن « اظنك تعبت في هذا اليوم ياهانئ .. »

قال « ما في الحرب من تعب اذا كانت خاتمتها النصر كما كانت خاتمة حربنا مع هذه المدينة بعون الله وسيف الامير عبد الرحمن .. »

قال « لم يكن لعبد الرحمن يدٌ في هذا النصر وانما تمّ بك وبرجالك وسائر المسلمين .. على اني لم ادعك للبحث في ذلك وانما دعوتك لامر ذي بال فارعني سمعك .. »

فاصاخ هانئ بسمعه وتطاول بعنقه وقال « قل .. »

قال « أتعلم السبب الذي ساعد المسلمين على فتح الدنيا من ايام الصحابة الى اليوم ... »

قال « اعلم ان الله نصرهم بالاتحاد والاجتماع وهذا هو الامر الذي نتوخاه في كل حركة من حركاتنا »

قال « انا أعلم ذلك واعتقد انك اكبر مساعد لي في جمع كلمة هذا الجند الكبير المختلف المقاصد والاغراض وتحتمل معي مضض التوفيق بين تلك المختلفات المتناقضات ولكن هناك سبباً آخر ساعد السلف الصالحين على الفتح وايد دولتهم .. أتعلم ماهو ؟ »

الفصل التاسع

بسطام

فأطرق هانئ واعمل فكرته وعبد الرحمن يتفرس فيه كأنه يستعجل جوابه فقال هانئ « ان الذي اعلمه ان دولة الاسلام تأيدت بالعدل والرفق .. »

فقطع عبد الرحمن كلامه وقال « ذلك هو بعينه ... لان العدل اساس الملك والرفق بالرعية يدعوهم الى الطاعة والمحبة وخصوصاً اهل الذمة من النصارى واليهود وعلى الاخص الرهبان والقسس اصحاب البيع والكنائس — فقد ورد النهي عن اذيتهم في كتاب الله وفي حديث رسول الله ولذلك كان الخلفاء الراشدون اذا انفذوا جنداً الى حرب اوصوهم

باهل الذمة خيراً ومنعوهم من اذيتهم وامروهم بالكف عن الكنائس واصحابها (١) الا تعلم ذلك ٠٠ ؟ »

قال « نعم اعلمه جيداً ونحن طالما تحادثنا في ما فرط من بعض الخلفاء و امراء الاندلس من هذا القبيل وتواثقنا على منعه ٠٠ »

قال « فما معنى هجومكم على كنيسة بوردو في هذا النهار ونهب آنيتها واذية رهبانها ٠ ؟ »

فظهر الغضب في وجه هانئ، مع الاستغراب واطرق لحظة ثم هزّ رأسه وهو يقول « قبح الله بسطاماً ما اطمعه وما اقلّ طاعته ٠٠ اني نبهته بنفسي عن هذا الامر ونحن في اثناء الواقعة بعد ان رأيت منه ومن رجاله ميلاً الى النهب بلا مراعاة٠ وقد علمت بما في كنيسة بوردو من آنية الفضة والذهب فخفت ان تسوقه المطامع او تسوق احداً من قبيلته الى نهبها فاستوقفته في وسط المعركة وقلت له احذر ان يتجرأ احد من رجالك على الكنائس او المعابد او القسس ونحوهم ٠٠ فأجابني بالسكوت فظننت من تلك الساعة انه لا ينوي الاجابة لما اعلمه من طمعه وقسوته ٠٠٠و٠٠٠ »

فابتدره عبد الرحمن قائلاً « اتظن تلك افعلة بسطام ؟ »

قال « لا اظن احداً سواه يجرأ على ذلك بعد ما كان من تشديدنا في منعه ٠٠ وقد رأيت مع بعض رجاله في اثناء قسمة الغنائم صلباناً من ذهب ومباخر من فضة مما لا يكون في غير الكنائس ٠٠ »

فصفق عبد الرحمن ونادى غلامه فدخل فقال « ادع الامير بسطاماً » وبعد خروج الغلام التفت عبد الرحمن الى هانئ وقال « لا تخف من غضبي عليه فاني ساخاطبه باللين لما اعلمه من فظاظته وغلظه والاّ افسدنا الجند علينا ٠٠ »

فقالت المرأة « ما لكم ولهذا التصير الخطير ٠٠٠ ما كان اغناكم عنه وعن قبيلته ٠ »

فتنهد عبد الرحمن وقال « لو شئنا ان نقي جندنا من امثال هؤلاء الغلاظ لاقتضى ان نجرده من اشد رجاله واكثرهم عدداً لان في جملة رايات هذا الجند قبائل من البربر وجماعات من الصقالبة والجرامقة والجراجمة والاقباط والانباط وغيرهم وفيهم من لا يزال على اليهودية او النصرانية او الوثنية او المجوسية وانما يتظاهرون بالاسلام (٢) ــ والبربر

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٥٦ ج ١ (٢) البيان والتبيين للجاحظ ج ١

من اشجع الامم لايهابون الموت ولا يخافون العدد — والحق يقال انهم هم الذين فتحوا لنا اسبانيا وسلموها الينا ولو اردنا الاستغناء عنهم لامتنع علينا هذا الفتح لان العرب لايزالون الى اليوم قليلي العدد بالنظر الى مثل هذا المشروع العظيم . فاستخدام البربر في هذه الحروب يفيدنا كثيراً وانما يطلب منا ان نحسن السياسة في معاملتهم لئلا نغضبهم وهم انما يرضيهم الكسب من الغنائم ونحوها وهذا امر ميسور لنا لاننا كثيراً ما نتنازل لهم عن الغنيمة لنطمعهم في الجهاد لمصلحة المسلمين وان لم يكونوا كلهم مسلمين في قلوبهم ..»

فاعجبت تلك المرأة بتعقل عبد الرحمن وسعة صدره وقالت له « اخلق بجند انت قائده ان يعود ظافراً منصوراً »

فلما سمع ذلك الاطناب مال بعنقه الى هانئ والقى يده على كتفه وقال « هذا هو يدنا اليمنى لانه قائد فرساننا » فخجل هانئ لهذا الاطراء واراد ان يعتذر واذا بالرسول قد دخل وهو يقول « الامير بسطام في الباب »

فقال عبد الرحمن « يدخل »

فدخل بسطام وعباءته مطلقة من الامام وسيفه يجر وراءه وعمامته مع صغرها منحرفة من جانب رأسه الى الاذن وفي يده بقية عنقود من العنب كان يأكله في اثناء الطريق فلما رأى نفسه في حضرة الامير تراجع ورمى تلك البقية وعاد وفي مشيته ومجمل منظره تيه واعجاب ولكنه مع ذلك لم يكن يستطيع مخاطبة عبد الرحمن الا بالاحترام لانه على كونه اميره لم يكن يسمع منه الا كل ما يطيب خاطره ويدعوه الى احترامه لما قدمناه من حسن سياسة عبد الرحمن ورقة جانبه — وربما توهم بعضهم ان الرئاسة انما يتأيد نفوذ صاحبها بالغلظة والكبرياء وشدة الوطأة ولكن ذلك من الاوهام الباطلة لان الرئيس الشديد الوطأة قد يملك ألسنة مرؤوسيه واما الوديع الرقيق الجانب فانه يملك قلوبهم ورقابهم — فلما دخل بسطام حياً فبش له عبد الرحمن ودعاه للقعود فقعد وهو يجيل نظره في اطراف الخيمة فرأى مريم وهانئاً فتوهم لاول وهلة انه دعي لامر يتعلق بهما ثم سمع عبد الرحمن يخاطبه قائلاً « دعوناك يا امير لنسألك عن امر يهمك كما يهمنا لان المصلحة واحدة وهي رفع منار الاسلام وتأييد كلمة الله ..»

فانشرح صدر بسطام لهذا الاطناب لان البربر لم يكن العرب يعاملهم الا معاملة الموالي كما تقدم فلما سمع بسطام ذلك الكلام قال « يأمر الامير بما يشاء وله ما يرضيه مني فاني اطوع له من بنانه »

قال « بورك فيك ونفع المسلمين بسيفك .. اما الامر الذي استقدمناك لاجله فهو ان بعض نصارى هذه المدينة يشكون مما اصاب بيعتهم من النهب وهم كما لا يخفى عليك اهل كتاب قد اوصانا الله برعايتهم وبحرمة كنائسهم وبيعهم وخصوصاً اننا في احوال تقضي علينا بمجاملة اهل هذه البلاد حتى يهون علينا الفتح ونحن سائرون الى بلاد امنع ورجال اشد من اهل هذا البلد . فاذا اعتقدوا فينا الرفق والعدل ساعدونا — ولذلك كنتُ كثيراً ما اوصيكم بالاغضاء عن اماكن العبادة على يد اخينا الامير ماقيد . فاذا كنت على بينة من امر تلك البيعة ونهبها ارجو ان تسعى في رد مانهب من آنيتها وادواتها .. »

الفصل العاشر

الحرب في اسرى الافرنج

فقال بسطام « لا انكر على الامير سداد رأيه في هذا الشان وقد كنا الى اليوم ونحن نراعي هذه القاعدة ونحترم البيع حتى رأيتُ في هذا الصباح امراً اقشعر له بدني ولم اتمالك عن الانتقام له بنهب تلك الكنيسة — رأيت في بعض منازل هذه المدينة رجالاً من المسلمين وغلماناً ونساء يستخدمهم اهلها استخدام العبيد الارقاء ... نعم لا انكر حقهم في ذلك لاننا نفعل باسرام مثل هذا الفعل . ولكني رأيت بعض الاسرى المسلمين مقيدين بالاغلال الحديد في ارجلهم والاحمال الثقيلة على ظهورهم وقد ساقوهم الى العمل في الكروم سوق الدواب [1] فلم اتمالك عند مشاهدتي هذه القسوة من الانتقام بنهب كل ماتقع يدي عليه — لم استثن كنيسة ولا ديراً .. »

فلما بلغ بسطام الى هذا الحد التفت عبد الرحمن الى المرأة كأنه يستفتيها في ذلك فقالت « لا انكر على مولاي ان معاملة الافرنج لاسرام من العرب اكثر شدة من معاملة المسلمين لاسرام من الافرنج وان تساوى الفريقان في اعتبار الاسرى ملكاً للغالبين يبيعونهم بيع السلع ومتى دخل الاسير في حوزة مالكه استعمله في ماينفعه من فلاحة او زراعة او خدمة في شيء ولا يزالون عبيداً هم واولادهم الى سلالات عديدة حتى يفتديهم اهلهم او اصدقاؤهم بالمال او غيره . اما المسلمون فان رجوع الاسرى الى الحرية عندهم اسهل مما عند الافرنج

(١) ربو

واما تقييدهم بالسلاسل فالغرض منه على ما اظن منعهم من الفرار اذ ربما حاولوه مرة ولم يظفروا فاثقلوهم بالاغلال ليمنعوهم منه . . . »

فقطع عبد الرحمن كلامها ووجه خطابه الى بسطام قائلاً « هب انهم فعلوا ما تقول فالعبرة في النتيجة واذا كنا نأتي مثل ما اتاه هؤلاء فأي فضل لنا وبماذا نتوقع النصر في الدنيا والنعيم في الآخرة . فالذي يهمنا ان نعمل بمقتضى الكتاب والسنة ونقتدي بالسلف الصالحين . وزد على ذلك ان طمعنا بالقليل من الغنائم قد يؤول الى فشلنا ويقف في سبيل الفتح فنخسر اضعاف تلك الغنائم ناهيك بالفشل وما قد يلحقنا بسببه من العار » ثم وجه خطابه الى هانئ وقد بدا الاهتمام بين حاجبيه وقال « لا يخفى عليكم اننا ساعون في عمل اثمن كثيراً من الذهب والفضة والآنية واعظم من ان يقاس بالحطام الفانية . نحن ساعون في فتح هذا العالم الكبير — فاذا توفقنا الى فتحه كسبنا الاموال والارواح ونشرنا الاسلام في قبائل من اهل النصرانية والوثنية لا يحصيها الا الله فنملك المدن والرقاب ونخفق راياتنا على رومية والقسطنطينية وغيرهما من عواصم النصرانية ويصير صعلوكنا اميراً وفقيرنا غنياً فتحرز يا بسطام ما شئت من الذهب والفضة والجواهر وتملك ما تريده من الجواري والغلمان . . . واذا كنتُ مخطئاً في قولي فنبهوني . . . »

فأدرك هانئ ان عبد الرحمن انما ينتظر الجواب من بسطام احتيالاً عليه في اجابة الطلب فقال بسطام وقد سحر بلطف عبد الرحمن وتحيته « انك مصيب كل الاصابة والحق يقال ان البربر وغيرهم من الموالي لم ينصفوا في حقوقهم بازاء العرب مثل انصافهم في ايامك . فقد كان اسلافك ولا يزال كثيرون من امراء العرب الى اليوم يعدُّون المسلمين من غير العرب عبيداً فاذا حاربوا معهم في واقعة لا يقاسمونهم الغنائم كما يقاسمون العرب[1] فلا تظننا غافلين عن هذا الفضل . . »

فقطع عبد الرحمن حديثه قائلاً « لم اعامل غير العرب الا بالعدل لان المسلمين اخوة . . . والآن اسرع الى الغنيمة قبل اقتسامها ومعك الامير هانئ فاستخرجوا آنية الكنيسة واحملوها الينا لننظر في اعادتها الى اصحابها »

خرج بسطام وهو منتفخ الصدر بما آنسه من الرعاية والاطراء ونسي ما كان في نفسه على هانئ بشأن مريم — واهل الفظاظة والخشونة من اقرب الناس الى المصافاة لطهارة قلوبهم من نتائج التكلف فاذا ساءهم احدٌ بعمل جاهروا بما في نفوسهم عليه فهم لا يحقدون . . . وخصوصاً في

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ج ٢

حال مثل حال بسطام بالنظر الى مريم فانه انما كان يطلبها لانه استلطفها ووعد نفسه بها ولكنه لم يعلق بحبها كما فعل هانئ ٠ اما هذا فانه سار في اثر بسطام وغال قلبه في ذلك السقاط اولعله استعاض منه بقلب مريم لانها أحست عند خروجه كان قلبها اقتلع من صدرها وخافت الفضيحة لظهور اثر ذلك على وجهها فتشاغلت باصلاح الخمار الاسود

فلما خرج الاميران التفتت المرأة الى عبد الرحمن وقالت « بأذن مولاي الامير بارسال فتاتي هذه مع هذا الشيخ الى مقرّ تقيم فيه تحت حمايتك ريثما أتم حديثي معك ونرى ما يكون ٠٠»

فصفق عبد الرحمن وصاح « يا غلام » فدخل احد الغلمان فقال له « شيع هذا الشيخ وهذه الفتاة الى خباء نسائي واوص قيّمة الخباء باكرامها وان لا تعدّها في جملة الجواري وانما هي ضيفة علينا اكرامها ورعايتها ٠٠ »

فاستحسنت المرأة ذلك والتفتت الى حسّان وقالت « سر ياعدّاء مع مريم في حياطة مولانا الامير وكن معها حتى آتيك ٠٠ »

فأشار مطيعاً وخرج وهو يتوكأ على عكازه وخرجت مريم في أثره والغلام امامها

الفصل الحادي عشر

بعض السر

فلما رأى عبد الرحمن من تلك المرأة التماس الخلوة توهم انها ستطلعه على سرّها فلما خلوا بادأها هو بالكلام قائلاً « اطلعيني يا اخية على اسمك قبل كل شيء ٠٠٠ لا ناديك به على الاقل ٠٠ »

قالت « اذا كان هذا هو المراد من معرفة اسمي فنادني سالمة »

قال « لقد ادهشني باسالمة ما رأيته من غريب شانك وأراني كلما سمعت حديثك ازداد رغبة في استطلاع حقيقة أمرك ٠ وكأني بك قد التمست الخلوة رغبة في مكاشفتي بسرّك ٠٠ »

فاصلحت سالمة من شأنها والتفت بثوبها واخفت يديها في كمّها وفيه المخفظة ونظرت الى عبد الرحمن والاهتمام باد في عينيها وقالت « اعلم ايها الامير انك تخاطب امرأة خبير

عربية وغير مسلمة ولكنها من اشد الناس غيرة على العرب وعلى المسلمين . واستأذن مولاي الامير بالاقتصار على ما عرفته من أمري لاسباب ستبدو له قريباً ان شاء الله . واما الآن فاني أهبُ نفسي لخدمة المشروع الذي قمتم لأجله فأبذل ما في وسعي في سبيله »

فاستغرب عبد الرحمن تسترها وخاف ان يكون من ورائه خديعة او دسيسة فقال لها « ومن يضمن لنا انك تقولين الصدق ؟ »

قالت « لقد أعجبني سوء ظنك فيَّ . . ولو لم يبد ذلك منك لاستخففتك لان من كان قائداً لمثل هذا الجند الكبير لاينجو من اهل الخداع والدسائس فان لم يسيء الظن في كل احد بات في خطر من دسائسهم . اما دعواي فلو صرحت لك بامري لهان عليك تصديقها واما الآن فيكفي دليلاً على صدق ما أقول ان اجعل ابنتي ووحيدتي رهناً بين يديك فان بدرت مني بادرة تدل على الخيانة او الغدر افعل بها ما شئت . . »

وكأن كلام سالمة نبهه الى ما يحدق به من اسباب الخداع والمكر فبالغ في اساءة الظن بها فقال لها « ومن يؤكد لنا انها ابنتك فان الشبه بعيد بينكما . . ويظهر انها عربية وما انت كذلك »

فأطرقت سالمة هنيهة ثم قالت « اما هذا فلا سبيل الى اثباته بغير الاستفهام من الفتاة نفسها والخادم الشيخ فانه عربي مسلم وهو وحده المطلع على سري ولكنه لا يبوح به الا في حينه فاسألوه . . » قالت ذلك ودلائل الاخلاص وصدق اللهجة يتجليان في عينيها وبما بدا في وجهها من امارات الحياء والاهتمام

فتحقق عبد الرحمن بفراسته انها تقول الصدق فاكتفى بقولها وقال « لقد صدقتك يا سالمة فأخبريني متى يأون كشف سرك . . »

قالت « وكشف هذا السر غير مقيد بزمان وانما هو مرهون بحادث لا يجوز كشفه الا بعد حدوثه »

قال « وما هو ذلك الحادث . . . »

قالت « لا أقوله الآن وانما يقربنا منه صدق النية في فتح هذه البلاد وسرعة النجاز وهذا هو الامر الذي وهبت نفسي له فاذا اذن مولاي ان اساعده فيه فعلت »

فلبث عبد الرحمن ساكتاً وهو مطرق يفكر في ما سمعه ويحلله في ذهنه فرأى مفتاح السر كله في معرفة والد الفتاة مريم فرفع بصره الى سالمة وقال وهو يلاعب اطراف حمائل السيف بين انامله « لا بأس من تأجيل خبرك وانما التمس منك أمراً هل تصدقينني

فيه ... »

قالت « اذا استطعتُ ذلك فعلته »

قال « أُريد منك فقط ان تخبريني من هو والد هذه الفتاة واين هو ؟ . »

فلما سمعت سؤاله بغتت وتصاعد الدم الى وجهها وتغيرت سحنتها وبدت الكآبة في جبينها وحول فمها وأطرقت مدة لا تتكلم ثم رفعت بصرها اليه وقد ابرقت عيناها باغشائها من الدمع وقالت « تسألني عن مكان ابيها وانت تراني في هذا الثوب الاسود ..؟ » قالت ذلك وامسكت طرف الخمار بين الابهام والسبابة وقد غصّت بريقها

فندم عبد الرحمن على سؤاله عن المكان فقال « لم يكن مرادي تذكيرك بمصابك بوفاة زوجك وانما اردت معرفة اسمه — ولا أرى مانعاً من اطلاعي عليه ونحن في خلوة ليس فيها ثالث واعاهدك على كتمان ذلك عن كل انسان ... لا اطلب منك الاطلاع على سرك وانما اريد معرفة اسم زوجك » قال ذلك وهو يتوقع اجابته على سؤاله

اما هي فلما رأت الحاحه في معرفة اسم زوجها بدا الغضب في وجهها وقالت « يظهر اني اخطأت في عرض نفسي لخدمتكم حتى لاقيت ما أراه من الالحاح عليّ والضغط على افكاري — لو كان التصريح باسم ذلك المسكين ممكناً لفعلت ولم اكابدك هذا العناء في السؤال ثم اني لا ارى فائدة من ذكره الآن وسيأتي وقت تعرف فيه كل شيء .. »

فاستغرب عبد الرحمن تكتمها وازداد رغبة في معرفة سرها ولكنه لم يرَ الزامها ذلك قهراً مراعاةً لخاطرها وطمعاً في الانتفاع من خدمتها لمجاهدها من جهة أُخرى فقال « حسناً بقي سؤال واحدٌ ارجو ان لا يكون حظي في الجواب عليه مثل حظي في سواه — هل اقوله ؟ »

قالت « قل ما بدالك »

قال « أُرى ابنتك من الجمال في ما ليس بعده غاية وهي في سن الزواج وانت وحيدة فلماذا لم تزوجيها بشاب تعيشين في حمايته .. ؟ ولا ريب عندي انك تجدين من الطلاب من تقرُّ به عينك لما هي عليه من الجمال والهيبة »

فالتفتت سالمة وقد انقشعت علاماتُ الكآبة عن محياها وتحوّل انقباضها الى الانبساط وقالت « اما هذا السؤال فلا بأس من الجواب عليه .. »

فاستبشر عبد الرحمن وقال « وما هو »

قالت « ان الابنة مخطوبة منذ طفوليتها »

قال « لمن »

قالت « لرجل مسلم يغار على الاسلام والمسلمين ويكره الظلم والظالمين باسل شجاع واسع الصدر كريم النفس »

قال « وما اسمه ؟ »

قالت « لست على يقين من معرفة اسمه الآن .. »

قال « وهل تعرفه ابنتك ؟ »

قالت « لا اعرفه انا ولا تعرفه هي ولا يعرفه احدٌ سوانا .. »

فدهش عبد الرحمن لتلك المعميات وقال « كيف يكون ذلك يا سالمة ..؟ يظهر انك تمزحين او تدافعين بالباطل »

قالت « اقسم بالرب المعبود انني اقول الصدق »

فقال « وكيف تكون ابنتك مخطوبة لرجل لا تعرفون له اسماً ولا لقباً ؟ »

قالت « اما لقبه فانا نعرفه »

قال « وما هو »

قالت « يلقب بفاتح بلاد الافرنج بالسيف · ومؤيد الاسلام فيه بالحق والعدل . »

ففهم عبد الرحمن انها تريده هو اذ لا يصدق ذلك اللقب على سواه ولكنه أراد ان يتحقق ظنه فقال وهو يتجاهل مرادها « ومتى يكون الاقتران واين ؟ »

قالت « يجوز الاقتران في اي وقت اراده الخطيب ولكنه لا يكون الا وراء نهر لوار »

قالت ذلك وهي تنظر في عيني عبد الرحمن نظر مستفهم كأنها تقول له « هل فهمت من هو ؟ »

الفصل الثاني عشر

نهر لوار

فادرك عبد الرحمن ان المراد بتقييد الاقتران بذلك المكان تعجيل الفتح حتى يقطع المسلمون نهر لوار وهو آخر حدود اكيتانيا من جهة الشمال في الطريق الذي هم سائرون فيه . فثار في خاطره حب الفتح وأحسَّ من تلك الساعة بميل الى مريم بنت سالمة وكان قد استلطفها منذ شاهدها في ذلك المساء وهو في شاغل من امر الحرب والنصر وتنظيم

الشؤون . فلما سمع ما قالته سالمة تذكر الفتاة وما في عينيها من الجواذب فشعر بميل اليها أحياه فيه الامل بالحصول عليها — وذلك طبيعيٌّ في الناس فمثل هذه الحال فقد يرى احدهم الفتاة مرارًا ويستلطفها ولكنه لسببٍ من الاسباب لا يرجو الحصول عليها فاذا تنسم خبرًا ينبه فيه عاطفة الامل بالحصول عليها يشعر للحال بانعطاف ينمو فيه حتى يصير شغفًا . ولا تنحصر هذه القاعدة في الحب ونحوه بل هي تنطبق على سائر مطامع بني الانسان باعتبار اميالهم . فقد يكون احدهم محبًا للسلطة مثلاً ولا يكون له مطمع فيها لتقاصره عنها بضعفه او فقره فاذا ظهر له من بعض ثقاته اعتقاد امكان ذلك له شغف به وبذل نفسه في الحصول عليه — وقد اصاب عبد الرحمن الغرضين معًا لان عبارة سالمة نشطته لتمام الفتح واحيت فيه الميل الى مريم فاكتفى بما دار من هذا القبيل لئلا تظهر منه خفة في هذا الموضوع . فتجاهل وعاد الى مجاراتها في كتمان اسم زوجها وغرضها من الاستهلاك في مساعدتهم على اهل استطلاع ذلك في فرصة اخرى وقال لها « دعينا الآن من هذا واخبريني ما الذي تنوين مساعدتنا فيه من اسباب هذا الفتح »

قالت « ليس لي سيف اناضل به عنكم او اشترك فيه معكم ولكنني خبرت طبيعة هذه البلاد وعرفت من احوال اهلها ما لو عرفه المسلمون لفتحوها على اهون سبيل . . . »

فقال « وما ذاك »

قالت « هل يخفى على الامير عبد الرحمن ان الغاليين اهل هذه البلاد هم غير الافرنج الذين يحاربونكم ليمنعوكم منها . . ؟ وان الدوق اود حاكم اكيتانيا هذه وجنده ليسوا اقرب الى قلوب الغاليين من قائد جند المسلمين ورجاله . . . ؟ »

قال « وكيف ذلك . . ؟ »

قالت « ان سكان هذه البلاد اخلاط من الروم والغال . ومعنى ذلك ان الغاليين اهل هذه البلاد الاصليين كانوا أُمة كبيرة ظلوا في حال البداوة والاستقلال حتى جاءهم الروم في القرن الاول قبل الميلاد فتفتحوها على يد يوليوس قيصر القائد الشهير وما زالت في حوزتهم نحو خمسة قرون وقد تضعضعت دولة الروم فهاجمتها قبائل الجرمان من الشمال كما هاجمتها قبائل العرب بعد ذلك من الجنوب . والافرنج احدى قبائل الجرمان فتحوا غاليا هذه واستولوا عليها ويعرف حكامهم بعائلة ميروفي نسبة الى اول من تولاها منهم . وتوالى الحكم في هذه العائلة الى الامس وقد افضى الأمر الى ملوك ضعفاء طمع فيهم وزراؤهم وأمراؤهم فانقسمت البلاد بينهم . ومن اقسامها اكيتانيا التي نحن فيها وآخر حدودها من الشمال نهر لوار ويحكمها الدوق

اود صاحبكم ثم اوستراسيا وراء هذا النهر وحاكمها شارل (قارله) وزير آخر ملوك الميروفية وكلاهما من قبائل الفرنك . ولكن كلا منهما ينظر الى الآخر بعين الحذر والاهالي ينظرون الى كليهما بعين المقت لعلمهم انهم انما يرغبون في فتح بلادهم للتمتع بها — ثم جئتم انتم والفتح اما لكم واما لهم . فالغاليون تحكمون في الحالين ولا يهمهم لمن تكون الغلبة من الجندين الا اذا راوا في احدهما مزية على الآخر بالنظر الى مصلحتهم وراحتهم ...

فلم يتمالك عبد الرحمن ان قطع حديثها بقوله « وبالطبع هم يفضلون الافرنج لانهم نصارى مثلهم »

فابتسمت سالمة وقالت « ليس الامر كذلك يا مولاي ... ان الدين لا دخل له في هذه الحرب وانما ساق قبائل الافرنج الى هذا الفتح حب السلطة والطمع في الكسب ولذلك فانهم اقتسموا البلاد بينهم فان اود حاكم اكيتانيا التي نحن فيها الآن يحاذر من شارل حاكم اوستراسيا كما قدمت ويخاف سلطانه وكل منهما يجتهد في تبغيض الآخر الى الاهالي — وهؤلاء يبغضون كليهما لانهم لم يروا من معاملتهم ما يشعرهم براحة لما تعلمونه من عادتهم في استعباد الرعية وابتزاز اموالهم وسائر قواهم — خلافاً للعرب عند اول الفتح فانهم لما فتحوا اسبانيا تركوا لاهلها الحرية في كل معاملاتهم ولم يتعرضوا لهم في شيء من دينهم وافضل امراء المسلمين في ذلك موسى بن نصير وابنه عبد العزيز وخصوصاً هذا الاخير ولو لم يعجلوا عليه رحمه الله لفتحت هذه البلاد على يده . اذ أحس الاسبان في ايامه انهم انتقلوا من الضيق الى الفرج لكنهم ما لبثوا ان ذاقوا مرارة الظلم من بعض الذين خلفوه من امراء المسلمين ثم افضت الامارة اليكم . ويلغني انكم سائرون على خطة ذلك الفاتح العظيم في محاسنة الناس وانصاف اهل الذمة ورعاية العهود معهم فيما يتعلق بكنائسهم ودياناتهم وقد تحقق لي ذلك الآن — فالغاليون اذا ضمنوا سلامتهم وسلامة اهلهم ومعائشهم على يد المسلمين فانهم يكونون عوناً لهم على الفتح . ولا تنس اليهود فانهم نصراء لكم في كل فتوحكم من اول ظهور الاسلام . فهؤلاء انما نصروكم لانهم تحققوا ما تنوونه من اسباب الراحة لهم وكذلك النصارى وغيرهم من اهل هذه البلاد . واما ما يبدو لكم من تجارات النصرانية والغيرة عليها فمحصور في طائفة الاكليروس ومن يهمهم نصرة الكنيسة من بقايا الرومان ومن انتمى اليهم من الغاليين . اما قبائل الافرنج فبينهم من اتخذ الدين ذريعة للسلطة وكسب الاموال كما فعل بعض قبائل البربر وغيرهم من جنودكم »

فلما سمع عبد الرحمن قولها تحقق سداد رأيها في ما شرع فيه من محاسنة اهل الذمة

وتوخي العدل والانصاف وقال « انت تعلمين اني فاعل ذلك من تلقاء نفسي فما الذي تعملينه انت في هذا السبيل ٠٠ ؟ »

قالت « اني اقدم نفسي للذهاب في اي مهمة تفرضونها عليّ والافضل على ما أرى ان اتقدمكم في البلاد التي تنوون المسير لفتحها فأغرس في قلوب اهلها الامتنان للمسلمين وسلطانهم و يساعدني على ذلك مبالغتكم في اكرام نصارى بوردو وطمأنة قلوبهم ومحاسنتهم واحترام شعائر دينهم والمحافظة على اعراضهم وارواحهم فاذا فعلتم ذلك هان عليّ اقناع اولئك ان المسلمين الفاتحين اهل حرمة وذمام يخافون الله و يعملون بالعدل وليس كما يتوهمهم بعض ذوي الاغراض ان المسلمين قساة القلوب لا دين يردعهم عن ارتكاب المحرمات ولا حنان في قلوبهم يمنعهم من الظلم والعسف [1] — وقد حمل الناس على تصديق ذلك ما كان يرتكبه بعض الذين كانوا يرافقون جند المسلمين لمجرد الرغبة في النهب والقتل ولم يكن أميرهم حكيماً عاقلاً مثل عبد الرحمن ليصلح ما يفسدونه مما رأيناه منه في هذا المساء ٠٠٠ »

فازداد عبد الرحمن اعجاباً بعقل تلك المرأة وغيرتها على المسلمين وقال « افعلي ما يتراءى لك واني فاعل بنصارى بوردو ما تريدينه فما الذي يرضيهم ٠٠ ؟ »

فقالت « انما يرضيهم في الدرجة الاولى المحافظة على شعائرهم الدينية واستبقاء كنائسهم ومعابدهم ثم رد اسراهم بالافتداء على جاري العادة ٠ وهناك امر ذو بال اوجه التفاتكم اليه وذلك ان بيع اسرى النصارى الى اليهود مما يسوء النصارى لما تعلمه من الضغائن بين الطائفتين وخصوصاً بعد ما ظهر من ممالأة اليهود لكم وتسهيل الفتح عليكم ٠٠٠ »

فقطع عبد الرحمن كلامها قائلاً « ولكن اليهود تجار تبيعهم الاسرى بالمال فمن اراد من اهل البلاد ان يفتدي اسيره افتداه منهم بالمال ٠٠ »

قالت « ولكن بعض اليهود يبتاعون الاسرى للتنكيل بهم تشفياً مما كان النصارى يسومونهم اياه من قبل وكثيراً ما كان اليهود يبتاعون الاسرى النصارى و يذبحونهم صبراً [2] فتجنب هذا الامر مستحسن في كل حال »

---

(١) رومي ج ٣ ورينو (٢) تاريخ التمدن الاسلامي ج ١

الفصل الثالث عشر

الآنية

ولم تتم سالمة كلامها حتى سمعوا قرقعة وضوضاء خارج الفسطاط ثم دخل بعض الغلمان وهو يقول « الامير هانئ » بالباب ومعه اناس يحملون اكياساً . . »

ثم دخل هانئ ووراءه عبيد يحملون اكياساً وأدوات وهو يقول «هذه ادوات الكنيسة لم نقدر على جمعها الا بعد شق الانفس لانها كانت قد تفرقت في اصحاب الغنائم» قال ذلك وأمر الرجال ان يفرغوا ما في الاكياس بين يدي الامير ولم تمض لحظة حتى امتلأ البساط بالشمعدانات والصلبان والكؤوس وفيها الفضة والذهب فضلاً عن اصناف من المعالق والصحون والصور المذهبة والمفضضة وقطع من الذهب اقتلعوها عن الصور الكبرى التي لم يستطيعوا حملها وعن جدران الهيكل واساطينه

فلما خرج الحملة ولم يبق في الخيمة الا عبد الرحمن وهانئ وسالمة التفت عبد الرحمن الى سالمة وقال لها « هذه هي الآنية فماذا نفعل بها ؟ »

قالت « أرى أن ترسلها الى اسقف الكنيسة في بوردو مع رجل يخبره ان نهب هذه الكنيسة حصل بغير ارادتك . ثم يعتذر له عن ذلك ويخبره ان الاسرى باقون الى مساء الغد في هذا المعسكر فمن اراد ان يفتدي اسيره افتداه ولا حرج عليه . وبعد رجوع الرسول اذهب انا الى الاسقف فاغتنم اعجابه برفق المسلمين وعدلهم واطلب اليه المساعدة في اقناع اهل البلاد الاخرى الواقعة في طريقكم الى نهر لوار بالمراسلة انّ المسلمين ارفق بهم من الافرنج بل هم يكونون في حوزة المسلمين احراراً في دياناتهم وعاداتهم ومحاكماتهم وقضائهم وسائر احوالهم كما كان اهل الاندلس في اول الفتح . . »

فلم يستطع عبد الرحمن ان يزيد على رأي سالمة كلمة واحدة ولم يزد الا اعجاباً بسداد رأيها وسعة اطلاعها فقال لها « فليكن كما تقولين وبالطبع يجب ان يبقى كل ما دار بيننا مكتوماً عن كل انسان غيرنا لئلا يفسدوا سعينا علينا » والتفت الى هانئ وقال له « اعهد الى رجل من خاصتك تثق بعقله وحسن اسلوبه ان يوصل هذه الآنية الى الاسقف ويبلغه هذه الرسالة »

ولم يكن هانئ اقل اعجاباً بسالمة من عبد الرحمن بل هو يفضله في ذلك بما في خاطره من امر ابنتها التي ملكت لبّه من اول نظرة فلما سمع رأيها استحسنه وزاد احترامه لها وحبه لابنتها وبادر في الحال الى رجاله حكَم الآتية وخرج لانجاز تلك المهمة

ثم نهضت سالمة والتمست من عبد الرحمن من يرسلها الى مقر ابنتها لتبيت هناك الى الصباح ثم تخرج لمهمتها . فاراد عبد الرحمن المبالغة في اكرامها فاسترجع هانئاً وقال له ادع لي رجلاً من خاصتك يشيع سالمة الى خباء النساء حيث تقيم ابنتها . »

فعدَّ هانئ تلك المهمة فرصة يجب اغتنامها فقال « ومثل هذه الفاضلة لا يليق في خدمتها غير الامراء .. اني ذاهب الى قرب ذلك الخباء فانا اشيعها اليه »

فاستحسن عبد الرحمن شعور هانئ في احترام سالمة تشجيعاً لها فابتسم وقال « بورك فيك .. انها اهل لفوق ذلك ... »

فمشت سالمة في أثر هانئ وظل عبد الرحمن وحده وقد بهره ما شاهده في ذلك المساء من الغرائب وتوسم خيراً بنجاح حملته وزاد رغبة في تفقد جنده والسهر على جمع كلمته

الفصل الرابع عشر

الخباء

اما مريم فانها خرجت مع خادمها حسان من خيمة الامير عبد الرحمن والغلام دليلهما الى الخباء كما تقدم . وكان الليل قد نصب سرادقه فمشت مريم وفكرها مشتغل بهانئ واحست بجاذب يجذبها نحوه لا تدري ما هو . وقد ذهب من خاطرها ما كانت تسمعه من والدتها عن اهمية مستقبلها وان كانت في الواقع لم تسمع منها شيئاً صريحاً بهذا الشأن . ولكنها كانت تحملها على اتقان التلفظ باللغة العربية وتعليمها ركوب الخيل وفنون الفروسية وسائر الالعاب الرياضية حتى تخشنت عظامها وقوي عضلها وشبّت على الحمية وعزة النفس والشجاعة ولكن اللطف النسائي ما زال غالباً على طبيعتها وانما زادتها تلك الرياضة صحة واكتسب وجهها رونقاً واشراقاً

مشت في اثر الغلام وبجانبها حسان يتوكأ على عكازه بنشاط وخفة وقد تزمل بقبائه

وعلى رأسه قبعة (طاقية) قد لصقت من كل اجزائها براسه وكان رأسه حليقاً فظهرت كانها جلد ثانياً له . فمروا في اثناء الطريق بجماعات من الرجال كل جماعة من قبيلة بعضهم في الخيام والبعض الآخر في ما بينها وقد علت الضوضاء . وأكثر ما يُسمع من اصوات الرجال عبارات الاختصام على قسمة الغنائم وخصوصاً ما كان فذاً ثميناً من الاثواب الموشاة او الآنية الذهب او الفضة او الادراع او الطنافس فربما افضى الخصام في بعضها الى تجزئتها الى قطع وتفريقها في المختصمين واجزاؤها لا تفيدهم شيئاً . وكانت مريم تسمع اصوات الامراء يهددون رجالهم او يوبخونهم ولا تسل عن قلبها لما سمعت صوت هانئ في خيمته على بضع خطوات منها وهو يخاطب بعض الناس لاقناعهم بتسليم آنية الكنيسة عملاً باشارة عبد الرحمن . فلما سمعت صوته اختلج قلبها في صدرها وودت لو انها تقف هناك برهة تسمع حديث حبيبها وتستأنس بصوته وتمنت لو ان الخباء على مقربة لعلها اذا خرج هانئ من هناك يمرُّ بها . فنادت الغلام وسألته عن موقع الخباء فقال « انه خارج هذا المعسكر يامولاتي »

قالت « وهل هو بعيد من هنا »

فتطاول الغلام بعنقه وهو ينظر نحو الافق ثم قال « ان الخباء يا سيدتي بقرب هذه النار » واشار باصبعه الى نار موقدة وراء حدود المعسكر

فنظرت مريم فاذا هي لا تزال بعيدة عن المكان فقالت « ولماذا جعلوا الخباء بعيداً بهذا المقدار »

قال « لانهُ دار النساء والعادة في هذه الدور ان تقام خارج المعسكر ومتى وصلنا الى هناك ترين اخبية عديدة لنساء الامراء والقواد وغيرهم من رجال الجند . ولولا من يقوم بخدمتهن من الخدم والخصيان والعبيد لحسبت نفسك في مدينة من النساء

فصبَّرت مريم نفسها وسكتت وهي تجدُّ في المشي وحسان ماشٍ وهو ساكت كأنهُ استأنس بصوت خفق نعاله ووقع عكازه على الحجارة . حتى اذا خرجوا من المعسكر سمعت عند خروجهم اصواتاً آتية من اطراف المعسكر تشبه ان تكون تهديدية فاجفلت وتراجعت فطمأنها حسان وهي اول مرة نطق بها في اثناء الطريق فقال « لا تخافي يا بنية ان خفراء الجند يطلبون منا شعار الليل فاذا لم نجبهم به استغشونا »

فقالت « وكيف ذلك ... ؟ وما هو الجواب »

قال « هو عند هذا الغلام » والتفت اليه ليسأله فاذا به يقول بصوت عالٍ جواباً

على ما قاله الخفراء • طليطلة وقرطبة • فتحول حسان نحو مريم وقال • هذا هو شعارهم الذي يتعارفون به اليوم • فسكت الخفراء ومشت مريم وحسان في أثر الغلام حتى انتهوا الى الاخبية فسمعوا من خفرائها مثل ذلك النداء فاجابوا عليه مثل ذلك الجواب • وتحوّل بهم الغلام الى خباء منفرد امامه نارٌ عظيمة فعلمت مريم انه الخباء الذي هي آتية اليه • فلما دنت منه رأت الخدم ببابه وفيهم البيض من الصقالبة الذين يباعون في تلك البلاد والسود الزنوج الذين رافقوا الحملة من افريقيا واكثرهم من الخصيان • ولما اقبلت مريم على الخباء تأملت في بنائه فاذا هو عبارة عن بناء من نسيج احمر متين مربع الشكل قائم على اعمدة من الخشب محيطة بالقماش • وربما بلغت مساحة الخباء خمسين ذراعاً في خمسين يكتنفه سور من ذلك النسيج مسندٌ بالاعمدة ومشدود في الارض بالاوتاد والامراس • وسقف الخباء عبارة عن قبة كبيرة من ذلك النسيج قائمة على عمد متينة وقد قسم الخباء داخل السور الى غرف واقبية يفصل بينها جدران من نسيج اخضر مسندة بالعمد ايضاً

وهي تتأمل في ذلك البناء اذ اقبل عليهم رجل من خصيان الخباء ابيض اللون عرفت مريم من سحنته انه صقلبيٌ فاستقبله الغلام وتعارفا وتفاهما • وكأن الغلام افهم الخصي المهمة التي هو قادم بشأنها فتركهُ وهو يقول بلسان عربي تخالطهُ عجمة • اني ذاهب الى القهرمانة قيمة الخباء استقدمها لاستقبالها • ومضى حتى دخل الخباء فوقفت مريم وحسان والغلام في انتظاره ثم عاد وهو يقول • تفضلي يامولاتي بالدخول وبقي خادمك منا في اكرام ورعاية •

فمشت مريم وقد التفت بثوبها الاسود واصلحت نقابها الاسود وتعهدت شعرها استعداداً لاستقبال القهرمانة قيمة الخباء • فدخلت باب الخباء في أثر الخصي فرأت نفسها في دهليز انتهت منهُ الى شبه قاعة فيها مصباح منارٌ بالزيت قد علقوه بحبل في سقف الخباء بين عامودين من أعمدته لم تشك مريم انه من مصابيح بعض الكنائس في البلاد التي فتحوها • وأرض الخباء مفروشة بابسطة ثمينة وفيها معظم مايحتاجون اليه من الآنية الضرورية كان اهله مقيمون هناك منذ اعوام

فلما دخلت القاعة سبقها الخصي واخبر القهرمانة فتقدمت لاستقبال ضيفتها • وكانت القهرمانة كبيرة الجثة ثقيلة الحركة عريضة الوجه كبيرة العينين خشنة الصوت متدلية الخدين من الكبر غليظة الشفتين قد نبت على شفتها العليا وحول ذقنها شعر متفرق مستطيل

وقد غطت صدرها وعنقها بالقلائد والعقود وفيها الذهب بين مرصع وغير مرصع وحول زنديها الاساور والدمالج وفي أذنيها الاقراط وفي رجليها الخلاخل حتى يكاد الناظر اليها وهي تمشي وتتوكأ على وركيها يتوهم انها تنوء تحت اثقال تلك الحلى مع ان دلائل القوة ظاهرة في كبر وجهها ووضوح تقاطيعها • وكان بينها وبين عبدالرحمن قرابة نسائية وقد القى اليها مقاليد خبائه وفوضها في تدبير شؤون نسائه وجواريه وفيهنّ القوطيات والصقليات والروميات والبربريات وغيرهن • فلما رأت مريمَ وما هي فيه من الجمال والهيبة أحبتها واستخفت روحها فاستقبلتها ورحبت بها وخصوصاً بعد ان علمت برغبة عبد الرحمن في اكرامها • وكانت مريم قد استوحشت من منظر تلك القهرمانة فلما سمعت ترحابها استأنست بها وهمت بتقبيل يدها فامتنعت وقالت لها « أهلاً بك ياحبيبتي ما اسمك ‥ ؟ »

قالت « مريم » ولفظت الراء غيناً

فاستلطفت تلك اللثغة منها ودعتها الى الجلوس على البساط ثم دعت بعض الخدم فجاؤها بالطعام وكانت لم تذق طعاماً من صباح ذلك اليوم فأكلت ثم جلست والقهرمانة تحادثها وتسألها اسئلة كثيرة ومريم تجيبها وهي مشتغلة البال بما جال في خاطرها من أمر هانيء وكلما تذكرته خفق قلبها وتسارعت ضرباته • فلما رأتها القهرمانة قلقة منقبضة حملت ذلك منها محمل الاستيحاش وتذكرت ما اوصى به عبدالرحمن من اكرامها ففكرت في سبيل تستأنس هي به • وبعد اعمال الفكرة مدة ومريم صامتة قالت العجوز « يظهر ان حديث العجائز لم يرق لك وقد أوصاني الامير باكرامك ورعايتك ولعل من اسباب استيحاشك قرب عهدك من الاسر ويسوؤك انك أخذت من اهلك فاعلمي انك تكونين عندنا كانك بين أهلك • واني داعية لك من نساء هذا الخباء امرأة أصلها من أهل هذه البلاد وقد تعلمت العربية وهي بارعة في الجمال ولها منزلة رفيعة عند الامير فاظنك اذا لقيتها استأنست بها » قالت ذلك وصفقت فدخل خصيٌّ من الصقالبة وتأدب في موقفه فقالت له « قل لميمونة ان القهرمانة تدعوكِ اليها » فخرج الخصي فالتفتت القهرمانة الى مريم وقالت « أظنك ستستأنسين بميمونة لانها من أعز اهل هذا الخباء على الامير وهي في الاصل من جواري لمباجة بنت الدوق اود صاحب هذه البلاد • أظنك تعرفين حكايته مع المنيذر الافريقي احد أمراء المسلمين الذي كان والياً في الجبال على حدود اسبانيا وكان قد أبرم مع الدوق اود معاهدة لا اعرف فحواها ولكننا علمنا ان أود ازوج ابنته

للمنيذر المذكور فخاف أميرًا عبد الرحمن من خفايا ذلك الاتفاق ففرَّ بالجبال وهو قادمٌ لهذا الفتح وقتل المنيذر واغتنم الجند أمواله ونساءه وارسلوا امرأته لمباجة الى الخليفة في دمشق • فكان من نصيب الامير عبد الرحمن ميمونة هذه • ويقال انها كانت أعز جواري لمباجة اليها وأشبههن بها جمالاً وقدًّا وتعقلاً وستريها الساعة »

الفصل الخامس عشر

ميمونة

ولم تتم القهرمانة كلامها حتى دخل الخصي ولم يتكلم فعلمت ان ميمونة قادمة في أثره • ثم دخلت ميمونة وعليها ثوب ارجواني واسع الكمين طويل الاردان يجرُّ وراءها مع طول قامتها واعتدالها ولها شعرٌ ذهبيٌّ طويل قد ضمته حزمة واحدة وأرسلته على ظهرها ولو تأملته جيداً لرأيت لونه يختلف باختلاف الجهة التي تنظر اليه منها • فاذا نظرت اليه وأنت تستقبل وجهها رأيته ذهبياً ناصعاً واذا تفرست فيه وأنت الى جانبها رأيت فيه ميلاً الى الشقرة اللامعة • ومع ذلك فقد كانت سوداء العينين واسعتهما طويلة الاهداب سوداءها • وترى في عينيها لمعاناً يدلُّ على الغنج والدهاء أكثر مما يدلُّ على الصدق والوفاء • وكانت صغيرة الانف مطبقة الفم رقيقة الشفتين بارزة الذقن عريضته بيضاء البشرة وخصوصاً العنق مع صفاء اللون • فلم تتمالك مريم عند وقوع نظرها عليها من الاعجاب بما يتجلى في وجهها من الهيبة والجمال ورأت نفسها مطالبة متقبضة بما التفت به من الكساء الاسود

فلما دخلت ميمونة ووقع نظرها على مريم هشت لها وابتسمت ابتسامة الغنج لها قلب الفتاة وأحست لحال بأنس انساها ما كانت فيه من القلق واجابتها بابتسامة يتوسم المتفرس فيها غير ما يتوسمه بابتسامة تلك ولا يميز ذلك الا الناقد البصير • دنت ميمونة من مريم وحيتها ورحبت بها كأنها كانت على موعد من لقائها او كأنها كانت تعرفها من زمان طويل • فازدادت مريم استئناساً وطمأنينة ونسيت ما سبق الى ذهنها من التهيب عند مقابلة القهرمانة • اما هذه فانها حال دخول ميمونة خاطبت مريم قائلة « هذه ميمونة التي اخبرتك عنها الساعة فأرجو ان تستأنسي بها وترتاحي الى مجالستها » واشارت الى مريم وقالت

«وهذه ضيفة الامير عبد الرحمن قد بعث الينا بها واوصانا برعايتها»

فجلست ميمونة بقرب مريم وهي تقول «اهلاً بالضيفة الكريمة من اين اتيت ياحبيبتي» قالت ذلك بكلام عربي تخالطه لهجة الافرنجية فتسمت مريم من محل سحنتها ونسق كلامها انها افرنجية الاصل كما قالت لها القهرمانة فأجابتها «قد كنت في جملة اهل بوردو الذين قضي عليهم بالوقوع في اسر هذا الجند»

قالت «هل قبضوا عليك وحدك وليس معك احد من اهلك ٠٠؟»

قالت «كلا · ولكنهم قبضوا على والدتي ايضاً وخادم شيخ غادرته مع جملة خدمة هذا الخباء خارجاً»

قالت «اراك تتكلمين العربية جيداً وتقولين انك من اهل بوردو فكيف ذلك ٠٠؟»

قالت «لا ادري السبب ولكن هذا هو الواقع» قالت ذلك وهي تعلم ان والدتها لا تريد التصريح باكثر منه

فقالت «وهل قتل ابوك في هذا الفتح؟»

قالت «كلاّ»

فقالت «وهل أُسر؟ او فرّ ٠٠؟»

فسكتت واومأت برأسها ان «لا هذا ولا ذاك»

فأدركت ميمونة ان والدها ميت من قبل لكنها لم تكتفِ بذلك فقالت «وما اسم والدتك لعلي اعرفها»

قالت «اسمها سالمة»

قالت «هي اذاً عربية»

قالت «لا ادري»

وكانت ميمونة في اثناء تلك المحادثة تتفرّس في وجه الفتاة وتستفز ذاكرتها لتستحضر صورة مثل صورتها اذ خيل لها انها تعرفها من قبل واطالت السؤال لعلها تستدل على ذلك من كلامها فلما رأتها قطعت الحديث بقولها «لا ادري» عدلت عن زيادة البحث والتفتت الى القهرمانة فرأتها قد دلّت رأسها على صدرها ونامت واخذت في الشخير فقالت لمريم «هلمّ بنا الى غرفتي فتمكثين عندي في اثناء هذه الضيافة»

فأطاعتها مريم ونهضت معها وتحولتا الى غرفة من غرف ذلك الخباء فجلستا هناك وقد

عادت ميمونة الى الالتفات ذاكرتها لعلها تستحضر صورة ذلك الوجه واين شاهدته ومريم في غفلة عن ذلك وفي شاغل مما عاد الى ذهنها من الهواجس بشأن هاني، وما غادره في فؤادها من لواعج الحب فغلب الانقباض عليها وبدت في وجهها ملامح الاضطراب

خلتا صامتتين مدة وكل منهما في هاجس واذا بصوت القهرمانة يقرع الآذان وهي تنادي « ميمونة . . . مريم . . »

الفصل السادس عشر

سرّان

فذعرتا وخافت ميمونة من غضب القهرمانة لئلاّ تعدَّ خروجها من عندها على تلك الصورة ذنباً فتشكوها الى الامير او تسيء معاملتها لانها الآمرة الناهية على اهل ذلك الخباء — والقهرمانات نفوذ عظيم في بيوت الامراء والخلفاء والسلاطين في كل العصور واذا كان الامير او الخليفة ضعيفاً اصبحت القهرمانة صاحبة الامر والنهي حتى في اعمال الحكومة تعزل وتولي وتقبض وتطلق كما تشاء — فلما سمعت ميمونة نداءها نهضت للحال فنهضت مريم معها ومشتا نحو القاعة ودخلتا واذا هناك امرأة بلباس اسود يجللها من رأسها الى قدمها فحالما رأتها مريم علمت انها والدتها فتقدمت اليها وسلمت عليها فقبلتها سالمة اما ميمونة فلم تكد تتفرس في وجه سالمة حتى انجلت لها الصورة التي كانت تستحث الذاكرة في استحضارها فبدت في وجهها امارات الاضطراب والبغتة ولكنها تغلبت على عواطفها وتقدمت للسلام على سالمة وهي تهشُّ لها وترحب بها . اما سالمة فحالما وقع نظرها على ميمونة عرفتها فخفق قلبها دهشة لانها لم تكن تتوقع ان ترى ذلك الوجه هناك ولا في كل اوربا فردَّت السلام عليها ببرود وهي تتفرس في وجهها لتحقق ظنها فيها وميمونة تغالطها بعبارات الترحاب والمجاملة والممازحة كقولها« لقد سرَّني كونك هنا سروراً مزدوجاً لسببين الاول اني استأنست بك وفرحت لفرح حبيبتي مريم بك وان يكن لم يسبق لي حظ بمعرفتك والثاني لان نداء خالتي القهرمانة لم يكن من غضب عليَّ . . » قالت ذلك وضحكت وتشاغلت باصلاح شعرها هنيهة ثم عادت الى الكلام وهي تلاعب كمَّ ثوبها وتضحك وعيناها تبرقان وقالت« فرحباً بك لقد اتيت اهلاً ووطئت سهلاً فعسى ان تقضي مدة اقامتنا هنا معاً بسرور »

ثم وضعت ميمونة يدها على كتف مريم كأنها تحاول ضمها اليها وقالت « ولا تلوميني اذا علقت بحب ابنتك من اول نظرة فأنها تمشق بما خصها به العناية من الالطاف والجمال فلا غرو اذا لاقت من الامير عبد الرحمن هذه العناية والاكرام ...»

وكانت ميمونة تتكلم وهي تضحك وتتلاطف وسالمة تحدق فيها وتتبين لهجة كلامها وغنة صوتها لتتحقق ظنها في معرفتها واستغرقت في التفكر وتحيرت في الذي تعمله بعد ان علمت حقيقة تلك المرأة التي سمت نفسها ميمونة وليست هي ميمونة وتظاهرت بأنها من جملة نساء ذلك الجند الداعيات بدعوة المسلمين وقد تكون بلا كبير أهل الجند وأهله. فتحيرت سالمة بين ان تكشف امرها وتبين لها انها عرفتها او تكتم خبرها وتتجاهل . على انها لحظت من الجهة الاخرى ان ميمونة عرفتها وعرفت حقيقتها فخافت ان تبوح بها الى احد وهي تود بقاء أمرها مكتوماً كما علمت فعزمت على التجاهل موقتاً لترى مايكون فقالت « انه ليسرني أيضاً ان تكون ابنتي في حجر اخت حنونة مثلك وفي رعاية الخالة ايدها الله » قالت ذلك وأشارت الى القهرمانة

فضحكت العجوز حتى بانت لثتها وما فيها من الاسنان القواطع الا اثنتان واحدة في الاعلى والاخرى في الاسفل وبينهما ثغرة مربعة الشكل ثم قالت « ان ابنتك ياسالمة ضيفة عندي وما للضيف غير الكرامة وليست هي من نساء هذا الخباء اوسراريه او جواريه ليجري عليها الامر والنهي ..»

فقطعت سالمة كلامها قائلة « لا اعدها الا تحت أمرك واذا شئت ان تعديها ابنة لك كان ذلك من زيادة فضلك » فهمت القهرمانة بالوقوف وهي لثقلها لاتستطيع النهوض الا بالاعتماد على يديها والزحير والتوكؤ كأنها تحمل حملاً اثقل كاهلها. فلما قاربت الوقوف قالت « هي ابنتي واعز من ابنتي ولذلك فاني عهدت برعايتها الى احب اهل هذا الخباء الى الامير عبد الرحمن » وأشارت الى ميمونة

فأتمت ميمونة عبارتها قائلة « كوني مطمأنة ياسالمة فان مريم تكون عندنا كانها في حجرك ومن يستطيع ان يرى هذا الوجه ولا يحبه ويتعشقه . ولا يغرك مجيئها الينا باسم الضيفة فان الامير لايلبث ان يراها حتى يتعلق بها ويود استبقاءها عنده فيزيد بذلك سرورنا ونفرح ببقائها بيننا » قالت ذلك ونظرت الى مريم وتبسمت

فلما سمعت مريم ذلك بدت البغتة في وجهها وخافت ان يصح قولها فتخسر حبيبها وتضيع آمالها فتصاعد الدم الى وجهها حتى اصطبغ واطرقت . فظنت ميمونة انها اطرقت

حياء على عادة البنات اذا خوطبن بمثل ذلك

فقطعت القهرمانة كل حديث بقولها « هلمَّ الآن الى الرقاد فقد مضى معظم الليل » ثم صفقت فخالط صوت الصفيق خشخشة الاساور والدمالج وجاء احد الخصيان فقالت له « اعدد غرفة خاصة بالضيفتين »

فقالت ميمونة « اجعليها بقرب غرفتي ان لم تكن هي نفسها لاني قد استأنست بالحبيبة مريم وهي استأنست بي » فأشارت القهرمانة الى الخصي ان يفعل

الفصل السابع عشر

العقد

وبعد قليل عاد الغلام وقال انه اعدَّ كل شيء فانصرفوا جميعاً وسارت سالمة ومريم في أثر الغلام نحو الغرفة وقبل ان تصلا اليها سمعتا صهيل فرس اختلج له قلب مريم اختلاجاً متسارعاً لانه يشبه صهيل ادهم هانيء فلم تتمالك ان سألت والدتها قائلة « كأني اسمع صهيل فرس الامير هانيء فهل هو هنا ؟ »

قالت « لقد جاء معي الى هذا المكان وكنت احسبه عاد حالاً لانه سائر في مهمة ذات بال تتعلق باسقف بوردو فالظاهر انه في شاغل موقت هنا ثم ينصرف »

فتوسمت مريم من بقائه هناك خيراً وحدثها قلبها على انه انما بقي لمشاهدتها فاشتغل خاطرها في ذلك وظهر الارتباك في وجهها ولو تفرست امها فيها لرأت في عينيها ارتباكاً وتفكيراً وقلقاً ولكنها لم تنتبه لشيء من ذلك لانشغالها بأمر نفسها واستعدادها للمسير في الغد الى بوردو

أما القهرمانة فلما خلت بنفسها اخرجت من جيبها منديلاً مصروراً على شيء في داخله ومشت نحو المصباح وفتحت المنديل وأخرجت منه عقداً من اللؤلؤ باسلاك من الذهب وفي وسط العقد صليبٌ من الذهب مرصع بالياقوت والالماس على شكل بديع فوضعت العقد على كفها وأخذت تقلبه وهي تبتسم وتقول في نفسها « لابد من غرض لهانيء باهدائه هذا العقد لي والا فليس في وجهي ولا في قامتي مايدعو الى الشغف او العشق ولا هو يحتاج الى وساطتي لدى عبد الرحمن لانه صاحب الكلمة النافذة عنده »

ثم امسكت العقد بأحد طرفيه بين اصبعيها ورفعته امام المصباح فأبرق الصليب بما فيه من الحجارة الكريمة فقالت « لاشك ان هذا العقد من جملة ما اصاب هانئ من الغنائم في واقعة اليوم فلا يهمه خروجه من يده ولكن لابد له من غرض في اهدائه » ثم انتبهت بغتة وقالت في نفسها « عرفت غرضه • ولا بأس به » ثم صفقت فدخل غلامها فقالت له « قل للامير هانئ يوافيني الى غرفتي من بابها الخارجي — خذ بيده الى هناك •• » قالت ذلك وأرجعت العقد الى جيبها ومشت نحو الغرفة وهي تتوكأ وتتدرج فوصلت اليها قبل هانئ بعض ثوان فجلست على وسادة بجانب جدار الخباء ثم أقبل هانئ وعلى رأسه بدل العمامة خوذة من الفولاذ وقد ارخى العباءة فانفتحت عن صدره فبانت الدرع من تحتها وحول خصره حمائل يتدلى منها سيفه المعهود — دخل مسرعاً حتى اقترب من القهرمانة وهي جالسة لم تتحرك ولكنها قالت له « مرحباً بالامير هانئ — تفضل اجلس »

قال « لاصبر لي على الجلوس ياخالة لاني ذاهب في مهمة مستعجلة وقد أحببت ان أراك قبل ذهابي »

قالت « بورك فيك يابني فهل من حاجة أقضيها لك ؟ »

فتبسم هانئ وقال « لي حاجة سهلة جداً لا أظنك تضنين بها عليّ »

قالت « وما هي »

قال « أرأيت مريم ؟ • أحب ان أراها واخاطبها ساعة بحضورك حتى تكوني على بينة من سلامة نيتي »

قالت « الآن ؟ »

قال « كلاً • غداً صباحاً بعد ذهاب والدتها •• لاشك انك تجيبين سؤلي وليس فيه مايخشى منه »

فتنحنحت القهرمانة وضحكت وأشارت بعينيها أنها تفعل مايريده فهمّ بيديها ليقبلها فتمنعت فخرج وانصرف

اما مريم فقد تركناها ذاهبة مع والدتها الى المضجع وهي غارقة في بحار الهواجس ووالدتها لاتخاطبها فوصلت الى الغرفة هي عبارة عن حجرة جدرانها من القماش وفي ارضها بساط وعليه فراش وعلى أحد جدران الحجرة ركوة لشرب الماء معلقة بخيط فجلستا على الفراش ومريم لاتزال ساكتة فلما استقر بهما الجلوس قالت سالمة « نحمد الله يابنية على نجاتنا من هذه الواقعة ونجاحنا في اقناع أمير هذا الجند بما نريده وفيه خيرٌ وخير

هذه البلاد — فاعلمي يامريم اني ذاهبة في صباح الغد الى اسقف بوردو وربما ابقى عنده يوماً او يومين لقضاء بعض المهام فهل يشق عليك هذا الفراق ؟ »

فقالت مريم « ولماذا هذا الغياب وما هي تلك المهام التي تقتضي أياماً للفراغ منها — وانا لم افارقك قبل اليوم مطلقاً فهل استطيع البقاء وحدي بين أناس لا أعرفهم ... فاتركي عندي حساناً فاني استأنس به »

قالت « اني في حاجة اليه في هذه المهمة .. والاَّ فان غيابي يطول كثيراً »

قالت « لقد شغلت بالي ... هل تقولين لي سبب ذلك الغياب ؟ »

قالت « لا أخفي عنك يابنية اني اتفقت مع الامير عبد الرحمن على ان أكون واسطة بينه وبين الغالين سكان هذه البلاد الاصليين على شرط ان يعاملهم بالرفق والاحسان كما عامل موسى بن نصير وابنهُ عبد العزيز نصارى الاندلس عند فتحها وانا ذاهبة في صباح الغد الى اسقف بوردو فالاقيه بعد ان تكون الآ نية قد وصلته واعتقد صدق أمير المسلمين فاستميله واستميل سواه من سراة هذه المدينة في اقناع سراة البلاد الاخرى واساقفتها وكهنتها ان المسلمين خيرٌ لهم من أود وغيره من أمراء الافرنج . وانا اعتقد انهم اذا وافقوني على ذلك أفلحوا .. واعلمي يامريم اني كاشفتك بسرٍ يجب ان يبقى مكتوماً عن كل انسان »

ولم تكن مريم تهتم بهذا الحديث مع اهميته لما جاش في خاطرها من امر هانيء وودت لو انها تعود الى ذكره لعلها تستطلع شيئاً من امره . ولكنها لم تستطع ذلك لان والدتها نهضت الى تبديل ثيابها التماساً للرقاد فسايرتها مريم وذهبت الى فراشها ولكنها لم يغمض لها جفن معظم ذلك الليل وهي تتوقع ان يناديها هانيء او يناديها احدٌ عنه فلما طال انتظارها يئست من ذلك

الفصل الثامن عشر

دسيسة

اما ميمونة فانها ذهبت الى مضجعها بازاء مضجع سالمة لا يفصل بينهما الا الجدار وكانت مشتغلة الخاطر بما شاهدته من سالمة وعلمت انها لم تدخل ذلك المعسكر الاَّ لامر هام فتظاهرت بالسكون واصغت لما عساه ان يدور من الحديث بين سالمة وابنتها فسمعت ما دار

بينهما فلما اطلعت على السر همها امره كثيراً لانه يحول دون الغرض الذي راقت تلك الحيلة من اجله فباتت وهي تدبر الحيل وتهيء نصب الشراك

وقبل ان ينبلج الصباح نهضت ميمونة من فراشها وتزملت بردائها وتظاهرت بالخروج الى خباء بالقرب من خباء الامير وكانت على موعد في كل صباح من ملاقاة رجل من الجند زعم انه كان من غلمانها يوم كانت بمية الجاجةفي ايام الميذر الافريقي . فرأت في اثناء خروجها فارساً قادماً من جهة المعسكر عرفت من قيافته ولون جواده انه هانئ؛ فاستغربت قدومه في ذلك الصباح فلما توارى عن بصرها ذهبت الى موعدها فمكثت هناك حتى جاءها الرجل وهو بزي عليه ثياب افراد الجند قصير القامة خفيف الشعر خفيف العضل في نحو الثلاثين من عمره وفي عينيه حول شديد فاذا نظر اليك يوهمك انه ينظر الى رجل على مسافة بعيدة منك — فلما أقبل عليها ابتسم واشار بحاجبيه وبعينه الشاردة انه في شوق شديد الى رؤيتها وانه قتيل هواها

فابتسمت ميمونة له واظهرت الدلال وقالت له « يظهر يا عدلان انك نسيت سيدتك وتغافلت عن وعودك كأن الغنائم شغلتك عن ميمونة وفتنتها تنسى مثلك »

فاعجبه ذلك العتاب واستدل من ورائه على ماله من المنزلة عند تلك الحورية ربة الجمال والغنج — وقد كان مع علمه بما بينه وبينها من البعد الشاسع طامعاً بحبها وانما يقنعه من ذلك الحب ان يسمع مثل تلك العبارة فهو من قبيل ما يعبرون عنه بأذناب العشاق . لان العشاق ثلاثة عاشق لا يقنع بغير الحب المتبادل الذي يملأ القلبين ومريشق يقنعه ان يقدم لمعشوقته طاقة من الازهار او عقداً من الجوهر ويكفيه منها قبول هديته ولا مطمع له بما وراء ذلك وذنب العشاق وهمه ان يخدم معشوقته خدمة تروق لديها كايصال كتاب او حمل عتاب او ابتياع بعض حاجيات الطعام او نحو ذلك — وكان عدلان من النوع الثالث وقد جعله يعشقها و يستهلك في خدمتها ما كانت تبديه له من التلطف حتى اطلعته على بعض سرها وماطلته بالرضاء التام حتى يتمم لها خدمة وعدها بالقيام بها منذ تشتت شملها بقتل الميسر الافريقي الذي ذكرناه في غير هذا المكان — فلما سمعها تعاتبه وتستعطفه ابتدرها بالجواب وهو ينظر الى وجهها الجميل نظر الحب الولهان فقال « كيف تقولين ذلك يا مولاتي وانت تعلمين استهلاكي بخدمتك منذ اعوام واما الغنائم فلا يخفى عليك ما تركه اولئك العرب منها وخصوصاً اليوم فانهم بعد ان فرقوا الغنائم فينا عادوا فاسترجعوها واعادوا الامير بسطاماً اعانة ليس بعدها اعانة »

قالت « الامير بسطام ؟ وكيف تركته يقبل بذلك ولم تحرضه على المطالبة بحقه .. الى متى هذا الذل ؟ »

قال « لقد حرضته ولكن غريمه صعب لا ينال .. »

قالت « ومن هو غريمه .. »

قال « هو الامير هاني نفسه والعلك رأيتهِ قادماً في هذا الصباح الى هذا الخباء .. »

قالت « نعم رأيته وما غرضه فيه »

قال « غرضه تلك الفتاة الجميلة التي بعثها الامير عبد الرحمن اليكم بالامس فانها غنيمة الامير بسطام وقد اخذها الامير هاني رغم انفه وساعده الامير عبد الرحمن على ذلك »

فقالت « وهل هي رضيت بهذا العربي وفضلته على ذلك الامير ؟ »

قال « يظهر انها احبت هانئاً وتعلقت به .. »

فأدركت ميمونة ان الحب قد تمكن بين مريم وهانيء وان هانئاً انما جاء في ذلك الصباح لمقابلتها فرأت ان تغتنم تلك الفرصة وتدس الدسائس وتوقع الخصام بين الاميرين فقالت «وهل رضي بسطام بهذا الذل . كيف يرضى ان تخرج فريسته من بين يديه ويصبر على الهوان .. ؟ اذا قبل هو بذلك فانا لا اقبل له به . هل لك ان تخبره اني باذلة اقصى جهدي في ارجاع هذه الفتاة اليه ؟ قل له ذلك كما تعلم من غير ان يشعر هو بما دار بيني وبينك . هل فهمت يا عدلان ؟ انه يسوؤني ان يستأثر هؤلاء العرب بالطيبات ويحملوكم الاثقال والاخطار فتقتحمون لهم الحصون وتجمعون لهم الغنائم فلا يصيبكم غير التعب والشقاء . ولكن لا بأس سوف ترى مني ما يسرك » ثم رأت وهي تخاطبه فارساً خارجاً من خباء الامير عرفت من سواد ثيابه انها سالمة ذاهبة في مهمتها وتحققت ذلك من مسير حسان في ركابها وهو يعدو بين يديها فعلمت ان هانئاً سينتظر بعد ذهاب سالمة بلقيا مريم فقطعت ميمونة حديثها مع عدلان بقولها « فاذهب انت الآن بحراسة الله» قالت ذلك وتحولت نحو الخباء على عجل وظل هو واقفاً ينظر الى قامتها ويتمتع بمنظر ذلك الشعر الجميل حتى اذا كادت تتوارى التفتت نحوه وابتسمت فأحس كأنها ملكته الارض زماماً عليها فخفق قلبه ابتهاجاً وعاد

اما هي فلما ايقنت بوقوع التنافر بين هانيء وبسطام عادت الى اعمال الفكرة للايقاع بين هانيء وعبد الرحمن لئلا يتم لهما قياد امر ذلك الجيش الكبير لعلمها ان فوزه انما يقوم باتحاد هذين الاميرين . وكانت قد علمت ان عبد الرحمن انما ارسل مريم الى الخباء لتكون

في مأمن من سواه وقدّرت ان « حب » هانيء لمريم يسوء عبد الرحمن فعزمت على ايقاد نيران الغيرة بينهما فسارت توّاً الى غرفة مريم فلم تجدها وبحثت عن القهرمانة فقيل لها انها في غرفتها فتحقق ظنها فعادت الى غرفتها مسرعة وقد خطرت لها حيلة ظنت انها تنال بها أربها فنادت غلاماً من غلمان الحباء كان في الاصل من غلمان الثيذر الافريقي وأخذ في جملة من أخذ من الاسرى وأصله من الافرنج الذين اتوا مع لباجة بنت اود يوم تزوجها الثيذر ولما أخذت ميمونة ظل هو في جملة الخدم وقد استبقته هي لاستخدامه في اغراضها عند الحاجة . فلما جاء الغلام قالت له « اسرع يا داود الى الامير عبدالرحمن هل لك أجنحة تطير بها اليه ؟ »

قال « نعم يا مولاتي »

قالت « طِرْ اليه على عجل وقل له ان ميمونة تقرئك السلام وتقول لك بادر الينا الآن لامر هام تريد أن تطلعك عليه في هذه الساعة .. »

فقال « حبّاً وكرامة » وتحول وسار وهو يثب كالغزال النافر يطلب المعسكر وجلست ميمونة في مكان ترى منه كل من يخرج من الحباء

الفصل التاسع عشر

لقاء الحبيبين

اما هانيء فانه جاء الحباء باكراً كما رأيت لشدة شوقه الى لقاء مريم ولانه نام كثيراً في ذلك الليل فوصل غرفة القهرمانة فاستقبلته واستمهلته ريثما تنصرف سالمة وسارت الى سالمة حتى تهيأت للخروج فودعتها فأوصتها سالمة بابنها خيراً وركبت وسار حسان في ركابها فعادت القهرمانة وقد سرها ان لا تكون ميمونة في الحباء لئلا تطلع على سر تلك المقابلة . فلما مضت سالمة استدعت مريم الى غرفتها فمشت معها وهي تفكر في هانيء وبعده عنها فلما دخلت الغرفة ورأته هناك بغتت وتصاعد الدم الى وجنتيها وغلب الحياء عليها فأرسلت خمارها على عينيها وأطرقت وقد صبغ الحياء وجهها . فلم يكن ذلك الا ليزيدها جمالاً ورونقاً في عيني هانيء . اما هو فقد كان في انتظارها في الغرفة على مثل الجمر وقد حسب الساعة التي مضت في أثناء انتظاره عاماً طويلاً . فلما سمع خشخشة

الخلاخل والدمالج وراء جدار الغرفة على ان القهرمانة قادمة ثم ما لبث ان رآها داخلة ومريم في أثرها فلما رأى اصطباغ وجه مريم بالحياء زاد هياماً بها فنهض لاستقبالهما فسمع القهرمانة تقول وهي كمظاهر انوجوده كان هناك اتفاقاً «ما الذي جاء بك في هذا الصباح يا حضرة الامير »

قال « لقد جئت لارى وجهك الجميل ياخالة »

فضحكت القهرمانة وقالت « لا أظن وجهي تعجبك تجعداته وكأني علمت بقدومك فأتيت اليك بهذا الوجه الجميل فهل تعرفه ؟ »

فابتسم هانىء وقد غلب عليه الغرام وقال « لقد عرفته وكلفت به ولكن هل هو يعرفني ؟ لا أدري »

وكانت مريم مطرقة فلما سمعت كلامه رفعت بصرها ونظرت اليه بعينين قد أذبلهما الغرام وتلألأت فيهما مياه الحب نظرة تغني عن خطاب فلم يتمالك هانىء عند ذلك ان قال « قد فهمت الجواب »

فضحكت القهرمانة وامسكت يد مريم واجلستها وقالت وهي تحاول الجلوس « ما اسرع ما فهمت جوابها وهي لم تتكلم .. »

فجلس هانىء وهو يلتف بعباءته ويصلح عمامته وكان قد أبدلها من الخوذة في ذلك الصباح وقال « لقد دلني قلبي يا خالة .. ومن القلب الى القلب دليل »

ثم التفت الى مريم وقال « لا تخافي يامريم اني لم آت لازعجك وانما جئت لاحقق ما حدثتني نفسي به حتى اذا صدق ظني وخدمني سعدي وقفت نفسي لخدمتك وجعلتك اسعد العالمين — الا اذا كان هذا الخبر يسوءك ... »

فتنهدت مريم تسكيناً لما جاش في صدرها من الخفقان مما لم تعهده من قبل وهمت بالكلام ومنعها الحياء وكانت لاتبالي اذا لقيت الرجال في حومة الوغى فكيف تلعثم لسانها بين يدي رجل يتمنى رضاها ويتوقع سماع كلمة من فيها ليتغنى بها ويجعلها تعويذة في عنقه — ولكن هو الحب يذل الاسود ويلعثم السنة الفصحاء — وظهر من خلال شفتي مريم مع ذلك انها تكتم أمراً تود التصريح به لولا الحياء. فادرك هانىء ذلك فيها فتوجه بكليته نحوها وقال وقد أخذ الهيام منه مأخذاً عظيماً « قولي يامريم لاتخافي ولا تكتمي فان خالتي القهرمانة لايستحى منها بل هي خزانة اسرارنا قولي .. هل تحبينني ؟ »

فالتفتت اليه وتجلدت وقالت « وما الفائدة من الحب اذا لم يكن متبادلاً وأنتم معشر الامراء قد تعودتم اقتناء النساء بالعشرات والحب لا يكون صحيحاً الاَّ اذا كان بين اثنين ليس معهما ثالث »

فبغت هانيء لهذا التعريض وهو لا يرى له محلاً وقال « لست من هؤلاء يا مريم . وهذه الخالة تعلم اني بلغت هذا السن ولم اتخذ امرأة ولا اقتنيت جارية ولا سرية ... اسألها تنبئك فانها مطلعة على احوال سائر الامراء في هذا الجند فان لكل واحد منهم خباء لنسائه وجواريه واما انا فلا خباء لي ولا احببت امرأة ولا فتاة ولم يكن يخطر ذلك ببالي قبل ان رأيتك في صباح الامس فعزمت على ان تكوني انت نصيبي في هذه الدنيا وتأكيداً لذلك فاني اعاهدك من هذه الساعة اني لا التفت الى سواك .. فهل تعاهدينني انت ايضاً ؟ »

فابرقت اسرة مريم واشرق وجهها وتجلت في عينيها وحول فيها ابتسامة طار قلب هانيء لها وخفق قلبه سروراً وقال ولم ينتظر جوابها « ولكن لي شرطاً اشرطه عليك وعلى نفسي اني لا اتمم شيئاً قبل الفراغ من هذه الحرب فاذا عدنا منها فائزين ونحن فائزون باذن الله كان ما نتمناه .. فهل تعاهدينني على ذلك ؟ . »

فقالت وهي مطرقة حياء « وذلك هو الشرط الذي اشرطه انا أيضاً لاني اذا فزت بك عند ذلك اكون قد نلت السعادتين .. »

فقال « فلنتعاقد اذاً على هذا الشرط » ومد يده نحوها ونظر الى يدها ولسان حاله يقول « مدي يدك » فمدتها نحوه ببطء وهي ترتجف من شدة التأثر فامسكها بيده وضغط عليها فاحس كلاهما بمجرى كهربائي ارتعدت له فرائصهما ووقف هانيء مدفوعاً ووقفت مريم وهو يقول « لا بدَّ لي من الذهاب الساعة الى المعسكر لتأهب للقاء العدو واعدك اني سابلو في الاعداء بلاء الابطال لعلمي ان ذلك يسرك فادعي لي بالنصر .. »

ثم مد يده الى كمه واستخرج قارورة تفوح منها رائحة الطيب قوية وقدمها الى مريم وهو يقول « وهذه قارورة من طيب خاص ليس مثلها عند أحد في هذا الخباء تطيبي بها وحدك حتى اذا اتيت لزيارتك تنسمت ريحك قبل وصولي اليك فأستدل على وجودك قبل ان اراك وانت ايضاً كلما شممت رائحة هذا الطيب تذكرين قتيل هواك .. » قال ذلك وعيناه تتلألآن من شدة الهيام ونظر اليها نظر المحب الولهان.

فمدت يدها وتناولت القارورة وهي تبتسم ثم تذكرت فراقه لها في تلك الساعة فانقبضت نفسها فالتفتت نحو السماء وترقرقت في عينيها العبرات

وكانت القهرمانة في اثناء ذلك الحديث قد استغرقت في النوم وهي جالسة اذ لا يهمها من هذا الاجتماع الا ما نالته من التعب وما ترجوه من الهدايا المتواصلة · وبينما هي غارقة في احلامها علت الضوضاء خارج الخباء فانتبهت فسمعت قرقعة اللجم ودبدبة الخيل فبغتت وبغت هانئ ومريم · وقبل ان تنهض القهرمانة سمعت بعض الغلمان يصيح من الخارج « اين السيدة القهرمانة »

فنهضت القهرمانة وصاحت « من يناديني ؟ » وخرجت فاستقبلها احد الغلمان وهو يقول « ان الامير عبد الرحمن يدعوك اليه »

فقالت وقد علتها البغتة « واين هو ··؟ » وهرولت نحو القاعة فقال الغلام «هو ينتظرك في القاعة » فعادت الى هانئ وقالت له « اسرع يا مولاي الى جوادك وامض قبل ان يراك الامير هنا فربما رابهُ امرك »

فما كبر هانئ ان يخرج خروج الهارب فتجلد وقال « اذهبي انت اليه ولا تخافي فاني خارج على مهل »

الفصل العشرون

البغتة

فدخلت القهرمانة وقد ارادت ان ترسل مريم من باب آخر يؤدي الى غرفتها وتسير هي توًا الى القاعة لملاقاة الامير عبد الرحمن

وخرج هانئ من الباب الخارجي وهو رابط الجأش حتى وصل الى ادهمه وهمَّ بان يركبه فلقي بجانب الجواد رجلاً من ملازمي الامير عبد الرحمن وقد امسك بشكيمته · فلما دنا هانئ منه قال له « ان الامير يتقدم اليك ان توافيهُ الى خيمته في المعسكر فانه عائد اليها على عجل »

فقال « ومن انبأه اني هنا »

قال « عرف ذلك من جوادك »

اما القهرمانة فلم تكد تخرج من حجرتها ومريم معها حتى لقيها عبد الرحمن وكانت مريم قد ازدادت بتلك البغتة احمرارًا وتجلت دلائل الحب في عينيها مع ما يغشاها من الدمع

فلما رأت الامير عبد الرحمن استرجعت جأشها ووقفت للسلام عليه

اما هو فحالما رآها تذكر والدتها فخاطبها اولاً ولم يلتفت الى القهرمانة وقال « مريم ! .. اين والدتك هل سافرت ؟ »

قالت « نعم يا مولاي سافرت في هذا الصباح باكراً » قالت ذلك بلغتها المعلومة ولم يكن عبد الرحمن سمعها تتكلم بعد فاعجبته تلك اللثغة وكان لفرط ذكائه وصدق فراسته قد رأى على وجهها آثار البغتة وتذكر انه رأى جواد هانئ بباب غرفة القهرمانة من الخارج فادرك انهانئاً كان هناك معها . فتظاهر عبد الرحمن بعدم المبالاة وتأكيداً لعدم مبالاته خاطب القهرمانة ببرود وسذاجة قائلاً « وهل رجع الامير هانئ ؟ »

فلما سمعت القهرمانة سؤاله لم تدر بماذا تجيبه وكاد يرتج عليها لولم يتدارك الامر هو بقوله « ولكن لا بأس من ذهابه فاني سالاقيه بعد رجوعي » ثم مشى نحو مريم وهو يخاطب القهرمانة قائلاً « قد اوصيتك يا خالة باكرام هذه الضيفة واعيد الوصاية الآن ان تبالغي في رعايتها واكرامها ولا تخفي عنها شيئاً ولا تدعيها تستوحش في هذا الخباء فانها اعز نسائه عندي »

فانبسطت نفس القهرمانة لذلك واطمأن بالها وتبادر الى ذهنها ان عبدالرحمن غافل عما حدث من امر هانئ ومريم وقالت « اني فاعلة حسب امر مولاي وبالحقيقة ان مريم لا يراها احد الا احبها واكرمها »

فقطع عبد الرحمن كلامها وهو يقول « اين ميمونة .. هل هي في غرفتها ؟ . »

قالت « اظنها هناك » ومشت لتبحث عنها

فقال لها عبد الرحمن « امكثي هنا مع مريم او امضي بها الى حيث تشائين وانا اذهب الى ميمونة فاني اعرف مكانها .. »

وكانت ميمونة قد رأت الامير عبد الرحمن عند وصوله الى هناك وعلمت انه رأى جواد هانئ ورأته يخاطب بعض غلمانه ويشير الى ذلك الجواد فدخلت وجعلت تتسمع ماعساه ان يكون من امره بعد ان يرى القهرمانة ومريم وسمعها هانئاً فشعرت انه لقيهما خارجين من تلك الحجرة وسمعت ما دار بينه وبينهما فظنته لم يلحظ اجتماعهما فعزمت على التصريح بذلك

اما عبد الرحمن فمشى تلتمس حجرة ميمونة والخدم يتسابقون بين يديه تهيباً او يقفون له وقاراً حتى اقترب من باب الحجرة فتظاهرت ميمونة انها قلقت لابطائه في الوصول اليها

فاسرعت الى الباب وجعلت انها كانت في انتظاره على مثل الجمر . فلما اقبل حيته وتادبت وعيناها تنظران اليه نظر المحب العاشق بلا تدنع مع انها غير عاشقة وانما كان ذلك منظر عينيها لما فيهما من اللمعان مع ما تتكلفه من اظهار الوجد بالابتسام والاطراق فينخدع الناظر اليها ويحسبها متفانية في حبه وخصوصاً اذا كان هو يحبها . اما عبد الرحمن فكان يستلطف ميمونة كثيراً ويحب قربها ولكنه كان ينظر اليها نظره الى بعض جواريه وكان من الجهة الاخرى قد عاهد نفسه ان لا يقرب النساء حتى يفرغ من تلك الحرب ويقطع نهر لوار فضلاً عن اشتغال خاطره بمهام الفتح عن مجالسة النساء ومسامرتهن . ولذلك فلما كان يأتي الى الخباء واذا اتاه اظهر لميمونة تلطفاً خصوصياً لغرض في نفسه لم يكاشف به احداً . وكانت هي ربما ادركت غرضه وتجاهلت او انها تظاهرت بما يريده هو وجعلت انها تفعله عفواً ولها من وراء ذلك مأرب لو تصوره عبد الرحمن لعجل بها الى الفناء

الفصل الحادي والعشرون

المكر المتبادل

علمت مما تقدم ان ميمونة سبية الزنجية كانت في جملة خدم لمباجة بنت الكونت أود حاكم تلك المقاطعة في فرنسا وقد سبيت في جملة غنائم الميذر الافريقي زوج لمباجة المذكورة ــ وكان اهل الخباء يعتقدون ان ميمونة كانت من خاصة نساء لمباجة واقرب المقربات اليها . فكان عبد الرحمن يرجو الانتفاع من ذلك في بعض المخابرات مع اود او بعض قواده ولكنه كتم هذا الامر في نفسه ولم يظهره حتى ولا لهانيء . فلما بعثت ميمونة اليه في ذلك الصباح اسرع اليها على عجل وهو يتوقع منها خبراً يتعلق بالحرب من قبيل ما تقدم

فلما راى وقفتها على تلك الصورة خيل له انها تعشقه وتستهلك في خدمته فسرّه ذلك على امل استخدامها في غرضه فابتسم لها ودخل حتى جلس على وسادة هناك وهو يقول « ما الذي تريدينه مني يا ميمونة » .

فقالت وهي تحاول القعود بتأدب « اريد اموراً كثيرة يا مولاي لا ادري ايها

اقوله اولاً . . » قالت ذلك وتنهدت واستنزلت دمعتين رآهما عبد الرحمن تتساقطان على خديها وهي مطرقة تظهر انها استحيت من افتضاح سرها بهما

فانخدع عبد الرحمن ولكنه اجابها على الفور « لا ارى حاجة الى ذلك وانت تعلمين ما عاهدت ربي عليه منذ عزمت على هذه الحرب . . »

فاسرعت في الجواب كأنها تستدرك اصلاح ما تبادر الى ذهنه فهمه خطأ فقالت « لا يتوهم مولاي اني اطمع بغير رؤية هذا الوجه الصبوح . . . ولكني مخطئة في التطاول الى ما لا استحقه فان في خباء مولاي الامير عشرات من امثالي وما فيهن من تجرأ على هذه الكلمة . اما انا فلا ادري ما الذي جرأني عليها . . فهل دلني قلبي على الصواب او لعله خدعني . . . لا ادري . . وفي كل حال يكفيني ان يكون الامير عالماً بما له في هذا القلب من الحب الشديد على اني لا اكلفه مثله او مثل بعضه لان الحب لا يكون قهراً . . . »

قالت ذلك وغصت بريقها وسكتت

وكان عبد الرحمن يعتقد ان ميمونة تحبه ولكنه لم يسمع منها مثل ذلك العتاب قبلاً فتبادر الى ذهنه انها اندفعت الى العتاب غيرةً عليه من مريم والغيرة تفعل العجائب فاراد ان يتحقق ظنه فقطع حديثها وقال « هل رايت الضيفة الجديدة ؟ »

فسرّت ميمونة لابتداء عبد الرحمن بذكرها فاجابت على الفور « كيف لم ارها وقد وقفتُ نفسي لخدمتها من ساعة وصولها لعلمي ان ذلك يرضي مولاي الامير . . . ولم افارقها الا ساعة في هذا الصباح لاشتغالها في غرفة القهرمانة مع الامير هانئ . . » قالت ذلك وهي تتظاهر انها تقوله بسذاجة وسلامة ضمير واصغت بكل جوارحها لما عساه ان يبدو من عبد الرحمن بعد سماعه ذلك الخبر

اما هو فاحسَّ بشيء من الغيرة وتذكر ان والدة مريم انما ادخرتها له وفكر في اختلاء هانئ بمريم على تلك الصورة فلم يحسبها غير الحب المتبادل بينهما فحدثته نفسه لأول وهلة ان يمنع هانئاً من ذلك ولكن حبه هانئاً ورغبته في حفظ الوفاق بينه الى نهاية تلك الحرب — كما شرطاه على نفسيهما — غلب على ذلك الشعور وتصور ما هم فيه من الامر العظيم والخطر الشديد فاضمر في باطن سره انهم اذا فرغوا من هذه الحرب فائزين وظل هانئ على ما شرطه على نفسه من البسالة والثبات ساعده على نيلها — فتجلد عبد الرحمن واجاب ميمونة وهو يظهر عدم المبالاة « ولكن هانئاً خرج الآن من عندها وشاهدتُ مريم مع القهرمانة وقد سرني ارتياحها للاقامة في هذه الخباء فارجو ان تعيريها التفاتك لاني موصٍ باكرامها ولي بذلك

غرض ارجو ان تساعديني عليه »

فلما سمعت ميمونة قوله استغربت ما يكتمه من امر هذه الفتاة وتأسفت لذهاب سعيها هباء منثوراً ولكنها ارادت تحقيق الامر فبالغت في التجاهل واظهار السذاجة وقالت « اكد يامولاي اني فاعلة ماتريده وبالحقيقة ان هذه الفتاة من نوادر الخلق جمالاً وتعقلاً ورزانة وهي خفيفة على القلب لا يستطيع جليسها الا ان يحبها فلذا كنتُ لا اكرمها اكراماً لمولاي الامير فاني افعل ذلك حباً بها . ولا باس اذا احبها الامير اكثر من سائر نسائه لانها اهل لذلك »

فخاف عبد الرحمن اذا طال الحديث ان يبدر منه مالا يريد التصريح به فابتدرها قائلاً « لقد خرج بنا الحديث عن اصل الموضوع .. ما الذي دعوتني من اجله الآن ؟ . »

فاظهرت الاهتمام وقالت « دعوتك لامر هام وكان يجب ان لا اقدّم قولاً عليه وربما كان فيه وحده ما يغنيني عن الادلة على حبي للامير عبد الرحمن وتفانيّ في خدمته — فاعلم يا مولاي اني بثثت العيون من بعض الذين تركتهم لخدمتي لاستطلاع احوال العدو بعد سقوط بوردو فعلمت ان الكونت أود ورجاله متربصون لكم في مضيق دردون[1] على مقربة من هذا المكان . والمضيق في طريقكم الى نهر لوار »

ولم يكن عبد الرحمن غافلاً عن اخبار عدوه لان جواسيسه كانت مبثوثة في كل الانحاء واكثرهم من اهل البلاد الاصليين وخصوصاً اليهود فانهم كانوا يبذلون كل مرتخص وغال في مساعدة المسلمين انتقاماً من المسيحيين وطمعاً بالغنائم كما تقدم — فلم يكن خبر أود ودردون ليخفى على عبد الرحمن ولما كانت ميمونة تجهل اطلاعه عليه ولكنها تجاهلت وأظهرت الاهتمام بأمر الجند وأوهمت انها اطلعت على ذلك السر بسعيها الخصوصي ولو علمت انهُ يجهل ذلك الخبر لبالغت في كتمانه . فسايرها عبد الرحمن وأظهر انه فرح بذلك الخبر تنشيطاً لها على السعي في خبر آخر فقال لها « بورك فيك ياميمونة لقد تحققت الآن حبك لنصرنا وأرجو ان لا تغفلي عن مثل ذلك .. »

لم تكن ميمونة تجهل اطلاع عبد الرحمن على ذلك الخبر من قبل ولكنها تجاهلت التماساً لما يسوغ لها استقدامه في ذلك الصباح لتطلعه على حب هانيء لمريم ايقاعاً للفتنة بين الاميرين وقد ساءها ان حيلتها لم تأت بالفائدة المطلوبة . ولسبت حبوط مسعاها الى

(١) ريتو

سعة صدر عبد الرحمن وطول أناته فأضمرت ان تحوّل سهام مساعيها نحو هانىء لانه شاب لا يصبر على الكظم . وغرضها الاول إيقاع الفتنة بين ذينك القائدين وباختصامها فشل ذلك الجند الكبير — فعزمت على تدبير الحيلة في وقت آخر ولما سمعت ثناء عبد الرحمن على سعيها في خدمته ابتسمت ونظرت اليه نظرة يتخللها العتب والدلال والاستعطاف ولولا رزانة عبدالرحمن وقوة ارادته لخرقت تلك النظرة صدره الى قلبه وهاجت فيه لواعج الغرام والست الجندوارايه لما في عينيها من عوامل الجاذبية وما حول فيها من الملامح الفتانة وما في مجمل ذلك من السحر الآخذ بالالباب — ولا غرو اذا عبر الشعراء عن تلك الجواذب بالسحر لانها تعمل عملاً لا يمكن تعليله بغير السحر . وربما عبر عنه بعض علماء الطبيعة اليوم بالكهربائية فمن كان حسنه جذاباً قالوا ان كهربائيته قوية — وهو عبارة عن تفسير الماء بالماء

الفصل الثاني والعشرون

من شق الحائط

فلما نظرت ميمونة الى عبدالرحمن تلك النظرة فهم انها تعاتبه على ذلك القول ولسان حالها يقول له « اني قتيلة هواك ومستهلكة في خدمتك » فسرّه افتانها بي رغبة في استخدامها لما ينفع الجيش فابتسم لها وهشّ وفي زعمه انه يزيدها بذلك استهلاكاً في خدمته وهي كلما رأت منه انعطافاً بالغت في اظهار الافتتان به . فلما علم عبدالرحمن انها فرغت من الخبر الذي استقدمته لاجله نهض وهمّ بالخروج فنهضت ميمونة وهي تقول « لولا علمي بالمهام الكثيرة التي تتعلق بذهابك أيها الامير لتوسلت اليك ان تبقى هنيهة أخرى ... فهل أنت عازم على الذهاب لملاقاة العدو قريباً .. ؟ واذا ذهبت فهل تتركني هنا ... »

فادرك انها تقول ذلك تدللاً فزجرها بغير الابتسام وخرج مسرعاً يلتمس جواده ليرجع الى المعسكر فمشت ميمونة في أثره حتى اذا اوشك الوصول الى باب الخباء سمعته يقول « مرحباً بالامير هانىء ألا تزال هنا ؟ لماذا لم تدخل الخباء ... » فازدادت ميمونة استغراباً من ذلك الترحاب

فتقدم هانىء وهو يلتف بعباءته وليس في وجهه وجل ولا خجل وقد أكبر ان يرجع الى المعسكر رجوع الهارب بعد ان علم عبد الرحمن بوجوده هناك — شق عليه ان يفعل ذلك انفة وكبراً وخصوصاً بعد ان علمت مريم به ٠ فلما اوعز اليه غلام عبد الرحمن بالذهاب الى المعسكر وقف ورجله في الركاب لا يتكلم ولا ينتقل ٠ وخيل له ان مريم تنظر اليه وتراقب حركاته فلبث حيناً واقفاً ثم تحول عن الجواد بغتة ومشى نحو باب الخباء يلتمس ملاقاة عبد الرحمن ٠ فقيل له انه في خلوة لا يراه فيها احد فعزم على انتظار خروجه فجعل يخطر امام الخباء وعيناه تراقبه

وكانت مريم لما تركها عبد الرحمن مع القهرمانة عادت الى التفكر في هانىء وخروجه على تلك الحالة فأرادت ان تستطلع أمره فتحولت الى جدار الخباء ونظرت من شق فيه فرأت هانئاً يمشي خارجاً وعباءته وسيفه يجران وراءه وهو يلاعب شاربيه ولحيته ويتمايل بمشيته كالاسد ٠ فاختلج قلبها في صدرها سروراً بلقياه وودت لو انها تخاطبه ولكنها خافت من القهرمانة فاكتفت بالنظر اليه وتأمل حركاته على غفلة منها ٠ وبعد قليل سمعت ضجة في الخباء فعلمت ان عبد الرحمن خارج فاحبت ان تعلم ما يكون من أمره اذا التقى هانئاً فتحولت بحيث تراهما ولا يراها احد لاشتغال القهرمانة وسائر اهل الخباء بوداع الامير ٠ فرأت هانئاً مشى نحو عبد الرحمن حتى التقيا وسمعت عبد الرحمن يخاطبه مخاطبة الاخ ويعاتبه على تخلفه وهانىء يدلُّ عليه دلال الابن على ابيه وعبد الرحمن يبتسم له ويرحب به وسمعت هانئاً يقول وهو يخطو نحوه « بلغني انك سألت عني ٠٠ »

فاجابه عبد الرحمن وهو يقترب منه حتى وضع يده على كتفه « وهل يسأل المرء الا عن اخيه او حبيبه » قال ذلك وابتسم واهل الخباء يسمعون واكثرهم سروراً بذلك مريم واشدهم غيظاً ميمونة ثم مشى عبد الرحمن ويده بيد هانىء فقدموا لهما الافراس فركبا الى المعسكر وحولهما الخدم والاعوان

وظلت ميمونة ومريم تنظران الى ذلك الركب وكل منهما في ناحية وقلبها في ناحية حتى تواروا فعادت ميمونة الى خلوتها واعملت فكرتها في حيلة اخرى وقد اسفت اسفاً لا مزيد عليه لفشلها وذهاب سعيها هدراً

الفصل الثالث والعشرون

المكاشفة

اما مريم فانها عادت من وراء ذلك الجدار وقد اتقدت نيران الحب في قلبها واغتنمت الخلوة لتراجع في ذهنها مادار بينها وبين حبيبها استئناساً بذكراه ومخافة ان يكون قد بدر منها عبارة تؤاخذ عليها . جلست في غرفتها هنيهة كأنها في عالم الخيال ثم انتبهت للقارورة وكانت لاتزال في قبضتها فنظرت اليها وفتحتها واشتمت رائحتها فطربت لها واستأنست بها لانها من هانىء . وصبت قليلاً من الطيب على كفها دهنت به شعرها ووجهها وكفيها ففاحت منها رائحة ملأت الخباء بطيبها

وبينما هي في خلوتها اذ دخلت عليها ميمونة وهي تبتسم ابتسام محب معجب بمحبيه فقابلتها مريم بمثل ابتسامها وقد ارتاحت اليها وتاقت الى مكاشفتها بما شغل خاطرها من الحب ولكنها امسكت نفسها تفاؤلا ان يكون في ذلك مايغضب حبيبها . على انها رحبت بميمونة وتحفزت للوقوف احتفاء بها فسبقتها ميمونة الى الحديث فقالت وهي تهش لها « اراك عدت من غرفة القهرمانة وقد زدت طيباً »

وكانت القارورة لاتزال في قبضتها فضحكت وبدا الحياء في وجهها وبادرت الى القارورة فخبأتها في جيبها ولم تحر جواباً

فأدركت ميمونة ان بين تلك القارورة وهانىء علاقة فعمدت الى استكشاف سرها منها فقالت « لقد زادك الحياء طيباً ياحبيبتي . . لعلّ الطيب من خيلك البطل الصنديد الامير هانىء . . ارجو ان لايكون من سواه لانه يليق بك . ولو خيرت ان تنتقي لك حبيباً من بين رجال العالمين لما وقع اختيارك على خير منه »

فأدركت مريم اطلاع ميمونة على ذلك السرّ ولكنها تجاهلت وقالت « كيف تحكمين على الامر قبل التثبت . من أين عرفت ذلك ؟ »

قالت وهي تضحك وتقترب من مريم « عرفته من مصدر وثيق . . وتحققته من قرائن الاحوال . . . . واذا كنت تنكرين ذلك عليّ فان ملامحك تشهد عليك . . . على اني لا ألومك على التستر لان الحب يحلو بالكتمان وقد كان يحدو بي ان اسايرك واظهر اقتناعي بانكارك ولكنني لم أرض بذلك شفقة عليك وحباً بك »

فلما سمعت مريم قولها استغربت تلميحها بالشفقة ولم تفهم مرادها فرفعت بصرها اليها وقالت « لم أفهم مرادك من الاشفاق العل في حالتي مايبعث على الشفقة ؟ افصحي .. »

فقالت « لا أقول شيئاً قبل ان تعتقدي حبي لك وغيرتي على مصلحتك .. »

قالت « أنت تعلمين أني احببتك وقد وثقت بك من اول نظرة وخصوصاً بعد ماعاينته من حبك لي فلا حاجة بعد ذلك الى برهان »

قالت « صدقت يا حبيبة اني اشعر من قلبي باخلاصك ولكنني أخاف اذا قلت لك قولاً ان تحمليه على غير محمله ومع ذلك فاني افعل ماتدعوني اليه محبتك .. نعم ليس هناك مايدعو الى القلق الكثير ولكنني اختبرت هؤلاء العرب واطلعت على سجاياهم وفي جملتها انهم يغارون على اعراضهم غيرة شديدة . وانت تعلمين انك هنا في خباء الامير عبد الرحمن وكل من في هذا الخباء من نسائه فيجدر بك ان تحاذري من التظاهر بشدة ميلك الى الامير هانئ في حضرته — وأظن الامير هانئاً نفسه يتوقع ذلك منك — لاتظني اني اقول هذا بناء على قول سمعته فاني اعتقد حب الامير عبد الرحمن لهانئ ومراعاته جانبه حتى انه لايمنع عنه شيئاً يريده لان عليه معتمده في هذه الحرب وهو يمينه التي يناضل بها . ولكنني أردت تنبيهك لعلي ان هانئاً يريد ذلك منك وان كان لا يظهره لك انفة وترفعاً . واما أنا فقد خبرت عادات القوم وآدابهم في هذا الشأن ... ولعلك سمعت عن منزلتي عندالامير عبدالرحمن والاَّ فاني أخبرك أني اقرب نسائه منه وهو يعتمد عليَّ في كثير من المهام . فاذا علمتِ ذلك كوني على يقين ان الامير عبد الرحمن لايفعل الا مايرضيك »

فقبلت مريم تلك النصيحة باخلاص وازدادت وثوقاً بميمونة بعد ماعرضت به من مساعدتها وهان عليها مكاشفتها بما في قلبها فالتفتت اليها وقد انبسطت نفسها وقالت « أشكرك على ذلك ياسيدتي وسأعمل حسب اشارتك .. ولا ريب انك عاملة بكل ذلك وأنت من اكثر نساء هذا الخباء ذكاء ولطفاً .. »

فاكتفت ميمونة من ذلك الحديث بما وصلت اليه وأرادت الانتقال الى موضوع آخر فقالت « ذكرتُ لك الطيب فلم تجيبيني عليه .. أين القارورة ؟ »

فمدت مريم يدها واستخرجت القارورة ودفعتها الى ميمونة ففتحتها واشتمت رائحتها وهي تقول « لم اشتم في عمري مثل رائحة هذا الطيب انه طيب خاص ليس عند احد من اهل هذا الخباء مثله » .. » قالت ذلك وارجعت القارورة ولم تمس ما فيها »

فقالت مريم « تطيبي بشيء من هذا الطيب فانك اهل لذلك .. »

فامتنعت ميمونة وهي تسد القارورة وتقول « لا يجوز لاحد سواك ان يمس هذا الطيب لانه هدية خصوصية لك » ودفعت اليها القارورة وهي تبالغ في الامتناع

فاستحسنت مريم تمنعها وزادت وثوقاً بصدق مودتها فانفتح لها قلبها وصارت لا تستأنس الا بقربها مع ميل الى مكاشفتها بعواطفها وميمونة تعمل فكرتها لاستخدام ذلك عند الحاجة

الفصل الرابع والعشرون

الاطمئنان

اما عبد الرحمن وهانئ فانهما ركبا وسارا نحو المعسكر وحولهما الفرسان في موكب وكل منهما يفكر في جهة ومرجع التفكير الى مريم . فكان هانئ يتذكر مادار بينه وبينها وما آنسه من معاملة عبد الرحمن ولطفه على حين انه كان يتوقع امتهانه — فاذا تذكر ذلك انشرح صدره لانه كان يخاف اذا بدا له من عبد الرحمن برود ان يأول ذلك الى تعود مضر . وكان عبد الرحمن يفكر بسالة وما دار بينه وبينها بشأن مريم وتلميحها بأنها ستكون له بعد الفراغ من تلك الحرب لسر لم تصرح له به وتذكر استلطافه مريم وتصور ماهي فيه من الجمال والهيبة ثم ماظهر له من الحب المتبادل بينها وبين هانئ . فلما بلغت تصوراته الى ذلك الحد شعر بغيرة شديدة ولكنه انتبه لما هم فيه من الحرب وشدة احتياجه الى هانئ حتى ان النجاح ليتوقف على اتفاقهما . وعلم ان ذلك الاتفاق لا يتم الا بارتياح هانئ وارتياحه لا يكون الا بحصوله على مريم — فلما تمثل له ذلك عاد الى تعقله وسعة صدره لعلمه بخطارة المشروع الذي هم بصدده فهان عليه ارضاه هانئ وخاف ان يكون في سكوته في اثناء الطريق باب للشك ففتح الحديث قائلاً « الم نحمد الله على انتصارنا في هذه الحرب يا هانئ ؟ »

قال « لقد حمدته حمداً كثيراً على ذلك والفضل فيه راجع الى بسالة الامير عبد الرحمن وتدبيره

قال « بل الفضل فيه للامير هانئ قائد فرساننا . . . بل أرى الفضل فيه لما توفقنا اليه من الوفاق المتبادل وارجو ان يبقى ذلك الى نهاية هذه الحرب »

قال « وأنا ارجو ذلك ايضاً واذا تم لنا الفتح كان فيه الفخر للعرب كافة لاننا نفتح لهم

بلاداً واسعة يحكمون أهلها ويجبون خراجها وينشرون الاسلام فيها »

قال « واظن سرورك يتم بوردو يضاهي سرورنا جميعاً بما فتحناه وستفتحه من البلاد ٠٠ » قال ذلك وابتسم .

فادرك هاني، تعريضه بمريم فضحك وقد انشرح صدره وقال « لااستطيع انكار ذلك ايها الامير لانه ظاهر في كل جارحة من جوارحي وارجو ان يكون اخي مسروراً معي »

قال « اني أُسرُّ بكل مايسرُّك . وثق اني عون لك في كل ماتريده ٠٠ ولكنك تعلم ماعاهدت نفسي عليه منذ ركبت هذا المركب الخشن ٠٠ »

فلم يفهم هاني، مراده فقال « وأي عهد تعني ؟ »

قال « اعني اني عاهدت الله ان لا اقرب النساء قبل ان افرغ من هذه الحروب او ان نقطع نهر لوار على الاقل ٠٠٠ فهل انت على هذا الرأي ؟ »

ففهم هانيء مراده فقال « نعم اني اعاهد الله على هذا ايضاً وقد كان رأيي في النساء كما تعلم ضعيفاً فلم اتزوج امرأة ولا اقتنيت جارية ولولا وقوع هذه الفتاة من نفسي موقعاً عظيماً ما غيرت رأيي — اما الآن فاعترف لك اني اصبحت عالق القلب بمريم وهي كما ترى اهلٌ لذلك ٠٠ »

فقطع عبد الرحمن كلامه قائلاً « انها من خيرة النساء جمالاً وتعقلاً واذا توفقنا الى ما نرجوه من النصر كنتُ اول مسرور بنيلك اياها غير اني ارجو ان يبقى ذلك مكتوماً عن كل انسان لاسباب تعلم بعضها وتجهل البعض الآخر ولا تكلفني التصريح بما وراء ذلك »

فاحسَّ هانيء من تلك الساعة بثقل أُزيح عن صدره وارتاح باله وان كانت اشارة عبد الرحمن الى الاسباب التي لا يعلمها شغلت خاطره قليلاً . على انه شعر بميل شديد الى مكاشفة مريم بما دار بشأنها مع عبد الرحمن — وذلك طبيعي في المحبين فانهم يتلذذون بمكاشفة بعضهم بعضاً اخبار الناس فكيف ما يتعلق بهم وخصوصاً ما كان منه راجعاً الى تحقيق أمانيهم . وعلى الاخص اذا اؤتمن احدهم على سرّ وطلب اليه كتمانه فانه يزداد ميلاً الى مشاطرة حبيبه بالاطلاع عليه كأنه يعدُّ ذلك اكراماً خصوصياً لاختصاصه اياه بشيء ثمين اؤتمن هو عليه .

ثم عاد الاميران الى السكوت مدة والركب ماشٍ حتى دخلوا المعسكر وكان الجند قد فرغوا من اقتسام الغنائم وهم فرحون بما نالوه منها وخصوصاً البرابرة لما علمتْ من

مطامعهم — ظل الاميران سائرين حتى وصلا خيمة الامير عبدالرحمن فدخلاها ثم صفق عبد الرحمن فجاءه بعض الغلمان فقال له «ادع الامراء الى هنا الساعة»

فلما خرج الغلام التفت عبد الرحمن الى هانئ وقال له «قد علمتُ من أخبار الجواسيس وغيرهم ان طاغية أكيتانيا الكونت اود معسكرٌ بجنده في مضيق دردون على بضع ساعات من هذا المكان[1] فينبغي لنا ان نبادر اليهم قبل ان يتأهبوا للدفاع فاذا غلبناهم وقتلنا أميرهم ذهب عنا نصف العناء في هذا الفتح او هو العناء كله ولم يبق من يقف في سبيلنا الى نهر لوار … ماذا ترى ؟»

قال «أرى ان نبادر الى الحرب والجند متشدد على أثر النصر»

قال «فمتى حضر الامراء فاوضناهم ولا اظنهم الاَّ موافقين على الزحف فنزحف برجالنا ونترك الاخبية في مكانها وعندها بعض الحامية والغنائم . فاذا هزمنا الافرنج باذن الله حملنا نساءنا وعيالنا وغنائمنا وسرنا الى تورس على نهر لوار …»

وبعد قليل جاء الامراء وهم بضعة عشر أميراً وفيهم العربي والبربري والشامي والمصري والنبطي وغيرهم وفي جملتهم الامير بسطام . فعرض عبدالرحمن عليهم رأيه وساعده هانئ على تنفيذه فوافقوا جميعاً على الرحيل في صباح الغد على ان يتركوا النساء في الاخبية حيث هي . فلما اجمعوا على ذلك التفت عبدالرحمن اليهم وقال لهم «انتم تعلمون اننا سائرون لمحاربة هؤلاء الافرنج في معسكرهم والمسافة بيننا قريبة وهم متحصنون في جبالهم فينبغي لنا ان نسير اليهم خفافاً . ولا يخفى عليكم ما قد صار الى رجالنا من الغنائم في أثناء الفتوح التي توفقنا اليها منذ خروجنا من الاندلس وهي ثقيلة حتى لقد يثقل على الرجل حمل غنائمه وحدها بلا حرب[2] فكيف اذا اضطر الى الهجوم والركض فالرأي على ما أرى ان يتركوا غنائمهم في هذا المعسكر بقرب الاخبية فتبقى هناك هي والنساء ونجعل معها حامية من رجالنا فاذا بلغنا من عدونا ما نريده اضفنا اليها ما نغتنمه منهم ..»

قال عبد الرحمن ذلك وهو يتوقع معارضة بعضهم لعلمه بحرص اولئك القوم على حطام الدنيا وفيهم من لم يأت الى تلك الحرب الاَّ رغبة في الاموال — فاستدرك هانئ ما خافه عبد الرحمن قائلاً «ان الامير مصيب برأيه ولا اظنكم الا موافقين عليه لاننا نخشى اذا جاهد رجالنا وهم مثقلون بالغنائم ان يعجزهم حملها فينوؤن تحت أثقالها فيقصرون

(١) رينو — والمسافة أطول من ذلك (٢) رومي ج ٣

في ساحة الوغى ولا يخفى عليكم ما يترتب على ذلك من الفشل »

وكان عبد الرحمن يخشى الاعتراض خصوصاً من الامير بسطام لحرص رجاله على الاموال لاسباب تقدم بيانها وكان عبد الرحمن في أثناء كلام هانىء يتفرس في وجوه الامراء فوجد التردد ظاهراً على الخصوص في وجه بسطام فاستأنف الكلام قائلاً « والذي أراه ان نعهد بحراسة تلك الغنائم الى الامير بسطام ومن يختارهم من رجاله ومعهم جماعة من رجال سائر الامراء .. »

فوقع ذلك الرأي موقع الاستحسان عند الجميع فوافقوا عليه وخرجوا للعمل به وكي يأمروا رجالهم بالتأهب للرحيل في صباح الغد

فذهب هانىء الى خيمته ولم ينم تلك الليلة لما خالج افكاره من الهواجس بمريم على أثر ما سمعه من عبد الرحمن حتى حدثته نفسه ان يطير اليها في ذلك الليل ويكاشفها بما دار بينه وبين عبد الرحمن بشأنها ويخبرها بعزمهم على الرحيل الى محاربة الافرنج ويصبرها الى الرجوع وقد زاده رغبة في الذهاب اليها انه فارقها ولم يتمكن من وداعها كما يريد — ولكنه تذكر اهمية وجوده في الصباح هناك وخاف غضب عبد الرحمن فرجع عن عزمه

الفصل الخامس والعشرون

المنديل

وفي الصباح قام المسلمون للصلاة ثم نفخ في النفير فتأهبوا للمسير وساروا كأنهم بحر يتلاطم بالامواج وفيهم الفرسان والمشاة وبينهم الرماحة والرماة • وقائد الفرسان العام هانىء وقد ركب أدهمه ولبس خوذته وتنقب بعمامته وقوضوا الخيام ولم يتركوا منها الا ما وضعوا فيه غنائمهم ومعها الامير بسطام وبعض رجاله ونفر من رجال القبائل الاخرى

وبعد المسير بضع ساعات اشرفوا على جبال اخبرهم الجواسيس ان اود ورجاله متحصنون فيها فنزل المسلمون في سهل بالقرب من ذلك المضيق وترجل الفرسان وسرحوا خيولهم للعلف والراحة على ان يستريحوا ريثما يطيب لهم الهجوم • وقد اقاموا الخفر حول المعسكر وبثوا سراياهم يستطلعون احوال اعدائهم ومناعة مواقعهم ليعلموا من اين يهاجمونهم

وذهب هانئ للاستراحة في خيمته وفي المساء جاءت الطلائع فاخبروا ان الافرنج مقيمون في الجبال وهم كثيرون وقد تحصنوا واقاموا لا يبدون حراكاً · فاجتمع امراء المسلمين وتفاوضوا في الامر فرأوا الهجوم على حصون الافرنج شديد الخطر فتربصوا ليروا ما يبدو منهم فاذا لم يخرجوا من حصونهم نظروا في الهجوم عليهم

فبات هانئ تلك الليلة وقد عادت اليه هواجسه وعاد الى التفكير في مفارقة المعسكر بضع ساعات ولا خطر على الجند في غيابه للاسباب التي قدمناها على انه ما زال متردداً في الذهاب خوف الفشل وحياء من عبد الرحمن

فاصبح في اليوم التالي وخرج على قدميه وقد تراكمت عليه الهواجس وهو يفكر في حاله وحال مريم وحال الجند · وبينما هو يتمشى في سهل خارج المعسكر رأى رجلاً بلباس عربي قادماً من عرض البر يهرول نحوه ويشير اليه فوقف · فلما دنا الرجل منه تفرس هانئ فيه فاذا هو ملثم فناداه فمد الرجل يده الى جيبه واستخرج منديلاً وسلمه الى هانئ · فلم يكد هانئ يتسلم المنديل حتى شم منه رائحة مريم -- عرف ذلك من طيبها الذي اعطاها اياه بالامس فصاح في الرجل «من انت وما خبرك ؟»

فقال «ان هذا المنديل ينبئك عني ان صاحبه في حاجة اليك على عجل» قال ذلك وسار يعدو في عرض البر · فبهت هانئ ثم انتبه لنفسه وصاح في الرجل ان يقف فلم يلتفت اليه فوقف هنيهة وهو يعمل فكرته في ماذا عسى ان يكون سبب تلك الدعوة المستعجلة ولم يشك ان المنديل منديل مريم والطيب طيبها فلم ير بداً من المبادرة الى اجابة الدعوة وهو مطمئن البال على المعسكر واسرع الى خيمته فركب جواده والتف بعباءته وسار يلتمس الخباء ولم ينبئ احداً بمسيره لعلمه انه سيعود قبل انقضاء النهار فلا بأس من غيابه وخاف اذا شاور عبد الرحمن ان يستخف بعمله او ان يمنعه من الذهاب

سار هانئ وهو يستحث جواده لا يلتفت يميناً ولا شمالاً حتى وصل الخباء وقد مالت الشمس عن خط الهاجرة وتبلل هو وجواده بالعرق · وحال وصوله ترجل ودخل تواً الى خباء الامير عبد الرحمن واستدعى القهرمانة فجاءت وهي تتوكأ على ركبتيها وتمشي الهوينا وحالما وقع نظرها عليه ابتدرته قائلة «اين مريم ؟»

فبهت لسؤالها وقال لها «انا تسألينني عن مريم وانا انما جئت لأسألك عنها ··· اين هي ؟»

قالت «هي عندك ·· ألم تبعث بطلبها في هذا الصباح ؟»

قال « انا ؟ بعثت بطلبها ؟ . . اين هي ؟ قولي ان الوقت لا يساعدنا على المزاح »

فقالت وقد ظهرت البغتة في ذلك الوجه الكالح وامتقع لونها « اظنك انت المازح . . ألم تبعث اليها في هذا الصباح مع رسولك ومعه جوادك وعباءتك وخوذتك ؟ »

فصاح فيها وقد تعاظم غضبه « كلاَّ لم ابعث احداً وهذا جوادي معي وهذه عباءتي . . تبصري في ما تقولين ؟ قولي لي الصحيح والا قطعت راسك بهذا السيف »

قال ذلك ويده على قبضة سيفه

فخافت القهرمانة وتحيرت بماذا تجيبه وقد ارتج عليها من الخوف والاستغراب وقالت تمهل يا بنيّ لا قصّر الخير عليك . . جاءنا في هذا الصباح رجل اظنه من رجالك وقد ركب جواداً ومعه جواد آخر ادهم لم تشك انه ادهمك عليه عباءة وخوذة وقال لي انك تطلب مريم حالاً بامر الامير عبد الرحمن لامرٍ ضروري يتعلق بوالدتها ودفع اليَّ هذا الكيس (ومدت يدها واخرجت كيساً فيه دراهم) فامتنعت في بادىء الرأي ولم اطاوعه فالح عليّ واوراني الجواد والعباءة وقال لي انك تطلب مريم لغرض مستعجل يتعلق بالحرب وانك بعثت لها جوادك لتركب عليه فلم أقبل منه فذكر لي علامة لا يعرفها احد سوانا وهي قارورة الطيب وقال العلامة لصدقه انك اجتمعت مريم عندي وأعطيتها قارورة الطيب فلم استطع الا تصديقه ومع ذلك فاني لم اسلم بارسالها الاَّ بعد ان اتى بعلامة من الامير عبد الرحمن لا يعرفها سواي وأخيراً سلمته اياها وانا خائفة عليها ولشدة خوفي اخرجت معها احظى نساء الامير عبد الرحمن عنده واوصيتها بها . . »

وكان هانىء يسمع كلام القهرمانة وهو يرتعد من شدة الغضب فلما تحقق عنده ذهاب مريم قال « ومن هي تلك الحظية »

قالت « هي ميمونة الافرنجية اظنك تعرفها »

فقال « نعم اعرفها والى اين ذهبوا وكيف ؟ »

قالت « لما توهمت صدق ذلك الرسول ورأيت مريم راغبة في الذهاب اذنت لها فيه فركبت الجواد الادهم وركبت ميمونة جواداً آخر ومضوا نحو المعسكر »

الفصل السادس والعشرون

بسطام

فوقف هانى، وهو لا يتمالك عن الارتعاش من شدة التأثر والقهرمانة واقفة بين يديه وقلبها يخفق خوفاً وقد أخذت تخفف غضبه قائلة « لا بأس عليها يا بني ان ميمونة معها وهي تحبها حباً شديداً واظنها تحرس عليها كثيراً ... اجلس وخفف عنك ... لا بأس عليها ... »

ثم يلتفت هانى، الى تلك الطمأنة على انه ثاب اليه رشده وفكر في ما سمعه فتذكر ان القهرمانة ذكرت والدة مريم فظن الأمر سبباً متصلاً بسر تلك الوالدة منذ رآها لأول مرة بعد فتح بوردو وخيل له ان سالمة احتالت تلك الحيلة لاسترجاع ابنتها. ولكنه تذكر القارورة فرأى ذكرها لا ينطبق على ذلك الظن ثم يدر ما يقول . فلما تشابه الامر عليه رأى ان يبادر الى المعسكر للبحث عنها فتذكر للحال ان الامير بسطاماً هناك فتبادر الى ذهنه ان الامير المذكور هو الذي احتال هذه الحيلة لاختطاف مريم منه لانه لم يزل عالقاً بها من يوم الفتح . فالتفت هانى، الى القهرمانة وقال « تقولين انهم ساروا نحو هذا المعسكر ؟ » واشار بيده الى معسكرهم بالامس

قالت « نعم يا مولاي »

فأسرع الى جواده فركبه وحوّل عنانه نحو ذلك المعسكر وهمز الجواد واطلق له العنان وقد عزم اذا رأى مريم عند بسطام ان يقتله حالاً — سار ومع سرعة عدو الادهم فقد كان يحسبه واقفاً

وكان في المعسكر مضارب قليلة للغنائم وحولها النفر من رجال بسطام وغيرهم ولما اشرف عليهم هانى، رآهم يختصمون و يتضاربون وقد علا ضجيجهم فلما رأوه تقدم بعضهم وهم يستغيثون . فصاح فيهم « ما الخبر ..؟ »

فقال احدهم « نشكو اليك جور الامير بسطام فانه سلط رجاله فاستأثروا بالغنائم واخذوا من اسهم رجالنا فأضافوها الى اسهمهم ولم يسمع هو لصراخنا»

فازداد هانى، غيظاً من بسطام وصاح « اين بسطام ؟.. اين هو ؟ »

ولم يتم كلامه حتى خرج اليه بسطام وهو يمشي الهوينا، ويترنح ترنح السكران فلما

رآه هاني لم يتمالك ان صاح فيه « ما هذه الجسارة على اموال المسلمين ... قد امتد الامير على الغنائم فاستأثرت بها ... وسطوت على حقوق المسلمين ... لقد صدق القائلون انك لست مسلماً »

فقهقه بسطام وهو يمسح لحيته من بقايا طعام تساقط عليها كأنه كان على المائدة وقال « مالك وللغنائم ألم تشغلك تلك النصرانية عنها . ؟ دع الحرب واذهب الى الخباء فانك اولى بمعاشرة النساء ... ولكن ستذوق عاقبة غيك قريباً » قال ذلك وهو يضحك كأنه ضامن فوزه

فحمي غضب هانيء من تلك العبارة حتى غاب رشده فاستل حسامه وساق جواده نحوه واشاق الحسام وهو يتعمد قطع راسه فخلا بسطام من الضربة فهوى هانيء حتى كاد يقع عن جواده فازداد حنقاً وحوّل الشكيمة نحوه وانقض عليه انقضاض الصاعقة فتوسط بعض الرجال بينهما وهانيء لايبالي بهم ولم يعد يصبر عن قتل بسطام ففرّ بسطام الى احدى الخيم واختبأ فيها فهم هاني ان يترجل ويتبعه فاحاط بعض الرجال بجواد هاني وتقدموا اليه ان يغمد سيفه حباً بالاسلام والمسلمين . فرجع هانيء الى رشده ووقف وهو يرتجف من شدة الغضب كأن ذكر الاسلام خفف من غضبه وسكن روعه وخصوصاً لما تصور ما قد ينجم عن قتل بسطام من الخصام بين فرق الجند . فامسك نفسه وتجلد واكتفى بفرار بسطام ... وعاد الى الامر الذي جاء من اجله فعمد الى البحث عن مريم هناك فجعل ينظر في الخيول الواقفة حول الخيام فلم ير بينها جواداً ادهم ولا رأى هناك نساء فسأل بعض الوقوف ممن يثق بهم من رجاله عمن في الخيم فقالوا له « ليس فيها غير الغنائم »

فافرد نفراً يعرفهم وسألهم « هل مرّ بكم ركبٌ على افراس ومعهم نساء »

فقالوا « كلا .. اننا هنا منذ الامس ولم نرَ احداً »

فوقف في حيرة وقد عادت اليه هواجسه في مريم وذهابها والتفت الى ما يحيط به من السهل واكثره عارٍ من الاشجار الا بعض التلال عليها الدالية من الكرم وبعض اغراس الزيتون فلم يرَ اشباحاً فتحير في امره فحدثته نفسه ان يعود الى دردون لعلهم ذهبوا بمريم الى هناك

وكانت الشمس قد مالت عن الهاجرة والجواد قد انهكه التعب فخاف اذا بالغ في سوقه وهو في تلك الحال ان يقصر في اثناء الطريق واذا لم يستحثه لا يصل المعسكر قبل العشاء على انه لم يجد بداً من ملاحظة حال الجواد فحوّل شكيمته وتوجه نحو دردون

الفصل السابع والعشرون

المنزل الخالي .

اما مريم فانها خرجت في ذلك الصباح مع ميمونة كما تقدم وقد ركبت على ذلك الادهم وتزملت بالعباءة وعلقت الخوذة بالسرج وساقت الجواد في اثر الرسول وميمونة على جواد آخر بجانبها وهي تنظر الى مريم على الادهم منتصبة القامة كأفرس الفرسان . وكانت ميمونة تظهر استغرابها ذلك الطلب المستعجل وانها انما رافقتها صيانة لها مما قد يكون من بواعث الخطر على اثر ذلك . اما مريم فكانت تستحث جوادها وافكارها تائهة في عالم التصورات وصورة هاني تتخلل كل خيال يمر في ذهنها

ساروا ساعة ثم ادركوا المعسكر القديم الى يسارهم عن بعد وكانت مريم تحسب نفسها سائرة الى ذلك المعسكر لانها لم تكن عالمة بانتقال الجند الى دردون . فلما رأت الخيام قليلة سألت الرسول عن مقر الجند وعن المكان الذي هم ذاهبون اليه فقال « ان الجند انتقلوا الى دردون للاقامة الا فرقة هناك وسيعودون الى هنا واما نحن فاننا سائرون الى مكان على مقربة من دردون امرني مولاي الامير ان اوصلك اليه فاما ان يكون هو في انتظارك هناك او انه يأتي بعد وصولك » فصدقت مريم قوله وتطايرت نفسها شوقاً الى لقيا الحبيب . فساروا على تلك الصورة بضع ساعات وقد تركوا بوردو الى يسارهم ايضاً حتى وصلوا الى بناء منفرد قد تداعت جدران سوره فدخل الرسول امامهم من باب السور الى حديقة قد غشيها الاهمال لايخفى على المتأمل فيها انها من مساكن اهل اليسار وانهم غادروها منذ بضعة اسابيع . فترجلتا ودخلتا وساق الرجل الفرسين وراءهما فلما دخلتا الحديقة تصدت ميمونة للاعتراض على الرسول غيرة على مريم فقالت له « الى اين انت سائر بنا . . ؟ اننا على مقربة من دردون على ما اظن . . وما هذا البيت الذي ادخلتنا فيه ؟ احذر ان تكون مخطئاً . . . . »

فوقف الرجل متأدباً وقال « لست مخطئاً يا مولاتي اننا في قصر بعض امراء اكيتانيا وقد هجره اهله فراراً من جند المسلمين . وفي هذه المزارع قصور كثيرة هجرها اهلها و بقيت غنيمة للمسلمين »

فقالت « واين الامير هاني » ؟ »

قال « يظهر انه لم يأت بعد لاني لا أرى أثراً يدل على مجيئه ولكنه لا يلبث ان يأتي سريعاً » قال ذلك ومشى بهما حتى ادخلهما البيت من باب كبير كان مفتوحاً وليس في المنزل الا بعض المقاعد او الكراسي المخصصة مما لا يستطاع حمله في اثناء الفرار . وقد استولى السكوت على المكان الا ما كان يتردد من صدى خطواتهم وصهيل الجوادين — اما مريم فلما وصلت ولم تجد هانئاً ولا اثراً يدل عليه شككت في تلك الرسالة ولكنها سكتت لترى ما يكون والقت معظم اللوم على ميمونة لانها اكبر منها سناً واوسع علماً بتلك البلاد وبأحوال ذلك الجند . ولم تكن ميمونة تجهل ما يخالج افكار مريم من هذا القبيل فكانت تتظاهر بالاستغراب ايضاً وتسأل الرسول مثل اسئلة مريم حتى وصلوا الى قاعة ليس فيها الا مقعدان قديمان فجلست ميمونة ودعت مريم للجلوس فجلست وهي تتفرس في المكان وتنظر الى ميمونة وميمونة تشاركها في الارتباك . فقضتا برهة وهما ساكتتان ومريم تتوقع قدوم هانئ وقد شاخت عيناها وهي تنظر الى الخارج من نافذة تطل على الحديقة وميمونة بجانبها والمكان هادئ والخادم الذي اوصلهما لم يعد يظهر . فتظاهرت ميمونة بالخوف وقالت « ويلاه اين نحن . . ؟ ما الذي جرى لنا . . ؟ اين ذلك الرسول . . ؟ يا ليتنا اصطحبنا بعض الدعالبة من خدمان الخباء » ثم صاحت كأنها تستقدم الرجل فلم تسمع جواباً غير الصدى

اما مريم فلما رأت ميمونة خائفة خافت هي ووقفت وقد ظهر الاهتمام في وجهها وقالت « هل خدعونا ؟ اين ذلك الرجل كيف يتركنا هنا ويذهب . . الى اين ذهب » وكانت الشمس قد ادركت الاصيل وهما لم تأكلا من الصباح

الفصل الثامن والعشرون

المكيدة

وانهما لكذلك اذ سمعتا صوت صهيل وقرقعة لجام فالتفتت مريم نحو الباب فرأت فارساً وفي ركابه رجلان ملثمان وهو يركض جواده ركضاً عنيفاً حتى وصل باب البستان فترجل . فظنت مريم لاول وهلة انه هانئ فخفق قلبها ولم تتمالك عن الوثوب نحو الحديقة ولم تبال باختلاف لباس ذلك الفارس وجواده عن لباس هانئ وجواده لاعتقادها انه

ارسل اليها العباءة والجواد وقد جاء متنكراً. ولكنها لم تكد تفكر في ذلك حتى رأت القادم رجلاً بديناً يترنح في مشيته وسيفه يجرهُ الى جانبه وعباءته مسترخية وراءه. ولا تسل عن اضطرابها لما عرفت انه بسطام فغلب عليها الارتعاد واصطكت ركبتاها وكاد الدم يجمد في عروقها والتفتت الى ميمونة فرأتها تظهر البغتة وقد تصدرت لمقابلة ذلك القادم الخيف بالنيابة عن مريم فلما وصل بسطام استقبلته ميمونة وهي تقول «ما الذي تريده ايها الامير ..؟»

فاجابها وهو يلهث من التعب والرجلان يمشيان وراءه «ما الذي يعنيك من هذا الامر؟»

قالت «ليس في هذا المكان رجالٌ ولا احد يهمكم امره فلا حاجة الى دخولكم اليه ...»

قال «ونحن انما جئنا لاجل النساء ... اليست مريم النصرانية هنا ..» قال ذلك وهو يضحك ومد يده الى وجه مريم. فنفرت مريم وتباعدت. فامسكت ميمونة يد بسطام وقالت «لا تفعل ايها الامير مالا يليق بالامراء .. واعلم انك اذا مسستها عرضت نفسك لغضب امير جند المسلمين ....»

فصاح بسطام فيها صيحة شديدة وقال «من اقامك ناصحاً او نذيراً .. وما هو شانك ... اني لا اخاطبك ...» قال ذلك وحوّل وجههُ ومشى نحو مريم فبالغت ميمونة في ممانعته وقبضت على زنده فادفعها منها فوقعت على الارض فالتفت هو الى الرجلين وقال «قيدوا هذه المرأة يديها ورجليها واحبسوها في هذه الغرفة واقفلوا الباب عليها»

ولم يتم قوله حتى انقضّ الرجلان على ميمونة بالامراس وقيدوا يديها ورجليها وهي تصيح وتستغيث وتحاول التخلص ومريم تهمّ بانقاذها وبسطام يمنعها بدون ان يمسها بيده وهو يقول لها «لا تخافي يا جميلة اننا لن نصيبها بسوء وانما اردنا ابقاءها عند حدّها» فلما فرغوا من تقييدها جرّها الرجلان نحو تلك الغرفة فالتفتت نحو بسطام وهي تقول «لا باس عليّ مما فعلتموه بي ولكنني اتوسل اليكم ان لا تمسوا هذه الفتاة بسوء»

ثم دخل الرجلان بميمونة الى بعض حجر ذلك البيت واغلقا الباب. فلما خلوا هناك ركلاها وشتماها. فقالت لهما بصوت خافت «من هو عدلان منكما ..؟»

فتقدم احدهما وازاح اللثام عن وجهه فبانت سحنته ونظر اليها بعينه الحولاء نظر المحب الولهان وقال «انا عبدك عدلان ارجو ان اكون قد امضيت مهمتك كما تشائين ..»

فقالت «بورك فيك (وابتسمت) قل لي اين هو هانئ وماذا فعلت به ..؟»

قال « فعلت ما امرتني به يا سيدة النساء . . . وانما ارجو ان تكوني راضية عن عبدك واسير هواك وتحققي انك لا تجدين من يصدع باوامرك و ينفذ مآربك سواي . . »

فابتسمت ابتسامة اخرى وحركت اجفانها حركة الغنج والرضاء وقالت « اذا كنت قد فعلت ما فعلته بخفة ولباقة فاني راضية . . قل لي اين هو هاني . . . ؟ »

قال « اظنه لا يزال تائهاً في هذه الصحراء يفتش عن حبيبته . . »

قالت « وكيف اوصلت اليه المنديل ؟ »

قال « بعد ان اتيتك بالجواد الادهم امس و وكلت به هذا البطل (واشار الى رفيقه) وافهمته كيف يخدع القهرمانة — وكل ذلك بارشادك — ذهبت بالمنديل الى معسكر المسلمين فوصلت اليهم صباحاً . ومن حسن حظ مولاتي وتوفيقها رأيت الرجل خارجاً يتمشى فاسرعت نحوه ودفعت اليه المنديل وانا ملثم فسالني عن غرضي فاخبرته ان صاحبة هذا المنديل تدعوه اليها حالاً وتركته وفررت الى مكان اراه منه ولا يراني فرأيته اسرع الى جواده فركبه وساقه نحو الخباء . فلما تحققت ذهابه اسرعت من طريق آخر الى معسكر مولاي الكونت اود واخبرته بالواقع كما أمرتِ وحرضته على مباغتة المسلمين حالاً وقائد فرسانهم غائب . فاطاع ونادى رجاله وهجموا على المسلمين وهم في غفلة . وقد رأيتهم في قتل عظيم ولا اظنهم الا قد ذعروا وتقهقروا والغالب ان الافرنج قد استولوا على معسكرهم الآن . . »

وكان عدلان يتكلم وميمونة تراعي حركاته وكلما قال عبارة تبتسم له وتبدي ارتياحها وهو يتكلم بنشاط وسرور . فلما قال ذلك قالت هي « ثم كيف فعلت بسطام هذا . . »

قال « اتيته وهو في المعسكر القديم وجعلت اني اخدمه خدمة تسره واني فاعل ذلك من عند نفسي فاخبرته ان مريم خرجت من الخباء الى هذا المكان واني ساذهب به اليها فيبلغ منها ما يشاء على شرط ان يحافظ عليك فانك على غيرتي ودفع اليّ هدية ثمينة وكنت اتوقع ان يلتقي هاني به ويقتتلا فيقتل احدهما الآخر . فيكمل توفيقك وتتم رغائبنا بانقسام هذا الجند . فجاء هاني بعد ذهابه الى الخباء ولم يجد مريم فيه فظن بسطاماً اختطفها فلما لقيه في الخيام تخاصما وهمّ هاني ان يفتك به لو لم يجبن هذا و يدخل خيمته . فبعد ذهاب هاني حرضت بسطاماً على الركوب سريعاً فركب وسرت في ركابه والتقينا في اثناء الطريق باخي هذا وكان قد جاء يستعجلنا فبدلت عباءته بعباءتي وغيرت قيافته وجئنا في ركاب بسطام كما رايتنا »

فقالت ميمونة « بورك فيك من خادم امين . . . واذا تحققت امنيتنا بفشل جند العرب

دعوتك بلقب آخر » قالت ذلك واشارت بحاجبيها

فاشرق وجهه وجعل ينظر اليها وقلبه يكاد يطفح سروراً لما شاهده من انسها وتلطفها

الفصل التاسع والعشرون

الخنجر

اما مريم فلما رأت ميمونة مسوقة الى تلك الحجرة وهي مقيدة الاطراف وسمعت تضرعها الى بسطام بشأنها اعتقدت حبها لها ولكنها كانت في شاغل من امر نفسها لانها لم تتوقع بعد ما رأته الا الفتك الذريع من بسطام وهو مع غلظه وخشونته كانت رائحة المسكر تفوح من فيه وقد احمرت عيناه واكمد لون وجهه وتمنطق بجلد عريض غرس فيه خنجراً ضخماً ووضع يمينه على قبضته ويسراه على قبضة السيف فتصوّر لعيني مريم شيطاناً رجيماً . فاستعاذت بالله من تلك الوقعة وتضرعت اليه تعالى في باطن سرّها ان ينجيها منه . على انها لم تتمالك عن الاضطراب الشديد من منظر ذلك الوحش الكاسر وكانت لا تزال متزملة بالعباءة الحمراء التي تعتقد انها عباءة هانىء فوق ردائها الاسود وعلى رأسها خمار اسود يغطي جبينها الى الحاجبين وقد تلثمت به من اسفل الذقن فبان وجهها من خلال ذلك مستديراً وقد تلألأت عيناها وزادها الانقباض هيبة . ومع كل ما شاهدته من اسباب الخوف لم تخر عزيمتها . ولعلها كانت عند اول ملاقاة بسطام هناك اكثر اضطراباً منها بعد ظهور تلك الفظاظة بتقييد ميمونة وحبسها وقد أصبحت هي وهو فريدين في ذلك البيت الواسع

اما بسطام فلما اختلى بمريم على تلك الصورة دعاها الى الجلوس على كرسي هناك كأنه يريد ان يخاطبها بلطف على سبيل الاقناع . فجلست وجلس هو على كرسي آخر والتف بعباءته حتى غطت السيف والخنجر وهو يقول بلغة عربية مستعجمة مع نغمة البرابرة « لا تخافي يا مريم اني لا أريد بك سوءاً لاني احبك حباً شديداً جداً (و بالغ في تشديد الدال) وانت على ما يظهر قد غشك ذلك الغلام العربي . . فانخدعت باقواله . . . على انك نصيبي وحدي من هذه الحرب ولو شئت ان امنعه منك لمنعته من اول ساعة ولكنني تلطفت بك ورفقت بمزاجك والآن قد وقعت بين يديّ ولا مناص لك مني فأطيعيني »

وكانت مريم تسمع كلامه واطرافها ترتعد من شدة التأثر وهي تفكر في نجيبه

لى هنالك هل كان على موعد او بالاتفاق واحبت ان تماطله في الحديث ريثما يأتي هاني، لاعتقادها انه قادم اليها فقالت « دع عنك ذلك يا اميرفان لكل شيء وقتاً وانتم الآن في حرب فبعد انقضائها يأخذ كل ذي حق حقه ٠٠ »

قال لا تماطليني بالمحال ولا تظني هانئاً بالغاً منك شعرة فقد صرت في قبضة يدي ولا يخرجك منها احدٌ فالافضل لك ان تطيعيني والا فاني بالغ منك ما اريد قهراً ٠٠ »

فلما سمعت تهديده السريع عظم عليها الامر ولكنها ما زالت تود مماطلته ريثما يأتي هانئ لوثوقها ان هانئاً يرغم انفه فقالت « لا أرى باعثاً الى التهديد ايها الامير فان من يعدُّ نفسه اميراً ويفتخر بشجاعته وشدَّة بأسه لا يليق به ان يهدد فتاة بمثل هذه العبارات وخصوصاً في مثل ما انتم فيه من الجهاد »

فضحك بسطام ضحكة الاستخفاف وقال « نعم اني أمير شجاع وساحة الوغى تشهد لي بذلك ولولاي لم يكن لذلك الغلام ذكر بين الرجال ولا كان لاولئك العرب راية تخفق في هذه البلاد فاذا علمت ذلك اقلعي عن ذكر سواي ٠٠ »

فلما سمعت تعريضه بهانئ وبالعرب ورأت اللين لا يجدي معه نفعاً عادت الى ماشبَّت عليه من الانفة وقالت « دع عنك التعريض والتلميح فانك لست من رجال الامير هانئ، ولو حضر الآن ما تجاسرت على التفوُّه بحضرته بمثل هذا الكلام »

فحملق بسطام بعينيه ووثب بغتة وامسك مريم بذراعها وضغط عليها بكل قوته كأنه يريد ان يفتها لعلها تلين ٠ فشعر بصلابة عضلها كأنه قابض على حديد ٠ ثم اجتذبت يدها من قبضته وهو لم يستطع منعها ووقفت وهي تقول - ابعد عني ولا تمسني فقد بالغت بالاستخفاف حتى نفد صبري ٠ »

فلما شاهد منها هذا الاصرار ورأى فيها تلك القوة اشتد غيظه وحمي غضبه وأراد تكايتها فقال « لا تمادي تمسك بالمحال فاني ضاربك ضربة بهذا السيف اقضي بها على حياتك هل انت الا سبية نباعين بضعة دراهم ؟ وقد اخطأت بمحاسنتك فظننت المحاسنة ضعفاً وانت تعلمين ان في خبائي عشرات من امثالك يتمنون رضاي »

الفصل الثلاثون

المعركة

وهمت مريم بأن تجيب بسطاماً فسمعت ضجيجاً في البستان وقد علت الضوضاء وسمعت رجلاً يقول « ان الامير هانئاً هنا »

فلما سمعت اسم هانيء بغتت واشتغلت عن بسطام باستطلاع الخبر فأسرعت الى الباب وأسرع هو أيضاً فرأت جماعة من العرب قد وقفوا حول الجواد الادهم وهم يقولون « أليس هذا جواد الامير هانيء فأين هو ؟ »

فأجابهم بسطام « ليس هانيء هنا ... ماذا تريدون منه ؟ »

فتقدم أحدهم وقد غشيه الغبار وتجلت البغتة في وجهه وتصبب العرق من جبينه وقد عرف الامير بسطاماً فقال « ان الافرنج هاجونا واشتبك القتال بيننا وبينهم والامير هانيء غائب من الصباح وقد قتل فرساننا وكادت الدائرة تدور علينا فخرجنا للبحث عنه فاذا لم يدركنا لم تقم لنا قائمة ... والامير عبد الرحمن لم يستطع قيادة الفرسان لاشتغاله بسائر الجند — فلما رأينا هذا الادهم ظنناه هنا »

فقال بسطام « ليس هذا ادهمه ... والظاهر انه طالب النجاة بنفسه . ابحثوا عنه في غير هذا المكان » قال ذلك وتحول الى الداخل

فرجع الرجل ورفاقه الى الادهم وتأملوه جيداً فتحققوا انه ليس جواد هانيء فانكفأوا راجعين

وكان جند العرب قد تضعضع لغياب هانيء لأنهم لم يكونوا على موعد من الحرب في ذلك اليوم وانما خرج اليهم الافرنج بغتة وهم في خيامهم لاسباب تقدم بيانها في أثناء حديث ميمونة . وكان عبد الرحمن في صباح ذلك اليوم مشتغلاً في خيمته ببعض الشؤون ينتظر مجيء هانيء اليه للمداولة في أمر الجند . فأبطأ هانيء عليه فاشتغل خاطره بشأنه وهمّ باستقدامه واذا ببعض الرجال قد جاؤه مسرعين ينادون « ان الافرنج قد خرجوا الينا كالسيل الجارف » وعلت ضوضاء الجند فخرج عبد الرحمن الى فرسه وبعث رسولاً الى الامير هانيء وسائر الامراء ليجمعوا رجالهم ويتأهبوا للهجوم على جاري

عادتهم ولم يكد يفعل ذلك حتى أنهالت النبال على خيمته فنظر الى المعركة فرأى الافرنج هاجمين وقد تصاعد غبارهم فركب جواده ونادى رجاله ووقف في انتظار هانيء ليقود الفرسان ويرتبهم فعاد الرسول وهو يقول « لم نجد الامير هانئاً في خيمته ولا رأينا جواده في مربطه »

فارتبك عبد الرحمن في أمره وقد كان كثير الاعتماد على هانيء في تنظيم الهجوم لانه قائد فرسانه والفرسان اوجه فرق الجند عند العرب . فغضب عبد الرحمن لتخلفه غضباً شديداً وأخذ على نفسه قيادة الفرسان فلم يستطع تنظيمهم لانه لم يتعودهم ولا تعودوه والفرصة قصيرة . فالتحم الجيشان والعرب مرتبكون ولولا شجاعة عبد الرحمن وتدبيره في ذلك المركز الحرج لتشتت رجاله من الصباح . لكنه كان رابط الجأش فاخذ يستحث الرجال ويشجعهم ويسير امامهم الى صفوف الاعداء لا يبالي بما يتساقط عليه من النبال لان موته في ساحة الحرب أيسر عليه من الفشل

فلما مالت الشمس عن خط الهاجرة ولم يأت هانيء بعث جماعة للتفتيش عنه وظل هو يدبر امور الجند ويصبرهم ويستحثهم ويشجعهم حتى كادت الشمس تدنو من المغيب وكاد الافرنج يظفرون بالعرب وكان الفرسان يحاربون وعيونهم شائعة في عرض البر يتوقعون قدوم قائدهم او سماع خبر عنه . وكان الامراء كلما التقى اثنان او ثلاثة منهم ولو تحت خطر الموت تساءلوا عن هانيء وسبب غيابه وشعروا باهميته في حروبهم اكثر مما كانوا يظنون

اما عبد الرحمن فمع سعة صدره وشدة حبه الامير هانئاً فانه وجد عليه وتوهم ان الغرام حمله على السير الى حبيبته على أثر ما سمعه من رضائه عن تحابهما . ولكنه كان في شاغل عن التوسع في هذا الشأن بما يحيط به من المشاغل الهامة خوف الفشل . على انه اضطر اذا صح ظنه في هانيء ان يحرمه من مريم — كانت تلك الافكار تتوارد على ذهنه متقطعة يتخللها الارتباك في تدارك الخطر المحدق به وبجنده . وكان مع ذلك لا يفتر عن التلفت والتطلع لعله يرى هانئاً قادماً ولكنه لم يكن يرى الا مايزيده اضطراباً بزيادة التضعضع في الجند وخصوصاً الفرسان حتى كاد الافرنج يصلون الى خيمته

الفصل الحادي والثلاثون

هانئان

وفيما هو يستحث رجاله ويحرضهم على الصبر والثبات لاحت منه التفاتة الى يسار الجند فرأى من خلال الغبار والنبال فارساً على جواد ادهم عليه عباءة حمراء وعلى رأسه خوذة وقد أشرع سيفه واطلق لفرسه العنان فبذل الفرس اقصى ما عنده من العدو حتى اعتدل عنقه وتطاير عرفه وانتصب ذيله وامتدت قوائمه فاستطال بدنه وتناثر التراب من مواقع حوافره — ولولا ذلك التناثر ما علمت موقعها — وتصاعد الغبار خلفه وهوى نحوه كأن الفرس سابح في الهواء وكأن الغبار يحاول اللحاق به فلا يدركه . والفارس ثابت على ظهره كأنه قطعة منه لا يبالي بالسهام المتطايرة ولا بالرجال الهاجمين . فلما رآه عبدالرحمن خفق قلبه سروراً لاعتقاده انه هانئ فساق جواده نحوه حتى اقترب منه وهو يتوقع ان يقف له ولكنه ظل هاجماً نحو الافرنج وهو يقول « انا لكم هانئ لا تخشوا ... ولا تخافوا من غلمان الافرنج انهم غنيمتكم في هذا اليوم »

فلم يشك عبدالرحمن انه الامير هانئ نفسه وأراد بعضهم ان يستقدمه الى عبدالرحمن فلم يصغ اليه وساق جواده الى معسكر الافرنج من جهة لم يكن الافرنج يظنون العرب يأتونهم منها . فاشتدت عزائم العرب وخصوصاً الفرسان وساروا في أثره كأنهم الاسود الكاسرة . فبغت الافرنج وأرادوا ان يحولوا قوتهم الى الجهة التي هاجمهم منها ذلك الفارس واذا بفارس آخر بعباءة حمراء وخوذة على جواد ادهم أيضاً وقد استل حسامه وهجم على الافرنج من جانب آخر وهو يقول « جاءكم الامير هانئ » فتبعه من بقي من الفرسان فانقسم الافرنج شطرين لملاقاة الفريقين فتضعضعوا وازداد المسلمون ثباتاً وشجاعة ولم يمس المساء حتى فرّ الافرنج عن بكرة أبيهم وأصبح معسكرهم غنيمة للمسلمين . فاستولى المسلمون على ما هنالك من الخيام والاسلحة والاطعمة والذخائر . وكان الامير عبد الرحمن قد شاهد هجوم الامير الآخر من الناحية الاخرى وهو يشبه الامير هانئاً لان كليهما بلباس متشابه وعلى فرسين متشابهين

. فلما فرّ الافرنج كانت الشمس قد غابت واكفهر وجه السماء وعاد عبد الرحمن الى

خيمته حيث يتوقع ان يلاقي الامراء وهانيء في جملتهم ليعهد اليه امر الغنائم على جاري العادة

وبعد قليل جاء احد الفارسين صاحبي الادهمين فاذا هو هانيء نفسه فرحب به فابتدره هانيء قائلاً « لقد غدرنا هؤلاء الافرنج وتوسموا بالغدر خيراً وقد دمرهم الله . ولو علمت بعزمهم على الهجوم ما فارقت المعسكر لحظة »

فقال عبد الرحمن وهو يتحوّل عن جواده ويتشاغل باصلاح ركابه « لقد شغلت خاطرنا على غيابك فنحمد الله على رجوعك » ثم التفت اليه بلهفة وقال « ومن هو ذلك الفارس الذي تقدمك واكتنى باسمك »

فقال « لم يكن معي احدٌ »

قال « اما رأيت فارساً على ادهم مثل ادهمك وبعباءة مثل عباءتك؟ قد رأيته بعيني في وسط المعركة قبل وصولك وسمعته يتسمّى باسمك »

قال ذلك ونظر الى بعض الرجال حوله وقال « اين ذلك الفارس على الجواد الادهم ؟ »

اجاب احدهم « رأيناه هاجماً وقد اوغل في الصفوف ثم توارى وربما جاء بعد قليل »

فصاح عبد الرحمن « اذهبوا في اثره واستقدموه » وتحوّل عبد الرحمن وهانيء الى الخيمة وجاء في اثرهما بعض الامراء وجلسوا يتحادثون في امر ذلك اليوم العجيب وما كان يتهددهم من الخطر وكلهم يذكرون هانئاً والآخرون معجبون — على انهم اشتغلوا عن ذلك بعد قليل بتدبير امر الغنائم والاسرى ولم يكن في معسكر الافرنج سبي لانهم لا يحملون معهم نساءهم واولادهم . اما الرجال فانهم ارتكنوا الى الفرار وفي مقدمتهم الكونت اود صاحب اكيتانيا ورجال حاشيته

فتباحث الامراء في امر الغنائم من الاسلحة والخيام والفرش وغير ذلك ووكلوا الى كتّاب الجيش النظر في تقسيمها وحفظ حق بيت المال على جاري العادة . ولم تكن الغنائم في هذه الواقعة كثيرة فاقتسموها على عجل . وقضوا تلك الجلسة وكلٌّ منهم يفكر في امر ذلك الفارس ثم تفرقوا الى خيامهم الا هانئاً فانه بقي عند عبد الرحمن ليخبره عن سبب تغيبه . فلما خلوا سأله عبد الرحمن بلطف فقصّ عليه حديثه باختصار ولم يكتمه شيئاً بعد ما آنسه من مجاراته له في امر مريم . فلما بلغ الى حديث بسطام وما كان من حاله في مستودع الغنائم هزّ عبد الرحمن رأسه وقال « انا لله وانا اليه راجعون . ان امر هؤلاء

البرابرة لحنوفي واخشى من عواقب استبدادهم اذا نحن بالغنا في استرضائهم — واخشى من الجهة الاخرى اذا جافيناهم ان يفسدوا علينا سعينا . »

وكان هاني، لما ذكر الجواد الادهم الذي اخذت مريم يتذكر ما قالته القهرمانة عن العباءة الحمراء والخوذة اللتين تشبهان عباءته وخوذته فتبادر الى ذهنه علاقة بين ذلك الجواد وهذا الفارس

وبينما هما في ذلك عاد الذين ذهبوا للتفتيش عن هاني، الآخر وقالوا انهم بحثوا عنه في المعسكرين فلم يقفوا له على اثر . فعاد هاني، الى هواجسه وهو قلق الخاطر على مريم ولم يفهم تلك الاسرار وخاف ان يكون قد اصابها سوء او لعلها في ضيق او تكون قد فرّت من معسكر العرب بتلك الحيلة — اما عبد الرحمن فلما سمع ما قصه عليه هاني، من امر مريم وخروجها تذكر والدتها والمهمة التي ذهبت بها لجرأة سوء ظنه (والعاقل سيء الظن) الى اتهام سالمة في الامر وانها انما تظاهرت بما تظاهرت به احتيالاً لاترار من الامر . ثم راجع ما حفظه من حديثها وما كان يبدو في وجهها من امارات الجد فغلب عليه اعتقاد صدقها

الفصل الثاني والثلاثون

هانئ الآخر

ولبثا برهةً صامتين لا يتكلمان وكل منهما في هاجس يتنازعهما التفكير في مريم وفي ذلك الفارس . وانهما لكذلك اذ سمعا وقع حوافر مسرعة نحو الخيمة فاصغيا واذا بغلام دخل مسرعاً وهو يقول « ان فارسين بالباب يلتمسان الدخول » فقال عبد الرحمن « ليدخلا » فخرج الغلام ثم عاد وفي اثره رجل عليه خوذة وعباءة حمراء فحالما وقع نظرهما عليه علما انه الفارس الذي سمى نفسه هانئاً . فلما رآه هاني، وقف واقبل نحوه وتفرس في وجهه فرآه قد تلثم تحت الخوذة بلثام اسود ورأى من خلال العباءة ثوباً اسود فصاح فيه « يا هلا بالفارس الذي يسمي نفسه هانئاً » قال ذلك وتقدم نحوه وهو يتوقع جوابه . فظل الفارس ساكتاً ينظر من خلال اللثام . فابتدره الامير عبد الرحمن قائلاً « انك ذو فضل على هذا الجند . . . بالله ألا رفعت لثامك وعرفتنا بنفسك . . »

فرفع الفارس يده الى الخوذة فنزعها فبان من تحتها خمار اسود وألقى العباءة عن

كتفيه فبان من تحتها ثوب اسود فعرف هانئ للحال انه ثوب مريم فلم يتمالك ان صاح «مريم! مريم!»

فمد الفارس يده الى الخمار فازاحه فبان من تحته وجه فتاة يتدفق حياة وجمالاً وقد زاده التلثم دفئاً فتورد وابرقت العينان. ولا تسل عن هانئ لما علم بانه مريم من البسالة التي تندر في النساء. فقال وهو لا يستطيع امساك نفسه «مريم؟ اهذه التعال فعالك يا حبيبة.. عهدناك ربة الجمال واللطف ولم يخطر لنا انك ايضاً ربة الجواد والسيف... حبيبتي ما الذي جرى؟ اين كنت؟ ما هذا. ؟ ماذا أرى..»

قالت «انك ترى مريم واقفة بين يديك وبين يدي الامير عبد الرحمن ولم آت امراً يستحق هذا الاطناب واذا كنت قد فعلت شيئاً فما هو الا لاني تسميت باسم الامير هانئ... فالامير هانئ هو الذي فعل ذلك..» قالت ذلك بلغتها المعهودة وقد تجلى في عينيها شيء هو غير البسالة والانفة — تجلت في وجهها ملامح الحب فذهبت بكل ما كان هناك من امارات الشجاعة والرجولية. ثم انتبهت لنفسها وانها قالت ذلك بين يدي الامير عبد الرحمن فغلب عليها الحياء فاطرقت فابتدرها عبد الرحمن قائلاً «بورك فيك وبورك بالامير هانئ. انكما متكافئان ولولا كما لاصاب هذا الجيش ضيق لا ندري ما يكون من عواقبه.. تفضلي يا بنية اجلسي وقصي علينا خبرك وما الذي دعاك الى اقتحام هذا الخطر العظيم. فقد سمعت من اخي هانئ انك خرجت من الخباء في هذا الصباح بخديعة وذهب هو من الصباح للتفتيش عنك ولم يعد الا بعيد تجيئك — عاد وهو قانط من العثور عليك. فما هو خبرك؟»

قالت «ارجو قبل الشروع بالحديث ان تأمر باستقدام رفيقتي وصديقتي التي تحملت العذاب من اجلي.. ميمونة. فانها خارج هذا الفسطاط» واشارت باصبعها الى الخارج

وكان الاميران قد ملأا بشياعهما معاً فلم يستغربا كلامها فصفق عبد الرحمن فدخل الغلام فأمره ان يدخل المرأة الواقفة خارجاً وبعد هنيهة دخلت ميمونة وهي تتظاهر بالحياء والدعة. فأشار اليها عبد الرحمن ان تقعد على طنفسه في بعض جوانب الفسطاط وهو يبتسم لها اعترافاً بحسن صنيعها ثم حوّل وجهه الى مريم لاستماع حديثها. وكان هانئ لا يزال واقفاً فأشار اليه عبد الرحمن ان يقعد بجانبه فقعد واصاخ الاميران باذنيهما لسماع القصة

فبدأت مريم بالحديث منذ جاءها الرسول بالتمس ذهابها الى الامير هانئ وكيف ان

ميمونة عرضت نفسها لخدمتها وكيف آنستها واعانتها حتى وصلت الى دخولها القصر المهجور وما كان من تعدي بسطام وما ابداه من الوقاحة وكيف عرضت ميمونة بنفسها للخطر دفاعاً عن مريم. فلما ذكرت مريم ذلك تحولت الانظار الى ميمونة فتظاهرت بالحياء والاطراق.

اما هانيء فاحس منذ سمع اسم بسطام بارتعاد من شدة الغيرة والتفت الى الامير عبد الرحمن وهمس في اذنه قائلاً « يا ليتني قتلته في هذا الصباح . . »

اما مريم فانها استمرت في حديثها فقالت « فلما رأى بسطام مدافعة هذه الصديقة عني امر رجاله فقبضوا عليها واوثقوها وساقوها الى بعض الغرف وهي تصيح وتستغيث فلما يئست من نجاتها تقدمت الى ذلك الوحش الكاسر ان يرفق بي . اني لا انسى تلك الاستغاثة — وان كان بسطام لم يعبأ بها فانه لما خلا بي في ذلك القصر المهجور حدثته نفسه بامور كثيرة وطال الجدال بيني وبينه وفيما نحن في ذلك جاء بعض فرسان هذا الجند للبحث عن الامير هانيء هناك فعلمت منهم ان الافرنج هاجموكم وهانيء غائب وان العرب في تضعضع بسبب ذلك. فأصبحت في قلق لاسباب لا تجهلونها . اما بسطام فانه لم يبال بضياع جند العرب كله ولما سمع توبيخي له على ذلك انتهرني وعرض بذكر الامير (واشارت الى هانيء) واتهمه بالجبن وانه فرّ من المعركة خوفاً من الموت . لاني قلت له « ألا تزال تزعم ان هانئاً غلام لا شأن له وقد رأينا الجند لا يستطيعون عملاً بدونه ولم نسمعهم ذكروا بسطاماً ولا سواه » (فلما سمع هانيء ذلك الاطناب حوّل نظره عن مريم حياء)

أما مريم فأتمت حديثها قائلة « فوقع كلامي على بسطام وقوع الصاعقة ولم يتمالك ان هجم عليّ ويده على قبضة سيفه يهمّ ان يجرده ليضربني به فصحت فيه « اخسأ يا نذل الرجال ان مثلك لا يليق ان يسمى اميراً فبدلاً من ان تجرّد حسامك على فتاة اذهب لنجدة اخوانك وقد علمت ما هم فيه من الضنك وجرده على اعدائك . ولو كان هانيء في مكانك ما فعل مثل فعلك »

فلم يزده هذا الكلام الا حنقاً وكنت اظنه يخجل من نفسه ويرتدع عن غيه فقال ويده لا تزال على قبضة السيف « لو كان هانيء رجلاً ما تخلف عن ميدان الحرب في مثل هذا اليوم ولكنه جبان » ولم يتم كلامه حتى جرد سيفه وهمّ بإطلاقه عليّ فلما رأيت ذلك منه وتبينت الغدر في عينيه تناسيت ضعف النساء وشددت عزيمتي وعولت على الفتك به التماساً للسرعة في الخروج من بين يديه لانظر في امر هذا الجند لان نظامه يهمني كثيراً كما تعلمون . ثم امسكت نفسي وعدت الى الملاطفة فقلت له « لا تخوفني بسيفك ولا يغرنك اني فتاة فاني لا اخاف السيوف فارجع عن عزمك واتركني وشأني وذلك خير لك » وقبضت

على زنده وهزته فاكبر ان يصفعني فاتئر من يدي وكان قد انزل السيف فعاد وشهره واوهم انه مطلقه على عنقي فتراجعت لاخلو من الضربة فظنني خفت فتبعني وسيفه يكاد يقع على رأسي فأعترف لكم اني لم اعد استطيع صبراً على ذلك فصحت فيه « تضحك فاقبل نصيحتي يا بسطام .. » قلت ذلك وهو يحاول ان يقبض على ثوبي ليتمكن من ضربي لانه كان يتوقع فراري . فبدلاً من الفرار هجمت اليه وامكست يداه بيسراي ومددت يمناي الى منطقته واستللت خنجره وغمدته في صدره وقلت له « ابيت الا ان تموت قتيلاً وان تدنس يدي بدمك » فغاص الخنجر الى قبضته وخرّ على الارض وسقط السيف من يده فالتقطت السيف ولم انظر الى وجهه لاني قتلته مكرهة واسرعت الى الأدهم فركبته والتففت بالعباءة وجعلت الخوذة على رأسي وهمزت الجواد نحو المعركة لأوهم الناس اني الامير هاني، تشجيعاً لرجاله فاذا ترتب على عملي هذا نجاح فانما الفضل لذلك الاسم المبارك »

الفصل الثالث والثلاثون

الاخلاص

فلما ذكرت مريم قتل بسطام صاح الامير عبد الرحمن « قتلت بسطاماً ؟ »

قالت « نعم قتلته وقد قصصت عليك السبب الذي دعاني الى قتله فاما ان تعذرني فيه او تقتلني به فاني بين يديك »

فتصدى هاني، للجواب قائلاً « ان قتله مقدّرٌ منذ ايام ولو لم تقتليه انت لقتلته انا واذا رأى الامير ان ينتقم له فلينتقم مني »

فقال الامير عبد الرحمن « لا اريد الانتقام له ولكنني اخاف ان يترتب على مقتله تشويش في الجند لما تعلمون من ... » ثم انتبه لوجود ميمونة هناك فتوقف عن اتمام الحديث وحوّل الموضوع فقال « سنعود الى البحث في ذلك والآن اخبرنا عن سبب تأخرك عن القدوم الى الآن مع ان المعركة انقضت منذ بضع ساعات »

فلما سمعت مريم سؤال عبد الرحمن اشارت بيدها الى ميمونة وقالت « قد كنتُ في شاغل من أمر هذه الصديقة لاني تركتها أسيرة في ذلك القصر المهجور واسرعتُ لما قدمته من أمر الحرب . فلما فرغتُ من ذلك ولهاً أن بالي على الجند تذكرت ما هي فيه من الضيق بسببي فلم أتمالك عن الذهاب لانقاذها . فاسرعت الى القصر قبل المجيء الى هذا المعسكر فوجدتها لا تزال مغلولة وقد غادرها الحارسان فحللت قيودها وجئت بها على جواد كان لا يزال هناك . ولو لم استطع انقاذها لتنغص عيشي لانها انما أسرت وأهينت بسببي — فلما رجعتُ كان الليل قد أظلم فاهتديت الى معسكركم بنيرانه وعرفت خيمة الامير من العلم الذي ببابها فجئت كما ترون »

وكانت مريم تتكلم والحمية تتدفق من محياها والصدق يتجلى في كل لفظ من ألفاظها فازداد عبد الرحمن اعجاباً بها والامير هائمٌ هياماً بحبها ولم يتمالك هائمٌ ان صاح « بورك ببطن حملك ووالله لانت بشير خير ورسول سعادة لهذا الجند . . . »

فوقفت ميمونة عند ذلك وهي تتظاهر بالامتثال واللطف والحياء وقالت « لا غرو اذا أعجب بها الامير وهو في أبان الشباب فقد عشقتها النساء قبله واعترف اني لم تقع عيني في هذه البلاد ولا في غيرها على فتاة جمعتْ ما جمعته هذه الحبيبة من لطف النساء وبسالة الرجال وأنفة الامراء وحنو الامهات غير ما في خصالها من صدق اللهجة وعزة النفس فهي جديرة برضاه الاميرين . واما انا فقد كنت أعدُّها صديقتي فبعد ما غمرتني به من الجميل أصبحت وأنا أنظر اليها نظري الى من هو فوق مرتبتي . . . . »

وكانت مريم في أثناء ذلك مطرقة تكاد تذوب خجلاً وقد كلل العرق جبينها حتى تقطر فوق خديها توردا من شدة الحياء ولم ترَ جواباً لذلك التجمل غير السكوت والاطراق

وادرك عبد الرحمن ذلك فيها فأشفق على عواطفها فعمد الى تغيير الحديث فقال « أرى مريم أهلاً لاكثر من ذلك واما الآن فقد آن لها ان تستريح بعد هذا العناء » ثم صفق فدخل الغلام فقال له « اعدد لهاتين السيدتين خيمة تنامان فيها واحضر لهما كل ما تحتاجان اليه من لوازم الراحة . . . وخذ الفرسين الى الاسطبل . . . . »

فاشار اشارة الطاعة وخرج وخرجت مريم وميمونة في أثره وهاني يراعي مريم في أثناء خروجها وقد تضاعف هيامه بها وتذكر ما عاهدها عليه من أمر الاقتران بعد ان يقطعوا نهر لوار . فلما تذكر ذلك هان عليه ان يقتحم جند الافرنج وحده اذا حلوا بشـ

وبين ذلك النهر . فلما خرجت المرأتان وبقي الاميران على انفراد لاحظ عبد الرحمن ما بدا في وجه هانئ من دلائل الهيام فسره تعلقه بمريم وغلب على ما ربما خطر في باله من الاستئثار بها دونه لما آنسه من المشابهة بين الحبيبين بسالة وحماسة وأنفة مع ما بينهما من المحبة المتبادلة — على أنه ما لبث أن غلب على فكره امر ذو علاقة كبرى بسلامة ذلك الجند والاحتفاظ باتحاده على أثر ما سمعه تلك الليلة من مقتل الامير بسطام . واصبح لا يشك اذا بلغ مقتله الى رجاله ان يثوروا ويطالبوا بدمه فاذا علموا ان مريم قاتله ربما أساؤها فيستاء هانئ وتكون البلية الثانية شراً من الاولى — فلبث الامير عبد الرحمن هنيهة وهو مطرق واصابعه في خلال لحيته وقد استغرق في التفكير حتى غلب عليه الجمود وقد قبض على لحيته بأنامله والشعر فيما بينها — وكان هانئ مطرقاً مثل اطراقه ولم ينتقل فكره من مريم الا الى ما قد يحول بينه وبينها من جنود الافرنج وحصونهم

الفصل الرابع والثلاثون

حيلة جديدة

وانتبه عبد الرحمن بغتة ونظر الى هانئ فلما رآه مطرقاً ادرك انه يفكر في أمر غير الذي يفكر هو فيه فعذره في مريم بعد ما عاينه منها ولكنه خاطبه بلطف وايناس وقال له «بورك لك بهذه الفتاة فانك والله جدير بها ولكنني لا ازال أتوقع منك رأياً لا يتم لنا امر بدونه »

فلما سمع هانئ كلامه عاد الى رشده وفاته لاول وهلة ادراك مراد عبد الرحمن فقال « وأي أمر تعني أيها الامير »

قال « اعني بسطاماً وقتله . لا أنكر عليك انه نال ما يستحقه ولكنك لا تجهل حاجتنا الى بقائه اذا لم يكن للاستبانة بسيفه فلحفظ قبيلته على ولائنا . وانت تعلم شأن اولئك البرابرة معنا وخصوصاً رجال بسطام فانهم انما انجدونا طمعاً بالغنائم ولم يذعنوا لاوامرنا الا وفي نفوسهم ضغائن علينا لاعتقادهم ان العرب ظالموهم ومستأثرون بالسلطة والاموال دونهم . فاذا علموا بقتل أميرهم اخاف ان يحدث منهم ما يفسد امرنا ويفرق كلمتنا ونحن في أشد الحاجة الى الاجتماع فما رأيك ....

فابتدره هانئ بالجواب كأنه اشتغل في تحقيقه وتحريره منذ ايام وقال « ليس اهون عليّ من ارضاء أولئك البرابرة ... فقد قلتَ انهم لم يرافقونا في هذه الحرب نصرة للاسلام وانما ارادوا كسب الاموال واقول لك انهم لم يطيعوا بسطاماً الا لأنّ هذه الغاية لأنه واسطة بيننا وبينهم فاذا تحققوا بقاء ذلك الكسب ظلوا على الطاعة — وزد على ذلك انا توهمهم بأن ذهابه دعا الى زيادة اسهمهم من الغنائم لانه كان كثير الطمع لنفسه ثم نمنح أولئك الامراء هدايا خصوصية ونطلب اليهم ان يختاروا رئيساً منهم بدل بسطام — واذا عهدتَ اليّ تدبير ذلك فعلته وانا ضامن السلامة باذن الله فان من كانت مطامعه الاموال لا يصعب ارضاؤه بها ..»

فأعجب عبد الرحمن بسداد ذلك الرأي وعهد اليه تدبير الامر بحكمته وفوّض اليه اجراء ما يراه ولم يكن ذلك صعباً عليه

وفي صباح اليوم التالي تفاوض الامراء في امر الاخية فاجمعوا على حلها الى هناك فبعثوا جنداً لنقل المضارب وخيم الغنائم التي كانت باقية في المعسكر القديم واتم هانئ مهمته على نحو ما قال ومكثوا هناك يتأهبون للشخوص نحو نهر لوار بعد رجوع سالمة من مهمتها ليعلموا كيف يتصرفون . لان عبدالرحمن كان يتوقع فوائد كبرى من مساعي سالمة لعلمه ان اتحاد جنده لا يمكث طويلاً لاختلاف عناصره وتضارب مقاصد امرائه فاذا لم يتخذ وسائل أخرى خاف العاقبة فضلاً عما يترتب على مشروع سالمة من حجب الدماء وسهولة الفتح

اما ميمونة فقد علمتَ ما كان من حيلتها وما دبرته لقتل جند المسلمين وكيف انها لم تنجح لاسباب تقدم بيانها . ولكنها كانت بدهائها ومكرها قد حفظت خط الرجوع فاظهرت انها اسيرة بسبب مريم وقد سرها مقتل بسطام لانه مطلع على بعض سرّها وفي مقتله أمان من افشائه . فلما خرجت مريم على الادهم في ذلك اليوم ارسلت ميمونة احد الرجلين في أثرها فلما عاد من المعركة وانبأها باندحار جند الافرنج امرت الرجلين بالفرار وظلت هي باغلالها هناك على أمل ان تبعث مريم من يستجليها ولم يخطر لها ان تأتي هي بنفسها . فلما جاءتها مريم وجدتها وحيدة تحت قيودها وسارت بها الى معسكر العرب كما تقدم

وقد رأت مبالغة ميمونة بامتداح شهامة مريم لانها رأت الاميرين معجبين بها فارادت مجاراتهما تمويهاً لما قد يظنان بشأنها وهما في الواقع لم يخطر لهما شيء من

سوء الظن بها من هذا القبيل . اما هي فقد كظمت ما في نفسها وعزمت على اتخاذ وسيلة نافذة كانت قد ادخرتها في ذهنها لحين الاضطرار فلما ذهبت مع مريم الى الخيمة تلك الليلة ظلت على اظهار اعجابها بها والمبالغة بما شاهدته من سجاياها حتى اذا خلت بنفسها لبثت تنتظر مجيء عدلان الاحول لتفاوضه في الحيلة التي دبرتها وهي لا تشك في نجاحها

الفصل الخامس والثلاثون

سالمة بوردو

فلندعهم يدبرون وينتظرون ولنعد الى سالمة وبهمنا فقد طال بنا السكوت عنها . — تركناها وقد ركبت من خباء الملثمين تلتمس بوردو وحسان العجوز في ركابها فلما بعدا عن الخباء واطلا على بوردو التفتت سالمة الى حسان وقالت « هل كان يخطر لك ياحسان ان نتوفق الى مثل الامير عبد الرحمن بعد طول انتظارنا عملاً بالوصية ؟ »

فقال « لا والله يا مولاتي — وقد اذكرتني الوصية فهل أنتِ محتفظة بتلك الحقفاة فقد رأيتها بين يديك وكان عهدي انك تخفيانها في مكان لا يراها فيه أحد ... »

قالت « صدقت يا عماه انها كانت في يدي في اثناء خروجنا في الاسر لاني كنت اخرجتها من مخبئها ساعة يئست من الحياة وحسبت هؤلاء العرب يقتلونني فهممت قبل ان تقبض روحي ان اضم هذه الوصية اليّ واتسم ريح صاحبها منها ثم اعهد اليك او الى سواك ان يوصلها الى صاحب هذا الجند — اما الآن فلكن في راحة لاني تأبطتها تحت الوابي ... وما ظنك في مريم وهي وحدها في خباء العرب ؟ . »

قال « لا بأس عليها يا مولاتي والعرب كثيرو العناية في نزلائهم وخصوصاً من كان منهم في ضيافة الامير الكبير . وقد لاحظتُ من اهل ذلك الخباء احتفاء كثيراً بمريم فالنساء احببنها واحتفلن بها وخصوصاً ميمونة فقد سمعتُ من اخبرني بان الصقالبة الذين يخدمونها انها تعشقت مريم وبذلت كل ما في وسعها لراحتها .. » وكان حسان يتكلم وهو يعدو عدواً خفيفاً بجانب ركاب سالمة وهي تسمع كلامه ممتزجاً بشخير الفرس وطقطقة حوافره فلما قال ذلك امسكت بلجام الفرس ليسير بها الهوينا والتفتت الى حسان وقالت « لا اخفي

عنك يا حسان اني اخاف على مريم من هذه المرأة اكثر من سائر اهل هذا الجند نساء ورجالاً ...»

فبغت الرجل وكان يتكلم وهو يتفرس في الارض ليتقي الحجارة والاشواك فلما سمع قولها رفع بصره اليها وقال «وما هو سبب خوفك يا مولاتي»

قالت لاني شاهدتُ هذه التي تسمي نفسها ميمونة فاذا هي داهية دهياء واظنني عرفتها واخاف ان تكون قد عرفتني ولذلك تجاهلنا لما تقابلنا لم اطل الكلام معها ولا اشك ان بقاءها في هذا المعسكر خطرٌ فحالما افرغ من مهمتي هذه في بوردو وما وراءها ساعود الى الامير واطلعه على حقيقة هذه المرأة لئلا تخدعهم وتضعضع شؤونهم لانها ذات شان عند الافرنج ويهمها ان يكون النصر لمولاه واستغرب ان تكون في خباء الامير عبد الرحمن ويهدي بها في غير هذه البلاد .. وسترى في شأنها عند رجوعنا ..»

فلما سمع حسان قولها مال بكليته الى استطلاع الحقيقة ولكنه لم يجرأ على السؤال عن اسمها فقال «وهل اعرفها انا»

قالت «لا شك في ذلك .. دعنا من هذا الآن»

فسكت حسان وكانا قد اشرفا على اسوار بوردو فرايا الناس خارج السور زرافات ووحداناً وقد خرجوا لافتداء اسراهم وكلهم فرحون بما اوتوه من الرفق واكثر الناس غيظاً من ذلك الرفق اليهود وخصوصاً الذين كانوا قد ابتاعوا الاسرى وهموا بحملهم للاتجار بهم فلما جاءهم امر الامير بالتخلي عنهم غضبوا واستغربوا ذلك وارادوا الامتناع من التسليم ثم اذعنوا — فلما رات ميمونة تزاحم الناس هناك تحولت الى باب من ابواب المدينة بعيد عن ذلك الازدحام وسارت توًّا الى اسقف بوردو فترجلت بباب القلاية وتركت حساناً عند الفرس ودخلت تلتمس الاسقف فرأت اهل ذلك المكان من القسوس والرهبان وغيرهم في حركة وقد تجلت في وجوههم امارات السرور لما جاءهم به هانئ في مساء الامس من آنية الكنيسة مع الامر بافتداء الاسرى . وكان اكثر القسوس يعرفونها فرحبوا بها وبشروها بما كان فيها تهم وطلبت اليهم ان يستأذنوا لها الاسقف بمقابلة خصوصية فالتمسوا لها الاذن فلما دخلت عليه تلقاها بترحاب واحترام مع انه لم يكن يعرف حقيقة امرها ولكنه كان يحترمها لتعقلها وسداد رايها

فلما دخلت قبلت يده فباركها وجلست الى جانبه فاستخبرها فقصت عليه مختصر ما جرى لها حتى انتهت الى امر الاسرى فاكدت له ان العرب اكثر الامم رفقاً برعاياهم

واسرائهم وانهم انما امتد سلطانهم في الشرق والغرب لما آنسه اهل البلاد على اختلاف نحلهم من حرية الدين والعمل على غير المألوف عند امم الافرنج في ذلك العصر . وان ما اصاب كنيسة بوردو من النهب انما وقع سهواً من بعض ذوي المطامع من توابع جند المسلمين غير العرب

فلما سمع الاسقف كلامها تذكر انه كثيراً ما كان سمع منها اطراء العرب من قبل ولم يكن يصدق حتى سمع وكان يظنها تقول ذلك عن هوس مثل هوسها بتعليم ابنتها اللسان العربي وهي مقيمة ببلاد الافرنج مع كونها غير عربية — فلما سمع اقوالها بعد ما شاهده من الرفق اعتقد صدقها فجاراها في الاطراء فاغتنمت تلك الفرصة وتقدمت الى الحديث المقصود فقالت « لا انسى يا سيادة الاسقف ما كنت ألقاه من نفورك اذا امتدحت العرب بين يديك حتى شاهدت ذلك بنفسك عن بعد ولو اتيح لك معاملتهم ومعاشرتهم لزدت ارتياحاً لهم ولذلك فاني استغرب محاربة اهل هذه البلاد لهم والوقوف في سبيلهم »

فقال الاسقف « صدقت يا ابنتي اننا كثيراً ما سمعنا بعدلهم غير اننا رأينا من بعضهم ما تشيب لهوله الاطفال من القسوة حتى كاد يثبت عندنا ما كنا نسمعه من انهم يعبدون الاوثان ولا يعرفون عبادة الله . . . »(1)

الفصل السادس والثلاثون

رأي الافرنج في المسلمين

فابتسمت سالمة ابتسام الاستغراب وقالت « يعبدون الاوثان ؟ . . ان ذلك من الاراجيف التي يشيعها اعداؤهم فانهم يعبدون الاله الواحد ويحترمون الديانة النصرانية احتراماً كبيراً ويكرمون السيد المسيح كثيراً . ولا يعقل ان تنسب اليهم الوثنية ونبيهم انما قام لابادة الاصنام التي كان العرب قبله يعبدونها فكسرها ومحا الصور التي كانت في معبد الوثنية في مكة وبغّض الوثنية الى اتباعه حتى حرّم عليهم التصوير ونحت التماثيل . فما يبلغكم من هذا القبيل انما هو حديث موضوع لغرض من الاغراض — لا انكر عليك ما قد يبديه بعضهم من سوء التصرف او الطمع او نحو ذلك فهذا لا يصح القياس عليه كما لا يصح

(1) رينو

ان تقيس كل اعمال الاساقفة بعمل واحد منهم شذّ عن المنهج القويم . وزد على ذلك ان العرب معها يكن من امرهم فهم ارفق باهل هذه البلاد من هؤلاء الافرنج الذين جاؤا بقبائلهم واستبدوا فيهم واستعبدوا الناس واستخدموهم في أدنى الاعمال ولم يقلدوا واحداً من اهل البلاد وظيفة من وظائفها . فهم القابضون على ازمة الحكومة وهم المستدرون خيرات البلاد وما الغاليون الاّ مثل العبيد او الاقنان الذين يشتغلون في الحقول — هل رأيت غالياً تقلد منصباً كبيراً اوهل رأى الغاليون راحة منذ وطئ هؤلاء الافرنج بلادهم ؟ — اما العرب فاذا فتحوا بلداً اطلقوا حرية الاديان والمذاهب والمعاملات حتى الحكومة والقضاء فانهم يتركونهما لاهله ويقتصرون هم على قيادة الجند وحماية الاهالي من الاعداء لا يلتمسون اجراً على ذلك الاّ مالاً يسمونه الجزية لا يساوي بعض ما يقتضيه اولئك الافرنج من الضرائب الفادحة . ناهيك بالجزية التي يجمع بها الاهلون تحت عنايتهم . وسيادتكم تعلمون حال اهل هذه البلاد مع الافرنج الفاتحين فانها اصعب مما كانت تحت سلطان الرومان قبلهم — أليس معظم الناس هنا عبيداً لحكامهم يتصرفون فيهم تصرّف المالك بعقاره ؟ نعم ان العرب عندهم العبيد والموالي ولكنهم ارفق حالاً بهم من اولئك . فان الرق عند المسلمين غير مستحسن وكان الاسلام قام يدعو الى ابطاله[1] ولو لم يرَ نصارى الشرق والغرب ما رأوه من الرفق والعدل تحت ظل المسلمين مافضلوهم على الروم والفرس — وقد اطلتُ عليك الشرح وانما غرضي ان تسعى في حجب الدماء فهل تساعدني على ذلك ؟ ان المسلمين فاتحون هذه البلاد لا محالة فبدلاً من ان يفتحوها عنوة ويسفكوا فيها الدماء ويهدموا المنازل والقصور فليكن فتحها صلحاً ويسلم لكل واحد ماله وعرضه . . . والسعي في هذا السبيل من واجبات سيادتكم اكثر مما هو من واجبات امثالي . . .

وكانت سالمة تتكلم وامارات الجد والاهتمام ظاهرة في كل كلمة وكل حركة

وكان الاسقف يسمع اقوالها ويعجب بسعة علمها عن العرب كأنها عاشرتهم وساكنتهم زمناً طويلاً وكأنها اطلعت على علومهم وآدابهم ومع كل ما في اقوالها من المخالفة للاعتقاد الذي كان متسلطاً على عقول اهل تلك البلاد يومئذٍ فانه أحسّ بالاقتناع بقولها وتنبه ضميره الى واجب عليه يقضي بالسعي في حجب الدماء على نحو ما سمعه من سالمة فقال لها « جزاك الله خيراً يا ابنتي على سعيك في مصلحة شعب الله ونطلب اليه تعالى ونتضرع الى السيد

(1) تبرئة الاسلام

المسيح ان يقدم ما فيه الخير ٠٠ »

فلما آنست منه اقتناعاً عمدت الى اتمام الغرض بلباقة وحسن سياسة فقالت « لا اريد من سيادة الاسقف ان يكلف إخوتنا المسيحيين تسليم البلاد الى هؤلاء المسلمين عفواً ولا ان يساعدوهم على اخذها بالسيف وانما أرى ان يتركوا الامر لمن غلب بغير ان يساعدوا احد الفريقين على الآخر ٠ فاذا غلب الافرنج فهم اصحاب السيادة والبلاد في ايديهم واذا غلب العرب فلا يضرنا تغلبهم بل هم خير لنا من اولئك »

فارتاح الاسقف الى قولها وكان روماني الاصل ورأى من الافرنج استبداداً في دائرة نفوذه حتى كادت السلطة تخرج من يده فقال لها « اود ان يعلم اخوتي الاساقفة بهذه النصيحة في البلاد الاخرى ولكنني اخاف ان يطلع الحكام الافرنج على ذلك فيعود الامر وبالاً علينا »

قالت « عليّ ابلاغ ذلك الى من شئت وانما اطلب منك كتاباً تصحبني به الى اسقف بواتيه لا تذكر فيه شيئاً غير التعريف البسيط واني من ابنائك المخلصين فاذا انا لقيت الاسقف اطلعته على ما اراه من هذا الموضوع ٠ واتقدم الى مولاي ان يبث هذه الروح في رجال بطانته على ما يراه ولا اظن واحداً من اهل بوردو لا يشهد هذه الشهادة في العرب وقد اعادوا اليهم اسراهم وآنية كنيستهم »

قال الاسقف « صدقت يا ابنتي لا يجوز لنا انكار هذا الجميل ٠٠ »

٠ قالت فاتقدم اليك اذا لقيت حاكم البلد ان تبث هذه الروح فيه اذ ربما طلب اليه الكونت اود نجدة لمساعدته في قطع الطريق على العرب لاني علمت ان الكونت المذكور معسكر في مضيق دردون ٠ وعلى كل حال فقد تركت تدبير هذا الامر اليك واني مسافرة الى بواتيه في هذه الساعة فهل تأذن لي في كتاب الى اسقفها ؟ » .

قال « نعم » ونهض فكتب على منديل من حرير سطرين للغرض المقصود فتناولت الكتاب وقبلت يده فباركها ٠ وقبل خروجها تذكرت المسافة بين بوردو و بواتيه وهي نحو مئة ميل لا يستطاع اجتيازها في اقل من ثلاثة ايام او اربعة وحسان لا يقدر على المسير في ركابها ماشياً كل هذه المسافة فطلبت الى الاسقف ان يأمر لها بفرس يركب عليه حسان فامر لها فخرجت شاكرة واهل القلاية يتباحثون في ماذا عسى ان يكون من امر هذه المرأة ومجيئها على تلك الصورة ، اما هي فانها خرجت فرأت حساناً والفرسين في انتظارها خارجاً فركبت وركب حسان وخرجا من بوردو يلتمسان بواتيه

الفصل السابع والثلاثون

الدير

وكان حسان يعرف غير طريق يؤدي الى بواتيه فسار في أسهل الطرق بحيث لا يكون عليهما بأس في أثنائه فدبر ان يصلا في كل مساء الى دير يتزلان فيه ويبيتان ثم ينهضان في الصباح التالي • فشيا بقية ذلك اليوم وقلما تكلمت سالمة لاشتغال خاطرها بالمهمة التي هي ذاهبة فيها • فلما أمسى المساء أشرفا على دير لا يعدّ من الاديار الكبرى • فتحولا اليه وهو قائم على سفح جبل فوق نهر تجري مياهه معظم السنة وحول الدير مغارس الكرم والزيتون وأشجار الليمون والتفاح وغيرها • وهو كسائر الاديار في تلك الايام عبارة عن بناء محاط بسور عال له باب واحد صغير داخله باب آخر وبجانب الدير بناء صغير للدواب ونحوها • فلما أشرفا على الباب تقدم حسان وقرعه بجرس معلق فوقه • فاطل اليه راهب من كوة فوق الباب سأله عن غرضه فقال له « نحن غرباء ونبغي المبيت عندكم فهل من مكان » قال حسان ذلك بلغة أهل البلاد ولكن ظهر من خلالها انه غريب عنها. ففتحوا لهما فدخلت سالمة وتركت حساناً لينظر في أمر الفرسين ثم يدخل في جملة خدمة الدير • فلما رآها الراهب البواب توسم في منظرها وفي زيها هيأة الجلال والوقار فأسرع الى الرئيس فأخبره بذلك فأمره ان يدخلها اليه • فعاد وهو يقول « تفضلي الى حضرة الرئيس وهو يأمر بغرفة تقيمين فيها ما شئت »

فشت سالمة في صحن الدير فرأته مزدحماً بالناس من الرجال والنساء والاطفال واكثرهم من أهل بوردو وجوارها فادركت انهم لجأوا الى الدير خوفاً من العرب فظلت ماشية حتى أقبلت على غرفة الرئيس • فلما دخلت وقف لاستقبالها ورحب بها وأمر لها بالطعام وسألها عن مصيرها في ذلك الطريق • فقالت انها قادمة من بوردو وسائرة الى بواتيه فلما علم أنها قادمة من بوردو قال « الملك في جملة الذين فروا في أثناء الحرب على أثر نهب الكنيسة والفتك في الاسرى »

قالت « لقد أخطأ الذين فروا لان نهب الكنيسة انما كان تعدياً من بعض المسلمين المرافقين لجند العرب • ولما علم الامير بذلك امر باعادة الآنية الى مكانها ورد الاسرى

الى أهلهم بالفدية الثقيلة واتخذوا مع اهل نوردو كل وسائل الرفق ...»

فلما سمع الرئيس قولها بدا الاستغراب في وجهه وقال « وهل يعرفون الرفق وما الذي يدعوهم اليه او يردعهم عن الفتك والقتل ولا دين عندهم ولا ذمام »

فقالت وهي تبتسم « هل رأيت أحداً منهم يا مولاي »

قال « كلا ولكنني سمعت ذلك من كثيرين »

وأرادت سالمة ان تدفع تلك التهمة بالبرهان فسمعت ضوضاء وصياحاً في باحة الدير فوقف الرئيس بغتة وصفق فجاءه بعض الرهبان يعدو فصاح فيه الرئيس « ما هذه الضوضاء ...»

قال الراهب وهو يضحك والبغتة ظاهرة في وجهه « هذا دانوس يا سيدي »

قال الرئيس « دانوس ؟ وما الذي فعله فقد عهدناه معتزلاً لا يخاطب أحداً ولا يقدم على الطعام الا كرهاً »

قال « ذلك هو عهدنا به ايضاً ولكننا نراه قد أصيب بجنون موقت فهجم على خادم الامرة (وأشار الى سالمة) وأوسعه ضرباً وصفعاً وهو يصيح يا أماه يا أماه حتى كاد يقتله لو لم نتدارك الامر ونمسكه عنه »

فلما سمعت سالمة ذكر خادمها قالت « وأين هو حسان وما الذي جرى له هل عليه من بأس ؟ »

قال الراهب « هو في خير وسلامة ولكننا لم نستطع ايقاف دانوس عن الهجوم عليه فبعد ان أرجعناه عنه هجم عليه ثانية بهراوة كانت بيده ولما أمسكناه عنه بالعنف رمى الهراوة على حسان وسقط هو على الارض وقد اغمي عليه من شدة الغيظ . وقد تركته وهو يختلج ويرتعد ولا يزال يذكر أمه ...»

فنهض الرئيس وهو يهز رأسه كأنه يستعيذ من شر تخافه . وتبعته سالمة وقد استغربت ما سمعته عن ذلك الشاب وتبادر الى ذهنها انه مصاب بخلل في عقله . وبعد هنيهة أشرف الرئيس وسالمة على مكان الحادثة وكانوا قد ادخلوا حساناً الى حجرته ليغسلوا جراحه فوقع نظرها على شاب في عنفوان الشباب مطروح على الارض وقد تطايرت قبعته واشتبك شعره وكان جميل الصورة كبير العينين شديد بياض الوجه أشقر الشعر . وكان قد فتح عينيه وتحفز للوقوف كأنه أفاق من سكرة وجعل يلتفت يميناً وشمالاً كمن يبحث عن ضائع . فاشار الرئيس الى بعض الرهبان ان يخبئوا حساناً في مكان لا يراه فيه

داتوس وأمسك بيد الشاب وخاطبه بلطف وباركه ودعا له وأشار اليه ان يمضي الى غرفته فمضى وهو لا يزال يلتفت ولكنه أمسك عن الكلام بالكلية

الفصل الثامن والثلاثون

داتوس

فلما رأت سالمة ذلك الشاب ترجح عندها انه أصابه جنون او سكنه شيطان على تعبيرهم في ذلك العهد لكنها احبت ان تحقق ظنها فلما عاد الرئيس عادت هي معه وتوسمت في وجهه تغيراً زادها رغبة في الاستفهام والسؤال البحث عن حسان . على انها لم تكد تبداه بالسؤال حتى سمعته يخاطبها بصوت منخفض قائلاً « الا تزالين تجادلينني في أولئك العرب وتزعمين انهم أهل ديانة ورفق ..؟ »

فاستغربت سالمة قوله هذا اكثر من استغرابها عمل داتوس وقالت « لم أفهم يا أبتي علاقة هذا الحادث بالمسلمين او العرب بل أرى هذا الافرنجي قد تعدّى على خادمي لانه عربي حتى كاد يقتله ... »

وكانا قد دخلا الغرفة فأغلق الرئيس بابها وأومأ الى سالمة فجلست على وسادة فوق طنفسة وجلس هو على وسادة أخرى بالقرب منها وقال « لو عرفت قصة هذا الشاب وسبب ما ظهر من هياجه وتعديه لتحققت صدق قولي في العرب وأقلعت عن اعتقادك فيهم الخير .. »

فتطاولت سالمة بعنقها وأصاخت بسمعها ولسان حالها يقول « ما هي قصة هذا الشاب يا ترى ؟ »

فقال الرئيس « اعلمي يا ابنتي ان هذا الشاب من جملة الافرنج الذين تجندوا لمحاربة أولئك العرب لما بلغهم اقدامهم على فتح هذه البلاد . وكانت له والدة لا يعرف من الاهل سواها ولا هي ترجو سواه فتركها في بيتها وسار الى الحرب . فاتفق في أثناء غيابه ان المسلمين جاؤا ذلك البلد ونهبوا بيت المرأة وساقوها في جملة السبايا الى قلعتهم في ذلك الجوار . فلما عاد الشاب الى بلده وأخبروه خبر أمه ساق جواده الى تلك القلعة ومعه جماعة من الرفاق فأطل على القلعة وكانت موصدة فأشرف عليه بعض المسلمين من فوق

السور وسأله عن غرضه فقال له اطلب والدتي فانها أسيرة عندكم . فاجابوه لا نعطيك امك الا اذا أعطيتنا الجواد الذي تركبهُ والا فانا نذبحها امام عينيك . فغضب داتوس لذلك غضباً شديداً وقال لهم لا أعطيكم جوادي فافعلوا بوالدتي ما تشاؤون . قال ذلك وهو يظنهم يخوفونه بذكر قتلها لا أنهم ينوون اعدامها فعلاً — ولكنه ما لبث ان رآهم احتزوا رأسها ورموه اليه وهم يقولون هذه والدتك فاليك هي . فلما رأى رأس والدته صعد الدم الى دماغه وغاب رشده وما اعجزه الوصول الى القاتلين لامتناعهم وراء الاسوار جعل يلطم وجهه ويصفق ويبكي ويركض فرسه يميناً وشمالاً كالمجنون ثم انفرد عن اصحابه واقام عندنا(١) وقد قص علي خبره فاعتقدت من ذلك الحين ان العرب أهل ظلم وعسف لا دين عندهم ولا رحمة . وقد مضى على داتوس هنا بضعة اعوام لا يتكلم ولا يجالس احداً كأنه أصيب ببله فالظاهر انهُ رأى خادمكِ وعلم من سحنته او كلامه انه عربي فهاج فيه الغضب وتذكر مصيبته فلم يتمالك عما ظهر منه ..

وكانت سالمة تسمع ذلك الحديث وهي في استغراب شديد فلما اتى الرئيس على تمام القصة احست بضعف حجتها في الدفاع عن العرب ولكنها تجلدت وقالت « لا أنكر على مولاي الرئيس حدوث نحو ذلك من بعض العرب كما قد يحدث من الافرنج وغيرهم ولكن العمدة في الامر على اغراض الجند بجملته .. »

فقطع كلامها قائلاً « وماذا عسى ان تكون اغراضهم وقد شاهدنا من اعمالهم في أثناء فتوحهم ما لم يبق معهُ حاجة الى دليل — الم ينهبوا الاديار ويأخذوا آنيتها ؟ الم يأسروا الرهبان ويختاروا اجملهم خلقة ويبيعوهم بيع الارقاء في اسبانيا .. ؟ وعهدنا بذلك لا يزال قريباً » (٢)

فسرّت سالمة لاحتجاج الرئيس بهذا الشأن فقالت « نعم ان بعض العرب نهبوا بعض الكنائس والاديار ولكن امراءهم لم يكونوا يقبلون بذلك وكثيراً ما كانوا يعيدون الآنية الى اصحابها ويطلقون سراح الاسرى وخصوصاً الرهبان لان نبيهم اوصاهم بهم خيراً — وآخر ما حدث من هذا القبيل أن بعض الملحقين بجند العرب من البرابرة ونحوهم نهبوا كنيسة بوردو فلما علم اميرهم بذلك رد المنهوبات واعتذر واوعز الى جنده ان لا يعودوا الى مثل ذلك .. فالعرب اهل رفق وعدل وفي اعتقادي انهم خيرٌ لاهل هذه البلاد من اولئك الافرنج .. اقول ذلك بين يديك على سبيل الاعتراف السري وارجو ان لا يطلع

(١) رينو (٢) رومي ج ٣ ورينو

عليه احد فاذا قضت الاحوال بتغلب العرب تحققت صدق قولي ..»

فبغت الرئيس لقولها وصاح «يغلب العرب ..؟ معاذ الله»

فضحكت سالمة لبغتته وقالت «والنصر من عند الله يؤتيه من يشاء ..» وتحققت ان الرئيس ممن لا يرجى اقناعهم بفضل العرب فسكتت ولكنها خافت ان يكون عليها بأس بعد ما جاهرت لديه بميلها الى العرب فالحت عليه ان يستر كلامها في هذا الشأن من قبيل سر الاعتراف فوعدها بذلك وهو فاعلٌ لانهم شديدو المحافظة على ذلك السر

الفصل التاسع والثلاثون

الجرح

وارادت سالمة بعد خروجها من عند الرئيس ان تفتقد حسانًا لكنها خافته ثم قضت الى الغرفة التي اعدوها لها فباتت تلك الليلة ونهضت في الصباح على عزم المسير فبعثت الى حسان فقيل لها انه لا يستطيع سيرًا لجرح اصابه في رأسه. فذهبت اليه بنفسها وتفحصت شأنه فرأته راقدًا وقد شد رأسه بمنديل والتعب ظاهر في وجهه. فسألته عن حاله فقال «لقد اصاب ذلك الشاب مني مقتلاً بهراوته ولولا لطف الله لذهب بحياتي فورًا ولا ادري مع ذلك سبب هذا التعدي»

ولم تكن سالمة تخفي عن حسان امرًا وهو خزانة اسرارها فقصت عليه حكاية الشاب واستطردت الى ما ترتب على ذلك الحديث بينها وبين الرئيس الى ان قالت «ولا بد لنا من الاسراع في المسير الى بواتيه ثم الى تورس قبل ان يفسد الامر علينا والمسلمون في انتظارنا على احرّ من الجمر»

فقال «لو استطعت النهوض ما امسكت عن السفر ومع ذلك اذا شئت المسير وحدك على ان الحق بك حالما استطيع الركوب فعلتُ»

فأطرقت سالمة واعملت فكرتها بين ان تمكث هناك بضعة ايام ريثما يشفى حسان فتفوتها الفرصة او ان تذهب وحدها وتخاف الطريق على نفسها. وبعد اعمال الفكرة مدة رأت ان تتصرف تصرفًا وسطًا فقالت لحسان «اني باقية في انتظارك هنا الى الغد فاذا شفيت واستطعت الركوب سرنا معًا والا فاني اسير وحدي» فأثنى عليها وقال «اذا جاء

الغد ظهرت عاقبة الجرح فاذا لم تصبني الحمى كان الشفاء قريباً باذن الله »

فعملت سالمة على الاهتمام بجرح حسان كأنه في بدنها لانها كانت تحترمه وتكرمه بالنظر الى انقطاعه في خدمتها اعواماً ولانها في حاجة اليه خصوصاً في هذه السفرة . فذهبت الى الرئيس وطلبت اليه الاهتمام بجرح حسان فأطاعها لانه شعر بظلامة ذلك الشيخ فاستدعى راهباً كان قد تفقه بالطب وكان اهل الدير يرجعون اليه في امثال هذه الحوادث واوصاه بمعالجته والعناية به . فذهب اليه ومعه سالمة فلما نزع الربائط وشاهد الجرح زمّ شفتيه وابرزهما ورفع حاجبيه وكانت سالمة تراقب ما يبدو منه فلما رأت اشمئزازه خفق قلبها خوفاً على حسان ولكنها لم تظهر اضطرابها فسكتت لترى ما يقوله الطبيب فاذا به التفت الى راهب آخر كان في خدمته وأومأ اليه ان يأتي بالزجاجة فذهب ثم عاد ومعه زجاجة وكأس . وكان الطبيب في اثناء ذلك قد قص الشعر عن رأس الجرح واكثره متلبد متلاصق من الدم المتجمد عليه فاشتمت سالمة رائحة كريهة . ثم صب الطبيب من الزجاجة شيئاً كالخمر لوناً ورائحة واستعان بالراهب الآخر على غسل الجرح به فوقع نظر سالمة على الجرح فاذا هو طويل عميق فازداد خوفها عليه ولكنها تجلدت لتسمع قول الطبيب على حدة

وبعد الغسل شد الطبيب الجرح باللفافة واشار الى حسان ان يستلقي ويستريح ليرى مايكون من جرحه الى الغد وتركوه نائماً وخرجوا . فلما صاروا خارجاً تقدمت سالمة الى الطبيب في ابداء رأيه فقال « لقد ابطأنا عليه بالوسائط اللازمة وكان يجب علينا ان نفعل ذلك الغسل حالما أصيب وعلى كل حال لايمكننا معرفة النتيجة الى الغد »

فاستعاذت سالمة بالله وصبرت نفسها الى الغد . فجاءته في الصباح فاذا هو لا يزال نائماً فنادته فلم يجبها فجست يده فرأتها شديدة الحرارة فعلمت انه في بحران من شدة الحمى فاستدعت الراهب الطبيب فلما جاء ونظر الحالة قال « ان الرجل في البحران وهو في خطر حتى يفيق »

فقالت « ومتى يفيق ؟ »

قال « لابد من الانتظار يوماً أو يومين وعلى الله الشفاء »

فارتبكت سالمة ووقعت في حيرة من امرها وخافت على حسان اذ يسوءها ان يصاب بسوء لما له من الايادي البيضاء في خدمتها فضلاً عن حاجتها اليه فقضت ذلك اليوم أيضاً وكأنها على جمر الغضا هي تصلي وتتضرع الى الله ان يشفيه واحيت ليلها وهي تفكر في هل تنتظر الشفاء او تسير وحدها فرأت انها لو بقيت عند حسان لم تنامه لان اهل

الدير اكثر عناية به منها فعزمت على السفر في الغد على اي حال بعد ان توصي الرئيس والطبيب بحسان.

فلما اصبحت سارت توًّا الى حسان فرأت راهبين في خدمته وهو لا يزال غائباً عن رشده فسألتهما عن حاله فقال احدهما «أراه قد تندّى بالعرق قليلاً واظنها علامة حسنة تبشر بالخير» فذهبت الى الرئيس واخبرته عن اضطرارها للسفر العاجل واوصته بحسان فبعث الى الطبيب وبالغ في وصايته. فلما خرج الطبيب تقدمت الى الرئيس ان يرسل معها من يصحبها الى بواتيه واخرجت من جيبها دنانير دفعتها اليه باسم الدير فاجابها الرئيس الى رغبتها وأمر راهباً من رهبانه ان يرافقها الى حيث تشاء. ولما تأهبت للسير ذهبت الى حسان لتشاهده قبل ركوبها فرأته على حاله. وخرج الرئيس لوداعها بباب الدير فاعادت عليه الوصية بحسان وقالت «اذا منَّ الله عليه بالشفاء فابقه عندك ريثما اعود فاني عائدة على عجل» فاجابها طائعاً وقد نزلت من نفسه منزلاً رفيعاً لهيبتها وتعقلها وكرمها. وكان خدمة الدير قد اعدوا فرسها وأعدوا لرفيقها الراهب بغلة من بغال الدير عليها خرج فيه بعض الاطعمة الناشفة زاداً لها في الطريق. وركبا وسارا والراهب دليل الطريق. على ان البغلة لو تركت لنفسها لسارت ولم تخطئ الطريق الى بواتيه ومنها الى تورس لكثرة ما يركبونها الى تينك المدينتين لحمل لوازم الدير من الآنية او الاطعمة او نحوها. وكانت سالمة قبل خروجها من الدير قد التفت برداء اسود فوق ثوبها الاسود فاصبحت كأنها من راهبات تلك البلاد وزادها شبهاً بهنّ استصحابها ذلك الراهب وكان على رأس الراهب قبعة كالخمار تكسو كل رأسه الا وجهه وقد تجمعت لحيته بين جناحي الخمار وبرزت الى الامام مع شاربيه باصبح فمه غائراً

الفصل الاربعون

شبح غريب

توارتا عن الدير وقد صارت الشمس في الضحى وتوجها شمالاً في طريق بعضه مطروق وبعضه غير مطروق وكانت سالمة تستغرب ما تراه من المنازل المهجورة والكروم المتروكة وهي تعلم ان اهل القرى اذا انتشبت حرب لجأوا الى المدن يحتمون باسوارها ولكنها رأت ما يدل على المهاجرة القريبة كأن اهل تلك الحقول تركوها بالامس. فقالت في نفسها لا بد

من حادث طرأ على هذه البلاد . فالتفتت الى الراهب وهو على بغلته بجانبها وقالت « مالي أرى الحقول مهجورة على هذه الصورة ؟ »

قال « لا اخالك تجهلين ما نحن فيه من الاحن بسبب هجوم العرب على بلادنا واهل القرى لا حصون تحميهم من السلب والنهب »

فقالت « ولكن العرب لا يزالون بعيدين من هذه القرى و ربما لا يستطيعون الوصول اليها فكيف يهجرها اهلها عنوةً ؟ »

قال « ان خوف اهل القرى يا ابنتي ليس من جند العرب فقط بل هم يخافون جند الافرنج انفسهم لانهم اذا مرُّوا بقرية نهبوها واذلوا اهلها وخربوا منازلها وليس من يردعهم والظاهر انهم علموا بقرب مجيء ذلك الجند ففروا من وجوههم لا ادري الى اين ولعلهم لجأوا الى الجبال البعيدة عن الطريق وربما يمر الجند فيعودون الى حقولهم »

وكانت سالمة تسمع كلام الراهب وترى فيه ما يبشرها بنجاح مهمتها ولكنها كانت منشغلة الذهن بشبح وقع نظرها عليه عن بعد وهو راكب على جواد وقد ساقه نحو الجهة التي هما سائران اليها ولما رآها الراهب تنظر الى ذلك الشبح وجَّه هو التفاته اليه فلما رأت سالمة انتباه الراهب للامر قالت له « ما ظنك بهذا الفارس . . »

قال « يظهر من قيافته انه من الافرنج ولا يمكننا الحكم القطعي في ذلك الاَّ بعد رؤية وجهه واراه يقترب منا فاذا دنا رأيناه وعرفناه او سألناه عن حاله »

وما زال الفارس يقترب منهما حتى وقعت العين على العين فاذا هو ملثم لا يظهر من وجهه الاَّ العينان فحياه الراهب فلم يرد التحية ولكنه تفرس في سالمة وثوبها وفرسها وحوَّل عنان جواده وارتد راجعاً الى الوراء . فلما رأت سالمة ذلك منه اشتغل خاطرها وحسبت لذلك الرجوع الف حساب وخافت ان يبدو ذلك للراهب فيسيء الظن بها فتجلدت وتظاهرت بعدم الاكتراث وقالت وهي تضحك « يظهر ان الرجل خاف من اثواب الرهبنة »

فقال الراهب وهو يظهر الاهتمام « لا ادري يا ابنتي ما الذي خوفه ولكنني اظن انني خفت رجوعه على هذه الصورة كأنَّه جاء للبحث عنا او عن احدنا فلما رآى ضالته عاد لابلاغ المهمة »

ولم تكن سالمة تظن غير ذلك ولكنها ظلَّت على تجاهلها ووجهت عنايتها الى الافلات مما قد ينصبونه لها من الشراك قبل وقوعها فيه . فتظاهرت بتغيير الحديث فقالت « وهل نحن بعيدون عن بواتيه »

قال « اذا سقنا دوابنا وظللنا سائرين رعا وصلناها في صباح الغد »

فاستحسنت ذكره المسير ليلاً وقالت « وهل ترى المسير ليلاً ؟ ٠٠ يظهر انك في عجلة الرجوع الى الدير لاشغال عليك هناك — فاذا لم يكن علينا بأس من ذلك فلا مانع عندي »

فقال « لست مستعجلاً وانما ذكرت لك ذلك على سبيل تقدير المسافة وأما المسير ليلاً فلا خطر منه علينا وخصوصاً لاني أعرف أهل هذا الطريق ويعرفونني وزد على ذلك أن الليلة مقمرة فاذا شئت نزلنا عند العشاء في دير أعرفه بجانب الطريق فنتناول الطعام ونستريح وننام قليلاً ثم ننهض في نصف الليل ونركب تواً الى بواتيه فنصلها في الضحى ٠ واذا كان من ذلك تعب عليك فافعل ما تشائين لاني انما امرت ان أكون في خدمتك الى حيثما تسيرين »

فاعجبها رأي الراهب وسرها السبيل الذي تطرقت به الى ذلك وفي اعتقادها انها متى وصلت بواتيه كان لها من اسقفها ما يقيها غائلة الجواسيس او غيرهم وخصوصاً لانها تحمل له توصية من أسقف بوردو ومتى دخلت القلاية او الدير الذي فيه الاسقف لا يجسر أحد عليها

فاظهرت انها تسابر الراهب في رأيه واستحسنت ان يبيتا تلك الليلة في الدير الذي أشار اليه ٠ فسارا وسالمة تلتفت الى ورائها خلسة وهي تتوقع ان ترى أناساً مسرعين في طلبها ٠ أما الراهب فكان مستغرقاً في صلاة يتلوها وهو على ظهر بغلته — قضيا بقية ذلك اليوم وهما يركضان الدابتين فغابت الشمس ولم يدركا الدير المقصود وكان القمر في ربعه الثالث فصار العشاء ولم يطلع بعد فمشيا في الظلام وسالمة تسوق جوادها وراء بغلة الراهب وهي لا ترى الطريق وقد سكتا وسكنت الطبيعة ولم يكن يسمع هناك الا وقع الحوافر تارة على الحصى وطوراً على العشب وقد تعب الفرس ولم يعد يستطيع العدو وأما البغلة فظلت نشيطة والراهب يمسكها عن العدو لئلا تسبق الفرس

الفصل الحادي والاربعون

المسافة طويلة

فمضى بعض الليل وهما في ذلك وأبصارهما شاخصة الى ما يتراءى لهما من رؤوس التلال واذا هما بنور قد ظهر على مرتفع • فلما رأته سالمة ارادت أن تستفهم الراهب عنه فابتدرها قائلاً « ها أننا على مقربة من الدير ياسيدتي »

ففرحت سالمة بتلك البشارة التماساً للراحة وكادت تنسى ما كانت فيه من الاضطراب التماساً للسرعة

وسار مسيرهما صعوداً على الاكام والبغلة دليلهما في ذلك الظلام كأنها تسير وبين يديها المشاعل والانوار والفرس يتبعها وسالمة تمسك بزمام الفرس خوفاً من ان تزل قوائمه فزادها ذلك تعباً• وبعد مسير ساعة على هذه الصورة وصلا الى سفح ذلك الجبل ولا يزال النور الذي شاهداه على نحو المسافة التي كان عليها عند ما رأياه لاول مرة• وكانت سالمة تسمع في أثناء ذلك الصعود صدى حوافر فرسها فتتوهم أن فرساناً سائرين في أثرها فلم يكن يسليها في تلك الحال الا ذكر السيد المسيح ورسم اشارة الصليب • وقد اصبحت لفرط قلقها لا تجسر على الالتفات الى الوراء

وأما الراهب فكان قد عاد الى الصلاة واستغرق في الدعاء وبعد قليل رأت سالمة النور يقترب منهما فتحققت أنهما صارا على مقربة من الدير فنشطت ونسيت التعب ونادت الراهب قائلة « العلنا في آخر رحلتنا يا حضرة الاب »

قال « وصلنا الدير يا ابنتي فاطمئني »

ثم وصلا الى سطح مستو ينتهي ببناء عال عرفت سالمة من شكله أنه دير فتحققت أنهما وصلا الى المكان المقصود• ثم رأت نفسها تقترب من ذلك البناء حتى صارت بجانب الباب وقد توارى النور الذي كانت تراه عن بعد واذا بالراهب قد ترجل ومشى نحو الدير وزمام البغلة في يده وهي لا تزال على فرسها حتى وقف الراهب بجانب باب الدير فامسك بحبل مدلى بجانبه وشده فسمعت قرع الجرس ثم أطل بواب الدير من كوة على جاري العادة• وقبل ان يسمعا نداءه صاح الراهب به باللغة اللاتينية ان« افتح سريعاً»

فكان كلامه بتلك اللغة احسن وسيلة للتعريف . ولم تمض برهة وجيزة حتى فتح الباب وخرج منه راهب طويل القامة دقيق العضل خاطب الراهب باللاتينية واستقبله فترجلت سالمة فدخلت الى غرفة الاضياف وهو يرحب بهما ويسأل الراهب عن سبب تأخره حتى دخلا الغرفة وقد انفرد البواب عنهما ثم عاد بشمعة مضيئة مغروسة في شمعدان من خشب عليه أثر الشمع القديم فوضعه في الغرفة وعاد ثم جاءهما بطعام . فجلست سالمة وقد أخذ التعب منها مأخذاً عظيماً ونسيت ما هي فيه من الجوع فقدم لها الراهب الطعام في قصعة وهو عبارة عن قطع من الدجاج المطبوخ فأكلت منه شيئاً ونفسها تطلب الرقاد أكثر من الطعام . فأكلت شيئاً وشربت قليلاً من الخمر مع الماء وتوسدت الفراش ولم يوص الراهب بإيقاظها طمعاً بالراحة اللازمة وتغافلت عن رغبتها في السرعة اعتماداً على ما يتراءى للراهب من اغتنام الوقت

وأما الراهب فلما رآها نامت صعد الى غرفة البواب فجلس عنده قليلاً وتحادثا في شؤون كثيرة معظمها خارج عن موضوع المهمة التي يهمُّ سالمة البحث فيها . وفي آخر السهرة استفهم الراهب رفيق سالمة عن أقرب الطرق الى مدينة بواتيه

فلما أجابه الراهب علم انه كان على هدى من رأيه في خطة ذلك المسير . وذهب الى فراش اعدوه له في غرفة أخرى فنام ولم يكد يتوسد الفراش حتى أحس بالتعب وغلب عليه النعاس فاستغرق في النوم ولم ينهض الا عند الفجر فهرول الى سالمة فايقظها وذهب الى مربط البغال وأحضر الفرس والبغلة فركبا وسارا يلتمسان بواتيه

فطلعت الشمس وهما لا يزال بين الجبال لا يريان ما وراءها وسالمة تحسب نفسها تائهة . ولولا تعويلها على معرفة الراهب بتلك الجهات لخافت الضلال عن الطريق . ووصلا عند الضحى الى رابية اطلا منها على سهل بعيد رأيا في بعض جوانبه مدينة في منتصفها قبة عالية في قمتها صليب علمت سالمة انها قبة كنيسة بواتيه فانشرح صدرها ونسيت تعبها وقلقها وانبسط وجهها وقالت « أليست هذه بواتيه »

قال « نعم يا ابنتي هذه بواتيه وبعد قليل نصلها وندخلها باذن الله »

فقالت « من اين ندخلها اني أرى حولها سوراً »

قال « ندخلها من بابها الجنوبي الذي تريته وامامه تلك الشجرة الكبيرة »

الفصل الثاني والاربعون

خطر آخر

فانشرح صدر سالمة لوصولها ونجاتها من الخطر لاعتقادها انها اذا كانت في بوابة لا خوف عليها . ولكنها لم تكد تصل الباب حتى رأت جماعة على خيول بلباس الجند الافرنجي قد خرجوا من الباب وفي مقدمتهم فارس ملثم وعلى رؤوسهم الخوذ وعليهم الادراع وقد تقلدوا السيوف المستقيمة بمناطق من جلد وتحت الادراع جبب قصيرة الى الركب وقد لفوا على سوقهم لفافة من جلد وعلقوا باكتافهم جعب النبال وتلثموا بخُمر من الحلق المشتبك ولم يظهر من وجوههم الا العيون والآناف والافواه وبعض اللحى . فلما رأت سالمة ذلك الفارس الملثم عرفت انه جاسوس الامس فخفق قلبها لرؤيته ثم ما لبثت ان رأته قادماً نحوها والفرسان يتبعونه على عجل فازداد اضطرابها واستعاذت بالله وادنت فرسها من الراهب كأنها تحتمي به او تنوي استفهامه عن شيء وقد امتقع لونها وتحققت الخطر المحدق بها . واذا بالفارس الملثم قد اومأ الى رفاقه وأشار باصبعه اليها كأنه يقول لهم « هذه هي فاقبضوا عليها »

فاحاطوا بها وبالراهب جميعاً فسألهم الراهب عن غرضهم فقالوا له « قد أُمرنا بالقبض عليكما والمسير بكما الى حضرة الدوق اود »

فقال « وما الذي دعا الى ذلك وما نحن من اهل السياسة ولا الحرب فاني راهب وهذه امرأة . . . أظنكم مخطئين »

قالوا « لسنا مخطئين هيابنا طائعين والا فانكما ذاهبان كرهاً »

فلما تحققت سالمة وقوع الخطر ورأت نجاتها مستحيلة من بين يدي اولئك الفرسان تجلدت وقالت « اظنكم تلتمسون القبض عليّ وليس على هذا الراهب فاطلقوه وها اني سائرة معكم الى حيث تشاؤون ولا حاجة الى التهديد والوعيد »

فتعجب الراهب من جرأتها ورباطة جأشها وحدثته نفسه ان يرفض النجاة بنفسه ويطلب البقاء معها ولكنه راى بقاءه لا ينفعها وخاف لوم رئيسه فسكت ليرى ما يكون منهم فاذا بالفارس الملثم قد خاطب كبير الفرسان همساً فاشار هذا الى الراهب بالانصراف واحاطوا بسالمة وساروا بها ولم يلتفتوا الى الوراء

اما هي فلما رأت نفسها في قبضة الافرنج ولا حيلة لها في النجاة تذكرت انها تحمل رسالة من اسقف بوردو الى اسقف بواتيه فخافت اذا فتشوها ان يعثروا على الرسالة فيقع هذا الاخير تحت طائلة الغضب فاحتالت ورمت الرسالة في مكان لا يراها فيه احد. ثم تذكرت الحفظة وفيها كل سرها فخفق قلبها خوفاً من وقوعها في ايدي اولئك الافرنج فجرها ذلك الفكر الى ابنتها وكيف تركتها في معسكر المسلمين فطرق ذهنها للحال ميمونة وما كانت تخافه من دسائسها فترجح عندها انما اصابها انما كان بايعاز ميمونة اذ ليس في اكيتانيا كلها من يعرفها او يسيء الظن بها سواها. ولكنها عادت فتذكرت انها خرجت في تلك المهمة سراً ولم تكاشف احداً بخروجها غير مريم — قضت ساعة في تلك الهواجس وهي سائرة على فرسها والفرسان محيطون بها وفي جملتهم ذلك الجاسوس الملثم. وكانت تسترق النظر اليه لعلها تستطيع معرفته لانها لو رأت وجهه لانكشف لها سر ذلك الامر ولكنه كان شديد الحرص على لثامه. على انها تفرست في ثيابه فرأت مع كونها بحسب الظاهر افرنجية فيظهر من تحت ردائه القصير ان باقي الثوب ليس افرنجياً. ورأت ما انكشف من ساقيه اسمر اللون ولون الافرنج ابيض مشرب حمرة فتحققت انه جاسوس من خدم ميمونة. فندمت لانها لم تكشف امرها للعرب لينجوا من حبائلها. واصبحت من الجهة الأخرى تخافها على المسلمين لئلا توقعهم في شراكها او تفسد امرهم فيذهب سعيها في نجاحهم ادراج الرياح. وودت لو انها تستطيع ابلاغ ذلك الى الامير عبد الرحمن فتاسفت لانها تركت حسان في الدير ولا تدري مع ذلك هل شفي جرحه ام اصابه سوء بسببه. وتصورت اذا فشل المسلمون كيف يكون حال ابنتها ووحيدتها فتراكمت عليها الهواجس وعظم الامر عليها وغلبها اليأس فلم تتمالك عن البكاء خلسة. فلما بكت خف بعض ما بها ولكن الامر ما برح عظيماً عليها

وما زالوا سائرين بضع ساعات وسالمة تتهيب من مقابلة الكونت اود لئلا يعرفها فيكبر جرمها عنده ويكون ذلك خاتمة المصائب. فلما كثرت مشاغلها وهواجسها اخذ الامر يهون عليها وهو لم يهن حقيقة ولكن الانسان اذا وقع في مصيبة استعظمها وكاد ينوء تحت ثقلها فاذا تراكمت عليه المصائب ساعده اليأس على احتمالها. فكم من ارملة كان الناس يحسبونها تموت ساعة موت زوجها فلما مات لم تمت ولكنها استعظمت المصيبة فعزاها الناس بقاء اطفالها ثم اصيبت بواحد منهم ثم بآخر فآخر ففرغت حيل الناس في تعزيتها ولكنهم رأوا انفسهم في غنى عن ذلك بما استولى على تلك الارملة الثاكلة من اليأس كأن القلب يندمل من توالي الاحزان او انه يعتاد المصائب فيستخف بها. وهكذا شأن من تحيط به

المشاكل تراه عند وقوعه في المشكل الاول اكثر ارتباكاً وخوفاً مما يصير اليه حاله عند تعددها — فكانت سالمة كلما تعددت مشاكلها هوّنت على نفسها

الفصل الثالث والاربعون

الدوق اود

وفي اصيل ذلك اليوم اشرفوا على كرم وراءه سهل واسع رأت في منتصفه قصراً كبيراً حوله الخيام وبينها الناس يمجون عجيجاً وفوق القصر علمٌ عَلِمت حالاً انه للدوق اود فتحققت انها وصلت الى المكان المقصود وان القصر المذكور لبعض اغنياء البلاد هجره اهله في جملة ما هجروه فنزل فيه اود واقام رجاله في الخيام حوله

وما زال الفرسان سائرين بها حتى وصلوا الى باب القصر فترجلوا وترجلت فسلموها الى الحرس الواقف بالباب فدخلوا بها الى القصر وهي ملتفة بثوبها الاسود ومقنعة بخمارها الاسود . فمشت بقدم ثابتة بين الحرس حتى تجاوزت باحة البيت الى قاعة وقف الحرس ببابها ودخل احدهم ثم عاد واشار الى سالمة ان تدخل

فدخلت الى قاعة يظهر من سعتها وماعلى جدرانها من الرسوم الجميلة ان اصحاب ذلك البيت من اهل اليسار ولم تر في ارض القاعة طنافس ولا مقاعد غير ما كان يحمله الجند في سفره . وشاهدت على كرسي في وسط القاعة رجلاً نحيف البدن ممتقع اللون اشقر الشعر الشيبه ازرق العينين جاحظهما فاغر الفم بارز اللحية مخسف الخدين بارز الوجنتين وعلى رأسه قبعة عنابية اللون مزركشة بالذهب وفي مقدمها فوق جبينه حلية مرصعة بالالماس والياقوت بشكل الصليب وعلى كتفيه بردة مزركشة بالقصب سماوية اللون تغطي أثوابه . وتحت البردة جبة قصيرة من القطيفة حولها منطقة عريضة منسوجة بالذهب على أشكال بعض الطير . وحول ساقيه الناقة من جلد ملوّن له اهداب من الفرو ونعاله مشدودة الى قدميه بسيور من نسيج الشعر المتين وقد جلس على كرسي ذي جناحين اسند زنديه اليهما . وقد ظهر من تحت البردة سلسلة ذهبية مدلاة من عنقه وفيها صليب من الذهب . فعلمت سالمة انه الدوق اود لانها كانت تعرفه جيداً وتعرف بعض الذين بين يديه من امراء مجلسه

وكان اود قبل دخول سالمة قد تناول من بعض جلسائه قدحاً فيه خمر وهمّ بشربه فلما

امر بادخالها وضع القدح على المائدة امامهُ بين الاقداح الاخرى ومسح بيده بلحيته ثم جعل يسرحها بانامله . فدخلت سالمة وهو على تلك الحالة فلما وقع نظره عليها ظهرت البغتة في عينيه ولولا اصفرار وجهه الطبيعي لبدت ايضاً في امتقاع لونه ولم تكن سالمة اقل تأثراً منه ولكنها كانت قد تجلدت وذهبت بغتتها . فوقفت بين يديه وخرج الحرس ثم اومأ أود الى اهل مجلسه فخرجوا جميعاً وبقي هو وسالمة

فلما رأت سالمة نفسها وحدها زادت تهيباً فاذا هو قد اشار اليها ان تجلس فجلست على كرسي بين يديه جلوس متحفز للنهوض . فخاطبها اود بالافرنجية قائلاً « الهذا الحد بلغ منك الغيظ ؟ »

فاجابت وهي تتجاهل « واي غيظ يا مولاي ؟ »

قال « اتظنين اني نسيتك يا أجيلا ؟ »

فلما سمعت سالمة لفظ « اجيلا » ارتعدت فرائصها لانها لم تسمع احداً يناديها بهذا الاسم من زمن مديد ولكنها تجلدت وقالت « اظن مولاي واهماً في شأني ولعله يريد امرأة غيري »

قال وهو يضحك « اظنني واهماً . . ! اذا كانت عيناي واهمة فهل تظنين قلبي واهماً ايضاً ؟ هل انسى اجيلا وقد جرحت قلبي واساءت الى سلطاني ولكنها اساءت الى نفسها . . . ألم يكن من التعقل والحكمة ان تقلعي عن ذلك الجنون ؟ . . أليس من العار عليك وانت مسيحية مولودة في بيت من اكبر بيوت المسيحيين ان تنصري قوماً غرباء لا دين لهم ولا ذمام وتساعديهم على اهل ديانتك . . »

قالت وهي لاتزال مطرقة « لم افهم يا مولاي مغزى كلامك كأنك تخاطب امرأة غيري فان الاسم الذي تاديني به ليس هو اسمي وانما انا اسمى سالمة . . . »

فاغرق اود في الضحك حتى سمع قهقهتهُ كل من في القصر ومدَّ يده الى المائدة فتناول قدحهُ وشربهُ وهو ينظر الى سالمة وهي لاتزال مطرقة . ثم ارجع القدح فارغاً ومسح فمه بيده وهو يقول « ما لنا وللانكار والاثبات فاخبريني يا سالمة (كما تسمين نفسك) ما الذي جئتِ من اجله الى هذه المدينة وما الذي فعلته عند اسقف بوردو ؟ »

فادركت سالمة انه مطلع على شيء من امرها فقالت « وما الغرابة في زيارة امرأة مسيحية لاسقف كنيستها ؟ »

قال « لاغرابة في الزيارة ولكنني أسألك عما دار بينكما وعما حملك على الذهاب اليه

قالت « لا يخلو ان يكون قد دار بيني وبينه حديث طويل بشؤون سرية لا تهم احد لان جماعة الاكليروس خزانة اسرارنا »

قال « لا أسألك عن اعترافك اليه بما يتعلق بشؤونك . ولكنني اسألك عما دار بينك وبينه بشأن الافرنج والعرب والحرب والسلم »

الفصل الرابع والاربعون

التهديد

فلما سمعت تصريحه لم يبق عندها شك في اطلاعه على سرها فايقنت بالوقوع وتحقق يأسها من النجاة فساعدها اليأس على الجرأة فقالت « يظهر انك عالم بما دار بيني وبينه فلا حاجة الى سؤالي »

قال وهو يظهر الغضب « اهكذا تجاوبين الدوق اود ؟ .. ايتل هذه الجرأة تخاطبين دوق اكيتانيا ؟ .. »

فظلت سائلة ساكتة ولكنها ابتسمت ابتسامة فهم اود منها ما هو امرح من الجواب فابتسم وكأنه تدم على ذلك التهديد فقال « ثلاث ايام مضت وقد اردنا ارجاعك الى مكلها فابيت ... فاسأت الى نفسك والى ابنتك ولا ذنب لها وانما الذنب ذنبك .. ولكنك اردت ان تهوى هي الذين تهوينهم انت وان تبيع ديانتها وكنيستها جزافاً وان يكون نصيبها من اولئك المسلمين .. بالحقيقة اني لم افهم سر هذا العناد فيك ... »

فابقت سائلة ان اود مطلع كل شيء كانه كان معها في خيمة عبد الرحمن لما القت اليه سرها . واستغربت اطلاعه على تلك الاسرار ولم تجد لها خيراً من السكوت او الانكار فقالت « اراك لا تزال تخاطبني بالالغاز والاشارات والتلميح والتعريض فالذي تريد ان تعتقده فيَّ اعتقده وما تريد ان تفعله افعله .. »

قال « الذي اريد ان افعله بنا اجلا ستريه رأي العين . ولو اظهرت هذه الوقاحة في مجلسي وبين ارباب حكومتي لما استطعت الاغضاء عن قتلك ولكنني اسامحك الآن اكراماً للحب القديم . اما الآن فقد تحول ذلك الحب الى الغضب والانتقام ويكفيني انتقاماً منك ان اريك حبوط مسعاك — فمتى رأيت الارض مضرجة بدماء اولئك العرب والبرابرة كنت مخيرة ان تموتي حسرة او ان تقتلك بالسلاح الذي تختارينه »

قال ذلك ولحيته ترقص على صدره وعيناه قد كللهما الاحمرار من شدة الحنق مع الكظم — لان الانسان اذا غضب ولم يشف غضبه بالضرب او نحوه تعاظم تأثيره وقد يحاول اخفاء عواطفه بالكظم ولكن العينين تبيحان بسر القلب على حد قول الشاعر

عيناك قد دلتا عينيَّ منك على   أشياء لولاهما ما كنت رائيا
والعين تعلم من عيني محدثها   ان كان من حزبها اومن أعاديها

فلما رأت سالمة غضب اود وتصريحه بما في قلبه من الغيظ مع علمها انه فاعل معها ما يريده لانها أسيرة في يديه رأت السكوت اولى لعلمها ان ما توهمه اود في نفسه من الاقتدار على العرب محال وقد غلبوه في عدة مواقع

فلمّا رآها أود لا تزال ساكتة ازداد هو حنقاً فقال لها « أراك لا تزالين صامتة ... »

فقالت وهي تظهر التجلد وعدم الاكتراث « وماذا عسى ان يكون جوابي لامير حوله الجند والاعوان والعدة والسلاح يهدد امرأة وحيدة لا نصير لها ولا سلاح في يدها فالذي ترى ان تفعله ايها الدوق أفعله ... »

وهمّ أود ان يخاطبها فسمع قرع الباب قرعاً عنيفاً فاستغرب ذلك لعلمه ان اعوانه لا يجسر أحدٌ منهم على اقلاق راحته في مثل تلك الحال فنهض بنفسه مسرعاً الى الباب وطيلسانه يجرّ وراءه وقد حمي غضبه ففتح الباب فاستقبله احد رجال خاصته فصاح أود قائلاً « ما الذي حملكم على هذا القرع العنيف وانتم تعلمون اني في شاغل هنا »

فقال « العفو يا مولاي انما فعلنا ذلك بإشارة هذا الرسول فانه قادم من سفر ومعه رسالة مستعجلة في غاية الاهمية اوصاه مرسلها ان يسلمها الى حضرة الدوق حال وصوله الى معسكره واذا كان نائماً فليوقظه من نومه ... »

فبغت أود وقال « اين الرسول دعهُ يدخل »

الفصل الخامس والاربعون

الكتاب

فدخل رجل عليه لباس الافرنج ولكن وجهه يدل على أنه من برابرة افريقية فلما شاهدته سالمة عرفت أنه من جند السامين وقد جاء متنكراً . اما هو فلما دخل مدَّ يده الى جيبه واستخرج منه لفافة دفعها الى أود فتناولها وتراجع الى كرسيه فجلس عليه وفض اللفافة واذا فيها منديل عليه كتابة فاخذ في قراءتها حتى اتى على آخرها ثم عاود قراءتها ثانية والبغتة ظاهرة في وجهه

وكانت سالمة تتغافل عن ملاحظة حركات أود وتسترق النظر الى الرسول فاذا هو أيضاً يسترق النظر اليها وكأنه عرفها وأما هي فعرفت أنه من رجال البربر . ثم ما لبثت ان رأت في عينه حولاً شديداً فتذكرت انها رأته في معسكر عبد الرحمن فادركت مصدر تلك الرسالة وودت لو يتاح لها التخلص من ذلك الاسر لعلها تستطيع القيام بخدمة للعرب

أما الدوق أود فبعد ان فرغ من تلاوة الكتاب ثانية تظاهر بالاطراق واعمال الفكرة وهو ينظر خلسة الى سالمة يراعي حركاتها وما قد يبدو في وجهها فرآها تبالغ في التجاهل وأحبَّ ان يعود الى البحث في شأنها لكنه رأى في ذلك الكتاب ما يدعو الى سرعة العمل به فأومأ الى الرسول فخرج ثم صفق فدخل اليه بعض غلمانه وبيده حربة ووقف متأدباً . فاشار اليه اود ان يأخذ سالمة الى غرفة منفردة من غرف القصر يحبسها فيها ثم التفت اليها قائلاً « اذا كنت لا تزالين على تنكرك وتجاهلك فاذهبي الى حيث يقودك هذا الحارس وسنرى في شأنك »

فنهضت سالمة ومشت ولم تبد جواباً . فسار بها الحارس حتى خرج من باحة القصر الى دهليز استطرق منه الى باب ادخلها فيه الى غرفة ليس فيها الا حصير وطنفسة ولها نافذة تطل على معسكر الافرنج . فتركها الحارس هناك واغلق الباب عليها فظلت هي واقفة تنظر الى ما تطل عليه النافذة من الخيام المنصوبة وبينها الرجال في ذهاب واياب لقضاء حوائجهم . حتى اذا تعبت من الوقوف جلست على الطنفسة وقد عظم عليها ذلك السجن مع ما يترتب عليه من عرقلة مساعيها وودت لو أنها تطلع على نص تلك الرسالة لتعلم ما دبروه

لها او لجند العرب ولكنها قالت في نفسها « اذا لم يكن من سبيل الى خروجي من هذا المعسكر فما الفائدة من الاطلاع »

فظلت على تلك الحال الى الغروب وهي لم تذق طعاماً وكانت لفرط هواجسها لا تشعر بمرور الوقت · فلما غابت الشمس اسودت الدنيا في عينيها وتذكرت ابنها وميمونة وعبد الرحمن فانتبهت لتلك المحفظة فتعهدتها فاذا هي لا تزال محفوظة تحت اثوابها لكنها اصبحت لا ترى فائدة منها وهي في تلك الحال بعيدة عن كل نصير وخصوصاً خادمها وقد تركته بين حي وميت · فغلب على ظنها انه لم ينج من تلك الحمى لانها أصبحت بعد وقوعها في ذلك الشراك لا تتوقع غير توالي النحوس — والانسان اذا اصابته نائبة انصرف ذهنه الى استهدافه لسواها واذا صادف توفيقاً في عمل خيل له ان الاقدار ابرمت معه عهداً ان لا تأتيه بغير ما يرضاه

فاشتغلت سالمة بتلك الهواجس عما في ذلك القصر من ضوضاء الجند بين خارج وداخل وعن غوغاء الناس في المضارب وخصوصاً ساعة الغروب وقد نفخ في البوق يدعوهم الى الطعام

الفصل السادس والاربعون

الطارق

وهي مشتغلة في ذلك واذا بخربشة في مكان القفل بالباب فاجفلت ونظرت الى الباب فرأت من ثقبه نوراً في الخارج ثم فتح الباب ودخل منه شابٌ بلباس الافرنج في احدى يديه شمعة مضيئة وبالاخرى قصعة مغطاة بشيء كالخبز فعلمت انهم جاؤوا بالطعام فاحست بالجوع حالاً ولكنها لم تتمالك ان صاحت « من انت ؟ »

فاجابها الشاب بصوت هادىء « قد جئتك يا سيدتي بطعام بامر سيدي الدوق وقد اوصاني ان اعزم عليك لتأكلي من هذا الطعام فانه من طعامه الخاص »

فاستغربت سالمة هذا الاكرام منه بعد ما دار بينها وبينه ولكنها سكتت وهي تنتظر ما يفعله الشاب · فاذا هو قد وضع القصعة على الطنفسة ورفع الخبز عنها فرأت تحته شيئاً

من قبيل الطيور المطبوخة وقد فاحت منه رائحة يشتهيها الشبعان فكيف بالجائع ولكنها امسكت نفسها مخافة ان يكون في الطعام سمّ او نحوه وان كان الجوع يدفعها الى الاكل. ورأت ان تنظر في وجه الغلام لعلها تتوسم فيه ما يشجعها او يخوفها فرفعت بصرها اليه والشمعة لا تزال في يده وقد وقعت اشعتها على وجهه فاذا هو يختلف في سحنته ولون بشرته عن اهل تلك البلاد مع ان كلامه افرنجي. فتبينت تقاطيع وجهه فاذا هو اسود العينين براقهما خفيف العضل اسمر البشرة خفيف اللحية صغير العارضين من حداثة. ويدل مجمل ملامحه انه ليس افرنجياً. فلم تستغرب ذلك لعلمها بما يدخل بلاط الملوك في تلك الايام من الاسرى والمماليك من امم مختلفة. فتفرست في وجهه لترى ما يزيل الشبهة التي لابستها من امر الطعام فلم ترَ في وجه الغلام ما يدعو الى الخوف لكنها ارادت ان تتحقق ذلك من سماع كلامه فقالت «ما اسمك ايها الشاب؟»

قال «اسمي رودريك يا سيدتي»

فلما سمعت ذلك الاسم خفق قلبها واجفلت وتصاعد الدم الى محياها بغتة لكنها انتبهت لنفسها حالاً وحولت نظرها الى القصعة ومدت يدها الى الخبز وتشاغلت بتقطيعه بهدوء وسكينة والغلام واقف وقد لحظ منها ذلك الاضطراب فلم يفهم له سبباً سوى انها تحتاج الى امر وقد منعها الحياء من طلبه فانتبه لحال انه لم يأتها بالماء للشرب فابتدرها قائلاً «اظنك تحتاجين الى الماء»

ثم وضع الشمعة على البساط وخرج وقد ترك الباب مفتوحاً ففهمت سالمة انه ينوي الرجوع حالاً

ولم تمض هنيهة حتى سمعت خفق نعاله خفقاً سريعاً ثم دخل وبيده كوبة فيها ماء وضعها امامها وهو يبتسم وكان قد سكن اضطرابها فنظرت اليه فاحست بارتياح الى رؤيته واستأنست به فشكرت عنايته وودت لو انه يتولى امرها دائماً

اما هو فوضع الكوبة وخرج واغلق الباب وراءه غلقاً خفيفاً كانه عازم على الرجوع فتناولت سالمة بعض ما في القصعة وشربت الماء وهي تفكر في ما آنسته في ذلك الغلام من المؤانسة ولبثت بعد فراغها من الطعام تنتظر رجوعه. وبعد قليل سمعت خفق نعاله وهو يمشي الهوينا ثم دخل وهو يحمل غطاء ثقيلاً ووسادة فالقاها على الارض وهو يقول «هذا غطاء ووسادة لاجل الرقاد قد اوصى مولاي الدوق بهما لك»

فتناولتهما وقالت له «اشكر عنايتك ايها الشاب وارجو ان استطيع مكافأتك وعسى

ان لا يتولى امري من اهل هذا المعسكر سواك وان كان في ذلك ثقلة عليك . . »

فاجابها رودريك وهو يبتسم « وانا ارجو ان لا يتولى ذلك سواي لاني اخاف ان يتولاه من لا يعرف قدرك فلا يحسن خدمتك »

فتوهمت سالمة من ذلك انه عارف بعض شانها فتجاهلت وسكتت . اما هو فانه اخذ القصعة والكوبة وتحول نحو الباب وهو يقول « وسترينني رهين اشارتك وسابذل جهدي في خدمتك فليطمئن بالك » ثم اقفل الباب وخرج

وبعد خروجه احست سالمة بارتياح الساها بعض ما بها من الاضطراب فافترشت بعض الغطاء وتغطت بباقيه وتوسدت تلتمس الرقاد وكانت قد احست بالتعب على اثر ماقاسته في ذلك اليوم وما قبله فغلب عليها النعاس فنامت نوماً عميقاً

ولما افاقت جاءها رودريك بطعام الصباح وتولى خدمتها في كل ما تحتاج اليه وتفرست فيه على ضوء النهار فتحققت انه بعيد الشبه عن الافرنج وقريب للملامح من العرب ولكنها رأته يتكلم الافرنجية مثل اهلها واسمه افرنجي فعزمت على استطلاع حقيقته بعد ان تؤانس منه وثوقاً بها مخافة ان تبدر منها كلمة اذا بلغت اود زادت نقمته عليها

الفصل السابع والاربعون

السفر

قضت سالمة في ذلك الاسر اياماً وهي تراقب حال اهل القصر بالنظر اليها لعلها تجد سبيلاً للفرار فاذا هم شديدو العناية في خفارتها كثيرو التضييق عليها وكان جماعة منهم موكلين بحراستها ومراقبة حركاتها فعلمت ان اود مع تغيبه عنها واهماله مقابلتها شديد الحرص على استبقائها في ذلك السجن

فلما طال مكثها على تلك الحال ملت الاقامة وتزايد قلقها على جند العرب لعلها انهم في انتظارها على مثل الجمر ولكنها لم تكن ترى بأساً من تأخرها عنهم لعلمها انهم فائزون في فتحهم حتى يبلغوا بواتيه ثم هي لا تخاف عليهم اود وجنده لعلمها انهم غلبوهم غير مرة . على انها كانت تخاف على مريم من غدر ميمونة . ثم هي رجحت ان الكتاب الذي جاء به ذلك الاحول انما هو من ميمونة ولكنها لم تفهم فحواه تماماً فلبثت تتوقع فرصة لاستطلاع ذلك

من رودريك

واصبحت ذات يوم فسمعت ضوضاء الجند على غير المعتاد فاطلت من النافذة فرأتهم يقوضون الخيام وقد اخذوا في التأهب للسفر فاشتغل خاطرها واوجست خيفة من ذلك الانتقال · على انها رأت في ذلك سبيلاً لمخاطبة رودريك في ما قد يكشف لها شيئاً من ذلك السر : فلما جاءها في ذلك الصباح ومعه الطعام ابتدرته قائلة « مالي اراكم تتأهبون للسفر هل انتم مسافرون جميعاً ام يبقى بعضكم هنا »

قال « اننا مسافرون جميعاً وقد أمر حضرة الدوق ان تسيري معنا »

قالت « والى اين ؟ »

قال « الى تورس على نهر لوار »

فلما سمعت قوله بغتت واستغربت ذلك الانتقال لعلمها ان النهر المذكور هو آخر حدود اكيتانيا والبلاد التي وراءه تحت سلطة شارل دوق اوستراسيا · وهي تعلم ايضاً ان بين اود وشارل منافسة ومزاحمة على النفوذ وربما كان شارل اكثر حرصاً على صد اود عن بلاده من حرص العرب على فتح اكيتانيا فقالت « هل انت على يقين من ذهابهم الى تورس ؟ »

قال « نعم يا مولاتي وقد سمعت الاوامر الصادرة لنا بالذهاب »

قالت « ألا تعلم بما بين الدوق اود ودوق اوستراسيا من المنافسة ؟ » ·

قال « بلى · ومن يجهل ذلك ؟ »

قالت « فما الذي يحمله الدوق اود في تورس اذاً ألا يخاف عدوه شارل ؟ »

فلما سمع رودريك سؤالها تلفت وتلفت نحو الباب كأنه يحاذر ان يراه احد ثم نظر الى سالمة وهو يقول بصوت منخفض « ان هنالك سراً لم يطلع عليه الا نفر قليلون من هذا الجند وأخاف ان بحت به ان يلحقني اذى »

فتوسمت في وجه الغلام خيراً مهما فاتت نفسها لسماعه فشجعته وقالت « ما الذي تخافه من اسيرة سجينة ربما لا يهمها من امر هذا الجيش شيء ؟ ولكنني احببت الاطلاع على هذا السر لغرابته وقد جرأني على هذا السؤال ما شاهدته من مؤانستك ولطفك في اثناء هذه المدة · ومع ذلك لا اظنك احرص على مصلحة هذا الجند مني لانك على ما يظهر لي لست منهم · · »

فما قالت سالمة ذلك حتى رأت البغتة بدت في وجه رودريك وقد تحولت سحنته الى غير ما كانت عليه فتنهد وقال « لقد ادهشتني فراستك فيَّ لأنك اطلعت في ايام

على ما لم يستطع كشفه احدٌ من اهل هذا المعسكر في اعوام ٠٠ »

فاستبشرت سالمة بذلك التلميح وقالت « يظهر لي اني قد اصبتُ الرماية فكلانا اذًا نرمي الى غرض واحد فأخبرني عما حمل اود على الذهاب الى تورس ولا تخف وارجو ان يكون لك من وراء ذلك خيرٌ »

فقال « اما السبب في هذا الانتقال فهو ان العرب حاربونا ونحن قرب بوردو فغلبونا وقد بلغنا الآن انهم قادمون الى هنا »

فقطعت كلامه وقد سرَّها ان غيابها لم يؤخر العرب عن التقدم في الفتح وايقنت انهم لم يلاقوا في طريقهم كبير مدافعة من اهل البلاد فقالت « فالافرنج اذًا يطلبون تورس فرارًا من العرب »

قال « لا يخلو الامر مما ذكرتِ ولكنهم يطلبون تورس للدفاع وليس للفرار »

قالت « و بماذا يدافعون وعدوهم هناك اشدُّ وطأةً عليهم من العرب »

قال « قد كان كذلك من قبل ولكنه اصبح الآن ظهيرًا لهم »

فقالت « وكيف ذلك والمنافسة متمكنة بينهما لان كلًّا منهما يطلب السيادة على الآخر بعد أن رأيا انحلال الدولة المروفنجية التي كانت تجمعهما تحت سيطرتها ٠ وقد علما ان الفائز منهما ستكون له الدولة والملك على الدوقيات كلها فزادت المنافسة بينهما حتى يتمنى كل منهما ان يهلك الآخر ٠٠ »

قال « هذا هو الواقع فعلاً وهذا الانقسام هو الذي مكّن المسلمين من فتح اكيتانيا حتى وصلوا الى هنا واذا قطعوا نهر لوار اصبحت بلاد في اوستراسيا في قبضتهم على اهون سبيل لان اساقفتها ناقمون على الدوق شارل نقمة شديدة وقد يحرضون الشعب على خلعه فاذا جاءهم العرب وهم في تلك الحال ساعدوهم على الفتح ٠٠ »

فلما سمعت سالمة ذلك خفق قلبها سرورًا بما ترجوه من فوز العرب هناك ولكنها لم تثق بصدق تلك الرواية فقالت وما هو سبب نقمة الاكليروس على شارل وهو قائد عظيم »

قال « السبب يا سيدتي انه اقترح اموالهم وقبض على املاك الاديرة وفرقها في جنده واهان بعض الاساقفة بالقصاص وقتل بعض صغار الكهنة عليهم ولا يخفى عليك ما يجرّ اليه ذلك »

فلما تحققت غضب الاساقفة على شارل عادت الى الاستفهام عما دعا الى نصرة شارل

لأود فقالت « ولكنني لم أفهم كيف صار شارل ظهيراً الدوق اود .. فهل فعل شارل ذلك من تلقاء نفسه خوفاً من الاساقفة ؟ . »

فقال رودريك « كلا يا سيدتي ولكن الدوق اود لما ايقن بعجزه عن دفع العرب عن بلاده لم يرَ بدّاً من استنصار عدوه شارل .. »

فقالت وقد بغتت « وكيف استنصره وفي استنصاره خروج هذه البلاد من يده لا محالة »

قال « لا اظنه يجهل ذلك ولكنه قد فعله مضطراً بحكم الضرورة ففضل ان تأول البلاد الى امير مسيحي افضل من ان تأول الى قوم غرباء ديناً ووطناً ولعله مطمئن لما يعلمه من اشتغال شارل بنقمة الاساقفة — ثم اني لا اظنه استنصره الا مدفوعاً بمشورة بعض ثقاته »

قالت « ومن يجرأ على هذه المشورة من رجاله »

قال « المشورة لم تأته من هذا المعسكر ولكنني علمت بكتاب جاءه في اليوم الذي جئتك فيه . وفي ذلك الكتاب تحريض على استنجاد شارل والظاهر انه اثر فيه كثيراً فحالما قرأ الكتاب بعث وفداً الى شارل يطلب اليه مساعدته في هذه الحرب فأتاه الجواب بالايجاب »

الفصل الثامن والاربعون

الاستطلاع

فلما سمعت سالمة قوله تحققت ان الغرض على ذلك انما هو ميمونة فاستعاذت بالله ولكنها كظمت وتجلدت لانها لم تكن تثق برودريك وهو لم يكاشفها بحقيقة امره فاحبت قبل الافاضة في الموضوع ان تستطلع الحقيقة فقالت والاهتمام ظاهر في وجهها « اراك يا رودريك قد كاشفتني بامور ذات بال مما يدل على ثقتك بي فاعلم ان ثقتك في محلها واذا كنت تعتقد اخلاصي لك كن على يقين اني باذلة نفسي في مكافأتك على اني لا ازال اطال نفسي بالاطلاع على حقيقة امرك لاني على ثقة انك لست من اهل هذا المعسكر »

قال « لا ريب عندي في اخلاصك ولولا ذلك ما خاطبتك بما خاطبتك به والامر الذي تخفينه في باطن سرك هو الذي اتيناه انا ايضاً وهذا ما جرأني على هذه المكاشفة »

فادركت سالمة انه دل غرضها فازدادت ميلاً الى استطلاع حقيقته فقالت « فاطلعني على حكايتك لنتعاون على النجاة باذن الله ٠٠ »

قال « ولكنني اطلب اليك ان تخبريني عن امر لاحظته منك في اول ساعة خاطبتك فيها ٠٠ هل اسالك عنه ؟ »

قالت « وما هو ٠٠ »

قال « لما سألتني عن اسمي وعلمت انه رودريك رأيت في وجهك اثر البغتة فلا أدري كان ذلك بسبب اسمي او غيره ٠٠ »

فتظاهرت سالمة بعدم الاكتراث وقالت « لا اذكر اني بغتُّ لشيء من هذا القبيل» فصدقها واقتصر

اما هي فلبثت ساكتة تنتظر جوابه على سؤالها عن حكايته فرأته يتلفت نحو النافذة كأنه يراقب حركة او يتوقع قادماً فالتفتت هي فلم تر غير الجند وهم لا يزالون في اهتمامهم للعزم والرزم والاستعداد للرحيل فحوّلت بصرها الى رودريك فرأته يهم بالجواب وهو يتردد فقالت « يظهر انك تحاذر شيئاً »

قال « كلاً يا مولاتي ولكنني اخاف ان يدهمني الوقت وادعى للسفر قبل الفراغ من حكايتي لانها طويلة »

قالت « قل لي بالاختصار إذاً هل تعرف العربية »

قال « كلاً »

فتوهمت سالمة انها اخطأت الفراسة فيه لانها كانت توهمت من ملامحه انه عربي فقالت « هل تتكلم لساناً غير الافرنجي »

قال « اعرف اللسان البلغاري وهو لسان حداثتي »

قالت « فاذاً انت بلغاري الاصل ٠٠٠ ولكن ملامحك لا تدل على ذلك »

قال « لست بلغارياً ولكني ربيت في بيت رجل من البلغار »

قالت « وكيف تعلمت لسان الافرنج ويظهر انك تتكلمه حسناً كأنك تعلمته من حداثتك »

قال « تعلمته من طول الممارسة لان الرجل البلغاري الذي رباني باعني لبعض الافرنج

ثم صرت الى الدوق اود بالمقايضة »

فاستغربت ما سمعته ورأت اسئلتها لم تجد نفعاً وكانت تتوقع بها قرب الوصول الى الغرض فاذا هي تبتعد عنه فعمدت إلى الاختصار والتصريح فقالت « قل لي اين ولدت »

قال « ولدت في طليطلة »

قالت « انت اذاً اسباني »

قا « كلا »

قالت « فانت عربي »

فسكت وقد ظهرت في وجهه ملامح الخوف

الفصل التاسع والاربعون

منظر هائل

فادركت انه يخاف التصريح اتقاء نقمته بها لان ملامحها بعيدة جداً عن ملامح العرب فقالت « لا تخف يا شاب فانك تخاطب امرأة لا تحب غير العرب . ولكن لقد ادهشني حديثك . فكيف تقول انك ربيت في بلاد البلغار ثم تقول انك ولدت في طليطلة والمسافة بين البلدين بعيدة جداً . الانك واهماً في ما تقول او لعل الذي اباك بولدك قد خدعك او كذبك »

فقال « اني على ثقة من ذلك لاني عشت في طليطلة بضع سنوات ولا ازال اذكر بعض مناظرها كانها خيال . . »

قالت بلهفة « اتذكر مناظر طليطلة . . ؟ ما الذي تذكره منها ؟ »

قال « اذكر قصرها الكبير على نهر التاج وحوله الحدائق . . واذكر حديقة ذلك القصر لاني كثيراً ما كنت العب فيها مع بعض الرفاق على ضفاف ذلك النهر . . »

قالت وفي وجهها بعض لو رآه متفرس لعلم انها بغتت لذكر طليطلة وقصرها وانها كانت تغالب عواطفها لئلا يظهر ذلك في وجهها « فانت اذاً من ابناء ذلك القصر . . وما الذي تذكره ايضاً ؟ »

قال « لا اذكر غير ذلك القصر لاني أُخرجت من طليطلة وانا طفل ولولا ماشاهدته

هناك من الامور المخيفة لم تبق صورته في ذهني»

قالت «وما الذي شاهدته واخافك وانت طفل ؟»

قال «شهدت مقتل امير الاندلس ...»

قالت «الا تذكر اسمه ...؟»

قال «لم اكن اعرف اسمه يوم مقتله ولكنني علمت بعد ذلك انه عبد العزيز بن موسى ابن نصير الذي فتح بلاد الاندلس للعرب»

فلما قال ذلك كادت تظهر البغتة على سالمة لو لم تتجلد وتشغل رودريك بالاستفهام فقالت «وما الذي تذكره من امر مقتله ؟»

قال «اذكر اني كنت في بعض شهور سنة ٩٧ للهجرة العب في حديقة القصر وانا في نحو الخامسة من عمري ومعي طفلة اصغر مني كنت أُلاعبها ومعنا الخدم لانها بنت الامير عبد العزيز وقد ربينا معاً . وبينما نحن في ذلك رأيت الخدم في هرج ومرج وقد وقفوا وقفة الاحترام فأسرعت للفرجة وبجانبي ابنة الامير . واذا بالامير عبد العزيز قد خرج من القصر ومر بالحديقة وعليه القباء والعمامة ووراءه جماعة من ارباب العمائم فلما دنا منا مدّ يده اليّ ولمس رأسي على سبيل الملاطفة وقال كلمة لا أذكرها . فتأثرت لمنظره لانها اوّل مرة رأيته في مثل ذلك الموكب . فسألت عن مسيره فقالوا الى المسجد للصلاة . فلم يهمني الامر فعدت الى اللعب ولم يمض قليل حتى سمعت ضوضاء الناس وقد جاء بعض الغلمان وحملوا الطفلة بسرعة وتركوني . فخفت لان الحديقة اصبحت خالية وليس فيها سواي فأخذت في البكاء ثم رأيت الناس يعدون من جهة المسجد عدو الفرار واخيراً رأيت منظراً أثر في حافظتي تأثيراً لا يمحوه كرور الايام ولا اذكره الا ويقشعر بدني — شاهدت جماعة يعدون في اثر الناس نحو القصر وفي مقدمتهم رجل يحمل رأس انسان وقد قبض عليه من شعره والدم يقطر منه ويد الرجل وثيابه قد تلطخت بالدم [1] ونظرت في ذلك الرأس فاذا هو رأس الامير عبد العزيز فاوغلت في البكاء وليس من ينتبه لبكائي لاشتغال الناس عني بشؤونهم .. ولا اذكر اني بقيت في ذلك المكان الى الغروب ولم ينتبه احد اليّ ثم جاء جدي فتناولني بسرعة وطلع بي الى ذلك القصر الى حجر والدتي — على اننا لم نبق في طليطلة بعد ذلك الحادث الا بضعة ايام ثم انتقل والدي بي وبأمي الى الشام ...»

---

(١) ابن الاثير ج ٥

وكان رودريك يتكلم وسالمة شاخصة فيه وعيناها تكادان تجمدان وفي وجهها ملامح الاضطراب مع اصفرار البغتة وانقباض الحزن ورودريك يزداد مبالغة في تشخيص هول ما شاهده . فلما فرغ من حديثه رأى دمعتين انحدرتا من عيني سالمة تحمل ذلك منها محمل التأثر العام من مثل ذلك الحديث ولو كان السامع غريباً

اما سالمة فجاشت في خاطرها امور قضت بضع عشرة سنة في الصبر على كتمانها وكادت تحدثها نفسها بالتصريح لو لم يغلب عليها التعقل والصبر فامسكت نفسها وعادت الى استتمام حديث رودريك فقالت « ان حديثك غريب وقد ازعجني ٠٠ فاخبرني عما تم لك بعد ذهابكم الى الشام وكيف وصلت الى بلاد البلغار ٠٠ »

فقال « انك سمعت بسير العرب لفتح القسطنطينية منذ بضعة عشر عاماً ٠٠٠ واني لأستغرب الآن بعد ما شاهدتُ تلك المدينة وعرفت حصونها وقلاعها كيف اقدم العرب على فتحها ٠٠٠ »

فقطعت سالمة كلامه قائلة « ان الغرض من الذهاب لفتحها الوصول الى هذه الارض من ذلك الطريق فيلتقي فاتحو القسطنطينية بفاتحي الاندلس هنا ويتم للمسلمين فتح هذه الارض الكبيرة وفي فتحها يتم للعرب امتلاك العالم كله ٠ الا تراهم لما انهزموا في فتح القسطنطينية كيف اعادوا الكرة لفتح هذه البلاد من هذا الطريق ٠٠ ؟ »

فتعجب الشاب من سعة اطلاع سالمة على تلك الاحوال وزاد استئناساً بها فأتم حديثه قائلاً « اقصُّ عليك خبري ليس كما ادركته حين حدوثه لاني كنت طفلاً ولكنني اقصُّهُ كما تفهمته بعد ذلك ٠ فاعلمي اننا وصلنا الشام فلم نجد الخليفة فيها ولم اكن اعرف اسمه ٠٠٠ »

فقطعت سالمة كلامهُ قائلة « هو سليمان بن عبد الملك الرجل الاعرج الأكول الذي اكل سبعين رمانة وجدياً وست دجاجات في اكلة واحدة وختم الطعام بارطال من الزبيب (١) وقد كان الاولى به ان يقيم نفسه خليفة على المطابخ وليس على الناس فيقتل الامراء ويسفك الدماء ٠٠٠ » قالت ذلك وهي لا تتمالك عن اظهار الغضب

اما رودريك فعاد الى حديثه وهو يختصر خوفاً من ان يداهمه الطلب قبل الفراغ منه فقال « فسألنا عن الخليفة فقالوا انه خرج بحملة من الرجال الى قنسرين واعدّ

(١) ابو الفداء ج ٢

جيشاً كبيراً ليسير الى القسطنطينية بقيادة اخيه مسلمة وكان الناس عالقي الآمال بذلك الفتح والكل واثقون بالفوز ولا ادري ما الذي اوجب ذلك الوثوق . . »

فقالت « سبب ذلك الوثوق اعتزاز العرب بما فتحوه من الممالك واعتقادهم ان العالم سيكون كله لهم وقد ساعدهم على ذلك وثوقهم بمسلمة لانه من كبار القواد وقد تمت فتوح كثيرة على يده . . »

الفصل الخمسون

حصار القسطنطينية

فقال رودريك « وكان والدي من اكثر الناس وثوقاً بذلك فلما دعوه الى مرافقة تلك الحملة لم يرضَ الا ان يأخذ والدتي و يأخذني معه لاعتقاده انهم فاتحون القسطنطينية وانه باقٍ هناك او في ما وراءها من البلاد . وكان والدي من المقربين الى مسلمة لانه كان يعرف اللسان اليوناني وقد تعلمه في بعض اسفاره الى بلاد الروم وهو شاب . فكان مسلمة اذا نزلت الحملة انزلنا في فسطاطه ونزلتُ انا و والدتي في خباء نسائه . وكانت تلك الحملة الهائلة حملتين واحدة بَرّية واخرى بحرية . وكان عدد جند البر الذي نحن فيه ١٢٥٫٠٠٠ مقاتل وفيهم العرب والفرس وغيرهما واكثرهم ركوبٌ على الافراس او الجمال . وكانت الحملة البحرية على ما بلغني بعد ذلك عبارة عن ١٨٠٠ سفينة استقدمها مسلمة من سواحل مصر والشام والاندلس وفيها المؤونة والذخيرة . فمشى الجند البري كانه غابة من الناس والدواب . فمررنا بتيانة وعمورية وبرغاموس فقهروها وسلَّم من كان فيها من الروم او قتلوا واستولى المسلمون على اسلابهم واموالهم . وكانت تلك الحملة تزداد ثقة وتتسع آمال رجالها كلما تقدمت لانهم لم يمرّوا ببلد الا قهروهُ ونهبوهُ حتى وصلنا الى حدود اسيا[1] من جهة خليج القسطنطينية وهو الفاصل بيننا وبينها . وكانت الحملة البحرية قد وصلت الى هناك فاستخدمنا بعض سفنها في نقل الرجال والاحمال من بر اسيا الى بر القسطنطينية عند مكان يسمونه « ابيدوس » وهي اول مرة قطع جند المسلمين به ذلك الخليج[2] . على اننا قاسينا

(١) المراد باسيا في الاصطلاح القديم اسيا الصغرى

في ذلك السبيل مشقة كبرى وكدت اغرق مع والدتي ولكن العناية ارادت بقائي لزيادة شقائي . »

فقالت سالمة بصوت منخفض « لا بل ارادت العناية بقاءك خيراً يتم على يدك لاناس انت تحبهم » فقال رودريك في اتمام الحديث فقال « وبعد ان قطعنا ذلك الخليج بافراسنا وجمالنا واحمالنا نزلنا البر وسرنا حتى اقبلنا على القسطنطينية من جهة الغرب فعسكرنا هناك في سهل واسع وحفرنا حولنا خندقاً وبنينا سوراً من التراب ومكثنا للحصار ونحن في شبه مدينة كبيرة فيها كل ما نحتاج اليه من المؤن والذخائر . وهذه اول مرة اشرفت بها على تلك المدينة الهائلة وكنت بالنظر الى صغر سني لا افقه معنى العظمة ومع ذلك فقد هالني علو اسوارها وما على تلك الاسوار من عدد الحرب — علمت فيما بعد انها مما كانوا يرشقوننا به من النبال والحجارة بالمجانيق . وهناك شاهدت اهوال الحرب لاول مرة . فقد كنت اصعد الى السور حتى اشرف على اسوار المدينة فأرى النبال مغروسة في جدار سورنا مثل ريش القنفذ وبعضها ملقى في السهل بيننا وبينهم حتى كثيراً ما كنت وانا العب امام خيمة الامير مسلمة أرى النبال تتساقط حولي فالتقطها ولم تكن تهمني . وكنت لا أزال أحسب الحرب لعبة حتى شاهدت ذات يوم أمراً لم أجسر بعده على الخروج من خباء والدتي :

« وذلك اني صعدت مرة على سور معسكرنا لاتفرج كالعادة فرأيت شيئاً تطاير عن سور القسطنطينية نحونا اشبه بشعلة متقدة كأنها كوكب مذنب حتى وقعت خارج السور فتبعثرت واشعلت مسافة كبيرة من العشب اليابس هناك وتطايرت منها رائحة حادة . فذعرت وأسرعت الى والدتي وانا في تلك الحال واستخبرتها فاخبرتني انهم كثيراً ما يطلقون هذه النار فتحرق ما تصيبه وخوفتني فلم أعد أجسر على الإقتراب من السور . ثم علمت بعد ذلك انها ما يسمونه « النار اليونانية » واظنهم غلبونا بتلك النار . . . لانهم احرقوا بها أسطولنا من جهة البحر . والاسطول المذكور كانت الريح قد ساعدته حتى دخل الخليج الى مقابل المدينة من جهة الشرق وكان لوصوله تأثير شديد على قلوب الروم . وقد اخبرني بعد ذلك بعض الذين كانوا داخل المدينة في أثناء الحصار انهم كانوا اذا أطلوا على البحر رأوا أسطولنا كأنه غابة اشجارها الاشرعة والسواري لا يقف البصر على آخرها واذا نظروا من جهة البر رأوا معسكرنا كأنه بحر امواجه الناس والدواب وسفنه الخيام والاعلام

وقد ساعدنا الحظ ان السلسلة التي تعوَّدت قياصرة الروم قطع مدخل القسطنطينية بها عند قرن الذهب في مثل هذه الحال كانت محلولة . وتحدَّثت الامراء باغتنام هذه الفرصة والدخول في ذلك الخليج فاشار عليهم بعض العارفين بالتوقف برهة لئلا يكون في الامر دسيسة . ولكنهم مع ذلك اقتربوا من الشاطيء كثيراً فما شعروا الا والاسطول اليوناني يقترب منهم فتهيأوا للدفاع واذا بهؤلاء يطلقون عليهم تلك النار كأنها خارجة من منافذ جهنم فاحرقت معظم السفن والذين نجوا منها جاؤنا وهم ينادون بالويل والثبور وقد مات منهم كثيرون

« فاصبح اسطولنا بعد ذلك لا نفع منه وتحولت الانظار الى قوَّة البر . وكان مسلمة يتوقع ان يملَّ اهل القسطنطينية من طول الحصار ويقلَّ عندهم المؤونة فيضطرون الى التسليم وقد أطمعنا بذلك انا بعد المحاصرة ببضعة أشهر بعث الروم الى مسلمة يعرضون عليه أن يعطوه عن كل رأس ديناراً وينصرف فطمع وابى الاَّ ان يفتحها عنوة [1] او يسلم اهلها جوعاً . وأما نحن فكان مسلمة قد اعدَّ كل ما يلزم للزرع والحصاد فقضينا الشتاء والصيف وزرعنا ورعينا الماشية ونحن نتوقع ملل اهل القسطنطينية فما رأيناهم ملُّوا وقد حاصرناهم سنة وبعض السنة [2] وعلمت بعد ذلك ان ملك القسطنطينية يومئذ واسمه انستاسيوس او ارتميوس قبض على أزمة الملك وليس هو من عائلة القياصرة ولكنه كان حكيماً عاقلاً فلما عاد اليه سفيره من دمشق بخبر الحرب وقدوم العرب عليه براً وبحراً [3] علم أن العرب سيحاصرونه فاعلن أهل القسطنطينية ان كل من لا يستطيع اختزان مؤونة تكفيه ثلاث سنوات فليخرج [3] من المدينة . فاشتغل الناس باختزان الحنطة والحبوب ورمموا الاسوار واستعدوا للدفاع والحصار . ولذلك فقد مللنا نحن قبلهم لاننا كنا نتوقع نجدة من الخليفة في مرج دابق فمات وانقطعت الميرة عنا »

فقطعت سالمة كلامه قائلة « اتعرف سبب موته ؟ »

قال « كلاَّ »

قالت « لقد مات شهيد الشره . . . مات من التخمة — وذلك ان احد نصاري دابق اتاه بزنبيلين مملوئين تيناً وبيضاً فامر من يقشر له البيض وجعل يأكل بيضة وتينة حتى اتى على الزنبيلين ثم اتوه بمخ وسكر فأكله فاتخم ومرض ومات » [4]

(١) مختصر الدول (٢) نيسفوروس (٣) جين ج ٢ (٤) ابو الفداء ج ٢

الفصل الحادي والخمسون

البلغاريون

فعاد رودريك الى كلامه وهو يخاف فوات الوقت فقال « ومع وفاة الخليفة فقد كان يمكننا الصبر على الحصار سنة اخرى وقد تعودنا الزرع وألفنا الاقليم ولكن جاءنا شتاء قاس لم نستطع معه الزرع ولا العمل فنفدت مؤونتنا حتى اكلنا الدواب والجلود واصول الاشجار والورق ومما زاد الطنبور نغمة ان ملك القسطنطينية وهو يومئذ لاون لما طال عليه الحصار ورأى العرب مقيمين عمل على مضايقتنا فبعث الى البلغاريين المقيمين على ضفاف الطونة (الدانوب) واستجاشهم للدفاع عن عاصمته بالاموال والهدايا فجاؤا في البر واحاطوا بمعسكرنا وضيقوا علينا حتى اصبح الرجل منا لا يستطيع الخروج من المعسكر وحده لئلا يصطاده اولئك البرابرة (١) ونشر لاون منشوراً فرقه في اهل بلده اوهم الناس فيه ان الافرنج قادمون الى القسطنطينية بالاساطيل الهائلة للدفاع عن النصرانية . فلما وصل ذلك الخبر الى مسلمة لم يعد يستطيع صبراً على البقاء فازمع على الانسحاب .

« فاستقدم ما بقي من اسطوله وامر بالاقلاع والتقويض للركوب في البحر والرجوع الى شواطىء اسيا . فجاءت السفن واخذوا ينقلون اليها الخيام وما بقي من الخيول والجمال وكنت انا كما اخبرتك مقيماً مع والدتي في الخباء . فلما اخذوا في تقويضه اشتغل كلٌّ بهام نفسه واشتغلت والدتي عني فخرجت لالتقاط بعض التبالل المبعثرة هناك فبعدتُ عن المعسكر وانا لا أدري والظاهر انهم لم ينتبهوا لي فما شعرت الا واثنان من أولئك البلغاريين انقضوا عليَّ كالذئاب الكاسرة . فصحت وناديت يا اماه يا أماه فما من مجيب . على اني التفت بعد هنيهة نحو معسكر العرب وانا بين ذراعي احدهما فرأيت والدتي المسكينة تنظر اليَّ من فوق السور وهي تلطم وجهها وتصيح وتستغيث ثم توارى في الرجل بين الاشجار فلم أعد أرى احداً فاخذت في البكاء وهم تارة يهددونني وطوراً يملقونني

---

(١) مختصر الدول

فلما بلغ رودريك الى هنا لم تتمالك سالمة عن ارسال دمعتين تدحرجتا على خديها حتى ضاعتا في هداب خمارها وهي تنظر الى رودريك والاسف بادٍ في وجهها يخالطه الاستغراب فتوهم انها فعلت ذلك لتأثرها من حكايته فهمّ باتمام حديثه فاذا هي قد قطعت حديثه قائلة «هل علمت ما اصاب والدتك و والدك »

قال كلا يا مولاتي لاني لم اعد أراهما ولا سمعت خبرًا عنهما ولا رأيت احدًا اعرفه من ذلك الحين لاني ربيت في بلاد البلغار في اشق الاحوال اعمل في رعاية الماشية وجمع العيدان والاخشاب للوقود من شدة البرد وكنت أطوف التلال والاودية مع رفاقي من اولاد البلغار او بعض خدامهم نلتقط ما نعثر عليه من كسر الخشب ونحوها ونأتي به الى المنازل فاذا اظلم الليل اجتمع اهل المنزل في غرفة قد اوقدوا النار في وسطها من الحطب والعيدان والاعشاب اليابسة فيصطفون حولها يستدفئون وفيهم الرجال والنساء والاطفال وكلهم احسن كساء مني . فقد كان على بعضهم اردية من الفرو او الصوف وانا لا ازال كما جاؤوا بي ليس عليّ الا رداء وقميص ولولا اشفاق ربة ذلك المنزل عليّ لمتّ من شدة البرد فانها اتحفتني ببقية خمار مبطن بالجلد كان لبعض اولادها فخمرتني به واعطتني شبه جبة من جلد الماعز كانت لزوجها وقد تهرأت فلبستها فغطتني الى اسفل قدميّ فارتدت اليّ روحي . ولا اظنهم فعلوا ذلك شفقة وانما ساءهم ان اموت فيخسروا ما كانوا يطمعون به من ثمني

الفصل الثاني والخمسون

سوق الرقيق

« فقضيت في ذلك بضعة اعوام وقد تعلمت اللسان البلغاري وتعوّدت عاداتهم في الطعام والشراب والصلاة ونحوها ونسيت لسان أبي ووالدتي . فلما بلغت الثانية عشرة حملوني في جملة احداث كانوا قد جمعوهم من اعالي بلاد الصقالبة وساقوهم وفيهم الذكور والاناث ولا كساء عليهم غير الجلود وشعورهم مسترسلة كأنهم كانوا يقتاتون على نبات البرية ويعاشرون حيواناتها . فجمعونا معًا وشدوا ايدينا بعضها ببعض بامراس وساقونا فمشينا بضعة ايام على تلك الحال ونحن نساق كالانعام حتى اتينا الى بقعة رأينا فيها ازدحامًا من كثرة الناس

والخيول والماشية والاحمال فسألنا عن المكان فقالوا انه سوق عمومية يجتمع اليها الناس من اقاصي البلاد للبيع والشراء او للمبادلة او المقايضة · وساقونا جميعاً الى شبه زريبة حولها سور بعضه من الخشب وبعضه من الاحجار واقفلوا بابه علينا بعد ان حلوا ايدينا من الامراس · وعند وصولي الى السوق نسيت متاعبي ومصائبي لاشتغال خاطري بما شاهدته هناك من اصناف الناس واشكال السلع على غير المألوف عندي · وكنا قد وصلنا الى ذلك المكان قبيل الغروب فبتنا في الظلام والبرد وانا لا اكلم احداً من رفاقي لاني لا اعرف لسانهم ولا هم يعرفون لساني · ولما اصبح الصباح واشرقت الشمس نسينا البرد ثم رأينا الناس يتبايعون ويتقايضون ونحن نتوقع ساعة بيعنا · واذا برجلين احدهما طويل القامة جداً والآخر قصيرها وقد ترديا بالجبب المبطنة بالفرو الثخين وتلثما بخمارين من صوف برزت لحيتاهما من بين جناحي الخمار واحمرت عيناهما من كثرة الدفء او من شرب الخمر دخلا الزريبة واصحابنا البلغاريون يسيرون امامهما باحترام وفي اثرهما جماعة من الخدم

« فلما دخلا ظل احدهما الطويل واقفاً مع اصحابنا وتقدم القصير الينا وجعل يتفحصنا واحداً واحداً وينتقي من يقع عليه اختياره منا حتى اذا وصل اليَّ تفرس في وجهي وتكلم بلسان لا افهمه اظنه قوطياً او عبرانياً لاني علمت بعد ذلك ان الرجل من تجار اليهود · فمد يده فامسك بيدي وجذبني نحوه وامرني فلمحت في تفحص اسناني وحنكي وجسَّ كتفيَّ وهزهما ونظر في عينيَّ واذنيَّ ويديَّ ورجليَّ ثم اشار اليَّ فانضممت الى المختارين · وبعد الفراغ من الانتقاء تساوموا فلما تمت صفقة البيع ساقنا اصحابنا الجدد الى زريبتهم بعد ان دفعوا الثمن واظنه بخساً جداً ثم فرقوا فينا خبزاً يابساً والبسونا اكسية ثخينة من الخيش والجلد بشكل واحد وقصوا شعورنا واصلحوا من شأننا بعض الشيء فسررت للشبع والدفء

« وحملنا اولئك التجار بعد ايام على الدواب مناوبة ونحن نحو المئة حتى اتوا بنا بلاد الافرنج فانزلونا في خان حبسونا فيه اياماً ثم افردوا جماعة منا انتقوهم من بيننا لصغر سنهم وجمالهم وارسلوهم الى مكان يخصون فيه الصبيان · وبلغني بعد ذلك انهم اغضوا عني لاني كبرت على تلك العملية · · · »

ولما وصل بكلامه الى هنا سمعوا صوت النفير يدعو الجند الى الاجتماع فقال « اظنني اطلت الشرح فاقول بالاختصار اني انتقلت بالبيع الى بعض الأعيان من الافرنج ثم بالمقايضة الى السوق اود· وكنت في اثناء اقامتي في هذه البلاد قد سمعت بقدوم العرب لفتحها وكانت تحدثني نفسي بالفرار اليهم لابحث عن والدي ووالدتي لاني لم اعد اسمع عنهما شيئاً

منذ خطفت منها بالقسطنطينية · وكنت قد ازمعت اذا كان معسكرنا بقرب معسكر العرب ان افرّ اليهم فلم اتمكن من ذلك لاسباب يطول شرحها فها قد قصصت عليك خبري »

قالت « لقد سرّني صدق فراستي فيك فانت الآن عربي وانا مستهلكة في سبيل العرب ولا يسمح لنا الوقت الآن بالتفصيل فنترك ذلك لفرصة اخرى وعندي امور تتعلق بوالديك وجدك سأقصها عليك · اما الآن فامضِ في عملك واجتهد اذا حملتموني معكم في هذا السفر ان اكون في عهدتك لنتخابر بشأن النجاة · · · »

قال « سمعاً وطاعة » وتحوّل من الغرفة واغلق الباب وراءه · فاذا هو يكاد يعثر برجل عليه لباس يخالف ازي الجند كان قاعداً القرفصاء في الدهليز بقرب الباب وقد ادار كوعيه حول ركبتيه ودفن رأسه في حجره · فلما رآه رودريك اجفل وخاف ان يكون قد سمع ما دار بينه و بين سالمة فرفسه برجله كانه يوقظه من النوم فلم يتحرك فرفسه ثانية وهزه فتظاهر الرجل بالكسل الشديد ورفع رأسه وتثاءب وتمطى وجعل يفرك عينيه و يتلفت حوله كأنه افاق من سبات عميق · فارتاح بال رودريك من قبله لتوهمه انه كان نائماً هناك من كسل او تعب فانتهره وامره ان ينصرف فتظاهر بالخوف ووقف مسرعاً وخرج يهرول

الفصل الثالث والخمسون

موكب اود

اما سالمة فانها فرحت برودريك واستبشرت بالنجاة على يده لما ظهر لها من ثقة الدوق اود به فاذا كان هو خفيرها في ذلك المعسكرهانت النجاة عليهما فتذهب الى معسكر العرب وتخبر عبد الرحمن بما علمته من استنجاد اود لشارل (قارله) لئلا يخدع بقلة جند الافرنج فيأتيه شارل على غرة فيغلبه واذا غلب العرب هناك في وقعة واحدة حبطت مساعيهم كلها · ثم تذكرت حسان وكيف تركته في الغدير وتمنت ان يكون في خير وعافية وان يبقى في قيد الحياة حتى يرى رودريك و يعرف من هو لامر يهمه — وكانت الشمس قد مالت عن الهاجرة فوقفت سالمة الى النافذة تتشاغل بما يبدو من اهتمام الجند بالتقويض والترحيل ريثما يأتيها النبأ بشأنها لترى الى اين مصيرها — فقضت ساعة

وهي في تلك الحال حتى رأت موكب الدوق أود وحوله الفرسان على افراس سروجها مفضضة وعليهم الالبسة البراقة بالالوان الباهرة كالازرق والارجواني · والدوق اود في الوسط على فرس من جياد الخيل وعلى راسه قبعة مرصعة تتلألأ حجارتها باشعة الشمس كانها مصابيح · وعلى كتفيه طيلسان او رداء ارجواني اللون · كالطيلسان موركش بالقصب الى اردانه · وفي عنقه قلادة من الذهب يتدلى منها على صدره صليب من الذهب مرصع بالحجارة الكريمة من الالماس والياقوت · ونظرت سالمة الى سرج الجواد ولجامه فاذا هما ايضاً مرصعان والجواد تحته يتلاعب كانه يرقص تيهاً وهوا كثر تيهاً من فارسه الدوق · وكان الدوق قد اصلح من شأنه ولكن الاضطراب ما زال بادياً من خلال تلك العظمة · وربما كان السبب في ذلك ندمه على استنجاده عدوّه شارل على العرب — ولعلك لو اطلعت على باطن سرّه لرأيته لشدة ندمه يفضل ان لا يجيب شارل دعوته او يحدث ما يثنيه عن عزمه فيبقى هو وحده امام العرب فاما ان يغلبهم فيبقى سيد اكيتانيا وحده او اذا خاف ان يغلبوه صالحهم فيحكموه ارضه تحت حمايتهم · واما شارل فاذا تمّ النصر على يده لا يقنعهُ غير السيادة على الافرنج كافة ويصبح اود تبعاً منسياً اذا لم يقتله بعض المتزلفين لشارل · ونظنهُ لو تحقق بقاء حاله مع الافرنج مثلها مع العرب لفضل العرب على الافرنج لما في فطرة البشر من التحاسد بين الاقرباء اكثر مما بين الغرباء · فالانسان اذا ترك لفطرته وخيرتهُ ان يذلّ نفسه لبعض ذوي قرابته او لاحد الغرباء لفضل الخضوع للغريب · ولهذا السبب ترى الشعوب التي يحكمها الفاتحون من الغرباء اسهل قياداً واقرب خضوعاً لقوانين الدولة ممن يحكمهم اناس من ابناء جلدتهم لتغلب الغيرة بين ابناء الاب الواحد لانهم يتعارفون وهم صغار ومن يعرفك صغيراً لا يحترمك كبيراً · وبهذه القاعدة نستدل على كثير من غوامض التاريخ المختلف في حقيقتها كأصل الفراعنة الاولين مثلاً فالمؤرخون مختلفون في هل هم مصريون او دخلاء · ونظراً لما نعلمه من استعبادهم اهل البلاد الاصليين نرجح انهم غرباء فاتحون للاسباب التي قدمناها · ناهيك بالتحاسد بين الرئيس والمرؤوس في ابناء الوطن الواحد ويشتد الحسد بين اثنين على نعمة كلما تقارب اقتدارهما على نيلها او تشابهت اسبابهما اليها · ولذلك كان التحاسد على اشده بين اصحاب المهنة الواحدة —

فلا غرو بعد ذلك اذا تخيلنا في اود الندم على استنجاد شارل — على انه لما اقترب بموكبه من نافذة سالمة التفت نحوها فوقع نظره عليها فرنا اليها قليلاً ولم يبدِ اشارة · ثم توارى الموكب عن سالمة ورأت الجنود تسير على الاقدام في اثره جماعات بحسب قبائلهم

و بينهم الامراء والقواد بالادراع والخوذ على الافراس و بين يديهم حملة الاعلام وهي كثيرة الاشكال والالوان على بعضها رسم الصليب وعلى البعض الآخر صورة العذراء تحمل طفلها او صور ملائكة او طيور او غير ذلك من الشارات المسيحية او الرومانية . وكانت جوقة الموسيقى قد مشت بين يدي الدوق صامتة فلما تم تحرك الجند سمعت سالمة قرع الطبول والصنوج والابواق ونحوها فتحركت عواطفها وتصورت قرب انتشاب الحرب بين العرب والافرنج بعد وصول النجدة لهؤلاء فكيف تكون العاقبة لو قدرت الغلبة للافرنج وعاد العرب مدحورين فاذا تصورت ذلك اقشعر بدنها وصعد الدم الى وجهها

فلما سار الجند وكاد يتوارى عن بصرها ولم يبق في ذلك المعسكر الا شرذمات قليلة من الخدم والاعوان ورأت نفسها لاتزال منفردة هناك ولم يأت رودريك اليها بطعام ولا كلام اشتغل بالها واوجست من تأخره شراً فتحولت عن النافذة نحو الباب لعلها ترى احداً قادماً فاذا هي تسمع وقع اقدام بلا خفق نعال ومشية غير مشية رودريك . فقالت في نفسها من عساه ان يكون القادم . وما عتم ان فتح الباب ودخل منه رجل بلباس اشبه بالبسة العرب وحالما وقع بصرها عليه رأت فيه شبهاً بالرسول الذي جاء بالكتاب الى اود وهي عنده فاستعاذت بالله وخافت ذلك القدوم ولكنها تجلدت وثبت جأشها وابتدرت الرجل قائلة «ما الذي تريده؟»

الفصل الرابع والخمسون

الأحول

فنظر اليها وعيناه تتباعدان من شدة الحول وتتراقصان فقال «لا اريد شيئاً ولكن حضرة الدوق امرني ان اكون في خدمتك» قال ذلك وهو يصلح رداءه على كتفيه وقد بان السيف من تحته

فلما رأت سالمة حوله عرفته فانقبضت نفسها وخافت سوء العاقبة لعلمها انه من اكبر جواسيس ميمونة واعتقدت ان كل ما نالها من الشر انما كان على يده . ولكنها لم تكن تجسر على التصريح بذلك . فلم تر خيراً من التجاهل والتجلد فقالت «بورك فيك . . . . أَلعلك من اهل هذا المعسكر؟»

فابتسم كأنه يهزأ من جهلها وقال « لا . . ولكني من معسكر آخر . . . » وضحك ثم قال « هل تحتاجين الى خدمة اقدمها لك »

فظلت سائلة على تجاهلها ولم تكترث بما بدا منه فقالت « لا غنى لي عن خدمتك . . ولكن اين هو الشاب الذي كان يخدمني قبلك . . . »

قال وهو يقلب شفته السفلى امتهاناً « لا ادري . . . ولعله سار بمهمة الى طليطلة او بلغاريا . . . او ربما اشتد حنينه الى اجداده فطار اليهم . . . »

فلما سمعت تعريضه بما دار بينها وبين رودريك سراً خفق قلبها وكادت تظهر البغتة في وجهها فبالغت في التجاهل وقالت « اني اشكرك . . لا احتاج الى شيء الآن » وارادت ان ينصرف لتخلو بنفسها وتفكر في امرها

فقال لها « ألا تحتاجين الى شيء ابداً مطلقاً ؟ . . . ألا تتوق نفسك الى احد في بوردو او في نهر لوار . . . »

فعلمت انه يسخر بها وانه مطلع على اسرارها ولو اجابته لسمعت من هزئه ما يؤلمها فتحولت عنه وهي تتظاهر بالسذاجة وقالت « لا . . . لا احتاج الى شيء . . »

فقال « اذا كنت لا تحتاجين الى شيء فانا احتاج الى اشياء »

فالتفتت اليه لتستطلع غرضه فاذا هو يضحك ويستخف بها ثم قال « اني احتاج الى حضرتك . . »

فأقطبت حاجبيها وبدا الغضب في وجهها وغلبت عليها الانفة وعزة النفس وقالت « وما هي حاجتك يا غلام . . ؟ »

قال وقد هاب منظرها « لا تغضبي يا مولاتي اني اطالبك بما امرني به حضرة الدوق . . »

قالت « وما هو ؟ » .

قال « ان تتأهبي للمسير في اثر هذه الحملة فتنزل حيث ينزلون »

ففهمت من صيغة الجمع في كلامه انه سائر معها فقالت « وهل نسير الآن ؟ »

قال « نعم في هذه الساعة وقد اعددنا لك فرساً تركبينه . . »

قالت « اني مستعدة اذ ليس عندي أثاث احمله معي »

قال « فتفضلي اذاً . . . » قال ذلك وأشار بيديه نحو الباب

قالت « اخرج وأنا خارجة في اثرك » فخرج

فالتفت بردائها فوق الخمار وتقلدت الحفظة وسائر ما معها وخرجت الى الدهليز ومنه الى الباحة حتى اطلت على صحن الدار فرأت هناك فرساً مسرجاً وحوله فرسان مدججون بالسلاح وفي ايديهم الحراب وعليهم الادراع كأنهم يخترون عشرين سجيناً متمردين • فلم تعبأ سالمة بهذا المنظر فتقدمت الى فرسها فركبته وساقته فمشى الفرسان حولها في شبه الحلقة • وركب الاحول حماراً كان هناك وسار في أثرهم

سارت سالمة في ذلك الموكب وهي غارقة في بحار الهواجس تفكر في ما دهاها على غير انتظار بعد أن كادت تنجو من الخطر • وفكرت في رودريك فغلب على ظنها انهم حبسوه او قتلوه وانها هي صائرة الى مثل ما صار هو اليه ولم يكن الموت ليخيفها لولا خوفها ضياع امور تود انجازها قبل الموت — ومن الناس من تتسلط فيه معرفة الواجب حتى تنسيه حاجيات نفسه فلا يطلب البقاء الا لواجب يقوم به فاذا أدّى الواجب أصبح الموت والحياة سيّين عنده

قضت برهة في هذه الهواجس حتى تعبت وفرسها سائر بها الى حيث لا تعلم ولكنها كانت ترى الحلقة تارة امامها وطوراً الى جانبها فعلمت انها تابعة لها • وتبينت من مسيرهم نحو الشمال انهم يقصدون تورس على نهر لوار • فلما تذكرت ذلك النهر اختلج قلبها في صدرها وتصورت ما عليها من العهود والمواثيق المتعلقة بذلك النهر وتذكرت أشياء كثيرة زادتها انقباضاً وتعاظم عليها الامر حتى كادت تبكي ولو بكت لانشرح صدرها

وفي الغروب وصلت الحلقة الى سهل حطوا احمالهم فيه للمبيت موقتاً وفي الصباح نهضوا لمواصلة السير وسالمة لا يخاطبها أحدٌ في شيء غير ما لا بدّ منه مما يتعلق بالطعام أو نحوه — وكانت في أثناء الطريق تتأمل في ما يقع عليه بصرها من الدروب او التلال او نحوها وتتفهم ما يدور بين الجند من الحديث لعلها تطلع على خبر جند العرب واين هم • وكانت تتصفح الطريق الذي هم سائرون فيه عساها ان ترى اثراً يدل على اجتيازهم ذلك المكان فلم تر شيئاً يدل على مرورهم • فترجح عندها انهم لم يصلوا الى هناك بعد مع انها سمعت بقيامهم من بوردو يطلبون بواتيه فنهر لوار • وكانت على يقين انهم لا يلقون في طريقهم كبير مقاومة لما مهدته لهم • وأما المعركة الكبرى فستكون على ذلك النهر — فمن غلب هناك ملك

الفصل الخامس والخمسون

تورس

وباتوا تلك الليلة أيضاً في الطريق واصبحوا مسافرين يجدون السير . وقضوا يوماً رابعاً على هذه الصورة وهم تارة ينحدرون في واد وآونة يصعدون على جبل وحيناً يمرون في سهل حتى وصلوا في أصيل اليوم الرابع الى نهر صغير يقال له نهر شير تحف به التلال من الضفتين فضلاً عن الرياض والبساتين فقطعوا النهر من ضفة اليسرى الى اليمنى ثم صعدوا على اكات اطلوا منها على سهل واسع ينتهي بمدينة تورس . الكبرى ووراءها نهر لوار لانها واقعة على ضفته اليسرى . وكان الليل قد سدل نقابه فلم تشاهد سالمة شيئاً لبعد المدينة عنهم

وبعد مسير بضعة أميال من شير اختاروا مكاناً عسكروا فيه على نية الاقامة هناك فعلمت سالمة انهم قد حطوا عصا التسيار فلبثت تنتظر ما يفعلونه بها فاذا هي بالاحول المعهود قد جاء ومعه بعض الخدم نصبوا خيمة خصوصية على مقربة من فسطاط الدوق أود — علمت ذلك من شكل الفسطاط بما فيه من دلائل البذخ والقصف فلم يهمها الامر وقد كادت تيأس . فقضوا معظم ذلك الليل في نصب الخيم واعداد اسباب الاقامة

اما سالمة فانها دخلت خيمتها فرأت الخادم قد احضر لها الطعام فتناولته والتمست الراحة فنامت وهي تفكر في رودريك لانها لم تشاهده في اثناء الطريق ولا سمعت عنه شيئاً ولم تكن تجسر على ذكر اسمه خوفاً من زيادة الشبهة عليه

وافاقت في صباح اليوم التالي على صوت البوق بما لم تعهده من قبل فنهضت واستفهمت الرجل الموكل بحراستها عن السبب فقال لها « ان الدوق يدعو الجند الى الاجتماع في الساحة الكبرى امام فسطاطه للصلاة قداساً كاملاً على اسم القديس مرتين حامي حمى الافرنج لانه مدفون في هذه الجهات وقبره حج للنصارى من انحاء اكيتانيا واوستراسيا »

وكانت سالمة تعرف ان القديس مرتين المذكور كان رسول النصرانية الى الغاليين في القرن الرابع للميلاد وكان اسقفاً في تورس ولما توفي دفنوه في ضاحية من ضواحيها وبنوا بجانب قبره كنيسة وديراً واصبح المكان نفسه تعرف باسمه وصاروا يحجون اليه وينسبون له المعجزات

فلما رأت سالمة اجتماع الجند وكثرتهم في تلك الساحة للصلاة وقفت بباب خيمتها لتشاركهم في صلواتهم فاذا بالدوق قد خرج من فسطاطه في حاشيته واعوانه وكلهم بالملابس الرسمية وقد تقدمهم القسوس بالثياب الكهنوتية وبايديهم الصلبان وهم يترنمون وامامهم بعض الشمامسة يحملون صليباً على عصا طويلة حتى وقفوا في تلك الساحة في شبه منبر ووجوههم مولاة نحو كنيسة القديس مرتين عن بعد والجند وقوف · فاقاموا قداساً طويلاً وكانت القلوب متخشعة ومليئا الآمال بالنصر على الاعداء ببركة تلك الصلاة

— ومن غرائب مطامع البشر وضعف طبيعتهم انهم يسنّون الشرائع بتحريم القتل ويشددون النكير على القاتلين ثم يرفعون اكف الضراعة الى موحي تلك الشرائع ان يساعدهم على قتل ابناء جلدتهم وهم مع ذلك يتوقعون اجابة سؤلهم لاعتقادهم انهم انما يلتمسون نصرة الحق وتأييد الدين الصحيح · وكل طائفة تعتقد ذلك وتفعله · ولو عقلوا وادركوا معنى الدين لطلبوا حجب الدماء وتكاتفوا على حفظ السلام · ولكنهم لا يفعلون ذلك كأنهم ادركوا بالسليقة ان الحرب ضرورية للبقاء وانهم لو لم يقتلوا بعضهم بعضاً لقتلهم الجوع او الوباء لان الارض اذا مضى عليها بضعة قرون ولم تحدث فيها حرب ضاقت بساكنيها · وقد قدروا عدد الذين قتلوا بالحروب من اول عهد التاريخ الى الآن بخمسة اضعاف سكان البسيطة كلها غير ما يترتب على بقائهم من التكاثر بالتناسل المتضاعف

وبهما يكن من الامر فالحرب باقية ما بقي حب الذات وهو باقٍ ما بقي الانسان وبناء على هذا الاعتقاد سعى بعض رجال التمدن الحديث في تخفيف ويلات الحرب مقابلة لما اخترعوه من آلات الدمار التي لم تكن في عهد التمدن القديم

وكانت سالمة لما سمعت اصوات المرتلين وشمت رائحة البخور قد تخشعت واستغرقت في الافكار وتذكرت تاريخ حياتها وما مرّ بها من الاهوال · ولم يقف فكرها الا في معسكر عبد الرحمن اذ تذكرت ابنتها مريم وكيف خلفتها هناك وماذا عسى ان يكون من امرها بعد انتقال العرب في طريقهم الى تورس · وتذكرت ميمونة فاختلج قلبها لذكراها خوفاً على مريم من حبائلها لما تحققته من غدرها واصبحت شديدة الرغبة في اطلاع العرب على ما عرفته عنها واذا استطاعت ذلك فانها تنقذهم من مكائدها · ولما بلغت بها تصوراتها الى هذا الحد تذكرت حساناً لانه لو كان معها لانتدبته لهذه المهمة ـ فاستغرقت في هذه الهواجس مدة والناس يضجون بالصلاة والقسوس يرفعون اصواتهم بالترتيل ووجوههم متجهة نحو دير القديس مرتين

وكانت سالمة وهي واقفة لسماع القداس "لا تتالك عن ارسال بصرها الى اطراف ذلك المعسكر وما وراءه من السهول الى نهر لوار ومدينة تورس على ضفته وبازائها محلة دير القديس مرتين على انها لم تكن ترى من تلك الاماكن الا رؤوس الابنية الشاهقة لبعد المسافة

وفيما هي تسرح بصرها على تلك الصورة رأت الى يسار المعسكر شبحين ظهرا من وراء الافق عن بعد . فاطلَّ اولاً رأساهما ثم تبين بدناهما بالتدريج فاذا هما فارسان . فظل بصرها عالقاً بهما وشعرت برغبة في استطلاع حالهما ثم ما لبثت ان رأت عليهما لباس الرهبان الاسود وعلى رأسيهما القبعة . فقلّت رغبتها في الاطلاع لكثرة الرهبان في تلك الاصقاع وكثرة ترددهم الى المدن لابتياع حاجيات الاديار . وبعد قليل رأت الراهبين قد اختلطا بالجند ووقفا معهم للصلاة فحولت وجهها عنهما وعادت الى هواجسها فتذكرت الشاب رودريك وودت لو انها تجتمع به هناك ولو لم يكن من ذلك الاجتماع فائدة لها ولكنها كانت قد استأنست به

الفصل السادس والخمسون

طارقان

ثم سمعت دق الاجراس مؤذنة بالفراغ من الصلاة وتفرق الجند الى مضاربهم وعاد اود الى فسطاطه وحوله الحاشية والاعوان ودخلت سالمة خيمتها وحول الخيمة ثلاثة من رجال اود بالحراب يحرسونها ولكنها لم ترَ الاحول بينهم ولا رأته من ذلك الصباح . فقضت بقية ذلك اليوم في الخيمة وقلبها يحدثها بامر سيحدث ويكون فيه الفرج لها وان كانت لا ترى باعثاً على هذا الامل بل هي ترى كل ما حولها ينذرها بضد ذلك — ولكن في صواحب الاحساس الدقيق من النساء نوعاً من الشعور لا يعبَّر عنه بغير الالهام لما فيه من الغرابة بالنظر الى الرجل . فقد تشعر المرأة بالحادث قبل وقوعه وتنذر رجلها به . ولو طالبها بالدليل لأسكتها لانها لا تتكلم عن اقتناع بالبرهان ولكنها تشعر فتقول ما تشعر به ويغلب صدقها فيه لاسباب لا تزال مجهولة . واما الرجل فانه لا يرتأي الا ما يرشده اليه

عقله بالقياس والبرهان — فلما احست سالة تلك الآمال انبسطت نفسها ولكنها كانت لثقلها تحمل ذلك الشعور محمل الوهم لانها ترى المصائب محدقة بها من كل ناحية

ولما أمسى المساء جلست على بساط مفروش في خيمتها وهي تشعر بارتباك وتردد فعمدت الى الصلاة لانها كانت قد تأثرت من قداس ذلك الصباح ورأت في الصلاة راحة. وبعد الصلاة توسدت وليس في خيمتها مصباح . وهي لم تطلب الرقاد نعاساً ولكنها ملت الاحتباس ومن يظلم بصره تستنير بصيرته فاستغرقت في الافكار ولم يكن يعترض مجاري أفكارها غير ضجيج الخدم في ذهابهم وإيابهم وصوت النفير أحياناً — وبينما هي كذلك سمعت حديثاً قريباً من خيمتها فانهضت رأسها والتفتت فرأت بصيص نور يتراءى في الخارج وراء جدار الخيمة وسمعت لفظاً لم تستطع فهمه فجلست وأصاخت بسمعها فتحول لها الصوت فسمعت الحديث الآتي بلغة البلاد :

— لا أظنك تقدر على منعي

— بل أنا قادر حتى يأمرني الدوق بما يريد

— وما في هذه المسألة ما يستدعي مشورة الدوق

— بل لا بد من مشورته لان لهذه السجينة شأناً خصوصياً لا يقاس بشؤون سائر المسجونين وقد أوصانا حضرة الدوق بمنع أي كان عن مقابلتها

— يا للعجب أبلغت منك القحة ان تقف في سبيل الفروض الدينية . . ؟

— لا يهمني . . . وما الذي يضرك لو استأذنت الدوق في ذلك ؟

— لا يضرنا شيئاً ولكنكم تعلمون أننا قد كرسنا حياتنا لاستتابة المجرمين وأصحاب الذنوب وأننا نطوف السجون ونزور المسجونين ونعظهم ونحرضهم على التوبة

— ربما كان ذلك صحيحاً ولكننا غير مأذونين بغير المنع القطعي ومع ذلك فان لنا غنى لو كان هنا لاغنانا عن مشورة الدوق لانه مفوض من قبله بهذا الشأن

— اين هو ذلك الزعيم ؟

— لا ندري فقد ذهب في هذا الصباح وأكد الوصاية علينا وشدد في منع أي كان من الدخول

— ارسلوا واحداً يستأذن الدوق

— نخشى ان يكون في فراشه فاجلوا المقابلة الى الغد

— الوقت ضيق لا يأذن بالتأجيل لاننا ذاهبون في صباح الغد الى دير القديس

مرتين ... اذهب فاستأذن الدوق ولا تطل الجدال ... اني لم آلف مثل هذا الوقع في طول عمري ... واذا لم يعجبك الذهاب فاني داخل الخيمة رغم ارادتك وستلاقي جزاء وقاحتك في الغد

— (صوت آخر) لا تغضب يا حضرة الأب ان رفيقي شاب لا يعرف حقوق السادة الرهبان والقسيسين ... تفضلا فادخلا ولا حاجة الى الاستئذان لكننا نطلب اليك ان تذكرنا في صلاتك

— بورك فيك يا ابني هكذا يكون ابناء الخلاص ... ولكنني اتقدم اليكم ان تتباعدوا قليلاً عن جوانب الخيمة لئلا يصل اليكم حديث الاعتراف ولا يخفى عليكم ان الاعتراف سرٌ من الاسرار المقدسة

— طبعاً .. لا شك في ذلك ... تفضل وادخل ونحن متباعدون ولكن أرجو من قدسك ان تختصر بقدر الامكان لئلا يبلغ الامر حضرة الدوق فيلومنا على ادخالكم بدون اذنه »

وكانت سالمة تسمع ذلك وقلبها يخفق خفقاناً متسارعاً لدهشتها واستغرابها وبذلت جهدها في معرفة ذلك الصوت فلم تعرفه ولكنه أذكرها بالراهب الذي صحبها من الدير الى قرب بواتيه لانه مثل صوته . فلبثت صامتة لترى ما ينتهي اليه الجدال فلما انتهى على تلك الصورة تطاولت بعنقها لترى الداخل واذا هو راهب بيده مصباح على شكل طائر ملتفت نحو الاعلى والنور فتيلة مضيئة بارزة من منقاره وقد امسك الراهب ذلك المصباح باحدى يديه على قبضة في أسفله بشكل الصليب وتوكأ باليد الاخرى على عكازه . فلما رأته سالمة نهضت وتفرست في وجهه فاذا هو ذلك الراهب بعينه فرحبت به وهمت بتقبيل يده والصليب الذي هو قابض عليه . وهي تفعل ذلك اذ رأت راهباً آخر دخل واسرع الى يدها ليقبلها فأجفلت وتراجعت وقد تجهمت ولكنها ما لبثت ان تفرست في وجهه حتى عرفت انه خادمها حسان فبغتت وكادت تناديه باسمه لو لم تنتبه لنفسها وتخاف الفضيحة فتجلدت واشارت الى الراهب وحسان بالقعود وقعدت هي والدهشة لاتزال بادية في وجهها وهي تتوقع ان تسمع من احدهما ما يذهب دهشتها

فوضع الراهب المصباح على الارض وقعد وظل حسان واقفاً فاشارت اليه ان يقعد فقعد متأدباً وهو يقول بصوت مختفض « احمد الله على وصولي اليك يا مولاتي وارجو ان اكون قد جئتك بالفرج »

فصمتت سالمة بالجواب وهي تحاذر ان يبدو منها ما تؤاخذ عليه لعلها ان رئيس ذلك الدير شديد التعصب للافرنج وبكره العرب فلم تكن تتوقع تحي ذلك الراهب اليها انصرتها فقالت « وما الذي جئتني به ... أليس حضرة الاب من رهبان الدير الذي بتاليه وبقيت انت هناك جريحًا ؟ »

فاجاب الراهب قائلاً « بلى .. وانا اوصلتك الى بوابته حتى اخذوك مني فرجعت واخبرت حضرة الرئيس بما جرى ولولا ذلك لم يكن الاهتداء اليك ممكنًا ... »

فلم يزدها قوله افصاحًا عن المهمة التي هما قادمان بها فالتفتت الى حسان وتفرست في ثوبه فكاد يضحكها ما هو فيه من لباس الرهبان فقالت له « يظهر انك انتظمت في سلك الرهبنة ... »

قال « لبست هذا الثوب يا مولاتي ذريعة للوصول اليك وقد حرضني على ذلك حضرة الرئيس وانفذ معي حضرة الاب برسالة سيبلغها اليك »

فاشتاقت لمعرفة تلك الرسالة فالتفتت نحو الراهب ولسان حالها يقول « تفضل »

الفصل السابع والخمسون

بشرى

وللحال تقدم الراهب بالكلام تذكرت سالمة ما اصابها في المرة الماضية مع رودريك وكيف اطلع ذلك الاحول على حديثها فتقدمت الى الراهب ان يتمهل واشارت الى حسان ان يتفقد الحرس واما كنهم . فانطلق من باب الخيمة ومن ثقوب في بعض جوانبها فتحقق بعد الحراس بضعة امتار عن الخيمة وهم جلوس يتحادثون فعاد وطمأنها وقعد . فاخذ الراهب بالحديث بصوت منخفض وسالمة متطاولة بعنقها وكلها اذان لاستيعاب كلامه فقال :

« لا يخفى على مولاتي اننا معاشر الرهبان وسائر جماعة الاكليروس قد اوقفنا حياتنا لعبادة الله وخدمة بني الانسان لا نبتغي على ذلك اجرًا غير خلاص نفوسنا . ولذلك فقد اكرم الامراء والملوك وقادتنا وساعدونا في مشروعاتنا ونحن ايضًا ساعدناهم في حمل الشعوب على الطاعة . وكثيرًا ما كنا سببًا في تحبيبهم وعزهم . فاصبح الرهبان موضع ثقة اولي

الامر وعلى احترامهم لايجاوزن امراحدوهم ونحن نحافظ على ولائهم ونخدمهم بما في وسعنا . وكان الدوق اود (وخفت صوته) من انصارنا ونحن من اعدائه الا في بعض الاحوال ولكننا على الاجمال كنا نغضي عن بعض سقطاته ونحملها منه على الضعف البشري لعلمنا اننا في حال تدعو الى جمع الكلمة في اثناء الحرب . ولو انحرفنا عنه قليلاً واظهرنا استياءنا منه امام الشعب لقضي على دولته من زمان مديد . لان الشعب الغالي اهل هذه البلاد الاصليين لايحبون الافرنج وهم مستعدون لخلع نيرهم عند أول اشارة منا . ولكننا لم نفعل ذلك بل كنا نبذل الجهد في حفظ تلك السلطة لهم واظنك لاحظت ذلك من رئيسنا المحترم في اثناء حديثك معه . اما الآن فقد ارتكب الدوق اود امراً دل على ضعفه وجبنه لم يبق لنا معه صبر على هذه الحال . اظنك عرفت ذلك الامر ؟ . »

فاطرقت سالمة واعملت فكرتها في استطلاع ذلك السبب فلم ينتظر الراهب جوابها فقال « ان الامر الذي اراده الدوق اود اذا توفق اليه فانه يذهب بسلطانه ويضيع كرامتنا ويخرب اديارنا فتضيع الديانة ويهيج الناس فوضى . »

فانتبهت سالمة لغرضه فقالت « اظنك تعني استنجاده الدوق شارل صاحب اوستراسيا . . »

قال « نعم هذا الذي اعنيه لان هذا الدوق من اشد الناس وطأة على رجال الله وقد اذاق اكليروس اوستراسيا مرّ العذاب فقبض املاك الاديرة وفرقها في جنده واهان الاساقفة وارتكب في ذلك كل معصية . وقد دعاه اود الآن لنصرته فاذا فاز بالعرب اصبحت اكنائسنا هذه في قبضته واصبحت اديرتنا عرضة لمطامعه

« وكثيراً ما كان اود يهمّ باستنجاد شارل ونحن نرجعه ونخوفه على نفسه وعلينا فلما خاف خيول العرب وسيوفها عمد الى استنجاد ذلك الرجل — وقد وقع هذا الخبر وقعاً سيئاً عند اهل هذه البلاد كافة كهنتها وشعبها لعلمهم بما سيترتب على هذا الامر . . »

وكان الراهب يتكلم وقلب سالمة يكاد يطفح سروراً وتذكرت ما كانت تحدثها به نفسها في اثناء ذلك النهار واعتقدت انها ألهمت الصواب وان الامر ابتدأ ينقلب على الافرنج من تلك الساعة ولكنها ظلت صامتة لتسمع بقية الحديث

ولم يتوقف الراهب عن الكلام الا ريثما سعل ومسح لحيته بمنديله ثم قال « وكان من اشد الناس غضباً لذلك رئيسنا المحترم لانه كان من اكثرهم ولاء لاود ودفاعاً عن مصلحته فلما علم بما ارتكبه اصبح شديد الرغبة في عرقلة مساعيه لاعتقاده انه اذا نجح في ذلك

يكون قد خدم شعبه وحكومته وكنيسته . والظاهر انه كان قد لحظ من كلامك نصرة العرب او ربما جاءه كتاب من اسقف بوردو في هذا الشان — لا ادري . ولكن الذي اعلمهُ انه بعث اليَّ ذات صباح وسألني عنك مع اني كنت قد انبأته يوم رجوعي بما جرى امام باب بوابته ولكنه دقق عنك في البحث وسألني عن الرجال الذين اختطفوك مني . فاخبرته انهم من رجال الدوق اود فهزَّ راسه ومصَّ شفته وامرني ان استقدم هذا الشيخ وكان قد اخذ في النقه من جرحه ولم اخبره بعد بخبرك لئلا اكدره . فلما امرني الرئيس باستقدامه سرت اليه وقصصت عليه خبرك فتكدر ثم اتيت به الى الرئيس . فلما وقف بين يديه امرني فاقفلت الباب فسرَّ الينا امرًا كلفني ان ابلغك اياه ولا ريب انه يسرك لانه سيكون طبق الغرض الذي انت ساعية فيه . . . هل اقوله ؟ »

فقالت « أتسألني ؟ قل »

قال « قد اعطاني كتابًا كتبه بخط يده الى رئيس دير القديس مرتين لا ادري فحواه ولكنه بلا شك يتضمن تحريضه على مقاومة شارل وجنده حتى لا يفوزوا على العرب او كي لا يجار يوم لان رئيسنا اصبح يفضل سلطان العرب على سلطان شارل وزمرته لما تحققه من رفق المسلمين برعاياهم المسيحيين فنأمن بالاقل على اديرتنا وكرامتنا . . »

فلم تتمالك سالمه عند سماع تلك العبارة عن الابتسام من شدة الفرح ونسيت كل ما مرَّ بها من المتاعب وتحققت ان كل ما أصابها من الشرور انما كان القصد منه الوصول الى هذا الخبر وان ذلك كله حدث بعناية خصوصية من مدبر هذه الكائنات — ذلك هو اعتقاد أهل الايمان من كل الاديان . والانسان من فطرته ميالٌ الى ذلك فيحسب الدنيا وجدت لخدمته وحده فاذا زرع وأمطرت السماء قال انها تمطر اكراماً له واذا جفت فجفافها نكاية فيه . ولذلك فاذا أصابته مصيبة ولو كان هو الجاني بها على نفسه شكا من فاعل آخر يتتبع خطواته فاذا لم يسمه الخالق سماه الدهر او الزمان — فلما توسمت سالمة قرب نجاح مهمتها ابتسمت وقالت للراهب « واين الكتاب ؟ »

فمد يده الى كمه واستخرج لفافة دفعها اليها فتناولتها فاذا هي مختومة فوضعتها في جيبها وهي تقول « وما هو السبيل الى دير القديس مرتين وحولي الحراس ساهرون ليلا ونهاراً . . ? ألا يقوم بايصال هذا الكتاب أحد بالنيابة عني . . ? »

فقال الراهب « لا يستطيع ذلك احد سواك لانه عبارة عن كتاب توصية بك وقد ترك اقناع الرئيس لك — وأوصانا رئيسنا حفظه الله ان نبذل الجهد في انقاذك من هذا

السجن فما الذي تريه ؟ »

قال « لا أدري .. وأظن حضرة الرئيس قال ذلك وهو لا يعلم مقدار التضيق المحدق بي في هذا السجن وقد شاهدتم ذلك بنفسكم الآن وسمعتم أقوال الحراس قبل ترون لي حيلة ... »

الفصل الثامن والخمسون

شهامة

وكان حسان لا يزال صامتاً الى تلك الساعة فلما رأى حيرتهما قال « عليَّ تدبير هذا الامر .. »

فالتفتا اليه معاً وهما لا يتوقعان منه الاستطاعة على ذلك فاصاخا بسمعهما اليه وقالت سالمة « وما هو التدبير ؟ اذا كان من تدبير فليكن عاجلاً »

قال « عليَّ تدبير ذلك في هذه الساعة »

فقالت « وكيف ؟ ... »

فوقف حسان وعمد الى جبة الرهبنة التي كانت عليه فحل حبلها من حول خصره وطوقها من حول عنقه واخذ في نزعها وهو يقول « عليك بهذه الجبة فالبسيها فوق أثوابك واجعلي هذه القبعة على رأسك وهي تقفل من الجانبين فتغطي الوجه واتركي هذا المكان واخرجي مع حضرة الراهب فلا يشك احد في انكما الراهبان اللذان دخلا الآن ومتى بعدتما عن المعسكر افعلا ما تريانه .. »

فاعجب الراهب بتلك الحيلة اللطيفة واستغرب شهامة حسان بحيث فضل أن يلقي بنفسه الى التهلكة فداء عن مولاته — أما سالمة فلم تستغرب ذلك ولكنها لم تتمالك عن الثناء على حسان وقالت « لا استغرب هذه الشهامة يا حسان فقد رأيت منك مثلها مراراً ولكنني ضنينة بك لسابق تعبك وقد دنا الوقت الذي آن لي فيه ان أكافئك على شقائك في خدمتي منذ أعوام عديدة — وخصوصاً الآن فقد كنتُ راغبة في لقائك لا بشرك بامر يسرك كثيراً ... ولا أقدر ان أخبرك به الا اذا كنا معاً وأخاف اذا افترقنا الآن ان لا نلتقي ... »

فتوقف حسان عن خلع الحية وتطاول بعنقه وقال « اخبريني عن ذلك الآن قبل ان نفترق .. »

قالت « وعندي أمور كثيرة أقصها عليك واستطلع رأيك فيها وسأحتاج اليك في تنفيذ بعض الشؤون .. »

قال « وهل تظنين في بقائي هنا خطراً علي .. ؟ كوني في راحة وثقي انكما لا تخرجان من هذا المعسكر حتى الحق بكما .. »

قالت « أظنك اذا اطلعت على ما سأقصه عليك تفضل البقاء هنا بضعة أيام »

فلم يعد حسان يستطيع صبراً عن سماع ذلك الخبر فقال « اخبريني يا مولاتي بما علمت مما يهمني سماعه او مريني بما تريدين ثم نتداول قبل ذهابك بما تأمرين »

ثم انتبهت سالمة الى نفسها فرأت الاولى ان تغض النظر عن اطلاع حسان على ما يشغله او يؤخره في ذلك المعسكر والحالة تدعو الى سرعة انفاذه الى عبد الرحمن لتخبره بما علمته من شأن ميمونة وما في معسكر الافرنج من المعدات وما كان من استنجاد اود لشارل وغير ذلك مما يؤول الى نصرة العرب . فلما رأت من حسان القلق على استطلاع الخبر قالت « ان الوقت لا يساعدنا على ذلك يا حسان واني أفضل ان ابقى انا هنا وتذهب انت برسالة آخذها معك الى أمير العرب فان الحالة تدعو الى سرعة الذهاب والا ضاعت الفرصة وذهب سعينا هباء منثوراً . فاطعني واذهب انت ولا بأس علي من البقاء هنا ... »

قال « الامر اليك يا مولاتي ولكنني لا أرى شيئاً ادعى الى العجلة من اطلاق سراحك لمقابلة رئيس دير القديس مرتين ومعرفة مساعي الدوق شارل القادم لنجدة هذا الجند ومتى تم لنا ذلك نذهب بالبشائر الى الامير عبد الرحمن دفعة واحدة »

قالت « ولكن الامر الذي اطلب ابلاغه الى عبد الرحمن الآن اهم كثيراً من خبر دوق اوستراسيا .. »

فاستغرب حسان ذلك وقال « وهل اهم من خبر هذا الدوق وهو قادم لنجدة اود بجيش جرار معه العدة والسلاح فضلاً عن اشتهار شارل بالبسالة والقوة ؟ »

قالت « اني انما أخاف على جند العرب من عدو مقيم في قصر اميرهم وهم يحسبونه صديقاً وقد اكتشفت سره في أثناء اقامتي في هذا الاسر ولم يكن استنجاد شارل الا برأيه ... فاذا لم نبادر الى كشف سره استفحل امره .. »

الفصل التاسع والخمسون

أول الاسرار

فبغت حسان لذلك وحدق بعينيه وتطاول بعنقه وقال «من هو ذلك العدو يامولاتي هل تخبريني ... قولي الآن ولا تخافي من وجود حضرة الراهب معنا فانه صديق لنا مخلص في نصرتنا او تكلمي بالعربية فانه لا يفهمها ... قولي من هو ذلك العدو »

قالت « هو ميمونة ... او بالحري تلك المرأة الداهية التي سمَّت نفسها ميمونة وما هي الا ملعونة .. »

قال « ولم تكن هذه المرأة مجهولة لدينا فقد شاهدناها غير مرة فما الذي عرفته من امرها هنا ... »

قالت « لم اكن اجهل أمرها منذ رأيتها في معسكر عبد الرحمن للمرة الاولى ولكنني اجلت كشف امرها ريثما اعود من مهمتي هذه وخفت اذا انا بحثتُ بشأنها ان يجرّ ذلك الى تصريحها بحقيقة أمري وانت تعلم انَّا لا أريد ذلك الآن وان كان اطلاع عبد الرحمن على حقيقتي لا يزيده الا اكراماً لي ولكنني مقيدة بالعهود والمواثيق ان لا أُطلع احداً على شيء قبل عبور هذا النهر (وأشارت الى نهر لوار) ولو علمتُ ما قد يترتب على سكوتي عنها لما صبرت على كتمان أمرها وأما الآن فلا بد من كشف سرّها لعبد الرحمن على عجل .. »

قال « وما هو شأنها يا مولاتي هل يجوز لي الاطلاع على هذا السر » قال ذلك وجثا بين يدي سالمة وتطاول بعنقه وحملق بعينيه

فقالت « هل اخفي عنك سرًّا وانت تعلم انك خزانة أسراري بل انت الرجل الوحيد المطلع على حقيقة حالي غير الكونت أود صاحب هذا المعسكر فانه عرفني وهددني ثانية ولكنه اشتغل عني او اجل شأني لبعد الحرب لانه مطمئن من قبلي لاعتقاده اني سجينته حتى يشاء — فلا أخفي عنك سرًّا ياحسان . فاعلم ان المرأة التي يسمونها ميمونة وتعد نفسها من حظايا عبد الرحمن وتتقرب اليه بجمالها ومكرها انما هي لمباجة بنت الدوق أود صاحب هذا الجند .. »

فلما سمع حسان قولها بُهت ولم يتمالك عن الوقوف وقال وقد غصَّ صوته من محاولة تخفيضه مع تهيج عواطفه وبغتته « بنت الدوق أود هذا .. قائد هذا المعسكر ؟ .. »

قالت « نعم هي بعينها واظنك تعرفها انت وقد رأيتها غير مرة وهي مع زوجها المقتول ... ألا تعرف المنيذر الافريقي الذي كان حاكماً في جبال البيرنة بين اسبانيا واكيتانيا ؟ »

قال « نعم اعرفه وبلغني أن الامير عبد الرحمن الغافقي لما قام بجنده لفتح هذه البلاد بلغه ان المنيذر هذا متواطئ مع الافرنج على العرب فسار اليه وقتله وقتله وقبض أمواله ونساءه وبعث بها الى الخليفة في دمشق »⁽¹⁾

قالت « أتعلم السبب الذي بعثه على مواطأة الافرنج على العرب ... »

قال « كلا »

قالت « ان الدوق اود علم بما بين العرب والبربر من التحاسد لاسباب لا تخفى عليك وبلغه أن المنيذر البربري المذكور صاحب نفوذ كبير في قبائل البربر وانه اذا اكتسب ثقته واسترضاه يكون عوناً كبيراً له على العرب فخابرا وافضت المخابرة الى ان يتزوج المنيذر بلمباجة ابنة الدوق اود وقد رضي اود ان يزف ابنته الى هذا البربري على امل ان تكون وهي عنده قابضة على زمام ارادته تستخدمه فيما تريده لمصلحة والدها وهي مشهورة بالجمال والدهاء . وبعد ان اقامت مع زوجها المذكور مدة وهي تدبر الحيل للذهاب بدولة العرب نهض الامير عبد الرحمن وعرف الخطر الذي يحدق بالعرب من ذلك الامير فتبعه وقتله ... »

قال حسان « نعم سمعت ذلك من قبل وسمعت ايضاً ان امرأته أخذت في جملة الغنائم والاموال الى دمشق فيئاً للخليفة »

قالت « قد اشاعوا ذلك زوراً وبهتاناً فالظاهر ان هذه الداهية البست بعض نسائها ثيابها واوهمت عبد الرحمن أن تلك هي لمباجة وأنها هي من بعض خدمها وسراريها لتبقى في معسكر عبد الرحمن عيناً لابيها على العرب وحركاتهم . وقد تحققت أنها هي التي كتبت الى ابيها بالامس ان يستنجد شارل دوق اوستراسيا ولم يكن هو ليقدم على ذلك من تلقاء نفسه حياء من رجاله ورعاياه فاغرته هي بما لها من النفوذ عليه فاستنجده — ومما يخيفني من امرها ان الامير عبد الرحمن يثق بها ويساورها ويستشيرها . فهل من خطر على جند العرب اعظم من هذا ؟ »

فقال حسان « كلا يا مولاتي .. فينبغي ان اذهب بهذا الخبر الى الامير سريعاً فهل

(1) راجع صفحة ٤ من هذا الكتاب

تكتبين كتاباً احمله اليه حالاً ..

قالت « ولا بد قبل كل شيء أن نخرج من هذا السجن ومتى خرجنا يهون علينا كل امر عسير ...

الفصل الستون

الجوزة

وكان الراهب في اثناء ذلك الحديث واقفاً يتشاغل بالمشي في ارض الخيمة ويتطلع من بعض شقوقها وثقوبها الى الخارج وكأنه راى امراً بغتة فاسرع الى سالمة وهي تقول ذلك وقال لها « اطلنا اطلنا الكلام حتى قلق الحراس فاني اراهم في هرج وحركة يتسارون ويتهامسون واخاف ان يكون من ذلك خطر علينا .. »

فقال حسان « عليك بهذا الرداء يا مولاتي فالبسيه واخرجي مع حضرة الاب واطلبا خارج المعسكر وسابقكما سريعاً والملتقى على ضفة نهر شير عند الجوزة الكبيرة التي قعدنا تحتها بالامس يا حضرة الاب » قال ذلك والبس سالمة عباءة الرهبان وجعل على راسها القبعة واعطاها العصا واشار اليها بالخروج على عجل

فتنحنح الراهب وقرع بعصاه عمود الخيمة وسعل وخرج من باب الخيمة وسالمة في اثره . فلما اطل على الحراس تظاهر باشتغاله برسم الصليب والصلاة ثم رفع يده كأنه يباركهم فحنوا رؤوسهم جميعاً ونزعوا قبعاتهم اجلالاً واحتراماً . ولم يتجرأ احد على الدنو منهما لما لاحظوه من اشتغالها بالصلاة تمتمة . وكانت سالمة تمشي وركبتاها ترتعدان ليس خوفاً على حياتها ولكنها استنكفت الفرار خلسة والتنكر بلباس الرهبان . ولما بعدا عن المعسكر واطمأنا على نفسيهما اشتغل بال سالمة على حسان وخافت وقوعه في الاسر . سارا في المعسكر وهما بزي الرهبان والحرس لا يشتبهون لهما واكثر الجند نيام حتى خرجا من بين الخيم . وكانت سالمة تمشي وتلتفت يميناً وشمالاً ثم تلتفت الى ورائها لعلها ترى حساناً قادماً وقد ندمت في باطن سرها على تركه في تلك الخيمة لانه اقدر منها على انفاذ ما تطلبه في تلك الساعة . وكان الظلام مخيماً لا يريان مما يحيط بهما غير الروابي او الاشجار العالية اذا اعترضت بينهما وبين الافق . وكانت سالمة تمشي في اثر الراهب كيفما مشى لانها لا

تعرف مكان تلك الشجرة

وبعد مسير ساعة وهما صامتان التفت الراهب الى سالمة وقال « قد اصبحنا على مقربة من الجوزة يا مولاتي وهذه رؤوس اغصانها » واشار بيده الى الامام فالتفتت فلم تر شجراً ولكنها رأت اغصاناً متفرقة تتراءى في الافق فعلمت ان الشجرة في منخفض وانها ترى رؤوس اغصانها . ثم رأت شبحاً يظهر بجوار تلك الاغصان رويداً رويداً كأنه قادم من وراء اكمة نحوها فتفرست بذلك الشبح حتى بدا كله ودنا منهما فاذا هو بلباس جند الافرنج ولما اقترب منها اختلج قلبها في صدرها لعلمها انه عدلان الاحول فاستعاذت بالله منه وخافت على حسان من دهائه . اما هو فظل ماشياً لا سلام ولا كلام . فسرت سالمة بذلك وبعد قليل وصلا الى قمة التل فشاهدت سالمة وراءه شجرة هائلة تظلل سهلاً واسعاً فانحدرا نحوها وقعدا تحتها وبين يديهما عين ماء تصب في منحدر تحته واد يجري فيه نهر شير . وكانت سالمة قد تعبت من المشي والقلق فقعدت على حجر قد تملس من كثرة ما لامسه من الايدي بكرور الادهار . وكانت تلك الشجرة منزلاً للمسافرين هناك

ولما قعدا قالت سالمة للراهب « اني خائفة على حسان ولا اظنه يستطيع الخروج من ذلك المعسكر واذا كان لم يخرج الآن لم اعد ارجو خروجه »

قال « وكيف ذلك ؟ اذا لم يخرج الآن يخرج بعد ساعة او ساعتين ويكون الحرس نياماً »

قالت « لا اخاف عليه الحرس ولكنني اخاف عليه هذا الرجل الذي رأيته ماراً بنا وهو الذي وشى بي حتى قبضوا عليَّ . ولو لم يكن غائباً الليلة عن المعسكر ما انطلت حيلتكم على الحرس ... »

فقضيا مدة في مثل ذلك وسالمة تعدُّ اللحظات وتحسب الساعة يوماً من شدة القلق ثم سمعا وقع اقدام مسرعة فالتفتا فرأيا شبحاً يعدو نحوهما فلم تشك سالمة انه حسان فلما اقترب منها ارتعدت فرائصها من منظره لانه كان عاري الصدر والذراعين مكشوف الرأس وقد نبش شعره وارسله على وجهه حتى اصبح منظره مثل مناظر الجان او الشياطين على ما كانوا يصفونهم في ذلك العصر . ولم تكد سالمة تخاف حتى سمعت الرجل يقول « لا تخافي يا مولاتي انا حسان » فاطمأنت فلما دنا منها صاحت فيه « ويلك ما هذا العمل ؟ »

قال « لولا هذه الحيلة ما نجوت من الاسر فاني لما تحققت بعدكم عن المعسكر

تعريت كما تريان ونبشت شعري وخرجت من قفا الخيمة اعدو على يديَّ ورجليَّ واصيح صياح الشياطين . فاجفل الحرس من حولي وتركوا لاعتقادهم اني شيطان ولم يرجع اليهم رشدهم وينتبهوا للحيلة حتى صرت خارج المعسكر . ولكنني التقيت هناك برجل اظنه عدلان البربري الاحول وقد رآني ولم يعرفني . . . هل شاهدكما هنا »

قالت « نعم رآنا ولكنه لم يعرفنا »

فقال « لا بد لنا اذاً من تغيير هذا المكان — اعطوني العباءة اولاً »

فاعطته سالمة العباءة فلبسها وهو يقول « هلمَّ بنا نذهب من هنا فان هذا البربري الشرير لا يلبث ان يصل الى المعسكر و يعرف بفرارك على يد الراهبين حتى يطلب هذا المكان بالجند ولا طاقة لنا بالحرب »

فقال الراهب « هذا هو الصواب فلنمضِ اذاً الى دير القديس مرتين فاننا نصله قبل الصباح فنصير هناك في مأمن واذا شئت ارسال حسان بعد ذلك الفعل وربما ارسلنا معه من يهديه الى الطريق »

الفصل الحادي والستون

دير القديس مرتين

فاستحسنت الرأي ونهضت فمشوا يطلبون الدير والراهب دليلهم فوصلوه عند الفجر وقد اخذ التعب منهم مأخذاً عظيماً . فاطلوا اولاً على حلة اشبه ببلد صغير وفي وسط البلد بناء شامخ محاط بسور عال مثل سائر الاديار هناك ولكنه افخمها جميعاً ومحيط السور هائل حتى يحسبه الناظر سور مدينة لسعته وارتفاعه . وكان دير القديس مرتين مشهوراً في اكيتانيا واوستراسيا وسائر اوربا بالغنى والثروة لكثرة ما حواه من الآنية الذهبية والفضية غير الاموال المدخرة في خزينته من الهبات والنذور ونحوها . وكانت سالمة تسمع بذلك الدير ولم تدخله بعد فلما اطلت عليه تركت الراهب ان يتصرف في كيفية الدخول . فاذا به تقدم الى الباب وهو كبير خلافاً لأبواب سائر الاديار فامسك بحبل مدلى هناك وشده فدق الجرس دقة خصوصية وبعد هنيهة اطل بعض الرهبان من برج فوق الباب فكلمه الراهب رفيق سالمة باللاتينية فاسرع ذاك الى الباب وفتحه

ورحب بالقادمين · فدخل الراهب وسالمة من باب آخر وراءه فاطلا على فناء واسع اشبه شيء بالحديقة وفي وسط الفناء بناء كبير هو الدير وبجانبه بناء آخر عرفا من قبته والصليب على قمتها انه كنيسة القديس مرتين

وكان حسان سائراً في اثرها وهو لا يزال في شكله الغريب فامره رفيقه الراهب ان يمكث عند الباب واشار الى البواب ان يبقيه عنده ريثما يطلبانه · فمكث هناك وظلت سالمة والراهب سائرين والراهبان يتخاطبان باللاتينية فلم تفهم سالمة من خطابهما الا قليلاً ثم تكلم راعيها بالافرنجية قائلاً « ان حضرة السيدة قادمة بكتاب الى حضرة المحترم رئيس هذا الدير فهل هو هنا ؟ »

قال « انه لا يزال في عبر النهر عند دوق اوستراسيا الا اذا كان قد دخل الدير من بابه الآخر المشرف على هذا النهر »

قال « ومتى قطع النهر »

قال « قطعه قبل الامس على حين غفلة »

قال « وما الذي دعا الى ذلك ·· »

وكان الراهب يتكلم وهو يمشي في الحديقة بين اشجارها ويتفرس في طرقها كأنه يفتش عن احد فلما افضى بهم الحديث الى هنا كانوا قد وصلوا الى مقعد من الحجر بجانب جدار الكنيسة فاشار الراهب اليهم بالجلوس وجلس هو ونور الصبح آخذ بالاشراق وقد تطايرت العصافير وانطلق النسيم فاختلط حفيف الاشجار بتغريد الاطيار · فكان لذلك تأثير شديد على سالمة بعد ان قاست ما قاسته من التعب والقلق طول الليل الغابر · واحست بالنعاس ولكنها تنبهت كل حواسها لسماع حديث الراهبين لترى الداعي الى خروج الرئيس من ديره على غرة فسمعت الراهب يقول « ان الذي دعاه الى ذلك الخروج يا اخي امرٌ جديد كفانا الله شرّه »

فقال الراهب « وما هو ذاك الامر لا سمح الله »

قال « الم تسمع بقدوم الدوق شارل صاحب اوستراسيا بجيشه الجرار ·· »

قال « سمعت انه سيقدم فهل وصل ؟ »

قال « نعم يا اخي وصل منذ ايام وهو الآن على الضفة اليمنى وفي حال وصوله بعث الى حضرة المحترم رئيس ديرنا ان يوافيه الى هناك دون تمهل فلم يسعه غير الطاعة · »

قال « وما الذي يبغيه منه ؟ · وليس عنده جند ينجده به ·· »

قال « يظهر انك تجهل حال هذا الدوق مع رجال الله والكنائس والاديار . . »

قال « اعرف عنه قليلاً . . »

قال « ألا تعرف طمعه في اموال الكنائس وارزاقها . . ؟ وهل فاتك ما اجراه من طرق الظلم مع اكليروس اوستراسيا . . »

قال « سمعت بعض الشيء . . واخاف ان يفعل مثل ذلك في كنائسنا هنا »

قال « وهذا الذي نخافه نحن . . »

وهما في ذلك اذ سمعا قرع الجرس فنهض راهب الدير ووقف الباقون وهم يحسبون الجرس يقرع للصلاة ولكنهم رأوا الكنيسة لا تزال مقفلة وقد تقاطر الرهبان من كل ناحية نحو طرقة من طرقات الحديقة تؤدي الى سور الدير من جهة النهر فظلت سالمة وراهبها واقفين بجوار المقعد ينتظران ما يكون . ولم يمض قليل حتى رأيا جماعة الرهبان عائدين وفي مقدمتهم راهب بلباس خاص يمتاز عن الباقين وعلى رأسه قلنسوة خاصة فعرفت سالمة انه الرئيس وقد عاد من مهمته التي ذهب بها الى شارل فاستغربت رجوعه باكراً بهذا المقدار وتفرست به عن بعد فرأته ماشياً وحوله الرهبان والجميع سكوت تهيباً مما في وجهه من ملامح الغضب

وكان ذلك الرئيس كهلاً كثيف اللحية قد وخطه الشيب في اواسط لحيته من مقدم الذقن ولا يزال باقيها غضاً حالكاً . وكذلك شارباه فانهما كانا غليظين كثيفين وعيناه كبيرتان براقتان فوقهما حاجبان عريضان ومنظره على الاجمال وقور مع جلال وقد زاده الغضب هيبة ووقاراً حتى الجم الرهبان كافة عن الكلام . فتوسمت سالمة من ذلك الغضب خيراً ولما دنا من الدير اسرع رفيقها الراهب الى يده فقبلها وهو جاث وقبضته يده فتعلت سالمة مثله ثم تنحى الجميع ودخل الرئيس من باب الدير وتبعه جماعة الرهبان وعلى وجوههم علامات الاستغراب ولا يجسر احد على التكلم الا همساً

فظلت سالمة وراهبها يتوقعان فرصة يدخلان بها على الرئيس . وكانت سالمة تفضل الدخول عليه وحدها ومعها الكتاب . وبعد هنيهة جاء الراهب الذي كان قد استقبلهم من باب السور وقال « هذا هو الرئيس قد عاد فما الذي تريدانه »

قالت سالمة « اريد ان احظى بتقبيل يديه ومعي كتاب اريد تقديمه اليه »

قال « واين الكتاب »

فمدت يدها واستخرجته من جيبها ودفعته اليه مختوماً فتناوله ودخل ثم عاد ودعا سالمة

بالدخول وحدها فسرّت لذلك ومشت وهي تعدّ في ذهنها ما ستلقيه على الرئيس لعلمها ان رئيس دير القديس مرتين يمتاز عن سائر رؤساء الاديار بعلو منزلته وغنى ديره . فدخلت في دهليز انتهت منه الى باحة رأت فيها الرهبان متزاحمين يذهبون ويجيئون كأنهم في شاغل عظيم وقد تسربوا ازواجاً واثلاثاً . فلما رأوها وسعوا لها الطريق فمشت والراهب يتقدمها حتى وصلت الى غرفة الرئيس وعلى بابها ستر شقه الراهب بيساره واشار الى سالمة بيمينه ان تدخل فدخلت الى قاعة مفروشة بالبسط وعلى جدرانها صور بديعة الصنعة تمثل اهم حوادث النصرانية . وفي صدر القاعة صورة القديس مرتين بالقدّ الطبيعي الكامل ورأت الرئيس جالساً على مقعد في صدر القاعة تحت تلك الصورة . فلما دنت منه تظاهرت بالجثو وتقبيل يده فانهضها ودعا بكرسي اجلسها عليه والكتاب لا يزال بيده وقد تبسم ترحاباً بالقادمة والغضب لا يزال بادياً في عينيه

الفصل الثاني والستون

امل جديد

فجلست سالمة متأدبة والخمار يظلل رأسها وثوبها الاسود يزيدها كمالاً ورزانة وظلت صامتة احتراماً للرئيس . اما هو فأعاد نظره الى المكتوب بيده وتفرس فيه كأنه يقرأه ثانية ثم قال «ممن هذا الكتاب ؟»

قالت « ان علامة صاحبه فيه »

قال « لا أرى علامة ولكنني عرفته من خطه . . هل انت سالمة ؟ »

قالت « نعم يامولاي اني امتك سالمة »

قال « العفو يا اختي كلنا عبيد ربنا ومخلصنا . . ما الذي تريدينه مني الآن ؟ . »

قالت « لا أريد الا ما تريده قدسكم وليس لي رأي بوجودكم »

فابتسم غضباً وقال « لا حاجة بنا الى التجمل والتردد . . لقد جئتني لأمر يقول أخي رئيس دير . . . انه يهمني ويهمه وان عليه يتوقف مستقبل الكنيسة في اكتابا فتفضلي بما تأمرين »

قالت « أني خاطئة لا استحق هذه الثناية ولكنني كنت قد خاطبت كاتب هذا الكتاب

في شأن دافعني فيه وانكره عليَّ ثم ما لبث ان سمع بقدوم الدوق شارل الى هذه البلاد حتى استصوب رأيي ‥ فهل أعجبك حضرة الدوق بمجيئه ··· اصفح عن جسارتي في هذا السؤال لان عليه يتوقف حديثي »

قال « صدقت يا ابنتي ان هذا السؤال لا يجسر احدٌ من رهباني ان يسألني اياه ولكنك جئت في وقت اجيز لك فيه هذا السؤال وفي كلام أخي الرئيس صاحب هـذا الكتاب ما يحملني على الوثوق بك ··· فاقول اني وجدت الدوق شارل خطراً على الكنيسة في اكيتانيا »

قالت « وهذا الذي رآه هو وأراد ان أكون الواسطة في عرض طريقة ارجو ان تعود بالنفع على الكنيسة وأهلها ‥ »

قال « وما هي طريقتك »

قالت « هل تعدُّ الدوق شارل مسيحياً حقاً »

قال « هو يزعم انه مسيحي ولكن انّى له ذلك وهو يحلل ما حرمته الكنيسة ‥ كنا نسمع عنه أموراً لم نكن نصدقها لغرابتها حتى سمعناها من شفتيه » قال ذلك وقد تجدد غضبه ثم قال « كنا نسمع انه أخذ مال الاديار واساء الى الاكليروس وكنا نستغرب ذلك عنه حتى دعاني بالامس اليه وبدلاً من ان اسمع منه تملقاً وتزلفاً لشدة حاجته الينا في كل شيء سمعت منه تهديداً ووعيداً »

فانشرح صدر سالمة لهذه الشكوى واستبشرت بنيل بغيتها ولكنها أظهرت الاستغراب وقالت « تهديد ووعيد ؟ ولماذا ؟ الكم عصاة ؟ »

قال « كلاً يا ابنتي ولكنه كلفني أمراً لم أوافقه عليه كما أراد ‥ دعاني وطلب اليَّ ان ادفع اليه ما في صندوق هذا الدير من الاموال عاجلاً لانه يحتاج اليها في الحرب ثم عرَّض بفضله علينا في هذه الساعة لانه سيدفع عنا العرب ‥ سامح الله الدوق أود ما أضعف قلبه ‥ انه سيجر علينا البلاء مضاعفاً باستنجاد هذا الرجل المستبد ‥ »

فاظهرت سالمة الاهتمام وقالت « بالحقيقة ان الخطأ الاكبر من الدوق أود فقد أضاع استقلاله وجرَّ البلاء على الكنيسة ··· وما الذي يظنه مولاي الرئيس في هؤلاء العرب ‥ »

قال « هم اعداؤنا واعداء ديننا ؟ ‥ »

فابتسمت بلطف وقالت « اسمح لي يا حضرة الرئيس المحترم ان اعترض على هذه

الهمة .. هل رأيت العرب او عاشرتهم ؟ » .

قال « كلا ولكنني سمعت عنهم شيئاً كثيراً .. سمعت انهم يعبدون الاصنام وانهم اذا نزلوا بلداً نهبوا كنائسه وسبوا نساءه واخربوا منازل اهله .. »

قالت « الا تصدق امرأة عاشرتهم اعواماً ؟ »

قال « هل عاشرتهم كثيراً واين .. ؟ وما هي علاقتك بهم ؟ وانت من اهل هذه البلاد على ما يظهر .. »

قالت « يسمح لي مولاي ان اجيب على اسئلته بما في الطاقة .. قد عاشرت هؤلاء العرب اعواماً فظهر لي انهم اهل ديانة مثل ديانتنا يعبدون الله مثلنا وهم اهل رفق وعدل يفون بالعهود ويحافظون على المواثيق وقد فتحوا بلاد الاسبان ومعظم اكيتانيا ولم يظهر منهم الا العدل والرفق . ترى النصارى في اسبانيا وفي بوردو وبواتيه وغيرها من البلاد التي فتحوها متمتعين بحريتهم الدينية لا خوف على كنائسهم ولا على اموالهم ولا على شيء مما يملكون — لا يخلو ان يطمع بعضهم بنهب او سلب فاذا لم يكن محقاً فانه ينال جزاءه من اميره »

ثم قصت عليه حكاية كنيسة بوردو وبذلت جهدها في تنميق العبارة وبسطها لعلمها انها اذا اقنعت رئيس دير القديس مرتين هان عليها اقناع اسقف تورس . واذا لم يساعدوا العرب كفاها ان لا يساعدوا الافرنج

الفصل الثالث والستون

الرهينة

وكان الرئيس يسمع كلامها ويتفرس في وجهها ويستطلع حقيقتها فلم تسعفه الفراسة الا قليلاً وظل مستغرباً غيرة هذه المرأة على العرب وهي غير عربية — ولكنه استحسن امتداحها العرب خصوصاً وهو في تلك الحال . فتوهم ان مجيء هذه المرأة وهو في حال نفوره من شارل وخوفه منه لا يخلو من عناية خصوصية روحانية . فمال الى مجاراة سالمة في رأيها ولكنه اعظم ان ينصاع اليها حالاً واراد من الجهة الثانية ان يحافظ على غيرته الدينية لعلمه ان انحيازه الى العرب اذا لم يكونوا كما وصفت يغير مستقبل النصرانية في تلك البلاد ويقلب الاحوال رأساً على عقب . وكان من الجهة الثانية يرجو رجوع شارل عن

مطاليه فاذا رجع لم يبق ثمة داع لمدقوله عن نصرته . فظل مدة مطرقاً وهو يعبث باطراف لحيته بين انامله ثم التفت الى سالمة وقال لها « اني شاكر لسعيك وارجو ان تمهليني ريثما اعمل الفكرة واستخير الله واعمل بالهامه جلت قدرته »

فقالت « تبصر يا مولاي بالامر كما تشاء ولكنني اذكرك بما انت مسؤول فيه امام الله في مصالح الرعايا وانما غرضي ان يعود سعيك بالخير على الكنيسة واهلها » قالت ذلك ووقفت فابتدرها الرئيس قائلاً « وما انت فتبقين عندنا ريثما نرى ما يكون »

فادركت انه يريد استبقاءها عنده رهينة حتى يصدق قولها فلم تبال لاعتمادها على مواعيد عبد الرحمن فقالت « اني رهينة امرك في الذي تريده »

فصفق الرئيس فجاء احد الرهبان فقال له « انزل هذه الضيفة في غرفة خاصة بها واكرموها » .

فمضت مع الراهب الى علية اعدوها في طرف الدير من جهة نهر لوار ولها نافذة مطلة على ذلك النهر فاتكأت على السرير وقد اخذ التعب منها مأخذاً عظيماً فاستلقت ونامت واستغرقت في النوم ولم تفق الا على قرع الجرس يدعو الرهبان للغداء فنهضت والتفت بثيابها واطلت على النهر فبغتت لما شاهدته عن بعد من السفن الصغيرة المترابطة صفوفاً كالجسور وقد اخذ الناس في العبور عليها الى هذه الضفة ومعهم الاعلام اشكالاً والواناً فعلمت انهم جنود شارل فوقفت تنظر الى مجرى النهر وقد رجعت بها افكارها الى مريم وتذكرت العهود التي تربطها بذلك النهر وما يتوقف على الجيشين هناك من الامر الهام . وكانت كثيرة الاطلاع على احوال الافرنج وقد علمت انهم لم يبق عندهم رجل شديد غير شارل هذا فاذا دارت الدائرة عليه فالغلبة للمسلمين على كل اوربا اذ لا يقف في طريقهم واقف بعد ذلك . واذا كانت الغلبة للافرنج فلا مقام للمسلمين هناك ابد الدهر — واشد من ذلك وطأة عليها ان العرب اذا لم يقطعوا نهر لوار لم يبق لها ولا لابنتها عيش . فلما تذكرت ذلك مدت يدها الى جيبها وافتقدت الحقلة وفيها كل سرها واستخرجتها وقبلتها ولم تتمالك ان دمعت عيناها واحست من تلك الساعة بشوق شديد الى مريم بعد ذلك الغياب الطويل وهي لا تدري كيف حالها على انها لم تكن تخاف عليها احداً لعلمها بعقلها وبعناية عبد الرحمن بها — استغرقت في تلك الهواجس وعيناها تنظران الى معبر الجند وقد استغربت كثرتهم على الضفتين وكانت تسمع صوت الطبول مع بعد المسافة لان الهواء كان يهب من الشمال الشرقي والصوت يأتي معه — فمضت سالمة في ذلك ساعة ولو تركت لنفسها لاتفقت النهار و

ولم تنتبه ولكنها ما لبثت ان سمعت قرع الباب فتحولت وفتحته واذا براهب ومعه خادم يحمل خوانًا عليه الاطعمة فقدماه لها وخرجا فاحست بالجوع وكانت قد نسيت نفسها فجلست ولم تزدرد اللقمة الاولى حتى تذكرت حسانًا ورفيقها بالراهب فصفقت فجاءها خادم فطلبت اليه ان يستقدم خادمها من عند بواب الدير فذهب ثم عاد بحسان وهو بعباءة الرهبان وشعره لا يزال منبوشًا فدخل وتأدب فامرته ان يقفل الباب وراءه فلما خلت به دعته للجلوس فأبى فقالت « دعنا من التجمل فانك من اعز الاعزاء اليَّ واي عزيز يضحي نفسه في مصلحة صديقه او صاحبه كما فعلت فاسمح لي ان اعاملك معاملة الصديق فاجلس وكل معي »

فتراجع وقال « اما الجلوس في حضرتك فاطيعك به واما الطعام فلا حاجة لي به لاني اكلت مع بواب الدير الساعة وقد شغل بالي لابطائك في دعوتي وخفت حبوط مسعاك فارجو ان تبشريني ... هل اتحدت مع رئيس الدير ؟ »

قالت « احمد الله على ذلك ولم يبق الا ان نبلغ نتيجة اعمالنا الى الامير عبد الرحمن ليعلم كيف يتصرف مع تلك الداهية .. واين جند العرب الآن يا ترى »

قال « قد علمت من حديث دار بيني و بين بعض الرهبان في هذا الصباح ان العرب اصبحوا على مقربة من هذا المكان ولكنهم قادمون من جهة الغرب وان جند شارل قادم من جهة الشرق وسيلتقي الجيشان في هذه الساحة جنوبي هذا الدير »

فبغتت وابرقت اسرتها معاً وقالت « هل انت واثق من ذلك يا حسان »

قال « هذا الذي سمعته يا مولاتي وهو متواتر واظنه صحيحاً »

قالت « فعلينا الاسراع في ابلاغ الرسالة وكنت اود ان اذهب انا ايضاً معك لولا اشتراط الرئيس بقائي هنا لغرض لا اعلمه »

قال « لا بأس من بقائك في الدير لانك تكونين هنا في مأمن من كل شر لانه فضلاً عن امتناعه بالاسوار والابراج فهو محترم من الجيشين — واتركي ما بقي من المهمات عليَّ فاني افعل ذلك ان لم يكن اكراماً لك فاكرامًا لنفسي وفي فوز العرب فوزي وفي سقوطهم سقوطي »

فتذكرت سالمة ما كان من حديث رودريك . وقد فاتها ان تخبره به بالامس فقالت « بورك فيك وعندي خبرٌ جديد يهمك اكثر من كل ذلك .. »

فقال « وما هو يا سيدتي »

قالت « الا تذكر حفيدك سعيد ٠٠»

فاجفل عند سماع ذلك الاسم لطول ما مرّ به من الايام على اغفاله وهو يحسبه في عداد الاموات وقال « كيف لا اذكره ؛ رحمه الله ورحم والده »

قالت « انه لم يمت يا حسان ٠٠ »

قال « من ؟ سعيد ؟ سعيد حي ٠٠ اين هو ؟ »

قالت « هو في معسكر الدوق اود واسمه عندهم رودريك » وقصت عليه بعض خبره فاطرق واستغرق كأنه في حلم ثم رفع بصره وقال « وهل هو هناك الآن ؟ »

قالت « لا ادري واذا كان هناك فانه يكون مسجوناً »

قال « ساطلبه وابحث عنه بعد ذهابي برسالتك الى الامير عبد الرحمن »

فاعجبها منه ايثار خدمتها على البحث عن حفيده مع شدة قلقه عليه فلما فرغت من الطعام امرت حساناً بجامها بدواةٍ وتناولت منديلاً وكتبت عليه رسالة الى عبد الرحمن ولفتها ودفعتها الى حسان وقالت له « سر بحراسة الله واذا احتجتم اليّ في شيء فاني مقيمة هنا . وأرى قبل ذهابك ان تصلح من شأنك وتتزيا بزي الرهبان لتأمن غوائل الطرق . واظن رفيقنا الراهب عائداً الى ديره فاصطحبه واقره السلام عني ٠٠ »

فودعها حسان وخرج

الفصل الرابع والستون

معسكر عبد الرحمن

فلنرجع الى ما كان في معسكر عبد الرحمن بعد طول سكوتنا عنه واشتغالنا بحديث سالمة ــ تركناهم قرب مضيق دردون بعد ان فرّ الافرنج من وجوههم فمكثوا هناك ينتظرون رجوع سالمة من مهمتها . وقد رأيت ما كان من مقتل بسطام وقتل ميمونة وعرف القارىء انها لباجة بنت الدوق أود وكانت بارعة في الجمال والدهاء كما رأيت وقد وضعت نفسها موضع النبية خدمة لوالدها فانطلت حيلتها على عبد الرحمن ورجاله ولولا سالمة لظل امرها مكتوماً . وكانت سالمة قد عرفتها منذ قابلتها في الخباء ولكنها خافت منها على كشف سرها في فاجلت الامر الى رجوعها ولو علمت حقيقة غرضها ما صبرت عن كشف

امرها . فظلت ميمونة بعد ذهاب سالمة والكل يعتقدون انها من سطايا الباجة وهي لا تدخر وسعاً في عرقلة مساعي العرب بكل سبيل . فلما فرغت يدها من واقعة دردون وتخلصت من التهمة عمدت الى احد شياطينها فبعث معه الى والدها كتاباً انبأته به عن مهمة سالمة والغرض الذي ذهبت من اجله الى بوردو و بواتيه وغيرها وحرضته على القبض عليها لانه اذا حبسها فكأنه حبس نصف جيش المسلمين . فلم تدركها المكيدة الا على ابواب بواتيه كما رأيت . وكانت ميمونة قد تحققت عجز والدها عن دفع ذلك الجند من العرب بعد ما شاهدته في الواقعتين الاخيرتين بفضل اتحاد القبائل وعجزها عن تفريق كلمتها فعمدت الى شيطانها الاحول وبعث معه الى والدها تستحثه على استنجاد شارل لعلمها ان اباها لا قبل له بذلك وحده — ومن غريب دهائها واقتدارها انها كانت شديدة التأثير على والدها لا تكاد تشير عليه بأمر الا انفذه لاعتقاده بعقلها وسعة اطلاعها خصوصاً على احوال العرب بعد الاقامة بينهم اعواماً . ولما جاءه كتابها كان قد يئس من الفوز وخاف على نفسه فوافق رأيها مصلحته فبادر الى مخابرة شارل دوق اوستراسيا فلبى الدعوة لعلمه انه اذا انتصر على المسلمين انتصر على اود وملك فرنسا كلها

أما عبد الرحمن فلما طال غياب سالمة مل الانتظار وبعث يتفقدها في بوردو فعلم انها خرجت منها منذ ايام وكانت مريم مع اشتغالها بهانيء واستغراقها في لجج العواطف اشد الجميع قلقاً على والدتها وكان هانيء يختلس الفرص في اثناء الاقامة هناك ويجتمع بمريم اما في الخباء او في الصحراء ويتحادثان ويتشاكيان في غفلة من الرقباء وعبد الرحمن يغض النظر حتى تمكنت المحبة بينهما وكادا يتناسيان الحرب واسبابها لو لم يكن زواجهما متوقفاً عليها وعلى اختراق اكيتانيا الى نهر لوار . ولذلك فان هانئاً لم يكن يفتر عن تحريض عبد الرحمن على المسير قبل فوات الفرصة واستعداد الاعداء وعبد الرحمن يأخذ الامر بالتؤدة والتأني — حتى جاءهم الجواسيس ذات يوم باستنجاد اود لشارل فعقد عبد الرحمن مجلساً من الامراء حضره هانيء فاطلعهم على الخبر فقال هانيء « وهذا ما كنت اخافه ولذلك كنت استعجل الامير في النهوض »

فقال عبد الرحمن « فالذي أراه ان نبادر حالاً الى المسير »

قال هانيء « وهذا هو رأيي »

ولبث عبد الرحمن ساكتاً ليسمع آراء سائر الامراء وفيهم امراء البربر فلم يفه احد منهم بكلمة فخاف ذلك السكوت وادرك هانيء خوفه وعلم ان مطامع البرابرة منصرفة

الى الغنائم والسبايا وانهم لما علموا باتحاد جيشي أكيتانيا واوستراسيا خافوا على انفسهم فوقف هاني، وهو يبتسم وقال « لا حاجة بنا الى طول البحث في هذا الشأن فان الله قد ضم جيش اوستراسيا الى جيش أكيتانيا غنيمة لنا لان عند اولئك من الاموال والتحف ما لا تقاس به تحف هذه البلاد واذا غلبنا الجيشين مرة واحدة ملكنا هذه الارض الكبيرة كلها وقطعناها حتى نذهب الى رومية والقسطنطينية فتم فتح العالم كله وتنشر الاسلام في الناس كافة ويكون الفضل في ذلك لسيوفكم وخيولكم » قال ذلك وقد مزج طلب الغنائم بالجهاد حتى لا يخجل طالب الغنائم من اجابة الدعوة لانها جامعة للأثنين فما أتم كلامه حتى صاح الجميع بصوت واحد « الخيل الخيل »

فقال عبد الرحمن « بارك الله فيكم ونفع الاسلام بكم » ثم أمرهم بالاستعداد للرحيل ولما انصرف الامراء بقي هانيء وعبد الرحمن ولاحظ هانيء فيه انقباضاً فقال « ما بالك منقبض النفس وقد اطاعنا هؤلاء على المسير »

قال « انت تعلم ياهانيء انهم لايحاربون الا طمعاً بالاموال وقد تجمعت الغنائم عندهم حتى كادوا ينوؤن تحت اثقالها فالرجل منهم يكاد لا يستطيع حمل طعامه وغنائمه فباذا يقاتلون ٠٠٠

قال هاني « لقد نبهتني ايها الامير الى امر ذي بال — ان تعلق هؤلاء البرابرة بالغنائم ضربة ثقيلة على هذا الجيش ليس لاستئثارهم بها دون سواهم ولكنهم يشتغلون بها عن الحرب. اذا حملوها أثقلتهم واعاقت حركتهم واذا خلفوها خلفوا قلوبهم معها فلا بد من حيلة نحتالها عليهم في ذلك »

فأطرق عبد الرحمن ثم وقف فوقف هاني معه وتشاغل عبد الرحمن باصلاح عمامته وهاني باصلاح بندحمامه ثم التفت عبد الرحمن بعباءته وهو يقول « لابد لنا من النظر في هذا الامر — وفي اعتقادي ان ترك هذه الغنائم الثقيلة والذهاب الى الحرب بدونها اربح لنا جميعاً ولكن من يجسر ان يقول لهؤلاء البرابرة تخلوا عن غنائمكم. ونحن انما رغبناهم في الحرب بذكر الغنائم والاموال » فضحك هاني وقال « اظنك لحظت ذلك من عبارتي في هذا الشأن — وقد كان في نفسي ان ارغبهم في سرعة المسير الى تورس بذكر ديرها التي لأن بقربها ديراً يقال له دير القديس مرتين هو من اغنى الديور الافرنجية (١) ولكنني خفت اذا انا قلت لهم ذلك ان يشتغلوا بنهبه عن الحرب

(١) روي

فتكسب عداوة الاهالي والكهنة فوق عداوة الجند »

قال عبد الرحمن « لقد احسنت بالسكوت عن ذلك والذي اراه انا متى وصلنا ساحة الحرب يدبر تدبيراً لا يغضب احداً فتجعل هذه الغنائم في مكان خاص فيكون اصحابها في اطمئنان لا يخافون عليها بأساً من العدو او نجعلها وراء الاخبية او بينها وبين الجند »

فمشى هاني، وهو يقول « سننظر في ذلك في حينه » وخرجا لاعداد معدات السفر

اما مريم فقد كانت لا تزال على اعتقادها بصداقة ميمونة، وهذه لم تكن تدخر وسعاً ولا تضيع فرصة لاجتذب بها قلب مريم بالاطراء والاعجاب ومريم لسلامة نيتها وصدق محبتها كانت تثق بميمونة الثقة التامة — ولم يكن ذلك عن جهل او بله فيها ولكن حر الضمير يصدق الناس ويعتقد انهم يصدقونه فاذا سمع قولاً صدّقه لسلامة نيته وصدق لهجته، وفي جملة ما استخدمته ميمونة من اسباب الخداع لمريم انها كانت تحدثها بحوادث وقعت لها مع عبد الرحمن او غيره تزعم انها مما لا يفشى لغير الاصدقاء الاخصاء وتتوقع ان تفشي لها مريم شيئاً من سرها مع هاني ولكن مريم كانت شديدة الحرص على اسرار الحب وميمونة تسايرها في كتمانه فيزيدها ذلك استسلاماً لها، فلما تمكنت ميمونة من مريم وقبضت على قلبها اصبحت مريم لا تفارقها الا ساعة الرقاد او عند لقياها هانئاً او لاسباب قهرية

الفصل الخامس والستون

ساحة القتال

وفي صباح الغد قوضوا الخيام وشالوا الاحمال على الجمال والبغال وسار الجند على ترتيب تلك الايام — المشاة حسب قبائلهم وامام كل قبيلة راية خاصة بها يحملها احد فرسانها وقد يكون للقبيلة عدة رايات تتلاعب في الهواء حتى اذا نظر ناظر الى ذلك الجند وراياته عن بعد توهم الرايات اشرعة وظن حملتها سفناً والناس بحراً وسيرهم موجاً يتلاطم وكأن عمائمهم البيضاء وبجوانبها رؤوس الاسنة تكسر الموج على سطح البحر، وكان في جملة المشاة رجال البربر بحسب قبائلهم ومعهم سائر الموالي من غير العرب كالقبط والشوام وغيرهم

وهم سائرون بازاء العرب . والبستهم تختلف عن البسة العرب بعض الشيء . واما الفرسان فقد اصطفوا فرقةً على حدة تتقدمها الرايات بحسب الامراء وراية هاني اكبرها جميعاً واكثر الفرسان بالادراع المتينة وعلى رؤوسهم الخوذ الفولاذ . وكان عبدالرحمن يسير تارة بجانب هانيء امام الفرسان وطوراً يطوف حول المعسكر يتفقد احواله خوفاً من القتال . ووراء المشاة والفرسان اصحاب الاخبية ومعهم النساء والعيال في هوادج الا مريم فكانت على الجواد كاحد الفرسان . وكانت ميمونة تتظاهر بالرغبة في رفقتها فتركب جواداً الى جانبها . ويجيء وراء تلك الحملة ساقة الجند وامامهم الاحمال والاثقال وكان عبدالرحمن وهانيء اذا دارا حول ذلك الجيش او نظرا اليه من اكمة اطمئنا لكثرته وتوسما النصر به

وكان المسلمون يسيرون ولا يلاقون في طريقهم الا حقولاً مهجورة وادوات متروكة وبيوتاً خالية فيأخذون ما شاؤا ويتركون ما شاؤا حتى اذا امسى عليهم المساء يحطون رحالهم فيأكلون وينامون ثم ينهضون . فلما وصلوا بواتيه لم يلاقوا منها كبير مقاومة لان معسكر اود كان قد بعد عنها وقلّ من دخل المدينة وانما كان مقصدهم مدينة تورس قاعدة تلك الناحية وعندها جند الافرنج

واتفق ان الخبراء في ذات صباح انهم اصبحوا على مرحلة من نهر لوار فاستراحوا واصلحوا شؤونهم وساروا وعبد الرحمن وهانيء يتقدمان الجند نحو ميل ومعهما كبير الخبراء لاستكشاف مواقع العدو قبل النزول وليختارا مكاناً يعسكرون فيه . وفي اصيل ذلك اليوم صعدا في رابية على ضفة نهر شير ووليا وجهيهما نحو الشرق فكان نهر لوار الى يسارهما عن بعد والشمس وراءهما فنظرا الى ما بين ايديهما شرقاً فاشرفا على سهل واسع مثلث الشكل قاعدته ضفة نهر لوار الى يسارهما ورأس المثلث في الجنوب . وشاهدا عنده خياماً واعلاماً وهو معسكر الدوق اود . وبين هذا المعسكر وضفة نهر لوار مسافة ميلين سهلٌ واسع يصلح ميداناً للقتال خالٍ من الاحزان والاغوار حتى ينتهي عند قاعدة المثلث بالابنية على ضفة النهر واقربها اليهما مدينة تورس ثم محلة دير القديس مرتين ومع بعدها عنهما عرفاها من فخامة ديرها وقبة كنيستها . وشاهدا وراء تلك المحلة مما يلي النهر حركة وغباراً عرفاهما يتخلل ذلك من الاعلام والخيول انها حركة جند قادم من جهة النهر — فامر عبد الرحمن رجلاً في ركابه ان يمضي الى جند المسلمين فيأمرهم بالوقوف حيثما ريثما يعود من هذا الاستكشاف . ثم التفت الى الخبير وكان من الافرنج وقد تعلم العربية وقال « اليس هذا دير القديس مرتين »

قال الخبير «بلى يا مولاي هذا هو اخو ادبار النصرانية في هذه البلاد ..»

قال «وما الذي تراه وراءه»

قال «هو جند الدوق شارل يعبر النهر من ضفته الشمالية الى الضفة الجنوبية وقد علمت من رجل لقيته في هذا الصباح قادماً من محلة هذا الجيش ان الدوق المذكور اخذ منذ بضعة ايام في تعدية رجاله على جسور من السفن ولم يفرغ بعد لكثرة ما جاء به من الرجال والاحمال»

قال «ألا يعرفون عدد جنده ..»

قال «لم يحصوه ولكن لاريب عندي ان الدوق شارل جرد كل ما يستطيع تجريده من قبائل الافرنج في اوستراسيا وما وراءها لعلمه بشدة بطش المسلمين وقوتهم ولان على حربه هذه يتوقف اما انتشار سلطانه على فرنسا كلها او خروج اوستراسيا من يده»

فقال هانئ «وسينال الثانية باذن الله ..»

فاعترض عبد الرحمن كلامه قائلاً «أليس ماتراه الى يميننا في الجنوب معسكر الدوق اود شريد مضيق دردون ؟»

فضحك الخبير وقال «بلى يا سيدي — وهو شريدٌ في كل حال .. لانه سواء انتصر عبد الرحمن او شارل ... فان سلطانه على اكيتانيا ذاهب من يده إما لكم واما لشارل فحاله تستوجب الشفقة ..»

فاكتفى عبد الرحمن بما سمعه ونظر في اختيار مكان يعسكرون فيه فقال هانئ «لا ارى لنا مكاناً نعسكر فيه خيراً من النقطة التي نحن فيها فنقطع هذا النهر الصغير (شير) ونعسكر وراءه فنكون على بعدٍ واحد تقريباً من هذين الجيشين واذا تضامّا فنكون متقابلين ويكون هذا الماء وراءنا فاذا اقتضت الحرب ان نتقهقر لا سمح الله قطعنا النهر وجعلناه خندقاً بيننا وبينهم»

فاعجب عبد الرحمن برأي هانئ وابتسم له ابتسام الوالد سمع من طفله عبارة تدلُّ على الذكاء وقال «لقد رأيت الصواب وأزيد على ذلك ان نترك اثقالنا واحمالنا ونساءنا هنا ولا يقطع النهر الا الرجال المحاربون فنكون في اطمئنان على اموالنا واعراضنا . وأرى ان نترك هنا ايضاً الغنائم التي اثقلت رجالنا فيذهبون الى الحرب خفافاً. وقد اخبرتك ان امر هذه الغنائم اقلق راحتي فاذا لم تقنع رجالنا وخصوصاً البرابرة في التخلي عنها يوم الحرب كانت سبباً في فشلنا . وانت تعلم ان الرجل انما يغلب بخفة حركته»

الفصل السادس والستون

مسألة الغنائم

قال « نعقد مجلساً اذا امرت تحضر الامراء فيه ونقنعهم في وجوب التخلي عن الغنائم ونبين لهم مايترتب على تحمل اثقالها من الاضرار وترى ما يكون » — وكان في ركاب عبد الرحمن ايضاً صاحب النفير (البوق) فامره ان يذهب الى المعسكر فيخبر الامراء بمبيت الجند هذه الليلة حيث هم ثم يدعو الامراء الى تلك الاكمة حيث هما واقفان للمخابرة في شأن المكان الذي سيعسكرون فيه — فاسرع الرسول ولم تمض هنيهة حتى تقاطر الامراء على افراسهم فلما وصلوا تحول عبد الرحمن عن فرسه وهاني عن ادهمه فتحول سائر الامراء وسلموا افراسهم الى الخدم ووقفوا على تلك الرابية فاطلوا على سهل تحف به تورس ونهر القديس مرتين من الشمال الى يسارهم ومعسكر اود من الجنوب الى يمينهم . فقص عليهم عبد الرحمن ما خطر له بشأن المكان الذي يعسكرون فيه بحيث يكون الماء وراءهم الى ان قال « واستشيركم في امر خطر لي واظن فيه خيراً لنا وهو ان لا يعبر هذا النهر منا غير الرجال المحاربين وان تتخلف النساء والاحمال هنا ومعهم من يحميهم .. فما رأيكم ؟ . »

فقال اثنان من امراء القيسية « لقد رأى الامير صواباً .. » فوافق سائر الامراء على ذلك

فقال عبد الرحمن وهناك امر ذو بال طالما خفته على هذا الجند — وذلك ان جندنا قد اصبح من كثرة ما افاء الله على المسلمين من الغنائم مثقلاً بالتحف والاموال حتى لقد يعسر على الرجل ان يحمل غنائمه فكيف يستطيع القتال بها .. ؟ فالذي اراه ان نجمل الغنائم المذكورة في مكان امين في جملة ما نخلفه هنا عند ذهابنا في الغد فنجعل تلك الذخائر والتحف في خيم خاصة يحرسها من تثقون به من رجالكم كما فعلنا بقرب بوردو »

فلم يتم عبد الرحمن كلامه حتى اعترضه شاب من امراء البربر قائلاً « اما نحن فلا نوافق على هذا الرأي . ولا تذكرونا بما اصابنا في بوردو على اثر مثل هذا العمل . فقد افردنا الغنائم هناك حسب امركم فكانت النتيجة انا خسرنا اكبر امرائنا واشجع رجال هذا الجند »

فلما سمع عبد الرحمن تلك العبارة وما تنطوي عليه من التعريض بمقتل بسطام مع ما تدل عليه من الضغينة والحقد خاف الانقسام اذا هو اجابه او وبخه لعلمه انه لم يجسر على هذا

القول إلاَّ وهو مدفوع من جماعة . فتظاهر عبد الرحمن بالسذاجة والاسف وقال « بالحقيقة اننا خسرنا في تلك الواقعة خسارة يصعب تعويضها لان الامير بسطاماً يندر مثاله . ولكنني لا ارى علاقة بين مقتله والغنائم » ثم التفت الى جمهور الامراء وقال « واظنكم توافقونني على تناسي ذلك الحادث والاشتغال بما هو اهم منه وقد عرضت عليكم رأياً فاذا كنتم ترون فيه خطأً بينوه لان الغرض واحد والمصلحة واحدة »

فتهامس الامراء وتداولوا ملياً ثم قال احد امراء الجنية « ارى الامير مصيباً في رأيه كل الاصابة لان الرجل لا يستطيع الحرب وهو مثقل بالاحمال — واذا خسر الانسان غنيمته وانتصر في حربه عوض اضعافها »

فوافقه على ذلك كثيرون ولحظ هانئ ان البربر لا يزالون سكوتاً خائف الفشل فقال « واز يد على ما قاله الامير . . . اننا اذا انتصرنا في هذه الواقعة كانت غنائمنا فوق ما تدركه العقول . لان الدوق قارله (شارل) صاحب هذا الجند (واشار الى جند شارل) قد حمل معه كل ما في بلاده من التحف في الاديار والكنائس والقصور . . فاذا ظفرتم به ظفرتم بالغنى والفخر والسعادة » قال ذلك بلهجة الاخلاص وهو يبتسم ويتفرس في وجوه الامراء

فلم يجد امراء البربر ما يدفعون به قوله فتكلم شيخ من امرائهم وقال « لا مشاحة في ان الجند لا يستطيع الحرب الا اذا كان خفيفاً ولكن من لنا بمن يقنع افراد الجند ان يتركوا غنائمهم التي اصابوها بعد شق الانفس وهم لا يطمعون بامارة او قضاء وانما ربحهم من هذه الحرب ما يرجعون به من الغنائم . فعندي اننا بدلاً من ان نترك الغنائم هنا نحملها معنا في صباح الغد ونجعل لها مكاناً بجانب معسكرنا فان ذلك ايسر على اصحابها من ان يتركوها في مكان يحول بينهم وبينه نهر »

الفصل السابع والستون

رسول امين

فلم ير عبد الرحمن بداً من الموافقة . فعادوا الى المعسكر وباتوا تلك الليلة هناك واصبحوا في اليوم التالي واخذوا في عبور النهر اما خوضاً او عوماً على قوارب نصبوها عرضاً وكان ذلك

النهر جدولاً صغيراً لا يعدُّ شيئاً بالنظر الى نهر لوار وهو يصب فيه . فسير اولاً عبد الرحمن وهانئ ليعينا اماكن الخيم فوقفا على مرتفع اطلاًّ منه على ذلك السهل واخذا في تعيين الاماكن والجند يشتغلون في نصب الخيم وغرس الاعلام الى قرب الاصيل . فلاحت من هانئ التفاتة وهو ينظر الى الافق فرأى شبحاً يعدو نحوهما عدواً سريعاً فتعلق ذهنه به وجعل يتفرس فيه فرأى عليه لباس الرهبان فازداد استغراباً ثم رآه سقط على الارض وهو يشير بيده نحوهُ هانئ فركض هانئ نحوه حتى وقف عنده فاذا هو حسان خادم سالمة وقد استلقى على ظهره وقبض باحدى يديه على جنبه كأنه يشكو ألماً هناك وامسك بيده الاخرى شيئاً اومأ به نحو هانئ فترجل هانئ حالاً واراد ان يعين حساناً على الجلوس فاشار له بعينيه ان يتركه فسأله عن امره فقال بصوت متقطع وهو يلهث وقد ضغط بكفه على جنبه من شدة الألم « ارسلتني مولاتي ... سالمة برسالة الى الامير عبد الرحمن ... من دير القديس مرتين ... حملتها (وأشار بيده والرسالة فيها) حتى اذا خرجتُ من الدير ورأيت اعلامكم عن بعد اسرعت نحوكم فما شعرت الا ونبلُ اصابني في جنبي من خائن اظنهُ عدلان الأحول .. فايقنت اني مائت ... فاسرعت حتى ادركتكم بهذه الرسالة لانها في غاية الاهمية ... فسقطت قبل الوصول اليكم ... فهذه هي الرسالة »

ثم انقطع صوته وتزايد لهثه واغمض عينيه وارخى يديه . فناداه هانئ فلم يجب وكان عبد الرحمن قد شاهدهما واسرع اليهما وسمع كلام حسان . فلما رآه في تلك الحال اسف لحاله اسفاً شديداً وكذلك هانئ وترجح عنده انه مات ولكن الامل لا ينقطع من الحياة ما دام النفس فاشار عبد الرحمن الى هانئ ان يستقدم احد الاطباء

فركب بنفسه على ادهمه وركضه نحو الجند وصاح « هاتوا طبيباً » وبعد قليل جاء الطبيب وهو من نصارى الاندلس وقد قضى في خدمة العرب زمناً طويلاً . فاسرع الى حسان وجس نبضه فاذا هو ميتٌ لا حراك به فامر ان يديروا غسله ودفنه فحملوه الى خيمة خاصة بذلك

اما عبد الرحمن فتناول الكتابَ وفضهُ واخذ يتلوهُ وهانئ يسمع فاذا فيه :

« الى الامير عبد الرحمن الغافقي

« اكتب هذا اليك من دير القديس مرتين وقد وصلت اليه بعد مشقات يطول شرحها سأقصها عند اللقاء القريب ان شاء الله — وانما استعجلت هذه الرسالة لاخبرك بامر هام اطلعت عليه في اثناء سياحتي هذه . وهو ان المرأة التي تسمي نفسها ميمونة انما هي

لباجة بنت الدوق اود وقد نصبت لي الحبائل الكثيرة في اثناء هذه السياحة — وهي التي حرّضت اباها على استنجاد صاحب اوستراسيا بكتاب ارسله مع خادمها الاحول فاحذروه وافعلوا بها ما شئتم . ثم اني ابشركم بأن موتبس هذا الدير ناقم على شارل وقد وعدني بالمساعدة ولكنه استبقاني عنده رهينة . وانا في امن واكرام اطلب لكم النصر . واوصيك بفلذة كبدي مريم . والسلام»

سالمة

فما جاء على آخر الكتاب حتى بغت فنظر الى هانيء ثم أعاد نظره الى الكتاب وقد أخذ منه الاندهاش مأخذاً عظيماً فقال هانيء « لم اكن اعتقد في هذه الملعونة خيراً وكنت مع فرط جمالها اشعر بنفور من منظرها لسبب لا اعلمه . فكأن قلبي دلني على حقيقتها وكثيراً ما كنت استغرب اكرامك لها ....

فقطع عبد الرحمن كلامه وقال « كنت اراعيها على حذر ولم اثق بها قط ولكنني كنت اتوقع منها نفعاً في اثناء حروبنا لانها من أهل هذه البلاد .. وقد قضي الامر الآن فيجب ان تدبر في شأنها فما الذي ترى ان نفعله »

قال « ارى ان نقتلها حالاً ونريح أنفسنا منها »

قال « سننظر في ذلك بعد الفراغ من ترتيب هذا المعسكر »

قال ذلك وركب جواده وتحوّل نحو الجند لاتمام ترتيبهم — فجعل معسكره في نحو تلك الضلع الممتد بين تورس ومعسكر اود وجعل فسطاطه في وسط المعسكر نحو الامام وبجانبه خيمة هانيء يليهما بالترتيب مضارب القبائل كل قبيلة على حدة وخيمة أميرها في وسط خيمها وراية الامير مغروسة في باب خيمته . وقد يكون للقبيلة الواحدة عدة امراء وعدة رايات باعتبار البطون والافخاذ . وجمع بين القبائل المتقاربة في النسب المضرية في جانب واليمنية في جانب وجعل البرابرة في جانب آخر جنوبي المعسكر ببقعة اختاروها هم وعبد الرحمن يسايرهم لانهم اكثر ثلث الجند عدداً . فترتبوا باعتبار قبائلهم وبطونهم وكذلك الامم الاخرى من الانباط والشوام وهم اقل سائر الفئات . ثم أمر بالغنائم ان توضع في خيم نصبوها لها بجانب المعسكر من جهة الجنوب . والبرابرة طلبوا ذلك لتكون غنائمهم اقرب الى مضاربهم كأنهم خافوا ان يسطو عليها العرب ويأخذوها منهم . ونصبوا مرابط الخيل وراء المعسكر مما يلي النهر الصغير

وكان هانيء في اثناء ذلك الترتيب يطوف المعسكر لمساعدة عبد الرحمن وهو يفكر في ما قرأه عن ميمونة وسالمة وخطر له ان مريم اذا عرفت بمقام والدتها في ذلك

الدير ربما طلبت الذهاب اليها فارتاح الى ذلك الفكر لاعتقاده انها تكون هناك في مأمن على حياتها ولو قضي على العرب بالانهزام . على انه ترك الاختيار لها وان كان بالحقيقة لا يقوى على فراقها

الفصل الثامن والستون

لباجة

قضوا ذلك اليوم واليوم التالي في الانتقال والترتيب حتى لم يبق في الضفة الاخرى غير الاخبية والاحمال الثقيلة ونحوها وفي أصيل اليوم التالي سار عبد الرحمن وهانئ معاً الى الاخبية لمحاكمة ميمونة سراً وكان هانئ لا يرى باعثاً على المحاكمة ولو ترك الامر له لقطع رأسها بسيفه بلا سؤال ولا جواب . اما عبد الرحمن فاراد التصرف بالحكمة والتؤدة فلما وصلا الى الخباء الاكبر ترجلا ودخلا القاعة وبعث عبد الرحمن الى القهرمانة فجاءته بخلاخلها ودمالجها وهي تترجرج في مشيتها كانها في بعض قصور طليطلة في رغد ونعيم . فلما وصلت الى عبد الرحمن حيته . فقال « اين ميمونة »

قالت « لم أشاهدها من مساء الامس واظنها مع مريم في غرفتها »

قال « ابعثي اليها ان تأتينا وحدها »

فصفقت القهرمانة فجاءها بعض الصقالبة الخصيان فقالت « ادع السيدة ميمونة .. وقل لها ان الامير عبد الرحمن يحتاج اليها .. » وقد كلمته بالفاظ عربية مشوشة على نحو ما ينطق بها غرباء اللغة اذا تعلموها التقاطاً من أفواه الناس شأن اولئك الصقالبة والافرنج وأمثالهم ممن كانوا في خدمة العرب في تلك الايام

فاشار الصقلبي برأسه اشارة الطاعة وخرج ولبثوا في انتظاره وهانئ يود الانصراف ليرى مريم ويخبرها عن والدتها ويكون هو اول من يخبرها بذلك — وفي هذا السبق لذة يشعر بها كل انسان وخصوصاً بين المحبين — فان الرجل اذا سمع خبراً جديداً وهو بعيد عن امرأته او خطيبته او حبيبته فانه يشعر بميل شديد الى اطلاعها عليه . واذا كان ما سمعه من قبيل السر كان أشد رغبة في مكاشفتها به وكلما بالغوا في تحريضه على كتمانه ازداد رغبة في كشفه وهو لا يعد ذلك افشاء للسر لانه يكاشفها به سراً

ويوصيها أن تكتمه • وربما كان السبب في لذة المكاشفة شعور الحبيبين بالامتزاج قلباً وروحاً بحيث لا يسوغ معه ذلك الامتزاج تكتم • وزد على ذلك ان المباراة تزيد في توثيق عرى المودة فاذا تواد انسان يزداد توادهما وتوثقاً اذا كان بينهما سر لا يعلم به سواهما • ولهذا السبب كانت المحافظة على الاسرار المأمونة من أقوى أسباب ثباتها وان لم تكن تلك الاسرار مهمة فكيف اذا كانت مهمة • بل كيف اذا سمع المحب خبراً يتعلق بشخص حبيبه كما كان الحال مع هانيء فان الخبر متعلق بمريم نفسها فلا غرو اذا رأيناه شديد الميل الى مكاشفتها

على انه كان من الجهة الأخرى يريد البقاء مع عبد الرحمن بعد مجيء ميمونة ليحرضه على قتلها فطال غياب الرسول فبعثت القهرمانة رسولاً آخر وآخر • وبعد برهة عاد الرسول الاول وحده وهو يقول • بحثت عن السيدة ميمونة في كل مظانها فلم أقف لها على أثر »

فبغت عبد الرحمن وهانيء اكثر من بغتة القهرمانة لعلمهما بما لم تعلمه فقال عبد الرحمن « واين ميمونة يا خالة ؟ »

قالت « ربما كانت في شاغل ستعود منه قريباً .. »

قال « اني أريد مقابلتها الساعة اذهبي انت للتفتيش عنها .. »

فنهضت وهي تقول « لم ارها من غروب الامس وليس احد أعلم برواحها وغدوها من مريم » ثم خرجت وهي تتمايل وتتدحرج وطال غيابها • ثم عادت ومريم معها وهي تقول « لم اجدها في مكان • فهي بلا شك في غير هذه الاخبية .. »

ولما دخلت مريم فاحت رائحة طيبها وابتسم لها عبد الرحمن رغم غضبه من ميمونة وخوفه من افلاتها بعد ظهور ذنبها • وكان في وجه مريم من المعاني والملامح ما لا يستطيع الناظر معه غير الاعجاب بها والا تشواح لرؤيتها فكيف بهانيء وهدان ملكت فؤاده واستولت على عواطفه حتى أصبح يغار عليها من النسيم فاصبح عند دخولها كله آذاناً وعيوناً يراقب ما يبدو منها أو من عبد الرحمن عند المقابلة • ولا مسوغ لتلك الغيرة غير الحب الشديد لان الحب يدعو الى الغيرة حتى من أقرب الناس نسباً وأبعدهم شبهة • وهاك لسان حال المحب الغيور يخاطب حبيبه

أغار عليك من نظري ومني ومنك ومن زمانك والزمان
ولو اني وضعتك في عيوني الى يوم القيامة ما كفاني

اما عبد الرحمن فما لبث ان ابتسم لمريم وأمرها بالقعود حتى ابتدرها بالسؤال عن

ميمونة فقالت « لم أشاهدها من مساء الامس وقد قضيت كل ما مضى من هذا النهار وأنا ابحث عنها لانها رفيقتي ومعزيتي على غياب والدتي »

فقال « وهل عرفت سبباً يدعو الى خروجها »

قالت « لم اعرف شيئاً من هذا القبيل ولكنني رأيت منها ما يدل على اضطراب بالها من أصيل الامس فلم اعبأ به ولا سألتها عن سببه .. »

قال « هل رأيت أحداً جاءها بكتاب أو خطاب في صباح الامس »

قالت « لم أشاهد غير بعض الخدم ممن تعودوا خدمتها .. »

قال « هل كان بينهم عدلان الاحول .. »

قالت « نعم .. وكنت قد مضى عليّ مدة لم اشاهده . »

فلما قالت ذلك تبادل عبد الرحمن وهانيء نظرتين تفاهما بهما فتحققا ان عدلان بعد ان رمى حساناً بالنبل جاء الى ميمونة وحرضها على الذهاب الى أبيها خوفاً من انكشاف أمرها

الفصل التاسع والستون

هانيء ومريم

وكانت مريم تنظر الى هانيء وتتوسم في وجهه خيراً وخصوصاً بعد تلك الاسئلة وكانت القهرمانة قد خرجت ولم يبق هناك غير مريم والاميرين . فنظرت مريم الى هانيء نظرة اغنته عن خطاب طويل عريض ففهم انها تستفهمه عما يكتمانه . فالتفت الى عبد الرحمن فرآه مستغرقاً في التفكير فقال له « الارجح ان تلك الخائنة علمت بافتضاح أمرها ففرّت الى ابيها ولكنها لن تنجو من حدّ هذا السيف باذن الله .. »

فبغتت مريم لما سمعته لانه يُناقض اعتقادها في ميمونة على خط مستقيم وظهرت البغتة في وجهها بما تصاعد اليه من الدم وابرقت عيناها والتفتت الى هانيء ولم تتمالك ان سألته قائلة « وما الذي حدث حتى إستوجبت هذه المسكينة غضب الامير وعهدي انها من أشد الناس غيرة واصفاهم سريرة ؟.. »

فالتفت هانيء الى عبدالرحمن وقال « أتأذن لي بذلك الكتاب .. »

فاستاء عبد الرحمن من تسرع هاني، في طلب الكتاب لانه لم يكن ينوي اطلاع مريم عليه خوفاً من قلقها على والدتها ولم يبدِ استياءه مراعاة لاحساس هاني، ولكنه انكر الكتاب وتظاهر انه لايعرف مكانه، فازدادت مريم قلقاً واضطراباً وسبق الى خاطرها ان لذلك الكتم سبباً يسوءها ذكره ولم يخطر ببالها شيء غير والدتها فصاحت بلهفتها المعهودة ولم تستطع امساك عواطفها « ما الذي تكتمانه عني ... هل أصاب والدتي شيء (شرّ) ... اين هي ... » قالت ذلك واجهشت للبكاء

فرد منظرها في هاني، فلم يتمالك ان قال « اطمئنك يا مريم ان والدتك في خير وأمان »

قالت « واين هي .. ؟ »

قال « هي في هذا الدير » وأشار الى دير القديس مرتين

قالت « ولماذا لم تأت الى هنا العلها مريضة ام مسجونة ام ماذا .. »

تظاهر عبد الرحمن عند ذلك بالبحث عن الكتاب حتى وجده فدفعه اليها وهو يقول « هذا هو كتابها وفي قراءته جوابٌ كافٍ »

فتناولته بلهفة فلم تستطع رؤية الاحرف مما يغشى عينيها من دموع البغتة والخوف والامل والفرح معاً. فمسحت عينيها بكمها وقرأت الكتاب حتى اتت على آخره ولما وصلت الى قولها « واوصيك بفلذة كبدي مريم » صاحت « اماه » وقد خنقتها العبرات. ثم اعادت النظر الى ما ذكرته عن ميمونة فبهتت وحسبت نفسها في حلم ثم رفعت رأسها الى عبد الرحمن وقد تحوّل حنانها الانساني الى غضب وقالت « قبح الله تلك الخائنة .... قد فهمتُ الآن سبب اختلائها بذلك البربري الاحول في مساء الامس ... ولكنها ستذوق جزاء تلك الخيانة ان شاء الله » ثم سألته عمن حمل ذلك الكتاب لكي تواجهه وتستزيده من اخبار والدتها. فقص عليها هاني ما كان من امره وانه مات ودفنوه فاسفت عليه كثيراً حتى بكت ولولا اشتغال خاطرها بخيانة ميمونة والشوق الى والدتها لندبته كثيراً لانه ربّاها منذ طفولتها وكان ضنيناً بها حريصاً على راحتها وراحة والدتها — ولكنها كانت في قلق عظيم على والدتها واصبحت لا تصبر عن رؤيتها فنظرت الى عبد الرحمن بعينين يغشاهما الدمع وتوسلت اليه بصوت يمازجه ذل السؤال وقالت « ألا يسمح لي الامير بالمسير الى والدتي لاشاهدها واقبّل يدها ثم اعود ؟ »

فتأثر عبد الرحمن لسؤالها ولم يسعه الا الاجابة فقال « لا امنعك من الذهاب اليها

ولكني احب المحافظة على وصيتها وقد رأيتها خصّت هذا الكتاب بك ... »

فقالت « لا بأس عليّ باذن الله والطريق سهل والمكان قريب وكأني ارى الدير من هنا فاركب اليه سريعاً .. »

فقال هانئ « لا تخاف عليك بأساً بعدما شاهدناه منك في مضيق دردون ولكني ارى ان اسير في ركابك حتى اوصلك الى باب الدير واعود » قال ذلك بنغمة التصميم القطعي فاستحسن عبد الرحمن رأيه فقال « اذا كان لا بد من الذهاب الى الدير فانهضا الآن حتى تصلاه قبل الغروب ... هل يحتاج هانئ الى استحثاث لسرعة الرجوع ... ؟ اما مريم فلا بأس من بقائها هناك بل هو آمن عليها .. »

ففرح هانئ بتلك المهمة فنهض وامر بفرس لمريم فلبست ثوبها والتفت بعباءتها وركبت وركب هانئ ادهمه والتف بعباءته واصلح عمامته وساقا الجوادين سوقاً حثيثاً وقطعا النهر الصغير على جسر ما نصبوه بالامس وسارا شرقاً شمالياً يلتمسان دير مرتين . فبعد ان ركضا جواديهما برهة امسكاها ومشيا متحاذيين وقد حلت لهما تلك الخلوة فاراد هانئ مداعبة مريم فقال لها « أتعلمين ما وراء هذه الابنية »

قالت « وراءها النهر الكبير »

قال « وما اسمه .. »

قالت « نهر لوار » بلفظ الراء غيناً ولكنها لم تكد تنطق بهذين اللفظين حتى فطنت للوعد المضروب لاقترانهما هناك فخجلت وحولت وجهها الى عرض البر وارادت تغيير الحديث فقالت « وكأني ارى جند الدوق شارل آتياً نحونا »

فبغت هانئ وتفرس في الغبار المتصاعد وراء محلة الدير وقال « لا اشك انك ترين معسكر الدوق شارل واما الغبار المتصاعد فوقه فليس غبار المسير ولكنهم يلاعبون خيولهم على سبيل التمرين ... » قال ذلك وأخذ يفكر في ما يتوقعه من القتال الهائل في تلك الساحة ولكنه كان شديد العزم قوي القلب لانه لم ينكسر في قتال بعد ولذلك فاول ما يسبق الى ذهنه عز الانتصار

الفصل السبعون

سالمة في الدير

وبينما هو يفكر في ذلك سمع جرساً يقرع فاصاخ بسمعه فابتدرته مريم قائلة «هذا جرس الدير لاننا على مقربة منه» وكانت الشمس قد دنت من المغيب ولو التفتا اليها لرأيا شكلها يتجسم وجرمها يتعاظم وحدتها تنفثئ حتى يخيل لها اذا لمساها انها لا تلذع — ولكنهما كانا في شاغل عن ذلك بغبار رأوه يتصاعد في بعض السهل من جهة الجنوب قرب معسكر اود كأن خيالة يسوقون افراسهم. فحملا ذلك على ما شاهدوه في معسكر شارل. ووصلا في الغروب تماماً الى باب الدير فقرعه هانئ فاطل الراهب البواب فخاطبته مريم بالافرنجية انها تسأل عن ضيفة هناك. فنزل وفتح الباب ورحب بها واستغرب لباس هانئ وخصوصاً عمامته لانه لم يكن رأى عربياً قط وان كان قد سمع بمجيء العرب للحرب. فترجلت مريم وهمّ هانئ بوداعها للرجوع وقلبه لا يطاوعه على ذلك الفراق وكانت هي في مثل حاله فلما اراد وداعها نظرت اليه نظرة خرقت ادراعه الى احشائه فوافقت رأيه فتحوّل عن ادهمه وهو يقول «أرى ان اوصلك الى والدتك واطمأن عليها وعليك ثم اعود» فاستحسنت مانتباهه لغرضها وابتسمت ومشت فمشى هو بعد ان اشار الى بعض خدم الدير ان يمسك الجوادين فاخذهما البواب الى الاصطبل. ولما دخلا من الباب الثاني استقبلهما راهب آخر وسألهما عما يطلبانه فقالت مريم «عندكم نزيلة اسمها سالمة ؟»

فابتسم الراهب وقال «نعم» واشار اليهما فتبعاه حتى دخلوا الدير وصعد بهما الى علية سالمة. وكانت سالمة لاتزال بعد ارسال حسان منفردة في تلك العلية تارة تطل منها الى النهر وطوراً تقعد على الارض تفكر في مريم وقد ذاب قلبها لفراقها وكانت لم تفارقها قبل هذه المرة قط — ثم تنتقل بافكارها الى ما تكتمه في صدرها ولم يأن وقت كشفه وتخاف ان يطول وقته او تحول الاقدار دون ذلك فتذهب مساعيها ادراج الرياح — ونهضت في صباح ذلك اليوم منقبضة النفس فنزلت الى الكنيسة لاستماع الصلاة وتخشعت في صلاتها كثيراً ودعت لابنتها بالسلامة ثم صعدت الى عليتها فاحست كأنها في سجن مع انها في احسن غرف الدير واكثرها انطلاقاً. ولكن ما سجن سجن الارادة فقد يحبس الانسان نفسه بارادته اياماً في مكان مظلم وهو يعدّ نفسه مطلقاً فاذا حكم عليه بالانحباس

يوماً واحداً ولو في اعظم القصور فانه يعدّ نفسه سجيناً

ولما عادت من الصلاة وصعدت في السلم حدثتها نفسها ان تطل على سهل تورس لعلها ترى رسولاً قادماً او تنسم ريح ابنتها اذا رات معسكر العرب عن بعد فمشت حتى اطلت من سطح الدير على ذلك السهل وعرفت مكان كل من العرب والافرنج فخفق قلبها لما تتوقعه من القتال الهائل هناك . ثم عادت الى عليتها وهواجسها تتزايد بالخلوة — فلما كان الغروب احست بزيادة الانقباض وشعرت بضيق وقنوط . وساعة الغروب اثقل ساعات اليوم على الانسان وهو حرٌّ مطلق فكيف اذا كان سجيناً — فهمّت بالخروج للصلاة فسمعت وقع اقدام على السطح فخفق قلبها ولبثت لترى ما يكون فلما سمعت الخطوات تقترب نحوها تزايد خفقان قلبها واخيراً سمعت قرع الباب فكأنهم قرعوا صدرها . فنهضت وركبتاها ترتجفان وفتحت الباب فاستقبلها الراهب واشار بيده الى رفيقيه . فلما رأت ابنتها صاحت « مريم » والقت نفسها عليها وجعلت تقبلها وتشمها والدموع تتساقط من عينيها حتى كاد يغمى عليها ومريم تقبلها وتقبل يدها ودموعها تتساقط بهدوء . ثم دخلتا العلية وهاني لا يزال بالباب فقالت مريم « هذا الامير هاني قد جاء ليوصلني ويراك ثم يعود »

فرحبت به واثنت عليه ودعته للدخول فقال « لابد لي من سرعة الرجوع لاننا في حال تدعو الى التيقظ . كيف انتِ . ؟ قد وصلنا كتابك وشكرنا فضلك واهتمامك . . »

فقالت « وماذا فعلتم بتلك الخائنة »

قال « لم نجدها في المعسكر مع انها كانت فيه الى الامس فالظاهر انها علمت بكتابك ففرّت الى ابيها »

فلطمت سالمة كفاً بكف وصاحت « نجت هذه الملعونة . . . الظاهر ان شيطانها الاحوَل اخبرها بخبرنا فايقنت بكشف امرها فهربت به . »

فقالت مريم « قبح الله ذلك الاحوَل فانه اصل شرور كثيرة ولو علمت الذي فعله هذا الشيطان لحزنتِ »

قالت « ما الذي فعله ؟ »

قالت « انه رمى حسّاناً بنبل وهو ذاهب من عندك فاصاب جنبه فحمل ذلك المسكين جرحه واسرع حتى ادرك معسكر العرب وهو على آخر رمق من الحياة فبلّغ الرسالة ومات . . »

فصاحت « مات ؟ حسان مات ؟ . . »

قالت « نعم يا اماه مات اشرف ميتة . . مات شريفاً اميناً صادقاً وقد قاموا بواجب

غسله ودفنه رحمه الله ٠٠»

فاطرقت سالمة وسكتت ثم هزت راسها وهي تقول بصوت منخفض «مسكين حسان ٠٠٠ مات ولم يشاهد حفيده بعد ان عز بقائه حياً ولا شاهد نتيجة انتظارنا الطويل لهذه الواقعة المهولة ٠٠٠»

الفصل الحادي والسبعون

دعوة خطرة

وكان «هانئ» قد دخل الغرفة وذهب الراهب فاتاهم بالشمع فاضاؤه وغرسوه في مشمعة ثابتة من الحائط وعاد الراهب. وكانت مريم في شاغل داخلي يتعلق بهانئ لانها احبته ووالدتها لا تعلم. وقد اوصلها الى أمها وسيرجع قريباً ولا طاقة لها بفراقه وهي تريد ان تستطلع رأي والدتها بشأنه فاذا لم توافقها على حبه كانت المصيبة كبيرة عليها. وأرادت من الجهة الثانية ان تشغلها عن حديث حسان فقالت «الا تعرفين الامير هانئاً يا أماه ؟»

فابتسمت وقالت «كيف لا اعرفه ؟ أليس هو الذي انقذنا من ذلك الامير البربري ؟»

قالت «بلى . وهو اكبر أمراء جند العرب بعد الامير عبد الرحمن . والامير عبد الرحمن يحبه ويعتمد عليه لانه امير الفرسان وهو يده اليمنى في تدبير الجيش ٠٠»

فخجل هانئ من هذا الاطراء واحب ان يعترض ليغطي خجله فلم تمهله سالمة فقالت «لم يخف عليّ شيء من شأن هذا الامير وقد صحبته في مهمة الى أسقف بوردو الا تذكرين ذلك ؟»

فانشرح صدر مريم واطمأن بالها وهمت بالتطرق الى ما وراء ذلك فسمعت دبدبة وضوضاء فتوقفت وانصتوا جميعاً ثم سمع هانئ جواده يصهل صهيلاً متواصلاً كأنه يطلب النزال فوقف هانئ وهو يقول «أرى جوادي يدعوني الى النزال وهو ينبهني الى سرعة الرجوع ٠٠٠٠»

وما اتم كلامه حتى سمعوا خطوات قادم على السطح ثم فتح الباب ودخل الراهب

رفيق حسان وكانت سالمة تحسبه سافر معه فلما دخل رحبت به ودعته للجلوس فاذا هو يهم بالكلام والبغتة ظاهرة في وجهه وكأنه أراد الكلام فارتج عليه فظنته أمسك حياءً من الحضور فقالت له بالافرنجية «تفضل يا حضرة الاب اخبرنا بما عندك وليس هنا أحد غريب»

فقال ولسانه يتلجلج «كلفني رئيس هذا الدير ان ابلغك أمراً يعز عليَّ ان اكون الرسول فيه . . .»

فخفق قلب سالمة ومريم واما هانيء فلم يفهم شيئاً لانه لا يعرف الافرنجية ولكنه لحظ من تغير الوجوه ما أقلقه — فقالت سالمة «قل يا حضرة الاب . . . وماذاك . . .»

قال «ان الدوق اود بعث بكوكبة من الفرسان بالعدة والسلاح وقد وصلوا الدير ومعهم رسولٌ يحمل كتاباً الى حضرة الرئيس يطلب منه فيه ان يبعث بك اليه . . ونظراً لما يعلمه الرئيس من دالتي عليك بعث اليَّ واطلعني على ذلك الكتاب وشاورني في شأنه فحسّنت له ان يمتنع عن تسليمك فاظهر انه يودُّ ذلك من صميم فؤاده ولكنه يخاف العاقبة وهو لا يدري لمن تكون الغلبة في الحرب القادمة وواجباته تقضي عليه ان يكون نصيراً للافرنج — ثم كلفني ان اكون انا برفقتك من قبله لأُوصي الدوق اود برعايتك واذا شئت اخذنا من الرئيس كتاب توصية بشأنك ايضاً»

وكان الراهب يتكلم ولسانه يكاد يتلعثم والتأثر بادٍ في كل حركة من حركاته وكانت سالمة ومريم متطاولتين بعنقيهما وقد شخص بصرهما في الراهب كأنهما اصيبتا بالجمود فلما فرغ من قوله قفّ شعرهما وخصوصاً مريم وكان هانيء ينظر اليهما ويقرأ تلك العواطف في وجهيهما فلما فرغ الراهب من الكلام قال هانيء «ما الخبر . .»

قالت «مريم ان الدوق اود بعث الى رئيس هذا الدير يطلب والدتي منه»

قال «وماذا يريد منها»

قالت «يطلبها اليه لغرض لا نعلمه»

قال «لا تذهب . .»

فقالت سالمة «بل ارى ان اذهب لاني لو ابيت الذهاب لاخذوني قهراً . .»

فصاح هانيء «قهراً ؟ . . يأخذونك قهراً وهانيء معك ؟ ذلك لا يكون» ووقف ويده على قبضة حسامه وقد اخذ الغضب منه مأخذاً عظيماً

ففرحت مريم بما ابداه هانيء من الحمية بشأن والدتها ولم تكن هي اقلَّ حمية منه فقالت

«كيف نسمح يا اماه ان يأخذوك اسيرة ولو كانوا الوفاً فانا ندافع عنك الى الموت ..»

فقالت «أعلمُ ذلك ولكن شروط الحرب تقضي علينا ان لا نعرض امير فرسان العرب وعمدة امرائهم لشرذمة من الافرنج وربما اصابه احدهم بنبل كما اصابوا حساناً بالامس فيذهب الامير هانئ، رخيصاً لا سمح الله وهو معوّل جند العرب وقائدهم وواسطة عقدهم فكأننا عرضنا الجند كلّهُ للخطر... فاذا كنتما تحباني اطيعاني في ما اقول ولا تخافا عليّ بأساً لاني سأسير مكرمة وسيكون معي حضرة الراهب وسأحمل من رئيس الدير كتاب توصية او نحوه بحيث لا اخشى شراً — بل ارجو ان اخدم العرب وانا هناك مالا استطيعه وانا معهم ومع كل ذلك فلا حيلة في قضاء الله ..»

فقال هانئ، «انكِ تحاولين محالاً — اكون حاضراً وتساقين انتِ اسيرة ؟ . ذلك لا يكون ابداً .. ووالله لأُعمل السيف في الافرنج ولو كانوا الوفاً ....»

فقطعت سالمة كلامه قائلة «اذا فعلت غير ما اقوله فانك تكدرني وانا اعلم انك لا تريد تكدري — ان الدوق اود يعرف عني اكثرمما تعرف انت او تعرفه ابنتي هذه — وهو لا يطلبني اليه ليسوءني ولو كان ذلك غرضه لفعله وانا سجينة عنده الى الامس . دعنا الآن من هذا البحث واتقدم اليك بشرف العرب وعز الاسلام ان تطيعني في ذلك وقد آن لي الآن ان اطلعكما على شيء جديد حفظته منذ اعوام ..» ثم التفتت الى الراهب وقالت «قل لحضرة الرئيس اني متأهب للخروج حسب امره بعد ساعة او ساعتين لغرض لي مع ابنتي هذه قبل سفري»

فحنى الراهب رأسه وخرج

الفصل الثاني والسبعون

سر جديد

وبعد خروجه نهضت سالمة واصلحت رداءها كأنها تستعد للخروج وجعلت تخطر في ارض الغرفة ذهاباً واياباً ثم وقفت الى النافذة واطلت على النهر ولبثت صامتة ومريم وهانئ ينتظران امرها ويعجبان لتلك الحركة وذلك السكوت . ثم تحولت عن النافذة واقبلت اليهما وقد تغيرت سحنتها واقطبت اسرتها وبدا الاهتمام في عينيها وذهب ما كان في محياها من

الابتسام الطبيعي وتحوّل الى هيبة وغضب . فلما رآها هاني على تلك الحال تهيب والتفت الى مريم فرآها اكثر اهتماماً منه ولكنها ألجما عن الكلام واصابها ذهول — اما سالمة فنظرت الى مريم وخاطبتها قائلة « اتعرفين من هو والدك يا مريم ؟ »

فقالت « كلاً يا اماه » وتوردت وجنتاها من الخجل وبغتت لذلك السؤال على غير انتظار ولم يكن هاني اقل استغراباً منها ولكنه ظلّ صامتاً ليرى ما يكون

قالت سالمة « اتعرفين من هي والدتك ؟ »

فازدادت مريم استغراباً وقالت « نعم هي انت . . »

ثم التفتت الى هاني وقالت « اعلم يا بنيّ اني الأتمنت على هذا السر منذ نحو عشرين سنة على ان لا ابوح به الا للقائد جند العرب بعد عبور هذا النهر ولكن قضت الاحوال ان ابوح ببعضه قبل ذلك الحين لامير هو على ما اعلم يتلو القائد الاكبر والضرورة احكام — لقد ضاق صدري عن كتمان هذا السر بعد هذا الزمن الطويل وقد استخرت روح ذلك العزيز صاحب هذا السر ان اكشفه في هذه الساعة لابنتي ولك يا هاني على شرط ان تحتفظا به حتى تبلغاه الى الامير عبد الرحمن بعد هذه الواقعة — وليس قبلها . فاصغيا »

وكانت سالمة تتكلم وهاني شاخص ببصره ومريم تكاد يجمد الدم في عروقها لفرط تأثرها من منظر امها وما شاهدته في سحنتها من المعاني التي لم ترها فيها من قبل

فقعدت سالمة واصلحت ثوبها واخذت في قص حديثها فقالت وهي توجه خطابها لمريم انت تعلمين يا مريم ان والدتك سالمة ولكنك لا تعلمين من هي سالمة هذه . وقد سألتك عن والدك فقلت انك لا تعرفينه لانه توفي وانت طفلة ولم اذكره لك قط ولم يكن احد يعرف نسبك غير ذلك الشيخ المسكين حسان وقد قتل ولو اصبت انا بنكبة لذهب هذا السر ادراج الرياح ولذلك عجلت في كشفه لصاحبه — فاعلمي يا مريم ان امك التي تسميها سالمة هي أجيلا امرأة رودريك ملك اسبانيا الذي قتله العرب في واقعة شريش منذ بضع وعشرين سنة لما جاء طارق لفتحها . وبعد ان قتل رودريك المسكين جاء موسى بن نصير فاتم الفتح حتى بلغ الى طليطلة عاصمة اسبانيا في ذلك الحين وكنت انا هناك فصالحت على نفسي بعد وفاة زوجي واقمت مكرمة وعشت في هناء ورغد كما كنت في ايامه وكانوا يسمونني ام عاصم ولم يمسني احد بسوء . لان موسى رحمه الله كان عادلاً رفيقاً يعلم كيف يفتح البلاد . ولكن مدة حكمه لم تزد على بضع سنين فوشى به الواشون حتى استقدمه الخليفة الى الشام وسجنه . وكان نصب عيني موسى

بعد ان فتح الاندلس وجمع غنائمها ان يوصل الفتح في هذه البلاد وما وراءها حتى يأتي القسطنطينية ويقطع منها الى الشام ويفتح ما في طريقه من البلاد[1] حتى يصير البحر الابيض محاطاً بالمسلمين من كل جهاته . ولو فعل ذلك يومئذ لكان هيناً على المسلمين لان البلاد كانت في ضعف والحكام في انقسام

« فلما أخذ موسى الى الشام استخلف على الاندلس ابنه عبد العزيز بن موسى (قالت ذلك وتنهدت) وكان عاقلاً حكيماً عادلاً وقد أطلعه ابوه على ما كان في عزمه من فتح هذه البلاد التي يسميها العرب الارض الكبيرة . وكنت انا لا ازال في طليطلة فلما تولى عبد العزيز ورآني وراَ بته أحبني واحببته فطلب الاقتران بي ولم اكن اطمع برجل ارفع منه مقاماً . فقبلت على ان ابقى على النصرانية فرضي ولكنه على الاسلام فوجدته كثير الشبه بمذهب اجدادنا القوط (الاريوسية) . ثم انتقل بي الى اشبيلية فاقمنا هناك بضع سنوات كان في اثنائها مثال التعقل والحزم وقد اسرّ اليّ اموراً كثيرة كان عازماً على اجرائها خدمة العرب والمسلمين اهمها فتح هذه الارض الكبيرة (اوربا) وقد كان ذلك هيناً كما قدمت وخصوصاً لعبد العزيز لانه رحمه الله كان يعامل اهل البلاد بالعدل والمحاسنة والرفق فاصبح الناس على اختلاف طوائفهم يحبونه . وشاع ذلك عنه الى اقصى بلاد النصرانية ولو طال مقامه لفتح هذه البلاد على اهون سبيل لان اهلها كانوا في انتظار من يخوّلهم حقوقهم وحريتهم ولا فرق في مذهبه عندهم . وكثيراً ما كان عبد العزيز يبين لي رغبته في ذلك الفتح وانا احرضه على اكرام الاهالي والاحسان اليهم وهو يطيعني لما يترتب على ذلك الاحسان من الكسب العظيم . وقد بذل جهده من الجهة الاخرى في جمع كلمة المسلمين من العرب والبربر وغيرهم لانه بغير هذا الاتحاد لا يستطيع عملاً

« وانه لفي هذه الآمال اذ وشى به الحساد كما وشوا بابيه واتهموه بانه طامع في الملك لنفسه وقد بنوا ادلتهم على محاسنته اهل البلاد وقالوا اني غلبتُ على عقله حتى حملته على أن يأخذ اصحابه ورعيته بالسجود له اذا دخلوا عليه كما كان يفعل زوجي رودريك على زعمهم . ومن مفترياتهم اني جملته يفتح باباً قصيراً في مجلسه الذي كان يجلس فيه حتى اذا دخل أحدهم منه طأطأ رأسه كالراكع[2] . والله يعلم انهم افتروا عليّ ذلك افتراء ولم يفقهوا سرّ الامر . ولما نفذت الوشايات به عند الخليفة لم يستوقدوه اليه كما

---

(١) نفح الطيب ١١٠ ج ١ (٢) ابن الاثير ج ٥٠

قتلوا أبيه ولكنهم دسوا له من قتله وهو في المسجد [1] والحق عليه .

ولما بلغت الى هنا شرقت بريقها ووقفت عن الكلام وهانئ ومريم كلاهما في حلم ولا يتجرأ أن على التلفظ لئلا يقطعا كلامها . فقالت وهي تنظر الى مريم وتحاول الابتسام « وكنت قد ولدتك منه وبلغت السنة الثالثة وكان يحبك حباً لا مزيد عليه خلافاً لمن ولدله من النساء الاخريات وكان لا يهنأ له عيش الا اذا قبلك وضمك الى صدره صباحاً ومساء . واذا رجع من مجلسه وأتى قصره جعل يلاعبك ويبذل جهده في ما يرضيك حتى نسيني من اجلك .

فلما عزموا نصبوه له من الحبائل وتحقق وقوع القضاء دعاني ليلة مقتله قبل نزوله الى المسجد فأتيته وانتِ على ذراعي فتناولكِ وجعلك في حجره وطفق يقبلك ويبكي بكاء مراً وهو يشهق شهيق الطفل فلم أتمالك عن البكاء معه لاني احبه حباً كثيراً لما رأيته من صدق محبته وكبر نفسه وحسن مقصده . وبعد ان بكى وودعك نادى خادمه حسانا ووصاه بي وبك ثم التفت اليّ وقال (قد أبى هؤلاء القوم الا ان يضيعوا تعبي ويفسدوا ما دبرته لدولتهم مما لم يكونوا يحلمون به . اما موتي فبقضاء الله وقدره فلا اطالبهم به بل انا اشفق على ما اضاعوه وسيضيعونه بقتلي مما دبرته لهم لاني لا أظنهم سيتوفقون الى رجل آخر يغار على الاسلام غيري ويتوفق له ما توفق لي من الاحوال الساعدة على الفتح وهي ارضاء الاهالي وجمع كلمة المسلمين وتوفر الاسباب الاخرى المؤدية الى ذلك) . ثم أشار اليك وقال (لو كانت هذه الحبيبة غلاماً لاوصيتك بتربيته لهذه الغاية ... سأموت في الغد آسفاً على الفرصة التي اضاعوها بجهالتهم ولكنني أوصيك ان تربي ابنتنا هذه تربية عربية وتعلميها ركوب الخيل ولا تخبريها من هو أبوها ولا تجعلي عربياً يعرف بها الا من توسمت فيه الغرض الذي ذكرته وتوفرت فيه الاسباب المساعدة عليه . فاذا رأيت قائداً عربياً نهض للفتح وقد ادرك العوامل الساعدة على ذلك فان هذه الفتاة له زوجة او ابنة او كما يشاء)

ولما قال ذلك أخرج من جيبه هذه الحفظة (واستخرجت هي الحفظة من جيبها) ودفعها اليّ وهو يقول : (واذا توفق المسلمون الى ذلك الرجل فانه فاتح هذه البلاد لا محالة . فاذا تمكن من الفتح حتى بلغ نهر لوار فقصّي عليه خبري واطلعيه على وصيتي وسلمي هذه الابنة له . وسلميها هذه الحفظة فان فيها ما ينفعه وينفع المسلمين)

(١) جاء في صفحة ١٤٤ من هذه الرواية انهم قتلوه في طليطلة والصواب في اشبيلية

فأخذت الحفظة وحفظتها معي من ذلك الحين ولم تفارقني يوماً واحداً ولا ساعة واحدة وانا لا اعلم ما فيها . فلما قتلوه تلك القتلة الشنيعة سامحهم الله لم يبق لي عيش في الاندلس فبرحتها ومعي حسان وعنده كل اسراري وقد كان خادماً أميناً مخلصاً رحمه الله

«وقد تولى الاندلس بعد عبد العزيز عدة امراء وأكثرهم تحفزوا للفتح ولكنهم لم يظفروا به لطيشهم وعتوهم وطمعهم . حتى اذا سمعت بعبد الرحمن وما أتاه قبل النهوض للفتح من طوافه باسبانيا وتمهيد أحكامها وعزل الضعفاء وأهل المطامع ومحاسنة أهلها وسعيه في جمع كلمة الجند من العرب والموالي قلت هذا هو الرجل المنتظر . وصبرت حتى أتى بوردو وفتحها وكان ما كان مما تعرفينه » ثم وجهت كلامها الى هاني، وقالت « فالذي أراه ان الامير عبد الرحمن هو الرجل الذي عناه الامير عبد العزيز . فريم له وهذه الحفظة (ودفعتها الى مريم) معها أيضاً . ولكن بالطبع لا يكون له شيء من ذلك الا بعد قطع هذا النهر » فتناولت مريم الحفظة وخبأتها بين أثوابها

الفصل الثالث والسبعون

الوداع

وكانت سالمة تتكلم والعرق يتصبب من جبينها ويتسرب على خديها حتى يقطر على ثيابها وقد احمرت عيناها وتوردت وجنتاها من شدة التأثر . أما مريم فانها نهضت مبهوتة وقبلت والدتها وهي تقول « أنت والدتي والحمد لله فقد أقلقني بالي بسؤالك اذا كنت أعرف والدتي فخفت ان أكون ابنة سواك — فاذاً أنا عربية ووالدي أمير عربي وأمي ملكة الاسبان ...

فقطع هاني كلامها وقد غلب عليه الفرح وسره تفويض امر مريم الى عبد الرحمن لسهولة نيله اياها على يده وقال « لا شك انك عربية الاصل عريقة في الحسب والنسب » والتفت الى سالمة وقال لها « ان حديثك ياسيدتي قد نقش على صفحات قلبي وأراك فقت العرب بحفظ الوداد ووفاء العهود وتفضلت عليهم بالحب الثمين لرجالك ونصرتهم بسعيك وفديتهم بنفسك فبورك فيك . والله لو كان في رجالنا عشرة مثلك أو مثل ابنتك هذه

لفتحنا العالم لامحالة . ولكننا مخاطون بجماعة لا يجمعهم الا الجشع وقلّ فيهم من يفهم معنى الفتح والنصر واعلاهم يفهمون الغنائم والسبايا . ونحن في كل يوم نقاسي العذاب في سبيل التوفيق بين قبائلهم وشعوبهم ولو كان أميرنا غير عبدالرحمن ما استطعنا الوصول الى هنا . فنطلب اليه تعالى ان يأخذ بناصرنا حتى نقطع هذا النهر واذا قطعناه هان كل عسير » والتفت الى مريم وضحك ففهمت انه يشير الى زواجهما ولكن قلقها لفراق والدتها شغلها عن الخجل

وكانت سالمة في اثناء ذلك مشتغلة بمسح العرق عن وجهها وكأنها أحست بحمل ثقيل زال عن صدرها بعد كشف ذلك السر لكنها التفتت للحفظة فقالت لمريم اوصيك بتلك الحفظة اعتني بها ولا تسلميها الا لعبد الرحمن الغافقي بعد عبور هذا النهر »

فقالت مريم « والآن لا بد من ذهابك الى الدوق ابدا ؟ »

قالت « نعم ولا بأس عليّ منه كوني في راحة واعلمي انك في كفالة الامير عبد الرحمن فقد اوصيته بذلك من قبل »

فتوسمت من هذه التوصية ان والدتها لاترجو اللقاء بعد هذا الفراق واحست سالمة انها تريد مراجعتها فنهضت وهي تقول « لقد آن لي اجابة طلب الدوق » قالت ذلك وضمت مريم الى صدرها واخذت في تقبيلها تكرارا وكلاهما تبكيان وهما متعانقتان متماسكتان كأنهما لا تريدان الفراق . فأثر منظرهما في هانيء حتى كاد يبكي ثم خاف عليهما فتقدم وفرق بينهما فرأى عيني سالمة حمراوين من شدة البكاء . وهي مع ذلك تنظر الى ابنتها وتبتسم ومريم تقول لها « قلت ان هانئا لايجب التفريط به لحاجة الجند اليه وانا ما الفائدة مني دعيني اسير حيثما تسيرين »

فقطع هانيء كلامها قائلا « ان الجند لا ينفع شيئا دونك »

ففهمت ان هانئا لا يريد فراقها وتذكرت شدة حبه لها فهان عليها فراق والدتها وسمعته سالمة يقول ذلك فلحظت أنه يحبها ولكنها كانت تثق بشهامته وتعلم منزلته عند عبدالرحمن وازدادت وثوقا به لما رأت عبد الرحمن اذن له ان يرافق مريم الى هذا الدير

ولما ابتعدت للخروج قالت لهانيء « اذهب أيها الامير بمريم قبل ذهابي . . . »

قال « العفو أيتها الملكة الجليلة . . . اني لا اخطو خطوة قبل ان اراك ذاهبة باكرام ورعاية والا فلا يأخذونك وفيّ عرق ينبض . . . . »

قالت « ثق اني سأذهب مكرمة وسأقيم هناك لا أقول مكرمة ولكني لا أخاف بأسا لان اود يعرف من انا وارجو ان يكون مكثي في معسكر اود هذه المرة مثمرا مثل

مكثي المرة الماضية فقد كشفت فيه سرًّا اكشف عنا شرًّا عظيماً »

قال « ربما كان ذلك ولكنني استحي من تخبئي ان اخرج من هذا الدير وحوله الجند يطلبونك فاذا كنت لا تسمحين ان اشهمهن اختك أفلا تأذنين لي ان أراك ذاهبة معهم ؟ »

قالت مريم « ان هانئاً مصيب برأيه »

قالت سالمة « فلأذهب اذاً الى رئيس الدير لوداعه فانتظراني في الحديقة ... قالت ذلك وخرجت فتبعاها فتحولت هي الى غرفة الرئيس ونزلا هما الى الحديقة وكانت مضيئة بالاقباس . وطلب هانئ من البواب ان يستحضر بالجوادين فامر فجيء بهما فدفع هانئ اليه صرة فيها دنانير فاستأنس البواب بذلك الكرم وأمر الخادم ان يحسن العناية بالجوادين . فوقف بهما وجواد هانئ يتجلى كالعروس بما عليه من العدة المتقنة وما في عنقه من القلائد والعقود . وما على عدته من الحجارة الكريمة وخصوصاً اللؤلؤة الكبيرة المصوغة على شكل النجمة فوق جبينه تلعيك بلجامه المذهب وما على صدره من سلاسل الفضة وهو أدهم شديد السواد فاصبح كأنه ليل تتلألأ فيه النجوم وكان هانئ واقفاً الى جانبه ينظر اليه نظرة والى مريم نظرة أخرى . ولم يبق احد من اهل الدير في تلك الحديقة او بقرب الباب الا وقد جاء ينظر الى الادهم والى صاحبه وكلاهما غريب عندهم . وكأن الادهم ادرك اعجاب الناس به فازداد دلالاً واخذ يضرب الارض بيمناه ويصهل ويشخر كأنه يطلب النزال او كأنه فهم من صهيل الخيول حول سور الدير انهم اعداء صاحبه فأخذ يهددهم به . اما مريم فقد كادت تنسى فراق والدتها قبل ذهابها لاشتغال خاطرها بحب هانئ وخصوصاً بعد هذه السفرة وقد تحققت انها عربية الاب ملوكية الحسب فتذكرت الحفلة فافتقدتها -- وعادت الى هواجسها

وبعد قليل سمعوا ضوضاء داخل الدير ثم خرج بعض الخدم يحملون الشموع ووراءهم جماعة من الرهبان يسيرون بين يدي سالمة ورفيقها الراهب وساروا بهما الى باب السور فمروا بهانئ ومريم فحيتهما سالمة ومشت حتى خرجت من الباب وكانوا قد اعدوا لها جواداً ركبته وركب الراهب جواداً آخر وضرب بالبوق فاجتمع الفرسان الافرنج ومشوا الى جانبيها وبعضهم الى ورائها برعاية واكرام وهانئ ومريم ينظران . واحست مريم في تلك اللحظة ان امها اقتلعت من قلبها فغلب عليها البكاء ولكنها كتمت بكاءها

الفصل الرابع والسبعون

ضوء القمر

اما هاني فبعد ان سار الركب بسالمة ركب أدهمه وأشار الى مريم فركبت جوادها تفرجا وتحولا نحو المعسكر فلما بعدا عن الدير احسا بالانفراد . وكان الليل مقمراً وقد صفا الجو وهدأت العناصر وسكن الهواء كأن الطبيعة شاركتهما في التهيب والاعتبار . فلم يسمعا الا وقع حوافر الجوادين على التراب . وكان الجوادين أحسا بما يتقد على ظهريهما من لواعج الغرام فاعتبرا وطأطأ ومشيا مشية الاحترام والحب سلطان تتطاطأ له الهام — ظل الحبيبان مدة صامتين تهيباً من منظر الطبيعة وتفكراً بما رأياه وسمعاه تلك الليلة من الامور الهامة وقد اعجبهما الاطلاع على ذلك السر فاصبح ارتباطهما بعده اوثق منه قبله . وقد علما انهما اقرب نسباً واوثق عهداً واحست مريم انها مطالبة بنصرة العرب عملاً بوصية والدها

فلما اقتربا من المعسكر رأيا نيرانه ولم تكن تظهر لهم عن بعد لتغلب ضوء القمر فاسف هاني لوصوله الى المعسكر قبل ان يخاطب مريم بشيء بعد ما عرفه من امرها . فامسك شكيمة جواده ليسير الهوينا فاقتدت به مريم وهي تتوقع أن تسمع منه شيئاً فاذا هو يقول على سبيل المداعبة « أراك صامتة يامريم الى ما علمتِه من شرف اصلك خفف شيئاً من حبك ؟ »

فاوقفت جوادها بغتة ونظرت اليه كأنها تستطلع قصده من تلك العبارة فلما رأته يبتسم علمت انه يمازحها ولكنها قالت « اذا سادت بشرف اصلي فلا فضل لي بشرف ورثته من الاجداد وانما الشريف من نال الشرف بحد حسامه كما ناله الامير هاني . . . »

فقال وقد هاجت عواطفه وهو يمسك جواده عن السير والجواد لا يطيعه « انت اذاً صاحبة الشرف طارفاً وتليداً فقد رأيت منك في واقعة دردون مايعجز عنه اعاظم الفرسان فسبحان من جمع فيك شجاعة الرجل ورقة النساء »

فقطعت كلامه وقالت « اني لم افعل شيئاً ياهاني . واذا ساعدتني الاقدار سأتفانى في انفاذ وصية ابي ولو لم اكن ذكراً كما قال فان الشجاعة لم تختص بالذكور دون الاناث . آه ياهاني . . . . » وسكتت كأنها تكتم أمراً

فنظر اليها هانئ والقمر تجاه وجهها وقد وقعت اشعته على نقابها وحوله النقاب الاسود. فلو رآها شاعر عربي لقال تقابل القمران. والحقيقة ان القمر ليس له ما في وجوه الملاح من المعاني الجاذبة والخلابة. وخصوصاً فتاتنا العربية سلالة الملكين فقد كان في وجهها فضلاً عن الجمال ملامح الهيبة والذكاء وجاءها الحب فزادها رونقاً وزاد الحب افتتاناً — فنظر هانئ الى وجهها وقد اطرقت كأنها تكتم امراً يمنعها الحياء من افشائه وتشاغلت باصلاح الشعر على عنق جوادها. والجواد مستأنس يرور ابلعها على عنقه. واراد هانئ ان يسألها عما تكتمه فاذا هو بفارس قادم عليهما من جهة دير مرتين ينهب الارض نهباً فامسك هانئ جواده وتفرس في القادم فما لبث ان علم من ثيابه انه افرنجي ورأى معه علماً ابيض فتحقق انه رسول من شارل. ولم يكن هانئ يعرف الافرنجية فلما دنا الفارس منهما امسك شكيمة جواده ومشى الهوينا. فخاطبته مريم بالافرنجية قائلة «من الرجل؟»

فقال «اني رسول من الدوق شارل الى الامير عبد الرحمن فاين هي خيمته؟»

فافهمت هانئاً ما قاله فقال «انها رسالة ذات بال والاحسن ان نسير به لنرى ما يكون»

فقالت مريم للرسول «نحن ذاهبون اليه تعال في اثرنا» ومشيا وقد انصرف خاطرها الى ما يهدد هذا الجند من الامر العظيم وتذكرت مريم حساناً لانها كثيراً ما كانت تراه قادماً بمثل هذه المهمة فما تمالكت ان قالت «مسكين حسان» وكان هانئ كله آذان لسماع اية كلمة تخرج من فم مريم فلما سمعها تذكر حساناً تذكَّر عبارة قالتها سالة في ذلك النهار عند سماعها مقتل حسان فقال هانئ «سمعت والدتك تقول لما علمت بقتل حسان انه مات ولم يرَ حفيده — فمن هو حفيده؟»

قالت «علمت من بعض ما كان يدور قديماً بين حسان ووالدتي انه كان له ابن سار في حرب لا ادري ما هي وكان لابنه غلام فقده في تلك الحرب ضياعاً وهو حفيده وكان حسان كثيراً ما يتحسر لضياع ذلك الغلام ولانه لا يعرف مقره. فلما قالت والدتي تلك العبارة ظلت في خاطري وسألتها تفسيرها بعدئذ فقالت لنا عثرت على الغلام المذكور في معسكر اود وقد صار شاباً والافرنج يحسبونه منهم ويسمونه رودريك وانها تركته في معسكر اود عند فرارها ولم تعد تعلم مقره». وكان هانئ انما اراد مباسطتها للتلذذ بالفاظها ولغتها ولم يكن يهمه امر حسان كثيراً. لكنه ما لبث ان سمع حكايته حتى اسف لفقده.

فلما اقتربوا من المعسكر امسك هانئ شكيمة جواده ونظر الى مريم فادركت انه يريد ان تنصرف الى الاخبية حيث تقيم النساء فقالت «هل اذهب الى الخباء؟»

قال « نم يا حبيبتي لتكوني هناك في مأمن حتى يقضي لنا الله بالنصر ونذهب معاً الى نهر لوار وارجو ان يكون ذلك قريباً ... »

قالت « اما اذا خيرتني فاني افضل البقاء هنا لامر اراني مسؤولة عنه مثل سؤالك او سؤال الامير الكبير ولكن الطاعة واجبة — فالآن لا ينبغي ان تنسى السرّ الذي عهد الينا بحفظه ولا بدّ من كتمانه الى حينه » قالت ذلك وافتقدت الحفظة فوجدتها

فقال هانئ « أأرسل معك بعض الخفر لا أقول لحراستك لانك في غنى عن ذلك وانما ارسلهم لخدمتك ... »

فقطعت كلامه وقالت « لا حاجة لي بالخدم يا هانئ وانا سائرة في ظلك وانتم معي حيثما توجهت » قالت ذلك واومأت برأسها للوداع وادارت شكيمة الجواد وانصرفت نحو الاخبية . فلما توارت عنه عاد الى الفارس وسارا معاً حتى دخلا المعسكر ولم يعترضهما الخفر لانهم عرفوا الامير هانئاً من ادهمه . حتى اذا وصلا فسطاط الامير ترجل هانئ وهو يستفهم من الحاجب هل عند الامير احد فقال « كان الامراء عنده منذ هنيهة وانصرفوا »

الفصل الخامس والسبعون

التراسل

فدخل هانئ واشار الى الرسول بالبقاء خارجاً وكان عبد الرحمن جالساً وقد سمع صوت هانئ قبل دخوله فصاح فيه صيحة الوالد بولده « ما الذي اعاقك يا هانئ لقد شغلت بالنا .. »

فقص عليه ما جرى لهما بعد وصولها الدير وكيف بعث اود جنداً اخذوا سالمة اليه وكيف ارادا انقاذها وهي لم ترض . ولكنه لم يذكر شيئاً من السرّ . واخبره ان مريم رجعت معه وقد توجهت الى الاخبية الى ان قال « وقد اتيتك برسول من قارله (شارل) قائد جند الافرنج انه يحمل اليك كتاباً وهو بالباب الآن . هل يدخل ؟ »

فصفق عبد الرحمن فدخل بعض الحجاب من غلمانه فقال له « ادع لنا احد المترجمين فاذا جاء ادخله مع الرسول » فخرج الغلام وظلّ عبد الرحمن صامتاً كأنه يترقب خبر جديد ولم يكن هناك شيء جديد ولكنه تنسم رائحة القتال وتصور له عظم الامر الذي هو قادم عليه . وادرك هانئ اهتمامه فترقب وظلّ ساكتاً حتى عاد الغلام ومعه الترجمان وهو من يهود اشبيلية وكان يعرف عدة لغات وللمسلمين ثقة كبرى فيه مثل ثقتهم بسائر يهود

الاندلس لانهم كانوا عوناً كبيراً لهم في فتح تلك البلاد . ثم دخل الرسول وتأدب في موقفه فسأله عبد الرحمن بواسطة الترجمان عن غرضه فقال انه قادم برسالة من الدوق شارل صاحب اوستراسيا . فقال عبد الرحمن « واين الرسالة ؟ » .

فمدّ الرسول يده الى شبه خرج معلق تحت ابطه واستخرج منه لوحاً ملفوفاً بمنديل من الحرير الاحمر وقد شدّ حول المنديل بشريط من الحرير الازرق . فتناول عبد الرحمن الرسالة واشار الى الرسول فخرج . ثم حل الشريط وفتح المنديل واستخرج ما فيه وهو عبارة عن لوح من الخشب الرقيق مكسو بالشمع وقد كتب عليه حفراً في ذلك الشمع على جاري العادة في مكاتبات تلك الايام في اوربا . فلما ظهر اللوح علم عبد الرحمن انه رسالة افرنجية بدون ان يقرأها لعلمه ان العرب يكتبون على الجلد او القرطاس او النسيج . فدفع اللوح الى الترجمان فقرأه وهاك ترجمته :

« بسم الأب والابن والروح القدس

« من الدوق شارل قائد جند الافرنج وصاحب اوستراسيا الى الامير عبد الرحمن قائد جند العرب — اما بعد فان اخي الدوق اود صاحب اكيتانيا اخبرني بما تعمدتموه من الايغال في بلاده لغير سبب يدعو الى الحرب بيننا وبينكم . فانتم انما تطلبون الفتح التماساً للكسب وقد اطمعكم في ذلك ما رأيتموه من ضعف الدين واقفوكم من جند هذه البلاد الى اليوم . وقد بلغني ما انت عليه من الشجاعة والتعقل وعلو الهمة فرأيت ان انصحك لترجع عن قصدك بدون سفك الدماء . ولا اكلفك تسليماً بل اطلب اليك الانسحاب من هذه البلاد بما تحمله من الغنائم الى حدود اسبانيا على الاقل اذ لا قبل لكم بالوقوف امامنا . هذه نصيحتي لكم واذا لم تقبلوها فموعدنا في النزال قريب والسلام »

فلما فهم عبد الرحمن فحوى الكتاب بما فيه من التهديد ظهر الغضب في وجهه لكنه امسك نفسه ونظر الى هانئ كأنه يستشيره فقال هانئ « يظهر ان الرجل مغرور بنفسه فارى ان يكون جوابنا السيف »

فتبسم عبد الرحمن وصفق فجاء الغلام فقال له « ادعُ الامراء للمفاوضة » فادرك هانئ انه لا يقضي امراً الا بالشورى خوفاً من العتب او الفشل . وبعد ساعة جاء الامراء فتلي الكتاب عليهم ففوضوا الى عبد الرحمن الجواب عليه فاشار الى الترجمان ان يكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم

« من عبد الرحمن الغافقي قائد جند المسلمين في اكيتانيا الى الدوق شارل قائد جند

الافرنج . اما بعد فقد قرأت كتابك وساءني اغترارك بنفسك مع مابلغني من علو همتك وبسالتك . فاعلم ايها الدوق اننا لم نجرد هذا الجند لفتح اكيتانيا وحدها ولكننا نهضنا لفتح هذه الارض الكبيرة . ولو لم تأت انت لملاقاتنا هنا لالتقينا بك في بلدك ثم نحمل على رومية فالقسطنطينية حتى يدين لنا العالم كله كما وعدنا نبينا — فننصح لك ان تعتبر بما اصاب اخاك صاحب اكيتانيا والا فلومك على نفسك والسلام »

ولف الكتاب وختمه وارجعه الى الرسول فحمله وعاد وانصرف الامراء الا هانئاً فظل عند عبد الرحمن وقد توسط الليل فقضيا ساعة في المداولة ثم انصرفا الى المنام

وقضيا اليوم التالي في التأهب وتدبير الشؤون . وكانا في اصيل اليوم الثالث يطوفان بفرسيهما جناح الجند الايسر اذ جاءهما بعض الطلائع بانه شاهد غباراً يتصاعد في عرض الافق بجوار دير القديس مرتين فادركا ان شارل لما وصله الجواب زحف بجنده للقتال . فصعدا الى اكمة اطلا منها فرأيا غباراً يتصاعد ايضاً من جهة الجنوب حيث معسكر اود فعلما ان الجيشين متحدان عليهم فقال عبد الرحمن «لقد آن العمل ياهانئ وهذه جنود الافرنج قادمة فينبغي لنا ان نتيقظ ونتأهب لئلا يهاجمونا على غرة . فامض الى فرسانك واجعلهم على اهبة النهوض وانا ماض الى تحذير سائر الامراء» قال ذلك وتحول فتحول هانئ في اثره ونفسه تشتاق الى النزال

على ان الجيشين لم يواصلا الزحف على العرب ولكنهما عسكرا تجاه معسكرهم وما بينهما وبينه الا ساحة القتال . فلما رأى عبد الرحمن نزول الافرنج علم انهم لا ينوون الهجوم في ذلك اليوم فبعث الى هانئ سراً وبعد صلاة العشاء خرجا من المعسكر ماشيين الى اكمة قريبة كان عبد الرحمن قد عاينها بنفسه في الامس فصعدا اليها ونظرا الى مابين ايديهما وقد طلع القمر وارسل اشعته في الفضاء فوق ذلك السهل فكشفت عن معسكرين معسكر شارل في الشرق ومعسكر اود بازائه نحو الجنوب تجاه معسكر العرب . ونظر عبد الرحمن الى مضارب ذينك الجيشين وامعن نظره ليقدر عددهم فوجدهم كثاراً يزيدون على جند المسلمين وود لو انه يلتقي بمن ينبئه عن قوة الجيشين ومعداتهما وسائر احوالهما

وكان يفكر في ذلك ويمشط لحيته بأنامله وهانئ واقف بجانبه يفكر في نحو ذلك الامر وقد تبادر الى ذهنه أن حسان لو كان حياً لكان احسن وسيلة للاستطلاع لانه يعرف لغة البلاد وعادات اهلها وهو حسن الاسلوب ذكي مخلص . فاراد ان يخاطب عبد الرحمن في هذا الشأن على سبيل فتح الحديث فرآه يتفرس في عرض الافق كأنه يرى شيئاً جديداً

فالتفت هو الى هناك فرأى شبحاً كأنه رجل يعدو من جهة معسكر الدوق شارل وعليه لباس الافرنج ولكنه لا يحمل راية ولا يظهر من قيافته انه رسول فقال هانيء « ما رأيك بهذا القادم ايها الامير »

قال « لا أظنه رسولاً فربما كان جاسوساً او صديقاً »

وما أتم كلامهُ حتى أصبح الرجل على بضعة عشر متراً منهما فتباطأ في مشيته حتى اقترب وهما لا يكلمانه فلما دنا منهما قال بلفظ عربي مكسر « أين الامير عبد الرحمن »

فقال له هانيء « وما الذي تريدهُ منه »

فأومأ باصبعه الى لسانه مع اشارة النفي أي انه لا يعرف العربية ثم اومأ انه قادم من معسكر أودباس خاص بالامير عبد الرحمن

الفصل السادس والسبعون

معسكر شارل

فالتفت عبد الرحمن الى هانيء وقال « لو قلنا له اني الامير عبد الرحمن لا يصدقنا فالافضل ان ندله على خيمتي ثم ندخلها من باب آخر ونوهمه اننا كنا هناك » فاشار هانيء بيده الى فسطاط الامير وامامه النار ومشى فتبعه الرجل ومضى عبد الرحمن من جهة أخرى حتى دخل خيمته من باب سري . ثم دخل هانيء وبعد قليل جاءه الحاجب ان شاباً افرنجياً بالباب فأمره عبد الرحمن بادخاله فادخله وعاد لاستقدام الترجمان وخيمته بقرب خيمة الامير . فلما دخل الشاب نظر اليه عبد الرحمن فاذا هو في مقتبل العمر عليه قيافة الافرنج وملامح العرب اسمر البشرة خفيف اللحية صغير العارضين من حداثة فلما جاء الترجمان أمره عبد الرحمن ان يسأله عن غرضه فسأله فقال الشاب « اني لا أخاطب أحداً غير الامير عبد الرحمن واذا كان غائباً فالامير هانيء »

فلما سمع هانيء اسمه تعجب فقال عبد الرحمن بواسطة الترجمان « انك في حضرة الاميرين معاً » . قال « اني رسول من سالمة . . . »

فلما سمعا ذلك الاسم توسما خيراً فقال عبد الرحمن « واين هي الآن ومن أنت » قال « هي في معسكر الدوق اود وأما انا فاني رجل عربي الاصل انتمي الى الامير

الى الانتظام في جند الدوق اود ولي حديث طويل قصصته على سالمة منذ برهة وخيرة وقد قبض علينا اود وسجن كلاً منا في مكان ثم افترقنا ففرّت هي من سجنها وتُطلقت انا في المعسكر ثم اشاق الدوق سراحي وأحسن الظن بي وأعادني الى خدمته . ثم علم اود من عدلان الاحول انها في دير مرتين فبعث فرساناً لاستقدامها كنت انا في جملتهم .

فقال هانيء . الملك رودريك ؟ .

فبغت الشاب والتفت الى هانيء وابتسم وقد استأنس بذلك السؤال وقال . نعم ياسيدي هذا هو اسمي .

وكان عبد الرحمن يسمع ذلك ويتعجب ونظر الى هانيء نظرة الاستفهام فقال هانيء بصوت منخفض . ان هذا المسكين حفيد حسان وله قصة تعرفها مريم .

فالتفت عبد الرحمن الى رودريك وقال . فاقصص علينا سبب مجيئك .

قال . لما رجعنا من الدير المذكور ومعنا سالمة ذهبنا بها الى خيمة باتت فيها تلك الليلة وفي الصباح التالي جاؤا بها الى مجلس الدوق وكنت في جملة الحرس الواقفين ببابه ورأيت عنده امرأة جميلة كانت جالسة بجانبه عرفتُ بعد ذلك انها ابنته لمباجة وانها كانت في معسكر العرب وفرّت الى أبيها في تلك الليلة — فلما دخلت سالمة خفتُ عليها من غضب الدوق ولكنني رأيت من اجلاله اياها واحترامه لها ما كاد يذهب برشدي وسمعتها تخاطبه بجسارة وقوة وهو يتحمل منها ويستعطفها كما يستعطف المحب حبيبه . وقد سمعته يسميها بغير اسمها ويمانيها وأخيراً أمر بإرجاعها الى خيمتها . وكانت قد لاحت منها التفاتة وهي خارجة فرأتني وعرفتني فأومأت اليّ خلسة ان اقابلها . فاحتلت في مقابلتها تلك الليلة . فلما رأتني قالت . انك عربيٌّ واولى بنصرة العرب مني .. فامض الى معسكر الدوق شارل فاستطلع أحواله وأخبر أمير جند العرب بذلك لانهم اذا عرفوا قوة عدوهم دان عليهم حربه . والحثّ عليّ بسرعة الذهاب فخرجت في تلك الساعة والمعسكران متقاربان وبتُّ في معسكر شارل وقضيت طول الامس واليوم في الاستقصاء ولما أمسى المساء فررت اليكم كما رأيتموني

فأعجب الاميران بشهامة سالمة وتذكر هانيء قولها انها ستكون في معسكر أود انفع لهم مما في معسكر العرب فقال عبد الرحمن . ما الذي عرفته من احوال ذلك الجند .

فقال . اعلم يامولاي ان قائد هذا الجند رجل شديد اسمه شارل (قارله) ابن بيبن وهو رئيس حاشية ملك نوستريا من العائلة الميروفنجيانية ونظراً لضعف ذلك الملك كان

حظ شارل من تلك المملكة دوقية اوستراسيا وراء نهر لوار . لكنه لم يقنع بالدوقية بل طمع بلبس التاج ولذلك كان اود هذا من اكبر مناقبه ولم يستنجده حتى العرب الا بعد اليأس الشديد . فلما استنجده جرَّد ما يستطيع تجنيده من قبائل الافرنج وما يمكن حمله من العدة السلاح واستقر في هذا المعسكر . . »

فقطع عبد الرحمن كلامه قائلاً «كم هو عدد جنده ؟ »

قال « لم استطع معرفة عدده تماماً ولكنني علمت انه كثير ربما زاد على ضعفي جيشكم على انني تحققت انهُ مؤلف من عدة قبائل تختلف في لغاتها وعاداتها واخلاقها وان كانت تعدُّ على الاجمال من الافرنج او الاوربيين[1] ولكنها عند التخصيص تراها مؤلفة من شعوب عديدة من جملتهم الاوستراسيون اهل البلاد الاصليين والأتويون والبروكتيون والطورنجيون والهيسيون وغيرهم وعليهم الادراع من الجلد وعلى صدور خيولهم ادراع من الحديد الثقيل . اسلحتهم السيوف الطويلة الممتدة ذات الحدين والقؤوس الحادة والرماح المستطيلة والدبابيس الثقيلة في رؤوسها حسك الحديد . والجند مؤلف من المشاة والفرسان اما الفرسان فانهم قليلون وهم وحدهم يرمون النبال . . . »[2]

وكان رودريك يتكلم باهتمام وعبد الرحمن وهانيء مصغيان لكل كلمة يقولها فلما بلغ الى هنا ابتسم هانيء والتفت الى عبد الرحمن وقال « نحن بلا ريب غالبون لان فرساننا كثيرون وقد عرفت بسالتهم وخبرت مهارتهم وفيهم الرماة وحملة السيوف والفارس العربي يعادل ثلاثة من فرسان الافرنج ولان مشاتنا فيهم الرماحة والرماة والنصر من عند الله يؤتيه من يشاء . . »

والتفت عبد الرحمن الى رودريك فرآه يتحفز للنهوض فقال له « وهل عندك خبر آخر »

قال « كلا يا مولاي ولكنني عائد الى معسكر اود بأمر سالة فهل من جواب ؟ »

قال « من أمرك بالرجوع ؟ »

قال « لمياء لعلها تطلع على أمر يهمكم من هذا القبيل فتبعث به »

فقال عبد الرحمن « اعدها سلامنا وقل لها انا حافظون لها هذا الفضل »

فنهض رودريك واستأذن وخرج ثم خرج الترجمان ومكث عبد الرحمن وهانيء برهة يتداولان في أمر الجيش فاقرَّا على الاسراع في الهجوم ما أمكن قبل ان يستعد الافرنج للدفاع . وفي اليوم التالي بعد صلاة الفجر نفخ في النفير فاجتمعت جيوش المسلمين

---

(١) ايزيدور (٢) رومي ج ٣.

فجعل عبد الرحمن المشاة في الوسط والفرسان في الجناحين وجمع الامراء على اختلاف قبائلهم فجاؤا على خيولهم وعلى رؤوسهم العمائم مكان الخوذ وقد تقلدوا السيوف . فوقف عبد الرحمن امامهم موقف الخطيب وقال « اعلموا أيها الامراء اننا قطعنا اكيتانيا كلها والظفر حليفنا ولما يئس عدونا من الفوز استنجد عدوه صاحب اوستراسيا وقد جاءنا بجنده وكفانا مؤونة الذهاب اليه وهذا معسكره وفيه كل قواته والذي نصرنا على صاحب اكيتانيا سينصرنا عليه وقد علمنا انه اضعف منا عدداً وعدداً والنصر موقوف على الصبر فاصبروا وتكاتفوا ينصركم الله فتفتحون بلاداً طالما تشوق المسلمون لفتحها ويتم على يدكم ماوعد الله نبيه من فتح العالم فيكون لكم الفخر ويخلد لكم الذكر مدى الدهر وانا واثق انكم فاعلون باذن الله والله مع الصابرين »

ولما فرغ من كلامه تقدم هانئ على ادهمه وعلى وجهه امارات البشر وقال وهو يبتسم « ان هذا اليوم يوم الموعد العظيم ستناله بالصبر والجلد . يكفينا سعادة اننا توفقنا الى امر طالما تحسر اسلافنا على الوصول اليه وسيحسدنا عليه الذين سيخلفوننا ويتمنون لو شاركونا فيه بدمائهم واعناقهم — وسترونني وانا اضعفكم عزيمة واقلكم بسالة باذلاً نفسي في سبيل الله فاذا فزنا فتحنا عالماً جديداً واذا منحنا الشهادة في الجهاد فذلك خير لنا عند الله . . » قال ذلك والعرق يتصبب من تحت عمامته والحماسة بادية في كل جارحة من جوارحه

ثم قال عبد الرحمن « فعليكم ايها الامراء ان تستحثوا رجالكم وتوصوهم بالصبر والثبات واخبروهم بالفخر الذي سينالونه بحد سيوفهم فضلاً عن الغنائم فانها اضعاف ما نالوه حتى الآن » ثم تلا من ايات القرآن ما يزيدهم حماساً وشجاعة . فتقدم كبير امراء البرابرة وقد تحمس خصوصاً بعد ان سمع بكثرة الغنائم وقال « لا يخفى على مولانا الامير ان جند البربر من اشد جنود المسلمين بطشاً واكثرهم ثباتاً في ساحة الحرب وكلهم من الرماة الماهرين فاجعلوهم في المقدمة . . »

فاراد عبد الرحمن تشجيعهم فقال « نفعل ذلك » وامر ان يتقدم البربر باقواسهم ويدعمهم العرب والفرسان في الجناحين

وكان شارل من الجهة الثانية يتأهب لمهاجمة المسلمين والمخابرات جارية بينه وبين اود في كيفية التعاون على ذلك ولكنه لم يكن يتوقع هذه السرعة . فلما اخبرته الطلائع باصطفاف المسلمين للحرب رتب جنوده صفوفاً متلاززة بشكل الكتائب فاصبحوا كأنهم

سور من الرجال واكثرهم من الجنود المحنكة وقد حاربوا تحت راية شارل غير مرة فوقفوا موقف الدفاع والرماح ثابتة من بينهم صفوفاً بعضها فوق بعض لتمنع العرب من اختراق ذلك السور المتين

الفصل السابع والسبعون

الحرب

قف معي دقيقة قبل الهجوم وانظر الى ذينك الجيشين وهما يختلفان جنساً ولغة وديناً ويتباينان مطعماً ومشرباً وملبساً ويتباعدان خلقاً وأدباً • اجتمع احدهما من اقاصي اسيا وافريقيا من أمم شتى لا يجمعهم غير الاسلام الى بلاد لم يطأوها من قبل واقليم لم يتعودوا برده ومطره • وقد رأوا امامهم رجالاً ادراعهم من الجلود وعلى رؤوسهم خوذ من الجلود وراياتهم مستطيلة وعليها شارات النصرانية • وجاء الآخر من شمالي اوربا وهم قبائل مختلفة وقد قضوا زمناً في القيام بعضهم على بعض وانما اجتمعوا الآن لدفع عدوّ غريب جاءهم بدين جديد وشكل جديد وقد دهشوا لغرابة ما بدا لهم من اصطفاف تلك العمائم المتراصة في تلك الساحة الرحبة كأنها بحر يتلاطم بالامواج يتخللها من بينها رايات متشابهة عليها كتابة لا يستطيعون قراءتها • ولو تفحصت ما يجول في خواطر ذينك الجيشين لرأيتهما متضاغنين متشاحنين يتضرع كل منهما الى ربه ان ينصره على الآخر تأييداً للحق • فاذا اعتبرت الاسباب التي دعت الى ذلك القتال لما رأيت سبباً غير الجشع الذي خُصَّ به الانسان دون سائر اصناف الحيوان • فاننا لم نسمع بسرب من الحيوان يجتمع لقتال سرب آخر من نوعه • واذا تنازع حيوانان فانما يتنازعان على لقمة يلتمس كل منهما سد جوعه بها فهما معذوران على الخصام • واما الانسان فانه يقتل اخاه على شيء لا يعبر عنه بغير الوهم بل هو لا يقدم على قتله الا على شيء وانما يطلب وهماً يعبر عنه بالسيادة او الشهرة وكلاهما لا تسدّان جوعاً ولا ترويان عطشاً

طلعت شمس ذلك النهار وهو على تقديرهم سبت من سبوت شهر اكتوبر سنة ٧٣٢ للميلاد (١) فبدأ العرب بالهجوم وأمطروا على الافرنج عارضاً من النبال وانقضوا عليهم

(١) روبي ج ٣

انقضاض الصاعقة فتلقاهم هؤلاء بالثبات والحزم ولم يتزحزحوا من اماكنهم . فانقضى النهار ولم يلتحم الفريقان الأسطحياً . وقد تقابلا وتناديا وتصايحا ولكنهما لم يتفاهما لان كلاً منهما يعدّ لغة الآخر رطانة وطمطانية — وربما كان التفاهم اقرب فيما بين خيولهما منهم — ولكنهم تعارفوا بالوجوه ولم ينفعهم التعارف لانه لم يزدهم الا ضغينة وحقداً . ثم افترقوا على ان يعيدوا الكرة في الغد

رجع هانئ وهو منقبض النفس وامر فرسانه ان يعودوا الى مضاربهم وتحوّل بادهمه مجانباً الساحة ليطل عليها من اكمة . واذا هو بفارس ملتف بعباءة قد ساق جواده نحوه فامسك شكيمة الادهم وتفرس فيه . ولا تسل عن دهشته لما رأى مريم على ذلك الجواد فخفق قلبه وصاح فيها « مريم ! ما الذي جاء بك الى هنا ؟ »

فقالت « جئت لاشاهد حبيبي هانئاً يبدد الكتائب ويفلّ الجيوش . . . »

فاحس عند سماعه قولها كأنها طعنته بحربة في صدره وحمل كلامها محمل التوبيخ لرجوعه بلا طائل وبدا التأثر في وجهه . وادركت مريم ذلك فاستدركت قائلة « لقد رأيتك تصول صولة الاسد ولكن الحرب سجال . على اني كنت اتوقع النصر لكم لو لم تجعلوا اولئك البرابرة في مقدمة الجند فهم لا يستطيعون اختراق صفوف الافرنج ولن يستطيع اختراقها الا الفرسان . فلو قدمتم فرسانك وانت معهم لبددتم شملهم لان خيالة الافرنج ضعيفة »

فرأى في قولها حكمة لانه كان يرى رأيها وقد همّ بعرضه على عبد الرحمن فابتسم ونظر اليها نظر الحب والاعجاب وقال « بورك في بطن حملك فقد عهدت فيك لطف النساء وبسالة الرجال ولكنني لم اكن اعرف فيك مهارة القواد . انا عاملون برأيك في الغد باذن الله وهو رايي أيضاً . ولكننا قدمنا البرابرة مسايرة لهم كما تعلمين حالنا معهم . . ولماذا عرضت نفسك للنبال . . . ؟ فقد كنت وانا اجول في ساحة الوغى أتصورك في الخباء تتوقعين رجوعي ظافراً . فلما رجعنا كما ترين انقبضت نفسي . . ولو رأيتك بجانبي لكانت النتيجة غير ذلك . . . »

فادركت ان عمله بوجودها يزيده بسالة ونشاطاً فقالت « فموعدنا الغد »

فقال « لا . لا تعرضي نفسك للخطر فاني اخاف عليك الخباء فكيف النبال . . »

فقالت « العلي لا اخاف عليك ذلك ؟ وهل اذا اصيب هانئ بسوء ابقى انا ؟ دعنا من هذا الآن وغداً لناظره قريب » وكانا يتكلمان وفرساهما يسيران حتى اصبحا بجانب المعسكر فهمزت جوادها نحو الخباء وهي تقول « استودعك الله الى الغد »

فما زال ينظر اليها وهي تسوق فرسها حتى توارت والظلام يتكاثف فتحول حتى اتى خيمة عبد الرحمن واطلعه على رايه فوافقه عليه وبعث الى الامراء فشاورهم في الامر فوافقوه على هذا الراي

فقضى عبد الرحمن ليله قلقاً وهو يقدر العواقب ويحسب الخاوف تجنباً للفشل وازمع اخيراً انه اذا خاف على جنده من التقهقر طلب قائد الافرنج للنزال فاذا غلبه تشدد العرب واذا غلب له فالموت خير من الحياة . واما هاني فقد كان اوسع أملاً واوثق بالنصر مع انه لم يكن يجهل شاناً من شؤون الجند يعرفه عبد الرحمن — ولكن للشبيبة آمالاً تسهل الصعاب

واصبح الصباح فاجتمع المسلمون للصلاة وتلاوة آيات القرآن ورتبوا الجند فجعلوا الفرسان في المقدمة والمشاة في الجناحين البربر في الجناح الايمن والعرب في الايسر وعبد الرحمن وهاني وسائر الحاشية في القلب . ومشت تلك الحملة نحو الافرنج وكانوا قد اصطفوا اصطفاف الامس وفرسانهم في الجناحين واخذوا في رمي النبال على العرب بسرعة وكثرة حتى كادت تحجب اشعة الشمس دون الغبار . ولكن العرب ظلوا سائرين وهم لا يبالون حتى اذا دنوا من صفوف الافرنج صاح هاني في فرسانه واطلقوا الاعنة لخيولهم واستحثوها وهو على ادهمه في مقدمتهم وقد شرع سيفه . فلم يستطع الافرنج الوقوف في وجه ذلك السيل فتضعضعوا وامراؤهم يحرضونهم ويستحثونهم . والتحم الجيشان وقد رجحت كفة النصر للعرب وهاني يزداد حماساً وبسالة حتى خيل له لما آنسه من ضعف الافرنج وتقهقرهم انه يطارد اغناماً

وهو في ذلك اذ سمع صوتاً خرق احشاءه واستلفت كل جوارحه وقائلاً يقول « لله درك ايها الامير . . » فعلم من غنة الصوت والنغمة انه صوت مريم فالتفت فرآها على جوادها وقد التفت بعباءتها واعتمت على راسها فوق الخمار ولم يبق ظاهراً من وجهها غير عينيها وحاجبيها وانفها وفمها وقد تجلت الحماسة في تينك العينين فابرقتا . واخرجت يمناها من العباءة وفيها سيف مسلول واخرجت اليسرى وفيها درقة لطيفة من الجلد واشارت بجانب هاني وخلفه والناس يفرون من بين يديها كانها قضاء نازل . فاحس هاني لما رآها في تلك الحال ان قوته تضاعفت وايقن بالفوز ولكنه خاف على مريم من نبل محبيها في مقتل . على انه اصبح بعد ما شاهده من تباشير النصر لا يخاف خطراً والانسان اذا سالمته الحوادث يظن للاقدار ابرمت معه عهداً ان لا تريبه بسوء — وظل هاني مهاجماً وهو يستحث رجاله ويتيمم بالظفر . وكان ادهمه احس بالنصر فتحمس وازداد صهيلاً وهو ينخر ويلهث والعرق يتصبب

من عنقه على صدره وقد تحلب الرغاء من فيه وتساقط على رغاء العرق تحت حزام صدره وهانيء كلما سمع صهيل جواده إزداد حماساً . ثم رأى ان يختم اسباب النصر بمبارزة شارل فطلبه بين يديه فلم يجده فجعل يتلفت يبحث عنه وهو يمتاز عن سائر الجند بقيافته ورايته والصليب على خوذته فلمحه عن بعد كأنه يجانب الامير عبد الرحمن فاراد ان يحوّل شكيمة الادهم الى هناك فسمع مريم تصيح فيه « احذر ايها الامير . احذر . . . التفت . . »

فالتفت وهو يحسبها تحذره من فارس يحاول اغتياله من الوراء فلم يرَ خلفه احداً غير بعض العبيد او الخدم من سعاة العرب الذين يطوفون ساحة القتال في اثناء المعركة لالتقاط النبال المتساقطة واعطائها الى الرماة او لاسعاد فارس سقط سيفه اوقوسه فيلتقطونه له وقد تعوّدوا المرور بين قوائم الخيل مرور السهام — فالتفت هانيء الى مريم ليستطلع سبب ندائها فرآها تسوق جوادها في اثر احد اولئك السعاة وهو يعدو امامها وفي يده خنجر يقطر دماً وما عتمت ان ادركته خارج المعركة فأطارت رأسه بحسامها فوقع يتخبط بدمه ورجعت وهانيء مندهش مما يراه فسمعها تقول له « تحوّل عن جوادك فانه مقتول وخذ هذا الجواد » قالت ذلك وهي تتحول عن جوادها

فلم يفهم هانيء قصدها ولكنه التفت الى فرسه فرأى الدم ينسكب من احشائه انسكاب الماء من القربة فانقبضت نفسه فتحوّل عنه وجاءه احد فرسانه بفرس ركبه واشار الى مريم ان تعود الى فرسها فعادت وهي تقول « قبح الله ذلك الاحوَل فقد خاصنا منه » ففهم هانيء ان الاحوَل تزيا بزي السعاة واغتال الجواد . ثم التفت هانيء الى الادهم فرآه قد سقط فاسف على موته اسفاً شديداً وتشاءم من سقوطه على ان امله بالنصر انساه الجواد فعاد الى الهجوم حالاً لئلا يتضعضع رجاله

اما عبد الرحمن فكان يراقب الجند من القلب فلما رأى تغلب الفرسان انشرح صدره واخذ يتنقل بفرسه على امراء القبائل يستحثهم ويحرّضهم ويبشرهم ويثنيهم وخصوصاً قبائل البربر لعلمه بشدتهم وشجاعتهم اذا هجموا فلا يقف في طريقهم سور ولا خندق ولا سيل

وكان شارل قد اسرّ في ضميره مثل ما اسرّه عبد الرحمن فلما رأى تضعضع جنده وقد مالت الشمس الى الاصيل اخذ يبحث عن امير جند العرب ليبارزه . فلما رآه عبد الرحمن عرفه من الراية التي كانت الى جانبه . فاقبل شارل على جواده كأنه جبل ماش وعليه درع من الفولاذ بشكل الحراشف المتراكبة تغطي صدره وكتفيه وذراعيه وتسترسل على فخذيه ومقدم ساقيه الى القدمين حتى الركابين . وعلى راسه خوذة في قمتها صليب وقد استرسل من

جانبي الخوذة وقفاها نسيج من زرد الفولاذ يغطي خديه وقفا راسه . وعلى صدر جواده صفيحة من الحديد بشكل الدرع معلقة بمقدم السرج . وقد رفع بيمناه دبوساً من حديد راسه بشكل الصليب . وامسك بيسراه راية عليها رسم الصليب وعلى الصليب رسم السيد المسيح مصلوباً . وقد اسند قناة الراية الى الركاب اليسرى

واما عبد الرحمن فكانت خوذته العمامة مثل سائر العرب وهي مع خفتها ولينها تقي الراس كما تقيه الخوذة وعلى صدره درع تحت العباءة وقد تقلد السيف والخنجر . وكان بالاجمال اخف حملاً واسرع حركة من شارل . وقلما كان يختلف في ثيابه وشكله عن سائر فرسانه . اما شارل فقد كان ممتازاً بخوذته ودرعه ورايته وجواده فعرفه عبد الرحمن عن بعد فصاح فيه صيحة اجفل لها جواده واغار عليه وسيفه مشهور بيده فتلقى شارل الضربة بدبوسه واخلى منها وتقهقر لا عن فرار فتبعه عبد الرحمن ثم خاف ان يكون في ذلك التقهقر مكيدة . فتراجع على ان يتأهب لطعنه اذا عاد اليه . واذا هو بالصياح قد علا في الجناح الايمن من معسكره بين البرابرة وعلت الضوضاء وهم يصيحون « ذهبت غنائمنا ضاعت اتعابنا . . » فالتفت فرآهم يتقهقرون ويتحولون الى الوراء فرساناً ومشاة . ورأى جيش اود هاجماً على مخازن الغنائم في الخيام [1] فاستعاذ بالله وجعل يصيح في البرابرة ان يثبتوا في مواقفهم وان غنائمهم لا تغني عنهم شيئاً فلم يلتفت احد الى قوله وبعد ان كان جند العرب فائزاً تضعضع . واغتنم الافرنج ذلك التضعضع فاعادوا الكرة ولولا هانئة وفرسانه لانكسر العرب شر كسرة

ولكن هانئاً لما علم بما اصاب البرابرة بذل جهده في تثبيت رجاله ومريم معه وقد نزعت العمامة والخمار عن راسها والقت العباءة عنها وظهرت بثوبها الشائي الاسود وقد استرسل شعرها على كتفيها وخديها وهجمت والسيف مشهور بيدها وقد انحسر كماها عن زنديها وهي تقول « عار على العرب ان يفروا كما فر البربر . إن هؤلاء يطلبون الغنائم واما انتم فتطلبون الجهاد وغنيمتكم الفخر والنصر والحسنى في الدنيا والآخرة »

وكان الفرسان يحسبونها رجلاً فلما رأوها فتاة وشاهدوا جمالها وهيبتها مع تلك البسالة والغيرة خيل لهم انها ملاك نزل لنصرتهم من السماء فتحمسوا وثبتوا في هجومهم وصمموا على التفاني اجابة لندائها ونداء هانئ . ولكن الظلام فصل بين الجيشين فتمنع في الابراق فتراجع كل منهما الى معسكره

---

(١) رومي ج ٣

الفصل الثامن والسبعون

بعد المعركة

فلما تراجع الجيشان طلب هانيء مكان عبد الرحمن فلم يجده. فسأل عنه فلم ينبئه احدٌ بخبره فاركض فرسه للبحث عنه هنا وهناك فلم يقف له على اثر. فأمر فرسانه بالرجوع الى اماكنهم وترجل هو ومريم عن فرسيهما وجعلا يطوفان المعركة يتفحصان القتلى على نور الشفق. ثم طلع القمر فأضاء تلك البقعة المغطاة بجثث الناس وفيهم المائت والميت والجريح والعاجز وبينهم الافراس في نحو ذلك بين صهيل وشخير وانين وزحير. فتفقدا كل مكان فلم يجدا عبد الرحمن — واذا هما بصهيل يشبه صهيل فرسه عن بعد فأجفلا واستبشرا فالتفتا الى اطراف تلك الساحة فرأيا في بعض جوانبها مما يلي الجنوب فرساً واقفاً وهو يصهل ويفحص الارض فصاح هانيء «هذا فرس الامير» واسرع اليه ومريم تتبعه حتى اتى الجواد فرآه واقفاً وامامه شيخ ملقى عرفا حالاً انه عبد الرحمن. فاسرع هانيء اليه وجسَّه فاذا هو جثة هامدة وقد استلقى على ظهره وبسط ذراعيه وعيناه شاخصتان نحو الشرق كأنهما تستقبلان نور القمر عند طلوعه. وشاهدا سهماً مغروساً في عنقه فعلما انه سبب وفاته. فجثا هانيء عند راسه وصاح «وا أسفاه عليك يا اميري ووالدي ويا اخي ويا نصيري بل يا نصير المسلمين ... ولكنك فزت بجنات النعيم لانك قتلت مجاهداً فعسى ان أُلحق بك عاجلاً ..»

وكانت مريم واقفة تنظر الى تلك الجثة وتاسف لقتل ذلك القائد لكنها كانت تتعزى ببقاء هانيء حياً وهي ترجو له النصر فاذا فاز بالفتح اصبح اكبر قواد ذلك الجند. وقد تنبَّهت من تمنيه اللحاق عاجلاً بعبد الرحمن فقالت «دعنا من الندب فانه أليق بالنساء وهلم بنا الى المعسكر تدبّر شؤون الجند قبل الفشل واذا فزنا في واقعة الغد ونحن فائزون ان شاء الله ففي ذلك تعزية عن كل خسارة» فاستصوب هانيء قولها وقال «فلا بدَّ لنا من دفنه»

قالت «متى وصلنا المعسكر ارسلنا من يأتي بالجثة ثم تصلون عليها وتدفنونها ..» قالت ذلك ومشت وهي لا تزال مسترسلة الشعر مكشوفة الذراعين لاتبالي بما يرافق صفاء ذلك الليل من برد الخريف. ومشى هانيء والسيف يجرُّ وراءه وقلبه في شاغل تتنازعه عوامل الفشل والاسف والامل وتتقاذفه عواصف الحب والوجد ومريم تسير الى جانبه وهي في مثل حاله وقد وليا وجهيهما نحو المعسكر وساحة المعركة الى يمينهما ومعسكر اود الى يسارهما وليس

«فقضيا برهة يمشيان وهما صامتان من الدهشة والاستغراب ثم تكلم هاني» قائلاً « ما الذي اراه ؟ . . ابن ذهب الجند ابن الخيل ابن الخدم أتظنينهم ذهبوا نحو الاخبية ليجعلوا هذا النهر الصغير ترساً لهم في الدفاع . . »

قالت « ربما فعلوا ذلك . هل نذهب الى الاخبية ؟ »

قال « نذهب . . » وخرجا من بين الخيام كأنهما خارجان من خربة حتى عبرا النهر الصغير الى الاخبية فلم يجدا فيها انيساً . فقال هاني « اذا فرضنا ان البربر جبنوا وفروا فاين العرب بل ابن النساء والاولاد ؟ . ما اسرع نهوضهم وفرارهم ! يظهر ان وجود عبد الرحمن وحده كان جامعاً لهم . . فلما مات ماتت قلوبهم . . »

ثم اطرق حيناً لا يتكلم وقلبه يكاد يتقطع حنقاً ويأساً لا يدري ماذا يقول وقد حدثته نفسه بامور كثيرة اكبر ان يذكرها . وكانت مريم تسير بجانبه لا تقول شيئاً وهي تكتم امراً اخرت التصريح به حتى تسمع رأيه قبلاً . وبعد المسير مدة على هذه الصورة بين الاخبية والخيام وكل منهما غارق في افكاره يعثر بالاطناب والأوتاد قال هاني « يجب علينا قبل كل شيء ان نواري جثة اميرنا رحمه الله لئلا تذهب فريسة العقبان او يمثل بها الاعداء » قال ذلك وتحولا نحو ساحة المعركة فعرفا مكان الجثة من صهيل الجواد فتعاونا في حملها على الفرس الى حفرة في مكان منفرد وضعاها فيه وغطياها بالتراب ولم يفه احد منهما بكلمة . فكان لذلك الدفن على بساطته هيبة ووقار بما كان يضطرم في قلبيهما من نيران الحزن والاسف الصحيحين غير نيران الحب ولواعج الغرام

الفصل التاسع والسبعون

اللقاء الدائم

فرغا من الدفن وهما صامتان وكان القمر قد تكبد السماء واصبح نوره مثل نور النهار فقالت مريم « وما العمل يا هاني ؟ »

فتنهد وقال « لو كان معي خمسون رجلاً لهاجمت بهم هذين المعسكرين . . . على ان وحدتي لا تمنعني من الهجوم ولو كان فيه فنائي ولكنني اخاف على مريم اذا انا قتلت ان يلحق بها عار او اهانة . . »

فالتفتت اليه وقالت « هل تبقى مريم بعدك ؟ ذلك لا يكون وقد قرأت وصية والدتي (وتنهدت) فانها تحبب الي اللحاق بها الى دار الآخرة ولا اشك بانها هناك الآن . . فاذا كنت تحب مريم وتريد ان تأمن على حياتها وعزها اسمح لي ان الحق بوالدتي اذ لا فائدة من بقائي . واما انت فان الاسلام يحتاج اليك والملة تفتقر الى سيفك وذراعك . . »

فلما سمع كلامها هاج فيه غرامه حتى انساه موقفه فقال « ان الملة مفتقرة الى مثلك اكثر من افتقارها الى مثلي . انتِ ابنة الملكين وقد حزتِ فضائل الجنسين . . ووالله لو صبر اولئك الجبناء الى الغد وكنتِ انتِ رائدهم في حومة الوغى لفازوا وقطعنا نهر لوار . . آه من هذا النهر . . . لقد امتنع علينا عبوره فامتنع ابتهاجنا . . . انطيعيني يا مريم ؟ »

قالت « اني اطوع لك من بنانك — الا اذا اردت بقائي بعدك »

قال « لقد فشل جندنا وفر من بقي منهُ حياً وفي الفرار بقاء ترتاح له نفس الجبان . وقد اجتمعنا الآن ولا رقيب علينا وكلٌ منا يودُّ البقاء من اجل صاحبه ولا بقاء الاَّ بالفرار ونفسي تأبى ذلك . ولا يخفى عليك يا حبيبتي ان فؤادينا قد ذابا تطلعاً الى اليوم الذي نقطع فيه ذلك النهر لان في قطعه اجتماعنا الذي يمنعنا من الاجتماع فيه الآن ؟ . . »

فقطعت كلامه قائلة « في جوفه

فقال « بل في قلبي [illegible] ولا كيف نكون » قال ذلك ووثب حتى ركب جواد [illegible] وراءه واركض الفرس وهي متمسكة بعباءته واتجها نحو نهر لوار خارج مدينة تورس حتى وصلا الى ضفة من الرمال تتكسر عليها مياه النهر بعد تموج ضعيف وسطح النهر يتلألأ في ضوء القمر ويتلون فترجلا عن الفرس واطلقا له العنان فعاد الى المعسكر . وظلا هناك منفردين والجو هادئ ساكن لا يسمع فيه غير خرير الماء ونقيق الضفادع . فخلعا نعالهما ومشيا على الرمل المرطب بالماء ونزع هانئ عمامته وعباءته فاصبح حاسر الراس والذراعين مثل مريم وله ضفيرة كانت العمامة تغطيها فاسترسلت مثل ضفائر مريم . فمشيا على الرمل حتى اصبح تكسر الماء يصيب كعبيهما فوقفا هناك ومدَّ هانئ يديهِ الى مريم فقبض بهما على يديها . فاحس ببرودتها ولينها ولم يشعر بقشعريرتها لاشتغاله بقشعريرته . فضغط على يديها بكلتا يديهِ فارتعدت فرائصها جميعاً . ولم تعد مريم تستطيع الوقوف لاصطكاك ركبتيها فاسندت رأسها بيسراها على كتف هانئ فاسكرتها رائحة قرنه كما اسكرته رائحة طيبها ولامس شعرها وجهه واشتبك بعضه بشعر لحيته فاحسَّ بقشعريرة دبت في جسمه دبيب النمل بين اللحم والعظم . وخاف

لشدة تأثره ان تخونه قدماه فيقع فابقى يسراه قابضة على يمناها وادار يمناه الى كتفها وتساندا وهما صامتان والهوى يتكلم · ثم رفعت راسها عن كتفه ونظرت في وجهه وعيناها قد ذبلتا من شدة التأثر وغشيهما الدمع وقالت بصوت تختنق «أتحبني يا هاني، ··؟»

فأعاد يده الاخرى فامسك يمناها بيديه وادناها الى صدره وقد غلب عليه الحب ونسي مواقف القتال وقال «نعم احبك ·· احبك ···»

قالت «آه ما ألطف الحب والذه ···»

قال «لا لذة له بغير الاجتماع — هل في الدنيا اثنان يتمتعان بالذ مما نحن فيه الآن؟ ضميني يا مريم ياحبيبتي ·· ضميني الى صدرك ··· الا تشعرين بخفقان قلبي؟· اني اشعر بدقات قلبك» قال ذلك واحدى يديه فوق كتفها والاخرى قابض بها على يدها

اما هي فرفعت بصرها الى السماء فرأت القمر مشرقاً اشراقاً باهراً وعلى وجهه يشبه رأسين متقاربين كأنهما حبيبان يتعانقان فقالت «إني أرى صورتنا ارتسمت على وجه القمر ··· انظر يا هاني، ألا ترى وجهين مثل وجهينا هناك؟»

قال «لا أرى في الدنيا من يشبهنا ولا من حاله تشبه حالنا ··»

وكانت مريم قد جفت دمعتها فلما سمعت قوله تذكرت حالها فقالت وهي تمص ريقها «ان حالنا عجيبة ياهاني، ··· تمنينا الاجتماع وسعينا فيه فامتنع علينا فلما التقينا ساءنا الاجتماع خوفاً من الفراق ·»

فاجابها وبصره شاخص في وجهها وقال «اني لا أرى ما يشفي غليلي بعد طول التحسر الا ان نجتمع اجتماعاً متواصلاً لا يتخلله فراق ··· ولا يكون ذلك الا بالموت معاً ··· هل تموتين معي يامريم؟·»

فالتفتت اليه ويدها ملتفة بيده الى الكتف وعيناها ذابلتان ولو لم تتكلم هي لتكلمتا ثم قالت «الموت معك حياة ياحبيبي ·· ياحبيبي ·· آه ما الذ هذا اللفظ بفمي وكم كنت التذ بتكراره في خلوتي واتحسر على سماعه من فيك ···»

قال «صدقت ··· ولا يعرف لذة هذا اللفظ غير المحبين · وقد كنا من حبنا المتبادل نتمتع بهذا اللفظ لاننا مقيدان بعهود لا تجيز لنا ما رواه، ولو كتب لنا الدهر وقطعنا هذا النهر لكان اجتماعنا اطول ودائرة ملذاتنا اوسع ·· على اننا لم نكن مع ذلك نأمن الفراق ونكد العيش والدنيا تأتي بالعجب العجاب ·· اما الآن فاذا متنا متعانقين فكأننا عشنا الدهر معاً ولم ينغص عيشنا فراق»

قالت « عجّل اذاً ولا تطل بنا الوقوف لئلاً يحدث ما يحرمنا هذه السعادة » قالت ذلك ومدت يدها الى جيبها واستخرجت الحفظة ونظرت اليها لحظة ثم قبلتها وضمتها الى صدرها وبكت وهي تقول « اماه ... يا اماه ... والهفي عليك ما كان اشقاك .. قضيت العمر في التكتم والستر والحذر . ثم ذهبت قتيلة ذلك السر محافظة على عهد حبيبك واكراماً لوصيته . ولو عرفتُ ذلك من قبل لاستغربت منك هذا التعلق .. واما الآن فقد ذقتُ طعم الحب فلا الومكِ . بل انا فاعلة مثل فعلكِ . وها انى عاملة بوصيتكِ »

ثم اعادت الحفظة الى جيبها وهي تقول « هذا سرك ذاهب معنا الى غياهب الابدية »

وكان هانىء يسمع كلامها وهو يراعي حركات شفتيها وعينيها ويشاركها بكل جارحة من جوارحه . فلما فرغت من قولها اشار بعينيه الى جسمها الغض وقال لها « اليس غبناً ان تذهب هذه الاعضاء طعاماً لاسماك البحر »

فقطعت كلامه قائلة « ذلك خير لها من ان يفترسها وحوش البر الذين يسمون انفسهم بني الانسان .. عجّل يا هانىء قبل ان يغلب علينا حب البقاء ... »

فمد يده ومدت يدها وتخاصرا من جانب وتماسكا من الجانب الآخر ومشيا على الرمل حتى غرقت اقدامهما في الماء فاستمرا يسيران وبانزلاق الرمل تحت الاخمصين . وكانا كلما تعمقا في الماء ازدادا تعانقاً بملء الاذرع وازدادا تجاذباً حتى اصبحا كانهما جسم واحد وغطسا في الماء وكلٌّ منهما يتلذذ بذكر اسم الآخر . وبعد دقيقة عاما فبدا بعض الرأسين والشعر سابح على سطح الماء ثم غطسا الى قاع النهر ولا يعلم مصيرهما الا الله

اما جيش الافرنج فانهم اصبحوا في اليوم التالي وهم يتوقعون هجوم العرب عليهم فرأوا الارض قفراً والخيام خالية فاستولوا على ما كان باقياً فيها من الغنائم (١) وكان ذلك آخر عهدهم بالعرب هناك على ما دونه التاريخ

تمت الرواية

---

(١) رومي ورينو

السنة الثالثة عشرة

من أول أكتوبر سنة ١٩٠٤ الى أوغسطس سنة ١٩٠٥

الهلال

مجلة علمية تاريخية صحية أدبية

سنتها عشرة أشهر

وعوض عن الشهرين الباقيين بكتاب تهديه للمشتركين في آخر السنة

تصدر مرة في الشهر

لمنشئها

جرجي زيدان

قيمة الاشتراك ستون قرشاً بالقطر المصري و ٢٠ فرنكاً في الخارج تدفع مقدماً

AL-HILAL

Scientific & Literary Arabic Review

Edited by

G. ZAIDAN *M. R. A. S.*

SUBSCRIPTION; 16 SH. OR 20 Frs. PER ANNUM

From October 1904 — August 1905

AL-HILAL Printing office, Fuggalah Cairo, Egypt

الهلال

الجزء الأول من السنة الثالثة عشرة

١ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٤ و ٢١ رجب سنة ١٣٢٢

صدور الهلال

مرة في الشهر

نشرنا في الهلال التاسع عشر من السنة الماضية ما شكاه الينا قراء الهلال من ضيق صفحات الجزء الواحد منه عن استيعاب المقالات الضافية مع تكاثر المواضيع والابواب وانهم طلبوا الينا ان نزيد صفحاته حتى يكون فيه متسع للكتابة في سائر ابوابه وقلنا ان الاجابة على ذلك الاقتراح تكون اما بزيادة صفحات الجزء الواحد ملزمة او ملزمتين على ان نزيد بدل الاشتراك بنسبة ذلك . او ان نضمّ جزئي الشهر الواحد في جزء يصدر في اول كل شهر ونبقي بدل الاشتراك على حاله . وقد طرحنا هذين الوجهين لحضرات القراء للنظر فيهما ريثما تدخل السنة الثالثة عشرة من الهلال على ان ننظر في ما يرد علينا في هذا الشأن ونعمل بما يوافق استحسانهم

وقد وردت علينا كتب عديدة فضلاً عمن خاطبنا شفاهاً في هذا الشان وقد استحسن الأكثرون الوجه الثاني اي ان يضمّ الجزءان معاً و يصدران في اول الشهر . فلم يسعنا الأ العمل بالاكثرية وان كنا في الحقيقة نفضل الوجه الاول جرياً على سنة الارتقاء التي سار الهلال عليها من اول نشأته

فالهلال يصدر منذ الآن مرة في الشهر وصفحاته ثمانون صفحة ولا تزال سنته عشرة اشهر و يعوّض عن الشهرين الباقيين بكتاب يقدم للمشتركين في آخر السنة . وبدل الاشتراك باقٍ على حاله . وسنبذل اقصى الجهد في انتقاء المواضيع المفيدة على ان نستوفي البحث فيها بقدر الامكان والله حسبنا ونعم الوكيل

اشهر الحوادث واعظم الرجال

حرب القريم

بين الدولة العلية والروس

سنة ١٨٥٤ – ١٨٥٦

كثر تحدث الناس في هذه الاثناء بحصار بور ارثر وامتناعها على اليابانيين في الحرب الجارية بين الروس واليابان . فاذكرنا ذلك حصار سباستبول في اثناء حرب القريم باواسط القرن الماضي فرأينا ان نذكر تاريخ تلك الحرب للمقابلة بينها وبين هذه والتاريخ يعيد نفسه

﴿ روسيا سنة ١٨٥٢ ﴾ اصيبت اوربا في اواسط القرن الماضي بنكبات داخلية وخارجية وثورات متوالية هزت عروش ملوكها واضعفت عزائم جيوشها وافرغت خزائنها . فالفرنساويون نكبوا بنزول الدولة الاورليانية سنة ١٨٤٨ ثم قيام الدولة النابوليونية والنمسا اضطر ملكها فرديناند الى الاستقالة من منصة الملك وتسليم الصولجان لابن اخيه فرنسيس يوسف . واصيبت بروسيا بنحو ذلك الانقلاب حتى اضطر ملكها فريدريك وليم الرابع للوقوف حاسر الرأس على شرفة قصره في برلين بين ضجيج الثائرين والبابا بيوس التاسع أُخرج من رومية ولم يرجع الأَ بمساعدة فرنسا . ويقال نحو ذلك في الولايات الجرمانية وغيرها . وبالجملة فقد كانت عروش اوربا في اضطراب وضنى الأَ روسيا فانها كانت في راحة وطمأنينة لنجاتها من ثورة سنة ١٨٤٨ حتى بولندا مع رغبتها في اغتنام الفرص لخلع نير الروس ظلت هادئة في ظل القيصر . فغلب على اذهان رجال السياسة يومئذٍ ان روسيا اقوى دول اوربا واثبتها واغناها واصبح ملوك اوربا يستنجدونها في تخفيف ويلاتهم ولولا جيوشها لم تستطع النمسا تأييد سلطانها على المجر . وكانت قوتها تتعاظم ونفوذها يتسع منذ تولاَّها القيصر نقولا الاول

﴿ القيصر نقولا الاول ﴾ هو ابن بولس الاول تولى الملك سنة ١٨٢٥ وهو في



القيصر نقولا الاول

حدود الثلاثين من عمره واظهر في مدة حكمه حزماً وسياسة وبطشا . وكان طويل القامة جميل الطلعة مع هيبة ووقار تجلي في محياه البسالة والقوة . وكان قوي الارادة مثل اكثر رجال اسرة رومانوف وكان شديد التعلق بالجندية وتنظيمها على ان يتولى ذلك بنفسه . ومما زاده اختباراً وعلماً انه سافر الى اوربا وتعهد كثيرا من احوالها وقد زار انكلترا سنة ١٨٤٤ وكان لتلك الزيارة شأن في مستقبله وتأثيرٌ على مخيلته . وذلك ان الانكليز عرضوا له جيوشهم وهي يومئذ اقل عددا واضعف قوة مما كانت عليه قبلاً فغلب في اعتقاده ضعف الدولة الانكليزية وقلة جيوشها وترتب على هذا الاعتقاد استخفافه بها عند انتشاب حرب القريم كما سيأتي

﴿ سياسة روسيا ﴾ من الامثال الروسية القديمة ان الروسي يقعد على شاطئ البحر ينتظر المد والجزر . وفي ذلك اشارة صريحة الى صبر الروس في انتظار الفرص واغتنامها وكذلك شأن قياصرتهم من اقدم ازمانهم واذا كان في نفوسهم امر ولم تمكنهم الفرصة من نيله عهدوا به الى خلفائهم . ومن هذا القبيل ما يتناقله الناس عن بطرس الاكبر ووصيته . وخلاصة ما تنطوي عليه تلك الوصية (١) اخراج الاتراك من اوربا (٢) توسيع املاك روسيا جنوباً ٣ تأييد نفوذ الروس على امارات الدانوب . وهي مشروعات

شاقة يقتضي لها صبر طويل . وكأن خلفاء بطرس تربصوا على الشاطئ في انتظار المد الى ايام نقولا الاول فلما رأى دول اوربا في ما تقدم من التضعضع والاضطراب استبشر بدنو الفرصة المناسبة وانه اذا عزم على انفاذ الوصية لا يرى من تلك الدول معارضة لاشتغال كل منها بنفسها فضلاً عما بينه وبين بعضها من التحالف — الا انكلترا فقد كانت بالمرصاد لكنه كان يعتقد ضعفها للاسباب التي قدمناها . على انه رأى ان يجتذبها اليه او يكتسب حيادها فاجتمع في ٩ يناير سنة ١٨٥٣ بسفيرها يومئذ السير هملتون سيمور اجتماعاً طويلاً صرح له في اثنائه بمقاصده وكان السفير المذكور شديد الاحترام للقيصر فاصغى له وسعى في تنفيذ غرضه وذلك ان توافقه انكلترا على رأيه في انفاذ وصية بطرس الى ان قال القيصر « فاذا وافقتني انكلترا فانا في مأمن من سائر دول اوربا ولا يهمني ما قد يكون منهن » ثم استأنف الحديث عن المملكة العثمانية وبين انها في اضطراب واختلال وقد اخذت في الانحلال وانه لا ينبغي لدولة من دول اوربا ان تعمل عملاً في هذا السبيل الا بالاتفاق مع الدول الاخر الى ان قال « وبين ايدينا الآن رجل مريض قد تمكن منه الداء ومن ضعف الرأي ان يفرّ من قبضتنا قبل الفراغ من الوسائل اللازمة للاتفاق فيما بيننا بشأن تركته ومع ذلك فليس هذا وقت البحث في هذا الموضوع » وعاد القيصر بعد بضعة ايام الى مخاطبة السفير وصرح له في هذه الجلسة بحقيقة غرضه فقال انه ينوي حل المملكة العثمانية ويرجو من انكلترا ان لا تعرقل مساعيه في هذا السبيل وانه لا يدري لماذا لا تكون مصر مستعمرة انكليزية وكذلك كريد . فاجاب سيمور انه يأسف لعجزه عن مجاراة القيصر في غرضه لان انكلترا تعتبر بقاء المملكة العثمانية ضرورياً لسلام اوربا فضلاً عن ان امتداد سطوة الروس على الدانوب ودخول الاستانة في حوزتها رأساً او ضمناً يعد اجحافاً بحقوق سائر الدول وان الاولى معالجة هذا المريض حتى يشفى . فتظاهر القيصر حينئذ بعدوله عن ذلك الرأي وهو يضمر الاصرار على نيل غرضه بطرق أخرى

(حماية المسيحيين في الشرق) ولا يخفى ان في المملكة العثمانية عدداً عظيماً من المسيحيين واكثرهم من تابعي الكنيسة الارثوذكسية التي يعتبر القيصر رئيساً عليها وقد ورد في غير معاهدة بين الدولة العلية والروس اعتراف الباب العالي لقيصر الروس اعترافاً مبهماً يخوله الدفاع عن حقوق المسيحيين الارثوذكسيين في المملكة العثمانية او حمايتهم مما قد ينتابهم من الشدائد ليس لان الحكومة العثمانية تضطهد رعاياها المسيحيين ولكن بالنظر لضعف بعض الولاة كان ينهض بعض المتعصبين من المسلمين على اهل

الطوائف الاخرى وبسيئونهم فاغتنم القيصر تقولا هذه الفرصة وطلب من الباب العالي ان يعترف له صريحاً بأنه حامي حمى النصرانية في المملكة العثمانية • فرأت الدول في هذا الطلب اجحافاً اذ يكون القيصر بذلك حاكماً على مسيحي المملكة العثمانية وستكون تلك الحماية باعثاً على حل الحكومة العثمانية وقيام الروسية مكانها

واتفق في أثناء ذلك قيام اهل الجبل الاسود وهم ارثوذكسيون تحت رعاية الدولة العثمانية ويقال ان قيامهم مبني على دسائس روسية فثاروا على حكومتهم وطلبوا الحاق كنائسهم بكنيسة روسيا بدلاً من كنيسة الاستانة • فبعث الباب العالي جنداً تحت قيادة عمر باشا القائد الشهير لاخماد ثورتهم خوفاً من امتدادها الى ما جاورها من الولايات السلافونية وتداخلت النمسا في الامر حسداً من روسيا على ما قد تناله بسبب تلك الثورة من التداخل بحجة حماية المسيحيين واشارت على السلطان مشورة اخمدت بها تلك الثورة ولم تترك للروس سبيلاً للمداخلة

وكان نابوليون الثالث من الجهة الاخرى واجداً على القيصر لانه استخف به في بعض الاحوال • فلما رأى ما يتمتع به من حماية المسيحيين الارثوذكسيين في المملكة العثمانية ولو بالاسم حدثته نفسه ان يطلب حق حماية الطوائف المسيحية التابعة لكرسي رومية • فبحث في دفاتر المعاهدات القديمة فوجد معاهدة من زمن فرنسيس الاول تقضي المساواة بين المسيحيين التابعين للكنيسة اللاتينية والتابعين للكنيسة الارثوذكسية في حقوقهم بالنظر الى القبر المقدس • فطلب من الباب العالي ان يعترف له بتلك الحماية فغضب القيصر لهذا الطلب وبعث الى السلطان عبد المجيد يومئذ سفيراً يطلب اعترافه بحماية المسيحيين الارثوذكسيين اعترافاً صريحاً • ولكنه ارسل في تلك السفارة البرنس منتشيكوف وهو رجل شديد اللهجة فظ العبارة تجاه الاستانة والامور الخارجية الى فؤاد باشا الوزير الشهير فلم يشأ منتشيكوف ان يخابره وانما طلب مقابلة السلطان رأساً فآلت مهمته الى الفشل وعاد بجواب الرفض

(اشهار الحرب) خرج البرنس منتشيكوف من الاستانة وهو يهدد ويتوعد فلما بلغ رسالته أمر القيصر بثمانين الف يقطعون نهر بروت الفاصل بين املاك روسيا وولايتي الفلاخ والبغدان ويقيمون هناك حتى يسلم الباب العالي بطاليه • فقال له احد كبار رجاله يومئذ • ان هذا العمل عبارة عن اشهار الحرب • فقال القيصر • لا يتجرأ أحد على محاربتي الا اذا كانت انكلترا معه وانكلترا لا قدرة لها على الحرب • على انه تيقظ وتأهب للعاقبة فبعث الى

رعاياه بالمنشورات يحرضهم فيها على نصرة المسيحيين في الشرق وانه انما يحارب الآن لصيانة النصرانية وانه يسحب جيوشه عن الحدود حالما يتعهد له الباب العالي بصيانة المذهب الارثوذكسي

وكانت حكومات اوربا فضلاً عن اشتغالها بشؤونها لا ترى الحرب . وكانت تود ان تبني جسراً من الذهب يرجع عليه الروسيون عن عزمهم .. فكتبت انكلترا وفرنسا والنمسا وبروسيا كتاباً مشتركاً بعث به الى القيصر طلبت اليه فيه ان يخفف من مطاليبه . فأبى . فلما رأى الباب العالي اصرار الروس على الحرب نشر مثل منشورات القيصر في رعاياه وفي ٤ اكتوبر سنة ١٨٥٣ اعلن الحرب رسمياً . وكانت انكلترا وفرنسا قد تحالفتا والقيصر لا يعلم ولا يكاد يصدق امكان تلك المحالفة لما يعلمه من العداوة المتأصلة بين هاتين الدولتين من أيام نابوليون الاول — فكيف يحالف الانكليز ابن اخي نابوليون عدوهم الألد و يستعينون به على القيصر تقولاً ان حليفهم و نصيرهم في قهر ذلك العدو . ولا غرو اذا وقع ذلك التغير موقع الاستغراب لدى القيصر فانه ملك مطلق يقود مملكته بعواطفه وارادته وليس كذلك الملوك المقيدون فانهم يقودونها بارادة الشعب ولو خالفت عواطف الملك أو ارادته . وأما بروسيا فظلت على الحياد وكذلك النمسا

وفي ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٥٣ امضيت المعاهدة بين انكلترا وفرنسا والباب العالي ان يساعداه على روسيا بالقوة العسكرية اذا لم يصغ القيصر لتوسطهما وأخذت الدول الثلاث في حشد الجنود وارسالها الى الحدود



عمر باشا

سارت الجنود العثمانية بقيادة عمر باشا فالتقت بالروس في اولتينزا على الدانوب (الطونة) وكانت الغلبة للعثمانيين مع قلة عددهم فازدادت الدولتان رغبة في نصرتهم فبعثتا بالاساطيل الى البوسفور ومنها الى البحر الاسود والمخابرات بشأن التسوية كانت مع ذلك لا تزال جارية . فاعترضت روسيا على دخول الاساطيل الى البحر الاسود ولما لم تر اصغاء عمدت الى القوة فبعث اسطولها عمارة عثمانية في مينا سينوب على شواطئ البحر الاسود فحطمها وقتل كل رجالها بعد ان دافعوا دفاع الابطال — وما اشبه ذلك بما فعله اليابان في بداية هذه الحرب بالدوارع

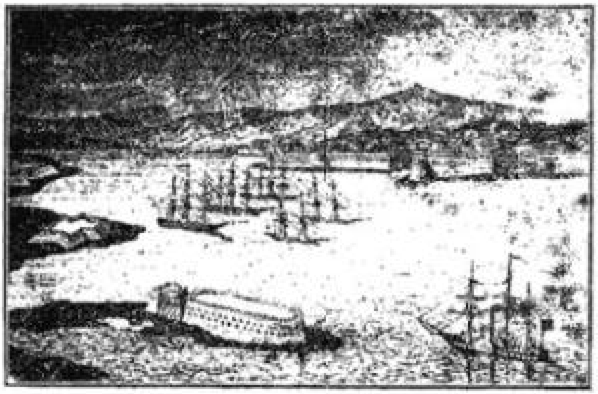
الروسية في مينا شمولبو . واختلف السياسيون في واقعة سينوب كما اختلفوا في واقعة شمولبو فعدها بعضهم قانونية وقال آخرون انها تعدٍّ لان المخابرات كانت لا تزال جارية لحل المسألة بالسلم. وفي كل حال فقد ذهبت بقية الامل في الصلح واصبح الرأي العام الانكليزي ضد روسيا واخذت جرائد انكلترا وخصوصاً التيمس تنشر المقالات الضافية طعناً في القيصر واحكامه وتحاملت عليه كثيراً وخصوصاً بعد ان تولى وزارتها اللورد بالمرستون صديق نابوليون الثالث . فقامت انكلترا على ساق وقدم في حشد الجيوش ونادى منادي الانكليز في ۲۷ مارس سنة ١٨٥٤ في شوارع لندرا وسائر مدنها العظمى انها شهرت الحرب على روسيا وكذلك فعل الفرنساويون. وكان قائد الجنود الانكليزية في تلك الحرب اللورد ريكلان ويعرف باللورد سمرست وهو من قواد معركة وترلو الشهيرة وقائد الفرنساويين المارشال ارنو. ومن قواد الاسطول اتحد السير شارل نابيه من عائلة نابيه الشهيرة

اما الروسيون فانهم عمدوا الى اكتساح المملكة العثمانية من الشمال ولكنهم لم يستطيعوا ذلك واضطر قائدهم الجنرال بسكيفتش ان ينسحب بجيوشه عن الدانوب بعد ان فرغت حيلته في فتح سيليستريا وكانت حاميتها من الاتراك بقيادة ضابطين انكليزيين من قواد الهند . وتبرهن اذ ذاك للملأ ان الجند العثماني انما يحتاج الى قواد ماهرين وهو عند ذلك من اقوى جنود الارض . وقد ذكروا من بسالة الجنود العثمانية هناك ان ثلاثة ممن كانوا يشتغلون في حفر خندق اصابهم الرصاص فقتلوا في بضع دقائق فتقدم رفاقهم وتناولوا الجارف والمعاول من ايديهم واخذوا يشتغلون مكانهم وهم لا يبالون بالرصاص المتساقط عليهم كأنهم يحفرون قناة في بعض احياء المدينة

وكانت الدولتان المتحالفتان قد بعثتا جنداً برياً ۳۰,۰۰۰ انكليزي تحت قيادة اللورد ريكلان و ٤٠,٠٠٠ فرنساوي بقيادة المارشال ارنو ونزل الجيشان في غاليبولي على شاطىء الدردنيل فوقع بين القائدين الفرنساوي والانكليزي نزاع في من يتولى قيادة الجنود التركية واراد ارنو ان يكونوا تحت قيادته فابى عليه ريكلان ذلك وانصرفت المشكلة برجوع ارنو عن عزمه . ثم اختلفا في خطة المسير فاراد ريكلان ان تزحف الجيوش الى وارنا اولاً واراد ارنو ان يحتلوا الروملي وراء البلقان . وغلب الانكليزي بثباته فسارت الحملة نحو وارنا على الشاطئ الغربي للبحر الاسود ويقال انهم كانوا يسمعون اطلاق القنابل على سيليستريا من هناك

واصاب الحملة المتحدة في وارنا نكبة ما زال التاريخ يذكرها — وذلك ان المعسكر اصيب في ١٠ اوغسطس بحريق ذهب بمعظم ذخيرته ومؤنته ثم تفشت الكوليرا في الجند ففتكت

فتكاً ذريعاً وتطرقت الى الدوارع وبلغت الوفيات من هذا الوباء ١٠,٠٠٠ نفس حتى كادت عزائم الجيوش تخور واذا بالاخبار عن تقهقر بسكيفتش قد وصلتهم فانتعشت آمالهم وجددوا العزيمة للحمل على بلاد الروس



حصون سباستبول

﴿ بلاد القريم ﴾ هي شبه جزيرة في شمالي البحر الاسود دخلت في حوزة العثمانيين سنة ١٤٧٥ على ان تبقى حكومتها في ايدي خاناتها وفي سنة ١٧٨٣ استولى عليها الروسيون بعد حرب ومعاهدة على يد كاترين الثانية . وهي كثيرة الحصون والقلاع واهمها حصون سباستبول في الجنوب الغربي من شبه جزيرة القريم وهي مبنية في شبه مرسح (امفيتياتر) على اكات مسطحة القمة وقد عني الروس في تحصينها سنة ١٨٣٠ فبنوا عليها الاسوار ومهندسها انكليزي . وجعلوها اكبر مستودعاتهم للذخائر والمهمات في البحر الاسود واحصن ملجأ لعماراتهم . وهي مؤلفة من عدة حصون وابراج اشهرها حصن ماملون فيرو وحصن ملاكوف وحصن جران ريدان

فلما رأت الدولتان المحالفتان فشل جند الروس على الدانوب اشتدت عزائمهما وقويت آمالهما في قهر الروس فارتأتا فتح القريم فبعثت كل منهما الاوامر الى قوادها بالانتقال الى هناك فوصلوا الى يوباتوريا على شاطئ القريم الغربي على ٣٠ ميلاً من سباستبول قرب خليج نهر الما . فنزلوا هناك في ١٧ سبتمبر سنة ١٨٥٤ ولم يلاقوا معارضة

ثم اغتنموا قطيعاً من الماشية كان ماراً بهم وتفاءلوا بتلك الفاتحة . لكنهم مالبثوا ان عادوا الى الاختلاف بين قائديهم فاراد ارنو ان يسير كل من الجيشين على حدة واعترضه ريكلان وبيَّن له وجوب الاتحاد لان الروسيين تحصنوا تحصيناً منيعاً في سباستبول فاقتنع رغم ارادته . والمظنون ان شذوذ ارنو في آرائه باثناء هذه الحملة متصل بسبب صحي لانه كان قد اشرف على اجله

واصبح عدد رجال تلك الحملة يومئذ ٦٤,٠٠٠ مقاتل منهم ٣٠,٠٠٠ من الفرنساويين و ٢٧,٠٠٠ من الانكليز فيهم الف فارس و ٧,٠٠٠ من الاتراك وكان سلاح الانكليز اقوى واتقن . فمشت الحملة جنوباً نحو سباستبول وفي طريقهم اليها نهر ألما المتقدم ذكره وكان الروسيون معسكرين بثلاثين الفاً تحت قيادة البرنس منتشيكوف حاكم القريم على مرتفعات في الضفة المقابلة من النهر وقد عزز حصونه بالمتاريس والمدافع فتقابل الجيشان والنهر بينهما فحصلت عدة مناوشات وبدأ القتال في ٢٠ سبتمبر وانتهى بعبور الجيوش المتحدة النهر واستيلائهم على حصون الروس وقد ابلى الانكليز في ذلك اليوم بلاء حسناً ومؤرخوهم يطرون شجاعتهم وبلاءهم في تلك الواقعة ويرددون خطباً تلاها بعض قوادهم قبيل المناجزة لا تزال جارية عندهم مجرى الحكم المأثورة . على ان الجنود الفرنساوية لم تقصر في القتال لكنها ارتبكت بمرض قائدها الاكبر المارشال ارنو فانه كان في حال المرض الشديد ولم يعش بعد الواقعة الا اياماً ثم خلفه الجنرال كانروبر

حصار سباستبول فلما استولت الجنود المتحدة على حصون الروس مكثوا فيها اياماً للراحة ورجال الحرب يخطئون الجنرال ريكلان في ذلك لاعتقادهم انهم لو تعقبوا الروس على اثر انسحابهم الى سباستبول لاخذوها على اهون سبيل قبل تحصينها لان الروسيين لم يكونوا يظنون اعداءهم يتمكنون من الوصول اليها . فلما تقهقر الروس من ألما ساروا تواً الى سباستبول وحصنوها تحصيناً طبقت شهرته الخافقين والفضل في ذلك لتودلبن اشهر مهندسي الحروب فرفعوا الاسوار ووسعوا الخنادق واغرقوا في مدخل المرفأ سبع سفن ليامنوا دخول الاساطيل اليها . فلما اشرفت الجنود المتحدة على سباستبول ورأوا مناعة تلك القلاع اقروا على محاصرتها والتضييق عليها فعسكروا في جنوبيها بحيث يمكنهم الاستعانة بعماراتهم عليها ويسهل عليهم المواصلات واستجلاب الامداد فنزل الانكليز في بالاكلافا والفرنساويون في كوريش

وفي ١٧ اكتوبر حدثت واقعة تشاءمت منها الجيوش المتحدة لانها عادت عليهم بالفشل

الصرع والانكليز يلقون تبعة ذلك على سوء تصرف اميرال العمارة الفرنساوية فتشدد الروس بذلك النصر فطمعوا باخراج الاعداء من مراكزهم فخرجوا من حصونهم وحملوا على معسكر بالاكلافا في ٢٥ اكتوبر حملة هائلة اظهروا فيها بسالة الاسود

وكانت واقعة ذلك اليوم مما حفظه التاريخ وتغنى به شعراء الانكليز ليس لفوزهم فيها لانه ليس بالامر الغريب ولكنهم اصيبوا بنكبة خسروا بها نيفاً واربعمئة رجل بخطأ لفظي وقع من أحد القواد فاطاعوا الامر على خطائه فهلكوا — وتفصيل ذلك ان الجنرال ريكلان علم وهو في ابان المعركة وقد ترجح الفوز له ان بعض الروسيين غنموا بطارية مدفعية من الجند العثماني هناك فاراد استرجاعها فبعث امره الى اللورد لوكان قائد الفرسان ان يبعث كوكبة لاسترجاع تلك البطارية فبعث اللورد لوكان الى اللورد كرديجان أحد قواد الفرسان ان يتولى تلك المهمة تحت قيادته وعهد الى الكبتن نولان أحد ضباطه ان يبلغ ذلك الامر اليه . فاساء نولان التعبير في نقل تلك الرسالة ففهم كرديجان ان المراد الهجوم على حصن للروسيين على مسافة ميل وبعض الميل من موقفه وعليه المدافع الهائلة تصب على واد لا بدّ من المرور فيه الى ذلك الحصن . فاستغرب اللورد كرديجان ذلك الامر وعدَّه تخريفاً ولكنه لم يستطع غير الطاعة — وكذلك الاوامر العسكرية وخصوصاً عند الانكليز . فامر رجاله وعدتهم ٦٠٧ فركبوا وقصدوا ذلك الحصن والرصاص يتساقط عليهم وصوت المدافع يدوي في ذلك الوادي وهم لا يبالون ان يهلكوا في سبيل طاعة الاوامر فلم يرجع منهم الا ١٩٨ رجلاً . وكان الكبتن نولان قد استدرك خطأه بعد قليل فأسرع في أثر اللورد كرديجان لارجاعه لمجاراته قبل وصوله اليه رصاصة أصابت صدره فقتل وظل الجواد يعدو به بضع دقائق ثم سقط قتيلاً . وقد تغزّل شعراء الانكليز ببسالة تلك الكوكبة وتفننوا في وصف مسيرها الى القتل على تلك الصورة

رجع الروسيون الى حصونهم في آخر ذلك اليوم ولم يفلحوا في مطاردة اعدائهم ولكنهم خرجوا اليهم في صباح اليوم التالي وكافحوا كفاح الابطال في مطاردتهم فلم يجد كفاحهم نفعاً فعادوا الى الحصون ثم خرجوا ثالثة في ٢٤ نوفمبر على مكان يقال له انكرمان في طرف معسكر الانكليز وكان خروجهم بغتة فغشل الانكليز وكادوا يذهبون هدراً لو لم يداركهم الفرنساويون . ويقال ان الروسيين خسروا في هذه المعركة ١٢,٠٠٠ والانكليز ٢,٦٠٠ والفرنساويون ١,٧٠٠ فتجددت عزائم هؤلاء بعد ان كادت تخور لما كانوا يقاسونه من الشقاء وغيره في تلك الغربة فضلاً عن اختلاف الاحزاب في انكلترا

في امر هذه الحملة . فلما دخل الشتاء ازدادت مصائبهم وكان شتاء قارساً كثرت انواؤه واشتدت رياحه حتى اقتلعت الخيام واطارت الرجال وهدمت الابنية الخشبية وجاءتها الامطار فقذفت ما كان فيها من المؤن والذخائر الى البحر ناهيك بحال السفن ومن فيها في اثناء تلك الانواء الهائلة فاحتملوا ذلك كله بفارغ الصبر

وكانت الدولتان المتحدتان قد ارسلتا عمارتيهما الى بحر البلطيك والبحر الابيض الشمالي والبحر المحيط لضرب الثغور الروسية ولكنها قلما اتت بفائدة

وكانت المخابرات جارية من الجهة الثانية مع ملك النمسا المتوسط في ايقاف الحرب فعرضت الدولتان على النمسا ان تتحد معهما على الروس اي انها تتعهد بحماية الفلاخ والبغدان من روسيا على ان لا يجوز لاحدى الدول الثلاث ان تخابر روسيا الا باطلاع حليفتيها فعرضت النمسا ذلك على ملك بروسيا عملاً بشروط التحالف بينهما فلم يقبل به والح عليها برفضه . فلم تقبل النمسا بنصيحة زميلتها فأبرمت المعاهدة بين فرنسا وانكلترا والنمسا وتركيا ضد الروس في ٢ دسمبر سنة ١٨٥٤ واعلنوا البرنس غورتشاكوف سفير روسيا في فينا يومئذ بذلك وهددوا الروس اذا لم يرجعوا عن مطاليبهم وان لومهم على انفسهم . وفي ٢٦ يناير سنة ١٨٥٥ تحدت ايطاليا معهم في ذلك وارسلت ١٨,٠٠٠ مقاتل بقيادة الجنرال لامرمورا للاشتراك في محاصرة سباستبول فأصبحت الدول المحاربة لروسيا خمساً



القيصر اسكندر الثاني

واتفق على أثر ذلك وفاة القيصر نقولا في اول مارس سنة ١٨٥٥ وخلفه اسكندر الثاني فتوسم الناس بذلك التغيير تغيراً في سياسة الحرب ظناً منهم ان القيصر الجديد يغتنم هذه الفرصة ويوقف الحرب . ولكن انى له ذلك والشعب الروسي مندفع بكليته الى مواصلة الحرب اعتقاداً منهم ان النتيجة لهم لا محالة . فلما انقضى الشتاء انتعشت الجنود المحاصرة

وكان من جملة مساعي الدول المتحدة في تقريب سقوط سباستبول انهم قطعوا عنها الميرة والمدد من كل جهة فخاف الناس سقوطها لكنها صبرت صبراً جميلاً فلما أقبل الصيف صممت الدول المتحدة على فتح تلك القلاع بأي وسيلة كانت لان امتناعها عار عليهم وهم محاربون دولة واحدة فهاجموها في ٧ يونيو سنة ١٨٥٥ هجوماً عاماً فاستولوا على حصن ماملون فبر وفي ١٨ منه هجم الفرنساويون على حصن ملاكوف هجمة استهلكوا فيها فقتل منهم جمع غفير وعادوا بلا طائل وهجم الانكليز في نفس ذلك اليوم على حصن جران ريدان وعادوا خائبين

وفي أواخر الشهر المذكور توفي اللورد ريكلان بالكوليرا فخلفه في قيادة الجيوش الانكليزية الجنرال سمبسون وتحولت القيادة الفرنساوية الى الجنرال بليسية وانقضى يوليو وبعض اوغسطس ولم يستطيعوا فتحاً فخافوا اقبال الشتاء وهو شديد عليهم هناك فصمموا على الاستهلاك في الهجوم . فأخذ الفرنساويون من ١٧ أغسطس يطلقون مدافعهم على حصن ملاكوف اطلاقاً متواصلاً وفي ٨ سبتمبر هجموا عليه هجوم اليأس والنيران تتساقط عليهم كالامطار وهم لا يبالون بمن يسقط منهم فكانوا يتخطون على الجثث المتساقطة وهي تتراكم في الخنادق حتى ملأتها وتسابق الباقون القلعة عليها واحتلوها وقائدهم الجنرال ماكماهون الشهير . وفعل الانكليز نحو ذلك بحصن جران ريدان فاحتلوها وخسائرهم اقل من خسائر الفرنساويين . على انهم رأوا المقام فيها لا يخلو من الخطر لتساقط قنابل الروس عليهم من حصون اخرى فنسفوا الحصن وخرجوا منه

أما الروس فلما فرغت حيلتهم من الدفاع أمام ذلك الجند المتحد اخلوا سباستبول بعد ان احرقوها . فدخلها اعداؤهم في ٩ سبتمبر سنة ١٨٥٥ واحتلوا اطلالها البالية . وكان الروسيون قد فتحوا من جهة أخرى مدينة القارس وغيرها . وبسقوط سباستبول انقضت تلك الحرب . على انها لم تنقض نهائياً الا بعد عقد معاهدة باريس في ٣٠ مارس سنة ١٨٥٦ وخلاصتها ان يرد كلٌّ من المتحاربين البلاد التي افتتحوها لاصحابها وان يحترم

استقلال الدولة العثمانية وانه اذا حدث بين الدولة المذكورة واحدى الدول خلاف تقيمان الدول الاخر وسيطة بينهما • وتعهدت الدولة العثمانية باجراء الاصلاحات في بلادها وراحة المسيحيين • وان يكون الدانوب مباحاً للتجارة العامة وان تكون الفلاخ والبغدان تحت حماية دول اوروبا وان تقتصر ملاحة البحر الاسود على السفن التجارية فقط

فترى مما تقدم ان قلاع سباستبول ثبتت في حصارها سنة كاملة وحولها نحو مئة الف مقاتل لخمس دول عظمى • وكانت وسائل الحصار يومئذ قاصرة على بناء الاسوار الضخمة واحتفار الخنادق العميقة ونحوها فأين ذلك من الغموم الكهربائية التي يدفنها المحاصرون اليوم حول حصونهم حيث يكون لاعدائهم سبيل اليهم ويصلون بينها وبين الحصون بالاسلاك فاذا أرادوا اطلاقها غمزوا زرّاً فتنفجر الغموم وتنفتح الارض وتبتلع ماعليها ولو كانوا الوفاً كما هو الحال في حصار بورارثر فان مداخلها مملوءة بهذه الغموم فضلاً عن مناعتها وقلة الجيش المحاصر لها ولذلك فلا يخشى سقوطها قبل اشهر كثيرة وانما تسقط من الجوع



الجنرال ستوسل

قائد حامية بور ارثر

السوريون وتجنسهم بالجنسية الاميركية

بحثٌ اجتماعيٌّ

جاءنا من رصيفنا صاحب جريدة المناظر التي تصدر في سانباولو البرازيل كتابٌ يقترح علينا فيه باسم السوريين في اميركا ان نبدي رأينا في مناظرة دارت بينه وبين صاحب جريدة المهاجر التي تصدر في نيويورك بشان مستقبل السوريين في اميركا من حيث تجنسهم بالجنسية الاميركية والاختلاط التام بالاميركان او البقاء على العثمانية والمحافظة على الوطنية السورية للرجوع الى سوريا فاجبنا اقتراحهُ وبعثنا بالجواب اليه ونظرًا لما في هذا الموضوع من البحث الاجتماعي راينا ان ننشره في الهلال وهاك نص الجواب :

حضرة الرصيف الفاضل

وصلني كتابك الذي تقترح عليَّ فيه باسم السوريين باميركا ان ابدي رأيي في ما دار بينك وبين الرصيف الفاضل صاحب المهاجر بشان مستقبل السوريين في اميركا من حيث «التجنس بالجنسية الاميركية والاختلاط التام بالاميركان» وهي دعوة المهاجر. او «البقاء على العثمانية والمحافظة على الوطنية السورية للرجوع الى سوريا» وهي دعوة المناظر . فاشكر لكما حسن ظنكما بهذا العاجز لتحكم في مسالة هي من اهم المسائل السورية لان الحكم فيها يتناول الحكم على حال السوريين في سائر ديار هجرتهم في اميركا واوربا واسيا واستراليا وافريقيا فاذا كان الصواب في استبقاء جنسيتهم والرجوع الى بلادهم وجب اطلاق ذلك على السوريين كافة حيثما نزلوا

على اني رايتكما جعلتما السوري مخيرًا في اتباع احد الرأيين وهو في الحقيقة مسوق الى احدهما بطبيعة العمران شان الانسان في سائر احوال اجتماعه . فلو جعلتما موضوع البحث هل يرجع السوريون من ديار هجرتهم ام يبقون فيها لكان ذلك اقرب الى مجاراة ناموس التاريخ — وقد قيل اذا شئت ان تطاع فسل ما يستطاع

قرات كتاب الرصيف الكريم واطلعت في اعداد المناظر على ما دار بينكما في هذا الشان وانا في رمل الاسكندرية وقد فررت من المحابر وهجرت الاقلام والدفاتر واقمت في هذا المصيف التماسًا للراحة في اثناء احتجاب الهلال . فنكرت في هذه المسالة الخطيرة وانا مطلٌ من نافذة فندق نحن مقيمون فيه يشرف على قطر الترامواي وهي ذاهبة جائية تقلُّ الناس

بين الاسكندرية ومصايف الرمل فرايتها تحمل العشرات والمئات وليس بينهم من الوطنيين الا جزء صغير والباقون من الاجانب وفيهم جانب عظيم من السوريين اكثرهم من اهل الوجاهة وارباب الثروة والنفوذ واهل العلم والادب · وتذكرت كثرة السوريين في القاهرة وفيهم جماعة كبيرة من كبار الموظفين واصحاب المناصب الادارية والعسكرية وارباب الصحافة والتجار والمحامين والاطباء وغيرهم · ومثل هؤلاء كثيرون ايضاً في انحاء القطر المصري — فقلت في نفسي لو صحت دعوة المناظر لوجب ان يعود هؤلاء جميعهم الى سوريا و يعود امثالهم من اربعة اقطار المسكونة وهم يعدُّون بمئات الالوف وفيهم اهل الثروة والجاه وقد زادهم الاغتراب علماً واختباراً واقتبسوا من امم الارض احاسن ما عندهن من اداب الاجتماع واساليب الارتزاق · وليست ثروتهم بالشيء القليل نعرف ذلك بالقياس على ثروة السوريين في القطر المصري فانها تقدر الآن بنحو ثلاثين مليون جنيه وهم لا يزيدون على بضعة عشر الف نفس فكيف بثروة من بقي منهم في سائر ديار هجرتهم وعددهم نحو ٣٠٠ الف نفس مع اعتبار ثروتهم في غير مصر اقل منها فيها فلو قدرناها بنصف ذلك او ربعه لزادت ثروة مهاجري سوريا على ٢٠٠ مليون وهي تتضاعف بتوالي الاعوام فان ثروة السوريين في مصر كانت منذ عشر سنين ربع ما هي الآن — فاذا عاد السوريون الى سوريا بهذه الثروة سعدت تلك البقعة المباركة واجتمع فيها الاقرباء والاصدقاء يتمتعون بالنسيم العليل والاقليم النشيط — وذلك غاية ما يرجوه الانسان من اسباب السعادة في دنياه ولكن :

نسج الريح على الماء زرد   يا له درعاً منيعاً لو جمد

انها امنية لا يرجى تحققها · فالسوريون باقون في ديار غربتهم وسيندمجون في اهاليها و يكونون بعضاً منهم يتفاهمون بالسنتهم و يتأدبون بآدابهم — ذلك هو رأيي نشرته في الهلال منذ بضعة اعوام ونشره صاحب المهاجر في رده · وقد كان في الاشارة اليه كفاية لولا ما تخلل بحثكما من ذكر الوطن وخيانته والوطنية وجامعتها بنقر على اوتار القلوب فيثير العواطف حتى تشوش على العقل سبيله في احكامه · والبحث الذي نحن فيه يستلزم النظر في الحقيقة المجردة والمصلحة الشاملة فاستاذن الرصيفين الكريمين في تفصيل ما اجملته هناك

المهاجرة المهاجرة قديمة كالانسان وأقدم اسبابها الارتزاق · وهي من اقدم دعائم العمران واقواها لان البشر تسلسلوا من اب واحد وكانوا في بقعة واحدة فلما تكاثروا ضاقت تلك البقعة عن معائشهم فهاجروا الى ما حولها التماساً للغرس والمرعى ثم تفرعت هجرتهم

للسبب عينه بتوالي الاجيال . واقدم ما بلغنا من اخبار المهاجرة تفرق ابناء نوح او قبائلهم من اواسط اسيا الى اطراف المعمور وهم ارقى السلالات البشرية ومنهم تسلسلت الامم المرتقية المعبر عنها بالشعوب القوقاسية . وكان القوقاسيون حيثما نزلوا في اثناء هجرتهم لقوا شعوباً من سلالات سافلة كالزنوج او الهنود فكانوا يغلبونهم على ما في ايديهم ويتولون امورهم . ثم انشأوا تمدناً لا يزال يرتقي الى اليوم — فكأن الارض عمرت بالمهاجرة من سلالات بعضها ارقى من بعض تعاقبت وهي ترتقي بتعاقب الدهور

واذا نظرنا الى كل بقعة من بقاع الارض على حدة رأينا آثار ذلك التعاقب ظاهرة فيها . فوادي النيل مثلاً اقدم سكانه الزنوج ثم جاء النوبة وهم ارقى منهم فطاردوهم نحو الجنوب واقاموا مكانهم ثم جاء القوقاسيون فزاحموا النوبة وغلبوهم ومنهم الفراعنة الذين انشأوا التمدن المصري القديم . ويقال نحو ذلك في شواطئ افريقيا الشمالية فان الشعوب القوقاسية جاءتها من الشرق والشمال وطردت برابرتها نحو الجنوب . ولما نزح الآريون الى الهند وجدوا فيها الهنود الاصليين وهم كالنوبة في افريقيا فتغلبوا عليهم ومنهم الكهنة (البراهمة) والحكام وقس على ذلك نزوح القبائل الآرية الى اوروبا والسامية الى سوريا وفلسطين وبلاد العرب وغيرها

ناهيك بما كان من المهاجرات المتوالية في عهد التاريخ وخصوصاً بعد اكتشاف اميركا واوستراليا وغيرها من بلاد العالم الجديد . فقد نزح اليها اهل اوربا (وهم القوقاسيون) فطردوا من كان فيها من سلالات الهنود ونقلوا اليها تمدنهم وفر الهنود من وجه الافرنج في اميركا واوستراليا كما فر النوبة من وجه القوقاسيين (الساميين) في افريقيا قبل ذلك الزمن بقرون . ولا يزال القوقاسيون ينزحون الى العالم الجديد من سائر اقطار المعمور ومهما اختلفت لغاتهم وعاداتهم وآدابهم فانهم سلالة رجل واحد يجمعهم شكل الجمجمة وسمو المدارك وهم الذين انشأوا هذا التمدن ونشروه في العالم القديم والحديث ولو اتيح لهم اكتشاف عوالم اخرى لنزحوا اليها وعمروها

ثم ان الامم تختلف ميلاً الى المهاجرة واقتداراً عليها باختلاف الاقليم وطبائع أهله . ومن اقدر الامم على المهاجرة واكثرهم سعياً فيها السوريون فقد كانوا من عهد الفينيقيين أهل رحلة ومهاجرة وقد استعمروا كثيراً من شواطئ البحر المتوسط قبل الميلاد بعدة قرون واشهر مستعمراتهم قرطاجنة في شمالي افريقيا ورحلوا الى بلاد التمدن القديم في اشور وبابل ومصر وكانوا خير واسطة لنقل ذلك التمدن بين تلك الامم (راجع الجزء

الثالث من كتابنا تاريخ التمدن الاسلامي وكان ذلك شأنهم في عهد التمدن اليوناني ثم الروماني فكانوا ينزحون الى بلاد الروم والفرس والاسكندرية لهذه الغاية . وهذا هو شأنهم ايضاً في عهد هذا التمدن فانهم يطلبون الرزق ويسهل عليهم الانتقال في طلبه حتى اجتمع منهم نحو ٢٠٠،٠٠٠ في اميركا وجماعات كبيرة في اوستراليا وتسمانيا وزيلاندا وفي زنجبار والترانسفال والسنغال وفي سائر سواحل افريقيا واواسطها وفي الهند وفارس والصين واليابان وفي جزائر المحيط . غير مصر والسودان وتونس ومراكش وغير المقيمين في عواصم اوربا . وبالجملة فلا تكاد تخلو منهم بلد من البلاد العامرة في اربعة اقطار المسكونة وهم بحول الله حيثما نزلوا افلحوا

وللسوري طبيعة يمتاز بها عن سائر الامم وقد تمكنت فيه بتوالي الاغتراب فهو مع نشاطه وذكائه ذو اقتدار غريب على تكييف نفسه وتطبيق اخلاقه واطواره على البيئة التي يعيش فيها واتقان اللغة التي يتفاهم بها اهلها . فاذا أقام في فرنسا مثلاً لا يمضي كبير زمن وهو يقلد الفرنساويين حتى لا تشك انه منهم وكذلك اذا اقام في اميركا أو انكلترا فانك تحسبه اميركياً أو انكليزياً . وتراه من اشد الناس غيرة على البلد الذي يستوطنه واكثرهم دفاعاً عنه وسعياً في خدمته

(الوطن والجامعة الوطنية) رأيت صاحب المناظر الفاضل مغالياً في اعتماده على الجامعة الوطنية في تأييد رأيه وقد عد تجنس السوري بالجنسية الاميركية خيانة للوطن . فأستأذنه في بيان الوطن والجامعة الوطنية بالنظر الى السوري . اما الوطن فهو البلد يقيم فيه الناس ومصالحهم مشتركة وحقوقهم متبادلة . والحنين الى الوطن من قبيل الحنين الى الوالدين وكلاهما من نتائج العادة والالفة . فكيف لا نحن الى بلد عرفنا الشمس في سمائه وتنشقنا الحياة من هوائه واغتذينا من حيوانه ونباته فاظلنا اطفالاً وربانا احداثاً وشباناً . وقد تألفت ابداننا من عناصره . وتكيفت أطوارنا تبعاً لاقليمه . وهو مجتمع الاهل والاقرباء ومقر الخلان والاصدقاء — فالحنين الى الوطن طبيعي حتى في الحيوان الاعجم فلا حاجة الى اثباته . اما البقاء فيه او الرجوع اليه فليس من الواجبات المفروضة كما ان البقاء في حجر الوالدين ليس من بواعث العمران ولا من قواعد الارتقاء الا اذا قضت المصلحة بذلك . فالشاب اذا بلغ أشده طلب أسباب الرزق حيثما توفرت له ولو قضى عليه ذلك بفراق والديه واهله فكيف بوطنه . وكما يطالب منذ ان يذكر اهله ويحن اليهم ويسعى في راحتهم ولو بعد عنهم فكذلك وطنه اذا اصيب بنكبة فانه مطالب بنصرته واعانته بما تبلغ اليه قدرته

هذا هو الوطن بالنظر الى كل فرد من افراده واما بالنظر الى مجموع الامة أو الى الدولة فهو الجامعة الوطنية وهي في ابسط أحوالها عبارة عن اجتماع أهل البلد الواحد لدفع عدو يريد اغتياله. وقد يكونون في نزاع وخصام حتى يهددهم الخطر فيجتمعون وذلك طبيعي حتى في العجماوات . فان الاديك قد تتنازع وتتخاصم فاذا جمعتها في قفص وعذبتها بالجوع أو نحوه تحابت وتألفت . فاهل البلد الواحد يشتركون في الدفاع عن بلدهم أو السعي في مصلحته بما يسمونه الجامعة الوطنية وهي من التمييزات التي اقتبسناها من أهل التمدن الحديث في أوربا ويراد بها عندهم تكاتف أهل المملكة الواحدة في الذب عن حياضها والسعي في مصلحتها وهي تقوم مقام جامعة الدين أو اللغة في الامم الأخرى . وتقوى الجامعة الوطنية وتتوثق عراها بين أطراف المملكة كلما استدأمر الدولة وتوطد سلطانها وتبودلت اسباب الانتفاع بين العاصمة والبلاد التابعة لها . فقد كانت الدولة في أقدم أزمنة التاريخ تنحصر في مدينة واحدة تنتسب اليها كدولة اثينا وسبارطة ورومية فاذا قوي سلطانها واتسعت فتوحها حتى صارت مملكة كبيرة نسبت المملكة الى تلك المدينة كالمملكة الرومانية مثلاً فانها عبارة من مدينة رومية والبلاد التابعة لها . وكانت الجامعة الوطنية الرومانية تقوى وتضعف مع سلطان رومية

أما العرب فقد كانوا قبل الاسلام قبائل تجمعهم الانساب والاعصاب فلما أسلموا أصبح الاسلام جامعتهم وأصبحت دولتهم اسلامية لا تنتسب الى بلد معلوم . وانما كانت تسمى باسماء مؤسسيها أو اقرب اسلافهم قرابة من النبي كالعباسية والعلوية والمروانية ونحوها. فلما تشعبت مملكتهم وحكمها غير العرب فرقوا بين فروعها بمواطن ملوكها أو لغاتهم كالترك والفرس والأكراد وغيرهم . وقد يسمونها باسماء مؤسسيها كالدولة النورية والصلاحية والعثمانية . وكانت الدولة الرومانية قد أخذت في الانحلال وضعفت جامعتها الوطنية فاصبح أهل أوربا دولاً صغيرة يتنازعون ويتخاصمون حتى اذا استفحل أمر المسلمين في الشرق واراد الافرنج استخراج بيت المقدس من أيديهم لم يروا ما يجمع شتاتهم غير الدين . فاجتمعوا تحت لواء الصليب وحاربوا المسلمين . فلما انقضت الحروب الصليبية وأخذ الافرنج في نهضتهم الاخيرة واشتدت سواعدهم قام التنازع بين دولهم على الاستئثار بالنفوذ الاعظم في تلك القارة . فأصبح همّ كل دولة منهم جمع كلمة أهلها لتقوى على الغلبة وكان الدين جامعتهم الكبرى كما تقدم فلم يكن لتلك الدول ما يجمع افراد كل منها على حدة غير الوطن او الجنس . فالفرنساويون جعلوا جامعتهم فرنسا أو الشعب الفرنساوي وكذلك الالمان

والانكليز . فتشعبت الجامعة النصرانية في أوربا الى الفرنساويين والالمانيين والانكليز وغيرهم كما تشعبت الجامعة الاسلامية قبلها الى الفرس والترك والاكراد وغيرهم . واذا أمعنت النظر في تلك الجامعات رأيت أساسها في الحقيقة اللغة والدين . فان أهل كل مملكة من ممالك أوربا يتكلمون لغة واحدة هي لغة أهل الدولة ويغلب ان يضمهم مذهب واحدٌ هو مذهب الحكومة

فالجامعة الوطنية لا معنى لها ان لم يكن لها دولة تؤيدها أو تدعو اليها للانتظام في خدمتها أو حمل السلاح في الدفاع عن استقلالها وان يكون لاهل الوطن حقوق على الدولة في مقابلة ذلك على ان تكون لغتهم لغتها . والسوريون — ويراد بهم هنا نصارى الشام — لا شأن لهم في ذلك لانهم من أهل المملكة العثمانية ولكنهم لا ينتظمون في جيشها ولا يحاربون عنها ولا يتكلمون لغتها فلا شأن لهم في الجامعة العثمانية والوطن السوري في غنى عنهم من هذا القبيل فما في بعدهم عنه خيانة أو تقصير . وخصوصاً لانهم مجبروه مضطرين التماساً للرزق بعد ان نفدت حيلتهم في استدراره هناك وسعياً في الراحة . فكأن الوطن تخلى عنهم واخرجهم منه رغم ارادتهم على حد قول الشاعر :

وإذا رأيت العبد يهرب ثم لم يطلب فمولى العبد منه هارب

وقول الآخر

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم

والسوريون لا ينقصهم شيء من أسباب الارتقاء ولا يقلون في قواهم ومواهبهم عن أرقى الامم المتمدنة وقد رأيناهم يجارون الافرنج حتى في بلادهم . فمنهم التجار في اكبر مدائن أوربا وأميركا فضلاً عن كبار التجار في مصر فان أكبر محل تجاري فيها للسوريين ومنهم كبار المحامين والاطباء والكتاب وأرباب المناصب وغيرها . وهم في كل ذلك مثال الاجتهاد وعنوان الاستقامة والاخلاص . وانما يعابون بضعف جامعتهم الوطنية ولا ذنب لهم في ذلك للاسباب التي قدمنا . ناهيك بتعداد المذاهب والمشارب في بلادهم وقد زادهم الاغتراب تباعداً بما فطروا عليه من تكييف اذواقهم على أذواق الامم التي يعيشون بينها وهي متباينة

فعلاقة السوريين بوطنهم علاقة حنين وائتلاف لا علاقة هجوم او دفاع ولا علاقة ملك وانتفاع . وهم من اكثر الامم حناناً الى اوطانهم ولا يزالون يذكرون الوطن ويحنون اليه ولو طال زمن اغترابهم ويعللون النفس في الرجوع اليه ويبذلون جهدهم في ذلك .

وقد تتسع تجارة احدهم ويقتني العقار ويبني المنازل في دار غربته وهو مع ذلك يعدُّ نفسه مقيماً الى اجل اذا انقضى رحل الى وطنه · فهو انما يرجو ذلك من حنينه ولكنه في الواقع لا يرجع — اخبرني صديق من وجهاء حاصبياً الذين نزلوا بيروت بعد نكبتهم الشهيرة سنة ١٨٦٠ ان والدته مازالت الى عهد غير بعيد اذا احتاجت الى بعض آنية المطبخ اوصت النحاس ان يصنع للمواعين حلقاً ليعلقوها بها على البغال في اثناء رجوعهم الى حاصبياً ووالده من الجهة الاخرى يوسع تجارته و يبني المنازل في بيروت و يثبت قدمه فيها · ونعرف جماعة من وجهاء السوريين في هذا القطر اذا توفي لهم عزيز دفنوه في حفرة موقتة على ان ينقلوا رفاته معهم الى سوريا عند رجوعهم اليها · ونعرف آخرين بمصر وغيرها يرسلون ما يجتمع عندهم من الاموال الى سوريا يبتاعون العقار و يبنون المنازل هناك استعداداً للرجوع اليها متى فرغت حاجتهم من الاغتراب · ولكنهم قلما يرجعون واذا رجعوا يندر ان يبقى احدٌ منهم هناك · واما اعقابهم في مهاجرهم فهم متجنسون بجنسية البلاد الذي يولدون فيه و يشبون بين اهله اراد اهلهم ام لم يريدوا

ولا حرج عليهم وهم انما يساقون الى ذلك بطبيعة العمران كما يساق غيرهم من الشعوب الذين هاجروا الى تلك البلاد · فالولايات المتحدة انما عمرت بشعوب هاجروا اليها من انكلترا واسبانيا وفرنسا والمانيا وغيرها وقد تمازجوا وتزاوجوا واستبدلوا جنسياتهم الاصلية بالجنسية الاميركية وكل من نزح اليهم واقام بين ظهرانيهم وانخرط في جنسيتهم اصبح له مالهم وعليه ما عليهم · فلا جناح على السوريين اذا آثروا البقاء في تلك البلاد العامرة واختلطوا بسكانها وتجنسوا بجنسيتها ووطنهم في غنى عنهم وهم في حاجة الى الوطن الجديد لما يجدونه فيه من ابواب الرزق واسباب الراحة فيستخدمون مواهبهم في العمل بنشاط واجتهاد ولكل مجتهد نصيب

على اني اودُّ من صميم القلب ان يخطىء حكمي وألتقي باخواني وخلاني في الوطن بسعة ورغد وسكينة فانها امنية كل محب لوطنه · والاَّ فاني احنُّ الى ذلك الوطن حنين الولد الى والديه ولا احسب بعدي عنه خيانة او عقوقاً

بلادي وان جارت عليَّ عزيزة　　　واهلي وان جاروا عليَّ كرام

اما بقاء السوريين في دور هجرتهم مع المحافظة على لغتهم وآدابهم وعاداتهم كما هو حال الالمان في امركا مثلاً فلا بأس به اذا استطاعوا اليه سبيلاً · لكنهم اذا استطاعوا ذلك فالى اجل قصير وخصوصاً في اميركا لضعف الجامعة السورية بالنظر الى جامعة الاميركان والقوي يأكل الضعيف — سنة الله في خلقه

البورصة والقمار او القمار والبورصة

هما ضربتان قاضيتان على الاموال والابدان لا ندري ايهما شرٌّ من الاخرى · وكلاهما من آفات التمدن الحديث · فقد جاءنا هذا التمدن بحسنات كثيرة لكنها تكاد لا توازي ما لحقنا من آفاته واضراره وخصوصاً القمار والبورصة · نعم ان القمار قديم لم تخل منه امة من الامم القديمة ولا الحديثة لكنه لم يدخل بلداً الاّ جعل اعزة اهلها اذلة وذهب بسعادة الناس وكدر صفاء راحتهم · ولم يقم مذهب ولا سُنّت شريعة الاّ وكان القمار معدوداً عندها من الرذائل المحرمة وهو محرم في الشرائع الادبية والشرائع المدنية · ولو سألت المقامرين انفسهم لما انكروا فظاعته ولذلك رأيتهم يتسترون ويتكتمون عند «معاطاته» · على انه جاءنا في هذا العصر عن طريق اوربا وقد زاده التمدن الحديث برقشة وزهاء فاقتبسناه منهم بشكله الجديد وادواته المزخرفة واسمائه الرنانة وفنونه المتنوعة فاستغرقنا فيه ايما استغراق حتى ملك عواطفنا وكاد يذهب بعقولنا

وقد كتبنا في القمار غير مرة وبيّنا تاريخه ونوهنا بعواقبه ولا نزال نرى الحاجة ماسة الى بيان فظائعه لما نراه من تعاظم اضراره بانتشاره الغريب في العائلات حتى عمّ العلماء والجهلاء والاغنياء والفقراء وشمل الرجال والنساء والاحداث والاطفال والعياذ بالله · وقد حدانا الى خوض هذا العباب الآن ما رأيناه في اثناء الصيف الماضي من انتشار هذه الآفة في الاسكندرية حتى تكاد لا تدخل بيتاً في اصيل او عشاء الاّ رأيت اهله عاكفين حول مائدة او موائد رجالاً ونساء واولاداً وبين ايديهم الورق وقد اقطبت وجوههم وانقبضت نفوسهم واستولى عليهم السكوت — الاّ ماقد يقطعه من الفاظ اللعب او احتكاك النقود · فاذا لم تكن من زمرة اللاعبين شعرت انك سامري بين اليهود · وقد اتفق لنا ذلك في عدة بيوت وادهشنا خصوصاً ما رأيناه من عكوف السيدات عليه وبين جماعة تثقفن في ارق المدارس علماً وذوقاً وتربين في اسمى البيوت تهذيباً وادباً وكنّ الى عهد غير بعيد يعتبرن القمار من الرذائل المحرمة فاصبحن والقمار شغلهن الشاغل وواسطة عقد الاجتماع في منازلهن · وقد عاتبنا بعضهن فاستعفين لاضطرارهن الى ذلك بطبيعة المعيشة في الاسكندرية لان اهلها «لا يجتمعون في السهرات او الزيارات الاّ للمقامرة ومن لا يقامر لا يزور ولا يزار» ولهن «رأين رجالهن يقضون الليالي في المقامرة خارج

المنزل في القهوات او نحوها فاذا لم يلعبنَ في بيوتهنَّ قضين الليل في وحشة الانفراد » وهذا عذرٌ الذنب ُ اخف ُ منه او هو فرارٌ من الدالف الى تحت الميزاب · فبدلاً من ان تكون المرأة الفاضلة وسيلة لانقاذ زوجها من هوة المقامرة باستنباط الوسائل الباعثة له على حب السهر في بيته والبعد عن اماكن المقامرة والاشتغال بما يصرف ذهنه ُ عنها من الالعاب البيتية او الاحاديث الادبية او المطالعات المفيدة تساعده على الاستغراق في تلك العادة الذميمة بأن تجعل بيتها ملعباً للقمار وتجعل نفسها قدوة سيئة لجيرانها ومثالاً ضاراً لاولادها واهلها ٠٠ ؟

ولو سألت سائر سيدات الاسكندرية عن سبب انغماسهن ّ بالمقامرة لرأيت معظمهن ّ ينتحلنَ نحو هذا السبب · وهو عذر يلتجيء اليه الضعيف عند ضياع الحجة — فان المقامرة في المنازل والعائلات تفشت في بيروت قبل الاسكندرية وسبب تفشيها هناك على مانظن ان الجيل الماضي من اغنياء بيروت لم يتعلموا في المدارس ولا كان عندهم من وسائل التسلية ماعند اهل هذا الجيل من اسباب المطالعة في الكتب او الجرائد او الخوض في المواضيع الادبية · وكانت الاموال عندهم كثيرة والارباح فاحشة فكانوا يخصصون مبالغ من اموالهم للمقامرة لا يمسّون سواها من ممتلكاتهم فلم يكن عليهم خوف من الفقر · ولم يكن ثمة من يتقدم والوجاهة يومئذٍ والنفوذ وقيادة الهيأة الاجتماعية للاغنياء ولو كانوا جهلاء · فلما انشئت المدارس وتفتحت العقول اصبحت الآداب الاجتماعية في قبضة اهل العلم والادب · ولكن اولاد الاغنياء شبوا على ماتعودوه في منازل آبائهم من اللعب وسرى منهم الى عشرائهم من اهل الطبقة الوسطى فتكاثرت العائلات المقامرة في بيروت واهل الاسكندرية يندر فيهم ذلك يومئذ كما يندر في اهل القاهرة اليوم الا من انتقل اليهامن بعض العائلات البيروتية او الافرنجية · حتى اذا كثرت المهاجرة في الاعوام الاخيرة تكاثر اللاعبون في الاسكندرية وسرى داء اللعب في معظم وجهائها واواسطها · ومع ذلك فاننا نعرف جماعة من اوجه وجهاء بيروت المقيمين في الاسكندرية لا يدخلون اداة من ادوات اللعب الى منازلهم ولا يمسونها في ايديهم وهم لو لعبوا لاتضرهم الخسارة لفرط غناهم · ولا نرى اعتزالهم اللعب جعلهم في وحشة او انفراد · وذلك يدلك على ضعف حجة المعتذرين عن المقامرة بالتسلية لزعمهم انهم لايرون واسطة لتمضية السهرات سواها

على ان وسائل التسلية كثيرة وخصوصاً في المدن الكبرى — اولها الاجتماعات الادبية والمباحثات في الحوادث الجارية من سياسية او اجتماعية وفي ذلك تثقيف ولذة وفائدة ·

فاذا ملّ من الحديث فهناك العاب كثيرة تعرف بالعاب المنازل على سبيل الحزازير ونحوها قد يشترك في اللعبة الواحدة عشرة او عشرون وفي بعضها فضلاً عن التسلية فائدة لتوسيع العقل بدون تعب كالالعاب المبنية على الاسئلة التاريخية او الادبية او نحوها وكلها مشهورة بين العائلات . واذا وجد في الجلسة واحدٌ يعرفها يكفي لقضاء السهرة بها . ولا نستحسن اللعب بشيءٍ من الالعاب التي تشبه آلات المقامرة ولو مهما كانت بسيطة لان لعب الورق البسيط او لعبة شاكوش كومبانيا او نحوهما كثيرًا ما يكون سبيلاً الى المقامرة ولغاً للاعبين او لاولادهم على الاقل . فالاحسن البعد عن ادوات اللعب والفرار منها والاقتصار على ما تقدم من الالعاب المنزلية وهي كثيرة او المباحثات او المطارحات او المذكرات على قدر استعداد الحاضرين . ونعرف شبانًا في القاهرة والاسكندرية اتقوا من سهرات الكسل والرخاء التي تذهب بالوقت سدى فأَلفوا جمعيات بعضها ادبية وبعضها علمية . ومنها جمعيات تمثيلية اشبه شيءٍ بالاجواق فبعضهم يؤلف الرواية والبعض الآخر يمثلها وكثيرًا ما عادت هذه الاعمال بالنفع المادي على الاعضاء فضلاً عن النفع الادبي . فما يمنع ان يشترك السيدات ايضاً في مثل هذه الجمعيات او ينشئون جمعيات لانفسهن يشتغلن فيها بما ينفعهنّ وينفع الناس ويكفي ان يصرفنَ اذهانهنّ عن تلك الالعاب الجهنمية

نعم ان المقامرة من الالعاب الجهنمية لانها تذهب بصحة اللاعبين واموالهم وتفسد اخلاقهم وآدابهم . اما فساد الصحة فالسهر الطويل وحده يكفي لهدم اركان البدن فكيف بما يرافق ذلك السهر من القلق والاضطراب وخفقان القلب والخوف والجزع . فان المقامرين اذا اجتمعوا للعب انقسموا جماعات تحيط كل جماعة منهمْ بمائدة وبين ايديهم اوراق اللعب او غيرها ودخان التبغ يكاد يحجب الوانها عن ابصارهم واذا لم يحجبها الدخان حجبها الغيظ او القلق فيقعدون والسكوت سائد عليهم وقد قطبت اسرتهم وانقبضت نفوسهم وامتقعت الوانهم واحمرت عيونهم اما نعاساً واما غيظاً . ولو لمست جباههم لسالت عرقاً او قبضت على انامهلم لذابت بردًا او تنصت لحركات قلوبهم لسمعت لخفقانها دويًا وقد ينقضي الليل وهم لا يشعرون ولكنهم اذا اصبحوا شعروا بعواقب السهر وعاد ذلك عليهم بالضعف والتعب

اما ضياع الاموال بالمقامرة فلا نظن احدًا يجادلنا فيه وان كان كل لاعب يرجو ان يكون هو الرابح وقد يربح احيانًا . والحقيقة انهم جميعاً خاسرون وخصوصاً الذين يلعبون في (المقامر) اماكن اللعب العمومية اذ يكفيهم خسارة ما يربحه صاحب القهر منهم

من ثمن الورق واجرة اللعب وهو شيء كثير يؤخذ من اموال اللاعبين . فاذا اكتسب صاحب المقمر عشرين جنيهاً في الليلة فقد اخذها من اموالهم فاذا لعبوا عنده مئة ليلة بلغ ما أخذه منهم ٢٫٠٠٠ جنيه فاذا كان عددهم عشرين نفساً لحق الواحد مئة جنيه وهي خسارة ظاهرة لاريب فيها . غير ما يخسره اللاعبون في اللعب وكل منهم يقدر الربح لنفسه . واذا فرضنا توازن القوى وتعادل الربح والخسارة كان جميعهم خاسرين مادفعوه لصاحب الملعب . وقد يزعم بعض قيارمة اللعب انه يلعب على خطة سليمة ولهم في ذلك حسابات وتقديرات يتوهم سامعها لأول وهلة انها من الحقيقة في شيء وهي وهم . وكثيرًا ما اخترع اللاعبون طرقاً (سيستيم) خصوصية للعب زعموا انهم سينالون بها ثروة طائلة فعادت عليهم بالخسارة . اشهرها مايعبرون عنه بالمارتنغال او المدوفيه او البارولي وكلها لم تات بفائدة . ناهيك بما يضيعه المقامر من المال هدراً واسرافاً اذا ربح لانه لا يعرف له قيمة . والخلاصة ان ضياع الاموال بالمقامرة من الامور المقررة بالمشاهدة

على انها على لاتعد تلك خسارة كبيرة بالنظر الى مايتبعها من الخسائر الادبية والاخلاقية فان الذين يقضون ليلهم في ما تقدم من التحرق والتحاسد يخرجون من سهرتهم وقلوبهم تطفح حقداً وحسداً وغيظاً ولو كان اللاعبون من أقرب الاقربين . فاذا توالى فيهم ذلك تعودوا الطمع والحسد والبغض ولذلك يندر بين المقامرين لطف الخلق وسلامة النية وحب الانسانية . فكيف نعرض المرأة اللطيفة المعلمة المهذبة التي ستربي أولاد المستقبل وهي ام الامة ومربية المربين ومعلمة المعلمين — كيف نعرضها لهذا الخطر العظيم . ؟

أما البورصة فمواقبها كمواقب القمار من حيث خسارة المال والصحة والاخلاق وربما فاقته من بعض الوجوه . فان المقامر يعرف خسارته أو ربحه حال فراغه من اللعب فيذهب الى فراشه وهو عالم بحاله من الغنى أو الفقر . أما المضارب في البورصة فانه يقضي ليله وهو يتقلب والافكار تتجاذبه بين اليأس والرجاء فيما عسى ان يكون من تلغرافات الغد . فاذا اصبح اسرع الى قاعة البورصة حيث يجتمع سائر المضاربين وهم يمدون بالمئات فيبدأون بالمبايعات بضجيج وجدال واستهواء ثم ينتقلون الى الاحاديث ومهما تفننوا فيها أو تبادلوا من المواضيع فالافكار متجهة نحو الصعود أو النزول والخسارة او الربح . فاذا دنا الظهر وحان ورود التلغرافات عن الاسعار انقطعت الاحاديث وساد السكوت واشتغل كل منهم بهواجسه وقلبه يخفق لما عساه ان يكون من خسارته او ربحه . فاذا زرت بورصة الاسكندرية حوالي الظهر رأيتها غاصة بالمضاربين وقد غلب عليهم السكوت حتى تكاد

لا ترى بينهم متكلماً ، وانما ترى اكثرهم قعوداً على الكراسي وقد تشاغل بعضهم بملاعبة شاربيه او لحيته وآخر بتحريك عصاه وآخر يهز قدمه او اللعب بسبحته او بمعالجة سيكارته بين انامله مع الاغراق في التدخين حتى يعقد الدخان على رؤوسهم مظلة وهم مطرقون عابسون لا يلتفت أحدهم الى الآخر وانما يولون وجوههم الى طريق التلغراف او الى اللوح الذي تعلق عليه التلغرافات ، وقد يتأخر ورودها ساعات بعد الظهر فيندر من يسوغ له طعام او شراب قبل الاطلاع على الاخبار

ولا تسل عن حالهم عند وصول ساعي التلغراف فانهم ينهضون كمن هب من رقاد وقلوبهم تخفق وأبصارهم شائعة نحو اللوح المكتوب فاذا قرأوا الاخبار انقلب ذلك السكوت ضجيجاً وعلت الضوضاء وتلونت الوجوه وتنوعت التأثرات بين فرح وغضب وقلق واضطراب تبعاً للخسارة أو الربح ، فيخرجون اسراباً وافراداً وفيهم الضاحك والمبتسم والمنقبض والعابس هذا يهرع الى العربة فيركبها وذاك لا تكاد رجلاه تحملانه لاضطرابهما من الغيظ وآخر لا تساعده قوائمه على النهوض لشدة الجزع وكثيراً ما سقط المضاربون مغمى عليهم في ساحة البورصة اذ يأتيهم الخبر بخسارة جسيمة بعد طول الانتظار وتوالي القلق والاضطراب فيغلب عليهم الضعف فيسقطون ، ناهيك بما يسقط في تلك الساعة المهولة من الآمال وما يخرب من البيوت واكثر ما يكون ذلك في اواسط الناس وأما الاغنياء فيساعدهم غناهم على الصبر حتى تعود الاسعار الى الصعود فاذا لم تعد لا تهمهم الخسارة الا اذا تكررت فتخرب اكبر بيت من بيوتات الثروة ولو كان أساسه على اساطين الذهب او كانت حجارته من الالماس ، فان المضاربة اقدر القوى على خراب البيوت العامرة وفضيحة العائلات المستورة وضياع الانفس العزيزة

والبورصة كالقمار من حيث خسارة الاموال وقد يتفق ان يلعب أحدهم مرة فيكسب مبلغاً كبيراً على سبيل الصدفة ثم يكف عن اللعب قطعياً وينصرف الى شغل آخر ، فهذا رابح وان كان ربحه غير مشروع لكنه باق واما الذين يجعلون المضاربة شغلهم فانهم خاسرون لا محالة ولو حسبت ما يدفعه أحدهم الى السماسرة بتوالي الاعوام لرأيته يزيد على مايرجو ان يكتسبه المضارب لنفسه بعد طول الانتظار

والمضاربون كالمقامرين يزعم كل منهم انه اعرف من سواه في أساليب المضاربة وأنه يسير في لعبه على طريق سليم. الربح راجح فيه على الخسارة ، وهذا وهم باطل فان المضاربة خسارة فقط ولا يغرنك ما تراه من حوادث الربح فانها لا تتناول الا واحداً من مئة من

المضاربين ثم تدور الدائرة على الرابح فيخسر وشواهد الحال اكبر دليل

وانما تفرق البورصة عن القمار ان الخسارة تقع فيها على الفقير اكثر مما على الغني لعجز الفقير عن الصبر حتى يصعد السعر — فالقوي فيها يأكل الضعيف . ولكن الطمع يأكل كليهما — على ان الفقراء انما يحملهم على اللعب الطمع في الغنى السريع ينقادون الى ذلك بما يسمعونه عن بعض الذين يتفق لهم ربح بغتي فيمسون فقراء ويصبحون اغنياء فتتوق انفسهم الى الاقتداء بهم ويتجاهلون عن مئات اصبحوا اغنياء وامسوا فقراء

وجملة القول ان البورصة كالقمار يجدر بالعقلاء تجنبها وخصوصاً السيدات فانها تؤثر في اموالهن وابدانهن واخلاقهن مثل تأثير القمار تماماً . ولسوء الحظ يغلب في المضارب ان يكون مقامراً فاذا ربح من هذه خسر في تلك . فهل في السيدات ايضاً من ترتكب هذه القطائع جميعاً ؟ . . ارجو ان لا يصح ظننا في سيدات الاسكندرية . ولكن اذا لم يصح فيهن جميعاً صح في جماعة كبيرة منهن ممن يلعبن القمار ويضاربن بالبورصة . . فما قولك في عاقبة ذلك على العائلات وكيف ينشأ اولاد هذا الجيل — نترك ذلك لحكم القراء

باب المراسلات

بحث في تاريخ اللغة العربية

حضرة . . . . جرجي زيدان

قرأت تأليفكم (تاريخ اللغة العربية) بلذة لا مزيد عليها فوجدته جديداً في اسلوبه مبتكراً في مباحثه فهو ولا شك من انفع الكتب لدرس اللغة بهذه الطريقة المستحدثة . اذ لا ينكشف الغطاء عن امر من الامور ولا يعرف اصله وكنهه الا بدرس تاريخه وبيان الادوار التي تقلب فيها منذ نشأته الاولى . فمعرفة تاريخ الاشياء موصل الى حقائقها . سيما اللغة فانا لو عرفنا كل لفظ واصله لهان علينا فهم الالفاظ واستعمالها والرجوع فيها الى الصواب عدا ما ينجم عن معرفة تاريخ اللغة من الوقوف على احوال الامة المتكلمة بها

والاطلاع على ما لها من العلائق والمناسبات مع الامم الاخرى · فنحن اليوم في (عصر التاريخ) وقد كثرت المباحث التاريخية وتنوعت حتى صار التاريخ لا يقتصر على البحث في الدول والامم او في تراجم الاعيان كما كان في العصور السالفة بل تناول البحث في العلوم والفنون والآداب والصنائع واصبحت كل مسألة ولها تاريخ مخصوص بها · فانتم السابقون لهذه المباحث الجليلة ولكم الفضل في بيان مزايا التاريخ لقراء العربية · وقد اتحفتمونا قبلاً بتاريخ التمدن الاسلامي وبالقصص الكثيرة التاريخية وغيرها من الكتب المفيدة وزدتمونا الآن هذا الكتاب النفيس فصار لدينا من مؤلفاتكم صرح مشيد من العلم تشهد كل طبقة من طباقه على ما لكم من الفضل والمعارف · فوجب علينا معشر القراء جميعاً من عرب وعجم شكركم على هذه الخدمة العظيمة التي خدمتم بها العلم والمدنية

ولقد اجدتم في بيان الادوار الثانية التي دارت على اللغة العربية في عهد صباها اي منذ وجد فيها اقدم ابنية النثر والنظم التي وصلت الينا وكان انشاؤها في القرن السادس للميلاد الى عصرنا · ولا نرى اللغة العربية في هذا العهد الثانوي تغير بناؤها الا تغيراً طفيفاً لانه لا كبير فرق بين شعر امرىء القيس وخطب قس بن ساعدة وبين المنثور والمنظوم في جيلنا · ولكننا لم نزل نجهل عهد طفولية اللغة العربية والدور الذي انفصلت فيه عن اختيها الحميرية والحبشية وكانت بلاد الحبشة من مستعمرات الحميريين · ولا يخفى ان المستشرقين قسموا اللغات السامية الى ثلاثة اقسام :

الاول (لغات الاراميين والاشوريين) ويشتمل هذا القسم على اللغة الاشورية المكتوبة بالقلم المسماري · وعلى فرعي اللغة الارامية وهما السريانية والكلدانية · والمؤلفات والآثار فيها كثيرة · ويلحق بهذا القسم اللغة النبطية التي عُرّب عنها كتاب الفلاحة النبطية ولغة الصابئين او المانية

ثانياً (لغات الكنعانيين) ويشتمل هذا القسم على العبرانية والفينيقية ويلحق به السامرية · والآثار المكتوبة بالاحرف الفينيقية قليلة واشهر مؤلفات العبرانية والسامرية التوراة اي كتب العهد القديم · وغيرها

ثالثاً (لغات العرب) ويتميز هذا القسم عن الاولين بوجود الجمع المكسر فيه · ويشتمل على لغتنا العربية وهي لغة الحجاز وعلى الحميرية وهي لغة اليمن وعلى الغيزية وهي لغة الحبشة التي كتبت فيها المؤلفات النصرانية وفقد التكلم بها الآن · ويلحق بهذا القسم بقية لغات الحبشة وجنوب جزيرة العرب مثل لغة بلاد مهره وهراري وتغره ··· الخ

فاللغة العربية هي اخت الحميرية والجبشية · وينبغي التفتيش على اصلها في هاتين اللغتين · ثم في بقية اللغات السامية المتقدم ذكرها · ثم في سائر اللغات التي اختلط اصحابها بالعرب بواسطة الفتح او التجارة كالفرس والهنود · ومدوّنات اللغة الحبشية هي كتب العهد القديم وبقية الكتب النصرانية والكتب المترجمة عن العربية واليونانية · وذهب اليوم احد المستشرقين للحبشة وهاهو يشتغل باستخراجها وتدقيقها ووردت الانباء بانه عثر على شيء مهم فيها · ومدونات اللغة الحميرية مكتوبة (بالمسند) ومنها مانقل للعربية قديماً واشار اليه ابن خلدون بقوله تشهد بذلك (الاقيال) الموجودة لدينا ومثّل لها بكلمة (قيل) ومعناها الامير او الشريف وقال بانها ليست بمشتقة من القول كما زعم البعض ومنها ماهو محفوظ بمتاحف اوربا ومترجم للغاتها · واشهر الباحثين في الحميرية والمكتشفين آثارها القديمة هاليفي الفرنساوي من مدرسي الصوربون وغلازر الالماني وكلاهما طاف اليمن وكتب الكتب المطوّلة · وجميع الباحثين في الآثار الحميرية متفقون على ان آثارها المحفوظة بمتاحف اوربا من القرن الخامس او السادس قبل الميلاد · فمن تدقيق جميع ماتقدم ذكره سوف يتضح لنا كيف كانت لغتنا العربية في عهد طفوليتها وما كان حالها مع اختيها الحميرية والحبشية وكيف انفصلت عنها وعن بقية اللغات السامية

وهذا باب واسع فتحتموه بكتابكم الجديد للمشتغلين بلسان العرب والعاملين على تهذيبه وترقيه · فنرجو ان يدخلوا هذا الباب غير متهيبين لنحصل من نتيجة ابحاثهم على قاموس جديد في اللغة العربية يبين اصل كل كلمة وتاريخها شأن القواميس الجديدة الافرنجية ولكن باسلوب موافق لمقتضيات لغتنا · ولا يتم ذلك الا بالتعاون والاشتراك وزيادة التحقيق والتتبع ثم انفاق الاموال وربما احتاج الاصاني ارسال وفود علمية لزيارة المتاحف ودور الكتب التي في اقطار العالم او للحفر على الآثار القديمة التي في جزيرة العرب · فان ما اكتشفه المستشرقون في هذه الجزيرة من الآثار القليلة يدلنا على ان في الزوايا خبايا · وهي مدخرة لاهل البحث

فمن هذه الآثار المكتشفة (مسلة تيماء) — وتيماء في شمال المدينة وشمال خيبر على درب الحج الشامي وتبعد عن المدينة نحو ٤٥٠ كيلومترًا وتعرف بتيماء اليهود حيث كان فيها حصن السموأل بن عاديا — والمسلة محفوظة بمتحف اللوفر بباريس وعليها كتابة ارامية استدل العلماء منها على نزول الاراميين تيماء منذ القرن الخامس قبل الميلاد وعلى انهم كانوا في القرن الأول قبل الميلاد من اهم العناصر المنتشرة في شمالي جزيرة العرب الى مكة · وسمى ابن الاثير الاراميين في تاريخ الكامل بالارمانيين وبنبط السواد اي سواد العراق

وقال بانهم ملكوا ارض بابل وما يليها الى ناحية الموصل · وا كتشف دوتي Doughty سنة ٧٦ — ١٨٧٧ وهوبر Huber سنة ٨٠ — ١٨٨٤ في الحِجر من مداين صالح وهي في الجنوب الغربي من تيماء قبوراً كثيرة عليها كتابة نبطية من القرن الاول للميلاد · والنبط وان كان المشهور في تواريخ العرب انهم سكان سواد العراق فالآثار دلت على نزولهم في الشمال الغربي من جزيرة العرب وعاصمتهم بجوار وادي موسى (بترا) التابع لقضاء معان · وا كتشف الماركي دوفوغوي الفرنساوي وغيره في شرق حوران في محل يعرف بالصفا كتابة مشابهة للكتابة بالمسند الحميري · وا كتشف هوبر في جنوبها كتابة اخرى مشابهة لها فاستدلوا من وجود الواحدة في شمال الاخرى على مهاجرة بعض القبائل من الجنوب الى الشمال · وهم القبائل الذين تحالفوا على التنوخ اي المقام وضمهم اسم التنوخ وخبرهم مفصل في تاريخ الكامل لابن الاثير · وتبين من الآثار المحررة بالقلم المسماري ان الاشوريين هاجموا جزيرة العرب مراراً عديدة من القرن التاسع الى القرن السادس قبل الميلاد · فلو لم يكن هناك عمران وثروة لما طمعوا في الاستيلاء عليها

فمن هذه الآثار وامثالها ومن درس اديان الامم السامية واوثانهم ومن عبارات الكتب القديمة ظنّ العلماء ظناً لم يقم الدليل الكافي على تأييده بعد ولكن يطمئن له القلب — ان مهد اللغة السامية التي هي ام هذه اللغات انما هو في وسط جزيرة العرب او في شمالها · ثم انفصلت اللغات الشمالية المشتملة على الارامية والاشورية والعبرانية والفينيقية عن اللغات الجنوبية المشتملة على العربية والحميرية والحبشية · فتكونت اللغات الجنوبية ونشأ فيها الجمع المكسر · واما اللغات الشمالية فبعد انفصالها انقسمت وهي في بابل واول ما انفصل منها الارامية وهاجر اصحابها نحو الغرب · ومعلوم من الكتب القديمة ان الفينيقيين هاجروا من بابل والعبرانيين من الجزيرة وبابل ايضاً لجهة الغرب · ودلّ علم اللغات على قرابة الفينيقية والعبرانية للاشورية ولكنها ليست بأصل لها ولا اشتقاها منها · وكذا اللغات الجنوبية وهي العربية واخواتها لم تشتق من اللغات الشمالية لتميزها بخواص لسانية ووجود الجمع المكسر فيها ولمخالفة اوثانها لاوثان اللغات الشمالية

هذا ما قالوه وقرروه ولم اقصد بتحريره بيان رأي في هذه المباحث المهمة وانما نقلت لكم ما سمعته وشاهدته واختم كلامي بتكرار الشكر وتقديم التهنئة والتبريك لحضرتكم على تاليفكم هذا الكتاب النفيس واتمنى لكم النجاح في اعمالكم المفيدة ودمتم (المقدسي)

صاحب تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب

باب السؤال والاقتراح

المهاجرة السورية الى الاقطار الاميركيه

(اوبونكي · زيلاندا) انطون افندي طنوس الشلفون

اي متى بدأت المهاجرة السورية الى اميركا ومن هم اول المهاجرين اليها وهل من كتاب يبحث في تاريخ تلك المهاجرة وسير النابغين من تجارها

❊ الهلال ❊ لم يصدر في هذا الموضوع الآنف في بعض الجرائد او الكتب اما اول المهاجرة السورية الى اميركا ففيها اختلاف والمشهور ان اول عائلة سورية هاجرت الى تلك القارة المرحوم يوسف عريبلي واولاده هاجروا اليها منذ ثلاثين سنة تقريباً ومنهم المرحوم نجيب عريبلي مؤسس كوكب اميركا اول جريدة عربية هناك · واما مهاجرة الافراد فيعسر تحققها لضياع خبر ذلك بتوالي الاعوام · وبين يدينا رسالة في هذا الموضوع بعث بها الينا سليم افندي الباشا من المكسيك ننقل منها ما يتعلق بابتداء مهاجرة السوريين الى اميركا قال :

ينسب ابتداء المهاجرة السورية الى اميركا للتلاحمة وهم سكان بيت لحم اليهودية المشهورة عند النصارى واهم الاسباب التي دفعتهم اليها احتكاكهم الدائم بالغرباء القادمين اليهم من انحاء المعمور لزيارة الاماكن المقدسة

وكان اهل تلك المدينة منذ عهد قديم يصطنعون من خشب الزيتون ادوات مختلفة ينقشون عليها رموزاً دينية تتعلق بمعتقدات المسيحيين عموماً وتأصلت هذه الصناعة فيهم لرواجها واقبال الغرباء على اقتنائها وتفننوا بها حتى نحتوا الاصداف والرخام ونوعوها فصارت بالتوالي باب رزق لهم · وهي تعرف بالسلع القدسية

ولما تكاثر مرور البواخر الاوربية في الشرق رحل تجار من تلك النواحي الى رومية عاصمة ايطاليا حيث يروج فيها مبيع تلك السلع للزوار العديدين الذين يأمونها للتبرك ولم يمض زمن يسير عليهم حتى طرأوا اسبانيا وبلاد الانكليز ثم الولايات المتحدة الشمالية

ومنها اتصلوا بالولايات الاميركية

واما اللبنانيون فقد اخذوا عنهم مبيع تلك السلع حيث كانوا يرافقونهم في اسفارهم واول من رحل منهم للاتجار على ما يقال رجل مزارع من قرية بشراي في لبنان كان قد صحب قوماً من بيت لحم وبعد رجوعه الى قريته اتفق مع اقارب له وسار الى الولايات المتحدة للاتجار

ولم يطل اتجار اللبنانيين بتلك السلع لنفور الوطنيين منهم لكثرة تعدادهم في مهنة اعتبرها الاميركان وسيلة للتسول . فتركوا حينئذٍ تلك الامتعة واستبدلوها بخلافها مما يروق للاميركيين من البضائع الاوربية والشرقية فنجحوا في هذا الاستبدال وربحوا اموالاً جزيلة فلم يكن يمرّ على المهاجر بضعة اشهر الا ويجتمع معه اربعمائة او ستمائة ليرة بعد نفقاته فعمّت المهاجرة لبنان بأسره مع مايليه من اراضي ولاية سوريا وابتدأ بعضهم في افتتاح محلاتٍ تجارية استجلبوا لها البضائع المتنوّعة من مصادرها الاصلية

والمهاجرة لم ترسخ حقيقةً في الانحاء الاميركية الا منذ خمسة عشر عاماً بالتقريب حيث تكاثرت محلاتهم التجارية لدرجة فوق المعتاد وهذا مما هيج عليهم خواطر التجار الاجانب والوطنيين على سبيل الحسد لانهم توسموا بالسوري الاقتدار فاضطهدوه في بعض البلدان لكن ذلك لم يجدهم نفعاً محسوساً بل ازدادت المحلات وكثرت الجالية السورية واهم مراكزها الآن في نيويورك وشيكاغو وسان فرنسيسكو في الولايات المتحدة وبونس ايرس وريوجانيرو وسان بولو في اميركا الجنوبية ومكسيكو وهافانا وهيتي في اميركا الوسطى والجزر الانتيلية . هذا في العواصم والثغور اما عموم البلاد فالسوريون منتشرون بها انتشاراً تاماً ولا تكاد تخلو منهم بلدة وقرية وقد اعتاد الاهالي في البلدان الصغيرة على اقتناء بضائع السوريين وتفضيلها على سواها من بضائع بقية التجار لهاودة الاثمان وسهولة الدفع . ونعرف من البائعين السوريين من يبيع البيعة بثلاثين او اربعين او خمسين اومئة من الريالات الاميركية ويستوفونها تقسيطاً بمواعيد طويلة وهذا من اعظم الاسباب التي منعت تجار الاجانب والوطنيين من الاسترزاق وحملتهم على مماحكة البائع السوري لكنه لم يعبأ بما اختلقوه له من العراقيل والمتاعب فهو اشبه بخشبةٍ في بحر هائج كيفما تقاذفتها الامواج لا تزال عائمة على سطح الماء . اه

الواحات

(الواحة الداخلة) علي افندي فؤاد ملاحظ بوليس الواحات

لا يخفى عليكم ما بجوار وادي النيل من الواحات القائمة في الصحراء وهي بقاع خصبة يستقي اهلها من عيون يتدفق منها الماء ليلاً ونهاراً ووجدت بين هذه العيون ما يسمونه العيون الرومانية وقد رسخ في اذهان اهل هذه الواحات ان اجدادهم رومانيون نزحوا الى هناك في اثناء استيلاء الرومان على مصر وقد شاهدت برأى العين هيكلاً عظيماً بجوار الواحة الخارجة عليه نقوش هيروغليفية ورسوم جميلة فما هي هذه الواحات وما هو اصل سكانها وكيف استوطنوها

✻ الهلال ✻ الواحات في الصحاري كالجزائر في البحار اشهرها واحات افريقيا في الصحراء الكبيرة ويغلب في اعتقادنا انها بقايا بقاع زراعية كان بعضها متصلاً بوادي النيل في قديم الزمان ثم غطت الرمال ما بينها فانفصلا بصحراء قاحلة وظلت الواحات عامرة لوجود ينابيع الماء فيها

والواحات الافريقية ثلاثة اقسام قسم في الصحراء الغربية وقسم آخر في الصحراء الشرقية والثالث في صحراء ليبيا بجوار وادي النيل

فواحات القسم الاول اربعة وهي :

(١) واحة طوات : على الف ميل جنوباً غربياً من طرابلس الغرب واكبر مدنها بير صالح (٢) واحة توديني : جنوبي طوات وغربيها (٣) عروان : جنوب توديني (٤) والتة : جنوب عروان

وواحات القسم الثاني خمسة وهي :

(١) فزان : قصبتها بلدة مرزوق في الجنوب الشرقي من طرابلس الغرب (٢) غدامس في الشمال الغربي من فزان (٣) تيبستي جنوب فزان (٤) بلما غرب جنوب تيبستي (٥) اسبن غربي بلما شمالي بحيرة شاد وهي اعظم الواحات الافريقية واهمها فانها قائمة على سهل ارتفاعه عن سطح البحر ٢,٠٠٠ قدم تعلوه جبال ارتفاع بعضها ٥,٠٠٠ قدم يتساقط عليها مطر غزير هو علة خصب ذلك السهل قصبته تسمى اغادس سكانها ٧,٠٠٠ نفس وهي واقعة على طريق القافلة بين مرزوق وسكوتو ولذلك كانت من اهم المحطات التجارية في اواسط افريقيا

واما واحات صحراء ليبيا المجاورة لوادي النيل فهي ست (١) الواحة الخارجة وتسمى الكبرى وهي على ١٢٠ ميلاً غربي طيبة (٢) الداخلة غربي الخارجة (٣) الفرافرة في الشمال الغربي من الداخلة (٤) البحرية شمالي الفرافرة (٥) واحة سيوى في الشمال (٦) واحات كفرة جنوب سيوي وغربيها · واخصب هذه الواحات على المشهور الداخلة اكثر محصولاتها التمر والرز والزيتون وفيها ١١ قرية وعدد سكانها نحو ٧٫٠٠٠ نفس

وسكان هذه الواحات اخلاط من الامم التي سكنت وادي النيل قديماً ولا يبعد ان يكون الرومانيون من جملة اصولهم لان الرومانيين احتلوا الواحات واقاموا فيها الحامية وجعلوها منفى للمغضوب عليهم من كل الطوائف وخصوصاً الخارجة وكانت تسمى عندهم الواحة الكبرى وفيها الهيكل الذي ذكرناه وهو يشبه هياكل الفراعنة وعليه اسم داريوس ملك الفرس وينسب بناؤه الى داريوس الاول وهناك آثار ابنية رومانية ايضاً

الماسونية والكنيسة

(ترزينا بالبرازيل) مخائل افندي ابي مشرق

الغالب في اعتقاد العامة ان الماسونية ضد الكنيسة ومع ذلك نرى الجمعية المذكورة تعيّد عيد يوحنا المعمدان وايقونته معلقة في جدار قاعتها فما علاقته بها

✻ الهلال ✻ لاعلاقة بين الماسونية والكنيسة الاَّ ماقضت الاحوال في بعض العصور من نصرة الماسونية للكنيسة كما يتضح ذلك من مطالعة كتابنا « تاريخ الماسونية العام » واما يوحنا المعمدان فأصل علاقة الماسونية به انها لما انقضى عصر الماسونية العملية في اوائل القرن الثامن عشر للميلاد وكادت الجمعية تنحل نهض بعض كبار الماسون فأحيوها وحوَّلوها الى الماسونية الرمزية سنة ١٧١٧ وقد حدث ذلك في لندرا وتقرر رسمياً في ٢٤ يونيو من السنة المذكورة وهو يوم عيد يوحنا المعمدان · وانتشرت الماسونية الرمزية من لندرا الى سائر انحاء العالم على ماهي عليه الآن فجعل الماسون ذلك اليوم عيداً يجتمعون فيه كل سنة تذكاراً لتأسيسها وللمداولة بما يهمُّ العشيرة — ثم اهمل ذلك الاحتفال وظل ذلك اليوم محترماً عندهم

اصل الكواكب

(اشمون) أحمد افندي صبحي

اذا نظرنا الى السيارات سابحة في افلاكها والثوابت واقفة في مراكزها فتمثل لنا عظمة هذا الخلق ويخطر لنا الاطلاع على كيفية تكون هذه الاجرام . فما هو رأي العلماء الطبيعيين في تكونها

﴿ الهلال ﴾ آخر آراء العلماء في اصل الكون «الرأي السديمي» وهو اقربها الى ما تقرر من نواميس الطبيعة واكثرها مطابقة لما نشاهده من ظواهر هذا الكون . واذا نظرت الى القبة الزرقاء في ليلة صافية الجو رأيت الكواكب تتلألأ سابحة في الفضاء تتفاوت حجماً ولمعاناً ولوناً وترى في بعض جوانب الفضاء لطخاً نيرة تشبه الضباب سماها علماء الهيئة القديم سدماً ومعنى السديم في الاصل الضباب الرقيق . واكبر مايقع تحت نظرنا من السدم المجرّة وتسمى درب التبان ويسميها العرب ايضاً أم السماء وهي ما يظهر فوق رأسك في القبة الزرقاء على شكل منطقة من الضباب ممتدة من الشمال الى الجنوب

وقد نظر الفلكيون الى هذه السدم بالنظارات المكبرة فاذا هي تختلف شكلاً ولوناً وكثافة فمنها الحلقي والاهليلجي والحلزوني والسياري ومنها ما لا قياس له ولا شكل وفحصوها بواسطة السبكترسكوب آلة تحليل النور فوجدوها عبارة عن غاز حامٍ منير

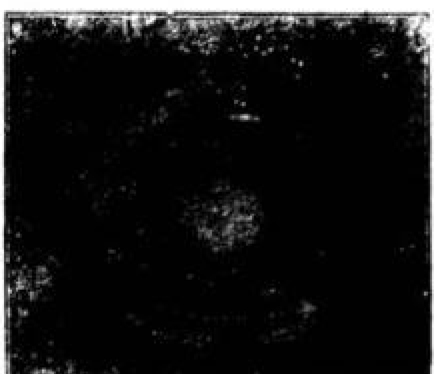
وفي الفلك فضلاً عن السدم المشار اليها بقع أخرى تشبه السدم بالظاهر ولكنها تظهر بعد الفحص انها نجوم متكاثفة كعناقيد العنب وتسمى في اصطلاح علم الفلك القنوان جمع قنو وهو الكباسة من النخل والعنقود من العنب ويحسبون الثريّا قنواً منها يرى بالعين المجردة . ويلي القنوان النجوم الظاهرة ومنها الثوابت والسيارات والاقمار وغيرذلك من عوالم هذا الكون المتباعد الاطراف

فيرى العلماء الطبيعيون اليوم ان هذا الكون بجملته بما فيه من السدم والقنوان والثوابت والسيارات كان في بدء خلقه سدماً منتشرة في الفضاء أخذت تشع حرارتها وتنقسم الى مجاميع يتحرك بعضها حول بعض وتبرد بالتدريج حتى تكونت الارضون والاقمار والشموس كما تكوّن النظام الشمسي المؤلف من الشمس وسياراتها فان بعضها لا يزال ناراً حامية كالشمس وبعضها برد واكتسى قشرة تصلح لحياة النبات والحيوان

كالارض وبعضها برد ولكنه لايصلح للحياة كالقمر وغيره · والنظام الشمسي واحد من نظامات كثيرة قد ملأت الفضاء

ويلي الشموس والسيارات والارضين القنوان وهي متوسطه بين السدم والكواكب ثم السدم وهي متفاوتة الكثافة آخذة في اشعاع حرارتها وستتحول بكرور الايام الى اجرام سابحة في الفضاء وفيها الثوابت والسيارات مثل النظام الشمسي

فالشمس وسياراتها كانت في بدء الخلق سديماً أي مادة لطيفة كالضباب حامية لدرجة عظيمة ثم أخذ ذلك السديم يشع حرارته ويتكاثف شيئاً فشيئاً فتكاثفت بعض مواده قبل البعض الآخر لاختلاف عناصرها مقدرة على احتمال الحرارة ولا يزال ذلك ظاهراً الى الآن · فان حرارة جونا الآن تكفي لتبخير الماء وحفظ الهواء غازاً ولكنها لا تكفي لبقاء المعادن وغيرها من الجوامد بخاراً اما في اول عهد السديم فقد كانت كل مادة الارض من الجامد والسائل غازاً حامياً وبالطبع كانت منحلة الى العناصر الاصلية فجعلت كما بردت تتولد فيها المركبات وتتكاثف دقائقها فتكونت فيها اولاً الكتل السائلة لان اول ما يتحول الغاز الى سائل فاذا برد ايضاً صار جامداً · فانقسمت جوامد ذلك السديم وسوائله الى كتل سابحة بما بقي من الغازات الحامية · قال اصحاب هذا الرأي · وتجاذبت تلك الكتل وكانت غير متنظمة الشكل فعاقها الوسط السابحة هي فيه من بعض جوانبها دون البعض الآخر فانحرفت وسارت في خطوط منحنية فافضى بها ذلك الى الدوران فاصبحت تلك



سديم في حال الدوران

الكتل تدور بعضها حول بعض وانتهت اخيراً بأنها دارت كلها حول كتلة كبيرة مركزية او اصبح السديم بجملته كتلة واحدة تدور حول محورها وتشع حرارتها فبرد اولاً سطح السديم فتحول الى قشرة جامدة تكسرت وانفصلت عنه ثم تكونت قشور أخرى في ازمنة مختلفة على كيفيات يطول شرحها فادى ذلك الى تكون السيارات والاقمار وظلت تدور كلها حول كتلة كبيرة مركزية هي الشمس ٠

وما زالت تلك الكتل تشع من حرارتها وتبرد على تفاوت بينها في ذلك فبرد بعضها قبل البعض الآخر وفي جملتها الارض فانها ما زالت تبرد حتى جد سطحها فما تحته وصارت تصلح لحياة النبات فظهر النبات عليها ثم الحيوان بانواعه فالانسان كما ترون ذلك مفصلاً في علوم الجيولوجيا والجغرافية الطبيعية والبيولوجيا وغيرها من العلوم الحديثة

ويستنتج مما تقدم ان الشمس ستبرد يوماً ما وتصير ارضاً مثل ارضنا وكذلك سائر الشموس بل السدم والقنوان فانها ستتحول الى اجرام باردة ولكن برودها كلها في وقت واحد بعيد الامكان اذ لا بدّ من حلول الحرارة في بعضها ٠ فالظاهر ان العناية قضت بتحول بعض السدم الى ارضين وشموس فتمر في ادوار لها حتى اذا جاء اجلها عادت الى سديم كما كانت وينتقل الدور الى غيرها من السدم فتتحول الى اجرام وهكذا على التوالي والله اعلم

اسباب السعادة

(كانتون ٠ اوهايو) ابراهيم افندي عبد الله القسيس

اختلف الناس في اسباب السعادة فقال بعضهم انها في المال وقال آخرون انها في الصحة وقال غيرهم بل هي في اتقان الصانع صنعته ٠ وقد ضمنا مجلس دارت فيه المناظرة في هذا الموضوع واختلفت آراؤنا فيه لكننا اتفقنا على استفتاء حضرتكم فما قولكم

(الهلال) لكل رأي من هذه الآراء حظ من الصواب لان الانسان اذا كان فقيراً او عليلاً او مغلوباً او ضعيفاً فلا يكون سعيداً ٠ وأما السعادة الحقيقية في اعتبارنا فانها ليست في شيء من ذلك كله لان الانسان اذا كان فقيراً ثم اغتنى يشعر بلذة عظيمة ويعدّ نفسه سعيداً لكنه لا يمضي عليه كبير زمن وهو غني حتى تذهب عنه تلك اللذة وتتراكم عليه متاعب الغنى ٠ وهكذا صحيح البدن فانه لا يشعر بلذة الصحة الا اذا مرض ثم شفي وبعد

شقاة بقليل تذهب عنه سعادة الصحة • وقس على ذلك سائر اسباب السعادة وهي كثيرة فالسعادة الحقيقية يجب ان تكون في اللذة المتواصلة التي اذا خامرها كدرٌ او اضطراب لا يطول مكثه وهذا لا يكون الا اذا كان سبب للسعادة في داخل النفس وليس في خارجها • فعندنا ان السعيد من ولد والسعادة في فطرته ليس طارئة عليه • فكم من سعيد بين الفقراء والاعلاء وتعيس بين الاغنياء والاصحاء • والسعادة الحقيقية في القناعة الطبيعية ومن لم يولد قنوعاً لا يستطيع ان يتكلف القناعة والمطامع من اكبر اسباب الشقاء ولذلك قالوا

واذا كانت النفوس كباراً   تعبت في مرادها الاجسام

ومن اكبر بواعث القناعة التدين الصحيح فان الاعتقاد بالمعاد والخلود وفي السعادة المقبلة من اكبر اسباب القناعة • والمتدين مهما اصابه من متاعب الحياة لا تتزعزع سعادته لما هو ثابت في ذهنه من احتقار هذه الحياة ولما يتوقعه من السعادة الدائمة في الحياة المقبلة • فاذا اصابه الفقر احتمله بالصبر واذا انتابه المرض غلبه بالصلاة واذا جاءه الموت استقبله فرحاً باسماً • ومهما توالت عليه النوائب تلقاها بالصبر وعدَّها من جملة ما يهيئ له السعادة الدائمة • فالتدين اكبر اسباب السعادة ولذلك نقم اهل العلم على التمدن الحديث لانه القى الشكوك في اذهان الناس فكانت من اقوى اسباب شقائهم

السمك الكهربائي

(الاسكندرية) جاد افندي حنا بقومبانية ميدلند

في البحر صنف من السمك اذا لمسه الانسان شعر بهزة كهربائية فما هو سبب ذلك

❊ الهلال ❊ ان السمك الذي ذكرتموه يعرف بالسمك الرعاد وكان العرب يعرفونه وقد وصفه القزويني وسماه رعادة قال • ومن خاصيتها اذا وقعت في الشبكة لا يقدر الصياد على امساك الحبل ولو كان الحبل طويلاً واذا لم يتركه الصياد يفضي الى اطفاء حرارته من برودة السمكة • والصيادون يعرفون ذلك فاذا احسوا به شدوا حبل الشبكة في شجر او حجر او وتد حتى تموت السمكة • فاذا ماتت زالت خاصيتها واطباء الهند يستعملونها في الامراض الشديدة الحرارة واما استعمالها في الاقاليم السنة فلا يمكن • وقال الشيخ الرئيس ابن سينا الرعاد الحي اذا قرب من رأس المصروع اخدره عن

الحس · وقال غيره اذا عاقت منه المرأة شيئاً لم يقدر زوجها على مفارقتها يسيراً من الزمان وكذلك اذا علق الرجل على نفسه شيئاً لم تقدر المرأة على مفارقته ·

واما مركز القوة الكهربائية فيه ففي كتلتين واحدة الى كل من جانبي الجمجمة وكل كتلة مؤلفة من عدة عمد عمودية او غروية او موشور ذي ستة اضلاع وزوايا بينها فواصل غشائية فيها سائل يتوارد اليها دم كاف وخيوط عصبية كثيرة · فاذا نزعت هاتان الكتلتان فقد السمك قوته الكهربائية واما كيفية تولد الكهربائية فيهما فبعمل كياوي حيوي لا يمكن تحليله

قبور الخلفاء بالقاهرة

(القاهرة) م · ر · ع

في جهة قايتباي بالمجاورين بالقاهرة عدة قبور تعرف بقبور الخلفاء فمن هم هؤلاء الخلفاء

﴿ الهلال ﴾ ان نسبة تلك المدافن الى الخلفاء خطأ وانما هي مدافن السلاطين المماليك الشراكسة وفي جملتها مدافن السلاطين برقوق والاشرف وقايتباي وبعض اقاربهم · وليس في مصر مدافن للخلفاء لان الخلفاء الفاطميين كانت مدافنهم حيث خان الخليلي الآن وقد هدمت في القرن السابع للهجرة وبنى مكانها السلطان الاشرف خليل بن قلاون الخان المنسوب اليه · وليس من مدافن الدولة الايوبية بمصر الأ مدفن الصالح نجم الدين ايوب بجوار الخان المذكور

ترجمة رواياتنا

(مانشستر · زيلاندا) يوسف افندي عقل

هل نقلت رواية فتاة غسان ورواية عذراء قريش الى الانكليزية وهل تسمحوا لنا بترجمتها

﴿ الهلال ﴾ الروايتان قد نقلتا الى الانكليزية والمخابرة جارية بشأن طبعها

الالبانيون واللبنانيون

(ورسستر · اميركا) حبيب افندي فارس فرزلي

هل الالبانيون (الارناؤط) لبنانيون ﴿الهلال﴾ كلاً

حلٌ رياضيٌ

حضرة الفاضل منشىء الهلال الاغر

عثرت في المجلد التاسع من الهلال صفحة ٤٩٦ على اقتراح لحضرة ج · ل البيروتي هذا نصه :

« وضع الحسابيون ضوابط يعرفون بها الاعداد التي تقبل الانقسام تماماً على ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ وما يتفرع منها مثل ١٢ و ١٦ و ٢٥ و ١٢٥ فهل وضع احدهم ضابطاً لمعرفة ما يقسم منها على ٧ او ١٣ تماماً · فنرجو ممن اطلع على شيء من ذلك في كتاب او مجلة في لغة من اللغات ان ينشره وله الفضل »

وقد توفقت الى ضابط للقسمة على ٧ اذا كان العدد المطلوبة قسمته فوق الالف اما اذا كان تحت الالف فلا بد من قسمته على سبعة بالامتحان واما مافوق الالف فالضابط في معرفة انقسامه على السبعة ان تقسمه الى رتب والرتبة ثلاث منازل واطرح الرتب بعضها من بعض واقسم الباقي على ٧ فاذا قسم بلا باقٍ كان العدد كله قابلاً الانقسام على ٧ والا فلا واذا زاد العدد عن رتبتين (٦ منازل) فاجمع الاولى مع الثالثة مع الخامسة اذا وجدت واطرح من مجموعها مجموع الثانية والرابعة والسادسة اذا وجدت (يطرح الاقل من الاكثر ولا فرق للرتب حينئذٍ) وافعل بالباقي كما تقدم

ديمتري · اهلي

مدير المدرسة الروسية

خاتم النبي

ذكرتم بهلالكم المنير صحيفة ٤٦٥ من السنة الرابعة ان ختم النبي (صلعم) كان هكذا

« محمد »

« رسول »

« الله »

ثم قلتم بصحيفة ٦٢٠ من تلك السنة بناء على سؤال حضرة ا . بك . و . ن ما يؤيد ذلك اي انه من ثلاثة اسطر الاول محمد والثاني رسول والثالث الله مع ذكر رواية تخالف ما ذكرتموه لم تؤيد بمستند صحيح وتقدمتم اليه بانه اذا كان يذكر رواية مستندة تخالف هذه يتكرم بالافادة . ولم نرَ شيئاً في الهلال بعد ذلك بهذا الخصوص فاذا تكرمتم علينا انشروا ما يأتي اظهاراً للحقيقة :

اهدانا احد الفضلاء الكرام من دمشق ونزيل مصر الآن صورة جواب من حضرة النبي صلى الله عليه وسلم محررة في السنة السابعة من الهجرة الى المقوقس عظيم القبط . عثر عليه احد الفرنساويين سنة ١٢٧٥ في كتب قبطية ابتاعها من بعض رهبان القبط بدير اخميم من صعيد مصر وهو اهدى ذلك الكتاب الشريف لجلالة مولانا السلطان عبد المجيد خان . طاب ثراه . وامر جلالته بحفظه ضمن الآثار النبوية الشريفة بالقسطنطينية . وعندنا صورة هذا الكتاب مأخوذة بالفوتغراف عن الصورة المحفوظة وختوم هذا الجواب بالخاتم الشريف وهو في ثلاثة اسطر السطر الاول . الله . والسطر الثاني . رسول والسطر الثالث . محمد . وهذه الصورة موجودة نقدمها لجنابكم اذا اردتم (انتهى)

عطيه محمد مصطفى الصريري بتمرونه

﴿ الهلال ﴾ نرجو ارسال تلك الصورة لعلنا ننقشها وننشرها في الهلال اتماماً للفائدة

شجرة المسافرين

في مداغسكر نوع من الاشجار يسمونه شجر المسافرين وكل شجرة منه تحمل اعتيادياً ٢٤ ورقة يختلف طول الواحدة منها بين متر واحد و ٨٠ سنتيمتراً ومترين و ٥٠ سنتيمتراً وعرضها منه متر الى متر و ٨ سنتيمتراً وهي مثل مظلات طبيعية واجمل ما في هذا النوع من الشجر انه يوجد تحت كل ورقة منه ما يشبه القارورة وفيه نحو لتر من الماء الصافي ويكثر هذا الشجر في البروليس انفع منه للسائح في ايام القيظ حيث لا يوجد ماء فيشق تلك القارورة فينسكب منها الماء الصافي فيروي عطشه ثم يتركها فتعود كما كانت اي يلتحم مكان الشق فسبحان الخلاق العظيم

حبيب فارس فرزلي

عجائب المخلوقات

اطول الناس عمراً

ما برح الناس من قديم الزمان يبحثون عما يطيل الحياة وقد كتب الفلاسفة والعلماء في ذلك فصولاً طويلة ووصفوا عقاقير زعموا انها تطيل الحياة وفيها مالا يخرج عن حد الخرافة وبعضها لا يخلو من فائدة ومنها ماقضوا القرون الطوال في البحث عنه عبثاً وهو اكسير الحياة.



توماس پار عمره ١٥٢ سنة

ومن احدث الوصفات لاطالة الحياة الحقن بماء الملح وببعض انواع المصل . على ان بعض العلماء بنوا بحثهم في هذا الشان على المشاهدة والاختبار ففتشوا عن اناس عاشوا طويلاً ودرسوا احوالهم واستطلعوا اساليب معيشتهم للنظر في سر حياتهم الطويلة . فكان آخر ما اتفقوا على صلاحه لاطالة الحياة « المضغ » فقد وجدوا انه خير الوسائل المعروفة

لهذا الغرض ويراد به مضغ الطعام جيداً بتأنٍ وصبر مع اعتبار الاعتدال في سائر اسباب المعيشة . ولا يزال البحث جارياً في استنباط الوسائل المؤدية الى ذلك

وعرض لهم وهم يبحثون في طوال الاعمار انهم عرفوا عشرة اشخاص في انكلترا هم اطول الناس عمراً اصغرهم عمره مئة وعشر سنين واكبرهم عمره ١٦٩ سنة وهاك اسماءهم مع اعمارهم مرتبة من الاكبر الى الاصغر

(١) هنري جنكنس	عمرها ١٦٩ سنة	
(٢) كونتس دسمون	عمرها ١٦٢ «	
(٣) توماس پار	عمره ١٥٢ «	
(٤) بطرس غاردن	« ١٣١ «	
(٥) حنه سكريمشو	عمرها ١٢٦ «	
(٦) حنا فيلبس	عمره ١١٧ سنة	
(٧) ايزابل واكر	عمرها ١١٢ «	
(٨) توماس لافتر	عمره ١١١ «	
(٩) بتريك جبسن	« ١١١ «	
(١٠) حنا تايت	« ١١٠ «	



الكونتس دسمون عمرها ١٦٢ سنة

وقد ذكرنا في غير هذا المكان رجلاً روسياً زعموا انه بلغ اواخر المئة الثانية من عمره غير انهم لم يتحققوا ذلك تماماً . اما الاشخاص الواردة اسماؤهم في ما تقدم فانهم معروفون واعمارهم مقيدة في الكنائس عند الولادة وفي العماد وفي الوفاة وهي من نوادر العمر الطويل

صحة العائلة

طريقة فليتشر في الطعام

ما زال الناس من قديم الزمان يتطلبون الحياة الطويلة و يبحثون عن الاسباب المؤدية اليها كما تقدم · فوجدوا بعد طول البحث انها لاتكون الأ باصلاح الغذاء لان المعدة بيت الداء فاشار بعضهم بالطعام المغذي الخفيف وغيرهم بالطعام النباتي دون الحيواني وقال آخرون بالمضغ الجيد ونحو ذلك مما ياول الى اصلاح التغذية وتسهيلها بدون الاساءة الى المعدة ووضع آخرون طرقاً للتغذية سمّي فيها انواع الاغذية ورتب اوقاتها وكيفياتها مما يطول شرحه واحدث تلك الطرق طريقة فليتشر الاميركاني واساسها الأكل القليل والمضغ الكثير وتناول السوائل على مهل الأ الماء · وقد عنيت حكومة اميركا في هذه الطريقة وجربتها في جماعة من جندها فاطعمتهم ثلث المقدار الذي كانوا يأكلونه من قبل فظلّ وزنهم كما كان تماماً وازدادوا نشاطاً في ابدانهم وصفاء في اذهانهم — وتنحصر طريقة فليتشر في خمس وصايا

(١) ان الانسان البالغ في غنى عن طعام الصباح (الفطور) وان ما يتناوله الناس عادة من الاطعمة قبل الظهر يعود عليهم بالضرر الأ الاطفال والاحداث الذين يحتاجون الى النمو · اما البالغون فلا ينبغي لهم ان يتناولوا شيئاً في الصباح على الاطلاق · وقد الفنا هذه العادة منذ عدة اعوام فوجدناها خير وسيلة لانتظام عمل المضم وخصوصاً في الذين يعملون اعمالاً عقلية فان الطعام في الصباح يشوش اعمالهم

(٢) ان يتناول الانسان ثلث او نصف ما يتناوله عادة من الطعام ولا يقتصر على صنف من الماكولات دون الصنف الآخر

(٣) ان يمضغ الطعام مضغاً طويلاً حتى تصير اللقمة اشبه بالسائل منها بالجامد · ومن الامور المشهورة عن غلادستون انه كان يمضغ اللقمة ثلاثين مضغة واما فليتشر فانه لايعين للمضغات عدداً ولكنه يشترط في اللقمة ان تصير بالمضغ ناعمة كالزبدة او كالشراب ليس فيها شيء لم يطحن جيداً و يمزج باللعاب

(٤) اما الاطعمة السائلة كالمرق والالبان او المشروبات الحلوة او غيرها فيجب تناولها شيئاً فشيئاً وذلك بقابل المضغ في الاطعمة الجامدة

(٥) ينبغي الامساك عن الطعام في حال الاضطراب العقلي كالغضب والحزن ونحوهما فان الطعام حينئذٍ يلبك المعدة ويفسد التغذية

هذه خلاصة طريقة فليتشر في الطعام بالنظر الى الصحة . وقد تقدم ما كان لها من الوقع عند الحكومة حتى جربتها في جندها . واما فليتشر فقد جربها في نفسه وهو لا يزال سائراً عليها وقد تمكن بها من التمتع بعشرة اضعاف ما كان يتمتع به من اسباب الراحة والصحة قبلها فضلاً عن تخلصه من عوارض الانحرافات حتى الامراض الوبائية التي تنتقل بالعدوى فانها لاتجد سبيلاً الى البدن المعتدل في طعامه على هذه الكيفية فضلاً عما يكون فيه من صفاء الذهن ونشاط البدن

تاريخ التمدن الاسلامي

في نظر المستشرقين

ذكرنا في مقدمة الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي أسماء كبار المستشرقين الذين كاتبونا بشأن هذا الكتاب واشرنا الى ما بعثوا به الينا أو نشروه في المجلات الشرقيـة ببعض اللغات الافرنجية من عبارات الاستحسان والتنشيط . ووعدنا بنشر ما جادت به اقلامهم بهذا الشأن لبيان وقع هذا الكتاب عند اعظم اساطين العلوم الشرقيـة في هذا العصر . على ان نشر تلك الاقوال كما هي يستغرق صفحات عديدة من الهلال ولا يحسن التطويل في ذلك خوف الملل . فرأينا أن نكتفي بشذرات نقتطفها من تلك الاقوال يدلُّ قليلها على كثيرها وهي انما كتبت قبل صدور الجزء الثالث من الكتاب المذكور

فالتقاريظ التي نشروها في المجلات الشرقية علمنا بثلاثة منها الاوَّل مقالة بالفرنساوية صدرت في المجلة الاسيوية الفرنساوية (Journal Asiatique) الصادرة في افريل سنة ١٩٠٤ بقلم الاستاذ الكبير دي كويه استاذ اللغات الشرقية في جامعة ليدن وصاحب الابحاث الدقيقة في تاريخ الاسلام والآداب الاسلامية وناشر تاريخ الطبري والبلاذري والمكتبة الجغرافية العربية وطبقات الشعراء وغيرها . فقد وصف الجزئين الاوَّل والثاني من تاريخ التمدن الاسلامي في بضع صفحات وصف عالم مطلع الى ان قال « ويظهر من مطالعة الجزئين

الذين بين يدي" ان المؤلف قد اطلع على ابحاث علماء اوربا ودرسها درساً دقيقاً وخصوصاً مؤلفات المرحوم البارون فون كريمر وانه عني عناية شديداً في جمع المواد التاريخية وتطبيقها وقد توخى في احكامه على الاشياء والاشخاص حرية تامة فجاءت أحكامه على العموم معتدلة وعادلة »

والتقريظ الثاني ظهر في المجلة الاسيوية الانكليزية (Journal of the Royal Asiatic Society) بقلم الاستاذ مرجليوث استاذ الآداب العربية في جامعة اكسفورد ومؤلف سيرة النبي مطولة بالانكليزية وناشر رسائل ابي العلاء وديوان التماويذي وغيرهما . فكتب في بعض مؤلفات منشي . الهلال مقالة في خمس صفحات ذكر في جملتها الجزئين الاول والثاني من تاريخ التمدن الاسلامي وقد احسن الافاضة في وصفهما بما يدل على علم واسع ونظر دقيق . ومن اقواله « ان المواد التي يحويها هذان الجزآن هي من الاهمية والنفاسة في مكان عظيم مما يدعو الى الاسف انهما كتبا بلغة لا يعرفها معظم قراء هذه المجلة (المجلة الاسيوية) لان فيهم جماعة كبيرة يهمهم الاطلاع على تاريخ الاسلام وهم لا يعرفون العربية » ثم ذكر مزايا هذا الكتاب حتى بلغ الى ما حواه من اقوالنا في موظفي الدولة الاسلامية وزيادة الرواتب الى ان قال « وفي اعتقادي ان مؤلف هذا الكتاب اول من عني في هذا البحث بما يقتضي له من التفتيش والتنقيب في تاريخي الطبري وابن الاثير وهو عمل شاق يحتاج الى صبر طويل لا يعرف مقداره الا من يعاني مثل هذا العمل » ثم قال « ولا اظن كتاباً اعظم اهمية من هذا الكتاب ظهر في تاريخ الاسلام منذ سنين عديدة

والتقريظ الثالث ظهر في مجلة الكتب العربية (Bibliografia Araba) بقلم الاستاذ جويدي استاذ اللغات الشرقية في جامعة رومية واكبر مستشرقي ايطاليا ومؤلف فهرست كتاب الاغاني وغيره

وأما الكتب الخصوصية التي وردت الينا من حضرات المستشرقين فنقتطف منها ما يأتي على سبيل المثال :

قال الاستاذ جويدي المتقدم ذكره من كتاب ارسله الينا بشأن تاريخ التمدن الاسلامي « قرأت قسماً من كتابك تاريخ التمدن الاسلامي وأنا في غاية الاعجاب بهذا الكتاب النفيس وقد ادهشني ما رأيتهُ فيه من التوفيق بين الآراء الفلسفية الحديثة والآداب العربية »

وقال الاستاذ غولدزهر المستشرق الشهير في بودابست وهو من كبار العلماء وصاحب المؤلفات الضافية في تاريخ الاسلام والمسلمين والآداب الاسلامية « اطلعت على كتابك المهم في تاريخ التمدن الاسلامي وأراني سأستفيد منه كثيراً في ما سأكتبه في تاريخ الاسلام وأشكرك سلفاً على ما سأستخرجه من فوائده »

وقال الاستاذ هارتويك درنبرج استاذ اللغات الشرقية في جامعة باريس وصاحب المؤلفات العديدة في الاسلام والعرب والشرق « أهنئك التهاني القلبية على صدور كتابك تاريخ التمدن الاسلامي وعلى ما حواه من العلم الواسع . والجزء الثاني عندنا نحن الافرنج يفضل على الجزء الاول لما في حواشيه من ذكر المآخذ التي أخذتم عنها الكتاب . واقول ان هذه المآخذ هي أوثق المصادر التاريخية واتقاها »

ولما اطلع على الجزء الثالث بعث يقول « اني لا أزال معجباً من الجهة الواحدة بسهولة قلمك وخصبه ومن الجهة الاخرى باقدامك العجيب وأنت في بلاد اسلامية على الجمع بين العلوم الشرقية والعلوم الغربية »

وقال الاستاذ ادوارد برون استاذ اللغة الفارسية في جامعة كمبردج وهو من اهل الاطلاع في الآداب الشرقية الاسلامية وله مؤلف في اداب الفرس ومعظم قراء الهلال يعرفون اسمه — قال في عرض كلامه عن ترجمة الكتاب المذكور الى الانكليزية « أما من قبيل كتابك البديع تاريخ التمدن الاسلامي فان نقله الى اللغة الانكليزية رأيٌ بديع أيضاً وانا على يقين انه سيكون اعظم نفعاً وأوسع انتشاراً »

وقس على ذلك اقوال سائر المستشرقين وكان لهذا الكتاب مثل هذا الوقع عند علمائنا في الشرق وقد جاءتنا كتب العلماء من سوريا والعراق وفارس والهند وغيرها وفيها عبارات الاستحسان والاعجاب نكتفي بالاشارة اليها في هذا المقام غير ما نشرناه منها في السنة الماضية

ويسرنا ان اعجاب العلماء بهذا الكتاب لم يقتصر على تقريظه ولكنهم سعوا في نقله الى السنتهم . فقد نقل الآن الى اللغة الهندستانية (الاوردية) نقله مدير جريدة « وكيل » الهندية الشهيرة . وقد صدر الجزء الاول منه وعرض للبيع . والمخابرة جارية الآن بشأن نقله الى اللغة الانكليزية وخابرنا بعضهم بنقله الى اللغة الفرنساوية

وقد حدث ذلك كله على أثر صدور الجزئين الاول والثاني من هذا الكتاب وأما الجزء الثالث فقد جاءنا من حضرات المستشرقين بشأنه ما يستحق ان يفرد له فصل خاص

غير أنا نذكر رأي أعلم علماء المسلمين في الهند الاستاذ شبلي النعماني صاحب المؤلفات الكثيرة في آداب العرب والمسلمين وناظر العلوم والفنون في حيدراباد لما في عبارته من صدق اللهجة . فقد كتب الينا بالامس يقول « طالعت الجزء الثالث من كتابكم التمدن الاسلامي والحق يقال انكم متفردون من بين أهل النشأة الجديدة بسعة النظر وحسن الاختيار واصابة الرأي — غير ما كان من عزوكم احراق المكتبة الاسكندرية الى المسلمين فان هذا فرية من غير مرية ولولا اني في اسر المرض لكتبت في هذا ما كان يميط الحجاب عن وجه الحقيقة » فنطلب اليه تعالى ان يقرب شفاء العالم الهندي لنستفيد من آرائه . والمناظرة تجلو الحقيقة — على أنا اطلعنا على أقواله في هذا الشأن منذ بضعة عشر عاماً في رسالة نشرها بالهندية وبالانكليزية وقرظناها في السنة الثانية من الهلال وهي لا تخرج في اسانيدها عما ذكرناه من اقوال العلماء الذين ينكرون احراق العرب لهذه المكتبة وقد فندناها . فلعلّ صديقنا النعماني قد عثر على أسانيد جديدة تؤيد رأيه فنرجو نشرها خدمة للحقيقة فانها ضالتنا المنشودة

أما كتب الاصدقاء في مصر وسوريا فنغضي عن ذكرها لكثرتها ونلتمس ممن أرسلوا الينا رسائل التقريظ لهذا الكتاب عذراً على اغفال نشرها في الهلال

تاريخ التمدن الاسلامي والصحافة العربية

ونغتنم هذه الفرصة للثناء على الصحافة العربية لترحيبها بهذا الكتاب وان كان اكثرها قرظته كما تقرظ بعض الكتب الاعتيادية التي تصدر كل يوم . ولا لوم عليها لان انتقاد مثل هذا الكتاب خاص بالمجلات ولم تقصر مجلاتنا الكبرى في هذا الصدد فانها نظرت في الكتاب نظر الناقد المنصف فاستوجبت الشكر الخاص . وانتقاد الكتب أشبه بحكم المحكمين لا جدال فيه ولا يجوز الرد عليه الا بما لا يخرج عن ايضاح مشكل أو التنبيه على سهو

ولذلك فانا نستأذن صديقنا صاحب المنار الاسلامي في كلمة نقولها في هذا المقام — ذلك انا نشكره شكراً واجباً لما توخاه في انتقاده من الانصاف وحرية الضمير وما أبداه فيه من حسن الظن بنا حتى تفضل في الدفاع عنا وردّ قول من يزعم فينا التعصب وبرهن لقرائه انا انما نكتب في الاسلام والمسلمين عن قصد حسن ونية سليمة . غير انا رأينا في مجمل ملاحظاته انه لايقنع منا بالاعتماد على كتب التاريخ والادب في ما نكتبه عن تاريخ الاسلام لئلا يكون في آرائنا ما يخالف أقوال بعض الائمة وأشار علينا

أن نعرض تلك الاقوال على عالم مسلم • وفي اعتبارنا ان المؤرخ يكفيه النظر في كتب التاريخ واذا نظر في غيرها فينبغي ان ينظر فيها من حيث التاريخ فقط وليس من حيث التفسير أو التأويل أو من حيث بعض الاعتبارات الدينية • فلو كتبنا تاريخ التمدن المسيحي مثلاً لاكتفينا باقوال المؤرخين وأغضينا عن أقوال اللاهوتيين في تفسير العقائد أو تأويل بعض النصوص لأنهم مختلفون في ذلك مثل اختلاف سائر أئمة الدين • وتكاد لا تجد مسألة دينية لا تحتمل تأويلاً فاذا رجعنا الى كتب الدين وأردنا استخراج الصواب منها ضللنا وأضعنا الوقت سدى — على أننا لو أردنا الرجوع اليها في ما نكتبه عن المسلمين لكان لنا في مابين أيدينا من تلك الكتب ما يغنينا عن عرض أقوالنا على أحد

فنحن انما نثبت في كتبنا ما ثبت عندنا صحته من الوجهة التاريخية ونستخرج آراءنا من مجمل ما تصفحه من كتب التاريخ والادب وغيرها بعد امعان النظر واعمال الفكرة على ما يبلغ اليه الامكان • ولو اردنا تأييد اقوالنا بأدلة من كتب الدين فلا نعدم وسيلة لاثباتها ولكننا اخذنا على نفسنا ان لا ننظر في ذلك حرصاً على الوقت وفراراً من سوء الظن بنا لغير طائل • لان اقوال الائمة او المفسرين كثيراً ما تخالف اقوال المؤرخين في الظاهر فقط لاعتبارات دينية فيسهل تطبيقها كما هو الحال في اكثر ما يقوله المعترضون • ولكن كثيراً مايكون بين القولين مناقضة صريحة فيقول التاريخ قولاً ويقول بعض الائمة ضده ونحن انما يهمنا التاريخ • ومن اقرب الامثلة على ذلك اننا ذكرنا في بعض كتبنا ان علي ابن ابي طالب كان ضعيف الرأي فانكر المنار ذلك علينا واتى باقوال كثيرة في دفع هذه التهمة عنه • ولا نظن احداً يطلع على تاريخ الامام علي ويتدبر اعماله الا ويرى في كل عمل منها دليلاً على ضعف رأيه — في حكم التاريخ — ناهيك بشهادة ابن عمه عبدالله بن عباس يوم اشاروا على علي باقرار معاوية ولم يقبل فقال له ابن عباس يومئذ « يا امير المؤمنين انك رجل شجاع ولست صاحب راي » فهل اصرح من هذا القول او اصدق من هذا القائل وقد رواه ابن الاثير وابو الفداء وغيرهما

على اننا نكرر الشكر لزميلنا صاحب المنار لاننا نستفيد من الانتقاد اكثر مما نستفيد من التقريظ وخصوصاً من صديق عالم نعده تجلته من اكبر اركان النهضة الاسلامية • ولكننا نرغب اليه ان يتكبد المشقة في مطالعة كتبنا ثم ينتقد ما تحويه من الابحاث الجديدة في تاريخ التمدن الاسلامي ونظن النظر فيها اهم من النظر في اكثر ماتقرظه الجرائد من الكتب

وكنا منذ اخذنا في تأليف هذا الكتاب نتوقع ثلاثة امور : الاول ان يقع لدى

مستشرقي اوربا موقع الاستحسان لعلمنا انهم عانوا هذه الابحاث وعرفوا قدرها وهم قدوتنا فيها ولأنهم لم يتعودوا الوقوف على مثل هذه الابحاث من كتاب الشرق . والامر الثاني اننا كنا نتوقع من علماء المسلمين وخاصة كتاب العربية ان ينظروا في هذا الكتاب بعين الاهتمام ويبحثوا في مواضيعه لانها عبارة عن البحث في مآثر اسلافهم . والأمر الثالث ان يسيء العامة ظنهم بنا لعلمنا باختلافهم في المذاهب والمشارب وخصوصاً لاننا مسيحيون ونكتب في تاريخ الاسلام

فالامر الاول قد صدق ظننا فيه فوق ما كنا نتوقعه كما قد رأيت . واما الامر الثاني فلم يصدق ظننا فيه الأ قليلاً كأن الخاصة قليلون عندنا او انهم لم يتكلفوا البحث لسبب من الاسباب . او اذا تكلفوه انما ينظرون الى العرض دون الجوهر فينتقدون لفظة يعرفون لها تاويلاً او يتوهمون فيها خطأ ولا يتعرضون للابحاث الاصلية التي يتألف منها هذا الكتاب وفيها حكم المؤلف على الاسلام والمسلمين في تمدنهم بين اطراء ونقد كقولنا مثلاً ان العرب احرقوا مكتبة الاسكندرية او انهم لم يدونوا العلم الأ بعد انقضاء القرن الاول للهجرة وبحثنا في الاسباب التي حملت الخلفاء على نقل العلوم وفي ماساعد على نقلها غير آرائنا في المدارس والمكاتب وان المسلمين لم ينشئوا مدرسة الا نحو القرن الخامس واقوالنا في ما احدثه المسلمون في العلوم من الآراء والابحاث وغير ذلك مما فصلناه في الاجزاء الثلاثة من هذا الكتاب . فانتقاد هذه الابحاث الكلية يدلُّ على عقل المنتقد وعلمه ويعود بالفائدة على الكتاب والقراء . واما انتقاد الالفاظ فلا عبرة فيه والوقت يضيع سدًى في تحقيقه

واما الامر الثالث فقد صدق ظننا فيه مضاعفاً اذ نقم علينا المسيحيون والمسلمون معاً وما ذلك الأ لاننا نتوخى الحقيقة كما هي بقطع النظر عن الاغراض والاهواء — والحقيقة ثقيلة على سامعيها . اذ لا يخلوان يكون للتمدن الاسلامي حسنات وسيئات فاذا قرأه مسلم تغاضى عما ذكرناه فيه من حسنات الاسلام وانتبه للسيئات ونسب المؤلف الى التعصب . واذا قرأه مسيحي لم يرَ غير الحسنات فينسب المؤلف الى المروق من النصرانية . ولا يهمنا هذا ولا ذاك ونحن انما نقصد الحقيقة وغرضنا ظاهر في كل سطر او كلمة من مؤلفاتنا

على اننا معاذ الله ان ندعي العصمة فقد يتطرق الخطأ الى كثير مما نكتبه . ولذلك فاننا نحب الاطلاع على آراء اهل العلم فيه للاقتراب من الصواب بقدر الامكان

باب الأخبار العلمية

(قوانين لسير عربات الاوتوموبيل) لم يكد يتم اختراع الاوتوموبيل حتى شاع استعمالها في ممالك أوربا وامتلأت الشوارع بها وأصبح المارة يخافون صدمتها ويتزعجون من قرقعتها . فوضعت الحكومات قوانين لتخفيف تلك المصائب تختلف باختلاف الدول . فالولايات المتحدة الاميركية منعت الاوتوموبيل من المسير في الخلاء بسرعة تزيد على عشرين ميلاً في الساعة وكذلك انكلترا . اما فرنسا فجعلت معظم السرعة ١٨ ميلاً في الساعة وكذلك المانيا وايطاليا . أما في المدن فالقانون أن تكون سرعتها من خمسة أميال الى تسعة في الساعة . وقد حظرت عليها المسير في بعض الشوارع . ولا بد لمقتني عربة الاوتوموبيل من أن يستأذن الحكومة في استخدامها وهي لا تأذن بذلك الا بعد تحققها مهارة من يتولى سوقها . والاوتوموبيل لا تزال نادرة في سويسرا . وقانون سرعتها في البلجيك ستة أميال في المدن و $\frac{1}{2}$ ١٨ ميل خارجها . أما في النمسا فالاحكام على أصحاب هذه العربات صارمة فانها لا تسمح ان تزيد سرعتها على $\frac{1}{2}$ ٧ ميل في الساعة ولا تأذن للسيدات في سوقها . وقد تفردت النمسا بهذا القانون دون سائر دول أوربا

(تنقيب الغربيين عن الآثار الشرقية) لم يقتصر سعي الغربيين في التنقيب عن الآثار الشرقية على رجالهم ولكنه يتناول نساءهم أيضاً . واكثر نساء الغرب سعياً في هذا السبيل الشقيقتان لويس الانكليزيتان فانهما اكتشفتا منذ بضع سنين على نسخة سريانية من الاناجيل الاربعة وغيرها من الاصول الخطية القديمة في دير طورسينا مما ذكرته الجرائد في حينه . وهما الآن تخترقان صحاري مصر للبحث في الاديار القديمة عن الكتب والاوراق مما يتعلق بالتاريخ القديم أو الدين فاصطحبتا كتاباً

من غبطة بطريرك الاقباط يسهل عليها الدخول للاديار والتفتيش في مخبآته ومن جملتها دير الانبا انطنيوس وهو من أقدم الاديار ولم تخط عتبته أُنثى منذ ستة عشر قرناً ناهيك بمشقة الوصول الى الدير وصعوبة الصعود اليه . فنرجو أن توفقنا الى آثار تاريخية تساعدنا على استيضاح بعض غوامض التاريخ

(لغوم مستعجلة) ذكرنا في غير هذا المكان أشهر أنواع اللغوم البحرية ووقفنا بالامس على ضرب منها يستخدم في البحر في بعض الاحوال المستعجلة . وهو عبارة عن كرة فيها الطوربيد بكل معداته مما ينفجر باللمس . والكرة معلقة بثقل من الحديد بواسطة حبل يطوَّل أو يقصر حسب اللزوم . فاذا القي اللغم في البحر نزل الثقل الى قاعه وظلت كرة الطوربيد سابحة في جوف الماء كما يسبح البالون في الهواء اذا شددته بحبل الى الارض — وتحمل هذه اللغوم على ظهر السفينة في موخرها فاذا أرادوا انزالها الى البحر حركوا آلة تدفع اللغم فينزل حتى يستقر ثقلهُ في القاع و يبقى الطوربيد عائماً فاذا مرت سفينة هناك ولمسته تفرقع واغرقها

(انتحار الامم بتقليل المواليد) يراد بانتحار الامم ان تقتل الأُمة نفسها عمداً بتقليل المواليد . وأسبق الامم المتمدنة الى هذا الغرض فرنسا فان المواليد تقلُّ فيها كل سنة عما قبلها فقد كانت سنة ١٩٠٤ نحو ٨٥٧,٠٠٠ نفس فأصبحت في السنة التالية ٨٤٥,٣٧٨ نفساً . وهكذا في ما يلي لانهم يفضلون البقاء على العزوبية واذا تزوجوا لا يريدون ان يزيد نسلهم على ولد أو ولدين بخلاف الامم الاخرى . فقد كان الالمان والفرنساويون سنه ١٨٦٠ متساويين في تعدادها فأصبح عدد الالمان الآن ٥٢,٠٠٠,٠٠٠ نفس وأصبح الفرنساويون ٣٨,٨٠٠,٠٠٠ على أن مبدأ تقليل المواليد انتشر من فرنسا الى سائر ممالك العالم حتى في بلادنا فان الرجل منا اذا تزوج يرجو أن لا يزيد نسله على ولدين أو ثلاثة تخفيفاً لاثقال التربية وفراراً من نفقات التعليم وغيره . ولم ترفض هذا المبدأ الا روسيا والصين واليابان

(الانيميا الوافدة) ان فقر الدم (الانيميا) كثير الانتشار في بورتريكو من أميركا الوسطى . وكان الاطباء في ريب من سبب هذا الضعف هناك فاهتمت الحكومة

في البحث عن ذلك فألفت لجنة لتحري الاسباب ودرس الموضوع . فظهر لها ان الأنيميا هناك مرضٌ وافد ينتقل بالعدوى من طريق التراب وانه ينتشر بنفس هذه الكيفية في جزائر الفيلبين فبحثوا في الاتربة بحثاً مكروسكوبياً فوجدوا فيها نوعاً من الميكروب لهُ تأثير شديد على كريات الدم الحمراء فيسمها ويفسدها وهم يسعون في في استنباط الوسائل الوافية والشافية

(النصرانية في اليابان) وجد الساعون في نشر النصرانية بين اليابانيين انهم من أبعد الناس عن الاعتقاد بالله رغم ما بلغوا اليه من الرقي في الاعوام الاخيرة . على أنهم لا يرون بأساً (من باب السياسة) أن تكون النصرانية ديانة المملكة اليابانية . وقد صرح جماعة من كبارهم بذلك وتألفت لجنة لنحو هذا الغرض منذ بضعة أعوام وقدمت الى أوربا ودرست الموضوع وأشارت على الحكومة بهذا الشأن فلم تلق معارضاً — ومن غريب أمر هذه الدولة أنها في أثناء حربها مع الصين سنة ١٨٩٤ أذنت لجماعة من القسوس في مرافقة جيوشها للصلاة . وصرحت لجماعة من جمعيات نشر التوراة أن يقدموا لجنودها نسخاً من الاناجيل يسهل حملها معهم الى ساحة الحرب . فاليابانيون مع بعدهم عن الاعتقاد بالنصرانية بعيدون عن التعصب عليها . والمسيحيون المقيمون في بلاد اليابان يمارسون طقوس ديانتهم بملء الحرية ويتقدمون في مصالح الدولة على قدر استحقاقهم فان خطيب مجلس النواب رجل مسيحي من الطائفة الانجيلية ومع ذلك فان عدد المسيحيين في بلاد اليابان لا يزيد على ١٠٠,٠٠٠ نفس نصفهم تابعون لكنيسة رومية و ١٦,٠٠٠ من اتباع الكنيسة الاثوذكسية والباقون من الطوائف الاخرى

(النظافة والتمدن) قد يتبادر الى الاذهان ان النظافة من نتائج التمدن والحقيقة ان التمدن قد يكون مساعداً على النظافة ولكنه ليس سبباً لها . فان قبيلة البابوان من القبائل المشهورة بالهمجية وبأكل اللحوم البشرية هي من النظافة في ما تفضل فيه أرقى الامم الاوربية رجالاً ونساء

(لغات الهند وسكانها) ليس على سطح الكرة امة كثيرة اللغات مثل

امة الهنود فقد استخرج بعض علماء الانكليز احصاء وافياً في هذا الموضوع سنة ١٩٠١ فوجد في الهند الانكليزية وحدها ١٤٧ لغة مستقلة كل منها عن الاخرى . ثم قابل بين اللغات ومتكلميها بالنظر الى اصناف البشر فكانت النتيجة كما يأتي :

اصناف اللغات	عدد المتكلمين بها
اللغات الآرية وفروعها	٢٢١,١٥٧,٦٧٣
« الدرافيدية	٥٦,٥١٤,٥٢٤
« الهندية الصينية	١١,٧١٢,٢٩٩
« المندية	٣,١٧٩,٢٧٥
« السامية	٤٢,٨٨١
« الملقية	٧,٨٣١
« الحامية	٥,٥٣٠
لغات أخرى	١,٧٣٠,٤٤٣
مجموع سكان الهند	٢٩٤,٣٤٠,٤٥٦

(نفقات الحرب الحاضرة) نشرت مجلة العالمين الفرنساوية مقالة في مستقبل مالية الدولتين المتحاربتين الآن في الشرق الاقصى خلاصتها ان هذه الحرب لا تنتهي قبل انقضاء سنتين كاملتين وان نفقاتها على كل دولة لا تقل عن ١٦٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه . وان الروسيين يسهل عليهم القيام بدفع هذا المبلغ . واما اليابان فيستحيل عليهم ذلك لاسباب تجارية وزراعية ذكرت في تلك المقالة

(مسيح اميركا) ظهر في العالم الجديد مسيح جديد كالذي ظهر في الهند وذكرناه في غير هذا المكان . واما مسيح الاميركان فاسمه دوي واصله انكليزي وقد ولد في ايدنبرج سنة ١٨٢٩ فلما بلغ الثالثة عشرة من عمره انتقل مع والديه الى اوستراليا واقاموا في ادليد فاستخدم دوي كاتباً في بعض الحوانيت ثم عاد الى ايدنبرج ودخل مدرسة اللاهوت فلما فرغ من دروسه ارسل قسيساً لمدينة سدني في اوستراليا وانتقل من اوستراليا الى شيكاغو في اميركا فرآها بلاد الغرائب فأراد ان يضيف

اليها غريبة أخرى فأدعى انه ايليا الحي او ان ايليا تجسد فيه وادعى شفاء الامراض بالايمان . فالتف حوله جماعة كبيرة وفيهم الاغنياء واهل النفوذ وتداخلت مصلحة الصحة هناك بشؤونه لعلاقة مذهبه بالصحة العمومية . فآل ذلك الى بناء مدينة سماها «صهيون» ابتاع لها ٦,٠٠٠ قصبة من الارض في ولاية ايلينويس فبلغت قيمتها ربع مليون جنيه ثم باعها الى اتباعه اجزاء فبلغت قيمتها ٣,٠٠٠,٠٠٠ وبلغ عدد سكان هذه المدينة حتى الآن ١٢,٠٠٠ نفس وفيها كثير من الابنية الفخيمة ومئات من المنازل الجميلة وابتنى فيها قبة المهد تسع ٧,٥٠٠ نفس . ولا يقدر احدٌ ان يقيم في هذه المدينة الا اذا خضع لقوانينها وفي جملة ذلك ان يدفع عشر دخله لخزينتها . ولا يقبل فيها احد من باعة الخمور او التبغ او المياه المعدنية على الاطلاق . فلما فرغ دوي من بناء مدينته هذه جند نحو ٤,٠٠٠ رجل و ٥٠٠ موسيقي و ٥٠٠ مطرب وخرج لهداية الناس الى دينه

(أملاح الدمع) كلٌّ منا يشعر بملوحة الدمع اذا ذاقه وقد عني بعضهم في تحليل تلك الاملاح فوجد اكثرها مزيجاً من الملح الاعتيادي وفصفات الصوديوم وقد جفف بعض دمعه على صفحية من الزجاج فتبلورت الاملاح المذكورة بلورات صليبية الشكل

(ارتياد مجاهل بلاد العرب) في جزيرة العرب بقاع كثيرة لا تزال مجهولة لصعوبة الوصول اليها ووعورة مسالكها في الصحاري والجبال فضلاً عن الخطر على الداخلين اليها من الافرنج مع ما يتوقعونه من الاكتشافات المهمة في اطلال مدن حمير وسبا وبلاد التبابعة . فارتأى بعضهم ان يستعان على ذلك بالبالون وبالتلغراف بلا سلك وذلك ان يركب جماعة في بالون ومعهم بالون آخر او أثنان مملوءان غازاً فاذا اصاب احدها ضرر أو أفلت بعض غازه أو كله ملأوه من احد البالونين الباقيين . وان يكون مع الراكبين آلة تلغراف مركوني وآلة فوتوغرافية فينقلون ما يستطيعون نقله من الصور بالفوتوغراف ويخابرون اصحابهم بالتلغراف عما شاهدوه هناك

(الانهار في صحراء افريقيا) من الامور المشهورة ان صحراء افريقيا عبارة

عن ارض قاحلة وعرة والحقيقة انها كذلك بحسب الظاهر واذا نظرت اليها رأيتها قاصرة على الجبال الصخرية والرمال المحمية ولكنهم وجدوا بالبحث والدرس ان ما يظهر من قحطها انما هو طبقة رقيقة تحتها ارض دلغانية فيها الجداول والينابيع والانهار والبحيرات مما يمكن الوصول اليه بلا كبير مشقة . وان الانهار التي تجري في شمالي افريقيا وتصب في البحر المتوسط هناك لا شك ان بعضها ينبثق من ينابيع في جبال الاطلس على حدود الصحراء ولكنهم تحققوا ان مصادر القسم الاعظم منها متصلة ببلاد التادمي وجبال الاهوجر في اواسط الصحراء وانك حيثما حفرت في الصحراء لابدَّ من الوصول الى الماء على عمق بضعة امتار واذا خاب انتظارك في مكان فلا بد ان يكون الماء في ما يجاوره

(اللغة العامة) ذكرنا في غير هذا المكان اهتمام الانكليز في انشاء لغة مشتركة يتفاهم بها الناس في كل العالم وان آخر تلك المشروعات لغة سموها اسبرانتو (Esperanto) وذكرنا أمثلة من تراكيبها هناك وقد أطلعنا في مجلة المجلات ان الساعين في نشر هذه اللغة باذلون اقصى جهدهم في ذلك . فأنشأوا لها مجلة شهرية اسمها مجلة الاسبرانتو اشتراكها ستة شلينات في السنة وهي تنشر قصصاً وحوادث ومراسلات باللغة الجديدة . وأنشأوا نادياً باسم هذه اللغة يقبل الزائرين يوم الاثنين مساء . ولهم مجتمع آخر لالقاء الدروس وقد ألفوا فيها كتب النحو وكتب المفردات والقواميس في كل لغات اوربا . وقد كانت جرائد أوربا ذكرت هذا اللسان وشفعت ذكره بالاستخفاف ولكننا رأيناها هذه المرة تهتم بذكره لما رأته من اهتمام اصحابه به . ومع ذلك فاننا لا نرجو لهذه البدعة عمراً طويلاً

(القوة العضلية في الحيوانات) تختلف الحيوانات في قواها العضلية باختلاف أجناسها . ولكن الغالب في الناس ان يخطئوا في تقدير قواتها بالنسبة بعضها الى بعض . ولذلك فقد عني بعضهم في نيو يورك باستنباط طريقة تقاس بها القوى قياساً مضبوطاً . ولا يمكن ضبطه الا اذا عرفت النسبة بين ثقل الحيوان ومقدار قوته فاصطنعوا آلة يزنون بها الحيوان ويقيسون بها قوته العضلية بالنسبة الى وزنه . واختاروا أضخم الحيوانات

المعروفة وهي الفرس والفيل والجمل والانسان . ولو سئل أحدنا عن أقوى هذه الحيوانات لاجاب على الفور ان اقواها الفيل ولكن الفيل في الواقع أضعفها جميعاً واليك جدول يظهر فيه قوة كل منها بالترتيب من القوي الى الضعيف

	وزنه بالرطل	قوته بالرطل	معدل قوته
الفرس	١,٦٠٠	١,٨٧٥	١٫١٧٢
الانسان	١٥٠	١٧٥	١٫١٦٦
الجمل	١,٨٠٠	١,٣٧٥	٫٧٦٠
الفيل	١٢,٠٠٠	٨,٧٥	٫٧٣٠

فترى من ذلك ان الفرس اقوى هذه الحيوانات ثم الانسان فالجمل فالفيل

(مناجم النحاس في بلاد اليابان) تعد اليابان في الدرجة الرابعة بالقياس على مقدار النحاس المستخرج من مناجمها . والبلاد التي تفوقها في ذلك الولايات المتحدة واسبانيا وشيلي . وقد بلغ مقدار ما استخرجوه من نحاس اليابان سنة ١٩٠٠ نحو ٢٥,٠٠٠ طن بيع منه ما بلغت قيمته ٣٢,٠٠٠,٠٠٠ فرنك . وفي سنة ١٩٠١ بلغت قيمة الصادر منه ٣٥,٠٠٠,٠٠٠ فرنك

(مكافأة خدمة العلم) منحت جامعة كمبردج العالم الطبيعي هنري بكريل لقب دكتور في العلم مكافأة له على ابحاثه المتعلقة بالراديوم ومنحت هذا اللقب ايضاً للموسيو فينافولترا استاذ الرياضيات في جامعة رومية والموسيو بناجوتس كباديسيس مدير الآثار في بلاد اليونان

(اصلاح نقود الصين) استقدمت حكومة الصين رجلاً اميركانياً اسمه المستر جنكس لاصلاح نقودها

(معالجة الدفتيريا بالبروم) قال الدكتور هوتنل في اكادمية الطب في باريس ان الدكتور بسكول عالج الدفتيريا بمحلول البروم غرغرة . وذلك ان يصب خمس نقط الى ٢٠ نقطة من البروم في ماء مسكر مع ثلاثة غرامات من بروميد البوتاسيوم ثم يغرغر العليل بالمزيج

(تمثال باستور) مهما بالغ الناس في اكرام باستور بعد موته فانهم لا يفونه حقه لما ترتب على اكتشافاته في عالم الميكروب من الفوائد الصحية العائدة بالرفاه على بني الانسان

ولكن ما لا يدرك كله لا يترك قله فان الفرنساويين ما انفكوا منذ توفي هذا الاستاذ سنة ١٨٩٦ وهم يجمعون الاموال بالاكتتاب حتى بلغ المجموع ٣٥٠,٠٠٠ فرنك فاصطنعوا له بها تمثالاً شامخاً نصبوه في باريس في ١٦ يوليو الماضي باحتفال شائق

(التلغراف بلا سلك) اقيمت المخابرات التلغرافية بلا سلك بين ايطاليا والجبل الاسود • واقتدت انكلترا بفرنسا في جعل انشاء المحطات للمخابرة بهذا التلغراف مقيداً باوامر الحكومة فلا ينشئ أحدٌ محطة الا اذا اذنت له الحكومة بانشائها

(البوسطة الانكليزية) يؤخذ من احصاء بوسطة انكلترا الرسمي ان عدد المراسلات العادية والتذاكر التي تبودلت من مارس سنة ١٩٠٣ الى مارس سنة ١٩٠٤ بلغ ٣,٢١١,٣٠٠,٠٠٠

(الدين المصري) مصر الآن في رغد ورخاء لانها تتقدم تقدماً سريعاً في الثروة من سائر ابوابها ولكنها لا تزال مديونة • وبلغ الباقي عليها من الدين الى آخر السنة الماضية ١٠٢,١٨٧,٠٠٠ جنيه منها ٨,٨٠٤,٠٠٠ جنيه في صندوق الدين ونظارة المالية فيكون الباقي عند حاملي الاسهم ٩٣,٣٨٣,٠٠٠ جنيه

(السكة الحديد المصرية) كان عدد ركاب السكة الحديدية المصرية سنة ١٨٨٣ نحو ٢,٨٠٠,٠٠٠ نفس فاصبح في العام الماضي ١٥,٠٠٠,٠٠٠ نفس • وكان مجموع ما نقلته من البضائع سنة ١٨٨٣ نحو ١,٢٠٠,٠٠٠ طن فاصبح في السنة الماضية ٣,٠٠٠,٠٠٠ طن وكان ايرادها ١,٢٠٠,٠٠٠ جنيه سنة ١٨٨٣ فبلغ الآن ٢,٢٦٠,٠٠٠ جنيه • وتبتاع السكة الحديدية المصرية اكثر ادواتها الميكانيكية من الخارج وقد بلغ مجموع ما دفعته في هذا السبيل في السنة الماضية ٤٠٤,٨٧١ جنيهاً منها ١٧٢,٥٣٥ لبلاد الانكليز و١١٢,٤٠٩ للبلجيك والباقي لسائر الممالك • عدا ما ابتاعته المصلحة المذكورة من الفحم الحجري وقيمته ١٦٢,١٠٠ جنيه وكله من انكلترا

(التجارة المصرية) ان التجارة المصرية آخذة في الارتقاء مثل سائر ابواب العمل في هذا القطر يعرف ذلك من مقابلة واردها وصادرها في كل عام عما قبله • فقد كان مجموع الوارد والصادر (معاً) سنة ١٨٩٣ ٢١,٠٨٤,٣٠٠ جنيه فاصبح بعد خمس سنوات ٢٢,٢٩٨,٨٠٠ جنيه وبلغ في العام الماضي ٣٥,٢٦٥,٤٠٠ جنيه • منها ١٦,١٤٦,٩٠٠ جنيه قيمة الصادر و١٩,١١٨,٥٠٠ قيمة الوارد ما عدا التبغ فان قيمة الوارد منه الى القطر المصري في العام الماضي ٦,٥١٧,٠٠٠ جنيه • ويؤخذ من المقابلة بين ما يرد مصر

من الممالك الاوربية ان الوارد من بلاد الانكليز يعادل ٤٢٫٥ من المئة من المجموع اي ان واردات انكلترا وحدها الى مصر نحو واردات سائر ممالك الدنيا . ويلي انكلترا تركيا فان وارداتها الى مصر ١٢٫٤ من المئة ثم فرنسا ووارداتها ١٠٫٢ من المئة

(التدخين في مصر) التبغ من اروج التجارات في مصر وهو يزداد رواجاً في كل عام . ويؤخذ من تقرير اللورد كرومر ان متوسط ما يستهلكه كل واحد من سكان مصر اليوم ٦٥٤ غراماً في العام وكان في العام الماضي ٦٣٤ غراماً . فاذا اعتبرنا المدخنين من الرجال فقط واخرجنا الاطفال والنساء كان متوسط ما يستهلكه الرجل نحو ثلاثة كيلو غرامات ونصف او سبعة ارطال في العام اي ثلاثة دراهم ونصف درهم في اليوم

(نقود مصر) بلغ مجموع قيمة النقود الفضية المصرية التي ضربت في الخمس السنوات الاخيرة ٣٧٠,٠٠٠ جنيه ونقود النيكل ١٠٥,٠٠٠ جنيه

(الحشيش والجنون) من الامور المقررة طبياً ان الحشيش من اكبر مسببات الجنون ولذلك فالحكومات المتيقظة تشدد في منع دخوله بلادها وكذلك فعلت الحكومة المصرية . ولكنها قلما افلحت في منعه لاننا نشاهد قهوات التحشيش كثيرة في القاهرة وغيرها وكل ما اقفلت الحكومة قهوة فتحت غيرها . وقد بلغ عدد ما اقفلته من اماكن الحشيش في السنة الماضية ١,٧٠٠ مكان في انحاء القطر . وبلغ مقدار ما ضبطته من الحشيش المهرب في تلك السنة ٢٤,٣٤٩ كيلو غراماً . ويؤخذ من الاحصاءات الصحية المصرية بالنظر الى الجنون الناتج عن التحشيش ان الحالة في تحسين لان نسبة المجانين من الحشيش الى غيرهم ممن يدخل مستشفى المجاذيب في القاهرة آخذة في النزول كل عام عما قبله واليك خلاصة ذلك

السنة	المجانين من الحشيش	السنة	المجانين من الحشيش
١٨٩٧	٣٣ في المئة	١٩٠١	٢٠ في المئة
١٨٩٨	٢٥ «	١٩٠٢	٢٢ ½ «
١٨٩٩	٢٣ ½ «	١٩٠٣	١٨ «
١٩٠٠	٢٥ «		

﴿ ترامواي القاهرة ﴾ لا نشاهد عربات الترامواي سائرة في شوارع القاهرة وضواحيها غاصة بالناس الا ونعجب لنجاح هذا المشروع وعظم فوائده في تسهيل الاعمال لسهولة النقل وقلة النفقة فضلاً عن فوائده الصحية . فاننا على يقين من تحسن الصحة العمومية على الاجمال لان سهولة النقل ورخصه عودت الناس على ركوب عربات الترامواي الى

ضواحي القاهرة لترويح النفس وتبديل الهواء · وعدد الراكبين آخذ في الزيادة كل سنة عما قبلها فقد بلغ عددهم سنة ١٩٠١ نحـو ١٤,٧١٥,٠٠٠ نفس · وصار في السنة التالية ١٦,٩٢٦,٠٠٠ نفس وبلغ في العام الماضي ١٨,٩٥٧,٠٠٠ نفس

※ النفقة على المعارف ※ قد يستدل الناس على تقدم مصر في سبيل المعارف من زيادة نفقات الحكومة على مدارسها في كل سنة لان نفقاتها كانت سنة ١٨٨٧ نحو ٦٣,٠٠٠ جنيه فاصبحت الآن ٢٠٤,٠٠٠ جنيه اي انها تضاعفت ثلاث مرات — ولكننا اذا اعتبرنا عدد السكان وزيادة اجور المعلمين نرى الحكومة المصرية مقصرة في هذا السبيل والبلاد في حاجة الى زيادة التعليم اكثر من حاجتها الى تنظيم الجند او توسيع المحاكم

الصحافة المصرية في نظر اللورد كرومر

نقلاً عن تقريره لسنة ١٩٠٣ (ترجمة المقطم)

لم اذكر في تقاريري الماضية شيئاً عن الصحافة في مصر فاذا ذكرت شيئاً عنها الآن فليس ذلك لان لها مسألة مهمة تحت البحث اليوم مهما كان قد سبق من امرها في الماضي ولهذا اؤمل ان لا يحمل شيءٌ من الاقوال التي اقولها هنا عنها على غير مرادي منها

كان في بدء الاحتلال الانكليزي ما يسمونه « بمسألة الصحافة » فان كثيرين من ذوي الآراء الحقيقة بالاعتبار من الاوربيين والوطنيين سواءٌ كانوا موظفين او غير موظفين رأوا ان اعطاء الحرية التامة للجرائد في مصر موجب للضرر اما الرأي العام الانكليزي فيبالغ من يقول انه كان يؤيد تقييد الجرائد الاَّ ان قوماً كانوا يشيرون بذلك في بعض الجرائد الكبرى بلندن احياناً

ولا ينكر انه اذا نظرنا الى العناصر التي تتألف الهيئة الاجتماعية المصرية منها والى ما كان القطر عليه منذ مدة قصيرة ظهر لنا لاول وهلة ان منح الحرية التامة للصحافة قد لا يخلو من الضرر · على ان هناك اعتراضين على تقييد حرية الصحافة الاول ان وجود حامية انكليزية في القطر يضمن ان الكتابات المهيجة لاتفضي الى الاخلال بالامن اخلالاً عظيماً · والثاني ان من العبث سن قانون خصوصي للجرائد الوطنية مالم يمشِ ذلك القانون على الجرائد الاوربية ايضاً لان كل صاحب جريدة وطنية يخشى طائلة القانون ينقل حقوقه وامتيازهُ الى رجل اوربي فعلاً او اسماً · ثم ان الدول الاوربية والحكومة الانكليزية في مقدمتها على الارجح تعترض على كل قانون يقصد به تقييد حرية الصحافة حقيقة

اما انا فكنت مخالفاً لتقييد حرية الصحافة منذ الاول ولكني لم اعوّل كثيرًا على الاعتبارات التي اشرت اليها آنفاً · فاني رأيت اولاً ان الحجج التي تقدم على تقييد حرية الصحافة لا تعادل الحجج التي تقدم على اطلاق حريتها · وثانياً ان كبار رجال الحكومة كانوا يقوون على احتمال انتقاد الجرائد لهم بل على ايرادها اقوالهم وافعالهم على غير صحتها حتى في اصعب الازمان التي مرّت على مصر اي قبل ان يؤثر الاصلاح تأثيره المطلوب

وقد ابدت الحوادث هذا الرأي فمرّت سنون كثيرة والجرائد المصرية تامة الحرية ولكن الحكومة اضطرت الى اقامة بعض القضايا على بعض الجرائد لطعنها على الملوك الاجانب والخديوي واعضاء العائلة الخديوية وكان الرأي العام مؤيدًا للحكومة في تلك القضايا القليلة · ولم تكن اقامة القضايا سياسية ومع ان القانون يخول الحكومة الحق في ان تطلب من صاحب كل جريدة ان يحصل على رخصة قبل اصدار جريدته الا انها لم تعمل بهذا الحق منذ مدة طويلة

ويقال بالاجمال ان النتيجة جاءت على ما يرام · على ان الجرائد المصرية من اجنبية ووطنية كثيرًا ما تنشر اخبارًا غير صحيحة · وكثيرًا ما تنتقد انتقادًا قانونياً مفيدًا ولكنها تخمّ فيه احياناً آراء على غاية من الجهل والطيش بلغة شديدة اللهجة وتنشر احياناً مطاعن شخصية لا تنشرها الجرائد التي هي ارقى منها · ولست اظن ان رجال الحكومة سواء كانوا اوربيين او وطنيين ينبذون آراء الجرائد ظهرياً بل قد لحظت مرارًا انهم يعلقون عليها اكثر مما يلزم من الاهمية بمعنى انهم لا يميزون التمييز الكافي بين ما يستحق الالتفات منها وما يستحق الاهمال ولا اظن انه يمكن ذكر حادثة واحدة في العشرين سنة الماضية تدل على ان حرية الجرائد التامة اضرّت بالبلاد ضررًا عظيماً او اخرت سير الاصلاح الحقيقي يوماً واحدًا · وزد على ذلك ان الجرائد الوطنية الساقطة التي تكتب لفئة من الاهالي قليلة العلم كثيرة التصديق وتحاول اضرام نار البغض الجنسي لا تؤثر اقوالها كثيرًا اذ لا تسنح لها فرصة تبني عليها اقوالها

هذا واذا كانت الصحافة حرة في بلاد مثل مصر فلا بدّ لرجال الحكومة ان يجمعوا بين صفتين متضادتين بعض التضاد · احداهما ان يحترموا آراء الجرائد اذا كانت ترمي الى غرض سام وتسعى في تأييد آرائها بالدليل القاطع كما هو الغالب · والثانية ان يكون لهم من الشجاعة الادبية ما يكفي لمقاومة الجرائد التي ترمي الى غاية غير شريفة وتحاول تأييد اقوالها بادلة لا تستحق الالتفات كما هي الحال احياناً · ولا باس بذكر الطريقة التي

اتبعتها مع الجرائد المصرية فاستفدت منها فائدة تذكر وعليه فاني اشير على الموظفين الاجانب والوطنيين باتباعها وهي اني اقرأ بعض الجرائد المهمة وقد وجدت بالاختبار انه ليس من الصعب التمييز بين ما يستحق الاعتبار وبين مالا يستحقه فيها . فاذا قرأت خبراً معاماً لم اعلم به قبلاً استعلم عما اذا كان صحيحاً او لا وقد يتفق انه لا يكون صحيحاً او لا يكون مدققاً ولكني مديون للجرائد باخبار استفدتها منها وربما لم استطع الوصول اليها لولا الجرائد . اما من جهة آراء الجرائد فاني اما ان اهتم بها او لا اهتم وذلك يتوقف على المصدر الذي تصدر عنه وقوة الادلة المبسوطة فيها وما اذا كانت آراء شخص واحد او راي جمهور يستحق الالتفات والاحترام وغير ذلك من الاعتبارات

وانه ليسهل القضاء على الجرائد المصرية من باب رسمي او على قسم منها على الاقل واذا فرضنا ان ذلك القضاء في محله فان للمسألة وجهاً آخر وهو انه فضلاً عما لحرية الجرائد من الفائدة القطعية فلا ريب ان الجرائد تمنع بعض الضرر فان خوف التشهير على صفحاتها يمنع كثيراً من الشرور ويقلل العيوب التي تعتور نظام الحكومة المصرية كما تعتور نظام غيرها من الحكومات . ورايي الخصوصي ان خير ما فعلته الجرائد افادة الحكومة المصرية بوجه العموم وشرّ مافعلته لم يضرّ ضرراً بليغاً بمصالح البلاد الحقيقية

وهنا وجه آخر للجرائد الحرة وهو ما يختص منها بالافراد . فان النتيجة الطبيعية لحرية الصحافة هي ان يكون القانون المتعلق بالقذف صارماً . وفي السنين الاخيرة اتجهت آراء الطبقة العليا من الوطنيين الى انه يجب ان يكبح جماح الجرائد عند كلامها على الافراد . وقد بحثت في هذا الموضوع فوجدت ان القانون الحالي المتعلق بالقذف وافٍ بالمراد من حيث صرامته . على انه يظهر في عين الانكليزي ان الاحكام التي تدرهنا في دعاوي القذف وما يحكم به من العطل والضرر اخفُّ مما يلزم وهذه مسألة تختص بالقضاة انفسهم

ولكن يستصوب ادخال بعض التغيير في القانون المتعلق « بالنصب »[1] فان النصب جرم شائع في هذه البلاد وهو يزداد يوماً فيوماً فيجب معاملة النصابين بالشدة والقسوة . ومما اذكره هنا اني اطلعت حديثاً في بعض الجرائد الوطنية الساقطة على مقالات تخالف كل ذوق وادب . وعليه فان في النية تشديد العقاب في ما يتعلق بهذا الموضوع في قانون العقوبات الجديد . انتهى

---

(١) يراد بالنصب هنا تهديد المرء بكشف عيوبه او يفتدي نفسه (المترجم)

مطبوعات جديدة

(روكامبول) هي رواية كبيرة تأليف بونسون دي تيرايل الكاتب الفرنساوي وقد اشتهرت بين قراء الروايات بغرابة اسلوبها وكثرة تشويقها مما لا يدع للقارىء فرصة لترديد انفاسه لشدة تأثير وقائعها في عواطفه · فلا يفرغ من فصل الا ويعلق ذهنه في استطلاع ما في الفصل التالي · ولا يفرغ من جزء الا اشتاق الى مطالعة ما يليه · تبدأ الرواية عند رجوع نابوليون الاول من مدينة موسكو بعد ما نشبت فيها نار الروسيين · وقد كان غواة القصص يأسفون لخلو اللغة العربية من هذه الرواية حتى عني طانيوس افندي عبده احد صاحبي جريدة الشرق ورئيس تحريرها في نقلها الى العربيـة فنقلها بعبارة سهلة واضحة تعودها قراء «الشرق» و «فصل الخطاب» ومطالعو ما عربه قبلها من الروايات · وقد جمعها في خمسة اجزاء كبيرة لكل منها اسم خاص · الجزء الاول «الارث الخفي» والثاني «سجن طولون» والثالث «القادة الاسبانية» والرابع «انتقام باكارا» والخامس «التوبة الكاذبة» وصفحات كل جزء نحو ٣٥٠ صفحة كبيرة وهي تطلب من ادارة جريدة الشرق ومن مكتبة الهلال وثمن الجزء خمسة غروش واجرة البريد غرش

(برنامج اخوية القديس مارون) اهدانا حضرة يوسف افندي خطار غانم رئيس اخوية القديس مارون وجمعية طوبيا البار ومنشىء غرفة القراءة ومكتبتها في بيروت الجزء الثاني من برنامج اخوية القديس مارون (والجزء الاول تحت الطبع) وهو سفر كبير يدل على عناية كبرى في جمعه وطبعه · وقد جعله تقدمة الى غبطة العلامة الياس بطرس الحويك بطريرك الطائفة المارونية وصدره برسمه وترجمته · والحقها بتراجم المطارنة الحاليين ورسومهم وما استطاع الوصول اليه من رسوم المطارنة الغابرين وتراجمهم وذكر اخبارهم واعمالهم والمع الى سلسلة عائلات بعضهم واردف ذلك بتاريخ الابرشيات وسلسلة مطارنتها · وقد قاسى في سبيل جمع هذه الحقائق وتحقيقها مشقات جسيمة تدل على همة عالية وثبات عظيم · وسيظهر من هذا الكتاب سبعة اجزاء كبيرة تحتوي سائر ما يتعلق بالطائفة المارونية تاريخياً وادبياً وعلمياً مع الرسوم اللازمة وستصدر هذه الاجزاء في حينها فاذا تم صدورها كان هذا الكتاب من اهم الموسوعات التاريخية عن سوريا ولبنان · وتاريخ الطائفة المارونية عبارة عن تاريخ آداب اللغة العربية في سوريا قبل العصر

الحاضر لان الموارنة اسبق الطوائف السورية الى احراز العلوم والآداب هناك . وفي الجزء الثاني الذي بين يدينا نحو سبعين رسماً متقناً وكثير من التراجم الضافية ومطبوع طبعاً حسناً بحرف جميل على ورق صقيل وعدد صفحاته ٣٧٨ صفحة كبيرة . وقد كتب الينا حضرة المؤلف انه لم يحدد له ثمناً بل ترك ذلك لاختيار المشتري لانه اوقف دخله للاعمال الخيرية جزاه الله خيراً وهو يطلب من حضرته في بيروت

﴿ شريف بك عمر ﴾ عني حضرة محمد افندي امام العبد بجمع تاريخ حياة المرحوم شريف بك عمر احد اعيان مصر ووالد حضرة عبدالله بك شريف . وصدرها برسم المترجم ورسم نجله المذكور وافاض في الترجمة فرجع باصل المترجم الى سعد بن عبادة الصحابي . ثم ذكر ما كان من اعماله وما تقلب فيه من الاحوال فاستغرق ذلك نحو ٤٠ صفحة كبيرة أُلحقها بضع عشرة صفحة ذكر فيها ما قاله الادباء والشعراء ورجال الوجاهة في رثائه وتعداد مآثره والكتاب ٥٥ صفحة كبيرة

﴿ الطريقة المبتكرة لتعليم القراءة العربية ﴾ صدر الجزء الخامس من هذا الكتاب لشقيقنا ابراهيم افندي زيدان . وقد الفه بناءً على اقتراح اساتذة المدارس الذين جربوا التدريس بالاجزاء الاربعة السابقة من الكتاب المذكور . فجمع فيه ما يحتاج الاحداث الى معرفته من المبادىء العلمية في اهم العلوم العصرية . فقسمه الى اربعة عشر باباً في الادب والتاريخ والسياحة والصناعة والتجارة ودليل مصر والعلوم والفنون والاكتشافات وعلم الادب والمقالات والرسائل والخطب والحكم والشعر . وجعل كل باب فصولاً سهلة لذيذة . ففي باب الادب مثلاً مقالات في الاعتماد على النفس والثبات والقوة وواجبات المرء وغيرها . وفي باب التاريخ خلاصة تراجم العائلة الخديوية ونابوليون بونابرت وكرنيليوس فانديك وناصيف اليازجي والافغاني وشفيق بك منصور وغيرهم . وفي باب التجارة واجبات التاجر والمواد التجارية والاوراق التجارية والمراسلات التجارية . وفي باب العلوم والفنون مقالات في الفصول الاربعة والجيولوجيا والتاريخ الطبيعي والطبيعيات وعلم الآلات والكيمياء والطب والزراعة . وفي باب الاكتشافات تلغراف مركوني والساعة الكهربائية والمطاط وغيرها . وفي باب الادب مواد الانشاء وخواصه وطبقاته والمستحسن منها . وقس على ذلك فصول سائر الابواب . مما يستفيده التلميذ ويكون اساساً لما يتعلمه بعد ذلك من الدروس العليا في هذه المواضيع . صفحات الجزء المذكور ٢٥٠ صفحة كلها مضبوطة بالشكل الكامل ومزينة بالرسوم والاشكال وثمن النسخة مجلدة خمسة قروش واجرة البريد

قرش يسقط من ذلك ٢٥ في المئة للمدارس تسهيلاً لاقتنائه . فنحث المدارس العربية على التعليم به فانه موضوع على نسق يلائم حاجات هذا العصر

(الاصول الفنية في المآكل الافرنجية) هو كتاب في صناعة الطبخ كما هي عند الافرنج تأليف الحاج علي محمد احد مشاهير الطباخين بمصر وقد مارس هذه الصناعة في اكبر فنادق الافرنج في القاهرة وزين الكتاب بالرسوم والاشكال لزيادة الايضاح وجعله تقدمة لعطوفة احمد باشا المنشاوي وثمن النسخة عشرون قرشاً والبريد قرش

﴿ الكرمة ﴾ هي مجلة دينية ادبية تاريخية تصدر في مصر مرة في الشهر لصاحبها ومنشئها الشماس حبيب جرجس معلم الدين في المدرسة الاكليريكية . وفي صدر الجزء الاول صورة الانبا كيرلس الخامس بطريرك الاقباط الارثوذكس وصورة المرحوم المعلم جرجس الجوهري رئيس كتّاب الحكومة المصرية في آخر عصر المماليك بدل اشتراكها ٢٥ قرشاً بمصر وعشرة فرنكات في الخارج فنتمنى لها النجاح

﴿ الفرقان ﴾ هي مجلة علمية ادبية قضائية سياسية تصدر في مصر مرتين في الشهر لمنشئها احمد افندي فهمي المحامي بدل اشتراكها في مصر والسودان ثمانون قرشاً وفي الخارج عشرون شليناً وبنصف القيمة لتلامذة المدارس وطلبة العلم فنرجو لها الثبات والاقبال

﴿ المفتخر ﴾ جريدة ادبية سياسية تصدر في المنصورة مرة في الاسبوع لصاحبها عمر افندي لطفي بدل اشتراكها سبعون قرشاً في مصر ومئة في الخارج وفقها الله الى الفلاح

﴿ النفير ﴾ هي جريدة يومية ادبية سياسية تصدر في الاسكندرية لمديرها ابراهيم بك زكا بدل اشتراكها السنوي ستون قرشاً في الاسكندرية وعشرون فرنكاً في الخارج وهي ارخص جريدة يومية عربية فنرجو لها الثبات والنجاح

﴿ دليل مصر والسودان ﴾ جاءنا منشور عن مشروع جليل عزم الخواجات ثابت وانطاكي على تأليفه وسيجعلانه قاموساً واعياً لتاريخ القطرين وجغرافيتها وخصوصاً مدينة القاهرة والاسكندرية وما فيهما من الشوارع والخطط والدوائر وموظفيها والتجار وسائر المهن والاعمال وسيذيلان الكتاب بتاريخ النهضة العربية الاخيرة والجرائد والعلماء وغير ذلك وهو عمل شاق لا يقدم عليه الا اصحاب الهمم العالية فنرجو ان يتوفق صاحباه الى اتمامه ومتى صدر نوفيه حقه من الوصف

﴿ ابو مسلم الخراساني ﴾ هي الحلقة التاسعة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام موضوعها سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية وستنشر ملحقة بأهلة هذه السنة

الهلال

الجزء الثاني من السنة الثالثة عشرة

١ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩٠٤ و ٢٣ شعبان سنة ١٣٢٢

أشهر الحوادث وأعظم الرجال



نابوليون بونابرت

معركة ووترلو وسقوط نابوليون

سنة ١٨١٥

هي المعركة التي قضي فيها على عظمة نابوليون بونابرت بعد ان ارتقى الى السدة الامبراطورية واكتسح ممالك اوربا واذل معظم ملوكها وبعد ان ضاقت تلك القارة الواسعة عن مطامعه فحجر عليه في جزيرة صغيرة في اقاصي الاوقيانوس الاتلانتيكي حيث مات فيها اسيرًا منفيًّا · وقد حدا بنا الى تذكار هذه المعركة ما كان من معركة موكدن بالامس بين الروس واليابان اذ تفانى الفريقان في التماس الفوز وكان عدد المتقاتلين من الجانبين يزيد على نصف المليون من الجند · فرأينا ان نشرح واقعة ووترلو والاسباب التي بعثت اليها

نابوليون في جزيرة البا نابوليون اشهر قواد العالم واذا قيست العظمة بمقدار مواهب الرجال واقتدارهم ومطامعهم فهو اعظم رجال التاريخ لانه اتى بما لم يأته احد ممن تقدمه منهم بسالةً وتعقلاً واقداماً ودهاء حتى غلب على معظم دول اوربا واذل اكثر ملوكها · حتى اذا طمع في موسكو عاصمة الروس وحمل عليها بنصف مليون من الرجال ومئتي مدفع رجع عنها خائبًا وقد قتل معظم ذلك الجيش من الضنك والبرد فصغر امر نابوليون بعد هذا الفشل في نظر دول اوربا فتحالفوا على حربه فحاربوه في هولندا وعلى ضفاف الرين سنة ١٨١٤ وانقسم الفرنساويون عليه · فاغتنم العدو انقسامهم وحاصروا باريس ونابوليون غائب عنها · وفي ٣١ مارس من تلك السنة سلمت باريس وكان نابوليون قد ادرك بفراسته مقاصد اعدائه في هذا السبيل فاسرع الى باريس فعلم وهو في فونتنبلو انها سقطت · فبغت لذلك الخبر ولبث مدة هناك لا يعلم ماذا يعمل وقد تخلى عنه اصدقاؤه وانكره رجال خاصته لما رأوا ضعفه · وفيهم جماعة كبيرة من كبار القواد ممن نصروه في حروبه وشاركوه في فتوحه رهبة لا رغبة لانه كان يستخدمهم آلة في يده وكثيرًا ما كان يسيء معاملتهم بخشونة واستبداد وعسف وفيهم من يعدّ نفسه اعظم منه وينسب فوز نابوليون الى تسلط نجمه · فاصبح نابوليون بعد ذلك الفشل وقد قلّ نصراؤه واصدقاؤه حتى القواد اودينو وبرتيه وناي وكان يعدهم اصدق اصدقائه فلما تباينت مصالحهم ومصالحه هجروه

فاصبح نابوليون بعد ذلك الفشل عرضة لما تبغيه الدول المحالفة في امره وتوسط بينهم الجنرال مكدونلد الانكليزي فاجمعت الآراء اخيرًا ان يتنازل نابوليون عن حكومة فرنسا

ويرفع يده وصولجانه عن رؤُوس الملايين الكثيرة التي كانت تهاب اسمه على ان يبقى امبراطوراً وتنحصر حكومته في جزيرة البا . وهي جزيرة صغيرة على بضعة اميال من شواطئ توسكانا وكانت قد دخلت في حوزة الفرنساويين سنة ١٨٠٢ ولم يكن يظن رجال السياسة ان الدول بعد ان قبضت على ذلك الاسد ان تقبل باقامته في مكان قريب من امته واحزابه مع بقائه امبراطوراً — وموقع البا على ستة اميال من شواطئ ايطاليا و٣٤ ميلاً من كورسيكا مسقط رأس ذلك الرجل . طولها ١٨ ميلاً وعرضها يتراوح بين ميلين ونصف وعشرة اميال ومساحتها ٩٠ ميلاً مربعاً . وهي كثيرة الجبال واعلى جبالها كبانى علوهُ ٢٩٣٥ قدماً عن سطح البحر . قصبتها مدينة بورتوفرايو سكانها ٥٠٠٠ وفيها اقام نابوليون فوصلها في ٤ مايو سنة ١٨١٤ والبا من الجزر المشهورة في التاريخ القديم وفيها كثير من المعادن والحاصيل الثمينة

انتقل نابوليون الى هذه الجزيرة على دارعة انكليزية فلما وصل الى بورتو فرايو استقبله اهلها بالترحاب وقد سرَّهم ان تكون جزيرتهم مقرّ ذلك القائد العظيم لعلمهم بما يترتب على اقامته هناك من النفع لهم ورواج احوالهم . ولم تكد قدم نابوليون تطأ تلك العاصمة حتى اخذ في اصلاح الجزيرة فأنشأ الابنية والحصون والاسوار وافتتح الطرق ونشط المعامل والمصانع وكأنه اقتنع بقضاء باقي حياته امبراطوراً على هذه المملكة الصغيرة وجنده فيها لا يزيد على خمسمئة وهم ممن تطوع لخدمته هناك من رجاله الاخصاء . على ان الدول وخصوصاً انكلترا لم تكن تامن وثوب نابوليون من الجزيرة الى القارة فارسلت مندوباً يقيم هناك يراقب حركاته . وكانت الدول المحالفة قد عينت له راتباً مقداره ستة ملايين فرنك تدفعها فرنسا في كل عام فانتحلت فرنسا اسباباً امسكت بها عن دفع ذلك المال مخافة ان يستخدمهُ في تقوية جنده . فاصبح بونابرت في ضيق مالي لان دخل الجزيرة لم يكن ليقوم بالنفقات فاضطرَّ الى ايقاف اكثر ما شرع فيه من الاعمال وحقد ذلك على الحكومة الفرنساوية . ثم قام في نفسه ان اقامته في تلك الجزيرة مقدمة الى منفى بعيد واتفق في اثناء ذلك ان الحكومة الانكليزية ابتاعت جزيرة القديسة هيلانة من الشركة الهندية الشرقية فتحقق عنده انهم سينقلونه اليها فاخذ في اعمال فكرته النجاة من ذلك الفخ

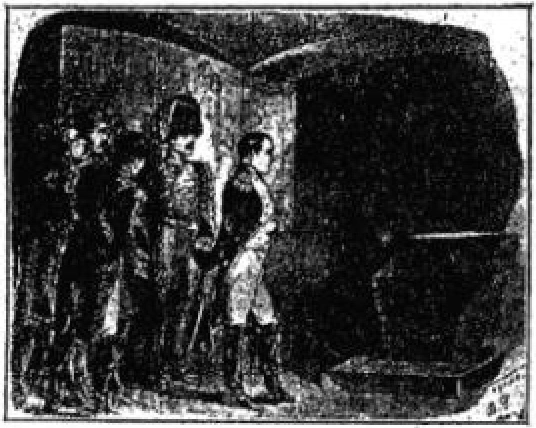
حكومة فرنسا لما تنازل نابوليون عن حكومة فرنسا كما تقدم اعيدت اليها العائلة البوربونية وعاد لويس الثامن عشر الى كرسيها وعاد معه جماعة كبيرة من الاشراف والصنائع والاعوان وموظفي الحكومة القدماء وكانوا قد هجروا باريس معهُ

واعتزلوا الاعمال نحو ربع قرن فتغيرت الاحوال في اثناء غيابهم وتعوَّد الفرنساويون الانفة والحرّية فلم يدرك الملك واعوانهُ هذا التغيير وانما كان اعتقادهم ان السلطة كان قد اختلسها بعض المغرورين فاعادتها العناية الالهية الى اصحابها الاصليين · فجلس لويس الثامن عشر على كرسي فرنسا وهذا هو اعتقاده ولكنه « خوفاً من جرّة الحبل » تبصّر في ما يسترضي به رعاياه فبذل لهم بعض مايرضيهم مما اقتضاه روح العصر فمنحهم بعض الحقوق الشوروية والغى بعض الضرائب واطلق حرية المطبوعات واراد ان يقنع رعيته ان عوده الى كرسي الملك لم يغير شيئاً من شؤون فرنسا ونظاماتها التي كانت عليه قبلاً وان رجوعه الى الملك عبارة عن زيادة رجل فرنساوي في الشعب الفرنساوي · ولكنه لم يستطع الثبات على وعوده بما اثرهُ عليه رجال حكومته ممن هاجر معه فانهم انما تكبدوا الاسفار والاخطار في نصرته طمعاً بالرجوع الى نفوذهم وثروتهم · فلما عادوا الى باريس صرفوا همهم الى استرجاع املاكهم على الشروط التي تركوها عليها منذ عشرين سنة · وكانت العادة في عهد العصر الاقطاعي ان قواد الجند لا يكونون الاَّ من الاشراف وبناء على ذلك طلبوا الرجوع الى تلك المناصب فاطاعهم الملك وعزل معظم قواد فرنسا الذين قادوا جنودها في حروب نابوليون واقام رجاله مكانهم وفعل نحو ذلك في سائر مناصب الحكومة المهمة · ولما شكت الجرائد من تلك السياسة حجزوا حرّيتها وقيدوا اقلام الكتاب · واعادت الحكومة املاك الاشراف اليهم وقد ظلم اصحابها وارجعت النفوذ الى رجال الاكليروس تحت رعاية الكونت دارتوا شقيق الملك وعاد الآباء اليسوعيون الى فرنسا وعادوا الى نفوذهم

ويمثلون حال فرنسا في أثناء تلك المدة بحادثة جرت يومئذ وكان لها وقع عظيم — ذلك أن سيدة تسمى المدامو ازيل رَكور من ممثلات المراسح الفرنساوية توفيت في الستين من عمرها · وكان من القوانين المهملة يومئذ ان اصحاب مهنة التمثيل محرومون لا تجوز صلاة الجنازة عليهم فاحيوا القانون المذكور ومنعوا الصلاة على المداموازيل المذكورة · فهاج الشعب هياجاً شديداً وخصوصاً لان الفقيدة لم يكن في سيرتها ما يشينها فطلبوا الى الملك ان يتوسط في الامر فابى بدعوى انه لا يرى التداخل في ما هو من حقوق الكنيسة وحدها · فزاد الشعب هياجاً وبعث اهل المأتم الى الملك انه اذا لم يصلِّ الاكليروس على فقيدتهم حسب الطقوس الكنائسية فانهم ينضمون جميعاً الى الكنيسة الانجيلية فرضخ الملك لطلبهم

(رجوع نابوليون من جزيرة البا) كان قد تقرر في معاهدة باريس انه بعد

التوقيع عليها بشهرين تعقد الدول المحالفة مؤتمراً في فينّا ينظر في أمور تهمّ ممالك اوربا وخصوصاً تعيين حدود تلك الممالك بعد ما حدث من تشويهها بفتوح بونابرت بحيث تسترجع كل دولة ماخسرته مع مكافأة الذين ساعدوا على محاربة ذلك القائد ومقاصة الذين ساعدوه. وقد حدثت شؤون كثيرة أخرت التئام ذلك المؤتمر الى اول نوفمبر سنة ١٨١٤ . وكان مؤتمراً حافلاً لم يسبق له مثيل اجتمع فيه مندوبو دول اوربا وفيهم أعظم رجال السياسة في ذلك العهد. فقد ناب فيه مترنيش عن النمسا وتيسل رود وراسوموفسكي عن روسيا. واللورد كسلريغ وولنتون عن انكلترا وتليران ودالبرج عن فرنسا والبرنس هردنبرج ووليم فون همبلت عن بروسيا . وبالجملة فقد كانت فينّا في ذلك العهد مزدحمة بالناس فراجت فيها الدسائس والمساعي كل مندوب وكان يبذل جهده في احراز الكسب لدولته فتنازعوا على اقتسام الغنيمة واشتد التنازع حتى كاد الخلاف يفضي الى الحرب . وهم في ذلك اذ جاءهم نبأ مريع انقض على رؤوسهم انقضاض الصاعقة — وهو ان نابوليون بونابرت خرج من محبسه ونزل فرنسا



نابوليون عند قبر فريدريك الاعظم

وكان السبب في خروجه انه مع قلقه من مقامه في تلك الجزيرة وما كان يخافه من زيادة التضييق عليه. كان بعض أصحابه الذين حافظوا على ولائه يختلفون اليه بالاخبار عن حكومة فرنسا ومن جملتهم فوشيه الذي كان وزير البوليس عنده ودافو ومارت

وكارنو وغيرهم • فلما صارت فرنسا الى ماذكرناه من اضطراب الحكومة وهيجان الشعب وخصوصاً الجنود فانهم بعد ان كانوا في عز وفخر على عهد نابوليون اصبحوا تحت الضغط في حكومة البوربون فاخذ المتوسطون يسعون في تحويل اذهان الجنود الى قائدهم وانه اذا عاد نجاهم من ذلك الذل • فتعاهدوا سرًّا على نصرته وجعلوا علامة الاشتراك في ذلك الرأي « البنفسج » فرمزوا باللون البنفسجي عن ذلك الاتحاد يتقلده الاحزاب تحت البستهم ومتى جاء الربيع يجيئهم « الاب بنفسج » وهو نابوليون

وكان جند نابوليون في عاصمته بورتوفرايو (وقد سماها كوسموبولي) قد اصبح ثمانماية رجل • فلا تسل عن سرورهم لما أنبأهم الامبراطور في ٢٦ فبراير سنة ١٨١٥ بعزمه على الرجوع الى فرنسا فصاحوا صياح الفرح « ليحيى الامبراطور » وفي مساء ذلك اليوم اقلعوا من جزيرة البا في ست سفن فوصلوا سالمين الى كان قرب فريجوس فنزلوا واسرعوا يطلبون باريس • وقد ذكر نابوليون في بعض مناشيره يصف ذلك الانتقال فقال « ما زال النسر الملوكي يطير في فرنسا من أكمة الى أكمة حتى حط على ابراج نوتردام » وكان في اثناء مروره ينشر المناشير المؤثرة على عواطف الشعب الفرنساوي يستنهضهم لنصرته • والفرنساويون يتأثرون من الحماسة وخصوصاً من كلام نابوليون وقد زعم انه انما جاء مذعناً لدعوة الوطن وان فرنسا دعته الى انقاذها • وأخذ يذكر رجاله بالفتوح التي تمت لهم تحت قيادته وخصوصاً سنة ١٨١٤ وشدد النكير على تسليم باريس ونسب تسليمها الى مارمون وأوجيرو وانهم لو وافقوه يومئذ لأخرج الدول المحالفة من فرنسا بالقوة • وكان يفرّق هذه المناشير في اثناء انتقاله الى باريس وقد عرف كيف يخاطب الشعب الفرنساوي لعلمه بموضع ضعفهم فأثار عواطفهم بعبارات الوطن والحرية وان حكومة البوربون انما ارجعها الى فرنسا الاجانب ومن أقواله « ان شارل السابع لما عاد الى باريس وقلب عرش هنري الخامس انما استرجع صولجانه ببسالة رجاله » ومنها « ايها الجنود تعالوا واتحدوا تحت راية قائدكم فان بقاءه مقرون ببقائكم وحقوقه حقوقكم وحقوق الشعب وكذلك مصلحته وشرفه ومجده فانها مصلحتكم وشرفكم ومجدكم » ثم ذكر طيران النسر الملوكي كما تقدم الى ان قال « فيحق لكم والحالة هذه ان تفاخروا بأعمالكم لانكم ستحررون وطنكم واذا جاءتكم الشيخوخة واجتمع حولكم شبان العصر القادم فقصصتم عليهم ما كان من استهلاككم في سبيل انقاذ هذا الوطن فيقول أحدكم وهو يفتخر انه كان من جملة المجاهدين في هذا السبيل وانه اخترق أسوار فينا ورومية وبرلين ومدريد ولشبونه

وموسكو مرتين • والوطن يفتخر بامثال اولئك الابطال ويرذل الجبناء الذين قضوا ٢٥ عاماً وهم ينصرون الاجانب على خرق حرمة بلادهم » فبذكر الوطن والاجانب على هذه الصورة فاز نابوليون بإثارة عواطف الفرنساويين وجمعهم تحت لوائه

أما رجال الحكومة في باريس فلما بلغهم نزول بونابرت على شواطىء فرنسا انكروه فلما تحققوه اقنعوا الملك ان نابوليون انما يسعى الى حتفه بظلفه ومثلوه في الجريدة الرسمية تائهاً مع شرذمة من الاتباع في بعض الاودية والجبال • ونشر المارشال سول منشوراً قابل فيه بين حقوق الملك الشرعي وحقوق متشرد يريد ان يثير في البلاد ثورة أهلية • وفعل نحو ذلك ايضاً المارشال مسينا وتعهد المارشال ناي ان يأتي بذلك الثائر (بونابرت) أسيراً في قفص من حديد

على ان الجيش الفرنساوي لم يعبأوا بذلك بل اندفعوا بكليتهم الى نصرة قائدهم الذي قضوا نحو ربع قرن وهم يحاربون باسمه ويستهلكون تحت لوائه • وكان الملك قد أرسل فرقة منهم للقبض عليه فالتقوا به في فيتزيل وقد جاءهم وحده فحالما وقع نظرهم عليه استسلموا له وانضموا الى جنده وصاحوا « ليحيَ الامبراطور » • ولما وصل الى غرينوبل فتحوا له الابواب واستقبلوه بترحاب وفعل نحو ذلك الكولونيل لابدوير وغيره ومن جملة الذين انحازوا اليه على هذه الصورة حملة جاءت للقبض عليه بقيادة الكونت دارتوا ولويس فيليب ودوق دورليان والمارشال مكدونلد فحالما التقوا به انحازوا اليه • والمارشال ناي ترك الملك وعاد الى رفيقه في فتوحه ويقال ان المارشال المذكور لما وعد الملك بالقبض على بونابرت لم يكن ينوي غير ما يقول ولكنه حالما وقع نظاره على قائده القديم عادت اليه عادته القديمة في تقديم الطاعة له رغم ارادته • فلما رأى الملك لويس ما كان من انحياز القوة الى بونابرت فرّ ومن بقي معه حتى خرجوا من حدود فرنسا

(الدول وبونابرت) أما المؤتمر فقد داهمه ما شغله عن الاختصام والتنازع فاتحد اعضاؤه للنظر في النازلة الطارئة واقروا على وجوب استبقاء الحكومة التي أقاموها في باريس وان بونابرت برجوعه الى فرنسا بالمدة والقوة قد جرّ على نفسه النقمة العامة • واتحدت الدول الاربع انكلترا والنمسا وروسيا وبروسيا على الاشتراك في حربه وتعهدت كل منها بتجنيد ١٥٠,٠٠٠ عسكري أو تقديم مساعدة مالية في مقابل ما ينقص عندها من هذا العدد • ثم دعوا الدول الأخر لمحالفتهم فاجابوا الدعوة الا اسوج لسبب متصل

بمطمع خاص والبورتوغال لانها كانت ناهضة من حرب ثقيلة وتحتاج الى الراحة • فانفض المؤتمر وقد أجـل مسألة الحدود والحقوق الدولية الى وقت آخر

وكان نابوليون قد دخل باريس في ٤ افريل وقبض على أزمة الحكومة مرة أخرى وأدرك خطر مركزه فاخذ في اكتساب قلوب الشعب فاظهر الاعتدال والتساهل واعترف بما كان من شدته السابقة وأن الشعب الفرنساوي يحتـاج الى حكومة شوروية وفتح للدول باباً للمسالمة فكاتبهم بشأن الصلح فمنهم من ردَّ اليه الكتاب كما هو ومنهم من استلم الكتاب ولم يجب عليه • فلم يبق لبونابرت الاَّ الاستعداد للحرب فعاد الى تيقظه العسكري والى حركاته الحربية فاخذ في اعداد المعدات وهو يعلم انه ربما اضطر الى محاربة أوربا كلها • وكان الجند الفرنساوي قد انحط في أيام البوربون الى ٩٠,٠٠٠ جندي فاخذ في اتخاذ الوسائل الممكنة لاسترضاء الشعب لينهض معه للحرب طائعاً فعقد في أول يونيو من ذلك العام مجلساً عاماً اجتمع فيه عظماء المملكة وأقسم فيه اليمين الحاسمة على العمل بالشورى وصرح على رؤوس الاشهاد ان مجده وسعادته وتلهفه مرتبطة بمصلحة فرنسا ارتباطاً لا انفصام له وختم الاجتماع بتفريق بعض علامات الشرف على الرؤوس والزعماء وانفضت الجلسة على أنغام الموسيقى بموكب حافل

احتفل بونابرت ذلك الاحتفال وهو يعلم خطر مركزه لان أوربا كلها تتجند لحربه وكان يتوقع ان يجتمع عنده نحو مليون جندي لكنه مع ما بذله من السعي والهمة لم يجتمع لهُ تحت السلاح الاَّ ٢١٧,٠٠٠ مقاتل قسمهم الى سبع فرق تولى قيادتها سبعة قواد وهم ناي ورايل وفاندام وجيرار وراب ولوبان وسوشه وجعل على قيادة الفرسان اكسلمان وكلرمان وكروشي وباكو وميشو وسلم الى المارشال مسينا قيادة قلعة متس وجعل دافو وزيراً للحربية ومارشال سول أركان حرب الجيش • واعمـل بونابرت فكرته الوقادة في سبيل هذه الحرب فرأى أنه لا يستطيع شيئاً ما لم يحارب الدول منفردة قبل أن تجتمع قواتها فيغلب كلاً منها على حدة • وكانت انكلترا وبروسيا قد اعدتا الجند للحرب في بلاد البلجيك وفيه جماعات من هولندا والبلجيك وهنوفر وبرونسويك • فاذا أتيح له مهاجمة هذا الجند قبل أن تنضم اليه جنود روسيا والنمسا وبافاريا وغيرهم فانه يتغلب عليه بما يفتح له باباً للصلح على شروط هي في كل حال أنسب له من الوقوف أمام دول أوربا كافة • فنهض بونابرت بجنده على هذا الامل وبرح باريس في ١٢ يونيو سنة ١٨١٥ طالباً بلاد البلجيك



الدوق ولنتون

﴿ ولنتون و بلوخر ﴾ حالما عرف الانكليز بما تم الاتفاق عليه في محاربة بونابرت اخذوا يفكرون في انتقاء القائد اللائق لمحاربته فلم يجدوا اليق من دوق ولنتون وكان قد اشتهر بحروبه في اسبانيا حتى نال أشرف رتب الدولة والقابها فاختاروه فقبل وجنّد الجند وقطع الى القارة فنزل بروكسل عاصمة البلجيك في اوائل افريل اي قبل انتقال بونابرت بشهرين . وكان من رايه ان لا يبدأ الحرب ما لم تجتمع الجنود الانكليزية والبروسيانية والنمساوية معاً فتكون المعركة قصيرة وقاضية — ذلك ما كان قد تعلمه من اختباره الطويل في الحرب . وبناء على ذلك اخذوا في التأهب وكانت الجنود الانكليزية خارجة من الحروب في اماكن مختلفة ويزعم الانكليز ان الجنود التي اجتمعت تحت راية ولنتون يومئذٍ لم تكن كما كان يتوقعه في حرب لم يتفق مثلها في ذلك العصر . وبلغ عدد الجند المجتمع تحت راية ولنتون في بروكسل ٧٨,٥٠٠ مقاتل ثلثاهم من الانكليز والهنوفريين والبلجيين والثلث الباقي من الالمان وخصوصاً من برونسويك وناساو

وكان المارشال بلوخر قائد الجنود البروسيانية من اشهر قواد الالمان وتحت قيادته ١٣٠,٠٠٠ جندي ولم يكن يصلح منها للحرب الا ٨٠,٠٠٠ فلما بلغ الدوق ولنتون زحف نابوليون وجيوشه اخذ في مخابرة بلوخر للالتقاء في المكان الذي يتوقعون ملاقاة بونابرت فيه . وكان بلوخر شجاعاً باسلاً ومع انه ادرك السبعين من عمره فقد كانت فيه همة الشبان

ونشاطهم وكان نابليون نفسه يشهد له بالمهارة في استخدام السيف

اما نابوليون فقد دبر تدبيرًا شهد رجال السياسة والحرب انه لا يمكن الوصول الى خير منه وذلك ان يجمع جيوشه على نهر السامبر في جنوبي بلاد البلجيك ويتقدم من هناك الى شارلروا باسرع ما يمكن فيقاتل الجنود البروسيانية قبل اجتماعهم بالجنود الانكليزية فيغلبهم ويطاردهم الى لكسنبورج ثم يهاجم الانكليز ويرجعهم الى الشاطىء فيصير بذلك صاحب بلجيكا ويهون عليه تحويل جنده لملاقاة الجنود الاخرى القادمة عليه من اعالي الرين واسافله ٠ وهي خطة بديعة لا يمكن تدبير افضل منها في تلك الاحوال فقطع نهر السامبر في ١٥ يونيو حتى وصل شارلروا وكان فيها جند بروسياني بقيادة الجنرال زيتن فافتتحها وامر المارشال ناي ان يقلع بباقي الجيش (٤٠,٠٠٠) الى فلوروس ومنها الى كاتربرا (quatre bras) وقد سمي هذا المكان بهذا الاسم لانه ملتقى اربع طرق تؤدي احداها الى شرلروا والثانية الى نامور والثالثة الى نيفل والرابعة الى بروكسل ٠ وكان الغرض من حركة ناي هذه ان يشغل الانكليز ويمنعهم من الاجتماع بالبروسيانيين ريثما يهزمهم بونابرت ثم يعود الى معاونة ناي في هزيمة الانكليز

وكان الانكليز من الجهة الثانية في بروكسل وحواليها يعدّون حربهم القادمة عبارة عن سياحة الى باريس بعد ان يسحقوا بونابرت سحقاً ٠ ولذلك فقد قضوا مدة اقامتهم في بروكسل بالاحتفالات العمومية في المراقص والمراسح ونحوها واما ولنتون فكان يشاركهم في ذلك وذهنه متيقظ لحركات الجنود الفرنساوية ٠ فبلغه خبر انتقالهم فأمر ان تكون جنوده على اهبة الرحيل من بروكسل — فعل ذلك بهدو وسكينة فلم يشعر الناس بشيء وظلوا في احتفالاتهم وافراحهم ٠ واتفق ان الدوقة ريتشموند احتفلت بليلة راقصة ملوكية دعت اليها جماعة كبيرة من ضباط الجيش الانكليزي في مساء ١٥ يونيو فقبلوا الدعوة وشهدها ولنتون وقواده كأنهم في سلام تام ولم يقصر احد منهم بآداب المراقص وعادات الولائم ٠ وفي الصباح التالي خرجت الحملة من بروكسل وتحوّل فرح الناس الى بكاء وقد نظم بايرون الشاعر الانكليزي قصيدة بديعة في وصف تلك الحالة

ودّع الانكليز بروكسل وهي تبكي وهم يتجلدون فصدرت الاوامر الى الفرقة الخامسة بقيادة الجنرال بكتون بالمسير الى كاتربرا فساروا وعددهم لا يزيد على ١٥,٠٠٠ وليس معهم فرسان لنجدتهم وكان المارشال ناي قادماً على كاتربرا بكل سرعة

اما نابوليون فانه ظلّ مسرعاً بجنده نحو البروسيانيين كما تقدم فوصل اليهم فاذا هم

٨٠,٠٠٠ فيهم ٩,٠٠٠ فارس و ٣٥٠ مدفعاً على آكمات براي قرب قرية لبني . وكان الدوق ولنتون قد خابر المارشال بلوخر في الخطة التي يجب اتخاذها



المارشال بلوخر

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر ابتدأ نابوليون المعركة في لبني والتقى الفرنساويون والالمان واطلقت المدافع من الجانبين وظل القتال متشبا ست ساعات متوالية في احد ما يكون واستهلك الفريقان استهلاكاً عظيماً وقوادهما يستنهضان الهمم باثارة الاحقاد لما سبق بين الامتين من الحروب الدموية . وانقضت المعركة والنصر في جانب الفرنساويين مع ان الجنرال بلوخر لم يدخر وسعاً وهو في الثالثة والسبعين من عمره من استحثاث جنده واثارة قوامم وتثبيتهم في مواقفهم ولكن جواده اصيب برصاصة قتلته فسقط بلوخر معه . واتفق هجوم الفرسان الفرنساويين فمرت خيولهم بقتلى الالمان ولولا الامطار وغياب الشمس لعرفه الفرنساويون واسروه . ولكن اركان حربه ظل الى جانبه حتى جاء بعض رجاله يبحثون عن قائدهم فساقهم اليه فحملوه وقد انقضت المعركة وفاز الفرنساويون وافلح بونابرت في الخطوة الاولى من مشروعه

ولكنه رأى من سداد الرأي ان يتعقب بلوخر ويطارده حتى يمنعه من الاجتماع

بولتون فانتدب لهذه المهمة المارشال كروشي ومعه بعض الجند لمشاغلة البروسيين او مطاردتهم · ولو عمل كروشي كما أُمر لافلح نابوليون في سائر مشروعه ولكنه لم يفلح · وقد اختلف الرواة في سبب فشله فمنهم من ينسب كروشي للخيانة اذ ايقن بذهاب عصر نابوليون كما ايقن كثيرون من قواده فلم يشأ ان يعرض نفسه للخطر من اجله · ومنهم من ينسب فشله الى ضعف جنده وفي كل حال فان نابوليون امر كروشي بمطاردة البروسيانيين وتحوّل هو بخمسة وثلاثين الفاً يطلب ولنتون

اما المارشال ناي فانه وصل في ١٦ يونيو بجنده المؤلف من ٤٠,٠٠٠ الى قرب كاتربرا فلقي هناك حامية من البلجيين بقيادة برنس اورانج والجنرال برتشر فهجم عليهم ففروا منه وكادوا يهلكون لو لم يدركهم بكتون بحملته القادمة من بروكسل وانتشب القتال هناك وحمي الوطيس وثبت الانكليز في مربعاتهم ثبات الجبال · وبعد قتال عشر ساعات اضطرّ الفرنساويون الى الرجوع وفاز ولنتون في هذه الواقعة على الفرنساويين كما فاز بونابرت في واقعة ليني على الالمان · وخسر الانكليز في واقعة كاتربرا نحو ٥,٠٠٠ رجل بين قتيل وجريح

وقضى ولنتون تلك الليلة وهو عازم على مهاجمة ناي وجنده في المكان الذي تقهقروا فيه · فلما اصبح جاءه الخبر عن فشل بلوخر وجنده فغيّر عزمه خوفاً من اجتماع نابوليون وناي معاً عليه فيغلبوه منفرداً كما غلبوا رفيقه قبلاً فيتم لنابوليون ماقدّره · فرأى ولنتون ان ينسحب الى مكان اقرب الى بروكسل ريثما يجتمع ببلوخر · فاقلع في صباح ١٧ منه وسار حتى وصل في مساء اليوم التالي الى سهل سماه الانكليز ووترلو باسم قرية على بضعة اميال منه في منتصف الطريق بين بروكسل وشارلروا · وكان ولنتون قد تخابر في اثناء الطريق مع بلوخر وافهمه عزمه على محاربة الفرنساويين اذا كان يوافيه هو الى هناك فاجابه انه سيوافيه حالاً بكل ما معه من الجند

فلما وثق ولنتون من نجدة بلوخر عسكر في ذلك المكان وهو يبعد ٣٠٠ يارد عن عزبة سان جان وثلاثة ارباع الميل جنوبي قرية ووترلو · فاقام معسكره على عدة مرتفعات فجعل الرديف وبعض الجند في المنحدرات بين التلال بحيث لا يظهرون للاعداء · وكان بالقرب من ذلك المكان بيت لبعض كبار المزارعين هناك يقال له قصر جومون الى يمين معسكر ولنتون فاحتله وحصنه وجعل في جدرانه ثقوب لمرامي الرصاص مخافة ان يحتله العدو ويحاربهم منه · وكان في الشرق الشمالي من هذا القصر قصر آخر يسمى لاهاي سانت فاحتلوه وحصنوه ايضاً · وكان وراء ذلك المعسكر غابة غضة الاشجار جعلها

ولنتون ملجأ اذا اضطر الى التقهقر لأن الجند اذا تغلغل بين اشجارها لا يجسر عدوه على تعقبه فيها

ووصل الفرنساويون على أثر وصول الانكليز فعسكروا على تلال مواجهة لمعسكر الانكليز والمسافة بين المعسكرين واد منبسط عرضه ثلاثة ارباع الميل • وكان الفرنساويون في ضيق اشد من ضيق الانكليز على أثر المجاهدة والاسفار وقد قلت عندهم المؤونة ولم يمكنهم تعويضها بسبب السرعة • على ان نابوليون كان يظهر استخفافه بعدوه بعبارات تدلُّ على رباطة جأشه يخادع بها رجاله كقوله لما اطل على معسكر الانكليز « لقد وصل هؤلاء الانكليز الى قبضتنا اخيراً » ومن غريب امره هذه المرة انه لم يسرع في الهجوم مع علمه انه انما يغلب بالمبادرة حتى ظن الانكليز انه ينتظر رجوع كروشي من مطاردة بلوخر • وظن غيرهم انه تأخر في انتظار الاوحال حتى تجف من ذلك السهل على أثر مطر جعل مرور البطاريات فيها شاقاً • ومهما يكن من السبب فانه لم يهمّ بالهجوم الانحو الظهيرة فاشار الى جنده فهجموا واشتبك القتال وابتدأت معركة ووترلو والفرنساويون الهاجمون والانكليز المدافعون

هجم الفرنساويون على استحكامات الانكليز وارتدوا بلا فائدة لان نيران الانكليز كانت حامية • ومن الاقوال المأثورة عن ولنتون في أثناء ذلك الهجوم قوله وهو يطوف بين صفوفه يشجعهم ويثبتهم « اسحقوهم سحقاً جيداً لنرى من هو أقدر على السحق » ولم يكن الفرنساويون اخف ناراً • فهجم البرنس جيروم اخو نابوليون بستة طوابير على قصر جومون واشتبك القتال بينهما ثم صار القتال عاماً في كل المعسكر وقد جالد الفرنساويون جلاداً لم يجالدوا مثله وانقضوا كالصواعق بقية ذلك اليوم وبعض ليله وكان اشد القتال عند الحصنين جومون ولاهاي سانت وكان الفرنساويون يعدون فتح جومون فاتحة الظفر لهم • ولكن الانكليز دافعوا عنه دفاعاً شديداً جداً واستهلكوا في سبيل منعه ولا يزال ذلك الحصن الى الآن باقياً وعليه آثار ذلك القتال وقد ارتد عنه الفرنساويون خاسرين • أما القصر الآخر فقد توفقوا في الهجوم عليه حتى ملكوه وتقدموا منه الى صفوف الانكليز فلقيهم بكتون بفرقه ففرقهم ولكنه أصيب هو برصاصة فقتل وسقط ولم يؤثر سقوطه بثبات الانكليز في الدفاع • وهجم الفرسان الفرنساويون على قلب الجيش الانكليزي فردُّوهم واشتدت نيران المدافع من الجانبين حتى كادت القنابل تتصادم والانكليز لا يتحركون من اماكنهم • وكثيراً ما التمسوا من ولنتون ان يأذن لهم

بالهجوم وهو يقول لهم باللحن الانكليزي المعروف « لم يأزف الوقت يا رجالي بعد »

وفي نحو الساعة الرابعة هجمت فرسان بونابرت هجوم اليأس على مشاة الانكليز يريدون يكسحهم كسحاً ولكن الانكليز كانوا قد انتظموا بشكل مربعات تصب الرصاص انصباب السيل • وقد شهدنا مثل هذا المربعات في حرب الانكليز مع الدراويش سنة ١٨٨٥ والمربع عبارة عن قلعة جدرانها رجال يطلقون البنادق ويقوم مقام الجدار صفان أو ثلاثة أو أربعة من أولئك الرجال • فاذا انتظم المربع وحميت ناره لا يقوى فارس ولا راجل على الدنو منه • فاضطر الفرنساويون الى التقهقر ونابوليون يستغرب ذلك • وفي اعتقاده ان الانكليز كان يجب ان يتبعثروا من وجه فرسانه حالاً • وكان بلوخر قد بذل غاية جهده في موافاة ولنتون كما وعده ولكن الامطار والاوحال عاقت مسير مدافعه وأثقاله فوصل متأخراً • اما كروشي فلم يصل



نابوليون بونابرت في آخر معركة ووترلو

ولما أمسى المساء استفرغ نابوليون كل جهده في الدفاع فأمر حرسه الخاص بالهجوم وكان قد ادخرهم الى ساعة الضيق فلم يأتوا أمراً عظيماً • واغتنم ولنتون تضعضع الجند الفرنساوي فأمر رجاله بالهجوم فانقضوا كالاسود وفيهم جماعة ممن كانوا بين التلال فلم يستطع الفرنساويون الوقوف أمامهم • وقد حسبوا هجمات الفرنساويين في تلك المعركة فبلغت خمساً الاولى على يمين الانكليز والثانية على اليسار والثالثة هجوم الفرسان على القلب

والرابعة هجوم المارشال ناي على حصن لاهاي سانت وقد انجح فيها والخامسة هجوم الحرس الخاص · وقد وصل بلوخر في اثناء الهجمة الثالثة وأخذ في نجدة الانكليز · وقد بدأت المعركة الساعة ½ ١١ وانتهت الساعة الثامنة وقد فرَّ بونابرت ويقدرون خسارته ٣٠,٠٠٠ رجل من ٧٢,٠٠٠ وخسارة الجيوش المتحدة ٢٢,٠٠٠ وبانقضاء هذه المعركة افل نجم نابوليون وانقضت حياته السياسية · لانه ما لبث ان سلم نفسه الى الانكليز في ١٥ يوليو على يد قبطان الباخرة بلروفون وكتب الى انكلترا كتاباً يطلب فيه حمايتها فلم تجد اسلم عاقبة على اوربا من ابعاده عنها · فارسلوه منفياً الى جزيرة القديسة هيلانة في جنوبي الاتلانتيكي وضيقوا عليه حتى لا يتيسر له شيء مما أتاه وهو في جزيرة البا · فبقي منفياً هناك حتى توفي بقرحة معدية في ٥ مايو سنة ١٨٢١

مدارس دمشق الفيحاء

في عهد التمدن الاسلامي

من طالع فهارس الكتب العربية ودخل دور الكتب الشهيرة يعلم ما كانت عليه الامة العربية من التوفر على التأليف في اكثر فنون العلم ايام اقتعادها غارب العز الاقعس وافتراعها اعراف المجد المؤثل · ومن طاف دمشق وضاحيتها وشاهد ماهنالك من آثار طامسة ومدارس دارسة يدرك ولا شك ما كان في هذه الحاضرة من دواعي العمران وضروب الحضارة والنضارة ايام كانت سوق العلم نافعة وبضاعة العمل رائجة

ذهب بعض متأخري المؤرخين الى ان المدارس بدمشق كثرت على عهد الدولة الاموية وهو وهم لا دليل عليه من التاريخ البتة فقد ظهر بعد البحث ان المدارس في الاسلام على هذا الطرز المعروف لعهدنا لم تكن الا في اواخر القرن الخامس للهجرة · قال السيوطي في محاضراته ان اول من بنى المدارس لطلبة العلم ورتب لهم المعاليم من المواجب والارزاق نظام الملك يعني هو اول من بني في العراق · ونظام الملك هو الوزير الكبير فخر الدولة السلجوقية التركية وهو مؤسس المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٥٩ هـ اعظم كليات المسلمين السالفة

علم بالاستقراء ان تاريخ المدارس في دمشق يردُّ الى عهد الملك العادل نور الدين الشهيد وحاشيته وذريته فانه كان اول من تقرب بهذه المآثر وان معظم المدارس

عمر باموال النزلاء بدمشق والغرباء عنها . ولم اعرف الا في النَّدر فيما اطلعت عليه ان دمشقياً محاً بنى مدرسة واقام اثراً يذكر به حتى ان المدارس التي أُنشئت بعد عهد صلاح الدين ونور الدين — وعهدها ارقى ايام الشام واسعدها — لم تبق لاهميتها ولعزّة من كتب عنها من المؤرخين وعلى العكس في المدارس القديمة فانها كلما طال عهدها تجددت شهرتها . وربما خطر لبعضهم ان المدارس البادية انقاضها للعيان اليوم في سفح قاسيون والشرفين عمرت وسط البساتين والحدائق كما هي الآن والصحيح انها كانت وسط عمران مسيطر من دور وقصور ومصايف وقرى ومتنزهات . اصبح بعض هذه المدارس مجمعاً للقمامات والقاذورات وضاع البعض الآخر واخذت انقاضه وما بقي منها يدعى باسم مدرسة او عمره بعض اهل المظاهر وعشاق الشهرة يؤثر العاقل ان يراه خراباً يباباً من ان يكون على هذه الصفة حقيراً بناؤه وخيمة غرفه مختلة اصول التعليم فيه . ولقد كان الطلبة قديماً يدرسون ليكونوا علماء بالفعل والآن ان صح ان واحداً من عشرة يأخذ نفسه بالتعلم والاستفادة فطمعاً في احتياز مغنم تافه . وكان المدرسون والدارسون تجري عليهم الارزاق الهلالية على التوالي و يعيشون نافعين منتفعين

تنقسم المدارس الدارسة في الفيحاء الى افانين وضروب فمنها مدارس القرآن كانت تتوفر على اقرائه بكل ما يقتضي له من تجويد وتفسير . ومنها دور الحديث تعنى بتدريسه على اصول المحدثين . ومنها مدارس للشافعية يدرس فيها فقه الامام الشافعي بفروعه واصوله . ومنها مدارس للحنفية لدراسة فقه ابي حنيفة النعمان . ومنها مدارس للمالكية لقراءة فقه مالك بن انس . ومنها مدارس للحنابلة خُصت باقراء فقه احمد بن حنبل . ومنها مدارس طبية يقرأ الدارسون فيها علم الطب ومتفرعاته . ولم يعهد مدارس للفلسفة والعلم الطبيعي والرياضي ومن نبغوا في هذه العلوم فقد تعلموا خارج تلك المدارس الدينية وعلى حين غرة من رجال الدين

١ — دور القرآن

جاء في الدارس انه كان في دمشق سبع دور للقرآن وهي « الخيضرية » شمالي دار الحديث السكرية بالقصاعين انشأها قاضي القضاة قطب الدين الخيضري محمد بن محمد بن عبد الله بن خيضر الدمشقي سنه ٨٧٨ ووقف عليها وعلى مسجد آخر اوقافاً جمة وقد بقي اليوم جزء صغير منها استعمال زاوية . و « الدلامية » بالقرب من الماردانية على الجسر الابيض بالجانب الشرقي من الشارع الآخذ اليه بالصالحية فوق نهر ثورة انشأها احمد بن الجابي

الخواجكي زين الدين دلامة بن عز الدين نصر الله البغدادي البصري اجل اعيان الخواجكية بالشام ووقفها سنة ٨٤٧ توجد اليوم بعض احجارها وانقاضها . وفي كتاب وقفها ان صاحبها رتب لها اماماً وله من المعلوم مائة درهم وقيم وله مثل الامام وستة انفار من القراء الغرباء المهاجرين لقراءة القرآن ولكل منهم ثلاثون درهماً في كل شهر ومن شرط الامام الراتب ان يتصدى لاقراء القرآن للمذكورين وله على ذلك زيادة على معلوم الامامة عشرون درهماً وستة ايتام بالمكتب الذي على بابها ولكل منهم عشرة دراهم في كل شهر ايضاً وقرر لهم شيخاً وله من المعلوم ستون درهماً في كل شهر وقراءة البخاري في الشهور الثلاثة وله من المعلوم في الشهر ستون درهماً وله من المعلوم كل سنة ستمائة درهم ورتب المرتب في كل عام مثلها والسبع ولقراءة البخاري والتواريخ مائة درهم ولارباب الوظائف خمسة عشر رطل من الحلواء ورامي غنم اضحية ولكل من الايتام جبة قطنية وقميص . . .

و « الجزرية » قيل انها بدرب الحجر نُسب إيقافها لمحمد بن محمد الجزري المقرىء المحدث ولا يُعلم مكانها الآن . و « الرشائية » شمالي الخانقاه الشميساتية الملاصقة للجامع الاموي من شماليه انشأها في حدود سنة اربع واربعين واربعمائة رشا بن نظيف بن ما شاء الله ابو الحسن الدمشقي وهي مدرسة الآن . و « السنجارية » تجاه باب الجامع الاموي الشمالي انشأها علي بن اسمعيل بن محمود السنجاري احد التجار الاخيار سنة ٧٣٩ لا تُعرف . و « الصابونية » خارج باب الجابية قبالة تربة الباب الصغير لشهاب الدين احمد بن علم الدين سليمان بن محمد البكري المعروف بالصابوني تمّ انشاؤها سنة ٨٦٨ وبها وقفه . خطب بها قاضي القضاة جمال الدين يوسف الباعوني وغيره وبنى ايضاً تجاه المكان المذكور بشرقه مكتباً لايتام عشرة بشيخ لهم يقرئهم القرآن العظيم بمعاليم شرطها لهم معلومة تصرف عليهم من جهات عديدة منها عدة قرى غربي مدينة بيروت تحت يد امير الغرب تعرف بالصابونية الخ ولا تزال هذه الدار الى اليوم باقية وهي مدفن بني البكري . و « الوجيهية » قبلي المدرسة العصرونية والمسرورية وغربي القيمصامية التي شمالي الخاتونية انشأها وجيه الدين محمد بن عثمان بن المنجا الرئيس شيخ الحنابلة الدمشقي التنوخي سنة ٦٩٠ .

٢ — دور الحديث

كان في دمشق ثماني عشرة داراً للحديث وهي : « الاشرفية » جوار باب القلعة الشرقي غربي العصرونية وشمالي القايمازية الحنفية كانت دار الامير قايماز بن عبد الله النجمي وله بها حمام فاشتراها الملك الاشرف موسى بن العادل وبناها دار حديث وتجز بناؤها سنة ٦٣٠

تولى التدريس بها جلة من العلماء مثل تقي الدين بن الصلاح وابن الحرستاني وابي شامة والامام النواوي وزين الدين الفارقي وكمال الدين الشريشي وصدر الدين بن الوكيل وكمال الدين بن الزملكاني والحافظ المزي وتقي الدين السبكي وعماد الدين بن كثير وقطب الدين الخيضري وغيرهم . وفي اواخر القرن الماضي كادت تسطو على هذه المدرسة يد التعدي كما سطت على غيرها من المدارس فقام الفقيه الشيخ يوسف البيباني المغربي واستخلصها واعادها مدرسة وسكنها من بعده نجله المحدث الشيخ بدر الدين

و « الاشرفية البرانية » بسفح جبل قاسيون على ضفة نهر يزيد تجاه تربة الوزير تقي الدين التكريتي وشرقي المرشدية الحنفية وغربي الاتابكية الشافعية بناها الملك الاشرف المظفر موسى بن العادل باني دار الحديث المتقدمة قبل هذه لمحافظ بن الحافظ جمال الدين عبد الله بن تقي الدين عبد الغني المقدسي واول من درس بها القاضي شمس الدين بن ابي عمر ثم الامام شمس الدين بن الكمال والشرف حسن المقدسي وتقي الدين سليمان بن حمزة وشرف الدين القائق الحنبلي . وهذه المدرسة موجودة الآن يسكنها الغرباء . و « البهائية » داخل باب توما كانت دار بهاء الدين ابي محمد القاسم بن بدر الدين ابي غالب المظفر المتوفي سنة ٧٨٢ وممن ولي مشيختها الشريف المؤلف شمس الدين ابو المحاسن وابن جماعة واظنها امست اليوم دورًا . و « الحمصية » كانت معروفة بمحلة حمص فقدت وجهل مكانها وغاية ما يروى ان الحافظ المزي والحافظ صلاح الدين العلائي بن كيكلد قرأ الحديث فيها . و « الدوادارية » دار حديث ومدرسة ورباط داخل باب الفرج لعلم الدين سنجر الدوادار المحدث الحافظ المتوفي سنة ٦٩٩ من نجباء الترك وعلمائهم وممن درس بها نجم الدين بن قوام وهي غير معروفة لهذا العهد . و « السامرية » وبها خانقاه بالقرب من محلة مأذنة الشحم بزقاق الشيخ الدسوقي انشأها الصدر الكبير سيف الدين ابو العباس احمد بن محمد البغدادي السامري وهو مدفون بها . والسامري نسبة الى سُرَّ مَنْ رأى بلد على دجلة . وهذه المدرسة الى جانب الكروسية ولا تزال معروفة . و « السكرية » بالقصاعين داخل باب الجابية درس بها شيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية ووالده والحافظ الذهبي والصدر المالكي وكان بها خانقاه ولعلها المعروفة الآن بجامع السادات . و « الشقيشقية » بدرب البانياسي في ظاهر المدينة انشأها نجيب الدين ابو الفتح نصر الله الشيباني الصفار المعروف بابن الشقيشقة ولا يبعد ان تكون هي القبة التي يطل عليها من المستشفى الحميدي اليوم

و« العروية » بمشهد عروة بالجانب الشرقي من الجامع الاموي قبالة الحلبية المعروفة

بمشهد علي انشأها شرف الدين محمد بن عروة الموصلي ووقف عليها مكتبة عظيمة توفي سنة ٦٢٠ هـ معروف محلها ولي مشيختها الفخر بن عساكر وزكي الدين البرزالي . و « الفاضلية » بالكلاسة منسوبة للقاضي الفاضل البيساني من رجال السلطان صلاح الدين والمدرسة جوار تربة هذا السلطان وهي الآن مساكن وبقيت بعض آثارها ولعلّ اول من درس بها تقي الدين البلداني وتولاها بعده زمرة من الافاضل منهم النجم اخو البدر والحافظ محمد السلامي وشمس الدين البعلي . و « القلانسية » غربي مدرسة ابي عمر بالصالحية بها رباط ومنارة يمر في وسطها نهر يزيد انشاه الصاحب عز الدين ابي يعلى التميمي المعروف بابن القلانسي من كبراء دمشق المتوفي سنة ٧٢٩ هـ وكان له في الصالحية رباط حسن بمأذنة وفيه دار حديث وبر وصدقة . و « القوصية » بالقرب من الرحبة قال بعضهم انها في الجامع الاموي بجوار الشافعية . و « الكروسية » غربي مأذنة الشحم لمحمد بن عقيل بن كردوس السليمي محتسب دمشق أنشئت سنة ٦٤١ هـ وهي الآن من الضائعات ولعلها جامع ومأذنة الشحم . و « النورية » انشأها نور الدين محمود بن زنكي . قال ابن الاثير وبنى نور الدين محمود دار الحديث بدمشق وهي اول من بنى دار الحديث . وهي موجودة الآن مدرسة وجامعاً وبها قبره يزار . تولى مشيختها الحافظ ابو القاسم بن عساكر وهو الذي ذكر ان جملة شيوخه الف وثلثمائة شيخ ونيف وثمانون امرأة ثم تولاها ابنه بهاء الدين القاسم ثم وليها الفخر بن عساكر ثم اخوه زين الامناء بن عساكر ودرس بها بهاء الدين النابلسي وتاج الدين الفزاري وجمال الدين بن الصابوني ومجد الدين بن المهتار وفخر الدين الحنبلي وعلاء الدين بن العطار وشرف الدين النابلسي وعلم الدين الاشبيلي والحافظ المزّي والحافظ تقي الدين بن رافع وعماد الدين الحسيني وعز الدين الاربلي . و « النفيسية » قبلي البيمارستان الدقاقي (كذا) وباب الزيادة على يمنة الخارج من شمالي غربي المدرسة الامينية انشاه النفيس اسمعيل بن محمد بن عبد الواحد الحرّاني ناظر الايتام سنة ٦٩٦ هـ صارت دوراً ومن مشايخها علاء الدين الكندي وعلم الدين البرزالي . و « الناصرية » بها رباط قبلي جامع الافرم بسفح قاسيون وهي الناصرية البرانية انشاه الملك صلاح الدين ابن الملك العزيز سنة ٦٥٤ امست الآن حديقة ومن مشيختها كمال الدين الشريشي وولده ابو بكر وحسام الدين القوصي ونجم الدين بن القوّام . و « التنكزية » دار قرآن وحديث شرقي حمام نور الدين الشهيد وراء سوق البزورية انشأها نائب السلطنة تنكز سنة ٧٣٠ وهي الآن مكتب صبيان . و « الصبابية » دار قرآن وحديث قبلي العادلية الكبرى

وشمالي الطيبرية أنشاه شمس الدين بن تقي الدين بن الصبان قال في مختصر الدارس انها حرقت في الفتنة اي فتنة تيمورلنك • و « المعبدية » دار حديث وقرآن والمشهور انها دار قرآن انشاه الامير علاء الدين علي بن معبد البعلبكي ليست معروفة

٣ — مدارس الشافعية

في الدارس انه كان في دمشق سبع وخمسون مدرسة للشافعية وهي :

« الاتابكية » بالصالحية غربها المرشيدية ودار الحديث الاشرفية المقدسية انشأتها اخت نور الدين ارسلان بن اتابك صاحب الموصل المتوفاة سنة ٧٤٠ وبها قبرها وقد جعلت الان مكتباً ابتدائياً للاناث • درس بها تاج الدين الاسكندري المعروف بالشحرور وصفي الدين الهندي وابن صصري وجمال الدين الزرعي ومحيي الدين بن سهيل وقاضي القضاة ابن جملة وقاضي القضاة شهاب الدين بن المجد وصدر الدين بن قاضي القضاة القزويني وتقي الدين السبكي وبهاء الدين السبكي وولده قاضي القضاة ولي الدين ابو ذر وزين الدين ابو حفص الملحي وفتح الدين الجزري وشمس الدين الاخنائي وشهاب الدين بن حجي وناصر الدين البصروي وعلاء الدين بن سلام وكمال الدين البارزي • و « الاسعردية » بالجسر الابيض بالصالحية انشاه ابراهيم بن مبارك شاه الاسعردي من ارباب الثراء والسخاء توفي سنة ٨٢٦ ودفن بتربة مدرسته وهي باقية قال ابن شهبة كان الاسعردي هذا وشمس الدين بن المزلق اكبر تجار دمشق وله المتاجر السائرة في البلدان قد اعطاه الله المال والبنين وكان عنده كرم واحسان الى الفقراء • وقد درس بهذه المدرسة جماعة منهم العز القرشي والركن البجلي والحافظ صلاح الدين العلائي وشهاب الدين الاذرعي والقاضي الرمتاوي • و « الاسدية » بالشرف القبلي ظاهر دمشق مطلة على الميدان الاخضر وهي على الفريقين الشافعية والحنفية انشاه شرف الدين شيركوه من قواد نور الدين الشهيد • و « الاصفهانية » كانت بمحلة الغرباء بالقرب من درب الشعارين لتاجر من اصفهان وفي رواية انها خلف المدرسة القاجازية وغرباً محلها ولكن مكانها غير معروف على التحقيق ويذهب بعضهم الى انها كانت موضع تكية احمد باشا وقد درس بها جمال الدين عبد الكافي خطيب دمشق وجمال الدين احمد المعروف بالمحقق

و « الاقبالية » داخل باب الفرج وباب الفراديس بينهما شمالي الجامع الاموي والظاهرية الجوانية وشرقي الجاروخية والاقبالية الحنفية وغربي التقوية لشمال انشأها

جمال الدولة اقبال خادم نور الدين الشهيد وعتيق ست الشام • درس بهـا قاضي القضاة ابو البركات يحيي بن هبـة الله وولده صدر الدين ثم ولده نجم الدين وبدر الدين بن خلكان وشمس الدين بن خلكان وغيرهم • و « الاكزية » قبالة الشبلية الحنفية انشاء اكز صاحب نور الدين محمود وهي غربي الطيبية والتكزية وشرقي أم صالح • درس بها شرف الحاكي وتاج الدين جهبل والمجد بن المجد الروذراوزي وبرهان الدين المراغي ومجدالدين محمود الشهرزوري والكمال بن الحرستاني والبدر النابلسي • و « الامجدية » بالشرف الاعلى معطلة على المرجة قرب مستودع البارود انشاء الملك المظفر نور الدين عمر بن الملك الامجد أنشأها باسم والده الملك الامجد مجدالدين بهرام شاه بن عزالدين فرخشاه بن شاهنشاه بن ايوب بن شادي صاحب بعلبك وهي دار فرخشاه وكان الملك الامجد شاعراً فاضـلاً وممن درس بها رفيع الدين الجيلي ونجم الدين بن سني الدولة وابن سنا الدولة وأمين الدين بن عساكر وبرهان الدين بن الخلخال وتاج الدين ابن الخلخال وغيرهم • وهذه المدرسة اليوم حظيرة دواب رأيت القبر الذي فيها محاطاً بالسرقين • ولكثرة ما في جوار هذه من المدارس سمي اليوم الزقاق الموصل اليها وهو الذي يبتدىء امام جامع الطاووسية وينتهي امام مستودع البارود بزقاق المدارس

و « الامينية » قبلي باب الزيادة من ابواب الجامع الاموي المعروف قديماً بباب الساعات وهي شرقي المجاهدية وجوار قيسارية القواسين بظهر سوق السلاح كما في الدارس وكان به بابها وتعرف هذه المحلة قديماً بباب القباب وهناك دار مسلمة بن عبد الملك درس بها جمال الدين السلمي ونجم الدين أبو البركات بن أبي عصرون وبدر الدين ابن قاضي سنجار واخوه شمس الدين الاحدي ونجم الدين بن سني الدولة وشمس الدين ابن عبد الكافي ومحيي الدين بن زكي الدين ورفيع الدين الحنبلي وقطب الدين بن أبي عصرون وشرف الدين السلمي وقطب الدين النيسابوري وغيرهم كثيرون • قيل ان هذه الدار أول مدرسة بنيت بدمشق للشافعية بناها اتابك العساكر الملقب بأمين الدولة ربيع الاسلام أمين الدين كمشتكين بن عبد الله السقتكي المتوفي سنة ٥٤١ وهي الآن كتاب صبيان • و « البادرائية » جاء في الدارس انها داخل باب الفراديس والسلامة شمالي جيرون وشرقي الناصرية الجوانية وفي المختصر انها على باب الجامع الاموي الشرقي المؤدي الى العمارة وكانت قبل ذلك داراً تعرف بأسامة وهو أسامة الجيلي أحد كبار الامراء المتوفي سنة ٦٠٩ هـ أنشأها نجم الدين ابو محمد عبد الله البادرائي البغدادي المتوفي

سنة ٦٥٥هـ درس بها برهان الدين الفزاري وكمال الدين الاربلي وعز الدين الاربلي وتاج الدين الفركاح وولده برهان الدين أبو اسحق ابراهيم وكمال الدين الشيرازي وشهاب الدين بن جهبل وغيرهم ولا تزال موجودة .

و « البهنسية » بسفح قاسيون انشأها مجد الدين المعروف بأبي الاشبال وزير الملك الاشرف مظفر الدين موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن ايوب المتوفي سنة ٦٢٨ درس بها نجم الدين بن سني الدولة وشمس الدين بن خلكان . و « التقوية » داخل باب الفراديس المعروف اليوم بباب العمارة شمالي الجامع شرقي الظاهرية والاقبالية كانت من اجل مدارس دمشق . بناها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب سنة ٥٧٤ وقد أصبحت لهذا العهد دوراً . درس بها محيي الدين محمد بن علي ومحيي الدين بن زكي الدين وفخر الدين وعماد الدين بن الحرستاني ومحيي الدين أبي الفضل يحيي وأبو المظفر بن عساكر وبهاء الدين أبو الفضل يوسف واخوه امام الدين عبد العزيز وغيرهم . و « الجاروخية » داخل باب الفرج والفراديس بالقرب من الاقبالية الحنفية شمالي الجامع الاموي والظاهرية الجوانية معروفة بناها جاروخ التركماني برسم أبي القاسم محمود بن المبارك المعروف بالمجير الواسطي البغدادي درس بها بعده الفخر بن عساكر وشهاب الدين الاعرج ونجم الدين البازري وتاج الدين الاسكندري وكمال الدين بن النجار وعز الدين الاربلي ونور الدين الاردبيلي وعماد الدين الحسباني وزمرة من الفقهاء بني جهبل

و « الحمصية » تجاه الشامية البرانية قال ابن كثير في سنة ٧٣٦هـ فتحت المدرسة الحمصية ودرس بها محيي الدين الطرابلسي الملقب بأبي رباح وفي مختصر المدارس انها خربت بعد قليل من تشييدها . و « الحلبية » بناحية السبعة طوالع وهي خلف المكتبة الظاهرية مجهول حالها ومنشئها من القديم قال في الدارس ان شهاب الدين بن عبد الخالق المتوفي سنة ٨١٥ وقف الى جانب المدرسة الحلبية مسجداً أو اضافه الى المدرسة ووقفه عليها وممن وقف عليها الامير سيف الدين من مماليك برقوق

و « الحيصية » قبلي الزنجياري غير معروفة تولى مشيختها بدر الدين بن قاضي اذرعات . و « الخليلية » بانيها سيف الدين بكتمر الخليلي المتوفى سنة ٧٤٦ . و « الدماغية » داخل باب الفرج وغربي الباب الثاني الذي قبلي باب الطاحون وهي قبلي وشرقي الطريق الآخذ الى القلعة الشرقي والطريق بينهما وبين الخندق وهي ايضاً شمال العادلية بين الشافعية والحنفية انشأتها عائشة جدة فارس الدين بن الدماغ زوجة شجاع الدين بن الدماغ سنة ٦٣٨

مجهولة . وكان درس بها شمس الدين الحربي وموفق الدين الحربي وجمال الدين السبكي وتاج الدين بن السبكي وز بن الدين بن قاضي عجلون وغيرهم . و « الدولعية بجيرون قبل المدرسة الباذرائية لجمال الدين محمد التعلبي الدولعي خطيب دمشق والدولعية من قرى الموصل « دمشق » محمد كرد علي

حب الشهرة من دعائم العمران

الشهرة في الحقيقة وهمٌ وطلابها انما يطلبون وهماً لانها لاتسدّ جوعاً ولا تدفع مرضاً ولا تقي من بردٍ او حرّ . ولكن يندر في الناس من لا يتطلبها وان تفاوتوا في اساليب السعي في طلبها كأنها من جملة حاجيات الانسان . على انه لايلتمسها في الغالب الا بعد ان يحصل على الكفاف من حاجاته البدنية . فاذا أمن الجوع والبرد والحر وصان نفسه من غوائل الحيوانات المفترسة طلب حسن الاحدوثة (الشهرة) و يندر ان يكتفي بما يناله فاذا شبعت نفسه منها طلب شهرة تبقى بعد موته يعبرون عنها بالذكر الجميل . وتعليل ذلك في اعتقادنا ان الانسان مفطور على حب السيادة وطول البقاء وكلاهما من ثمار حب الذات لان من احب نفسه احب لها الراحة والرفاه ولا يتمان على زعمه بغير السيادة او الغلبة لانه اذا ساد او غلب ضمن لنفسه الحصول على لوازم الحياة وامن الفقر . واحبّ ان يطول زمن تلك الراحة وهو البقاء . فالانسان يشترك في مطالبه الاولى مع سائر الحيوانات في التماس الطعام والمأوى . ثم يفترق عنها بحسب الظاهر بطلب السيادة والبقاء . والسيادة في ابسط احوالها ان يتسلط الانسان على من حوله من الرفاق فيكون له فيهم الكلمة النافذة فاذا قال او فعل اذعنوا له واطاعوه واذا جاء او ذهب احترموه وبجلوه . فمن لم يستطع السيادة الحقيقية على من حوله اكتفى بالاحترام الذي يبدونه له . وهم لا يفعلون ذلك الا وفي نفوسهم اقرارٌ له بشيء يمتاز به عنهم . فالاحترام عبارة عن الاقرار بسيادة معنوية . ولما كانت السيادة الحقيقية لا تتأتى الا لنفر قليل من الناس اكتفى الاكثرون بالسيادة المعنوية اي الاحترام

فاذا نال الانسان احترام اهله وجيرانه طلب احترام اهل بلده ثم اهل البلاد المجاورة وغيرهم الى ما يبلغ اليه امكانه وهي الشهرة . والناس يتفاوتون في طلبها كتفاوتهم في مطامعهم واميالهم ومواهبهم بين من يكتفي باحترام امرأته واولاده ومن لا يرضى باحترام الناس كافة . فاذا ناله طلب ما وراء ذلك وخصوصاً متى تذكر الموت فانه يرى شهرته ذاهبة ضياعاً

فاذا كان من اهل التقوى فلا يهمّه امر هذه الحياة طالت او قصرت . والاّ فانه يطلب «البقاء بعد الموت» فيسعى الى ذلك من سبل تختلف باختلاف اطواره ومطامعه ومواهبه فبعضهم يكتفي ببقاء ذكره بمن يخلفه من البنين والبعض الآخر يبني المدائن والقصور وآخرون يقفون اموالهم لعمل الخير بعدهم وغيرهم يبنون الكنائس او الجوامع او السبل ونحوها . ولمثل هذا الغرض بنيت الاهرام ونحتت المسلاّت واقيمت الانصاب في زمن التمدن القديم . ومنهم من يستبقي ذكره بعمل جليل من فتح او بنيان او تأليف كتاب او نحو ذلك . فالذين يعملون لبقاء ذكرهم انما يطلبون البقاء بعد الموت وهذا باطل والذكر ولو بقي لا فائدة به لصاحبه . لانهُ قد لا ينفعه في حياته وهو يرى ويتنفس و يسرّ ويحزن فكيف بعد ان يصير ترابًا او يتحوّل الى نبات . . .

فالشهرة وان عددناها من ملازمات الاحياء فانها عند اهل الحقيقة من الاوهام الباطلة للاسباب التي قدمناها . على اننا لو نظرنا فيها من حيث الاجتماع البشري واعتبرنا فائدتها بالنظر الى المدنية رأيناها من اقوى دعائم العمران ولو ذهبت لاختلّ نظام الاجتماع واصبح التمدن في خطر عظيم . لان الناس مترابطون في مصالحهم مشتركون في اعمالهم لا يستغني بعضهم عن بعض بين رئيس ومرؤوس واستاذ وتلميذ وتاجر وصانع وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم . ولا بد لحفظ حقوقهم من وازع قويّ يردّ القوي عن الضعيف و يردع الظالم عن المظلوم . والوازع العام الحكومة . ولكنها مهما بلغ من تيقظها وعدالتها لا تردّ من الحقوق الاّ نقطة من بحر لانها انما تحكم في ما يتصل بها علمه من الحوادث التي يعرفها الناس بل هي لا تطلع الاّ على جزء صغير من تلك الحوادث . فكيف بما يبقى في طي الكتمان من المنكرات التي يرتكبها البشر ولا رقيب عليهم . فكم في عالم الغيب من سرقات ومظالم وفظائع ارتكبها بعض الناس ولم يعلم بها احد سواهم وقد يكون مرتكبوها من اهل المناصب الكبرى وذوي المقامات الرفيعة . وكم تحت التراب من اعمال ذهب اصحابها ولا تزال سرًّا مكتومًا في عالم الخفاء ولن تزال الى الابد . والفظائع التي يرتكبها الناس وتبقى مكتومة اكثر كثيرًا من التي تنكشف وهذه اكثر من التي تبلغ الى مسامع الحكومة

فالحكومة لا تكفي وحدها لانصاف المظلومين وكبح جماح الظالمين وردّ القوي عن الضعيف ومنع الناس عن اتيان المنكرات — فهي الوازع الاصغر الثانوي . وأما الوازع الاكبر الرئيسي فهو « الدين » لانه يقاص المجرمين على ما يرتكبونه في الخفاء وان لم تقع عليهم عيون بشرية وعقابه أشد كثيراً من عقاب الحكومة وأطول زمناً بل هو يغرس

في نفس الانسان ما يردعه عن المعاصي او يوبخه على ارتكابها وهو الضمير . فلولا شيوع التدين وخصوصاً في الطبقات السفلى من الناس لكانت الحقوق فوضى وأكل القويُّ الضعيف مما لا يتصوره العقل ولم يتفق في عصر من العصور اذ ما من أمة أو قبيلة مهما بلغ من توحشها الا ولها ما تدين به وتردع قويها عن ضعيفها . والدين أقدم وازع في الناس لانه وجد قبل الحكومة أو هما وجدا معاً مما لا محل للبحث فيه الآن

فالدين اذا كان عاماً في طبقات الناس ومتمكناً في نفوسهم اغناهم عن الحكومة وكان خير ضامن لحقوقهم وأحسن رادع للقوي عن الضعيف . ولكن البشر يتفاوتون في مواهبهم ومعارفهم ومعتقداتهم وفيهم المؤمن والمعطل والجاحد . وقد زادت الشكوك في عهد هذا التمدن وخصوصاً في الذين لا يستوعبون العلم بل يتمسكون باطرافه ولا يفهمون حقيقته . ولكن قد يمرّ على بعض البلاد عصر يجاهر اهلها فيه بالكفر وانكار الخالق ومع ذلك فالحقوق تظل مصونة ولا يظلم الناس بعضهم بعضاً . فما الذي يردعهم عن ارتكاب الجرائم السرية التي لا يخافون وصولها الى الحكومة ؟ — قد يكون الجواب انهم انما يردعهم عن ذلك آدابهم أو فضائلهم أو شرفهم . ولكن هذه الالفاظ لا معنى لها ان لم يرد بها حسن الاحدوثة أو المحافظة على الشهرة . فالمعطلون انما يردعهم عن ارتكاب المنكرات السرية خوف اشتهارها فيثلم صيتهم وتتشوه شهرتهم فيقلُّ احترام الناس لهم . وبعبارة أخرى يتقلص ظل سيادتهم المعنوية . فكم من بطل خاض غمار الحرب فلم يقلقه اطلاق القنابل ولا خاف مراهف السيوف فلما خشي ان يثلم صيته من انكشاف منكر ارتكبه سرًّا أعظم الامر ولم يجد له مخرجاً من ذلك الشقاء الا بالانتحار . وكم من سيد قادر لا يمنعه من ارتكاب المحرمات وهضم حقوق الناس دينٌ وانما يمنعه خوف الفضيحة وذهاب الشهرة

على ان حب الشهرة لا يقتصر على منع المظالم والمنكرات ولكنه كثيراً ما يكون حاثاً على الفضائل حتى في المتدينين . فان أكثر المحسنين واهل البر يلتمسون مع الاجر في الآخرة حسن الاحدوثة في الدنيا . ناهيك بالذين يحسنون التماساً للشهرة فقط وقلما يهمهم أمر الاجر والثواب وهم كثيرون . ولو دققت النظر واعملت الفكرة لرأيت الجانب الاعظم من أهل الاحسان انما يحسنون في سبيل الصيت الحسن وخصوصاً في هذا العصر فان الناس لا يعملون حسنة الا وهم ينظرون من ورائها اما الى نفع مادي او الى نفع ادبي وهو الشهرة . حتى الحكام انفسهم فانهم انما ينصفون الناس عملاً بالواجب ومفاد

هذا الواجب أنهم اذا لم يعملوا بالحق اضروا بشهرتهم • فالاسباب الحاثة على الفضيلة (غير الدين) كثيرة ولكنك اذا تدبرتها وحللتها رأيتها ترجع الى حب الشهرة والتماس حسن الاحدوثة في أثناء الحياة أو بعد الممات • وقد يفعل بعض الناس الخير لانه خير بما تمكن في نفوسهم من حب الفضيلة بالتربية الحسنة او العادة وهم قليلون

فحب الشهرة الذي يعدّه الدين من قبيل المجد الباطل ويعتبره العلم من الاوهام الفارغة ويعدّه اهل الحقيقة من قبيل العبث انما هو من اكبر دعائم الفضيلة ومن أقوى لوازم العمران • فالرجل القويّ اذا لم يكن متديناً ولا طلاباً للشهرة فانه بعيدٌ عن الفضيلة مضرٌ في جسم العمران

مستقبل الاسلام

للاستاذ مرجليوث — في جامعة اكسفورد

الاستاذ مرجليوث مستشرقٌ كبير ذو اطلاع واسع في تاريخ الاسلام وهو من المتضلعين باللغة العربية وآدابها . اذا قرأت عبارته لاتشك ان كاتبها من اقطاب اللغة العربية لبلاغتها ومتانتها وخلوها من شوائب العجمة — فضلاً عن معرفته اللغات الشرقية الاخرى . وللاستاذ المذكور ابحاث في الاسلام والمسلمين والآداب الاسلامية تدلُّ على اعتداله ودقة نظره. وقد اطلعنا على رسالة له في « مستقبل الاسلام » وهي مقالة تليت بالانكليزية في أحد المجامع العلمية الكبرى فأردنا تلخيصها ليطلع القراء على رأي هذا العالم في هذا الموضوع المهم قال :

« قال برايس السياسي المؤرخ في خطاب القاه بالامس ان الاسلام لم يبق من عمره الاّ قرنان . فظن الناس لاول وهلة أنه يتكلم بالاحاجي لغرابة هذا الرأي عند العارفين . لان المسلمين وان كنا لا نستطيع تعيين عددهم تماماً فهم لا يقلون عن ٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ نفس. والاسلام غالبٌ في أفريقيا وشائعٌ في اسيا ومعروفٌ في أوربا وأميركا . ولم يبدُ منه ما يدلُّ على توقف انتشاره وخصوصاً في القرن الماضي لانه نهض فيه نهضة جديدة . وقد قال شاتليه في كلامه عن الاسلام في القرن التاسع عشر « ان الاسلام هو الدين الوحيد الذي يرتقي وينتشر الآن في الهند والصين وأما الاديان الوطنية

الاخرى فانها آخذة في الانحلال » . ويرى أحد كبار المستشرقين أن الاسلام سيعم الهند كلها لان جماعة كبيرة من الهنود يعتنقون الاسلام ليتحرروا من قيود الديانة البرهمية وكهانها . وقد أيد هذا القول السير الفرد ليل بابحاثه الاسيوية سنة ١٨٩٩ وانتشر الاسلام مؤخرًا في بلاد الصين حتى أوجس أهل أوربا من انتشاره مخافة أن يصير ديانة المملكة فيحمل أهلها على الممالك النصرانية في أوربا مثل الحملات الصليبية في العصور المظلمة . نعم ان تلك المخاوف لم تتحقق ولكن كاهون يقول في كلامه عن الصين سنة ١٩٠٠ ان تذمر المسلمين هناك قد يؤول الى ثورة . ومع ذلك فالاسلام ينتشر في الهند والصين ومستعمرات هولندا بالموعظة الحسنة . وأما في أفريقيا فانتشر بعضه بالحسنى والبعض الآخر بالسيف وخصوصاً في عهد الدراويش . وظن بعضهم أن سيره توقف بعد ذهاب المهدوية والحقيقة أنه لا يزال آخذًا في الانتشار . على أن انتشاره أضعف مما كان منذ بضع عشرة سنة ولكنه ليس آخذًا في الانحلال على الاقل

« على أن بعض دعاة النصرانية كالمبشرين ونحوهم ينقلون في أخبارهم عن بلاد الاسلام ما يوافق رأي بريس المذكور . فقد تنبأ أحد المبشرين في اسيا الصغرى سنة ١٨٧٠ ان الاسلام لا يلبث أن يذوب ذوبان الثلج بين يدي العلم والتمدن والنصرانية . ونقل الدكتور بروين في كتابه عن العرب والافريكان أن بعض الاعراب قال له « ان الاسلام يذهب بذهاب الدولة العثمانية » وقال لنز في ختام كلامه عن سياحته في تومبكتو « ان الاسلام قد يبقى اذا ترك لنفسه وأما اذا احتك بالتمدن الحديث فانه يموت لا محالة » وقس على ذلك أقوال كثيرين من هذا القبيل . كما اننا لا نعدم وسيلة لايراد أراء القائلين أن الاسلام خالد لا نهاية له

« وليس من غرضي تمحيص هذه الآراء لان المستقبل لا يعلمه الا الله . ولكنني اعلق على ما تقدم بعض الملاحظات للبحث في ما يعنون بزوال الاسلام وما المراد بأسباب انحلاله . فأذكر ملاحظاتي الخصوصية التي لاحظتها في أثناء زيارتي البلاد الاسلامية واشير الى ملاحظات علماء الافرنج الذين قضوا اعمارهم في الشرق : لا يخلو قول القائلين بسرعة ذهاب الاسلام من وجه يستدعي النظر اذا استطاعوا ان يثبتوا خلوه

من عوامل تنازع البقاء التي في النصرانية واليهودية وغيرها من الاديان الاخرى — ذلك ما يزعمه بعض الكتاب استناداً على بعض ما شاهدوه . قال ڤيشون الالماني سنة ١٨٨١ في كلامه عن تأثير الاسلام في حياة أصحابه « ان كل مايحتاج من الاعمال في الاستانة الى تعقل وذكاء يتولاه المسيحيون من الافرنج وغيرهم . فشركات البواخر يتولى شؤونها اليونان والارمن والفرنساويون والنمساويون والروسيون . والاسطول العثماني يديره ضباط انكليز . وفي الجند العثماني ضباط من الالمان والفرنساويين والانكليز . والسكة الحديدية بناها مهندسون من الانكليز والفرنساويين والالمان . والتلغراف يديره البولنديون والايطاليان » وكتب المستر دوايت بعد ذلك بعشرين سنة « ان المسلمين في الاستانة يشتغلون بتقطيع الحطب وحمل الماء والعتالة وسوق الحمير واذا تعاطوا التجارة اكتفوا باصغرها .. وان الجيش العثماني يقوده ضباط مسيحيون » وقال نحو ذلك في المالية وغيرها من المصالح العظمى واطلق حكمه هذا على سائر البلاد الاسلامية وخصوصاً فارس . وبين تقدم المسيحيين على المسلمين في المناصب والاعمال وهو ينسب ذلك الانحطاط الى اسباب متصلة بالاسلام نفسه لا توافق روح التمدن ولذلك تنبأ بذهابه . ولكني أرى المسألة تفتقر الى البحث بامعان وروية أكثر مما توهم حضرته . لان البلاد الشرقية التي لم يدخلها التمدن الحديث كالحبشة مثلاً والمسلمون فيها تحت سلطة المسيحيين نرى المسلمين فيها أرقى من المسيحيين عقلاً وأدباً . فقد كتب رويل في سياحته الى الحبشة سنة ١٨٣٨ ان الاحباش المسلمين أقدر على العمل وأسمى مدارك وأكثر تهذيباً وعلماً من الاحباش المسيحيين . وقال نحو ذلك أيضاً فون هوغلين سنة ١٨٦٨

وهناك أدلة كثيرة على ان الدين لادخل له في تقدم الامم أو تقهقرها الاّ قليلاً فلابد من البحث عن أسباب أخرى لما ذكره ڤيشون ودوايت في ماتقدم . وبعض هذه الاسباب واضح يظهر لأقل تأمل . ويقال بالاجمال ان ما ينسب لبعض الطوائف من التقدم بمخالطتهم أهل أوربا انما سببه اجتماعي لا ديني . فان المعاهدات التي تقضي بحماية وكلاء المصالح الاجنبية في مراكش انتفع بها اليهود اكثر من انتفاع المسلمين . لان

فيهود علائق باوربا ليست للمسلمين . ويؤكدون ان خوف الفرس من جرائد أوربا هو السبب في تقديم المسيحيين في المعاملة على المسلمين . وكتب فمبري سنة ١٨٧٥ عن الاسلام في القرن التاسع عشر فقال ان سبب تقدم المسيحيين في الاستانة على المسلمين ان المسيحيين لا يخدمون في العسكرية فيتفرغون للعمل في اسباب التعيش وأما المسلمون فانهم عرضة للخروج من بلادهم في كل يوم

« وزد على ذلك ان المسلمين في أبان تمدنهم كانوا يستخدمون في مصالح الدولة اليهود والمسيحيين دون المسلمين . لان أهل الذمة من الجهة الواحدة أقرب الى طاعة الرؤساء من المسلمين أهل الدولة . ومن الجهة الاخرى ان ضعفهم بالنظر الى الحكام دعاهم الى اتقان أسباب التعيش باكتساب ثقة الحكومة والمسلمون في غنى عن ذلك . ولا تزال هذه الخطة جارية في الحكومات الاسلامية الى الآن على انهم لا يفعلون ذلك لامتياز المسيحيين بقواهم أو مواهبهم ولكن النهضة العصرية قضت باحتكاك المسيحيين باهل التمدن الحديث قبل المسلمين ففاقوهم في الاقتدار على العمل . وأعرف جماعة كبيرة من المسلمين على جانب عظيم من الذكاء والنشاط والهمة والاقدام وصدق المبدأ ونحوها من المناقب العالية . وفي اعتقادي ان رأي فمبري في نسبة هذا الاختلاف في القوى الى اختلاف المواطن بين أوربا وآسيا أقرب الى الحقيقة من نسبته الى اختلاف المذاهب بين النصرانيه والاسلام . ولا عبرة في ما يرتأيه البعض ان النصرانية ستحل محل الاسلام قريباً لان النصرانية في زعمهم توافق التمدن والاسلام لا يوافقه . فاننا مع ما نراه من اهتمام الجمعيات المسيحية في نشر النصرانية بين المسلمين فغاية ما يمكننا ان نقول عن مسعاها انه لم يحبط حبوطاً تاماً

«قال الرحالة سفين هيدن في اثناء سياحته في آسيا « ان مساعي دعاة النصرانية في كشغر ذاهبة ضياعاً » وذكر انه لقي ثلاثة من اولئك الدعاة فأخبره احدهم انه قضى في عمله هناك عشر سنوات فلم يستطع تحويل مسلم واحد الى النصرانية ولم يكن رفيقاه اقل فشلاً منه . ويقال نحو ذلك في اكثر اعمال المبشرين في البلاد الاسلامية . اما في بلاد الفرس فقد ذكر الدكتور ادمس ان البابية كانت وسيلة للانتقال من الاسلام الى

النصرانية . وقد نجح التبشير في الهند بعض النجاح ولكن المسلمين الذين يعتنقون النصرانية ليسوا اقل من البراهمة الذين يعتنقون الاسلام . ويقال بالاجمال ان دعاة النصرانية قد ينجحون في البلاد التي لم يكن للمسلمين فيها دولة في عصر الاسلام لذهاب الانفة بتذكر الاسلاف — ولذلك لم ينجح دعاة المسلمين الى النصرانية في سوريا ومصر ونحوهما

« واما ما لا مشاحة فيه فهو ان السلطة الاسلامية السياسية قد أخذت في التقهقر من مدة طويلة حتى أصبح المسلمون الخاضعون لغير المسلمين (سنة ١٨٧٠) نحو ثلثي المسلمين كافة . وأخذت هذه النسبة في الزيادة بتوالي الاعوام حتى أصبح الآن خمسة اسداس المسلمين تحت سلطة غير المسلمين — منهم نحو النصف تحت سلطة الانكليز والباقون تحت سيطرة روسيا وفرنسا وغيرهما

« والاسلام قد تغيرت احواله اليوم عما كانت عليه في ابانه . ولا بدَّ لبقائه من اقترانه بالعلم الحديث كما فعلت النصرانية وان يفترق عن السياسة مع بعض التعديل في شروطه . ولكن هل اذا حدث ذلك التعديل يبقى على الاسلام خطرٌ ؟ والجواب ان ذلك التعديل سيكون سبباً لطول البقاء لالتئامه بالعلم والتمدن الحديث . وقد أخذ عقلاء المسلمين في التقريب بين الاسلام والعلم ونبغ منهم جماعة من العلماء والادباء لا يقلون عن مشاهير ادباء الافرنج . وفيهم نفرٌ من الناشئة قد ادركوا موضع الداء وعرفوا الدواء فاذا استطاعوا سبيلاً الى المعالجة زادوا الاسلام ثباتاً بين يدي المذاهب الاخرى » . اه ملخصاً

باب السؤال والاقتراح

ألقاب اهل القرى في لبنان

(بيروت) جرجي افندي الخوري

سمعت بعض اهالي لبنان يلقبون أهل القرى بالقاب يقولون ان « النقاش » لقبهم بها فخص أهل كل قرية بلقب ينطبق على بعض ظواهرهم . فمن هو النقاش وما هي هذه الالقاب ولماذا لقبهم بها

(الهلال) النقاش رجل أرسلته الدولة في أواسط القرن الماضي لمسح لبنان واحصاء سكانه وكان ظريفاً وفيه دعابة فكان اذا نزل القرية أو البلد لقب أهله بأول تشبيه يتبادر الى ذهنه عند اقباله على ذلك البلد على سبيل المجون . واليك القاب أهالي بعض القرى من اقاليم الغرب نقلاً عن شيخ من أهلها نثق بصدق روايته وهي :

من الشوف الحيطي

أهل جباع	الشواح
« نيحة	النور
« بعذران	الثعالب
« المعاصر	القرعان
« بطمة	الطباسين
« المختارة	الذئاب
« عين قنية	الشواح
« عماطور	الديوك المزهرة

من الشوف السويجاني

أهل المزرعة	البقر
« الكحلونية	النور
« غريفة	المحاويش

تابع الشوف السويجاني

أهل عنبال	الجحاش
« جديدة الشوف	الكلاب
« بعقلين	الغنم

من العرقوب الفوقي

أهل عين زحلته	نور
« بتلون	الازالطة
« الورهانية	الرهبان
« مهرية	البسينات
« دير القمر	الورور
« دردوريت	البسينات
« كفر قطره	المشونين

على ان هذا التلقيب ليس خاصاً بلبنان بل هي عادة قديمة • ولو تدبرت تاريخ العرب لرأيت أمثلة كثيرة من ألقاب القبائل على هذا النمط • وهو جار ايضاً في بلاد التمدن الحديث فاهل المملكة يلقبون أهل كل اقليم او بلد بالقاب خاصة تنطبق على بعض ظواهرهم • واليك أمثلة من ألقاب الولايات المتحدة الاميركية فانهم يلقبون أهل كل ولاية بالقاب خاصة :

اسم الولاية	لقب اهلها	اسم الولاية	لقب اهلها
Illinois	Suckers	Ohio	Buckeye
Missouri	Pibers	Indiana	Hoosiers
Louisiana	Pea nut Collectors	New Eng.	States-Yankees
Oragon	Webfoot	Alabama	Yellow limnor
		Wisconsin	Badger

المقامرة والالعاب البيتية

(الاسكندرية) الآنسة ...

قرأت هلالكم الاخير بما فيه من التقريع العنيف على سيدات الاسكندرية خصوصاً من حيث اشتغالهن بالمقامرة حتى جعلن منازلهن مقامر واصبحت احاديثهن محصورة في الربح والخسارة وانا والحمد لله حديثة عهد في هذه المدينة وقد لاحظت ما لاحظتموه من هذا القبيل • فكنت اذا دخلت منزلاً حسبت نفسي ضائعة وربما عدّني اهل المنزل غير متمدنة • وكنت أتحفز للاعتراض عليهن ويمنعني الهيب لانهن الفئة الكبرى ولم اكتسب دالة تخولني ذلك • حتى اذا جاء الهلال واتفق اني رأيته في منزل بعض اهل الوجاهة في ليلة نصبت فيها مناصب القمار عندهم فتركتهم في لعبهم واشتغلت في مطالعته حتى أتيت الى آخر مقالتكم النفيسة في القمار والبورصة • وكانت صاحبة المنزل قد نهضت عن مائدة اللعب لغرض لها فمرت بي وهمّت بمخاطبتي على سبيل التجمل لاني ضيفتها ولا حظّ لي من الاستئناس بالقمار • فوقع بصرها على مقالة الهلال وكنت قد رفعت بصري اليها وأنا ابتسم فادركت اني اشير الى تلك المقالة فابتدرتني قائلة « وما الذي يبغيه الهلال منا ونحن لا نلعب رغبة في المقامرة ولكننا نقضي بها الليالي على سبيل التسلية »

فقلت لها « وأرى الهلال قد ذكر ما تقضى به السهرات من الاجتماعات الادبية

والمباحثات السياسية والالعاب البيتية »

فقالت « لا اعرف لعبة يمكن التسلية بها في السهرات الطويلة غير لعب الورق وهو يعده من القمار ايضاً . وأما الابحاث الادبية والسياسية فانها تتعب العقل »

وبعد جدال طويل تعهدت لها ان اكتب اليكم لتفصحوا لنا عن الالعاب التي اشرتم اليها في الهلال الماضي وقد وعدتني صديقتي المشار اليها انها اذا رأت في تلك الالعاب ما تقضي به السهرات عدلت عن القمار . فجئت اليكم بهذا الرجاء وان كنت اعتقد ان صديقتي انما قبلت مني بهذا الشرط اختصاراً للجدال لتعود الى اللعب . غير اني التمس منكم من قبيل الفائدة العامة ان توضحوا لنا ما اشرتم اليه من الالعاب الادبية

﴿ الهلال ﴾ نشكر لحضرة الآنسة الادبية لاهتمامها بما كتبناه عن القمار ونرجو ان تثبت على عزمها في تقبيح هذه العادة فلا يسري اليها ميكروبها كما سرى الى سواها من النساء الفواضل فيهون عليها الاعتذار بمثل عذرهن — ولا عذر لهن في الحقيقة الا ضعف الارادة . والا فان المرأة الفاضلة لا يعجزها استنباط الوسائل لتسلية زائريها وليس اكثر من ابواب الحديث . فالسيدة التي لا تستطيع الخوض في المباحثات الادبية او السياسية او الاجتماعية فلا تعدم حديثاً عن الموضة واشكالها والخدام واحوالهم . . . ! . اما الالعاب التي اشرنا اليها هناك فهي مشهورة ومتداولة نذكر اهمها :

(١) لعبة « كيف صاحبتي » وهي ابسطها وذلك ان يخرج احد الحضور من الجلسة فيتفق الباقون في غيابه على شيء يضمرونه له على ان يستخرجه باعمال الفكرة فقد يضمرون له وردة او كتاباً او رجلاً او امرأة او اي شيء آخر فاذا عاد اخذ في سؤال الحاضرين واحداً واحداً وله ان يسأل كلاً منهم ثلاثة اسئلة على ثلاثة ادوار فينتقل في الدور الاول على الجميع ويسألهم « كيف صاحبتي » وكل منهم يجيبه بما يشبه ان يكون في الشيء المضمر ولو على سبيل الرمز . فاذا استطاع معرفة ذلك من الدور الاول قاله وجلس وخرج الشخص الذي عرف ذلك من جوابه . واذا لم يكفه الدور الاول لكشف ذلك المضمر دار دورة ثانية وسأل عن صاحبته سؤالاً آخر وهو « ماذا اعمل بها » فيجيبونه بما يقتضيه المقام ثم يدور الدور الثالث اذا لزم ويسأل « اين اضعها » فاذا لم يعرف بعد ذلك عد مغلوباً ويندر ان يعجز احد عن كشف المطلوب بعد ثلاثة ادوار

(٢) ويلي هذه اللعبة لعبة اخرى ارقى منها تحتاج الى الالمام بالتاريخ والادب وهي على سبيل الاضمار مثل لعبة كيف صاحبتي لكنهم يضمرون فيها رجلاً معروفاً في التاريخ

او حادثة مشهورة او شيء يتعلق بحادثة مشهورة . فاذا عاد المضمر له الى الجلسة تركوا له الخيار في الاسئلة على ان لا يكلفهم في الجواب الا « نعم » او « لا » . فاذا اضمروا له مثلاً « محمد علي باشا » فعليه ان يسأل اسئلة توصله الى المطلوب . فيسأل اولاً « هل المضمر من بني الانسان » فيجيبه المسئول « نعم » ثم يسأل الآخر « هل هو انثى » فيجيبه « لا » فيعرف انه رجل . فيسأل الآخر « هل هو من اهل القرن الماضي » فيجيبه « نعم » فيسأل الآخر « هل هو حي » فيجيبه « لا » ثم يسأل مثل هذه الاسئلة هل في مصر وهل هو من الحكام وهل مات سنة كذا الى آخر ذلك حتى يتوصل الى انه محمد علي باشا . ويفعل نحو ذلك لو كان المضمر حادثة تاريخية كفتح مصر او مقتل المماليك او غيرها . او شيء يتعلق بحادثة تاريخية كالمقلاع الذي قتل به داود النبي جليات الجبار او سيف الامام علي او خفي حنين او نحو ذلك

(٣) ويلي هذه اللعبة لعبة من نوعها لكنها تحتاج الى معرفة الامثال فانهم يضمرون فيها بدل الشخص التاريخي او الحادثة التاريخية مثلاً من الامثال الدارجة او القديمة كقولهم « كل ديك على مزبلته صياح » او « وافق شنٌ طبقة » ويطلب من المضمر له ان يتفطن لهذا المثل من اجوبة الحاضرين وعليهم اذا سألهم ان يضمّنوا اجوبتهم لفظاً من الفاظ هذا المثل . وقد تكون الاجوبة اشعاراً او آياتٍ وانما يشترط ان يكون في كل جواب لفظ من الفاظ المثل المشار اليه . وربما شرطوا ان يكون في الجواب الاول اللفظة الاولى منه وفي الجواب الثاني اللفظة الثانية حتى يتفطن المسئول للمثل المطلوب

(٤) ومن هذا القبيل لعبة يعوضون بها عن المثل ببيت شعر من الابيات الشائعة . وهذه اللعبة تقتضي معرفة الشعر وكثرة محفوظه . ويجرون في كشف المضمر على نحو ما تقدم في لعبة الامثال وربما استعانوا في مساعدة السائل على معرفة الشعر ان يجيزوا له السؤال عن وزن الشعر او قافيته او نحو ذلك

ويمكن استنباط العاب كثيرة على هذه الصورة مما يلذ ويفيد ناهيك بما هو مشهور من مناشدة الاشعار ومطارحة الامثال غير المباحثات الاعتيادية في الآداب والاخلاق . وغير ما تقتضيه الاحوال من البحث في الحالة الحاضرة كالحرب القائمة اليوم بين الروس واليابان فقد تقضى السهرة بطولها في النظر والبحث عن قوات الدولتين ومستقبل الحرب وغير ذلك . وجملة القول ان المرأة العاقلة اذا ارادت تسلية زائريها بغير المقامرة لا تعدم وسيلة والسلام

اسم العرب عند الفرس (تازي)

(بومباي الهند) السيد عبد الله الرفاعي

ان الفرس يسمّون العرب « تازي » او « تاجي » وقد بحثنا عن اصل هذه التسمية باللغة الفارسية والهندية فلم نقف على تعليل مقبول ونظرًا لالمامكم باللغات الشرقية نرجو ان يفيدونا عن رأيكم في ذلك

﴿ الملال ﴾ ذلك هو اسم العرب أيضاً عند الصينيين فانهم يسمونهم « تاشي » أو « طاشي » فالاصل واحد في اللغتين . وقد بحث جماعة من المستشرقين عن اصل هذه اللفظة فلم يتوفقوا الى حل مقنع . فقال بعضهم ان اللفظ فارسي الاصل وقال غيرهم انه صيني واعترف آخرون بغموض ذلك الاصل . وفي اعتقادنا ان هذه التسمية منقولة عن اللغة السريانية لان الفرس وغيرهم من اهل الشرق البعيد انما عرفوا العرب بواسطة السريان اهل ما بين النهرين لتوسطهم بين بلاد العرب وبلاد الفرس وكانوا اهل علم وكتابة . والسريان سموا العرب باسم اشهر قبائلهم واكثرهم ترددًا الى العراق وهي قبيلة «طي» كما سمى العرب اهل اوربا « الافرنج » نسبة الى امة واحدة منهم عرفوها أولاً او خالطوها كثيرًا وهي امة الفرنك سكان فرنسا القدماء . ولنحو هذا السبب سمي السوريون باسماء تختلف باختلاف البلاد التي نزحوا اليها فهم يسمون في مصر « الشوام » لان اقدم من جاءها منهم اهل دمشق وملحقاتها . ويسمون في الاستانة « الحلبية » لان أهل حلب اقدم من عرف فيها من السوريين . ويسمون في العراق « البيارتة » نسبة الى بيروت لان أهل العراق عرفوا اهلها قبل سواهم من بلاد الشام . وفي التاريخ أمثلة كثيرة من هذا القبيل لامحل لها هنا

فالسريان عرفوا من العرب اولاً قبيلة طي ثم عرفوا غيرها فاطلقوا لفظ « طائي » على كل عربي عرفوه بعد ذلك واللفظ في لسانهم ܛܝܝܐ الطائي كانوا يدلون به اولاً على احد الطائيين ثم اطلقوه على كل عربي . فلما انتشر الاسلام اطلقوه على المسلمين فصاروا يدلون به على المسلم ايضاً لكون العرب والمسلمين لفظين مترادفين في ذلك الحين وعندهم لفظة واحدة ܛܝܝܘܬܐ بمعنى العرب او الاسلام على السواء

فاللفظة التي نحن في صددها سريانية الاصل كانت في السريانية « طايي » اي الطائيون فاخذها الفرس ولفظوها « تاجي او تازي » ثم نقلها اهل الصين بنحو هذا اللفظ الى لسانهم كما رأيت

مكتشف الكهربائية

(كردوفا • ارجنتين) عزيز افندي حكيم

من هو مكتشف الكهربائية ومتى كان ذلك

(الهلال) للكهربائية مصدران الاول ميكانيكي والآخر كياوي والكهربائية الميكانيكية هي التي تظهر بالفرك أو الضغط فاذا فركت قطعة من الكهرباء الصفراء بقماش من صوف فانها تحمى كما تحمى سائر الاجسام بالفرك ولكنك اذا ادنيتها بعد الفرك من أجسام صغيرة كالخيوط الدقيقة أو الهباء الرفيع اودقائق القش الناعم رأيتها تجذبها نحوها بقوة تكتسبها بالفرك هي قوة الجذب • على ان ذلك ليس خاصاً بالكهرباء بل هو شامل كل الاجسام الجامدة على نسب تختلف باختلاف ماهية تلك الاجسام فنها ما تظهر فيه تلك الخاصة كما رأيناها في الكهرباء ومنها ما لا تظهر فيه كالخشب الجاف ومنها ما تظهر فيه بعد العناء والجهد كالشمع الاحمر او الكبريت او الزجاج ولما كانت هذه القوة اكثر ظهوراً في الكهرباء مما في سائر الاجسام سموها « القوة الكهربائية »

وقد ذكر هذه الحقيقة فلاسفة اليونان القدماء وأوّل من لاحظها منهم الفيلسوف طاليس في أواخر القرن السادس للميلاد • وكانوا يظنونها خاصة بالكهرباء حتى ظهر الفيلسوف كلبرت الانكليزي سنة ١٦٠٠ والف كتاباً في المغنطيسية ضمنه ملاحظات عديدة عن الكهربائية ولكنه لم يذكر من خصائصها غير الجذب واخذ العلماء في اوربا من ذلك الحين يبحثون في النواميس الطبيعية وخصائص الاجسام فاكتشف العلامة بويل الانكليزي في اواخر القرن السابع عشر حقائق جمة تتعلق بالكهربائية وفعل مثله اذ ذاك أيضاً الفيلسوف اوتو كيوريكي النمساوي مخترع طلمبا الهواء فاصطنع آلة تتولد الكهربائية فيها بالفرك على الكبريت وهي اول آلة صنعت في العالم لتوليد الكهربائية • وفي اوائل القرن الثامن عشر اشتغل العلماء في البحث عن خصائص هذه القوة فلم يكد يمضي نصف ذلك القرن حتى اكتشفوا اكثر حقائقها وكان اوسعهم شهرةً في ذلك كراي في انكلترا ودوفاي في فرنسا وفرنكلين في اميركا وذهب كل منهم مذهباً في شأنها وانقسم العلماء من هذا القبيل احزاباً تشعبت فيها آراؤهم ثم ما زالت تلك الآراء تمحص حتى بلغت ما هي عليه الآن

اما الكهربائية الكياوية فهي التي تتولد بالتحليل والتركيب بواسطة الحوامض والمعادن

واول من لاحظ تولدها على هذه الصورة الملامية كلفني الايطالي سنة ١٧٩٠ نبهه اليه حادث عرض له بالاتفاق وذلك انه كان استاذاً في فن التشريح وكان يشرّح الضفادع ويعلق كلاً منها بصنارة من نحاس ويحفظها الى وقت الحاجة فاتفق انه علق مرة عدة ضفادع بصنانير من نحاس على درابزون من حديد فرأى في أرجلها تشنجاً كلما لامست الحديد فبحث عن السبب فرأى التشنج ناجماً عن ملامسة الحديد والنحاس معاً لعضلات الضفدع وأعصابها وهي رطبة • (راجع مقالتنا عن الكهربائية وتاريخها وخصائصها في السنة الخامسة من الهلال)

الالفاظ العربية في اللغة الاسبانية

(ومنه)

رأينا في كتابكم « تاريخ اللغة العربية » ان كثيراً من الالفاظ العربية ترجع الى اصل اعجمي وبعضها لم يكن يخطر ببالنا انها اعجمية ونعرف الفاظاً في اللغة الاسبانية تشبه الفاظاً عربية لفظاً ومعنىً منها (Klema) اي الاقليم و (Toro) الثور و (Camisa) قميص و (Aznite) الزيت وغيرها كثير فهل هي عربية الاصل

(الهلال) ان التاريخ يدلنا على دخول اسبانيا في حوزة المسلمين عدة قرون فاختلط الاسبان بالعرب واقتبسوا كثيراً من الالفاظ العربية مما يعدُّ بالمئات ومنها الالفاظ التي ذكرتموها فانها منقولة عن العربية وان كان بعضها غير عربي الاصل • فلفظ الاقليم مثلاً يوناني الاصل والاسبان اما اخذوه عن العرب بعد الفتح او اخذوه من اليونان من قبل • واما الزيت والقميص والثور فقد نقلوها عن العربية

الفيل في الآثار المصرية

(مصر) محمد افندي نجيب العادل تاجر بالموسكي

لا نرى للفيل رسماً على الآثار المصرية القديمة فما هو سبب ذلك

(الهلال) الغالب في ما يرسم على الآثار المصرية من الحيوانات ونحوها ان يكون مما يعيش في مصر او ينمو فيه • والفيل لا يعيش في مصر ولا استخدمه الفراعنة

في حروبهم الا من عهد البطالسة فكانوا يستجلبونه من اثيوبيا ويحاربون به ولهذا السبب أيضاً لا نرى للجمل صورة على آثار المصريين ولا ذكراً في كتبهم لانه ليس من حيوانات مصر

بانت سعاد

(بوكارامنجا · كولمبيا) قسطنطين افندي تهودسيادس

من هو ناظم القصيدة الشهيرة التي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم اثرها لم يفد مكبـول

وما هي تلك القصيدة

﴿ الهلال ﴾ ناظمها كعب بن زهير بن ابي سلمى المزني قالها بعد اسلامه وكان كعب معاصراً للنبي و يطعن فيه فهدر النبي دمه وقال « من لقي منكم كعب بن زهـير فليقتله » وكان اخوه بجير قد اسلم فكتب اليه ان ينجو بنفسه · ثم بعث اليه يستحثه على الاسلام وان يقبل الى الرسول فجاء واسلم ونظم قصيدته المشار اليها يعتذر فيها الى النبي وهي طويلة تقرب من ستين بيتاً وقد عدّها صاحب جمهرة اشعار العرب من المشوبات واليك مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم اثرها لم يفد مكبول
وماسعاد غداة البين اذ رحلوا   الا اغن غضيض الطرف مكحول

واسترسل على هذا النسق في عدة ابيات بليغة حتى تخلص الى الاعتذار فقال :

تسعى الوشاة بجنبيها وقولهم   انك يا ابن ابي سلمى لمقتول
وقال كل خليل كنت آمله   لا الهينك اني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا اباكم   فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن انثى وان طالت سلامته   يوماً على آلة حدباء محمول
انبئت ان رسول الله اوعدني   والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي اعطاك نافلة الـ   ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تاخذني باقوال الوشاة ولم   اذنب وان كثرت فيّ الاقاويل
لقد اقوم مقاماً لو يقوم به   ارى واسمع ما لو يسمع الفيل
لظل يرعد الا ان يكون له   من النبي باذن الله تنويل

ثم مدح النبي وقريش في الختام فقال :

ان الرسول لنور يستضاء به   وصارم من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم   يبطن مكة لما اسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولا كشف   عند اللقاء ولا ميل معازيل
شم العرانين ابطال لبوسهم   من نسج داود في الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شكت لها حلق   كانها حلق القفعاء مجدول
لا يفرحون اذا نالت رماحهم   قوماً وليسوا مجازيعاً اذا نيلوا
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم   ضرب اذا عرّد السود التنابيل

كتاب النبي الى المقوقس



هذه هي نسخة كتاب النبي الى المقوقس التي جاء ذكرها في الهلال الماضي صفحة ٤٠ وتقدمنا الى حضرة عطيه افندي محمد مصطفى الصريري ان يرسلها الينا لننشرها خدمة لقراء الهلال · فبعث الينا بصورة فوتوغرافية هذا مثالها وهي بالخط الكوفي القديم وفي اسفل الصورة بالخط الاعتيادي : « صورة الكتاب الذي بعثه (صلعم) مختوماً بخاتمه الشريف الى المقوقس عظيم القبط بمصر مع حاطب بن ابي بلتعة في السنة السابعة للهجرة · وفي سنة ١٢٧٥ عثر احد الفرنساويين على نفس الكتاب في كتب قبطية ابتاعها من بعض رهبان

القبط بدير بلدة اخميم من صعيد مصر فتوجه به الى السلطان عبد المجيد خان العثماني فامر بحفظه مع الآثار النبوية بالقسطنطينية . وقد نقل هذه الصورة بالفتوغرافية من صورة نقلت عن الاصل المحفوظ محمد علي سعودي »

وبجانب الصورة نص الكتاب المذكور بالحرف الاعتيادي وهو « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فعليك ما يفجع القبط يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون (الختم) »

ذلك ما قرأناه على الصورة المذكورة ننشره على علاته . ويظهر لنا ان النسخة الكوفية الاصلية التي نقلت هذه الصورة عنها موضوعة كتبها بعض الذين يغررون بالناس وقلد بها الخط الكوفي والتقليد ظاهر . ثم جعل انه وجدها في بعض اديار مصر وانها أرسلت الى الاستانة على عهد السلطان عبد المجيد فانضمت الى الآثار النبوية . وقد انبأنا الذين شاهدوا تلك الآثار النبوية هناك من عهد قريب انه لم يشاهد ذلك الكتاب معها . وزد على ذلك انا لم نر لهذا الاكتشاف ذكراً في كتب العلم على الاطلاق مع عظم اهميته لدى علماء الآثار الشرقية . والظاهر ان مصطنع ذلك الكتاب نقل صورته بالفوتوغرافيا وكتب حولها ما كتبه وعنها نقل سعودي افندي وغيره صورهم على ما هو شائع . وانما نشرنا هذه الصورة في الهلال ليكون الناس على بينة من أمرها ريثما يقوم دليل على صدق تلك الدعوى . اما الكتاب الاصلي الحقيقي الذي جاء المقوقس من النبي فاذا وجد كان وجوده أعظم اكتشاف أثري عربي حتى اليوم

لحوم الابل

(حلقا) احمد افندي صالح

لماذا النصارى والاسرائيليون لا يأكلون لحوم الابل فهل هي محرمة عندهم

(الهلال) كلا ولكنهم لم يتعودوا أكلها

على اكمة

الا ايها العصفورُ في مسرح الحزنِ رويدك قد مثلتَ لي موقع الحزنِ
أراك نظيري تنقل الخطو في الهوا وتبكي على غصنٍ وابكي على غصن
فهل انت ممن شفّهُ الصدُّ والنوى فغادر مأوى المدْنِ عكفاً على الدمن
يحيّرني منك القنوطُ غباوةً ويمناك في يسرٍ ويسراك في يمن
الا ليتما لي من جناحيك مسعفٌ فما كانت الاقدار تهدم ما أبني
ألفتُ الهوى لا كارهاً ما يجرّهُ وما تعبُ الفرسان بالضرب والطعن
أبى الدهر الّا ان يكونَ معاندي كأنّ له ثأراً يحاولهُ مني
ولو خُلِقَ الانسانُ أعظمَ قدرةً لكنتُ قلبتُ الدهرَ ظهراً على بطن
على انني لم آلُ جهداً وإن تكن تنوء باثقالي أبالسةُ الجن
اذا انا لم ابلغْ من الجد في الصبا مرامي فلا بُلّغتُهُ طاعن السنّ
وان وعرتْ في مسلكي سبلُ الغنى فحسبي سبيلاً نحو آرامنا العنّ
ضعيفٌ رماني حسنهم في غرامهم فمن واحدٍ يُضني ومن آخر يُضني
لقد حالتِ الارصادُ دون وداعهم فعينٌ الى ظعنٍ وقلبٌ على ضغن
وباطالما حاولت تحويلَ حالتي ومن عبرتي شأني يعبّرُ عن شاني
وكم غـزلٍ لي بالغـزالةِ وابنها وايامُ ارجو وايامُ اعني
وكم عثرةٍ لي لا أرى مَنْ يقيلها كما عثر السوريُّ في وهدة الوهن
وكم سهرةٍ سامرتُ فيها مصائبي بليلٍ طويلٍ مثل بعدهم عني
وكم قد أباحَ الشوقُ ذكرَ نسيبهم فعلمني الابداعَ في ذلك الفنّ
وكم قربت قاصي المنالِ وعودُهم كما يتراءى البرقُ من خلل المزن
اذا ما دجا ليلي وضاقت مذاهبي ونام خليُّ البال في مرقدِ الامن
خلوت بنفسي اقتل الهمَّ تارةً بقتـولةٍ ملّتْ مجاورةَ الدنّ
وما العيش إلاّ أن تكونَ أحبتي بقربي ومهما يظلمِ الدهرُ يظلمني
ولا غروَ ان اطنبتُ فيهم فانني «ارى البعد لم يخطرْ سواهم على ذهني»

(بيروت) جرجي مخله سعد

يابنتي قومي للصلاة

قصيدة فلسفية من ديوان اوراق الخريف لفيكتور هوكو[١]

يابنتي قومي للصلاة . — انظري قد عسعس الليل ، ونزل الضباب على الافق ، وطلع النجم من وراء السحاب كأنه دينار . انصتي لم يبق الا مركبة تكرّ في الظلام على بعد . والكل دخل ليستريح . والشجرة على الطريق تنفض غبار النهار بريح المساء (وهي الدبور)

زحزح الشفق عن النجوم ستار الليل وفجر كل نجم كالشرارة الحامية . ورفق المغرب حاشيته الحمراء . وفضض الليل في الدجا وجه الماء . وامتزجت اثلام المحرات بالمسالك وبما حولها من الشوك . واختفى الجميع عن العيان . والتبست الطريق على ابن السبيل

النهار للاذى والتعب والبغض . فلنشرع في الصلاة حيث دخل الليل . ما اصفى الليل وما اوقره ! الراعي يعود والماشية تجأر ، والريح تعزف في نوافذ البرج ، والمياه تركد في المستنقعات . والجميع يتألم ويشكو . لان الطبيعة من شدة تعبها امست في احتياج الى النوم والصلاة والحب

هذه الساعة هي التي يتكلم فيها الاولاد مع الملائكة . واما نحن فنهرع فيها لملاهينا الغريبة . فجميع الاولاد الصغار يدعون في آن واحد بدعاء واحد . وهم راكعون على الارض واعينهم شاخصة الى السماء وايديهم مضمومة وارجلهم حافية . ويطلبون لنا الرحمة من الله تعالى

ثم ينامون . — وحينئذٍ تتناثر احلامهم الذهبية في حندس الليل بعد ان تولد من هوشات آخر الليل . فاذا رات عن بعد انفاسهم متصاعدة وشفاههم محمرّة طارت الى ناموسياتهم كما يطير النحل الى الازهار ورفرفت حولها

فياعجباً لنوم السرير ! وياعجباً لدعاء الصغار ! فهو صوت حنوّ ورأفة لا عدوان فيه . وما احلى هذا الدين الذي يُقرّ العين ويضحك السن ! هذا مطلع النشيد في ليلة السعود . كينيم الولد عقلهُ الصغير في الدعاء كما يضع الطير رأسه تحت جناحه

٢

يابنتي قومي للصلاة . — وادعي اولاً وخاصة للتي هزت الليالي الطوال في سريرك .

---

(١) نقلاً عن « تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب » تحت الطبع

التي التقطتك من عالم الذروات نفس لطيفة ووضعتك في الدنيا وصارت لك اماً شفوقة وقسمت لاجلك نصيبها من هذه الحياة المرّة الى قسمين فشربت الحنظل واسقتك العسل

ثم ادعي لها. فاني احوج منها لدعائك. لانها هي مثالك صالحة ' بسيطة ' صادقة ' قلبها صافٍ ' ووجهها راضٍ. شفقت على كثيرين ولم تحسد احداً. عاقلة ' حليمة ' صابرة على غصص الحياة ' متحملة للشر بدون ان تعرف فاعله

طالما قطفت الزهور ويدها الطاهرة لم تمس قشر الشجرة المنهي عنها (١). ولم تقع بالفخ مع فحكمة سنها. وتنسى دائماً كل ما سلف ومضى. ولا تعرف الافكار الخبيثة التي تمرّ في الذهن كما يمر الظل على الماء

تجيل — واجعلي مثلها دائماً — ما في هذا العالم من الشقاء الملوّث للنفس ' والحظوظ الكاذبة ' والاباطيل الثانية ' وكل ما يعقب الندامة وتبكيت الضمير ' والشهوات التي ترغي على القلب كالرغوة ' وخواطر الخجل والمرارة الباعثة على احمرار الوجه

انا اخبر بالحياة ويمكنني ان اقول لك متى كبرت واقتضى تعليمك بان الجري وراء السلطة والسعادة والتفنن هو جنون ودناءة. وبان كاس (٢) الانتخابات تدور علينا وتسقينا الخزي بدلاً عن الفخار. وبان الانسان يخسر نفسه في لعب هذا القمار

كلما عاشت النفس تعطشت. والامور وان شقّت بدايتها عن نهايتها وظهرت اسبابها في عاقبتها فالانسان مع ذلك يشيب على الرذيلة وعلى الضلال المنفور منه. من كثرة المشي بتيه الانسان ويداخل عقله الشك. والكل يترك شيئاً على شوك الطريق التي سلكها. فالغنم تترك صوفها والرجل يترك فضيلته

قومي اذاً وادعي لي. وقولي في مقام كل دعاء: « يا الله يا الله يا ربنا انت ابونا فارحمنا انك انت الرحيم. فارحمنا انك انت العظيم. » ودعي قولك يذهب الى حيث ترسله نفسك. ولا تقلقي فلكل شيء طريق. فلا تقلقي على الطريق التي يذهب فيها

لا شيء في هذه الدنيا الا وله مجرى. فالنهر يجري ملتوياً بين السهول حتى يصب في البحر. والنحلة تعرف الزهرة التي فيها العسل. وكل طائر يطير ويقع دائماً على غرضه. فالنسر يطير ويرتفع نحو الشمس. والعقاب يهبط على المقبرة والخطاف (السنونو) يطير

(١) قيل ان الاديب الماهر في الانتقاد الادبي سنت ريف كان يغازل زوجة فيكتور هوكو ولذا حصل بينهما تقاطع وعداوة

(٢) وهي كاس تجمع فيها الاصوات لانتخاب رئيس المجلس او غيره

في الربيع · والدعاء يصعد الى السماء

فاذا ارتفع صوتك الى الله بالدعاء لي اكون كالعبد الذي جلس في الوادي بعد ان خطّ حمله على حافة الطريق واشعر بخفة نفسي · لان دعاءك يأخذ بيده وهو صاعد جميع ما يثقل على عاتقي من الآلام والاوزار والخطايا

قومي ادعي لابيك · — لاصير اهلاً لرؤية طيف ملاكٍ في المنام كطير الحمام · ولتشتغل نفسي مع اشتغال البخور · امحي خطاياي بنفَسِكِ الطاهر ليصير قلبي معصوماً نقياً كأنه صحن الهيكل الذي يغسل في كل مساء

٣

ادعي ايضاً لجميع من يمر على هذه الارض من الاحياء · ولجميع الذين اندثرت مآثرهم بهبوب الرياح وتلاطم الامواج عليها · وللاحمق الذي يفرح بلمعان الحرير وبسرعة عدو الخيل · ولكل من يتألم و يشتغل سواء كان غادياً او بادياً · سواء عمل خيراً او شراً

ادعي للمنهمك في اللذات والعاكف على القبلات الى الصباح · ولمن يتخذ وقت الصلاة ليلهو بالرقص او الجلوس على المائدة · و يشتغل بالفحشاء في الساعة التي تتلو النفس الزكية فيها دعاء المساء واذا فرغت من دعائها رجعت خائفة من ان الله لم يسمع رجاءها

ياولدي ادعي للعذارى المستورات · وللمحبوس في الظلمة · وللعواهر اللواتي يبعن اسم الحب الغالي · وللعاقل الذي يستغرق في مطالعاته ويتفكر في الخلق · وللكافر الملعون الذي يطعن في الشريعة المقدسة · — لان الدعاء لا نهاية له · لانك تؤمنين عن الذي يجحد والطفولية تقوم مقام الايمان

ادعي ايضاً للذين هم راقدون تحت حجر القبر · يالها من حفرة سوداء تفتح امامنا في كل آن · جميع هذه النفوس الهالكة مفتقرة لمن يزيل عنها صداء الجسم(١) هل سكوتها دليل على انها لا تتألم ؟ يا اولادي لننظر تحت الارض الشفقة على الاموات

٤

اركعي اركعي على الارض حيث وضع ابوك اباه وحيث وضعت امك امها · حيث يرقد كل من عاش عليها رقدة عميقة حفرة يمتزج فيها الغبار بالغبار · و يجد الانسان تحت ابيه آباءه كالثلج تحت الثلج في بحرٍ لا قعر له

---

(١) معري : تجاور هذا الجسم والروح برهة فما برحت تأذى بذاك وتصدأ

يا ولدي حينما تنامين تتبسمين • فيأتي الطيف وهو فرِحٌ في الظلام الذي غطست فيه • فيجفل من نفختك ثم يعود اليك أيضاً • وفي النهاية تفتحين عينيك الالهيتين اللتين أحبهما • في الوقت الذي يفتح فيه الفجر على الافق جفنه وله أهداب ذهبية فان الفجر عين الهبة ايضاً

ولكن الاموات لو تعلمين ايّ نوم ينامون ! فراشهم بارد وثقيل على عظامهم ولذا شنعهم • والملائكة لا يسبحون وهم مجتمعون حولهم وطيف الخيال يثقل عليهم بجميع ما جنته ايديهم • ليلهم ليس له فجر • والندامة تنقلب دوداً في القبر وتفتت قلوبهم

يمكنكِ بكلمة يمكنكِ بقول ان تجعلي ندامتهم تتخذ لها جناحاً تطير • وان تبعثي بحرارةٍ لطيفةٍ تلذذُ عظامهم • وان تجعلي الشعاع يصيب ايضاً اجفانهم الغامضة وان توصلي لهم خبراً من النور والحياة وشيئاً من الرياح والاحراج والمياه

قولي لي حينما تذهبين وانت طفلة متفكرة تدورين على شاطيء البحر المتلاطم او تحت الشجر الذي يملأ القلب مهابة بظله وبتضارب الرياح عليه ' ألا تسمعين صوتاً يقول لك : يا بنيّ حينما تدعين ألا تدعين لي ؟

هذه شكوى الاموات ! فالاموات الذين يدعى لهم ينبت على قبرهم نبات اشد اخضراراً واكثر ازهاراً • ولكنهم منسيون واحسرتاه ! حتى الشيطان لا يضحك لهم ولا ضحكا استهزاء • ليلهم بارد مظلم • وبعض الشجر الهائل الذي يظلل قبورهم يغرس دائماً عروقه في قلوبهم بلا شفقة عليهم

ادعي ! حتى ان الاب والعم والاجداد الذين لا يطلبون منا الا الدعاء فقط ' يهتزون في قبورهم عند سماع ذكرهم • ويعلمون ان على وجه الارض من يتذكرهم بعد ' ويشعرون بحصول دمعة في عينهم الفارغة كما يشعر ثم الحراث بتفتح الزهرة

٥

يا حمامتي لا ينبغي لي انا ان ادعي لجميع الهالكين • ولا للاحياء المارقين من الدين • ولا لجميع الذين ضمهم القبر • والقبر اصل المعابد

لا ينبغي لي انا الذي نفسه فانية ' مملوءة بالخطايا ' وفارغة من الايمان ' ان ادعي للجنس البشري • لان صوتي لا يكاد يكفي ليستغفر الله عن ذنوبي

كلاّ بل لو امكن أحد ان يدعي اليوم لهذه الارض الفاسدة لكان أنت • أنت الذي صوتك يسبح • ودعاؤك الطاهر ياولدي يمكنه ان يتكلف بالآخرين

اسئلي هذا الاب العظيم الذي يبسم في أفقك لماذا الشجرة الكبيرة تخنق الشجرة الصغيرة ؟ ومن الذي يميل بالعقل البشري عن الحق الى الباطل

اسئليه هل الحكمة لا تختص الا بالازلية ؟ لماذا نفخته نحطنا ؟ لماذا تحشر الانسانية في القبر بلا انقطاع ؟ الاولاد يسهرون في المكان المقدس على الذين افناهم الاثم . فهم ازهار يعطرونهم وهم بخور يفوح عليهم . وهم اصوات ترتفع الى الله

فلنترك هذه الاصوات العالية تفعل . ولنترك الاطفال جاثين على الركب . أيها المذنبون كلنا ولنا ذنوب كلنا على شفا جرف هار . فينبغي للطفولية ان تدعو لنا الخ ...

قال ابو عمر بن دراج القسطلي يصف وداعه لزوجته وولده من قصيدة :

ولما تدانت للوداع وقد هفا ... بصبري منها أنة وزفير
تناشدني عهد المودة والهوى ... وفي المهد مبغوم النداء صغير
عيي بمرجوع الخطاب ولحظه ... بموقع أهواء النفوس خبير
تبوأ ممنوع القلوب ومهدت ... له أذرع محفوفة ونحور
فكل مفداة الترائب مرضع ... وكل محياة المحاسن ظير
عصيت شفيع النفس فيه وقادني ... رواح لتدآب السرى وبكور
وطار جناح البين بي وهفت بها ... جوانح من ذعر الفراق تطير
لئن ودعت مني غيوراً فانني ... على عزمتي من شجوها لغيور
ولو شاهدتني والهواجر تلتظي ... عليّ ورقراق السراب يمور
أسلط حرّ الهاجرات اذا سطا ... على حرّ وجهي والاصيل هجير
وأستنشق النكباء وهي لوافح ... واستوطىء الرمضاء وهي تفور
وللموت في عين الجبان تلوّن ... وللذعر في سمع الجريء صفير
لبان لها أني من البين جازع ... وأني على مض الخطوب صبور

وقد عارض ابو عمرو بقصيدته هذه قصيدة ابي النواس التي مطلعها :

تقول التي من بيتها خفّ محملي ... عزيز علينا ان نراك تسير
اما دون مصر للغنى متطلب ... بلى ان اسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر ... جرت فجرى من جريهن غدير
ذريني أكثر حاسديك برحلة ... الى بلدة فيها الخصيب امير

عجائب المخلوقات

الفرس النبيه الحاسب

كثيراً ما يبحث العلماء في هل للحيوان عقل وهل عقله من نوع عقل الانسان وانما يختلفان في الرتبة او هما يختلفان في النوع أم ليس للحيوان عقل ونحو ذلك من الابحاث التي ليس هنا محل النظر فيها • على انهم توصلوا بالاستقراء الى ان الحيوان أرقى ادراكاً مما كانوا يتوقعون • وقد اشتغل جماعة منهم بتجربة ذلك في الحيوانات المألوفة فوجدوا أرقاها عقلاً الفرس والكلب والهر والفيل • وانها تمتاز عن سائر اصناف الحيوان بالانعطاف الى الاحياء التي هي أرقى منها كما ينعطف الانسان الى المعبودات العليا وقد كتب بعضهم المقالات الضافية في هذا الموضوع



الفرس النبيه الحاسب وصاحبه هرفون اوستن

وانما يهمنا في هذا المقام حكاية فرس نبيه علمه صاحبه الحساب حتى صار يجمع ويطرح

ويضرب • وعلمه حركات كثيرة لاتصدر الا عن عاقل مفكر • وذلك ان رجلاً المانياً اسمه هرفون اوستن يقيم في شمالي برلين تفرغ لدرس طبائع الحيوان منذ اربع عشرة سنة • ولحظ منذ اربع سنوات ان فرساً روسيا من افراسه فيه طبيعة التفكير • فوجه عنايته الى هذا الجواد وأخذ في ترقية تلك الطبيعة فيه فنجح نجاحاً باهراً • وسماه « حنا النبيه » وجرى في تعليمه وتثقيفه على احدث طرق التعليم المدرسي في اوربا بالرسم او الكتابة على الالواح السوداء بالطباشير او بالخرز او بأدوات أخرى لترقية الشعور فيه بالروائح والالوان ونحوها • ووجه عنايته الى تعليمه الحساب بالارقام فعلمه الجمع والطرح والضرب والقسمة وهو يتعلم الآن الكسور العشرية وما وراءها

وشاع أمر هذا الفرس في برلين وتألفت لجنة من علماء الحيوان لمشاهدته وامتحانه فتحقق عندهم انه يفعل ذلك عن نباهة وتفكير وليس عن سليقة او عادة • وقد اخذ بناصر فون اوستن في هذا الشأن وأيد رأيه هرشيلنس اشهر علماء الحيوان في برلين وآل خبرة في المؤتمر الدولي لحماية حياة الحيوان في افريقيا الذي انعقد في لندن منذ بضعة أعوام • وقد رحل شيلنس المذكور الى افريقيا حتى قطعها كلها تقريباً واكتسب اختباراً عظيماً في تدبير الحيوانات • فلما امتحن « حنا النبيه » رآه يجيب على كل مسألة تطرح عليه جواباً لا سبيل الى الشك في انه صادر عن روية وتفكير وهو يقرأ الخط ويعرف قيمة الاعداد او النقود او نحوها واذا نظر الى الساعة عرف الوقت تماماً واذا أريته صورة بعض الاشخاص الذين يعرفهم عرفه حالاً • ولكنه بالطبع لا يظهر معرفته بالنطق ولكنه يجيب على ما يطرح عليه بتحريك الرأس فاذا أراد « نعم » حنى رأسه او أراد « لا » هزه — وهز الرأس علامة النفي في البشر كما لا يخفى • واما الاسئلة الحسابية فانه يجيب عليها بالنقر على الارض بحافره الايمن • واذا أراد تأكيد جواب بما ينوب عن رفع الصوت عند الآدميين رفس الارض بحافره الايسر رفساً شديداً

مثال ذلك ان استاذه أوستن أراد مغالطته بين يدي اللجنة التي تعينت لامتحانه فقال له ان اثنين واثنين يعدلان خمسة فضرب الفرس بحافره الايمن على الارض اربع ضربات ارفق كلاً منها برفسة من حافره الايسر • وامتحنوه ايضاً في القراءة فكان يتهجى كل كلمة تكتب له على اللوح • وذلك ان بعض اعضاء اللجنة المذكورة كتب له على اللوح بعض الالفاظ المألوفة مثل كلب او هر ونحوهما فكان الفرس يميز كل لفظ عن سواه تمييزاً تاماً • ثم امتحنوه بعملية حسابية طويلة فاجاب عليها بلا غلط • وجاؤوه بقفة مملوءة خرقاً

بألوان مختلفة وجعلوا يسألونه اخراج خرق يعينونها بألوانها فلم يخطئ في خرقة واحدة. وسألوه عن عدد الحضور وعدد الذين يتقلدون النظارات منهم وعن السيدة التي على رأسها قبعة خضراء فاجاب بكل دقة

على ان هذه الاسئلة طرحها عليه الحضور على سبيل التسلية بعد فراغهم من امتحانه في القراءة والحساب. فلما رأوا غرابة تلك النباهة ارتابوا من ذلك الفرس وظنوا في الامر تلاعباً من اوستن او شيلنس فاحتاطوا لذلك باخراجهما من المكان وعمدوا الى مغالطة الفرس فتقدم اليه أحدهم وبيده ريالٌ وسأله عن الوقت يوهمه انه يريه ساعة فلم يجبه

قضت اللجنة في ذلك الامتحان ساعة وبعض الساعة وقبل انفضاض الجلسة طلب اليه احدهم ان ينظف معلفه بخرقة وانه اذا فعل ذلك كافأهُ بعلاوة في علفه فتلفت الجواد يميناً وشمالاً حتى وقع نظره على خرقة بين يدي شيلنس فالتقطها بفيه واسرع الى اسطبله واخذ في مسح معلفه بتلك الخرقة حتى نظف تماماً ثم اعاد الخرقة الى اوستن

وكان في جملة الذين حضروا ذلك الامتحان دوق كوبورج غوطا ودوق ورتمبرج والبرنس شيسويغ هولستين والبرنس والبرنسس بلس وكثير من الاشراف المشهورين. وكانت لجنة الامتحان مؤلفة من الاستاذ ستامف عضو من اكاديمية العلم في برلين والاستاذ ناجل رئيس مدرسة الفيسيولوجيا في برلين والدكتور مستر وغيرهم من العلماء والاطباء. وقد اجمعوا على ان ما شاهدوه من نباهة هذا الفرس انما هو نتيجة تعليم مدرسي مبني على اعمال الفكرة وليس من قبيل السليقة او العادة او التدريب الميكانيكي. وتقدم كل واحد من اعضاء اللجنة المذكورة الى صاحب الفرس واستاذه بعبارات التهنئة لما توفق اليه من نجاح هذا التلميذ

ولما شاع خبر هذا الفرس تسابق الاغنياء الى اقتنائه فطلب بعض الاميركان الى هر فون اوستن ان يبيعه اياه بمبلغ ٧٫٥٠٠ جنيه فلم يقبل وقال انه لا يبيعه باي ثمن كان لانه لا يطيق فراقه لما تمكن في قلبه من الاستئناس به. وانما اكتفى هو ورفيقه هر شيلنس بشهادة وقعت اللجنة عليها بما شاهدته من تلميذهما النبيه

وقد خاضت جرائد برلين في شأن هذا الفرس بمجادلات وتناظرت ولكنها اجمعت على ان «حنا النبيه يمثل اعظم حادث يتعلق بعلم النفس في المملكة الحيوانية» ونشرت جريدة وورلدوورك الانكليزية رسالة من رجل شاهد ذلك الفرس فاثنى على نباهته

ويبن كيف يجمع الاعداد ويطرحها . فقال انهم يأتونه باسلاك عليها كرات بشكل السبحة يختلف عدد ما في السلك الواحد عما في الآخر . فجاؤه بثلاثة اسلاك في الواحد اربع كرات وفي الثاني ست وفي الثالث ثلاث كرات وعلقوها بين يديه معارضة بعضها فوق بعض وطلبوا اليه ان يجمعها . فضرب بحافره الايمن على الارض ١٣ ضربة . ثم جاؤه بصفيحة عليها الرقم خمسة وسألوه كم واحدة من هذه تساوي عشرين فضرب برجله على الارض اربع ضربات . وعرضوا عليه قطعاً من المعادن الثمينة فيز بين الذهب والفضة والنحاس ودلّ على الذهب بضربة وعلى الفضة بضربتين وهكذا

ثم ذكر المراسل تعبيره عن أحرف الهجاء فقال انه يدل على الاحرف بالاعداد ولكل حرف عنده عدد . فاذا سئل ان يتهجى كلمة ضرب بحافره ضربات تدل على حروفها . واذا أريته ساعتك وسألته عن الوقت فاذا كانت الساعة ١١ ونصف مثلاً ضرب اولاً ١١ ضربة وصبر قليلاً ثم ضرب ثلاثين ضربة وهي الدقائق . قال الكاتب . وقد يظهر ذلك غريباً ولكنني رأيته بعيني يفعل ذلك . ورأيت فيه نباهة غريبة لتمييز الالوان فوصفوا أمامه أحد عشر لوناً متحاذية واخذ أستاذه يسأله عن لون لون منها وهو يدل عليها بحافره وله مهارة غريبة في اداء الالحان الصفيرية حتى قد يميز بين النغمة واجزائها . وقاسوا نباهة هذا الفرس بالنسبة الى الانسان فوجدوها تقابل نباهة غلام عمره ١٣ سنة

من حكم الامام علي قوله :

قليل مدُوم عليه خير من كثير مملول منه

اذا كان في رجل خلة رائقة فانتظروا اخواتها

من اتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا

من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها

من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته

ما مزح امرؤ مزحة الا مجّ من عقله مجة

منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا

الحلم والاناة توأمان ينتجهما علوّ الهمة

الغيبة جهد العاجز

الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها

صحة العائلة

نوم الاطفال

ينام الطفل الصغير طول الليل والنهار ما عدا وقت الرضاع والاستحمام ولبس الثياب بشرط ان لا يقلّ معدل النوم عن ١٨ — ١٩ ساعة في اليوم كله . ويقلل نومه كلما تقدم في العمر فينام الطفل الذي عمره سنة واحدة من ١٥ — ١٦ ساعة وابن سنتين أو ثلاث سنين من ١٢ — ١٣ ساعة وابن اربع أو خمس سنين من ١٠ — ١١ ساعة وابن اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة سنة من ٩ — ١٠ ساعات في اليوم . ولا يأرق الطفل في نومه الا لعلة في صحته أو انه لم يعود النوم في أوقات معلومة . ولذلك يحفظ من الشهر الثاني فصاعداً نحو ساعة مستيقظاً قبل ميعاد نوم المساء لكي ينام في الليل براحة تامة

ويجب على الام ان تجعل طفلها ينام في أوقات معينة واذا كان كثير الارق في نومه فلا يجوز أن تسقيه منوماً كالخشخاش ونحوه لانه يسمّ الجسم وقد يقتل الطفل الضعيف البنية . وكثيراً ما تحمل الام طفلها على ذراعيها وتمشي به في ارض الغرفة أو تلقيه على الفراش وتهدهده (الهدهدة الضرب باليد قليلاً قليلاً) أو تهز السرير أو تناغيه الى غير ذلك من الوسائط التي يستعملها النساء لاجل تنويم الاطفال وكلها غير لازمة لانها تتعب الام المرضع وطفلها والافضل ان تبذل جهدها لتنويم الطفل من غير الوسائط التي تقدم ذكرها وتقابل المصاعب التي تلاقيها في هذا السبيل بالصبر الجميل

ويجب ان ينام الطفل في الشهر الاول على ظهره طول الوقت . ولا بأس بعد ذلك اذا كان ينام في بعض الاوقات على جنبه الايمن أو بطنه وهذا التنقل يفيد الطفل فائدة عظيمة ولا سيما اذا كان مصاباً بمرض الكساح أي رخاوة العظام

فانه يخشى عندئذٍ ان يعوج ظهره من النوم على جنب واحد كل الوقت ويبقى كذلك طول الحياة

ولا بد من ان تكون ساعات النوم مرتبة مثل ساعات الطعام · فينام الطفل قبل الشهر الرابع او الخامس في الساعة الخامسة ونصف أو السادسة بعد الظهر · ولا يجوز ان يوقظ غير مرة واحدة أو مرتين في الليل لاجل ارضاعه

و بعد الشهر الرابع أو الخامس ينام في الساعة السابعة بعد الظهر ويغذى مرة واحدة في الساعة العاشرة أو الحادية عشرة ليلاً ثم ينام من غير رضاع الى الساعة السادسة أو السابعة من صباح اليوم التالي بحيث يغذى ويرد الى فراشه اذا كان يميل الى النوم · على انه كثيراً ما يتوقف ترتيب النوم على ترتيب الطعام فيجب الانتباه الى ذلك

وعند ما يبلغ الشهر السادس ينام في النهار نحو ساعة أو ساعتين قبل الظهر ومثل ذلك بعد الظهر بشرط ان لا يطول نومه الى ما بعد الساعة الرابعة لئلا يأرق في الليل · ويداوم على هذه الكيفية طول السنة الاولى والثانية ما عدا النوم بعد الظهر لانه غير لازم الا اذا كان الولد في حاجة اليه

وكلما تقدم الولد في العمر تقلل ساعات النوم في الصباح شيئاً فشيئاً حتى يستغني عنها تماماً · ولا يغذى في الليل الا اذا كان مضطرّاً الى التغذية

ويجب ان ينام الولد في السنة الرابعة والخامسة نحو الساعة الثامنة وفي السنة العاشرة أو الثانية عشرة نحو الساعة التاسعة مساء

وفي الاشهر الاولى ينام في سرير هزاز يغطى بناموسية من الشاش أو التول والاخير افضل من الاول لاتساع خلاياه وسهولة نفوذ الهواء فيها لان الهواء لازم للصغار كما هو لازم للكبار · ولا يجوز ان يغطى السرير بملاءة أو لحاف بحجة ان هذه الاغطية تحفظ الطفل دافئاً لانها تمنع الهواء عنه فتخنقه

وقبل تمام السنة بشهرين أو ثلاثة اشهر ينقل الى سرير آخر من الاسرة الثابتة ويجب أن يكون السرير مرتفعاً من جانبيه لوقاية الطفل من السقوط ولا

تستعمل الناموسية الى هذا الحين الا اذا دعت الحالة استعمالها

ومن اقبح العادات واشدها خطرًا أن ينام الطفل مع امه في فراش واحد لانها كثيرًا ما تستغرق في النوم فتنقلب عليه وتقتله أو تجذب الغطاء فوق رأسه حتى يمتنع عنه الهواء فتخنقه . وهب انه نجا من هذه المخاطر فلا ينجو من خطر آخر يتهدد صحته وهو ان نومه مع امه في فراش واحد قد يكون باعثًا على ارضاعه بالليل كلما بكى فيصاب بعسر الهضم ويعيش ممراضًا طول حياته على نحو ماسبق ذكره في فصل الرضاع

ويجب ان يكون فراش الطفل من الصوف أو الشعر في الشتاء ومن القطن في الصيف وافضلها الصوف لانه يغسل بالماء فينظف جيدًا ويفرش فوق الفراش ملاءة من المشمع لمنع نفوذ المواد الفضلية اليه وفوق المشمع ملاءة اخرى من نسيج المصلينا تطوى على مرتين وتغير كلما تبللت . وقبل النوم تدفأ الملاءة على حرارة النار في جميع فصول السنة ما عدا فصل الصيف وقد يستغنى عن ذلك بلفة قدمي الطفل بطرف احرام من الصوف الناعم لتخفيف الحرارة

أما المخاد فافضلها ما كان من الريش الناعم ودثارها من الكتان (التيل) الابيض والغطاء خفيف حسب الفصول والاقليم

ولا يجوز ان ينام الطفل في الثياب التي كانت عليه في النهار وأحيانًا يمتنع الولد الكبير عن تغيير ثيابه في المساء وعندئذ يجب على الام أن تبذل جهدها لكي تذلل عناده باللطف والملاينة حتى يقدم على تغيير ثيابه اختيارًا لا اضطرارها

أما الغرفة التي ينام فيها الطفل فتتوقف في الغالب على احواله . فان كان يرضع من ثدي امه فالاولى ان ينام في غرفة مخصوصة مع خادمته وفي ساعات الرضاع يؤخذ الى امه لاجل تغذيته . ولا يخفى ما في ذلك من الراحة للام ورضيعها ولا سيما في الليل بحيث لا يكون باعثًا الى ارقها وارضاع طفلها كلما بكى واستيقظ من نومه

وان كان ممن يغذون بالصناعة أي يرضعون من الزجاجة فلا بأس اذا كانت الخادمة أو المرضع تتعهد تغذيته ولكن تحت مناظرة أمه ولا يجوز الاعتماد على الخادمة ما لم تكن أهلا للثقة (كتاب تدبير الاطفال)

باب الأخبار العلمية

الزواج في الحيوانات بحث الدكتور هتشنسون في الحيوانات وتزاوجها وتعدد الزوجات فيها فتوصل الى نتيجة دهش لها العلماء وغيرهم . لان المشهور ان الحيوانات تتزاوج بلا شروط معينة فقد الذكر عدة اناث بلا رابط ولا رادع وكذلك الانثى . وان الانسان يمتاز عن اخوانه الحيوانات الاخرى بما يقيده من شرائع الزواج وشروطه . فوجد الدكتور هتشنسون ان الانسان قلما يمتاز عنها في هذا الشأن فان الطبقات العليا من القردة لا تتزوج الا فرادى اي لا يتزوج الذكر الأ انثى واحدة وقد يبقى عليها وحدها طول حياته . وكذلك الطبقات السفلى منها غير ان مدة الزواج في هذه اقصر مما في تلك . ويلي القردة في ذلك آكلة الحشرات فانها لا تطيل مدة الزواج لكنها لا تتزوج اثنين في زمن واحد . والزواج مهما اختلفت طرقه واساليبه في الحيوانات فان الجانب الاعظم منه فردي والطيور اكثرها تمسكاً بهذه القاعدة ثم ذوات الثدي الاّ القردة والبشر فانها اكثر تمسكاً بهذه القاعدة من سائر اصناف الحيوان . وأما نسبة الافراد الى الاكثار في تزاوج الحيوانات فهي كنسبة تسعين الى مئة . ويلحق بالزواج الافرادي ان الأب يحمل تبعة العناية بامرأته واولاده . ومما وجده الدكتور هتشنسون من ضروب الزواج في طبقات الحيوان ان بعض الحيوانات القارضة تتزوج الى مدة معينة والغالب ان تكون تلك المدة فصلاً من فصول السنة فاذا انقضى الفصل افترق الزوجان . وليس عند هذه الحيوانات انعطاف ابوي على الاولاد فكثيراً ما يقتل الفار اولاده اذا عثر عليها . وكذلك يفعل الارنب والسنجاب وابن عرس ونحوها . و يلي الزواج الافرادي الى زمن معين تعدد الزوجات وهو قليل لكنه غالب في الحيوانات الاهلية من الطيور وذوات الثدي

شاعرة النوَر النوَر (الغجر) طائفة من الناس يضرب المثل بانحطاطها وتوحشها وقد مرّت بها القرون الطوال وهي على حالها من الانحطاط مع انها خالطت شعوب

الارض واحتكت بارق الامم المتمدنة فتقرر في الاذهان انها غير قابلة للارتقاء . على انا وقفنا على مقالة في بعض المجلات الانكليزية عن شاعرة نورية اسمها جينا رنجيسيك اكتشف امرها الدكتور هنريش وليسلوكي الشهير بسعة اطلاعه في احوال النور وعاداتهم واخلاقهم وكان قد سمع خبرها من احد رجال القنصلية السربية فذهب لزيارتها معه سنة ١٨٩٠ فوجدها في شيخوختها وآثار الجمال لاتزال بادية في وجهها . على ان ذلك الجمال كان سببًا لشقائها ولولاه لاتصل خبرها بالعالم المتمدن وهي في ابان صباها فتعلمت في المدارس وارتقت قواها وعواطفها وربما كان لها شان كبير في تاريخ الادب لانها مع ما كان من شقائها فقد بلغ ما نظمته ٢٥٠ قصيدة في النسيب والحماسة والنشيد وغيرها

وقد سئلت عن عمرها فلم تستطع تحديده ولكنها روت من تاريخ صباها مايحسن ذكره لغرابته عندنا وخلاصة ذلك : ان بعض اللصوص سرقوها من اهلها في سربيا وهي في نحو الثانية عشرة فلحقهم الجند لينقذوها منهم ففرّت حتى اتت بلغراد . فالتقطها احد اغنياء الارمن فتبناها وربّاها في منزله ثم انتقل الارمني الى الاستانة فنقلها معه وعلمها بعض الشيء على يد استاذ الماني لازم تعليمها ثلاث سنوات . وكان للارمني اخ صغير اسمه غبريال دالس احب الفتاة لجمالها ونباهتها فتزوجها وعني في امرها فقضت معه بضع سنوات في نعيم وسكينة لكنها استغرقت في مطالعة القصائد الشعرية باللغات التركية والارمنية والسربية كأن قلبها لم يملأه ذلك الارمني . فغازلها شاب الباني اسمه جورج كوراشون واغراها على الفرار معهُ فاطاعته ثم اخبرها ان زوجها قتل . و الحكومة تتهمها بقتله . وبالحقيقة ان الرجل قتله بعض الارمن . فانطلت حيلة الالباني على جينا واطاعتهُ فتحولت عيشتها الى الشقاء والعذاب من ذلك الحين وفسدت اميالها فاصبحت تنتقل بالحب والمغازلة من واحد الى آخر . وآخر من علق بها رجل يهودي اسمه يعقوب هورنشتين وكان يحبها حبًا حقيقيا وكان من اهل الادب والعلم وله مكتبة نفيسة فاشتغلت جينا عنده بترجمة قصيدة الشاعر بلاتن الالماني الى اللغة الرومانية . وكانت شديدة الاحتفاظ بمسودات هذه القصيدة الى مماتها تذكارًا لصداقة صديقها الاخير . وقد قضت معه ست سنوات هي اسعد ايام حياتها لانه كان يحبها ويحترمها . واتفق انه اتهمها بمحبة احد ابناء جلدتها فغضبت وخاصمته حتى همت ان تغرق نفسها فلم تمت لكنها اصيبت بحمى ذهبت برونق جمالها . ومع ذلك ظل هورنشتين على محبتها حتى مات وقد وهب لها ١٠,٠٠٠ دوكات غساوية فاتهمتها الحكومة بتسميمه فحبستها ثلاثة اشهر فظهرت براءتها فاطلقوا

سراحها فاعطت بعض اقاربها الف دوكات وسافرت الى باريس وهناك بدرقت اموالها على يد رفيق اسمه لنجيل وبقيت وحيدة حتى لقيها احد رجال القنصلية السرية كما تقدم وظل على العناية بشانها حتى توفيت . فابتاع مسوداتها من اهلها وهي ثمينة بالنظر الى آداب اللغة النورية

❊ المسكر في بلاد البلجيك ❊ يزداد انفاق المسكرات في بلاد البجليك اكثر كثيرًا من زيادة عدد السكان فيها ومن غريب امرها انها على قدم عهدها في التمدن تشبه مصر بكثرة اماكن اللهو كالقهوات ونحوها حتى بلغ عدد تلك الاماكن فيها ١٩٠,٠٠٠ مكان وعدد سكانها لا يزيد على ثلاثة ملايين وثلث مليون فلو تفرقت هذه الاماكن على الاهالي لما لحق المكان الا ٣٥ شخصاً وفيهم النساء والاولاد . ومع ذلك فليس في بلاد البلجيك مكتبة عمومية . وقد زاد عدد الاهالي في النصف الاخير من القرن الماضي نحو خمسين في المئة واما اماكن اللهو فانها زادت ٢٥٨ في المئة وكلها في تقدم وربح مثل اماكن اللهو في مصر . ومعدَّل ما يشربه الواحد من اهل البلجيك في السنة ٥٥ جالونًا من البيرة والانكليزي ٣٢ والالماني ٢٧ جالونًا . وقد حسب بعضهم الاموال التي ينفقها البلجيون على المشروبات الروحية فبلغت ٢١,٠٤٠,٠٠٠ جنيه او ٥٧,٦٠٠ جنيه في اليوم فيلحق الشخص الواحد ٣½ جنيه في السنة ويقدر ذلك بنحو ١٥ جنيهًا على كل عائلة . واما الذي يكتسبه البلجيون من ثمار ذلك الانفاق فهو كثرة الجرائم على اختلافها لان ثمانين في المئة من المنتحرين في بلاد البلجيك من السكيرين و ٧٤ في المئة من سكان السجون من السكيرين و ٧٩ في المئة من اهل الفاقة الشديدة من السكيرين و ٤٥ في المئة من الجانين من السكيرين

❊ ذكاء اهل اوغندا ❊ ان اوغندا في اوسط افريقيا واهلها معدودون من القبائل المنحطة ولكن يظهر من تقارير رفعتها جمعيات المبشرين هناك ان الاوغندي لا يقلُّ ذكاءه عن ارقى الامم الاوربية . ومن اقوالهم ان « ذكاء الاوغندي مثل ذكاء الانكليزي » وانهم يتعلمون القراءة والكتابة بوقت قصير جدًّا ويفهمون الحساب بسرعة عجيبة . وفيهم ميل شديد الى تفهم الحقائق فاذا سأل احد التلامذة معلمه مسألة ولم يكن له الوقت الكافي للجواب عليها في المدرسة لحقه الى بيته والحَّ عليه في الاستفهام . قال الكاتب ولا يفضل الاوغندي على الافرنجي في الذكاء فقط بل هو ارقى منه في الشعور الادبي لان الاغندي لا يعرف حب الذات على الاطلاق وقد جربوا ذلك في كثير من الاحداث والشبان وغيرهم

﴿ ثياب من الاسبستس ﴾ الاسبستس معدن يصنع خيوطاً وينسج ذكرناه في الهلال غير مرة · وقد رأى اصحاب المناجم ان يصطنعوا منهُ اثواباً يلبسها العملة الذين يخافون اتصال الحريق بهم

﴿ الاسبرانتو او اللغة العامة ﴾ لا تزال الهمة مبذولة في نشر هذه اللغة الاصطناعية وقد انشئت فيها الجرائد والفت القواميس وكتب النحو ونشرت المنشورات التعليمية رغم ماينتقده رجال العلم والادب عليها و يتنبأون بسقوطها · وهم يعتبرون السعي في نشر لغة مصنوعة قتلاً للغة الاصلية · ومع ذلك فان مريدي الاسبرانتو ينشئون الجمعيات للتبشير بهذا اللسان وهم ساعون في تشكيل مجمع سيكون مركزه الرئيسي لندن ويمكن انتخاب رئيسه من اي طائفة على التناوب

﴿ فيسيوتيب او الطبع بلا حبر ﴾ ذكرنا في بعض اعداد الهلال ان الافرنج تفننوا في ترقية الطباعة حتى اخترعوا آلات تطبع بلا حبر بمساعدة الكهربائية · وقد اخترعوا اليوم مسحوقاً لا يزال تركيبه سراً مكتوماً له خاصة غريبة في الطبع وذلك انك اذا شئت ان تطبع صورة شيء او اداة او نحوها ضع تلك الاداة على ورقة سطحها يناسبها واضغط عليها باليد او بمكبس ضغطاً خفيفاً بضع ثوان ثم اخرج الورقة وليس عليها رسم ولا كتابة وادخلها في صندوق فيه من ذلك المسحوق المجهول وهزهُ حتى يغشى المسحوق الكتابة ثم اخرج الورقة وانفض ما عليها من المسحوق الزائد فترى الرسم المطلوب قد ظهر ظهوراً تاماً

﴿ الفينيقيون في اوربا ﴾ من المقرر المشهور ان الفينيقيين استعمروا كثيراً من سواحل البحر الابيض المتوسط وانهم تجاوزوه الى البحر الاتلانتيكي وزعم بعضهم انهم عبروا الاتلانتيكي الى اميركا قبل كولمبوس بثلاثة آلاف عام وانهم داروا حول الكرة · غير ان القول الاخير يحتاج الى اثبات · على ان بعض العلماء الآن يذهبون الى ان هذه الامة النشيطة اقامت في فرنسا وانكلترا ايضاً وربما استعمرتها ودليلهم على ذلك ان في هذين البلدين ضرباً من الاحجار التاريخية القديمة يسمونها « دولمن » المشهور انها من آثار الكهنة الدرويد الذين كانوا في تلك البلاد قبل انتشار الديانة المسيحية · وقد عثر احد السياح العلماء في صحراء البلقاء وفلسطين وسوريا على احجار مثل احجار الدولمن تماماً فاستنتج من ذلك ان الفينيقيين نقلوا امثالها الى انكلترا وفرنسا في اثناء رحلاتهم اليها

﴿ احصاء المعمرين في اوربا ﴾ وضع بعض الالمانيين احصاء للمعمرين الذين تجاوزوا السنة المئة من اعمارهم في اوربا فوجدهم يكثرون كلما دفأ الاقليم ففي فرنسا ٢١٣

معمرًا وفي انكلترا ١٤٦ وفي سكوتلاندا ١٦ وفي اسوج ١٠ وفي نروج ٢٣ وفي البلجيك ٥ وفي الدنمارك اثنان . ومن الغريب ان سويسرا مع اشتهارها بنشاط الاقليم ليس فيها احد تجاوز عمره مئة سنة ووجدوا في اسبانيا ان اكثر المعمرين في جنوبيها

❊ الراديوم والتلوين ❊ اكتشفوا للراديوم على خاصة جديدة . وهي انه اذا عرضوا له زجاجة تلونت لونًا يختلف كثافة باختلاف تركيب ذلك الزجاج الكيماوي

❊ التلغراف بلا سلك ❊ من نقائص التلغراف بلا سلك انهم يخافون سرقة رسائله في اثناء سيرها بآلات من نوع آلاته . فتوفق الموسيو بولسن الدنماركي الى اختراع تتولد به امواج كهربائية لا يمكن قطعها في اثناء سيرها ولا تتناولها الا الآلة المرسلة اليها

❊ المؤلفات في بلاد اليابان ❊ ينشر في بلاد اليابان نحو ٣٠٠٠ كتاب كل عام يختلف عدد مايطبع منها باختلاف المواضيع . على ان الكتب التعليمية قد يبلغ عدد المطبوع من الكتاب الواحد نحو ٣٠٠٠٠٠ نسخة . وفي طوكيو نحو ٣٠٠ مكتبة والف مؤلف وفي بلاد اليابان كلها نحو الف جريدة نصفها يومية ومنها ما يطبع نحو ١٣٠٠٠٠ نسخة من كل عدد وخصوصاً الجرائد القديمة مثل جريدة مينتشي وجريدة طوكيو ينتشي

❊ تجارة السودان ❊ نظرًا لاهتمام الناس في السودان وتعميره والاتجار فيه رأينا ان ننقل ما جاء من هذا الباب في «تاريخ السودان» الذي ظهر بالامس لمؤلفه نعوم بك شقير وسيأتي وصفه بباب التقريظ وهو اوثق مصدر يمكن الاعتماد عليه في هذا الموضوع قال:

الوارد من السودان — اهمُّ ما في السودان تجارتها واهم ما يرد منها:

« الصمغ » وهو انواع اجودهُ صمغ الهشاب واكثرهُ من كردفان وصمغ الطلح واكثره من الجزيرة

« وسن الفيل » واكثر وروده من بحر الغزال وخط الاستواء وهو يختلف في الجودة بحسب كبره وسلامته من التشقق وسن الانثى اطرى واجود من سن الذكر

« وريش النعام » واكثرهُ من اواسط السودان وهو انواع اجودها الريش الابيض ثم الاسود وكلاهما ريش الذكر ثم الربده ولونهُ رمادي وهو ريش الانثى

« والبلح » يأتي من مديرية دنقلة من بلاد سكوت والمحس والشايقية

« والتمر هندي » ويسمونه العرديب واكثرهُ من دارفور وكردوفان

« والسنا » واكثرهُ من جزيرة صنا . « والخرتيت » واكثره من بحر الغزال

« والاستك » ويرد من بحر الغزال وخط الاستواء . « وجلود البقر » واكثر

ورودها من كردوفان . « وجلود فرس البحر » التي تصنع منها السياط . « والسياط »
« والذهب السناري » « والابنوس والنعام الحي والقرود والببغاء » ووداردها قليل
« والشثم » ويعرف هناك بالحبة السوداء او حبة العين وهو بقدر حب العدس وشكله . ولونهُ اسود لامع يرد من دارفور فيسحقونه و يستعملونهُ كحلاً للرمد
« والعسل والشمع » ويؤتى بهما من خلاية النحل البرية

وكان « الرقيق » من أهم واردات السودان فمنعت الحكومة تجارته قطعياً منذ الفتح الأول ولكن النخاسين لايزالون يهربونه (على قلة) بطريق سواحل البحر الاحمر مع التحوطات الشديدة التي تتخذها الحكومة لمنعه اه



ملك فازوغلي سنة ١٨٢١

نقلاً عن تاريخ السودان

تاريخ السودان

تأليف نعوم بك شقير

عرفنا مؤلف هذا الكتاب وعاشرناه وصادقناه نيفاً وعشرين سنة كان في معظمها يشتغل في خدمة الحكومة المصرية وخصوصاً في قلم المخابرات الحربية في أثناء الحوادث السودانية • وهو ميال من فطرته الى البحث والتنقيب مطبوعٌ على الترتيب والتحقيق فكان اختياره لهذا المنصب باعثاً على تقوية ذلك الميل فيه • فانصرفت همته الى استطلاع احوال السودان السياسية والتاريخية والادبية والعمرانية • وكان في بادىء الرأي يفعل ذلك قياماً بواجبات منصبه فلما اتسعت معرفته في هذا الموضوع زادت رغبته فيه وأدته لذة البحث الى التفاني في ذلك • فاصبح وعاملان قويان يدفعانه الى استيعاب هذا الموضوع • ورأى من الجهة الأخرى ان العلم مع ما بلغ اليه في هذا العصر لا يزال مفتقراً الى كتاب في تاريخ السودان وجغرافيته وخصوصاً في اللغة العربية لا سيما وان اكثر تاريخه القديم لا يزال محمولاً على الالسنة فاذا لم يجمع ويدوَّن ضاع بضياع حملته • ناهيك بما عرفه المؤلف من نتائج بحثه وتنقيبه عن احوال تلك البلاد مما لم يتفق اجتماعه في رجل يعرف كيف ينفع الناس بعلمه • ويندر ان يتوفق لاحد ما توفق لحضرة المؤلف من الاسباب المساعدة على ذلك مع ذكائه وميله الفطري الى تحقيق الحوادث وتمييز صحيحها من فاسدها • وقد دون نتيجة ابحاثه في كتاب كبير سماه « تاريخ السودان » تحرى فيه الحقيقة وتقرير الواقع فلم يثبت خبراً الا وقد شهده بعينه او خبره بنفسه او اخذه عن أثر تاريخي او نقله عن ثقة عاقل او استخرجه من كتب المؤرخين الموثوق بروايتهم • وكثيراً ما شاهدناه في منزله وبين يديه حلقة من اعيان السودان وعلمائه وهو يباحثهم في بعض الحوادث التماساً لتحقيقها • وربما تكررت الجلسة مراراً لتحقيق مسألة واحدة — قضى في التحقيق والتمحيص سبع سنوات غير ما قضاه قبل ذلك في تأليف الكتاب وتدوينه • وجملة القول ان تاريخ السودان يمتاز عن معظم ما صدر من الكتب في هذه النهضة باستيفاء الموضوع ودقة البحث وحسن الترتيب

والكتاب ثلاثة اجزاء كبرى : الاول في جغرافية السودان الطبيعية والادارية • وفي حضارة السودان وهو عبارة عن بحث اجتماعي في لغات اهل السودان واديانهم ومعارفهم وزراعتهم

وصناعتهم وتجارتهم وحكومتهم • وفي اخلاق اهل السودان وعاداتهم وخرافاتهم الخ • والجزء الثاني في تاريخ السودان القديم ويتناول البحث في تاريخ اثيوبيا من سنة ٣٧٠٣ ق م الى ٥٤٥ ب م • وتاريخ النوبة في عهد النصرانية من سنة ٥٤٥ — ٥٠٥ م وتاريخ البجة في صدر الاسلام • وتاريخ مملكة سنار ومملكة دارفور • والجزء الثالث في تاريخ السودان الحديث يبدأ بالفتح المصري على عهد العائلة الخديوية وينتهي بفتح أم درمان • ويدخل في ذلك تاريخ الفتح المصري ثم الثورة المهدية فخلافة التعايشي فاسترجاع السودان واخيراً خاتمة في السودان المصري الانكليزي • والجزء الثالث المذكور أوسع الاجزاء الثلاثة لان المؤلف محقق اكثر وقائعه بنفسه وله فيها ابحاث انتقادية وآراء فلسفية في ارجاع الحوادث الى اسبابها وخصوصاً في تاريخ المهدوية وما دعا الى ظهورها • ثم فصل وقائعها ووصف رجالها واما كتبها ولم يدع شاردة الادونها بعد النظر والتروي والتمحيص • واوضح ذلك ايضاً بخارطة مطولة للاصقاع السودانية عامة وخارطة خصوصية للخرطوم وأم درمان • وزين الكتاب بنحو خمسين رسماً من رسوم مشاهير اهل السودان واكابر القواد المصريين والانكليز أهل الشأن بالحوادث السودانية ورسوم بعض العادات والوقائع

وعبارة الكتاب سهلة جزلة عصرية • ومع اهمية الموضوع التاريخية فان القارىء لا يمل مطالعته لما يتخلل فصوله من النوادر واللطائف التاريخية والتقليدية — وليست هي من قبيل الفكاهات التي يراد بها مجرد التسلية وانما هي تابعة للتاريخ موضحة لبعض احواله مصورة لاخلاق القوم وعاداتهم وآدابهم الاجتماعية • ومما زاد اهمية الكتاب ووسع دائرة الانتفاع به انه مذيل بفهرسين الاول للابواب والفصول • والثاني فهرس ابجدي مطول للاعلام والمواضيع يستدل به المطالع على ما جاء في الكتاب من تراجم الاعلام او وصف الاماكن او ذكر العادات والاخلاق او غير ذلك مما يجعل هذا الكتاب النفيس قاموساً جغرافياً تاريخياً اجتماعياً ادبياً عن السودان واهله وما يتعلق به

فنثني على صديقنا نعوم بك مؤلف هذا الكتاب لانه اضاف الى آداب اللغة العربية أثراً سيخلد ذكره وسيبقى مرجعاً وحيداً في هذا الموضوع اذ لا نظن احداً يتجشم الخوض في هذا العباب بعد هذا الكتاب للاكتفاء به عن سواه لانه جامع مانع • وهو مجلد تجليداً حسناً في مجلد واحد ويباع في مكتبة الهلال وسائر المكاتب الشهيرة وثمن النسخة ٦٠ قرشاً وأجرة البريد ٤ قروش للقطر المصري وفرنكان للخارج

مطبوعات جديدة

﴿ صحة المرأة في ادوار حياتها ﴾ ان اسم هذا الكتاب يدلّ على اهميته لان المرأة قوام الهيأة الاجتماعية وعلى صحتها تتوقف راحة العائلة ويحفظ نظام الاجتماع . والكتاب تأليف الدكتور احمد افندي عيسى طبيب باسبتالية المجاذيب بالعباسية سابقاً . ضمنه مختصر القواعد الصحية التي ينبغي ان تعمل بها الفتاة في حال البلوغ والزواج والمرأة في الحمل والولادة والنفاس والرضاع وواجباتها نحو اطفالها الى شيخوختها . وقد فصل كل باب على حدة تفصيلاً حسناً واوضح اقواله بالرسوم والاشكال فجاء الكتاب في ٢٨٠ صفحة كبيرة فيها ستون صورة متقنة . فالكتاب المذكور ضروري للعائلات يجدر ان لا يخلو منه بيت . ويجب ان تطالعه الامهات والآباء لانه يدلهم على امور كثيرة يحسن مداركتها في ابنائهم قبل حدوثها وتعذر معالجتها وهو يطلب من حضرة المؤلف من محل عيادته بعمارة الاوقاف الجديدة بشارع عبد العزيز ومن المكاتب الشهيرة وثمن النسخة عشرون قرشاً واجرة البريد قرشان

﴿ الفرسان الثلاثة ﴾ اصدرت مطبعة المعارف بالفجالة الجزء الرابع من هذه الرواية التاريخية الشهيرة . ويكفي لاقبال الناس على مطالعتها انها تأليف اسكندر دوماس وتعريب الشيخ نجيب الحداد . وبصدور الجزء الرابع تمت اجزاء الطبعة الثانية من هذه الرواية وثمنها كلها مغلفة بغلاف ملون عشرون قرشاً . ومجلدة بقماش وكرتون ٢٤ قرشاً واجرة ارسالها بالبريد ثلاثة قروش وهي تطلب من مكتبة الهلال ومكتبة المعارف بالفجالة ومن سائر المكاتب الشهيرة

﴿ النوادر المطربة ﴾ هو كتاب فكاهي جمعه شقيقنا ابراهيم افندي زيدان من نخبة كتب الادب العربية وهو يشتمل على خمسة اقسام الاول في النوادر الادبية والثاني في محاسن المحبوب والثالث في وصف الشعر والرابع في الغزل والخامس في بعض منظومات لجامع الكتاب . وقد تم طبع الكتاب المذكور وهو يطلب من مكتبة الهلال والمكاتب الشهيرة وثمن النسخة خمسة قروش مجلداً واجرة البريد قرش

﴿ كتاب التفاحة ﴾ هو كتاب فلسفي ينسبونه الى ارسطو الفيلسوف وان العرب نقلوه عنه وعنهم اخذه العالم . فنقل من العربية الى العبرانية فاللاتينية والفارسية واللغات الحديثة . وقد عثر الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي الشهير على الترجمة الفارسية لهذا الكتاب في نسخة خطية فعني بنشرها مع ترجمة انكليزية وصدرها بمقدمات وملاحظات تدلّ على

علم واسع في علوم الشرق وادابه ومعرفة مكينة في اللغة الفارسية فضلاً عن العربية واخواتها

﴿ مستقبل الاسلام ﴾ هي مقالة انكليزية للاستاذ مرجليوث ايضاً وفيها بحث اجتماعي ادبي مفيد قد نشرنا خلاصته في مكان آخر من هذا الهلال

﴿ اثر يهوديّ فارسي قديم ﴾ واطلعنا من نفثات اقلام الاستاذ مرجليوث ايضاً على رسالة نفيسة بحث فيها بحثاً اثريًّا لغويًّا في بعض الصكوك الفارسية القديمة الموجودة في بعض متاحف لندن · ورسالة اخرى في آثار خطية فارسية قديمة منها صك مبايعة وصفيحة فيها اشعار فارسية مكتوبة باحرف سريانية وقد بين رأيه في قراءتها وتفسيرها

﴿ لغات العهد القديم ﴾ هي رسالة ضافية للاستاذ المذكور أيضاً في موضوع ذات اهمية كبرى عند علماء النصرانية · ولا يقدم على البحث فيه الاَّ اقطاب العلوم الشرقية لانه يحتاج الى اطلاع واسع في تاريخ الشرق وآدابه ولغاته · وقد وفَّى الاستاذ هذا الموضوع حقه والرسالة في الانكليزية وربما اغتنمنا فرصة لترجمتها وتلخيصها خدمة لقراء العربية · فنثني على حضرة العالم المستشرق على ما يبذله من العناية في خدمة الآداب الشرقية وخصوصاً العربية جزاه الله خيراً

(الالفاظ الايطالية في اللغة العربية العامية المصرية) لا يخفى ان اللغة العامية يخالطها كثير من الالفاظ الاجنبية لما اقتضاه التمدن الحديث من اختلاط اهلها بالافرنج على اختلاف طبقاتهم ولغاتهم · كما دخلها الالفاظ اليونانية والفارسية وغيرها من لغات العالم القديم في اثناء التمدن الاسلامي — وقد بينا ذلك في كتابنا تاريخ اللغة العربية — وأما اللغات التي اخذ العامة عنها في عهد التمدن الحديث فكثيرة اشهرها اللغتان التركية والايطالية · وقد عني حضرة سقراط بك سبيرو صاحب القاموس الشهير في اللغتين العربية العامية المصرية والانكليزية بجمع الالفاظ الايطالية في رسالة كتبها لعارفي اللغة الانكليزية وقد قسم الالفاظ المذكورة الى مجاميع باعتبار معانيها كالالفاظ التجارية والصناعية والموسيقية والجغرافية والعلمية ونحوها · ورتب الالفاظ في كل مجموع ترتيباً عمودياً وجعل بازاء كل كلمة بعد لفظها العربي بالاحرف العربية والافرنجية اصلها الايطالي وبازائه معناها باللغة الانكليزية · فالكتاب حسن مفيد ونرجو من مؤلفه ان يتم فضله بجمع ما بقي من الالفاظ العامية من اللغات الأُخرى وخير الاعمال بالاكمال

(كلمات في سبيل الحياة) هي مقالات ادبية فلسفية من قلم حضرة احمد افندي حافظ عوض المحرر في جريدة المؤيد عني بطبعها ونشرها حضرة سيد افندي كامل وقد

اختارها من رسائل حضرة الكاتب لاحتوائها على موضوع واحد هو البحث في شؤون الحياة ٠ وللحافظ افندي شأن في عالم الصحافة واسمه مشهور بين قراء العربية فنثني على اجتهاده وفضله

(جرائد ومجلات) (١) التعاون : هي مجلة علمية ادبية مدرسية تصدر في الاسكندرية مرتين في الشهر لصاحبها عبد الفتاح افندي بركة وخليل افندي القرياني بدل اشتراكها ١٥ قرشاً في السنة (٢) الجهاد : هي جريدة ادبية تجارية سياسية تصدر في نيويورك بامبركا يوم الاربعاء من كل اسبوع لمنشئها مارون افندي خليل الخوري وفيليب افندي حبيب فارس بدل اشتراكها في الولايات المتحدة وملحقاتها اربعة ريالات وفي الخارج خمسة (٣) الصعيد : هي جريدة مصرية تهذيبية ادبية سياسية لصاحبها عبد الفتاح افندي الانصاري تصدر في طهطا بمصر العليا مرة في الاسبوع بدل اشتراكها مئة قرش في العام (٤) جهره نما : هي جريدة فارسية مصورة تصدر في الاسكندرية مرة في الاسبوع لصاحبها « ع ٠ م ٠ عبد الحميد » بدل اشتراكها ٣ ريالات في مصر و٣ تومانات في بلاد فارس واربعة ريالات عثمانية في الممالك العثمانية وعشر روبيات في الهند وثمانية منات في القوقاز وتركستان وعشرون فرنكاً في اوربا ٠ فنتمنى لهذه الجرائد الثبات والانتشار

(كتاب المسؤلية) أعلن حضرة رصيفنا نجيب افندي شقرا المحامي الشهير وصاحب مجلة الاستقلال القضائية انهُ فرغ من تأليف الجزء الاول من كتاب المسؤلية وهو أول كتاب أُلف في هذا الموضوع وستبلغ صفحاته ٣٥٠ صفحة ٠ وسيصدر هذا الجزء في أثناء نوفمبر الجاري ويصدر الجزء الثاني في مثل هذا الوقت من العام المقبل وثمن كل جزء عشرون قرشاً وسنوفي الكتاب حقه في الوصف عند صدوره

(روكامبول) قرظنا في الهلال الماضي رواية روكامبول الشهيرة تعريب طانيوس افندي عبده رئيس تحرير « الشرق » وذكرنا هناك ان ثمنها خمسة قروش والصواب ثمانية قروش مصرية ٠ ونحث الادباء ثانية على مطالعتها لانها من نخبة الروايات

(الكلية الشرقية) هي مدرسة شهيرة في مدينة زحلة بلبنان انشئت سنة ١٨٩٨ وما زالت ترتقي وتتسع حتى اصبحت من اشهر معاهد العلم في سوريا وقد جاءنا برنامجها السنوي لهذا العام وفيه تفصيل قوانينها وشروطها وعلومها واسماء معلميها وتلامذتها ورسوم ابنيتها وتلامذتها ٠ وهو كتاب ضخم يدل على عناية القائمين بشؤون هذه المدرسة فانهم خدموا الامة والانسانية خدمة كبرى فنثني على حضراتهم ثناء عاطراً جزاهم الله خيراً

الهلال

الجزء الثالث من السنة الثالثة عشرة

١ دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٤ و ٢٤ رمضان سنة ١٣٢٢



السير برتاب سنكه

مهراجا ايدار وكبير وزراء جودهبور

ملوك الشرق وامراؤه

جودهبور وامراؤها

{ جودهبور } وتسمى أيضاً ماروار من ممالك الهند المستقلة تحت رعاية الانكليز واقعة في راجبوتانا بأواسط الهند يحدها من الشمال مملكتا بيكانر وجيبور ومن الشرق جيبور وكيشانجار ومن الجنوب مملكتا سيروهي وبالنبور ومن الغرب رون كوتش وبعض السند . وجودهبور رملية التربة قليلة الجبال يقسمها نهر لوني الى قسمين متساويين وهو ينشأ من بحيرة بوشكار في أجمير ويمرّ في جودهبور نحو الجنوب والغرب حتى يضيع في بعض المستنقعات في رون كوتش

سكان جودهبور مزيج من الراجبوتيين والشران والبهات والجات والبشناوية والمينية والبهيل والبوري من قبائل الهند . وكلهم من البراهمة الا فئة قليلة من المسلمين وأرقى القبائل المشار اليها عشيرة من الراجبوتيين يقال لها راهتور ومنهم الفئة الحاكمة . وقبيلة الشران ومنهم الكهنة وكبار التجار وأهل الثروة . والجات نشابون و يتعاطون التجارة . وأما المسلمون فانهم الجند المحارب . وقد اشتهرت جودهبور على الخصوص بالتجارة وأهلها منتشرون في سائر بلاد الهند ينقلون السلع ويتجرون بها . ويقدرون سكان جودهبور بنحو ثلاثة ملايين منهم ٨٦ في المئة من الهنود (البراهمة) وعشرة في المئة من الجانية (طائفة وثنية) وأربعة في المئة من المسلمين . اكثر محصولاتها الذرة والحنطة وأهم مصنوعاتها الجلد وأدوات النحاس وأصناف الوشي الحريري . وجانب عظيم من الاهالي يحسنون القراءة في اللغة الهندية وفيهم جماعة كبيرة من النساء الشريفات وهذا نادر في الهند

عاصمة المملكة مدينة جودهبور سكانها ٦٠,٤٠٠ نفس وقد بناها راو جودها سنة ١٥٤٩ وجعلها عاصمة مملكته ولا تزال كذلك الى اليوم . وهي محاطة بسور منيع طوله نحو ستة أميال له ستون باباً كبيراً وفيها قلعة حصينة على تل كبير وفي القلعة قصر

المهراجا وحولها قصور فخيمة وحدائق فيحاء. وفي المدينة أبنية كثيرة على نمط جميل واكثرها للمهراجا والشرفاء فضلاً عن الهياكل الفخيمة. وعلى ثلاثة أميال من جودهبور آثار مدينة مندور العاصمة السابقة. وفيها مدرستان كبيرتان احداهما لابناء الاشراف وأهل الثروة والثانية لابناء التجار والصناع. ويندر أن تخلو قرية من قرى المملكة من مدرسة لتعليم الاحداث لغة الوطن

﴿ المهراجا ﴾ قد تقدم أن حكام جودهبور من عشيرة الراهتور الراجبوتيين ويقول مؤرخو الهند أن الحكم تسلسل في هذه العشيرة من زمن بعيد وتنوقل من فرع الى فرع حتى أفضى سنة ١١٩٤ م الى رئيس العائلة الحاكمة الآن غير ان قدمهم لم ترسخ فيها حتى تولى المهراجا رواتشاندا وهو عاشرهم وحفيده راو جودها الذي بنى مدينة جودهبور وأقام فيها كما تقدم. وفي سنة ١٥٦١ فتحها اكبر خان القائد المغولي الشهير. فدفع أميرها اليه ابنه اوداي سنكه دلالة للخضوع. فلما توفي الوالد أفضت الحكومة الى الابن فأعطى أخته جودهياي زوجة لاكبر خان المذكور فكافأه هذا الملك بارجاع اكثر البلاد الى حكمه. وأحرز مقاماً عنده فاستخدم ابنه في بعض مناصب دولته وحارب تحت رأيته

وفي سنة ١٦٧٩ اكتسح أورانكزيب جودهبور وحمل أهلها على الاسلام قهراً فتكاتفت العشائر الراجبوتية المجاورة في جودهبور وأوديبور وجيبور وخلعوا نير المسلمين ولكنهم عادوا فاختلفوا فيما بينهم وطال الخصام والنزاع حتى توسط الانكليز في فض الخلاف وأدخلوا جودهبور تحت حمايتهم سنة ١٨١٨ على ان تبقى حكومتها مستقلة وامراؤها من العائلة الحاكمة الاصلية. وفي سنة ١٨٤٣ توفي أميرها ولم يخلف عقباً فاشارت انكلترا أن يختاروا أميراً من العائلة المذكورة على أن يكون أقرب نسباً من الامير المتوفى فوقع اختيارهم على راجا تخت سنكه والد السير برتاب المنشورة صورته في صدر هذا الهلال. وقد خدم تخت سنكه الانكليز خدماً جزيلة في اثناء الثورات التي حدثت في الهند وكان يدفع للانكليز جزية مقدارها ٩,٨٠٠ جنيه في العام غير ١١,٥٠٠ جنيه نفقات جند غير منتظم أقاموه هناك وفي سنة ١٨٧٣ توفي تخت سنكه

وخلفه ابنه الاكبر جسونت ومازال حاكماً الى سنة ١٨٩٨ فتوفي وانتقل الملك الى ابنه المهراجا الحالي · غير أن مقاليد الاحكام كانت في الحقيقة بيد برتاب سنكه ولا تزال كما سترى

﴿ السير برتاب سنكه ﴾ هو ابن راجا تخت سنكه المتقدم ذكره · ولد سنة ١٨٤٥ ولما توفي والده أفضت الحكومة الى أخيه الاكبر مهراجا جسونت كما تقدم وكانت النجابة ظاهرة في برتاب فعهد اليه بتدبير شؤون المملكة وسماه رئيس الوزراء وهو في الثامنة والعشرين من عمره · وكانت الحكومة لا تزال على مجاريها القديمة فأخذ برتاب في تنظيمها على الطريقة الحديثة · ولم يكن فيها خزينة وانما كانت خزينتها عند الصيارف وكان دخلها مع ذلك نحو ٢٠٠,٠٠٠ جنيه في السنة · فعمل برتاب على تنظيم المالية فانشأ خزينة ووضع لها ميزانية اقتصادية على مثال ميزانيات الممالك المتمدنة وأصلح أبواب الخراج وعدل الضرائب وأنشأ قلماً للمساحة ونظم المحاكم وجعل أساسها نظامات الانكليز في الهند وعدلها حتى توافق طبيعة البلاد وعاداتها وأصلح السجون وغيرها

على أن همه كان منصرفاً بالاكثر الى الزراعة لسعة تلك المملكة وقلة محصولاتها فانشأ الترع وسهل أسباب النقل وأقام المستشفيات والصيدليات في البلاد والقرى الكبيرة · وأنشأ المدارس ووسع طرق التعليم و بذل في ذلك مالم ينله سواه من ملوك الهند · فمنحته مدرسة كمبردج لقب دكتور في القضاء

ولكن برتاب سنكه ميال من فطرته الى الجندية وفيه شجاعة و بسالة فاقتبس من نظام الجند الهندي الانكليزي ما ساعده على انشاء فرقتين دربهما على النظام الحديث وجعل معظم الجند من الراجبوتيين فعمل في تنظيم العسكرية مثل عمله في تنظيم المالية والقضاء والزراعة

ولما توفي جسونت سنة ١٨٩٨ أفضت أزمة الملك الى ابنه ولم يبلغ الرشد فتوسط الانكليز في تعيين برتاب وصياً عليه وما زال عاملاً في تنظيم الحكومة كانه هو الملك المطلق فكافأته انكلترا بتعيينه حاكماً على ايدار احدى ولايات كوجرات الكبرى وسمي « مهراجا ايدار » وقد خدم خدماً جزيلة تحت علم انكلترا في كثير من المهمات العظمى وهي لم تدخر وسعاً في الخلع عليه ومكافأته بالرتب والالقاب ومن جملتها

لقب سير ووسام نجمة الهند ولقب مهراجاديراج من أخيه المهراجا السابق وصليب فيكتوريا وغير ذلك بحيث أصبحت ألقابه عديدة . وهذه الاحرف التي تدل عليها في الاصطلاح الانكليزي K. C. B., G. C. S. I., L. L. D., A. D. C.

وترقى في الرتب العسكرية الانكليزية . وقد زار انكلترا في اثناء احتفال الانكليز باليوبيل فرحبوا به وذكرته جرائدهم بكل جميل ونشرت مآثره وأخباره وعددت كثيراً من دلائل شجاعته وبسالته منذ كان طفلاً وأطنبت في ذلك مثل اطنابنا بعنترة العبسي . ومما ذكروه ان قرداً آذى أخاً لبرتاب وهو لا يزال في الرابعة من عمره فهجم برتاب على القرد انتقاماً لاخيه وما زال يصارعه ويهارشه حتى كاد يقضي عليه . ناهيك بما ذكروه من أعماله في الصيد والقنص وفي ساحة الحرب وفي تنظيم الحكومة وغير ذلك . ويعدُّه الانكليز من أعظم رجال الهند اليوم

ابو العتاهية

احد شعراء العصر العباسي الأوَّل

ولد سنة ١٣٠ هـ وتوفي سنة ٢١٠ هـ

(الشعر والموالي) كان الشعر العربي قبل الاسلام خاصاً بالعرب واكثر الشعراء او كلهم عرب وفيهم اليمني والحجازي والنجدي والتهامي وان تفاوتت القبائل في شاعريتها. فذكروا ان اشعر القبائل ربيعة ومنها المهلهل والمرقشان وطرفة وابن قميئة وابن حلزة والمتلمس والاعشى وغيرهم . ثم انتقل الى قيس وفيهم النابغتان وزهير وربيعة ولبيد والحطيئة . ثم استقر في تميم ومنهم اوس بن حجر وغيره ثم صار الى هذيل وغيرها — وكان الشعراء انما ينظمون في الدفاع عن قبائلهم او يتغزلون بمحبوب او يفتخرون ببسالة او نسب او نحو ذلك وقلَّ من كان يتكسب بشعره وقد يكون شاعر القبيلة فارسها او اميرها . فلما جاء الاسلام دهش العرب باساليب القرآن وبالنبوة والوحي واشتغلوا بالغزو والفتح ونشر الاسلام وانصرفت قرائحهم عن الشعر الى الخطابة . فانقضى عصر الراشدين والعرب في شاغل عن الشعر فلما طمع بنو امية في الخلافة واحتاجوا الى

من يؤيد دعواهم كان الشعر في جملة ما تساعدوا به على استنفار الناس وجمع الاحزاب كما بينا ذلك في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي — فكانوا يجيزون الشعراء ويحرضون الناس على حفظ الشعر فاشتغل اهل الفراغ في النظم واصبح الشعر من أوسع ابواب التكسب والتزلف فكثر الشعراء على ابواب الخلفاء

وكان العرب قد اختلطوا بالاعاجم في البلاد التي فتحوها في الشام والعراق ومصر وأخذ هؤلاء في التقرب من الفاتحين بما يرضيهم من اسباب الرزق وخصوصاً في الدولة العباسية اذ رفع عنهم الضغط وتقربوا من الخلفاء • فلما رأوا العرب اهل خيال واريحية يتأثرون بالكلام البليغ حتى يقعدهم البيت من الشعر ويقيمهم صرفوا هممهم الى قرض الشعر والاستجداء به مثل اشتغالهم في الادب واللغة والقراءة وغيرها من العلوم الاسلامية والعربية • ولذلك كثر الشعراء في الدولة العباسية من الموالي وهم المسلمون غير العرب

(الشعر والكوفة) ولما عمد المسلمون الى الاشتغال في العلوم الاسلامية كان اول ما احتاجوا اليه ضبط قواعد اللغة وتحقق معاني الفاظها فجرّهم ذلك الى البحث في اساليب العرب واقوالهم واشعارهم فاخذ جماعة منهم في الرحلة الى بادية العرب لالتقاط الاشعار والامثال عن افواه البدو وسموا الاشتغال بذلك علم الادب • ونظراً لقرب البصرة والكوفة من بادية العرب كان اكثر المشتغلين بالادب من سكانهما فزهتا في القرن الثاني وبعض الثالث ونبغ فيهما النحاة والرواة والادباء والشعراء واهل البصرة مقدمون على اهل الكوفة في كل شيء الا الشعر فانه كان في الكوفة اكثر واجمع منه في البصرة • ولما عمرت بغداد في اواسط القرن الثاني للهجرة اخذ اهل العلم في الانتقال اليها وغلب ورود اهل الكوفة الى بغداد لقربهم منها وكان العباسيون يكرمونهم لانهم نصروهم لما قاموا لطلب الخلافة • فقدمهم الخلفاء على اهل البصرة واستقدموهم اليهم ووسعوا لهم • ومن الشعراء الذين نشأوا في الكوفة وانتقلوا الى بغداد ابو العتاهية

(أصل ابو العتاهية ومنشأه) ابو العتاهية لقبٌ غلب على هذا الشاعر كما جرت عادة العرب في تلقيب شعرائهم وادبائهم بلفظ ورد في اشعارهم او اقوالهم او قيل لهم • وأما اسمه الاصلي فهو اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان • وهو من الموالي وولاؤه في بني عنزة وأمه أم زيد بنت زياد المحاربي من موالي بني زهرة فهو مولى من الاب والام • وذكر بعضهم ان جده الاعلى (كيسان) من اهل عين التمر فلما غزاها خالد بن الوليد

كان كيسان هذا يتيماً صغيراً يكفله قرابة له من عنزة فسباه خالد مع صبيان من اهلها ووجه بهم الى ابي بكر فوصلوا اليه وبحضرته عباد بن رفاعة العنزي فجعل ابو بكر يسأل الصبيان عن انسابهم فيخبره كل واحد بمبلغ معرفته حتى سأل كيسان فذكر له انه من عنزة فلما سمعه عباد يقول ذلك استوهبه من ابي بكر فوهبه له فاعتقه فصار من موالي عنزة • ثم انتقل كيسان الى الكوفة في جملة من انتقل اليها من المسلمين في أثناء الفتن والحروب وتوطنها وتعاقب فيها اولاده واحفاده وهم يرتزقون بصناعة الخزف وخصوصاً الجرار الخضر • وكان القاسم والد ابي العتاهية يشتغل بالحجامة ايضاً • وكان ابو العتاهية في أول أمره يتخنث فيحمل زاملة المخنثين ثم اشتغل بصناعة أبيه فجعل يصطنع الجرار ويحملها في قفص على ظهره ويدور في الكوفة ويبيع منه • ولكنه أحسَّ من حداثته باقتداره على النظم • وكان الشعر يومئذ ديوان الناس وموضوع احاديثهم وحيثما اجتمعوا تناشدوه وتذاكروا فيه

فاتفق وهو يدور بقفص الجرار انه مرَّ بفتيان جلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه فسلم ووضع القفص عن ظهره ثم قال «يا فتيان اراكم تتذاكرون الشعر فاقول شيئاً منه فتجيزونه ? فان فعلتم فلكم عشرة دراهم وان لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم » فهزأوا منه وسخروا به وقالوا نعم قال « لا بدَّ ان يشترى باحد القمرين رطب يؤكل فانه قمر حاصل » وجعل رهنه تحت ايديهم وقال اجيزوا :

ساكني الاجداث انتم :

وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضع وعين نقطة اذا بلغتها الشمس ولم يجيزوا البيت غرموا الخطر • فلما أعياهم ذلك جعل يهزأ بهم وتممه :

ساكني الاجداث انتم   مثلنا بالامس كنتم
ليت شعري ما صنعتم   أربحتم أم خسرتم

وهي قصيدة من شعره طويلة فخجل الفتيان واذاعوا خبره في الكوفة فجعل ادباؤها وطلاب الشعر من فتيانها يأتونه الى معمله فيستنشدونه فينشدهم أشعاره فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيه

ونبغ في أثناء ذلك بالكوفة ابراهيم الموصلي المغني الشهير وكان في نحو سن ابي العتاهية • فبنيت بغداد وهما في أوائل الشباب ولكن المنصور لم يكن يقرب الشعراء ولا المغنين فلم يرغب الناس في الشعر او الغناء على عهده • فلما تولى ابنه المهدي سنة ١٥٨ هـ انتعش

الشعراء لانه كان يقربهم ويجيزهم فتقاطروا الى بغداد وتزاحموا ببابه وباب ابنيه الهادي والرشيد وحفيده المأمون ومن جاء بعدهم • وتكاثر المغنون في ايامهم أيضاً لارتباط الشعر بالغناء مع ما اقتضاه ذلك العصر من اسباب الترف والقصف • وكان في جملة من وفد على بغداد من الشعراء والمغنين ابو العتاهية وابراهيم الموصلي خرجا معاً من الكوفة حتى أتيا بغداد وكان لكل منهما شأن في مهنته • ومن معاصريهما ابو نواس واشجع السلمي وبشار بن برد وغيرهم

(أبو العتاهية والمهدي) وكان أول دخول أبي العتاهية على المهدي انه جلس مرة للناس في أوائل خلافته فلما آن دخول الشعراء أذن لهم فدخلوا وفيهم اشجع السلمي وبشار بن برد وغيرهما من فحول الشعراء — قال اشجع وهو صاحب هذه الرواية « فاتفق ان جلس بجنبي بشار بن برد وسكت المهدي وسكت الناس فسمع بشار حساً فقال لي من هذا فقلت ابو العتاهية فقال أتراه ينشد في هذا المحفل فقلت أحسبه سيفعل قال فامره المهدي ان ينشد فانشد :

الا ما لسيدتي ما لها أدلّت فاحمل أدلالها

قال اشجع فنخسني بشار بمرفقه وقال ويحك أرأيت اجسر من هذا ينشد مثل هذا الشعر في مثل هذا الموضع • حتى بلغ الى قوله :

أتته الخلافة منقادةً اليه تجرّر اذيالها
فلم تك تصلح الاّ له ولم يك يصلح الاّ لها
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الارض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلو ب لما قبل الله اعمالها

قال أشجع فقال لي بشار « انظر ويحك يا أشجع هل طار الخليفة عن فرشه » فوالله ما انصرف أحد عن ذلك المجلس بجائزة غير ابي العتاهية »

وأصبح ابو العتاهية من ذلك الحين من أقرب المقربين الى المهدي يدخل عليه ويجالسه وينشده ويصطحبه اذا خرج للصيد أو التنزه أو نحو ذلك • ومما يرويه ابو العتاهية عن نفسه من هذا القبيل قوله : « اخرجني المهدي معه الى الصيد فوقعنا منه على شيء كثير فتفرّق اصحابه في طلبه واخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يلتقوا اليه • وعرض لنا واد جرار وتغيمت السماء وبدأت بمطر فتحيرنا واشرفنا على الوادي فاذا فيه ملاح يعبر الناس فلجأنا اليه فسألناه عن الطريق فجعل يضعف رأينا ويعجزنا لبذلنا انفسنا في ذلك

الغيم للصيد حتى ابعدنا . ثم ادخلنا كوخاً له وكاد المهدي يموت برداً . فقال له الملاّح اغطيك بجبتي هذه الصوف فقال نعم فغطاه بها فتماسك قليلاً ونام . فافتقده غلمانه واتبعوا أثره حتى جاؤنا . فلما رأى الملاح كثرتهم علم انه الخليفة فهرب وتبادر الغلمان فنحوا الجبة عن المهدي والقوا عليه الخز والوشي فلما انتبه قال لي ويحك ما فعل الملاح فقد وجب والله حقه علينا فقلت هرب والله خوفاً من قبح ما خاطبنا به . فقال بجياتي عليك الا ما هجوتني فقلت يا أمير المؤمنين كيف تطيب نفسي بأن أهجوك فقال والله لتفعلنّ فاني ضعيف الرأي مغرم بالصيد فقلت :

يا لابس الوشي على ثوبه ما أقبح الاشيب في الراح

فقال زدني بحياتي فقلت :

لوشئت ايضاً جلت في خامة وفي وشاحين واوضاح

فقال ويلك هذا معنى سوء يرويه عنك الناس وانا استأهل زدني شيئاً آخر . فقلت اخاف ان تغضب قال لا والله فقلت :

كم من عظيم القدر في نفسه قد نام في جبة ملاّح

فقال معنى سوء عليك لعنة الله وقمنا وركبنا وانصرفنا »

وكان المهدي يراعي خاطره ويكرمه وقلما طلب اليه شيئاً ومنعه منه . وكان ابو العتاهية مشهوراً بحب جارية للمهدي اسمها عتبة وقد اكثر من تشبيبه بها وهو لا يجسر ان يطلبها من المهدي فاحتال في عيد النيروز فاهدى الى المهدي برنية فيها ثوب مطيب وكتب على حواشيه بيتين يعرّض بطلبها منه وهما :

نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهديّ يكفيها

اني لأيأس منها ثم يطمعني فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فأدرك المهدي غرضه فهمّ بدفع عتبة اليه . فجزعت الجارية وقالت « يا امير المؤمنين حرمتي وخدمتي اتدفعني الى رجل بائع جرار ومتكسب بالشعر » فأعفاها وقال املأوا له البرنية مالاً واوصاه ان يكفّ عن التشبيب بها

ونال ابو العتاهية لدى الخليفة المهدي من النفوذ غاية ما يمكن ان يناله الشعراء في ذلك العصر حتى كثيراً ما توسط بالعفو عن بعض خاصة الخليفة بأبيات تقع لديه موقع القبول قالوا « دخل ابو عبيد الله (وزير المهدي) على المهديّ وكان قد وجد عليه في امر لغه عنه وابو العتاهية حاضر المجلس فجعل المهدي يشتم ابا عبيد الله و يتغيظ عليه ثم امر به

لجرّ برجله وحبس ثم اطرق المهدي طويلاً فلما سكن انشده ابو العتاهية :

اری الدنيا لمن هي في يديه عذاباً كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه
اذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما انت محتاجٌ اليه

فتبسم المهدي وقال لابي العتاهية « احسنت » فقام ابو العتاهية وقال « والله يا اميرالمؤمنين ما رأيت احداً اشد اكراماً للدنيا ولا اصون لها ولا اشح عليها من هذا الذي جرّ برجله الساعة ولقد دخلت على امير المؤمنين ودخل هو وهو اعز الناس فما برحت حتى رأيته اذل الناس ولو رضي من الدنيا بما يكفيه لاستوت احواله ولم تتفاوت» فتبسم المهدي ودعا بأبي عبيد الله فرضي عنه فكان ابو عبيد الله يشكر لابي العتاهية ذلك

على ان الخلفاء يومئذٍ لم يكن احد يأمن غضبهم وهم في عصر الاريحية والخيال . فاصاب ابا العتاهية غضب المهدي لما بلغه من رجوعه الى التشبيب بعتبة فامر بحبسه فشفع له يزيد بن منصور خال المهدي فاطلقه . وما زال ابو العتاهية يعرف هذا الفضل ليزيد المذكور طول حياته

﴿ ابو العتاهية والهادي ﴾ وتوفي المهدي سنة ١٦٩ هـ فخلفه ابنه موسى الهادي وكان الهادي واجداً على ابي العتاهية لانه كان ملازماً لاخيه هرون (الرشيد) في اثناء خلافة ابيهما . فلما تولى الهادي مدحه ابو العتاهية بقصيدة مطلعها :

الا شافع عند الخليفة يشفع فيدفع عنا شرَّ ما يتوقع
واني على عظم الرجاء لخائفٌ كأن على رأسي الاسنة تشرع
يروّعني موسى على غير عثرة ومالي ارى موسى من العفو اوسع
وما آمنٌ يمسي ويصبح عائذاً بعفو امير المؤمنين يروع

فاذن له بالدخول عليه فلما دخل انشده قصيدة مطلعها :

لهفي على الزمن القصير بين الخورنق والسدير

ثم وصف الخمر في بضعة ابيات حتى قال متغزلاً وتخلص الى مدح الخليفة :

ومخصرات زرننا بعد الهدوّ من الخدور
ريا روادفهنَّ يلـ بسن الخواتم في الخصور
غرّ الوجوه محجبا ت قاصرات الطرف حور
متنعمات في النعيـ م مضمخات بالعبير

يرفلن في حلل المحا سن والمجاسد والحرير
ما ان يرين الشمس الا القرط من خلل الستور
والى امين الله مهـ ربنا من الدهر العثور
واليه انعبنا المطـا يا بالرواح وبالبكور
صعر الخدود كأنما جنحن اجنحة النسور
متسربلات بالظـلا م على السهولة والوعور
حتى وصلن بنا الى رب المدائن والقصور
ما زال قبل فطامه في سن مكتهل كبير

فرضي عنه الخليفة واجزل صلته وعاد الى افضل ما كان له عليه . وله فيه قصائد كثيرة منها قصيدة قالها في ولد وُلد للهادي يوم ولي الخلافة ومنها :

اكثر موسى غيظ حساده وزين الارض بأولاده
وجاءنا من صلبه سيد اصيد في تقطيع اجداده
فاكتست الارض به بهجة واستبشر الملك بميلاده
وابتسم المنبر عن فرحة علت بها ذروة اعواده
كأنني بعد قليل به بين مواليه وقواده
في محفل تخفق راياته قد طبق الارض باجناده

فأمر له موسى الهادي بألف دينار وطيب كثير

﴿ ابو العتاهية والرشيد ﴾ لم تطل خلافة الهادي فتوفي سنة ١٧٠ هـ وخلفه الرشيد . ولكنها على قصرها اثرت في قلب ابي العتاهية فلما مات الهادي عاهد ابو العتاهية نفسه ان لا يقول بعده شعراً . فلما طلب منه الرشيد ان يقول الشعر وابى غضب عليه وامر بحبسه في بيت مساحته خمسة اشبار في مثلها فصاح « الموت الموت اخرجوني فانا اقول كل ماشئتم » فحملوه الى الرشيد فقال اشعاراً غنى بها الموصلي فامر له بخمسين الف درهم

وحظي ابو العتاهية عند الرشيد حظوة كبيرة وكان حظه منه اكثر من حظه من سائر الخلفاء حتى كان لا يفارقه في حضر ولا سفر الا في طريق الحج . وعين له الرشيد راتباً سنوياً مقداره ٥٠,٠٠٠ درهم سوى الجوائز والمعاون وهي كثيرة . وغير ما كان يناله من رجال الدولة والامراء وغيرهم وعطاياهم يومئذ من عشرة آلاف درهم الى خمسين الف درهم ومئة الف درهم . وكان بعض الامراء يجرون عليه الرواتب ايضاً ومنهم الحسن بن

سهل فقد كان يجري عليه راتباً قدره ٣,٠٠٠ درهم في الشهر او ٣٦,٠٠٠ في السنة . واما الجوائز التي كان ينالها موقتاً فلا يمكن تقديرها . ومن امثلة ذلك ان الرشيد امره مرة ان ينشده قوله في عتبة ليغني به الموصلي فقال :

يا عتب سيدتي امالك دينُ　　حتى متى قلبي عليك رهينُ

فانشدهُ اياه فامر له بخمسين الف درهم وقس على ذلك

وقد بالغ الرشيد في اكرام ابي العتاهية حتى اغضب ابنه القاسم مرة من اجله. وذلك ان القاسم بن الرشيد مرَّ في موكب عظيم وكان من اتيه الناس وابو العتاهية جالس مع قوم على ظهر الطريق فقام ابو العتاهية حين رآه اعظاماً له فلم يزل قائماً حتى جاز فاجازه القاسم ولم يلتفت اليه فقال ابو العتاهية :

يتيه ابن آدم من جهله　　كأن رحا الموت لا تطحنه

فسمع بعض من في موكبه ذلك فاخبر به القاسم فبعث الى ابي العتاهية وضربه مائة مقرعة وقال له « يا ابن الفاعلة اتعرض بي في مثل ذلك الموضع » وحبسه في داره فدس ابو العتاهية الى زبيدة بنت جعفر امرأة الرشيد هذه الابيات :

حتى متى ذو التيه في تيهه　　اصلحه الله وعافاه
يتيه اهل التيه من جهلهم　　وهم يموتون وان تاهوا
من طلب العزَّ ليبقى به　　فان عزَّ المرء تقواه
لم يعتصم بالله من خلقهِ　　من ليس يرجوه ويخشاه

وكتب اليها بحاله وضيق حبسه وكانت مائلة اليه فرقت لهُ واخبرت الرشيد بامره وكلمته فيه فاحضره وكساه ووصله ولم يرض عن القاسم حتى برَّ ابا العتاهية وادناه واعتذر اليه

ولابي العتاهية مع الرشيد مداعبات كثيرة يطول بنا ذكرها من اشهرها انه حبسه مرة ثانية لتمنعه عن قول الغزل فكتب اليه من السجن :

اما والله ان الظلم لؤمٌ　　وما زال المسيء هو الظلوم
الى ديان يوم الدين نمضي　　وعند الله تجتمع الخصوم
لامرٍ ما تصرفت الليالي　　وامرٍ ما تولت النجوم
تموت غداً وانت قرير عين　　من الغفلات في لجج تعوم
تنام ولم تنم عنك المنايا　　تنبه للمنية يا نؤوم
سل الايام عن امم تقضت　　ستخبرك المعالم والرسوم

تروم الخلد في دار المنايا وكم قد رام غيرك ما تروم
الا يا ايها الملك المرجى عليه نواهض الدنيا تحوم
اقلني زلة لم اجر منها الى لوم وما مثلي ملوم
وخلصني تخلص يوم بعث اذا للناس برزت الجحيم

فامر الرشيد باخراجه

واشهر من ذلك حديث تنسكه وحبسه . وذلك ان ابا العتاهية تنسك ولبس الصوف وترك حضور المنادمة والقول في الغزل . والظاهر انه فعل ذلك هذه المرة عن احساس ديني بعد طول تردده في امر الدين وتقلبه على اطوار شتى وكانوا يتهمونه بالزندقة او الكفر وهو يدفع عن نفسه . فكأنه اراد في اواخر ايامه ان يتوب عما مضى وقد تمكن اعتقاده في الاسلام فتنسك فاستجهله الرشيد وهدده وامر فضربوه ستين عصا وحلف لا يخرج من حبسه حتى يقول شعرًا في الغزل . فلما رفعت عنه المقارع قال ابو العتاهية كل مملوك له حر وامرأته طالق ان تكلم سنة الا بالقرآن او بلا اله الا الله محمد رسول الله . فكأن الرشيد تحزن لما فعله فأمر بحبسه في دار وان يوسع عليه ولا يمنع من دخول من يريد اليه . فكان اصدقاؤه اذا دخلوا عليه وخاطبه احدهم في شأن اجابه كتابة على قرطاس كان بين يديه . فلما انقضت السنة عجلوا في اخراجه واستنشدوه فانشدهم ابياتًا قالها في امرأته مطلعها :

من لقلب متيم مشتاق شفه شوقه وطول الفراق

وكتبها الى ابراهيم الموصلي فدخل بها على الرشيد وغناه بها . فقال الرشيد لمن هذا الغناء قال الغناء لي واما الشعر فلاسيرك ابي العتاهية . فامر باخراجه وسأل كم ضربناه فقالوا ستين عصا فامر له بستين الف درهم وخلع عليه واطلقه

وعاش ابو العتاهية الى ايام المأمون ومدحه ونال جوائزه وكانت العطايا تتوالى عليه من الخلفاء وابنائهم ورجال دولتهم حتى مات سنة ٢١٠ هـ واوصى ان يكتب على قبره :

اذن حي تسمعي اسمعي ثم عي وعي
انا رهن بمضجعي فاحذري مثل مصرعي
عشت تسعين حجة اسلمتني لمضجعي
كم ترى الحي ثابتًا في ديار التزعزع
ليس زاد سوى التقى فخذي منه او دعي

صفاته وشعره كان ابو العتاهية ابيض اللون اسود الشعر نظيف الثياب له وفرة

جعدة وهيأة حسنة ولباقة وحصافة . وكان سيال القريحة سريع الخاطر لطيف المعاني سهل الالفاظ . فقد سأله بعضهم كيف تقول الشعر قال « ما اردته قط الا مثل لي فاقول ما اريد واترك مالا اريد » وسأله ابنه مرة هل تعرف العروض فقال « انا اكبر من العروض » ولذلك فانه نظم على اوزان لا تدخل في العروض . وسأله بعضهم مرة « اما يصعب عليك شيء من الالفاظ فتحتاج فيه الى استعمال الغريب كما يحتاج اليه سائر من يقول الشعر او الى الفاظ مستكرهة » قال « لا » قال « اني لاحسب ذلك من كثرة ركوبك القوافي السهلة » قال « فاعرض عليَّ ماشئت من القوافي الصعبة » فعرض عليه النظم على مثل « البلاغ » فقال لساعته :

ايّ عيش يكون ابلغ من عيـ ـش كفاف قوت بقدر البلاغ
صاحب البغي ليس يسلم منه وعلى نفسه بغى كل باغ
رب ذي نعمة تعرّض منها حائل بينه وبين المساغ
ابلغ الدهر في مواعظه بل زاد فيهنّ لي على الابلاغ
غبنتني الايام عقلي ومالي وشبابي وصحتي وفراغي

وقال الاصمعي « شعر ابي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى » وقد نظم في سائر ابواب الشعر وتقدم امثلة منها . ومن اقواله في المدح من قصيدة يمدح بها الرشيد :

وهرون ماء المزن يشفى به الصدى اذا ما الصدى بالريق غصت حناجره
واوسط بيت في قريش لبيته واول عزّ في قريش وآخره
وزحف له تحكي البروق سيوفه وتحكي الرعود القاصفات حوافره
اذا حميت شمس النهار تضاحكت الى الشمس فيه بيضه ومغافره
اذا نكب الاسلام يوماً بنكبة فهرون من بين البرية ثائره
ومن ذا يفوت الموت والموت مدرك كذا لم يفت هرون ضدٌّ بنافره

ومن نظمه ارجوزة حكمية تعرف بذات الامثال يقال انه جمع فيها ٤٠٠٠ مثل منها قوله :

حسبك مما تبتغيه القوت ما اكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا من اتقى الله رجا وخافا
هي المقادير فلمني او فذر ان كنت اخطات فما اخطا القدر

لكل ما يؤذي وان قلّ الم ما اطول الليل على من لم ينم
ما انتفع المرء بمثل عقله وخير ذخر المرء حسن فعله
ان الفساد ضده الصلاح ورب جدّ جرّه المزاح
من جعل النمام عيناً هلكا مُبلغك الشرّ كباغيه لكا
ان الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء اي مفسده
ما عيش من آفته بقاؤه نغص عيش كله فناؤه
ما تطلع الشمس ولا تغيب الا لامر شأنه عجيب
لكل شيء معدن وجوهر واوسط واصغر واكبر
وكل شيء لاحق بجوهره اصغره متصل باكبره
الخير والشرّ بها ازواج لذا نتاج ولذا نتاج
من لك بالمحض وليس محض يخبث بعض و يطيب بعض
لكل انسان طبيعتان خير وشر وهما ضدان
انك لو تستنشق الشحيحا وجدته انتن شيء ريحا
والخير والشرّ اذا ما عدّا بينهما بون بعيد جدا
عجبت حتى غمني السكوت صرت كأني حائر مبهوت
كذا قضى الله فكيف اصنع والصمت ان ضاق الكلام اوسع

وله اشعار كثيرة في الزهد والتنسك يضيق عنها هذا المكان · و يؤخذ من سيرة حياته انه كان متردداً متقلباً و يغلب ذلك في طباع الشعراء لانهم اهل خيال واوهام وخصوصاً الذين يستجدون بشعرهم فانهم يتقلبون مع الاهواء و يسعون وراء النفع حيثما كان · على ان في تمنع ابي العتاهية عن قول الغزل بعد ان امره به الرشيد يخالف هذه القاعدة ولكن لعل له سبباً حمله على ذلك · واما تقلب ابي العتاهية فظاهر من تذبذبه في الدين كما تقدم · وانه كان اذا اختص ببعض الامراء ادعى ولاء قبيلته فقد كان طول حياة يزيد بن منصور يدّعي انه مولى لليمن و ينتفي من عنزة فلما مات يزيد رجع الى ولائه وعاتبه بعضهم في ذلك وقال له الم تكن تزعم ان ولاءك لليمن · قال « ذلك شيء احتجنا اليه في ذلك الزمن وما في واحد انتميت اليه خير ولكن الحق احق ان يتبع »

وكان مع ما جمعه من الاموال بخيلاً وله حوادث كثيرة تدل على شدة بخله ذكرها صاحب الاغاني

خلاصة مذهب دارون

وهو مذهب النشوء والارتقاء او مذهب التحوّل

توصل العلامة دارون وكثيرون غيره بالبحث استقراء واستنتاجاً الى القول بوحدة المخلوقات الحية جمعاً اي ان الانسان والحيوان والطير والاسماك والحشرات مشتقة من اصل واحد أو بضعة أصول . وظاهر هذا القول تحكم محض لانه لا يُعقل بالبديهة ولا يسهل اثباته بالبحث لكثرة ما يحيط به من الشبهات وما يقوم دونه من العقبات وما يشجر فيه من الاختلافات ولكن ما لا يُدرك كله لا يترك جله . فالعلامة دارون توسع في هذا البحث اكثر من جميع من تقدموه او عاصروه حتى صار ينسب مذهب النشوء اليه . وهو لم يقطع فيه قولاً محكماً بل جمع نتيجة ابحاثه ومعلوماته ومشاهداته وزفها الى الجمهور بكل تحفظ غير مدع السداد في البحث ولا العصمة في القول ولكنه يثق بصحة الادلة التي بنى عليها مذهبه وهي نشوء الانسان عن الحيوان وهاك ما قاله في هذا الصدد في خلاصة كتابه المسمى «اصل الانسان»



دارون

« ان كثيراً من الآراء التي بسطتها تخمينية للغاية ولا أشك في انه سيتضح فساد بعضها بالبرهان القاطع ولكنني قد اوضحت الاسباب التي ساقتني الى التمسك براي دون

غيره . بيد ان المقررات الفاسدة قد تدوم طويلاً ويكون ضررها بليغاً في تأخير نجاح العلم . أما الآراء الفاسدة المعضدة ببعض البراهين فضررها قليل لانها معرضة أبداً للتمحيص بالبراهين القاطعة وتمحيصها يسد الطريق المؤدي الى الخطأ وينفتح غالباً السبيل المؤدي الى الصواب

« أما النتيجة التي توصلت اليها هنا والتي يعتقد بها الآن جماعة من العلماء ذوي الاهلية لبت الاحكام السديدة فهي : ان الانسان قد نشأ عن حيوان أحط منه بنية : والاركان التي شيدت عليها هذه النتيجة لن تزعزع ابداً لان المشابهة الشديدة بين الانسان والحيوانات الدنيا في نشوء الأجنة وفي ما لا يحصى من احوال البنية والتركيب من كثير الاهمية وقليلها والاعضاء الأثرية الباقية فيه وتعرضه من وقت الى آخر للشرود عن المألوف والعودة الى الاصل جميع هذه حقائق لا مراء فيها . وقد عرفت هذه الحقائق من زمن بعيد ولكنها لم تنبئنا بشيء فيما يختص باصل الانسان الا منذ عهد قريب »

ولننظر الآن في الادلة على مذهب التحول هذا وهي :

اولاً — قابلية التغير — يشترط لارتقاء الانسان ان يكون قابلاً للتغير جسداً وعقلاً وان يكون خاضعاً لنواميس الارث التي بمقتضاها تنتقل التغيرات التي تحدث فيه الى نسله وان تكون هذه التغيرات معلولات للعلل العامة التي يشمل تأثيرها جميع الكائنات الحية — فجميع هذه الشروط مستكملة فيه

ثانياً — مشابهة البنية — ان جسد الانسان مركب بوجه عام على مثال اجساد الحيوانات الاخرى ذوات الثدي فعظام هيكله لها مقابل في هيكل القرد والخفاش وعجل البحر مثلاً . وتمتد هذا التمثيل على عضلاته واعصابه واوعيته الدموية وخلاياه الداخلية ودماغه وهو يشترك مع الحيوانات في قابليته للعدوى ببعض الامراض مثل الكلب والجدري والزهري والكوليرا وغيرها مما يدل دلالة قاطعة على شدة المشابهة بينه وبينها في الدم والانسجة من حيث دقة التركيب والبنية . وزد على ذلك ان القرد معرض للزكام والصرع والتهاب الامعاء وكالرمد والحمى وان العقاقير الطبية تفعل فيه فعلها في الانسان . ومن النظر الى شدة ميل بعض انواع القردة الى شرب الشاي والقهوة والمشروبات الروحية التي تسكر والى الآلام العصبية التي تصاب بها على أثر السكر تتضح لنا شدة مشابهتها للانسان حتى في الذوق والحس العام . وتسطو على الانسان حليات خارجية وداخلية من نفس جنس الحليات التي تنتاب الحيوانات الاخرى من

ذوات الأثدي • ومن غريب نواميس الطبيعة ان الحبلَ والبلوغ وبعض الامراض تتبع في سيرها المدد القمرية وان ذوات الأثدي والطيور حتى الحشرات تشارك الانسان في الخضوع لهذا الناموس الغامض • ومثله ناموس التناسل فانه يجري على سنن واحد في جميع ذوات الأثدي وجميع ذلك يدل على شدة المشابهة بين الانسان والحيوانات العليا ولا سيما القرود في عموم البنية ودقة الانسجة والتركيب الكيميّ والالفة

ثالثاً — مشابهة الاجنة — ينشأ الانسان من بويضة قطرها نحو جزء من ١٢٥ من القيراط وهي لا تختلف في شيء عن بويضات الحيوانات الاخرى • وجنين الانسان في أوائل تكوينه يكاد ان لا يفرق عن اجنة سائر الحيوانات الفقرية ثم يبتدىء الاختلاف فتظهر الاطراف • واذ ذاك تنشأ أرجل العظاية وقوائم ذوات الأثدي واجنحة الطير وايدي الانسان وارجله من صورة أصلية واحدة في جميعها ولا يتضح الفرق بين جنين القرد وجنين الانسان الا في أواخر مدة النمو وحينئذٍ يستوي جنينا القرد والانسان في اختلافهما عن جنين الكلب • فينتج من ذلك أن الانسان لا يختلف في كيفية نشوءه عن الكلب والطير والضفدع والسمك ويماثل الحيوانات التي تحته مباشرة في سلم الكون في كيفية تكوينه وابتداء نموه • وفي الاطوار الاخيرة من نمو جنينه يكون الاختلاف بينه وبين القرد أقل جدًّا مما هو بين القرد والكلب

رابعاً — الاعضاء الأثرية — لا يخلو جسم فرد من الحيوانات العليا وفي جملتها الانسان من وجود الاعضاء الأثرية فيه كالثندوتين في صدر الرجل والناب الذي يبقى تحت اللثة في المجترات • فهذه الاعضاء وما ماثلها تدعى أثرية لعدم نفعها الآن لذويها مما يدل على أنها لم تنشأ تحت الاحوال الحالية • وهي شديدة التغير لعدم نفعها ويترتب على ذلك عدم خضوعها لفعل الانتخاب الطبيعي واختفائها في غالب الاحيان • ومما يستحق الاعتبار انه مع ذلك تبقى فيها قابلية الظهور ثانية في أوقات مختلفة جرياً على مقتضى ناموس العود الى الاصل • والظاهر ان السبب الاولي في صيرورة بعض الاعضاء أثرية هو عدم الاستعمال لها في أبان الاحتياج اليها وذلك يكون غالباً في زمن البلوغ • وقولنا « عدم الاستعمال » لا يقتصر على نقص عمل العضلات بل يشمل أيضاً قلة توارد الدم اليها أو كونها معرضة لاقل مما يلزم لحفظ كيانها من الضغط المتعاقب عليها ونحو ذلك من الفواعل التي تقلل عملها الخاص وتنتقل هذه الأثريات بطريق الارث الى الاعقاب ويكون ظهورها في نفس المدة التي ابتدأ ضمورها فيها • وفي جسم الانسان عضلات

مختلفة أثرية وعضلات في حالة الضمور الكلي لها مقابل في العجماوات . ومن الأثريات في الانسان عضلات ظاهر جلد الرأس التي لا تفيد الآن الا العجماوات لطرد الهوام ونحوها ومع هذا فقد ورث كثير من الناس هذه العضلات من احقاب بعيدة حتى ان بعضهم يقذف عن رأسه عدة مجلدات بمجرد تحريك جلد الرأس . ومثل ذلك عضل الاذن الظاهرة فان بعضهم ينصبون آذانهم او يحركونها الى الامام اوالوراء مثل سائر الحيوانات ومما يمكن اعتباره أثرياً ايضاً قوقعة الاذن الظاهرة وثنياتها ونواتئها والجفن الثالث المقابل للغشاء الذي يحجب به الطيور احداقها . وينبت في أماكن مختلفة من الجسم عفرٌ من الشعر تمتاز عن الشعر العادي بطولها وثخنها مما يدل على اصلها الحيواني . والظاهر ان ضرس العقل آخذ الآن في الانحطاط وسيصير أثرياً لانه لا ينبت الا في السابعة عشرة ويكون غالباً معرضاً للنقد في المتمدنين خلافاً للمتوحشين فانه فيهم على اشده . وكذلك عظم العصعص فانه يكون بارزاً جدّاً في اوائل تكوين الجنين وقد شوهد طويلاً بعد الولادة وهو مؤلف من فقرات متلاصقة ولها عضل بحالة الضمور . وقد بقي اعضاء عديدة مما هو أثري في الانسان وعامل في الحيوان اضربنا عن ايرادها اكتفاء بما ذكر — أيكون كل ذلك اعتباطاً ؟

هذه خلاصة الادلة على كون الانسان قد نشأ نشوءاً ولم يخلق مستقلاً . اما كيفية نشوئه فسنفرد لهُ مقالة برأسها ان شاء الله على ان هذا المذهب لا ينافي الدين في حقيقته ولا يناقض هبوط الوحي على الانسان بعد ان صار انساناً . ومن يستوعب الكلام المجازي الوارد عن جبل آدم من تراب والنفخ في انفه يرى له مندوحة كبرى لتطبيق الوحي على الحقائق العلمية لان الله تعالى ليس له يدٌ ليجبل بها ولا فم لينفخ به . بقي ان هذا الكلام مجازي والمجاز خلاف الحقيقة والحقيقة بنت البحث والبحث يوصل الى هذه النتيجة

(القاهرة) خليل سعد

لحوم الابل

استدراك جاء في صفحة ١٠٤ من الهلال الماضي ان اكل لحوم الابل غير محرم عند الاسرائيليين والصواب انه محرم عندهم

التنويم المغنطيسي

وآخر الآراء فيه

التنويم المغنطيسي (الهبنوتزم) من الفنون الحديثة التي اختلفت آراء العلماء فيها . وعلمنا بالامس ان حضرة نسيب افندي المشعلاني قد درس هذا الفن من باب العلم بالشيء فاقترحنا عليه ان ينفع قراء الهلال بخلاصة ما توصل اليه في هذا الموضوع بعد مطالعة كتب اصحابه فكتب الينا ما يأتي :

التنويم المغنطيسي علمٌ ظاهره غريب وداخله بسيط فاذا سمع احد بنتائجه او شاهد بعضها بين يديه عدّه من قبيل الشعوذة او خوارق الطبيعة وربما نسبه بعضهم الى اعمال الشيطان وتوهموا في المنوّم سلطة على الارواح . والحقيقة ان التنويم المغنطيسي علمٌ بسيط للغاية وفيه لذة وفائدة للناس على اختلاف احوالهم وتفاوت طبقاتهم . فالتنويم عبارة عن اشتراك الفكر واستغراقه في موضوع واحد . والفكر او العقل ينقسم في البشر الى قوتين عاملة وقابلة وباتحاد هاتين القوتين يقوم الانسان باعماله المتنوعة . فلا تصدر حركة جسدية الا بعد ان تؤثر لها القوة العاملة في الفكر فتؤثر على القابلة فتنتج الحركة . والقوة القابلة لا عمل لها الا التأثر من القوة العاملة ويسمّى هذا التأثر « استهواء » وقد يقع في الشخص نفسه فيسمى الاستهواء الذاتي او في شخص آخر ويسمى الاستهواء الخارجي وهو التنويم

وفي الاستهواء الذاتي يحصر الانسان فكره في عمل يعمله او كلام يقوله فلو استطعنا تتبع حركات عقله لمراقبة سيرها منذ تولد الفكر الى وقت حدوث الامر لوجدنا القوة العاملة ترسم الخطة المراد اتباعها وتؤثر بها على القوة القابلة وهذه تدير الحركة . فاذا طرأ على الانسان خطرٌ مثلاً تأثرت القوة العاملة باسرع من لمح البصر وطبعت تأثرها على القوة القابلة فينتج من ذلك اما رباطة الجاش والمقاومة او الخوف والفرار بحسب العامل المتولد في القوة العاملة اولاً

اما في التنويم فان فكري المنوّم والمنوَّم يتحدان و يبطلان فعل القوة العاملة في المنوَّم فتصير قوته القابلة خاضعة لقوة المنوّم العاملة وتحل هذه محل تلك في ادارة حركات الجسم . ثم ان مدة تأدية القوة العاملة وظيفتها قصيرة ومدة تأدية القوة القابلة وظيفتها طويلة . اي ان العامل اذا اثر في القابل انتهت وظيفته حالاً كأنه ناقل التأثير او هو واسطة النقل

اشبه بثقب الآلة الفوتوغرافية التي يدخل منها النور لرسم الصورة · والقابل اذا تأثر طال شعوره بهذا التأثير كأنه الصفيحة التي تُرسم عليها الصورة الفوتوغرافية فتبقى ما بقيت محفوظة · وبناء على هذا التعليل استخدموا التنويم في معالجة الامراض العصبية والردع عن العوائد المضرة · فاذا اصدرت القوة العاملة ارادتها ان يتعافى المريض او ان يقلع عن العادة الفلانية لانها مضرة تأثرت القوة القابلة بتلك الاوامر تاثيرًا يطول حتى يتمكن الوهم من الشخص فيرى نفسه متماثلاً للشفاء حقيقةً ويشفى · او يبقى كارهاً لتلك العادة حتى ينقطع عنها تماماً · انما يشترط في هذا الشعور ان تثبت القوة العاملة تاثيرها بوضوح وحزم وبدون تقلقل في الراي · لان عدم الاقتناع التام في القوة العاملة يجعل التاثير في القوة القابلة ضعيفاً فيزول سريعاً — فلو نوّم شخص وقيل له ان يعمل العمل الفلاني بالطريقة الفلانية ثم اتى في الوقت نفسه منومٌ آخر وقال له ان يعمل نفس الامر بطريقة اخرى اختلط التاثير في القوة القابلة كما لو اخذت صورتان فوتوغرافيتان على زجاجة واحدة · فترى المنوَّم يتململ متضجرًا وتظهر على وجهه ملامح الريب والاضطراب · وكثيرًا ما يستيقظ فجأةً في هذه الحالة ويشكو من صداع اليم كأن الاعصاب تأثرت من تصادم القوى

وعلى ماذكر قال مضادو هذا العلم انه مضرٌ لامكان استخدامه في مقاصد رديئة وغايات سافلة كان يؤثر المنوِّم على المنوَّم ويامره بقتل بعض الناس طعناً او بسمّ او غير ذلك · وزعموا ان التنويم يؤثر في عقل المنوَّم فيفعل الامر مدفوعاً بسلطة المنوِّم ليوقعه في شرّ او ينتقم له من عدو · والواقع ان المنوَّم لا يفعل قط ما ليس في طبيعته ولا يرتكب شيئاً يضاد مبادئه او لا يرضاه لنفسه اذا كان مستيقظاً · فاذا نوّم وأمر باجراء شيء من ذلك تحت سلطة النوم اقشعرّ جسمه واستيقظ للحال · او اذا سئل ان يتمم ذلك بعد استيقاظه فانه يسير بحسب امر المنوِّم في الوقت الذي يعينه له الى المكان الذي سماه حتى اذا بلغ المحل المذكور توقَّف وانمحى التاثير من مخيلته فجأةً · وزعم غيرهم ان نتائج التنويم مخيفة فيجب الابتعاد عنه والحذر منه لانه اذا استسلم الشخص لارادة المنوِّم اصبح اسيره فتصرف في نفسه وجسده كيف شاء — والواقع خلاف ذلك

قلنا ان التنويم مجرد اشتراك الفكر واستغراقه في امرٍ واحد · ويتصل هذا الاشتراك بين المنوِّم والمنوَّم باشعة خفية او حاسة غير منظورة او سيال كهربائي كما تنتقل الرسائل البرقية على طريقة ماركوني فلا يوصلها سلك ولا تراها عين ومع ذلك فالحقيقة ثابتة لاريب فيها · فاذا اتحدت هذه الاشعة وجعلت الفكرين واحدًا نامت القوة العاملة

في الشخص المنوَّم واصبحت قوة عقله متحدة بقوة المنوِّم العاملة فيكيفها كما يشاء . وفي اذا تلقَّت من المنوِّم ارادته حركت جسم النائم فيفعل او يقول ما يامره به المنوِّم ويكون اذ ذاك مع وجوده في حالة النوم الطبيعية غائب الشعور وغير فاقد الحركة فيجري ما اوجده المنوِّم فيه من التصورات او ما يستهويه به في اثناء نومه

فيجدر بنا الآن ان نذكر للتنويم الحقائق الآتية :

١ً لا ينتج عن التنويم المغنطيسي ضرر

٢ً للتنويم المغنطيسي منافع كثيرة

٣ً لا يمكن تنويم شخص الا اذا اراد هو ذلك وساعد المنوِّم عليه

٤ً لا يشترط ان يكون للمنوِّم قوة خصوصية او سلطة مطلقة على المنوَّم

٥ً لا يدل التنويم على ضعف عقل المنوَّم او جسمه فان ضعفاء العقول يصعب تنويمهم . والمجانين لا يمكن تنويمهم مطلقاً مع ان الاذكياء واصحاب الارادة القوية ينامون بسهولة كلية

٦ً يجوز ان الشخص لا ينام من المرة الأُولى او الثانية

٧ً لا يشعر المنوَّم متى افاق بتعب او احساس غريب كما يتوهم البعض بل يرى نفسه كما كان قبل التنويم او أحسن

٨ً يمكن لكل انسان ذكراً كان او انثى ان ينوِّم او ينوَّم اذا شاء .

٩ً يمتاز المنومون في سرعة التنويم بما فيهم من المغنطيسية الشخصية ولكن النتيجة واحدة

﴿ المغنطيسية الشخصية ﴾ هي قوة في الانسان تجذب اليه قلوب معارفه فيمتلك ثقتهم وتحببهم وهي اما طبيعية او اكتسابية . وقد بحث العلماء كثيراً في تحديد هذه القوة فاجمعوا على ان اساسها الارادة وتكمل باتحاد القوى العقلية . و يغلب في صاحب هذه القوة ان يكون دقيق الشعور ابي النفس ثابت العزم عالماً بنفسه تمام العلم . لان الافكار المتقلبة والثقة المتزعزعة والرأي الضعيف من اعظم المثبطات عن الحصول على هذه الصفة . وتدعى المغنطيسية الشخصية في الدارج « الجاذب » فيقولون « فلان له جاذب قوي » ومعنى ذلك انك اذا قابلته وجدت فيه لاول وهلة ما يستميلك الى مداومة الاجتماع به ويشتد ذلك الميل فيك حتى لا تعود تريد الانقطاع عنه وربما كان سبب هذا الجاذب الجمال او عذوبة اللفظ او حسن التركيب ونظافة اللباس . والصحة الجيدة دخل كبير في الجاذب او المغنطيسية الشخصية . اما اكتساب هذه القوة فيكون بالتدريب والمزاولة بطريقة يذكرها علم التنويم

درجات التنويم — ويقسم التنويم المغنطيسي الى اربع درجات . (الدرجة الاولى) الاستهواء : وهي ان يمثل المنوّم للمنوَّم شيئاً بقوة عارضته وفصاحته حتى يجعله يعتقد بما يريده ولو كان ذلك مما لا يسلم به عادة . ويكون الشخص في هذه الدرجة صاحياً لم يفقد شعوره . فيعطيه المنوّم مثلاً شيئاً يقبض عليه بعنف ثم يؤكد له بالاستهواء ان يديه قد التصقتا بذلك الشيء وانه لا يقدر على فصلها معاً جاهد فيجرب المنوَّم ان يفصلها ولكنه كلما سعى في ذلك زادت يداه التصاقاً فلا يقوى على فصلها . ومثل ذلك اذا امره ان يمد رجله ولا يستطيع ارجاعها او ان يجلس على كرسي ولا يقوى على النهوض عنه الى غير ذلك عن الحركات الجسمية . فترى المنوَّم مع وجوده في حال اليقظة التامة قد اصبح شديد التأثر من افكار المنوّم حتى يعمل كل ما يأمره به كأنه امات ارادته الشخصية بالكلية وعلى الغالب لا يطول هذا التأثير في الدرجة الاولى اكثر من بضع دقائق

(الدرجة الثانية) النوم الخفيف : وهو اشبه بمن يحلم في نومه الطبيعي وفي هذه الدرجة يصور المنوّم للمنوَّم اموراً غير موجودة او يامره بامور لم تكن تخطر له قبلاً فيجري تلك الاوامر كانه في حلم . فاذا اتى المنوّم بحجر وقال للمنوَّم هذه قطعة من الحلواء كلها فانه يتناولها معتقداً بصحة ما سمع ويقضم منها بلذة كانه يأكل الحلواء حقيقة . او اذا وضع امامه كرسياً وقال له انني واضع امامك دراجة فاركبها نهض المنوَّم فركب الكرسي وحرك رجليه صاعداً ونازلاً كانه على مقعد الدراجة . ومتى افاق المنوَّم في هذه الدرجة يتذكر شيئاً من فعله كما يتذكر الحلم

(الدرجة الثالثة) النوم الثقيل : وفيه يفقد المنوَّم الشعور والادراك تماماً ويصير آلة بيدها المنوّم كيف شاء . فيقوم بما يطلب منه بدون احساس ولا سؤال ولا اعتراض . واذا بُتر عضو من اعضائه او ادخل في جسمه دبوس او آلة اخرى جراحية لا يشعر بالم ولا تظهر على وجهه علامة تدل على التأثر او الاحساس . ومتى افاق في هذه الدرجة لا يتذكر شيئاً مما جرى له او عمله في اثناء نومه

(الدرجة الرابعة) السبات العميق : والغرض منه استطلاع الاشياء البعيدة وتقسم هذه الدرجة الى ثلاثة اقسام : السهل والممكن والمستحيل . فالسهل ان تامر الشخص المنوَّم بان يتكلم في لغة يجهلها او يصف لك بلاداً لا يعرفها الى غير ذلك ويشترط ان يكون المنوّم عارفاً بذلك . فمتى نوّم الشخص حصر المنوّم عقله في الوصف او الكلمات المطلوبة فطبعت ارادته على قوة عقل المنوَّم القابلة وجعلته يردد الوصف بدقة ووضوح وهو يجهل ما يقوله .

ويتم ذلك باشتراك الفكرين كما اسلفنا · ويملي فكر المنوّم بكهربائيته على فكر النائم القابل بعد ابطال العامل منه بالتنويم فينطق هذا كانه امات دماغه واستعاض عنه بدماغ منوّمه · اما الممكن فهو ان يُسال المنوّم عن شخص بعيد و يطلب منه ان يصف حالته حين السؤال عنه اذا كان يجهلها المنوّم والمنوّم جميعاً · ويتم ذلك بان يجتهد المنوّم ليجعل القوة القابلة في المنوّم بغاية ما يكون من شدة الاحساس و يوجهها بدقةٍ الى الشخص المطلوب فيصير العقل متجهاً بكليته الى تلك النقطة لقبول الاشعة المنبعثة منها · و يكون النائم في درجة لا تدرك من شدة التأثر حتى يجتذب اليه اقل اشعة يوصلها البعد مهما كان شاسعاً و يصفها كما لو كانت امامه · ولا تنكر صعوبة هذه الدرجة في علم التنويم غير انها ممكنة وقد جرَّبها ارباب هذا الفن فنجحوا مراراً حتى عدّلوا صحة ذلك بنسبة خمسة في المئة · اما المستحيل فهو ان يطلب من المنوّم التنبوء عما سيجيء او النظر في المستقبل وهذا لم تنبئ تجربة بعد باحتمال صيرورته لان علم المستقبل لله وحده

(قراءة الافكار) ويشتق من هذه الدرجات او بالحري من القسم الممكن في الدرجة الرابعة قسم آخر يسمى (قراءة الافكار ومراسلتها) ولهذه القوة وصف طويل وبراهين قوية وحجج دامغة نكتفي منها بما يدل عليها : لم يخطر على بال بشر قبل اختراع السلك البرقي ان يتخابر الناس على بعد ألوف من الاميال · فلما شاع استعماله واشتهرت القوة الكهربائية وسيرها على الموصل المعدني هان على الناس تصديقه وصاروا يهزاون بمن لا يصدقه · ثم قام ماركوني الشهير فادعى ايصال القوة الكهربائية بلا سلك فكذبه كثيرون ثم ما لبثوا ان رأوا عياناً ما ظنوه من المحال وتقرر في الاذهان ان القوة الكهربائية متى اندفعت نشأ عنها تموّج كتموّج الصوت · فاذا كانت الآلة القابلة مستعدة تناولت تلك التموجات وحصرتها كانها قادمة اليها بالسلك الموصل · ومراسلة الافكار اشبه شيء بتلغراف ماركوني هذا لان للعقل اشعة كهربائية تنبعث منه الى الفضاء حتى تبلغ العقل القابل المستعد لاستقبالها · ولا اقول ان كلّ شخص تفرس في وجه صاحبه يستطيع قراءة افكاره او كل من فكر بصديق بعيد خاطبه عقلياً فاجابه · كلاّ · ولكنني اقول لو اتفق اثنان بعيدان على ساعة معينة يتخاطبان بها عن بعدٍ وحضر كل منهما في غرفته بالوقت المحدد وافرغ دماغه من الافكار الاخرى وخصص تلك الساعة للتفكير بصديقه يشعران بتبادل الافكار او تقاربها · ولو دوّن الاثنان ما يخطر لهما من الافكار في تلك الساعة ثم تقابلا لوجدا المخاطبة دائرة في موضوع واحد ولو لم يتفقا عليه قبلاً ·

ويمكن تجربة ذلك بسهولة في كل حين وقد جربها كثيرون ومنهم المستر ستيد صاحب مجلة المجلات فانه كثيراً ما خاطب اصدقاءه في فرنسا وغيرها بهذه الطريقة وكانت النتيجة كانه خاطبهم بالرسائل العادية غير ان هذه الطريقة اخصر واسرع

ومن اغرب ما روي عن مراسلة الافكار ان فتاة في نيويورك لم يبقَ من اسرتها الا اخٌ كانت تحبه محبة شديدة ولا تطيق فراقهُ دقيقة واحدة . فقضت الاحوال مرة انه سافر الى نيواورلينس وترك شقيقته عند بعض الاصدقاء وكانوا يحاولون تسليتها على فراق اخيها وهي لا تفترعن ذكراه والتشوق الى عودته . وفي مساء اليوم الثالث من غيابه جلست الفتاة بين اعضاء تلك العائلة وقد تجاذبوا اطراف الحديث كالعادة واذا بها قد انتفضت بغتة وسدت اذنيها بيديها وصاحت قائلة « آه ما اقوى هذا الطلق الناري ويلاه قد صرع اخي وهو يناديني ... لبيك يا اخي هاانذا قادمة اليك » ثم خطت خطوتين في الغرفة وسقطت مغمى عليها . فنسبوا ذلك الى شدة تعلقها باخيها وانه عارضٌ عصبيٌ زائل ولكنهم ما اصبحوا حتى جاءتهم رسالة برقية من نيواورلينس تنعي اليهم ذلك الاخ مقتولاً برصاصة اخترقت صدره في الوقت الذي رأته شقيقته او سمعت صوته

(ضرر التنويم ومنافعه) زعم بعضهم ان التنويم يتعب الجسم وينهك القوى ويضعف العقل ويأسر الروح الى غير ذلك والحقيقة انهم لم يذكروا ضرراً حصل من التنويم . غير انه قد يتفق في التنويم عوارض اثبت البحث الطبي انها نشأت عن خلل في وظائف الجسم وليس للتنويم دخل فيها اكثر من دخل مركبة مات فيها رجل من مرض مزمن او من انحلال طبيعي — فهل يقال ان ركوبه المركبة اماته . فان نسبة ركوب المركبة الى موت الرجل كنسبة التنويم الى الآفات التي قد تعرض للمنوَّم

اما فوائد التنويم فكثيرة جدًّا لا بأس من ذكر بعضها . منها شفاء الامراض العصبية وتسكين الآلام وتقوية الذاكرة والاقلاع عن العادات المضرة فضلاً عن التسلية والفكاهة . ولا يخفى ان كثيراً من الامراض ينتجها الوهم ويشفيها الوهم فلا تكون الادوية والعلاجات المستعملة لها الا اعتقاد العليل قرب الشفاء فيتوقع ذلك ويشتدُّ فيه هذا الاعتقاد حتى يشفى من توطيد عزمه على الشفاء لا من الوسائل العلاجية . ففي مثل هذه الامراض وخصوصاً الآلام العصبية في الاذن والاسنان والرأس ينوَّم العليل على طريقة خاصة ويؤكد له المنوِّم ان المرض او الالم يفارقه شيئاً فشيئاً ويدنهويه تحت سلطة النوم حتى يرسخ في عقله زوال المرض . فمتى ايقظته وجد العليل نفسه مرتاحاً

لا يشكو ألماً . وقد يتم الشفاء بعد تنويم العليل مرة واحدة وقد يحتاج الى غير مرة حسب الظروف وتثبت فكر المريض بالداء . ولا ينكر الاطباء الجراحون واطباء الاسنان فائدة التنويم المغنطيسي في العمليات الجراحيـة وتفضيله على سائر المخدرات والمغيبات لان أكثرها كالايثير والكلوروفورم وماشا كل تخلف بعد استعمالها انحرافاً وتوعكاً وقد يتحرك العليل تحت فعلها في أثناء العملية فيعيق الجرّاح . أما التنويم فانه يستخدم في مثل هذه الحال في درجته الثالثة فيشاهد العليل قطع رجله مثلاً وهو يبتسم ولا يتحرك كأن رجله ليست من جسمه او كأنه ينظر الى شجرة أو جسم آخر لا علاقة له به . ومتى فرغ الجرّاح من عمله أيقظ المريض المنوّم فيستيقظ ولا يذكر شيئاً مما جرى له وقد لا يشعر بالالم البتة

أما فائدة التنويم الادبية فيكفي منها ارجاع الناس عن العادات المضرة كالادمان على السكر أو التدخين فانهم قد يرجعون عنها بالاستهواء . وقد نوّم بعضهم أحد المدخنين لمثل هذه الغاية فلما أيقظه قدم له سيكارة فاشمأز من النظر اليها وأخذه القيء من التفكير بها وانقطع لساعته عن التدخين . وللتنويم فائدة كبرى في تقوية الذاكرة وترقية الآداب — ادرك نفعها كثيرون فكانوا يذهبون الى بعض المنوّمين المعروفين ويتعالجون عندهم لمثل ذلك . أما استخدام التنويم للتسلية والفكاهة في المجتمعات العائلية فلذيذ ومضحك كتنويم بعضهم واستهوائهم حتى يجروا أموراً ادبية مضحكة مثل ركوبهم على الكراسي وهم يعتقدونها خيولاً او نفخهم في عود وهم يحسبونه آلة موسيقية او صيدهم في قبعة وهم يظنونها بحراً متلاطماً بالامواج الى غير ذلك

وقد يستطيع صاحب هذا العلم ان ينوم نفسه ويحصل على الفائدة المطلوبة . ولربّ قائل يقول اذا نام انسان وليس من يوقظه فكيف العمل هل يترك الى ان يموت . فالجواب ذلك ان التنويم المغنطيسي لا تطول مدته كثيراً فاذا نوّم الشخص وترك نفسه ظل نائماً على الكثير ساعة ثم يتحوّل التنويم الى نوم طبيعي وينتهي بالاستيقاظ كالعادة

(الاشخاص الممكن تنويمهم) من المقرر ان كل ذي عقل سليم يمكن تنويمه ان لم يكن في المرة الاولى ففي الثانية او الثالثة الى الرابعة . وقد تختلف طريقة التنويم فمنهم من تكفيه عملية بسيطة مختصرة ومنهم من يقتضي له عملية أكبر واطول . ولا يؤثر تكرار التنويم على الشخص الواحد مطلقاً فلو نوّم الواحد مرة في اليوم وداوم ذلك عشر سنوات لا يصيبه ضرر مطلقاً . وقد تقدم ان الانسان لا ينام بدون ارادته غير ان

ذلك يصح على التنويم في اول مرة فاذا تكرر تنويمه أمكن منوّمه ان ينوّمه أراد هو أولم يرد قرب منه أو بعد

(وجوب اتقان هذا العلم) قد يرى دارس هذا العلم انه لازم لكل فرد من أفراد المجتمع الانساني . واذا لم يستخدمهُ في جميع درجاته فلا اقل من ممارسته في درجته الاولى . فالاب اذا اتقنه تمكن من تقويم سلوك اولاده واكتساب طاعتهم له والاساتذة يرون فيه سهولة عظمى لادخال تفاسيرهم في عقول التلامذة وافهامهم معانيها . والخطباء والمشترعون لهم فيه اكبرمساعد على استلفات انتباه السامعين واقناعهم بما يريدون والتاجر يفيده في اقناع زبائنه بجودة سلعه ورخص ثمنها . وبالاختصار فكل انسان ينتفع من درس هذا العلم ويرى فيه تحسيناً للهيئة الاجتماعية وترقية للعقول

هذا ما أمكن اختصاره في وصف هذا العلم ولم نكتب غير الحدود العامة . لانه علم واسع جدًّا لما فيه من القواعد والروابط ولاشتماله على درس المرئيات والبصريات والقوى الدماغية مما تؤلف فيه المجلدات الضخمة وفي النية وضع كتاب عن هذا العلم في اللغة العربية قريباً ان شاء الله

(مصر) نسيب المشعلاني

اقوال العرب في حب البنين

غضب معاوية مرة على ابنه يزيد فارسل الى الاحنف بن قيس فسأله عن رأيه في البنين فقال « ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك ويحبوا وفاتك » فقال « لله انت يا احنف لقد دخلت عليَّ واني لمملوء غضباً على يزيد فسللته من قلبي »

وقال المعلي الطائي

لولا بنيات كزغب القطا خططن من بعض الى بعض
لكان لي مضطرب واسع في الارض ذات الطول والعرض
وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض

اللغة العامة

الاسبرانتو Esperanto

الاسبرانتو لغةٌ وضعها جماعة من ادباء الافرنج لتكون لغة عامة يتخاطب بها الناس على اختلاف مواطنهم ولغاتهم · والغرض منها تسهيل المواصلات التجارية والسياسية ونحوها بالمخابرة بلغة قريبة التناول يسهل تعلمها في وقت قصير · وقد ذكرنا غير مرة ما كان من اجتهاد اصحاب هذه اللغة في تأييدها وتعميمها · وقد خطوا خطوة مهمة في هذا السبيل فألفوا الكتب لتعليمها وانشأوا الجرائد لنشر اخبارها والمخابرة بها وشكلوا الجمعيات لنصرتها والاتفاق عليها · ومن اكثر الناس سعياً في ذلك الانكليز والفرنساويون ولا ندري ما سيأول اليه امر هذه اللغة · على اننا لا نرجو طول بقائها لاسباب كثيرة لا محل لها هنا وانما غرضنا وصف اللغة المشار اليها وذكر قواعدها وامثلة من الفاظها ولا يخلو ذلك من فائدة وفكاهة

لما كان الغرض من وضع لغة الاسبرانتو تسهيل المواصلات والمخابرات فالواجب الاول على واضعيها توخي اقرب الطرق لتسهيل تعليمها فوضعوا الفاظها على كيفية تقرب فهمها وتسهل حفظها على امم اوربا فشقوها على الغالب من اصول لاتينية تكاد تكون عامة في لغات اوربا وخصوصاً في فروع اللغة اللاتينية · وجعلوا تهجئتها بسيطة لا تحتاج الى حذف ولا ابدال فالحرف الواحد له نطق واحد حيثما جاء وليس في الكلمة حرف لا ينطق به · وعبَّروا عن الاحرف المركبة في اللغات الافرنجية بحرف واحد فوقه علامة تدل على لفظه · وكذلك الاحرف التي يختلف لفظها باختلاف موقعها من الكلمة فالحرف g يختلف التلفظ به باختلاف موقعه قبل u, a, o او e, i فصاحب لغة الاسبرانتو ميَّز بين النطقين بعلامة كالثمانية توضع فوق الحرف فتدل على انه يُلفظ ليناً · فحرف g بدون علامة ينطق قاسياً كالكاف الفارسية و بالعلامة ينطق كالجيم العربية في لغة اهل الشام · ومثله حرف h بين ان يلفظ هاء او لا يلفظ · وقس على ذلك الحروف المركبة فانهم استخدموا حرف s وفوقه تلك العلامة بدلاً من sh الانكليزية او ch الفرنساوية · واستبدلوا tch بحرف c فوقه العلامة المذكورة واهملوا لفظ c كافاً وعوَّضوا عنها بحرف k

وتوخوا تقليل الالفاظ بحيث لا تزيد الاصول اللفظية في هذه اللغة على بضع مئات يمكن التعبير بها عن كل ما يخطر في البال · والسرُّ في ذلك انهم اصطلحوا على

أدوات اذا أُلحقت في اول الكلمة او في آخرها غيَّرت معناها تغييراً يمكن اطلاقه على مجموع كبير من الالفاظ — مثال ذلك ان الاداة mal اذا أُلحقت في اول الكلمة جعلتها تدل على ضد معناها الاصلي فعندهم مثلاً granda كبير و malgranda صغير و afabla محبوب و malafabla مكروه وقس عليه · و eto تزاد في آخر الكلمة للتصغير فمعنى knab عندهم صبي و knabeto صبي صغير اي طفل و stono حجر و stoneto حجر صغير · وعكس ذلك ego فانها للتكبير · و ido بمعنى ابن فيقولون cevalo حصان و cevalido مهر · و aro للجماعة فيقولون arbo شجرة و arbaro غابة · و ero للتجزوء فيقولون greno حنطة و grenero دقيق · و ilo للآلة كقولهم kudro خيط و kndrilo آلة الخياطة اي الابرة · و ge توضع في اول الكلمة لجمع الجنسين فيقولون frato اخ و gefratoj بالجمع اخوة واخوات · غير ما توخوه من امثلة ما في اللغات الاخرى مثل re للتكرار و dis للفصل وغيرها

على ان اهم ما وضعوه من اسباب التسهيل انما هو في قواعد اللغة فقد التزموا فيها البساطة والاختصار على قدر الامكان وجعلوها قياسية بلا شواذ ولا استثناء · فعندهم للتعريف اداة واحدة la سواء كان الاسم مذكرًا او مؤنثًا مفردًا او جمعًا فهي مثل ال التعريف العربية تمامًا · والاسم ينتهي عندهم دائمًا بالحرف o مذكرًا كان او مؤنثًا · والجمع يصاغ بزيادة j في آخر الكلمة · فعندهم patro اب و patroj آباء و patrino ام و patrinoj امهات · والنعت ينتهي دائمًا بحرف a والجمع aj معها يكن الجنس · وهو يصاغ كذلك من الاسم فعندهم patra أبوي و patrina أُمي وكلاهما يجمعان باضافة j في الآخر · والظرف يصاغ بزيادة e بدل a في النعت فيقولون patre ابويًّا

اما الفاظ هذه اللغة فقد توخوا في اختيارها قربها من اصول الالفاظ في لغات اوربا فجعلوا معظمها من اصل لاتيني كما تقدم وبعضها من اصل جرماني او يوناني واليك امثلة من الفاظها :

(١) امثلة من الاسماء

عائلة	familio	ابن	filo
جد	avo	اخ	frato
اب	patro	حفيد	nepo

عم	onklo	كلب	hundo
ابن اخ	nevo	قطة	kato
زوج	edzo	حصان	ĉevalo
رجل	viro	بقر	bovo
انسان	homo	عصفور	birdo
سيد	sinjoro	زهر	floro
صبي	knabo	حجر	stono
خادم	servisto	قرية	vilago
جار	najbaro	مدينة	urbo
صديق	amiko	وقت	vetero

(٢) امثلة من النعوت

كبير	granda	سعيد	felica
جيد	bona	عزيز	kara
شاب	juna	محبوب	afabla
جميل	bela	وحيد	sola
حر	varma		

(٣) وهذه امثلة من الافعال

الكون	esti	الكتابة	skribi
القدرة	povi	الغناء	kanti
الواجب	devi	اللعب	ludi
العمل	fari	العدو	kuri
الزيادة	kreski	المجي	veni
القراءة	legi	الطيران	flugi

(٤) ومن امثلة الاحرف ونحوها

الى	al	لكن	sed
في	en	نعم	jes
على	sur	لا	ne
تحت	sub	الآن	nun
من	de	دائماً	ciam
مع	kun	ايضاً	ankoraŭ
واو العطف	kaj	هل	ĉu ?

والضمائر خمسة فقط للفرد والجمع وهي mi و ni للمتكلم والمتكلمين و vi للمخاطب والمخاطبين و li و ili للغائب والغائبين . وهي تقوم مقام ضمائر الرفع والنصب والجر في العربية . والاعداد موضوعة على غاية البساطة وهي : unu, du, tri, kvar, kvin, ses, sep, ok, nau, dek, ثم تجمع العشرة مع الآحاد هكذا dekunu ١١ ولاجل العقود تجعل الآحاد قبل العشرات على هذه الصورة dudek عشرون tridek ثلاثون وهكذا

واما الفعل فالمصدر ينتهي دائماً بحرف i وتشتق منه ثلاثة ازمنة الحاضر والماضي والمستقبل بابدال i بحرفي as للحاضر و is للماضي و os للمستقبل . فمن فعل fari العمل مثلاً mi faras انا اعمل و vi faris انت عملت و li faros هو سيعمل ويصاغ الامر بحرف u فيقولون faru اعمل . وهناك قواعد بسيطة للازمنة الشرطية وغيرها والمجهول يصاغ باضافة فعل الكون esti وليس في لغة الاسبرانتو فعل مساعد سواه فيصرف مع اسم المفعول كما في لغات اوربا ولكن على اسلوب ابسط واخصر

وقس على ما تقدم اختصارهم في احرف العطف والجر والنداء وصيغ التفضيل واسماء الموصول والاشارة ونحوها . وقواعد النحو بسيطة جداً يقلّ فيها الالتباس او الابهام . ويمكن تعليم لغة الاسبرانتو بكتاب لا تزيد صفحاته على مئة صفحة وفيه الصرف والنحو والمفردات والمشتقات وغيرها . وقد لا يحتاج عارف اللغة الفرنساوية او الانكليزية او غيرهما من لغات اوربا الى اكثر من عشرة ايام الى عشرين يوماً لتعلمها بحيث يستطيع الكتابة بها بدون غلط

وهذه جمل قصيرة من لغة الاسبرانتو ننشرها على سبيل المثال ويمكن ترجمتها استناداً الى ما تقدم :

La onklino legas kaj la nevinoj kuras kun la junaj knaboj en la vilago.— Edzo kaj edzino estas geedzoj .— Cu la filino de la najbaro estas granda ? Jes, sinjoro, sed la filino de la servisto estas malgranda kaj malbela.—Cu la felicaj gefiancoj estas ankaraŭ en la gardeno de la maljuna kuzo? Ne, sinjorino, la fraŭlino estas sola, la fianco estas ce la najbaro.

كتاب النبي الى المقوقس

كتب الينا الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي في اكسفورد أنه أرسل هلال نوفبر الماضي الى أحد المستشرقين المشهورين يسأله ان يطلع على ما نشرناه فيه عن كتاب النبي الى المقوقس ويطلب اليه ان ينشر رأيه في أمر هذا الكتاب . ووعدنا الاستاذ المشار اليه أنه سيكتب الينا برأيه الخصوصي أيضاً في هذا الموضوع. ونبهنا الى مقالة نشرت بشأن هذا الكتاب في المجلة الاسيوية الفرنساوية لسنة ١٨٥٤ أي منذ نصف قرن وتقدم الينا في مطالعتها . فشكرنا فضله على تنبيهنا الى ذلك وعلى مشاركتنا في البحث عن الحقيقة فانها ضالة كل باحث منصف

فاطلعنا على المقالة المذكورة في المجلة الاسيوية الصادرة في دسمبر سنة ١٨٥٤ فاذا هي عبارة عن رسالة من المسيو بلن بعث بها من القاهرة في ١٠ مارس سنة ١٨٥٢ الى المسيو رينو أحد أعضاء المجمع العلمي الفرنساوي يخبره فيها ان المسيو اتيان برتلمي أحد المستشرقين الفرنساويين المقيم في القاهرة عثر في دسمبر سنة ١٨٥٠ بدير قرب أخميم على رق بال فيه آثار كتابة عربية وان الرق المذكور كان ملصقاً بأوراق أخرى قبطية على جلد كتاب قديم فاضطر لفصله واستغراده أن يبله بالماء فازداد بلاء وتهرؤاً . على أنه احتال في حفظه وتسوية سطحيه بضغطه بين صفيحتين من زجاج بحيث يسهل عليه درسه بدون ان يتقطع بين يديه فضلاً عما كان قد ذهب منه

فلما تمكن المسيو برتلمي من تحضير الرق على هذه الصورة أخذ في حل رموزه فلم يجد عليه من الكتابة الأ كلمات متقطعة وأحرفاً متبعثرة . وقد نشرت المجلة الاسيوية المذكورة صورة ذلك الرق فاذا هي شبيهة بالصورة التي نشرناها في الهلال الماضي على اجمالها ولكنها أقل وضوحاً منها اذ لم يكن عليها من الكتابة الأ أثر ضعيف . كأن صورة الهلال منقولة عن تلك بتصحيح كثير مع حفظ شكلها الاصلي . واسطر الرق المذكور ١٢ سطرًا مثل أسطر صورة الهلال . وفي أسفلها ختم مستدير في اعلاه اثر اسم الجلالة . واليك ما قرأه صاحب الاكتشاف يومئذ على ذلك الرق مرتباً على حسب موضعه من الصورة باعتبار الاسطر

١ بسم لله الر . . . حمن الره . . . . محمد عبد الله و

٢ رسوا . . . . ع . . بيم القبط . . . . . على

٣ من اتبع الهدى . . . .

٤ . . . .

٥ . . . . . . توكل بالله العظيم في كل الاحوال

٦ فان توليت فعليك بالعدل والقسط

٧ ي . . هل الكتاب سيروا الى كلمة

٨ سوا بيننا وبينكم الا نعبد الأ . . لله

٩ ولا نعو . . .

ولم يقرأ الاسطر الثلاثة الباقية ولا الختم

قال المسيو بلن انه اهتم بذلك الاكتشاف وأخذ في حل رموز ما أشكل على برتلمي فتبادر الى ذهنه أنه كتاب النبي الى المقوقس فراجع نصوص هذا الكتاب في حسن المحاضرة وغيره من تواريخ المسلمين وغيرهم فاستعان بذلك على اتمام قراءته ورده الى نحو ما كان عليه قبل ان تهرأ . فقرأه كما يأتي مع اعتبار ترتيب السطور في الاصل :

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ور

سوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على

من اتبع الهدى أما بعد فاني اد
عوك بدعاية الاسلام فاسلم
تسلم يؤتيك الله أجرك مرتين
فان توليت فعليك اثم القبط
يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سوا بيننا وبينكم الاَّ نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا
بعضاً أرباباً من دون الله فان
تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسـ
لمون

الله
رسول
محمد

قال الكاتب وان ما يشاهد من هذه الحروف على أرق قليلٌ . وانه انما قرأه بمساعدة النصوص التاريخية . ثم بحث في شكل الخط الكوفي وعصره وفي هل هذا الرق هو النسخة الاصيلة او هو مزوّر . وهاك ما ختم به بحثه قال وهو يخاطب المسيو رينو « والاقرب الى الامكان على ما يظهر لي — الاَّ ما قد يكشفه علمكم الواسع ونظركم الناقد — ان هذا الرق هو الكتاب الاصلي الذي أرسله النبي محمد الى المقوقس وأنه بقي مدة في جملة المحفوظات القبطية في البطريركية فلما اختلت أحوال القبط في أيام الاضطهاد ضاع هذا الكتاب في جملة ما تشتت من أوراقهم وكتبهم وانتقل من يد الى أخرى حتى وقع الى راهب جاهل استخدمه في تجليد ذلك الكتاب ولولا ذلك لم يبق الى الآن »

هذه خلاصة ما كتبه المسيو بلن الى المسيو رينو ولا نعلم ما كان من جواب هذا المستشرق الكبير رحمه الله . ولا ما آل اليه أمر هذا الرق ولا اين هو الآن . فاذا صح

ما تقدم ذكره من خبر اكتشافه فلا بدّ من أن يكون محفوظاً في بعض المتاحف أو الخزائن اذ لا يعقل ان يعود الى الضياع بعد ان وصل خبره الى المجمع العلمي الفرنساوي واطلع عليه كبار المستشرقين يومئذ . ولا بدمن أن يكونوا قداعادوا النظر فيه وفحصوه وتوصلوا الى الحكم النهائي بشأنه . وعلى كل حال فانا في انتظار ما سيأتينا به الاستاذ مرجليوث في هذا الشأن فعسى ان يشفع رأيه بما يعلمه من مصير هذا الرق بعد اكتشافه وله الفضل

الكهربائية اصل مادة الكون

أو آخر آراء العلماء في المادة

✻ الجوهر الفرد ✻ الانسان ميال من فطرته الى البحث عن علل الاشياء واقدم ما استلفت انتباهه من هذا القبيل النظر في اصله واصل ما يحيط به من الموجودات الحية وغير الحية فقضى ادهاراً وهو في دهشة مما يشاهده من حوادث الطبيعة . حتى اذا انقضى زمن الدهشة وتعلم الانسان بتوالي الاحقاب اصبح البحث في ذلك من شأن الفلاسفة واقدم من وصل الينا رأيه في اصل الكون اليونان واقدمهم طاليس — قال « الماء اصل كل شيء » ثم قال الذين جاؤوا بعده ان اصل الكائنات الماء والهواء والنار والتراب وما زال ذلك الرأي معوَّل اهل العلم حتى نشأت الكيمياء الحديثة المبنية على المشاهدة والاختبار وحللوا الاجسام وارجعوها الى عناصرها الاصلية . فوجدوا ان مواد الارض مؤلفة من عناصر بسيطة بعضها غاز وبعضها سائل وبعضها جامد لا يزيد عددها كلها على ثمانين عنصراً . وان من تركب هذه العناصر بعضها مع بعض تتكون مواد الارض على اختلاف اشكالها واقدارها من الاحياء والجوامد

ثم بحثوا في العناصر المذكورة ودرسوا خصائصها وسائر احوالها فتوصلوا الى القول بوحدة اصلها . ومعنى ذلك انها مركبة من عناصر ابسط منها وربما رجعت كلها الى عنصر واحد بسيط في غاية اللطافة هو المادة الاصلية . وان من تركب جواهر هذا العنصر بعضها ببعض تتكون العناصر التي نسميها بسيطة . ثم نظروا مثل هذا النظر في القوى الطبيعية وهي النور

والحرارة والكهربائية والمغنطيسية والجاذبية فوجدوا انها ترجع الى قوة واحدة اصلية · فاصبح الكون عندهم يرجع الى شيئين اصليين «المادة والقوة» وان المادة مؤلفة من اجزاء صغيرة جدًّا لا تدرك الا بالوهم سموها «الجواهر الفردة» وان القوة عبارة عن حركة في تلك الجواهر · فاصل الموجودات عندهم (١) المادة ومرجعها الى الجواهر الفردة (٢) القوة ومرجعها الى حركة تلك الجواهر

وما زال هذا هو الرأي المعوَّل عليه عند علماء الطبيعة حتى اكتشفوا اشعة رنتجن ثم وقفوا على خصائص الراديوم على ما بيناه في اهلة السنة الماضية · فتغير نظر العلماء في اصل الموجودات فاصبحت الكهربائية عندهم اصل كل شيء · فالجواهر الفردة في اعتبارهم مؤلفة من كهربائية سلبية وكهربائية ايجابية وان اسباب ما يظهر لنا من حوادث هذا الكون عبارة عن افلات الكهربائية السلبية على ما سنبينه في ما يلي وفيه خلاصة ما وصل اليه اهل البحث في هذا الموضوع

﴿الكهربائية﴾ من الامور المالوفة حتى عند صغار الطلبة ان الكهربائية نوعان سلبية وايجابية كل منها تدفع نفسها وتجذب رفيقتها وان السلبية اكثر اندفاعاً من الايجابية · فالجسم الذي تزيد فيه الكهربائية السلبية على الايجابية نقول ان كهربائيته سلبية فاذا زادت الايجابية قلنا ان كهربائيته ايجابية · واذا تساوت الكهربائيتان في جسم لم تظهر فيه كهربائية وقيل ان كهربائيته متوازنة — ذلك هو رأيهم في الكهربائية من عهد فرنكلين اي منذ قرن ونصف قرن · ثم قام كلارك مكسويل منذ ثلاثين سنة ووضع رأياً خلاصته ان الكهربائية ليست من القوى الطبيعية كالحرارة او النور وانما هي سائل ينتقل من جسم الى آخر كما ينتقل الماء او نحوه · فالكهربائية عنده لا يمكن توليدها كما تتولد الحرارة وانما يمكن نقلها من مكان الى آخر وهي اصل القوى الطبيعية · فاذا أُطلقت سميت شرارة كهربائية واذا انتقلت فهي مجرى كهربائي او مغنطيسية واذا اهتزت اهتزازًا فهي نور · اما ماهية الكهربائية نفسها فلم يعرفوها

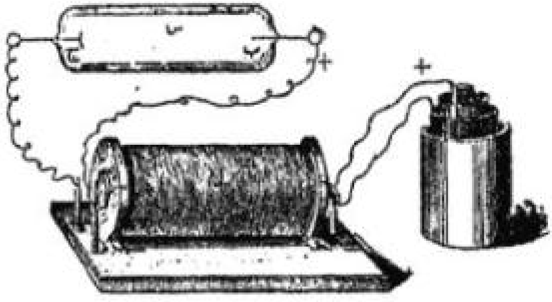
واما اهل الرأي الحديث في الكهربائية فقد تقدموا خطوة اخرى فقالوا ان المادة مؤلفة من الكهربائية فقط وهذا ما نريد بسطه في هذه المقالة

اول ما يتبادر الى الذهن في هذا المقام البحث في حقيقة الكهربائيتين الايجابية والسلبية · اما الايجابية فيعترف اهل هذا الرأي انهم لا يعرفون ماهيتها ولكنهم يعدُّونها من قبيل الاثير الذي يزعمون انه يشغل الفراغ بين الجواهر الفردة وانها مؤلفة من اجزاء صغيرة

كالجواهر المذكورة وان الجوهر ذو جرم معين ولكنه ضعيف المادة لطيفها كأنه لا مادة . وهو تعبير مبهم لا يمكن ايضاحه حتى الآن ولكنهم يتوقعون ذلك في المستقبل

اما الكهربائية السلبية فيقولون انها عبارة عن اجزاء صغيرة جدًّا يسمونها « الكترون » اذا اطلقت تطايرت بسرعة عظيمة الى كل ناحية حتى تصطدم بشيء فتولد حرارة او نورًا واذا وقعت على جسم كثيف كالبلاتين فان اصطدامها يولد الاشعة المعروفة بأشعة رونتجن . على ان الاليكترونات المشار اليها لا يسهل صدّها لان اكثرها تخترق المواد الجامدة كالخشب والورق وصفائح الالومينيوم ونحوه وذلك لانها اصغر كثيرًا من الجواهر الفردة . فان مئة الف الكترون اذا تراصت لا يزيد طول اقطارها جميعًا على قطر جوهر واحد . ونسبة حجم الالكترون الى حجم الجوهر كنسبة واحد الى مئة مليون مليون ١ / ١٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ او كنسبة حبة رمل الى الهرم الكبير

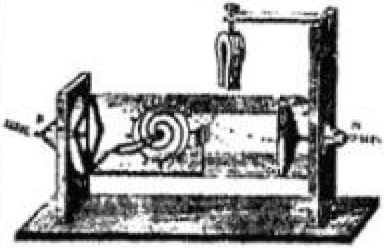
ومن الادلة على ان الكهربائية السلبية من قبيل المادة انهم استطاعوا جذبها بالمغنطيس من داخل الانابيب الفارغة المعبر عنها بأنابيب كروكس . وهي عبارة عن انابيب من زجاج مسدودة الطرفين قد افرغوا الهواء منها ووصلوها من طرفيها بقطبي البطارية كما ترى في الشكل الاول



(ش ١) الانبوب الفارغ

فان الانبوب الفارغ (س) في احد طرفيه القطب الايجابي (ب) وفي الطرف الآخر القطب السلبي (ج) وتحت الانبوب الآلة المقطعة للمجرى الكهربائي وبجانبها البطارية الكهربائية . فاذا جرت الكهربائية انطلقت شرارتها داخل الانبوب . فلو علقت فوق الانبوب مغنطيسًا اعتياديًا لرأيت الشرارة تنحرف نحوه ويظهر ذلك للعيان . ولزيادة التدقيق

في بيان ذلك اصطنعوا انبوباً على شكل انابيب كروكس جعلوا في داخله دولاباً يتحرك بأقل الاسباب . واطلقوا الشرارة الكهربائية في داخله من مرآة مقعرة بحيث تجتمع الاشعة في بؤرة تقع على صفيحة منصوبة في منتصف الانبوب(أ،) امام الدولاب المذكور بحيث تحول بين بؤرة الاشعة والدولاب . وجعلوا خارج الانبوب من فوقه مكاناً يعلق به حجر المغنطيس . فاذا اطلقت الشرارة الكهربائية في الانبوب والمغنطيس غير معلق وقعت الشرارة الكهربائية (او حبل الاشعة المنبعث عن المرآة المقعرة) على الصفيحة (أ،) ولم تؤثر على الدولاب . فاذا علق المغنطيس فوق الانبوب رأيت حبل الاشعة المذكور( ) قد انحرف نحو المغنطيس فوقع على اجنحة الدولاب وحركه كما ترى في الشكل الثاني .



(ش ٢) انحراف الاشعة بالمغنطيس

يختلف مقدار الحركة باختلاف قوة الشرارة وقد تمكنوا بذلك من قياس سرعة الالكتروبات وقوتها وكثافتها . وتوصلوا بهذه التجارب الى التمييز بين بعض الاشعة والبعض الآخر . فوجدوا في الشرارة الواحدة ضروباً من الاشعة تتفاوت بكثافتها وقوتها . وقاسوا قوة كل منها وعينوا مقدارها — واليك خلاصة ما عرفوه من خصائص جواهر الكهربائية السلبية وهي الالكترونات نقلاً عن معمل كفنديش الكيماوي في كمبردج :

(١) ان لكل الكترون قوة معينة للاندفاع وحجماً معيناً مقداره نحو $\frac{1}{800}$ من حجم جوهر من الهيدروجين

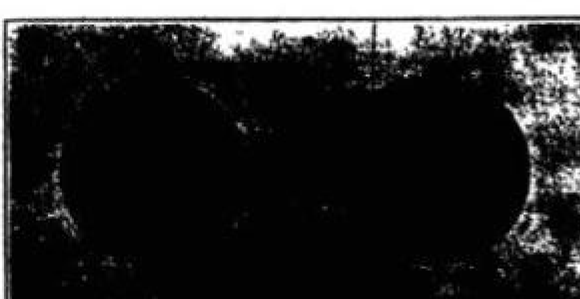
(٢) ان الالكترونات واحدة في خصائصها حيثما وجدت وفي اية مادة كانت

(٣) ان الجرى الكهربائي عبارة عن انتقال هذه الالكترونات بين جواهر المادة . فانها تخترق الاجسام الجامدة وخصوصاً المعدنية فتنتقل من جوهر الى جوهر . واما في السوائل فانها تنتقل مع الجواهر نفسها وهي ابطأ انتقالاً في السوائل منها في الجوامد . كأن الالكترون يسير وهو متقل بالجوهر كما تجر الدابة مركبة ثقيلة في شارع مزدحم بالناس . والمركبات فاذا قطعت الشارع تطايرت بسرعة . وذلك شأن الالكترون اذا انفذ في سائل فانه لا يزال ينتقل مستثقلاً حتى يخرج منه الى جامد او غاز . وهو اشد سرعة في الغازات

بما في سواها ويقدرون سرعته فيها بنحو ١٠٠٬٠٠٠ ميل في الثانية او اكثر . ولكنها لا تبلغ سرعة النور

(٤) اذا اصطدم الالكترون بشيء اعاقه او دعاه الى الانحراف في سيره اضطرب الايثير الذي هو سابح فيه وحصل تموُّج يظهر لنا بمظهر القوى الطبيعية وخصوصاً النور

(٥) ان للشرارة الكهربائية قوة اندفاعية تختلف باختلاف كثافة تلك الشرارة وبعبارة اخرى باختلاف عدد الالكترونات فيها . فقوة الاندفاع في الالكترون الواحد قليلة جدًّا ولكنها كثيفة اي انها مجتمعة في حيز صغير بالنسبة اليها . لان قولنا « ان الالكترون ١/٨٠٠ من جوهر الهيدروجين » انما يراد به ان في جوهر الهيدروجين ٨٠٠ الكترون وبينها فسحات يشغلها الايثير . فلو اردنا جمع الالكترونات متلاصقة حتى تصير بحجم جوهر الهيدروجين لما كفانا الف مليون مليون منها . فالفسحات بين الالكترونات في الجوهر الفرد كبيرة جدًّا ربما زادت عما بين السيارات بالنسبة الى اجرامها . وفي جواهر بعض العناصر اكثر من ٨٠٠ الكترون في كل جوهر . واكثر العناصر ازدحاماً بالالكترونات الاورانيوم والراديوم واشباههما . فربما احتوى الجوهر منها على ٢٠٠٬٠٠٠ الكترون . ومع ذلك فالفسحات بينها لا تزال كبيرة . فالظاهر ان الطبيعة لا تقبل التقارب بين اجزائها اكثر من ذلك . على ان هذه الالكترونات لا تستقر في اماكنها بل هي لا تنفك عن الافلات الى الخارج . فالمواد المؤلفة من الجواهر الكثيرة الالكترونات على هذه الصورة لا تزال الكهربائية السلبية تنبعث منها على الدوام وهو الاشعاع الذاتي . وكان العلامة كروكس قد اشار الى اشعاع مثل هذه الاشعة في الانابيب المفرغة . واول من اثبت



(ش ٣) الجواهر الفردة من الكهربائية

الاشعاع الذاتي بالتجربة الموسيو بكريل في باريس سنة ١٨٩٦ بعد اكتشاف اشعة رنتجن بسنة

فالجوهر الفرد على رأي اهل هذه الابحاث عبارة عن كتلة من الكهربائية الايجابية قطرها ١/٢٠٠،٠٠٠،٠٠٠ من القيراط وهو حجم الجوهر الفرد على التقريب · ويتخلل هذه الكتلة اجزاء صغيرة من الكهربائية السلبية متساوية حجماً وقوة تتدافع وتتجاذب ضمن تلك الكتلة بدون ان تتعدى حدودها وهي الالكترونات ·وجواهر الاجسام او العناصر على اختلاف اجرامها واوزانها وخصائصها مؤلفة من كهربائية ايجابية وكهربائية سلبية على هذه الكيفية · وانما يختلف بعضها عن بعض باختلاف مقدار ما فيها من الكهربائية السلبية · وبعبارة اخرى باختلاف مقدار الالكترونات فيها بنسبة المقادير التي تتركب بها · فاذا كان في الجوهر الفرد من الهيدروجين ٨٠٠ الكترون ففي الجوهر من الصوديوم ٢٣ ضعفاً اي ٢٣ × ٨٠٠ = ١٨،٤٠٠ الكترون وهي ٢٠٠ ضعف في الزئبق اي ١٦٠،٠٠٠ وقس على ذلك · فاذا زادت الكهربائية فيها عن هذه النسبة افلتت الزوائد على نحو ما يشاهد في المواد المشعة للكهربائية كالراديوم ونحوه

على ان اشعاع الالكترونات لا يخلو منه جوهر بسبب ما بينها من التصادم والتجاذب فيفلت بعضها على الدوام كما ترى في الشكل الثالث · فان النقط البيضاء يمثلون بها آحاداً من هذه الالكترونات قد افلتت من كتلة الجوهر ويعبرون بالاجزاء المظلمة في هاتين الكرتين عن الكهربائية الايجابية وبالاجزاء المنيرة عن الكهربائية السلبية · والكرة المظلمة تمثل جوهراً من الهيدروجين والكرة المنيرة تمثل جوهراً من الراديوم

ثم انهم بتوالي التجربة في الاجسام المشعّة وجدوا فيها ثلاثة اشكال من الاشعة تختلف في خصائصها وهي (١) اشعة الكهربائية السلبية او الالكترونات التي نحن في صددها (٢) اشعة تموجية هي عبارة عن تموجات ايثيرية اشبه شيء بأمواج الصوت في الهواء (٣) اشعة مادية يزعمون انها جواهر جديدة حدثت من انكسار بعض الجواهر بالمصادمة كما تتفرتك الاجرام السماوية اذا تصادمت فتتولد منها الرجم والنيازك · ولهذه الاشعة قوة اذا صدمت سطحاً ككبريتيد الزنك ولدت حرارة فالوعاء الذي تحصر هذه الاشعة فيه ترتفع حرارته· ومن المواد التي تشع مثل هذه الاشعة الراديوم · ويقدرون الجواهر التي تتفرتك من الراديوم في ثانية واحدة بالملايين وهي قليلة بالنظر الى مادة الجسم · ولذلك قالوا ان اشعاع الراديوم لا يقلل شيئاً من وزنه لان الاشعاع المذكور عبارة عن تفرتك جوهر واحد من عشرة

آلاف جوهر في السنة

وقد تمكن بعضهم من التفريق بين انواع الاشعة الثلاثة التي ذكرناها بواسطة المغنطيس وقاسوا كثافتها وقوتها بالنسبة بعضها الى بعض فوجدوا الاشعة الثالثة المشار اليها اكثف من الاولى بنحو ١٦٠٠ ضعف وذلك ضعفا الوزن الجوهري للهيدروجين · وهذه الاشعة هي التي يعبرون عنها بالهاليوم ومكتشف هذا العنصر حقيقة هو السير رمسي

فالمادة على رأي هؤلاء مؤلفة من الكهربائيتين الايجابية والسلبية (فقط) وهو قول انما ذهب اليه العلماء لتعليل ما شاهدوه من الخصائص الجديدة في الراديوم وغيره · ولا يزال في حاجة الى التمحيص والتعديل بما ينتظر اكتشافه من الحقائق بتوالي التجارب

عجائب المخلوقات



المُوا — من الطيور المنقرضة في زيلاندة

لا يخفى ان كثيراً من أصناف الحيوان ذهبت عن وجه الارض قبل زمن التاريخ وظل خبرها سائراً على ألسنة الناس ثم في كتبهم . وهم يعدون حديثها من قبيل الخرافات لان الغالب في تلك الاخبار ان تتعاظم بالانتقال حتى تبعد عن حدود الممكنات كاخبار العنقاء والصدى عند العرب وهي في اعتقادنا اسماء لحيوانات انقرضت قديماً وبقي خبرها ولا يبعد ان يعثروا على بقاياها في بعض الكهوف كما توفقوا الى العثور على بقايا التنين والمياودون والايبورنس الذي نحسبه العنقاء وغير ذلك

ومن هذا القبيل ان الافرنج ما زالوا منذ وطئوا زيلاندة الجديدة وهم يسمعون أهلها يذكرون طيراً هائلاً يسمونه المَوا كما يذكر العرب العنقاء . وهم يبالغون في عظم جثته وقدرته وانه أفلت من حريق مدينه تمايا وتسلق الجبل وسكن في قمته وانه يقتات بالهواء . فاتفق سنة ١٨٤٣ ان بعضهم جاء الى الاستاذ اوين احد علماء الحيوان بعظام وجدها في بعض الكهوف فلما وقع نظره عليها قال انها عظام طير لا يطير لخلوها من الاقنية الهوائية . ثم جاء غيره بعظام أخرى زادته ترجيحاً لرأيه الاول

وما زال العلماء يبحثون في ذلك وقد وقفوا على ما يتناقله اهل زيلاندة من خبر طير الموا وجاءهم بعض الناس بهياكل أخرى من العظام حتى تم لهم تركيب الهيكل ثم عثروا على بقايا ريش عرفوا منه الالوان اللازمة على وجه التقريب واستعانوا في معرفة ذلك بطير معروف في اوستراليا اسمه ايمو فتوفقوا بعد العناء الشديد الى الباس ذلك الهيكل ثوباً كاملاً من الريش واوقفوه في بعض الحدائق كأنه حيّ يطلب الفرار خوفاً ممن يصطاده . والبسوا جماعة لباس الزيلانديين القدماء واوقفوهم في أثره بالحراب والنبال كأنهم يحاولون اقتناصه — يمثلون بذلك حاله قبل انقراضه وقد تركوا فاه مفتوحاً تطبيقاً لما ذكرناه من اعتقاد الزيلانديين اغتذاءه بالهواء كما تراه في الرسم

وعلو هذا الطير في حالته هذه عشرة اقدام وثمانية قراريط . لكنه لو كان حياً لاستطاع ان يتطاول الى اعلى من ذلك كثيراً وهم يقدرون علو الموا الاصلي بستة عشر قدماً اي نحو خمسة امتار وثلث وهو علوّ هائل كما لا يخفى

صحة العائلة

السن والطعام

من أهم المسائل الصحية الحاضرة « هل نتناول من الطعام اكثر مما تحتاج اليه أبداننا ؟ » والجواب « نعم » على أن السواد الاعظم من الناس لا يعتقدون ذلك ولا يزال كثيرون منهم يهمهم الاكثار من الطعام فيتناولون المنبهات أو المهيجات يلتمسون الزيادة في شهوة الطعام ليزداد مقدار ما يأكلونه · وهم مع ذلك يتفننون في معالجة الاطعمة واتقانها ليتضاعف مقدار الغذاء فيها فيجتمع الغذاء الكثير في الطعام القليل · و يتوخون ذلك خصوصاً في الاطعمة الحمية ولا يعلمون انهم يسيئون بذلك الى صحتهم · لان الاطعمة اذا زادت كميتها وتضاعف مقدار غذائها تفعل في الجسم فعل السموم

لان الاغذية قسمان الاول بنائي والغرض منه على الغالب تكوين الانسجة أو التعويض عما يدثر من بنائها وهو يشمل الاطعمة النيتروجينية ومنها اللحوم والالبان والبيض و بعض الحبوب كالفول والعدس والحنطة · والقسم الثاني الاطعمة غير النيتروجينية وهي وظيفية والغرض منها اعانة الجسم على القيام باعماله الحيوية فهي أشبه بالوقود للآلة البخارية · وأهم أطعمة هذا القسم الادهان والمواد النشوية والسكرية وهناك طعام ثالث لا غنى للبدن عنه نعني به الماء فانه ضروري لعمل الهضم ولذلك كان نحو ثلثي الجسم الانساني مكونين منه

فاذا علمنا ذلك بقي علينا النظر في الاحوال التي تدعو الى قلة الطعام أو كثرته وهي ثلاثة (١) نوع الشغل والمزاج (٢) الجنس (٣) السن · فالرجل الذي يقضي النهار على كرسيه لا يحرك عضله لا يحتاج من الطعام الى مثل ما يحتاج اليه من يعمل يديه طول نهاره · ثم أن الرجل أقوى على هضم الطعام من المرأة · والاحداث يحتاجون الى مقدار من الطعام اكثر مما يحتاج اليه الاشياخ · وينبغي الانتباه الى سهولة هضم الطعام وصعو بته فضلاً عن مقداره ويقال بالاجمال إن أصحاب المهن

العقلية كالكتاب والمحامين والاطباء وغيرهم ممن لا يعملون اعمالاً عضلية لا يقوون على هضم الاطعمة الضخمة . فهم يحتاجون الى أطعمة سهلة الهضم غير أن ذلك لا يقتضي أن يكون مقدارها كبيرًا وانما يعطى منها قدر الحاجة المتعدلين . أما الفعلة وأهل الصنائع اليدوية وغيرهم ممن يعملون أعمالاً عضلية فانهم قويو المعدة لا يبالون بضخامة الاطعمة كما هو مشهور

أما السن فالغالب ان يخطئ الناس في تقدير الطعام بالنسبة اليه . والقاعدة في ذلك ان الاطفال يحتاجون الى مقدار كبير من الاطعمة بالنسبة الى أبدانهم لانهم ينفقون جانبًا كبيرًا منها في تكوين أعضائهم وهم في سن النمو . فاذا تم نموهم وصاروا الى الشباب ساعدتهم صحة أبدانهم على هضم الاطعمة ولو كثرت . على ان المقدار اللازم منها يقلُّ بعد سن الثلاثين فان ابن ٣٥ سنة يحتاج الى أقل مما يلزم لابن ثلاثين وأقل منه لابن أربعين وأقل من ذلك لابن خمسين فستين وهكذا كلما تقدم الانسان في السن قلَّت حاجته الى الطعام الكثير . وذلك عكس ما يعتقده الناس عادةً لانهم يظنون ان الانسان كلما ضعف جسمه زادت حاجته الى الغذاء وقد فاتهم ان الطعام كثر أو قلَّ لا فائدة منه ان لم يهضم ويتمثل . فالانسان ينبغي أن يقلَّ طعامه كلما تقدم في السن فيريح معدته ويتقي كثيرًا من أسباب الشقاء التي انما جرَّها الى الناس خطأهم في فهم هذه الحقيقة ولو تعففوا واعتدلوا لنجوا منها . وخلاصة ذلك ان العبرة ليست بمقدار ما يدخل المعدة من الطعام وانما العبرة بما يهضم منه وأما ما يزيد عن ذلك فلو اقتصرت الخسارة على ذهابه ضياعًا لكان خيرًا ولكنه حملٌ ثقيل على المعدة والامعاء وسائر الاعضاء الرئيسية كالكبد والكلى وعلة لكثير من الامراض المضالة حتى قالوا أن الامراض الناجمة عن النهم اكثر من الامراض الناجمة عن السكر

من الحكم المأثورة في الطعام والصحة

افضل الادواء ان ترفع يدك عن الطعام وانت تشتهيه

لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فان الله يطعمهم ويسقيهم

راس الداء كله ادخال الطعام على الطعام المعدة بيت الداء والحمية راس الشفاء

باب السؤال والاقتراح

الجن واستحضار الارواح والمائدة الناطقة

(القاهرة) علي افندي احمد الشهيدي بنظارة الحربية

اني مشتغل بتأليف كتاب من اهم ابحاثه الانسان من مبدأ خلقه الى الان ويتخلل ذلك ابحاث في الارواح والجن ولذلك فكلما طرأ اذني حديث من هذا القبيل اصغيت اليه وتلهفت لسماعه لعلي اهتدي الى ما ينير طريقي في هذه الابحاث وكنت ارجع رجوع القابض على الماء او الحاصد للهواء واتفق لي في أثناء ذلك اني اجتمعت في منزل بعض الاصدقاء بنفر من نبهاء الشبيبة المصرية وبينهم نجل سعادة لطيف باشا سليم فقص علينا انه زار فرنسا مع والده وهلباوي بك المحامي فتفقدوا معاهدها وترددوا الى كثير من مشاهدها فكان في جملة ما شاهدوه رجل فرنساوي مشهور هناك باستحضار الارواح أدخلهم حجرة رأوا في وسطها مائدة ذات ارجل فجلس ذلك الرجل عليها فاخذت تدق دقات تشبه دقات التلغراف . ثم تقدم احدهم فاضمر في نفسه شيئاً يتعلق بوالدته وكانت قد توفيت من عهد قريب فانبأه باسمها واسم والدته وتاريخ وفاتها وانه لا يستطيع استحضارها لقرب وفاتها . ومن الغريب انها كانت عند وفاتها مصابة بالرمد وعلى عينيها عصابة فشاهدها كذلك . ثم تقدم الاثنان الآخران فانبأهما الرجل بما يشبه ذلك عما اضمراه

ثم انتقل حضرته الى موضوع الجن فقال انه قرأ في بعض الجرائد الافرنجية ان الافرنج توصلوا الى استحضارها ورؤيتها رأي العين ولها اجسام تتحرك وتتكلم كأنها من الانس — فلما سمعت ذلك تعاظم استغرابي وجعلت كلما قصصته على اصحابي انكروه او عدوه من قبيل الخزعبلات فارجو منكم الحكم في هذه المسألة فانها من المسائل الخطيرة لعلاقتها بالنوع الانساني

(الهلال) جاءتنا اسئلة كثيرة في هذا المعنى فلم نجب عليها لاننا كتبنا في هذا الموضوع غير مرة فضلاً عن شيوع العلوم الطبيعية في المدارس واستنارة الاذهان بها مما ظنناه يكفينا مؤونة العود الى هذا البحث فلما تكاثرت الاسئلة بهذا الشأن عمدنا الى الجواب عليها :

من الاعتقادات الشائعة عندنا ان الافرنج اهل علم وجدّ لا يأتون عملاً الاَّ والحقيقة رائدهم فيه . وهو اعتقاد صحيح من اكثر وجوهه لكنه لا يمنع شيوع الخرافات عند عامتهم واغتنام بعض ذوي الاطماع جهل العامة وسذاجتهم لابتزاز الاموال كما يفعل المشعوذون عندنا بل الافرنج اقدر على سبك الحيلة وطلاء الحقيقة لتقدمهم في اسباب الصناعة واقتدارهم على الاتقان

والحكم في حادثة مفردة وبيان صحتها او فسادها لا يتأتى الاَّ بمشاهدة وقائعها عياناً وتفحص الادوات التي استخدمت فيها وتحقق نية الفاعل هل اخلص في عمله ولم يستخدم الشعوذة ام دبر الحيلة قبل مباشرة العمل بالتواطيء مع احد او استخدم وسائل أخرى خفية انطلت على الحاضرين فضلاً عما يختلف فيه المشاهدون من رواية الحادثة الواحدة وما يزيده كل منهم عند قصها على الناس . لا يريد بذلك كذباً او خداعاً — وانما يفعله التماساً لاعجاب السامعين مع تقوية النقط الضعيفة في سياق الحكاية . واذا كرر احدهم رواية تلك القصة مع ما ادخله فيها من الزيادات والمبالغات انتهى به الامر الى اعتقاد صحتها ونسي ما وضعه من عند نفسه . فلو سألت الرفيقين اللذين شاهدا هذه الوقائع مع حضرة الراوي لرأيت في روايتهما اختلافاً كثيراً عن روايته وربما ناقضاها في كثير من الوجوه فالاعتماد على مجرد الرواية في مثل هذه الحوادث لا يكفي للحكم فيها قطعياً وانما ينبغي الرجوع الى النواميس العلمية المقررة التي لاسبيل الى نقضها حتى الآن . وهي لا تساعدنا على قبول مثل هذه الاقوال

على ان مسألة الارواح وتجليها من المسائل التي شغلت اذهان العلماء زمناً فانشأوا الجمعيات وألفوا الكتب والجرائد والمجلات دونوا فيها ألوفاً من الحوادث المسندة الى رواة من اهل الثقة تؤيد القول بوجود عالم الارواح . نذكر منها جمعية تألفت في انكلترا سنة ١٨٨٢ اسمها جمعية البحث عن الارواح جعلت همها جمع الشواهد المبينة بالزمان والمكان نشرت بعضها مجلة المجلات الانكليزية في اوائل عام ١٨٩٢ وعلق عليها منشيء المجلة المذكورة المستر ستد الكاتب الشهير فصولاً مطولة استخرج منها نتائج مرجعها الى

اثبات وجود الارواح حتى رسم روحاً يقال انها ظهرت لبعض الناس

وذهب اولئك الباحثون في ابحاثهم الى ان لبعض الناس روحين ولبعضهم ثلاث ارواح ووضعوا لها نواميس واحكاماً وعينوا اخلاقها وطبائعها . ووصفوا عالم الارواح وصف سائح زار مدينة فهاد وهو يصف ما شاهده من الاماكن واخلاق الناس فيها . وقد اتوا على ذلك بالشواهد الطويلة العريضة مؤيدة بالحوادث الواقعية . ولو طالعت ما نشروه من تلك الحوادث لتذكرت حكايات الجان المروية عن العرب أوالمدونة في كتبهم أو ما يسمونه « الهاتف » ولكن اصحابنا اليوم البسوا هذه الحوادث لباس البحث فظهرت مظهر الحقيقة وظلت حوادث الجان معدودة من الخرافات . على ان اهل البحث والتنقيب حملوا على اصحاب هذا الرأي فنقضوه بالادلة العلمية فتضعضع ولكنهم لم يستطيعوا نزع ذلك الاعتقاد من اذهان العامة . ولا يزال جماعة من الكتاب يقولون بوجود الارواح ومن جملتهم المستر ستد صاحب مجلة المجلات

ولكن العلم حتى الآن لايساعدنا على تصديق هذه الحوادث ولا يجوز لنا من الجهة الاخرى ان ننكر شهادة كل من شاهدها وقص علينا خبرها فلا بدّ من اسباب دعتهم الى تصديقها هي في الغالب من قبيل الشعوذة او ان الخرافة لا تخلو من الحقيقة . فمسألة حركة المائدة لم تذكروا كيف كانت تتكلم او كيف كانت تدلّ على الاسماء والاعمار والشهور من امرها انها تدلّ على الحروف بالدق على الارض باحدى رجليها بعد ان يضع السائلون ايديهم عليها فتضرب عن كل حرف من الحروف الهجائية ضربة الى ان تصل الى الحرف الاول من الاسم او الامر المسئولة عنه فتقف ثم تعود فتطرق مبتدئة بطرقاتها من اول الحروف الهجائية كالاول وبوصولها الى الحرف الثاني من الاسم المسئولة عنه تقف وكذلك الى النهاية فان كان الاسم المسئولة عنه « عمر » مثلاً تتابع الطرقات من حرف الالف الى حرف الظاء وبوصولها الى حرف العين تقف فيكتب الحاضرون الحرف « ع » ثم تعاود الطرقات من أول الحروف الهجائية الى ان تصل الى حرف الميم فتسكت ثم تعاود طرقاتها من الاول مبتدئة من أوّل الحروف الهجائية حتى تصل الى حرف الراء الذي هو آخر احرف كلمة عمر وهناك تصمت صمتاً تاماً

فحركات هذه المائدة لا يخلو من اصل مبني على الحقيقة او شبهها ويدخل في ذلك ما جاء في هذا الهلال عن قراءة الافكار فان في بعضهم قوة على استطلاع افكار الآخرين او سلطة على استهوائهم وكشف مكنونات صدورهم وقد يكفي لذلك دقة احساس الكاشف

فلو كنت في مجلس اصدقاء وقال لك احدهم اضمر في ذهنك شخص احد الحضور وانا اكشف لك المضمر فقد تظن ذلك لاوَّل وهلة مستحيلاً عليه لعلمك انه ليس من قراء الافكار ولكنه لا يلبث ان يبين لك ضميرك على مشهد من الناس وتكون انت المساعد له على ذلك من حيث لا تدري وذلك بأن تقف انت امامه ويقف هو وراءك مغمض العينين بمنديل جاعلاً كفيه على كتفيك ثم يطلب اليك ان تسير امامه ببطء بين الحاضرين وان توجه ذهنك الى الشخص الذي قد اضمرته ولا تكف عن التفكير به قط فاذا سرتما يقود احدكما الآخر لا يزال هو يدنو بك من هذا وذاك ويلاحظ بكفيه جهة اتجاه حواسك حتى يدرك الجهة التي توجه اليها ذهنك فيعرف الشخص المضمر وانت لا تشعر بأنك ابديت اقل حركة تبين ما في ذهنك وقلما يخيب ظنه الا اذا لم تحسن توجيه ذهنك جيداً وقد جرَّبنا ذلك بنفسنا غير مرة وتحققنا وقوعها مع غير واحد من اصدقائنا

فاذا جلس جماعة حول مائدة ذات ثلاث ارجل ووضعوا ايديهم عليها واضمروا كلهم ضميرًا واحدًا ووجهوا اذهانهم اليه معاً لا يبعد ان تتحرك المائدة حركة هم يعلمون انها تدل على ذلك الضمير ولكنها لا تتعدى هذه الدلالة البسيطة وقد لا تدركها وانما جئنا بذلك تمثيلاً لما قد يقع في مثل هذه الحال

اما الذين يستخدمون الموائد في استحضار الارواح ومخاطبتها وكشف اسرار الناس او ما شاكل فهي من قبيل الشعوذة المبنية على الحيلة اما بالتواطؤ مع احد او بايصال رجل الطاولة بمجرى كهربائي الى مكان آخر وهناك احد المتواطئين فيحرك الطاولة كيف شاء او غير ذلك من اساليب الشعوذة

واما الارواح فلا يراها الا الذي يعتقد قدرة المشعوذ على استحضارها فهو يرى صورة استحضرتها له مخيلته في ساعة تنبه فيها الاوهام في غرفة مظلمة يجلس فيها الطالب وهو يتوقع ان يرى شبحاً صورته مرسومة في ذهنه — لان الغالب في الناس ان يطلبوا مشاهدة اناس يعرفونهم . فاذا طال انتظاره وتوقعه مجيء الروح تجسمت الصورة التي في مخيلته وهي في الغالب آخر صورة ارتسمت فيها على اثر حادث مؤثر كما شاهد حضرة الراوي والدته والعصابة على عينيها لانها آخر صورة شاهدها بها وتأثر من مشاهدتها

على ان المشعوذ كثيراً ما يري الطالب صورة يرسمها على مرسح او حائط بالفانوس السحري رسماً ضعيفاً بازار ابيض كأنها شخص خارج من بين الاموات ويوهمه بالفانوس المذكور ان الشبح يخطو نحوه فترتعد فرائصه ويتوهم انه يرى الشخص الذي يطلبه . وبعضهم

يأتي بأناس يلبسهم مثل لباس الشخص المطلوب اذا كان يعرفه والاَّ فيلبسه ثوباً طويلاً كالازار يكسوه من الراس الى القدم . وقد كتب الاستاذ تندل العالم الانكليزي مقالة قص فيها زيارته محلاً يدعي اصحابه استحضار الارواح بيَّن فيها ما يرتكبونه من اساليب الخداع والحيلة في التمويه على الناس في الباس الوهم ثوب الحقيقة . وذكر عالم آخر انه زار محلاً يزعم اصحابه انهم يستحضرون لك روح شخص تعرفه فلا تشك اذا خاطبتها وسمعت جوابها انها الشخص المطلوب تماماً قال « فدخلت غرفة رحبة يقيم فيها من يلتمس ان يرى روح بعض اصدقائه او اقاربه وكانت الغرفة خالية لا نافذة لها ولا باب غير الذي دخلت منه ولم يكن فيها شيء غير الكراسي فجلست على كرسي فاغلقوا الباب وتركوني وحدي والمكان مظلم وكنت قد اعددت شمعاً فصفورياً لاشعله حالما اسمع حركة . فبينا انا جالس سمعت حركة فاشعلت الشمعة ونظرت فاذا بشبح عليه ازار ابيض كالذي تظهر به الارواح عندهم يهمُّ بالنزول الى القاعة من فرجة بين السقف والحائط وحالما رأى النور اسرع بالرجوع والاختفاء ثم جاءني قيم المكان يؤاخذني على عملي لانه مغاير لقوانينهم ولو لم يعلم من انا لبالغ في تأنيبي ولكنه ما لبث ان خجل وتقدم اليَّ ان اسبل ستراً على ما شاهدته فأبى الحق الاَّ ظهوراً »

اما الجن فيقال فيهم ما قيل في الارواح لانها شيء واحد . واما ما رواه حضرته عما نشرته الجرائد من استحضار الجن ورؤيتها راي العين وهي تتكلم وتتحرك فلا عبرة فيه للسبب الذي قدمناه

القاب القبائل

(القاهرة) حسن افندي محمد العامري

قلتم في جوابكم بشان القاب اهل القرى في لبنان ان العرب كانوا يلقبون القبائل على هذا النمط فنرجو ان تاتونا بمثل من تلك الالقاب فانني ممن عني بمطالعة تاريخ العرب فلم اقف على شيء من ذلك

الهلال سأل معاوية بن ابي سفيان دغفلاً النسابة ما تقول في بني عامر ابن صعصعة . قال اعناق ظباء واعجاز نساء . قال فما تقول في بني اسد . قال عافة قافة فصحاء كافة . قال فما تقول في بني تميم . قال حجر اخشن ان صادفته آذاك وان تركته اعفاك .

قال فما تقول في خزاعة · قال جوع واحاديث · قال فما تقول في اليمن · قال سيود ايوك

ومن هذا القبيل ان الحجاج بن يوسف سأل ابن القرية عن قبائل العرب فوصف كلاً منها بما امتازت به وليس في وصفه مجون قال :

قريش اعظم القبائل احلاماً واكرمها مقاماً

بنو عامر اطولها رماحاً واكرمها صباحاً

بنو سليم اعظمها مجالس واكرمها محابس

ثقيف اكرمها جدوداً واكثرها وفوداً

بنو زبيد الزمها للرايات وادركها للثارات

قضاعة اعظمها اخطاراً واكرمها نجاراً وابعدها آثاراً

الانصار اثبتها مقاماً واحسنها اسلاماً واكرمها اياماً

وهكذا حتى اتى على معظم القبائل وسأله عن اهالي الاقاليم فقال :

اهل العراق اعلم الناس بحق وباطل

« الحجاز اسرع الناس الى فتنة واعجزهم فيها

« الشام اطوع الناس لخلفائهم

« البحرين نبط استعربوا

« عمان عرب استنبطوا

« اليمن اهل سمع وطاعة ولزوم للجماعة

وقس على ذلك اوصاف سائر الاقاليم

الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي

وتاريخ اداب اللغة العربية .

﴿ الاسكندرية ﴾ محمد افندي مصطفى الحسيني

أطلعت على الجزء الثالث من كتابكم « تاريخ التمدن الاسلامي » ولاشأن لي في تقريظه بعد ان قرظه اقطاب العلم في الشرق والغرب · ولكنني جئت معجباً بما تكبدتموه من المشقة في تأليفه شاكراً لحسن سعيكم في هذا السبيل · على انني لا

اكتمكم ما جال في خاطري من انتقاد حجم الكتاب فقد رأيت صفحاته اضيق مما يقتضيه الموضوع من ذكر نوابغ العلماء وما الفوه في التاريخ والجغرافيا وسائر علوم الادب مع وصفها وانتقادها وما تقلب على كل علم او فن من فنون ذلك التمدن وعلومه من اسباب الارتقاء أو الانحطاط . فان المطالع يشعر وهو يقرأ كتابكم المشار اليه انه ظمآن يشرب ماء باردًا ولكن الماء الذي بين يديه لا يروي غليله بل قد يزيده عطشاً

(الهلال) ان ملاحظتكم المشار اليها في محلها من حيث رغبة المطالع في استيعاب الموضوع الذي يقرأه ولكنها لا تطابق الواقع من حيث موضوع هذا الكتاب فان التفصيل الذي اشرتم اليه انما هو من تاريخ آداب اللغة وليس من شأن تاريخ التمدن . وقد قلنا في تحديد موضوع هذا الجزء في أول صفحة منه انه يبحث « في العلم والادب وما كان منهما عند العرب قبل الاسلام وما احدثه الاسلام من التغيير في القرائح والعقول وما نقل من اللغات الاجنبية من العلوم وما كان من تأثير التمدن الاسلامي في كل ذلك » وبعبارة اخرى ان المراد بهذا الجزء تأثير التمدن الاسلامي في آداب اللغة العربية لا « تاريخ آداب اللغة العربية » على اننا لم نغفل الاشارة الى ذلك في عرض كلامنا عن العلوم . فقد قلنا صفحة ٧٢ بعد كلامنا عن الفقهاء ومؤلفاتهم « والفقه فروع وشروح يضيق المقام عنها هنا فنترك الكلام فيها وفي غيرها من فروع العلم الى تاريخ آداب اللغة العربية » وقلنا صفحة ٨٠ في آخر كلامنا عن علوم اللغة « ولكل منها تاريخ وشروح هي من شأن تاريخ آداب اللغة » وقلنا صفحة ٩٨ في آخر فصل الجغرافية أو تقويم البلدان « ونترك التفصيل لتاريخ آداب اللغة العربية » وقلنا نحو ذلك مرارا في اواخر الفصول . فاستيفاء الكلام في تاريخ العلوم ووصف المؤلفات والمؤلفين من شأن « تاريخ اداب اللغة العربية » وهو الكتاب الذي اخذنا في تأليفه منذ بضع سنين وسنزفه الى القراء متى نجز ونرجو ان يكون وافيا بالغرض المقصود

مطبعة الجلاتين

(اوليان . اميركا) سعيد افندي اسعد زغيب

كيف يصطنعون المطبعة المعروفة بمطبعة الجلاتين وكيف يستخدمونها في الطبع وما هو عدد النسخ التي يمكن طبعها عليها

(الهلال) الجلاتين او البالوظة في اصطلاح مصر مزيج من الغراء والكليسرين وهي ترد من اوربا مصنوعة على شكل عجينة لدنة وتباع في الاماكن التي تباع فيها ادوات المطابع ومنها تصنع المحابر للمطابع ايضاً . اما اذا فسدت بالاستعمال فعلاجها ان تصب ثانية اي تذاب بالحرارة كما يذاب الغراء وتسكب واذا جفت يضاف الى مذوبها قليل من الكليسرين قبل الصب . ويصب الجلاتين المذكور في وعاء مسطح يصنعونه من الزنك أو نحوه في شكل مربع مساحته ربع متر في ربع متر أو اكثر أو اقل وعمقه خمسة سنتيمترات الى عشرة ويجب الاعتناء في صب الجلاتين بحيث يكون سطحه مستوياً خالياً من الاجماش والادران ويكفي ان تكون ثخانة الجلاتين المصبوب بضعة سنتيمترات . تلك هي مطبعة الجلاتين اما استخدامها فانهم يأتون بحبر ثقيل من الانيلين البنفسجي يصنع خاصة لهذه المطبعة ويكتبون به بالقلم كالعادة على ورق اعتيادي وانما يشترط ان تكون الكتابة كلها متناسبة في الامتلاء من الحبر فاذا كتبت ما تريده على ورقة امسح سطح المطبعة باسفنجة نظيفة مبلولة بالماء واصبر قليلا حتى يجف الماء عنها ثم اكفأ الورقة على المطبعة بحيث تصيب الكتابة سطح المطبعة واكبس على الورقة بلباقة حتى تتأكد التصاق كل جزء من الكتابة لذلك السطح واصبر لحظة ثم أنزع الورقة فتجد الكتابة قد طبعت على الجلاتين فاطبع عليها بالصاق الورق المطلوب الطبع عليه على نحو ما تقدم وانت توالي مسح السطح باسفنجة رطبة بعد كل طبعة . ولا يتقن هذا العمل الا بالممارسة أما عدد النسخ التي يمكن طبعها من كل صورة فتختلف بين عشرين نسخة وثلاثين أو اكثر

تاريخ التمدن الاسلامي وغادة كربلاء

ترجمة فارسية وملاحظة لحضرات المترجمين

حضرة ... جرجي زيدان

قد عرف فضلاء ايران (كغيرهم) فوائد مؤلفاتكم فاخذوا في ترجمتها الى الفارسية المهذبة فمن ذلك ترجمة من انشاء الفاضل البارع الكاتب البليغ حسين خان (ذكاء الملك) صاحب جريدة تربيت الغراء لكتاب تاريخ التمدن الاسلامي بافصح عبارة واحسن اسلوب ولا يخفى ماله من اليد الطولى في التحرير والشعر وسائر فنون الادب فيرجى ان تقع ترجمته عندكم موقع القبول . وقد صدرت ايضاً ترجمة (غادة كربلاء) بقلم عبد الحي مرزا (البرنس) وقد ترجمها بامر السيدة (عزة الدولة) بنت محمد شاه الماضي (عمة الشاه الحالي) ولا يزال اصحاب الجرائد يترجمون مقالات كثيرة من الهلال و ينشرونها في صحفهم وانا استأذن حضرتكم في ترجمة الحلقة التاسعة التي ستصل مع اجزاء الهلال واظنها تتضمن وقائع اواخر ايام بني أمية وخروج الملك الى العباسيين بمساعي البطل الايراني ابي مسلم الخراساني وارجو الاجابة لا زلتم موفقين لنشر المعارف

(تبريز . اذربيجان) جعفر ابن الحاج علي اكبر خامنه

(الهلال) نشكر لفضلاء ايران عنايتهم في نقل كتبنا الى الفارسية كما نشكر لرصيفنا الهندي الشيخ محمد غلام منشيء جريدة وكيل الهندية نقله تاريخ التمدن الاسلامي الى اللغة الاوردية (الهندستانية) لان ذلك يدل على حسن ظنهم بنا وبمؤلفاتنا . ولكننا نستاذن حضراتهم في ملاحظة نبديها من قبيل الذكرى — ذلك انهم نقلوا ما نقلوه من تلك الكتب وطبعوه ونشروه قبل ان يخبرونا بعزمهم على ذلك . فالترجمة الاوردية لم نعلم بها الا من اعلان نشره حضرة المترجم في جريدته (وكيل) عن صدور الجزء الاول من ترجمة ذلك الكتاب فكتبنا اليه نشكره ونعاتبه لانه لم يخابرنا بذلك من قبل ولا ارسل الينا نسخة من الجزء الذي صدر على الاقل . فجاءنا البريد ونحن نكتب هذا وفيه نسخة من تلك الترجمة وهي مطبوعة طبعاً نظيفاً على الحجر مع الرسوم المنشورة في الاصل العربي . اما الترجمات الفارسية من كتبنا فلم ياتنا منها شيء بعد . ولا نظن حضرات المترجمين يخالفوننا في مباينة ذلك للقواعد المتبعة في ترجمة كتب المؤلفين . واول تلك

القواعد مخابرة المؤلف في ما عزموا عليه قبل الشروع بالعمل كما فعل المستشرقون الافاضل الذين ارادوا نقل تاريخ التمدن الى الانكليزية والفرنساوية فانهم لم يباشروا الترجمة الا بعد تمام التفاهم . وكما فعلتم حضرتكم في مخابرتنا بشان ترجمة رواية « ابي مسلم الخرساني » الى الفارسية وقد اذنّا بذلك . فلو اقدم سواكم على ترجمتها ولم يخابرنا ألا يذهب تعبه ضياعاً ؟ ويقال نحو ذلك في الذين يريدون ترجمة الكتب الاخرى اذ قد يتفق ان يكون سواهم سبق الى مخابرة المؤلف بشأن ترجمتها او يكون المؤلف نفسه قد اخذ في ترجمتها فيأمن الطالب ضياع تعبه في ترجمة كتاب منقول الى ذلك اللسان . فضلاً عما تقتضيه حرفة الادب من مراعاة حقوق المؤلفين ادبياً ومادياً — وان كانت تلك الحقوق لا تضيع في كل حال

باب الاخبار العلمية

(املاك لندن واصحابها) ان عدد اصحاب الاملاك في لندن ٥,٨٠٠ وعدد سكانها نحو خمسة ملايين فيكون المالكون فيها واحداً في كل ٧٩٠ نفساً تقريباً وقيمة ابنية لندن ٢١٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه يدفع عنها للحكومة ٩,٠٠٠,٠٠٠ جنيه في السنة . وقيمة أرضها على حدة ٤١٨,٠٠٠,٠٠٠ جنيه تدفع عنها ٥٠٠,٠٠٠ جنيه فقط . وقد ارتفعت أثمان الارضين في تلك العاصمة الفخيمة ارتفاعاً عظيماً فقدروا ثمن موقف الرجل (أي المكان الذي يمكنه الوقوف فيه لو صفت الناس متراصة وقوفاً الواحد بازاء الآخر بمبلغ) ٥٢ جنيهاً قرب ساحة بنك انكلترا و٢٤ جنيهاً في شارع بوند و١٤ جنيهاً في شارع تشارن كروس ولو كان ذلك المكان في الارض الزراعية لما زادت قيمته على بضع بارات

(الكهربائية والضباب) وجد السير اوليفرلودج ان الضباب اذا أطلقت فيه الكهربائية تكاثفت اجزاؤه وصار ندفاً من الثلج . وهي تفعل نحو هذا الفعل في الدخان أو الابخرة المتصاعدة فانها تلم شعثها وتجمعها حول السلك الكهربائي . وقد أخذ بعضهم يفكر في استخدام هذه الحقيقة في ما يعود بالنفع على الانسان كازالة الضباب عن الشوارع أو المباني وجمع المواد التي تحضر بالتصعيد أو التبخير وانزال المطر أو الثلج بالصناعة — قالوا ويمكن استخدامها في تحويل الطقس من المطر الى الصحو وبالعكس — الكهربائية الايجابية

للطقس الصافي والسلبية للممطر

﴿ فلسفة التعب ﴾ يقولون في تعليل التعب البدني ان العمل العضلي يحدث ذوررًا في الانسجة والمواد الدائرة سامة فتؤثر على الالياف العضلية وتذهب نشاطها وقوتها فلا بد من الراحة لتجديد تلك القوة ٠ والتعب العقلي تابع للتعب البدني فان الطيور التي تجهد ابدانها في الطيران البعيد تظلم ابصارها من كلل الدماغ ٠ فالتعب العضلي يجرُّ الى التعب العقلي بمرور المواد الدائرة في نسيج الدماغ ٠ وتعب الدماغ يجرُّ الى التعب العضلي ايضاً ٠ ومن دلائل تعب الدماغ الشعور بالم الراس ٠ على ان الدماغ نفسه لا يشعر بالوجع وقد يجرح ولا يشعر صاحبه بالم ٠ ومن الامور المجربة في الاتعاب العقلية ان الانتقال من موضوع الى آخر يريح الدماغ

﴿ العقاقير الطبية ﴾ كان للعقاقير الطبية عصر بلغت فيه قمة مجدها وخصوصاً في اثناء التمدن القديم حتى نسبوا اليها المعجزات وعالجوا بها كل الامراض وعدَّوا لكل منها منافع كثيرة ٠ راجع كتاب الادوية المفردة لابن سينا فتجد للدواء الواحد عشرين منفعة او اكثر او اقل بلا دليل ولا برهان ٠ حتى اذا بزغ نور التمدن الحديث ونشأت الكيمياء الحديثة اصبح نظر الاطباء في الادوية غير نظرهم فيها من قبل واخذوا يشككون في منافعها وخصوصاً بعد اكتشاف الميكروب والاطلاع على اسباب الامراض فاخذت قيمة العقاقير تتنازل حتى اهمل الاطباء كثيرًا منها وجعلوا عمدتهم على المعالجة بالوسائط الصحية ٠ وبعد ان كانت العقاقير تعدُّ بالمئات او الالوف اصبح المعوَّل عليه منها لا يتجاوز عدد الاصابع واشهرها الكينا للملاريا والزئبق للزهري والحديد للانيميا وسليسلات الصودا للروماتزم ٠ غير العقاقير التي تداوى بها الاعراض كالمورفين لتسكين الألم والكفيين لتنبيه القلب ونحوهما ٠ ومعالجة بعض الامراض بمصل لها على الطرق الحديثة ٠ واما في ما خلا ذلك فالعلاج المعوَّل عليه الهواء والنور وبعبارة اخرى الهواء المطلق ونور الشمس وكل ما ينشط القوى الحيوية من الوسائل الصحية — لان البدن اذا كان صحيحاً امن كثيرًا من الامراض المعدية اذ لا يكون للميكروب تاثير عليه

(مهاجرة اليابانيين) لم يكن اليابانيون يهاجرون بلادهم ويقيمون في ديار الغربة الاَّ بعد نهضتهم الاخيرة فقد بلغ عدد مهاجريهم سنة ١٨٨٩ نحو ١٩,٠٠٠ نفس واصبح في آخر القرن الماضي ١٢٣,٩٦١ ثلاثة ارباعهم في الولايات المتحدة

(المرأة في نظر الصينيين) يعتقد الصينيون ان تسعة اعشار النساء غيورات ٠ وان

المرأة تكون وهي شابة الهة فاذا شاخت صارت فرداً ٠ وان ثلاثة اعشار جال المرأة من ثيابها. وان سم الافاعي لا يعدّ شيئاً بالنظر الى قلب المرأة ٠ وان صلاح المرأة مثل شجاعة الجبان وانها قد ترتقي في طبقات الاجتماع ولكنها لا تزال امرأة ٠ ولا ينبغي ان تتعاطى شيئاً من اعمال الحكومة

(المسكرات في اميركا) سكان الولايات المتحدة الاميركية نحو ٨٠,٠٠٠,٠٠٠ نفس ثلاثة ارباعهم لا يسكرون ٠ أما الربع الباقي فانهم ينفقون ١,٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال في العام على المسكرات ٠ وفي اميركا ١,٢٠٠,٠٠٠ يشتغلون في السكك الحديدية منهم ٨٠٠,٠٠٠ تحت الاوامر الصارمة ان لا يشربوا مسكراً ولا يدخلوا اماكن بيعه

(السكك الحديدية الانكليزية) في انكلترا ٥٠,٦٢٤ ميلاً من السكك الحديدية عدد آلاتها البخارية ٢٢,٢٢٩ وعدد المركبات ٨٠١,٢٧٥ وبلغ عدد الذين انتقلوا عليها في العام الماضي ١,١٩٥,٢٦٥,٠٠٠ نفس

(المجانين واسباب الجنون) كان عدد المجانين في انكلترا منذ عشر سنوات واحداً في ٣٢٤ من السكان فاصبح في هذا العام واحداً في ٢٨٨ وكان مجموع عددهم قبل سنة ١٨٦٠ نحو ٣٧,٠٠٠ شخص فاصبح الآن ١١٧,١٩٩ نفساً ٠ وقد وجدوا لهذه الزيادة اسباباً لا توجب القلق على الصحة العمومية ٠ ولكنهم اضطروا الى وضع الاحصاآت للاستدلال على اسباب الجنون فقسموا المجانين الى ثلاثة صفوف (١) اهل الفاقة (٢) المجرمون (٣) الخصوصيون ٠ ويشمل القسم الاخير المجانين في مارستانات الحربية والبحرية ٠ وفرقوا من جهة أخرى بين الذكور والاناث ٠ واليك احصاء المجانين في انكلترا لاول هذا العام :

	الذكور	الاناث
الفقراء او اهل الفاقة	٤٨,٧٨٠	٥٧,٩٩١
المجرمون	٦٦١	٢١٦
الخصوصيون	٤,٢٨٤	٥,٢٦٧
	٥٣,٧٢٥	٦٣,٤٧٤

فترى من هذا الاحصاء ان الاناث فيه اكثر من الذكور بنحو الف نفس ٠ وينسبون هذه الزيادة الى ما يعرض للنساء من الامراض الخاصة بهن ٠ واليك جدول عن مجانين

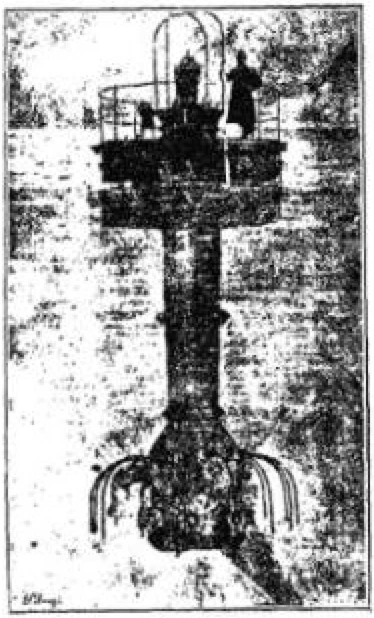
تلك البلاد باعتبار الاسباب الادبية والبدنية في الذكور والاناث — وذلك متوسط الاعد من سنة ١٨٩٨ الى سنة ١٩٠٢

الاسباب الادبية	الذكور	الاناث	الاسباب البدنية	الذكور	الاناث
متاعب بيتية	٣٧٠	٨٨٧	الافراط من المسكر	٢,٢٤٩	٩٧٦
معاكسات الاحوال	٥٦١	٣٦٢	الوراثة	١,٨٢٨	٢,٥١٩
متاعب عقلية	٥٥٩	٦٠٤	الشيخوخة	٦٩٤	٨٧٦
هياج ديني	١١٤	١٦٩	الجوع	٩٧	٩٠
عشق وهيام	٥٣	١٩٤			

فترى من مقابلة الارقام ان أقوى أسباب الجنون المسكرات وان الوراثة اقوى في الاناث منها في الذكور وان حوادث الجنون من العشق في النساء اكثر كثيراً مما في الرجال وان المتاعب البيتية أكثر تأثيراً في عقل المرأة مما في عقل الرجل

(المعى الغليظ واطالة الحياة) الانسان طلاب للبقاء ويسعى في كل ما يطيل حياته وللاطباء ابحاث طويلة في هذا الشأن ٠ والرأي الغالب ان يكون ذلك بمنع الاسباب التي تقصر الحياة واهمها المسكرات فانها تسبب كثيراً من الامراض المضالة ٠ ولكن بعضهم ذكر سبباً آخر هو داخلي في الانسان وذلك ان معاه الغليظ مملوء بانواع المكروب السامة وان هذا المعى لا فائدة له في اعمال الهضم ولا غيره من وظائف البدن وان وجوده حمل ثقيل على الصحة — قدَّر الاستاذ ستراسبورجر ما في المعى الغليظ من الميكروبات فوجد ان بدن البالغ يقتص منها ١٢٨,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميكروب في اليوم بعضها لازم للهضم ولكن اكثرها سامٌّ فلا شك انها تقصر الحياة ٠ ويؤيد ذلك ان الحيوانات التي ليس فيها هذا المعى كالطيور ونحوها هي اطول عمراً من سائر أنواع الحيوان — ويرجو الاستاذ المذكور ان يتصل الاطباء الى استئصال هذا المعى بدون ضرر بل يكون ذلك سبباً كبيراً في اطالة الحياة

(الهيدروسكوب او التلسكوب المائي) اخترع رجل ايطالي اسمه بينو آلة يرى بها قاع البحر مهما كان عميقاً ٠ وكان لا كتشافها تاثير عظيم في العالم المتمدن لانها تهمُّ الباحثين عما في البحار من الدفائن والكنوز فضلاً عن السفن التي تغرق ولا يعرف مقرها ولا يمكن استخراج ما فيها ٠ والآلة المذكورة عبارة عن اسطوانة كاسطوانة التلسكوب لكنها اغلظ



الهيدروسكوب او التلسكوب المائي

منها بحيث يستطيع الرجل النزول فيها بسهولة . وهي مؤلفة من اسطوانات صغيرة متداخلة فيمكن تطويلها وتقصيرها حسب الاقتضاء . وفي اعلى الاسطوانة فوق سطح الماء بناء من الفولاذ مستدير الشكل حوله درابزون من الحديد يحمي الناس من الوقوع ويسع عشرين نفساً وقوفاً على سطحه . وتحته بناء من الفلين في مثل ثخانته يساعد على عومه فوق الماء كما ترى في الشكل . وفي اسفل الاسطوانة اسطوانة اغلظ منها هي عبارة عن حجرة مظلمة كحجرة التصوير الشمسي في محيطها ١٢ عدسية كبيرة كل منها موجهة الى ناحية بحيث يستطاع النظر بها جميعاً الى كل الجهات . فالنظر الى قاع البحر يكون اما بالنزول في الاسطوانة الى الحجرة المظلمة ومشاهدة كل شيء رأساً او ان تستقبل الصور من العدسيات المذكورة الى عدسية في اعلى الاسطوانة بحيث يمكن ان يراها جمهور في وقت واحد

واخترع الايطالي المشار اليه ايضاً آلة لرفع الاثقال من قاع البحر بعد العثور عليها بالهيدروسكوب هي اكياس فيها آلات مفرغة للهواء على اسلوب يرفع الضغط عن

الشيء المراد حمله فيرتفع كأنه من الخشب او الفلين

❊ علاج ضعف البصر بلا نظارات ❊ اكتشف الدكتور ستيفن سميث الجراح الرمدي في مستشفى بترمي بارك في لندن طريقة جديدة لمعالجة قصر البصر او طوله بما يغني عن استخدام النظارات المحدبة او المقعرة . وقد نشر الدكتور المذكور رايه ولم يصرح بسر هذا العلاج ولكنهم يظنونه من قبيل المعالجة باليد كالتمسيد او الضغط او نحو ذلك وقد عالج به ثلاثين شخصاً بعضهم قصير البصر وبعضهم طويله وبعضهم منحرفه فشفوا جميعاً واستغنوا عن النظارات وعاد بصرهم الى نحو ما كان عليه في حال سلامته بعد ان عجز الاطباء عن شفائهم بالوسائل المعروفة . ويقول الدكتور سميث ان علاجه هذا بسيط وخفيف لا الم منه ولا خطر . ولا يمكث العليل تحت العلاج الا بضع دقائق في اليوم ولا يحتاج للشفاء التام اكثر من بضعة ايام

❊ سكة حديد الحجاز ❊ تتألف هذه السكة من الخط الحجازي الممتد من دمشق الشام الى المدينة ومن شعبة حيفا التي تتصل بالخط المذكور في محطة درعا . وقد تمّ من الخط الاصلي ٤٦٥ كيلومترًا تنتهي بمعان وتمّ من شعبة حيفا ٨٢ كيلومترًا وتمّ ١٥ كيلومترًا من درعا الى المزيريب . فمجموع ذلك ٥٦٢ كيلومترًا قد نجزت بجميع لوازمها وصارت صالحة للنقل وتمت تسوية ٥٠ كيلومترًا من التراب واوصيت معامل اوربا على اربعة جسور حديدية اتساع كل منها ١٥٠ مترًا ونجز حفر ٧٠ مترًا من النفق الواقع هناك . وقد بلغت نفقات هذه الاعمال كلها (بعد حسم نفقات خارجية لا علاقة لها بالسكة الحديدية) ١٠٧,٧٦٦,٥٠٣ قروش عثمانية منها ١٠,٧٨٩,١٠٠ قرش دفعت ثمن القضبان والعوارض الحديدية التي اوصي بها لما بعد معان . فاذا أُخرجت من مجموع النفقات كان الباقي ٩٤,٩٧٧,٤٠٣ قروش وهي مجموع النفقة على انشاء ٥٦٢ كيلومترًا فيلحق الكيلومتر الواحد نحو ١٦٩٠ ليرة عثمانية

اما الاموال التي جمعت لانشاء هذا الخط فقد بلغت الى آخر يوليو الماضي ١٥٩,٣٣٥,٩٣٠ قرشاً عثمانياً هاك تفصيلها

بارة	قروش	
٣٦	٦٩٤٠٠٥٤٤	الاعانات المجموعة من المتبرعين
٥	١٠١٠٠٥٤٦	اثمان جلود الاضاحي
١٥	٢٩٧٤٨٠٣٨	الوردات المتنوعة منها عشر معاشات مايو وعوائد المعروضات

وسندات المعاش والنفقات وغيرها »

٢٠	٢٠٢٩٨١٩٩	المخصص من البنك الزراعي بموجب ارادة سنية
٢٤	٣٠٩٩٤١٦٧	(ارباح الريالات التي استجلبت من ولايتي اليمن وطرابلس الغرب (بعد استبدالها بغيرها وتحويلها الى مسكوكات فضية شاهانية
٦	٨٢٢٥٧٧	دخل اجور الركاب والامتعة على الخط العالي وشعبة حيفا
١٩	٥٩٦٩٩٨	دخل بدلات الطرق النقدية في الاقضية الواقعة على ممر الخط العالي
٥	١٦٢٠٢١٠٧٢	المجموع
٢٠	١٤٤٠٠٤	نقود الامانة التي دفعها أصحاب المعامل ليدخلوا في المناقصة
٢٥	١٦٢١٦٥٠٧٦	المجموع
١٩	٢٨٢٩١٤٦	(يخصم منها فرق المجيديات والليرات الاجنبية المودعة في البنك (العثماني بالحساب الجاري والمراجحة عند تبديلها بالعثمانية
٦	١٥٩٣٣٥٩٣٠	الباقي

فيكون الباقي نقداً من أموال هذا المشروع نحو ٥٣ مليون قرش لمواصلة العمل

﴿ عادات الكتاب ﴾

قال الدكتور جونسن « ان الكاتب يكتب في أي وقت أراد وانما يشترط أن يوجه فكره الى ذلك » ويعتقد ترولوب الروائي الانكليزي ان الكاتب يستطيع الكتابة كما يستطيع المشي . والكاتب عنده من يعين عدد الكلمات التي يكتبها في الساعة كما يعين عدد الخطوات التي يمشيها في تلك الساعة . وترولوب المذكور كان يكتب ٢٥٠ كلمة كل ربع ساعة وقد يفعل ذلك ولو كان مصاباً بالدوار على ظهر السفينة . وكذلك كان سوثي الشاعر الانكليزي . ولكن يظهر أن هذه القاعدة ليست عامة في الكتاب وخصوصاً كتاب الادب والشعراء فان منهم من يعد الكتابة من قبيل الوحي أو الالهام . اي ان الكاتب لا يستطيع تنسيق الافكار وتدوينها الا متى أوحي اليه بذلك . ويغلب هذا في نوابغ الشعراء وكتاب الادب — قال السير

ولتر سكوت أنه لا يعرف رجلاً من النوابغ يستطيع التوفيق بين ارادته وقريحته توفيقاً تاماً . وكان شريدان الروائي الانكليزي يستحث قريحته بزجاجة من خمر بورت . وكان فيلدن الروائي يستحثها بالبراندي الممزوج بالماء . وويلكي كولنس كان يجلي ذهنه بالشمبانيا والبرندي . وقد استعان جونسن الانكليزي في تأليف قاموسه بمنقوع الشاي . وكان يعتقد شارلس لامب الكاتب الانكليزي ان الخمر تنير ذهنه وتجلي قريحته . واكثر شعراء الانكليز افراطاً في ذلك بيرنس . وكان داروِن العالم الطبيعي الشهير ينبه قريحته بالنشوق . على أن المنبه العمومي لقرائح الكتاب والشعراء التدخين كذلك كان يفعل ملتن الشاعر الانكليزي مع أنه لم يكن يشرب خمراً ولا يأكل لحماً . وكذلك بكل المؤرخ فلم يكن يبذل ماله الا في شيئين الكتب والتبغ . ومثله تنيسن الشاعر الانكليزي وشارلس كسلي . ويختلف الكتاب في احتمالهم الضوضاء وهم يكتبون وان كانت القاعدة أن يكتبوا في الهدوء والسكينة . فقد كانت جورج اليوت لا تحتمل صرير القلم على الورق . وكانت السيدة اوليفنت تكتب بين ضجيج الاولاد وقرقعة الآنية . وشارلوت برنتي الروائية الانكليزية كانت كثيراً ما تترك القلم ريثما تقشر البطاطس أو تعالج الطعام على النار ثم تعود الى الكتابة ولا يضرها ذلك . وكان السر وولتر سكوت يكتب والاولاد يدخلون غرفته ويخرجون وهم يصيحون ويضجون وهو لا يمنعهم من ذلك . والخلاصة أن خضوع القريحة للارادة من أثمن المواهب وخصوصاً لكتاب الصحف أو المجلات الدورية

مطبوعات جديدة

﴿ الامتيازات الاجنبية ﴾ هو اول كتاب صدر في هذا الموضوع باللغة العربية والناس في شوق الى مطالعته لان الامتيازات الاجنبية تاثيراً كبيراً في احوال هذه البلاد التجارية والقضائية والسياسية . وليس في العربية كتاب وافٍ في حدودها وشروطها . على ان مرارة الصبر لم تذهب عبثاً لاننا توفقنا بعد طول الانتظار الى كتاب يفي بالغرض تماماً ومؤلفه من افذاذ الباحثين في هذا الموضوع نعني به حضرة عمر بك لطفي وكيل مدرسة

الحقوق الخديوية المشهور بابحاثه القضائية والاجتماعية بما ألفه في اللغتين العربية والفرنساوية فضلاً عن معاناة تدريس القانون الجنائي وغيره بمدرسة الحقوق المذكورة سنوات عديدة . وفي الكتاب بعد المقدمة فصلٌ في اصل الامتيازات الدولية وتاريخها وقد تتبع الموضوع الى اصله وحلل مواده تحليلاً تلذ مطالعته . يليه فصلٌ في الامتيازات بمصر قبل المحاكم المختلطة وآخر في الامتيازات بعدها وفصل مريان القانون الجنائي على الحوادث التي تقع خارج القطر وغيرها . و يتخلل الكلام في ذلك ابحاث وانتقادات تدل على علم وفضل واعتدال وروية فنثني على حضرة المؤلف ثناء جميلاً ونحث الادباء على مطالعة كتابه النفيس

﴿ تاريخ البابية او مفتاح باب الابواب ﴾ البابية فرقة اسلامية ظهرت في بلاد فارس في اواسط القرن الماضي زعيمها رجل من شيراز اسمه ميرزا علي محمد وسمى نفسه الباب وكان لمذهبه شان في تاريخ الاديان . وقد كتب في تاريخ هذه الفرقة غير واحد من كتاب الفرس والافرنج ولم يكتب عنها في العربية الاَّ شذرات متناقضة لا تشفي غليلاً والناس في تشوق للوقوف على الحقيقة . فاستنهضت الاريحية حضرة العالم الفارسي زعيم الدولة الدكتور ميرزا محمد مهدي خان رئيس الحكماء الايراني نزيل القاهرة صاحب جريدة حكمت الفارسية لتدوين تاريخ هذه الفرقة باللغة العربية وفي كلامه فصل الخطاب لسعة علمه ودقة نظره ونزاهته وصدق لهجته . فضلاً عما اخذه عن المرحوم والده شفاهاً لانه رأى الباب و باحثه بمحضر ناصر الدين شاه ملك الفرس السابق وهو ولي عهد . وقد قصد حضرة المؤلف مدينة عكا بنفسه وعاشر البهاء خليفة الباب هناك وعاشر ابناءه وخيرة اتباعه وطالع كتبهم ودرسها جيداً ثم الف في تاريخ البابية كتاباً سماه « باب الابواب » فجاء كتاباً ضخماً فاختصره في كتاب سماه « مفتاح باب الابواب » وقد طبعه في نحو ٤٥٠ صفحة . وفي صدره مقدمات جليلة وفصول وافية في اصول الديانات الشهيرة في العالم وهي سبع البوذية والبرهمية والفتشية والزردشتية والاسرائيلية والنصرانية والاسلامية وفصلٌ في من قام بدعوة المهدوية والعيسوية . واستغرقت هذه المقدمات مئة وعشر صفحات . ثم تقدم الى ترجمة الباب من ولادته الى وفاته و يتخلل ذلك بيان تعاليمه واحكامه وشرائعه واقواله ومراسلاته مما لم يسبق نشره قبل الآن . ويدخل في ذلك أيضاً كتبه الى ملوك اوربا واوامره لاتباعه وتاريخ البابية منذ ظهرت في بلاد فارس حتى انتشرت في اميركا وغيرها . والكتاب حسن السبك متقن الطبع وثمن النسخة في القطر المصري عشرون قرشاً وفي الهند ثلاث روبيات وفي روسيا روبلان وفي بلاد فارس تومان وفي سائر

الاقطار خمسة فرنكات . ويطلب من مكتبة الهلال بمصر وفي الهند من ادارة جريدة حبل المتين . فنحث طلاب الادب على مطالعته لانه فريد في بابه وقد اعلن سعادة المؤلف انه جعل ما يحصل من ثمنه وقفاً لاعالة الملهوفين واعانة المنكوبين جزاه الله خيراً

﴿ جمعية احياء التمثيل بالاسكندرية ﴾ تألفت هذه الجمعية بالاسكندرية في اوغسطس سنة ١٩٠٣ برئاسة حضرة مصطفى افندي طاهر واسمها يدل على موضوعها . وقد جاهدت في سبيل بقائها ونموها جهاداً حسناً فانقضت سنتها الاولى وقد رسخت قدمها وظهرت ثمارها فمثلت اربع روايات جديدة واجادت في تمثيلها واصدرت تقريرها الأول وبينت فيه اعمالها ودونت حسابها . ويستدل من مجمل ذلك على نشاط القائمين بشؤونها وتفانيهم في الخدمة العمومية لانها انما تعمل سعياً في سبيل البر ولا غرض لها غير ذلك . فمثل هذه المشروعات يجب تعضيدها والأخذ بناصرها لان في انشائها نصرة للفضيلة وفي بقائها دليل على نمو الحاسة الادبية وحجة تفحم الذين يشكون قلة اسباب التسلية الادبية في الاسكندرية ويجعلون ذلك ذريعة لتحليل المقامرة — فنثني على القائمين بمهام هذه الجمعية ونرجو ان يكونوا قدوة لسواهم في انشاء امثالها لما في ذلك من اللذة والفائدة والخدمة العمومية

﴿ الارجوزة المصرية ﴾ نظم حضرة اخنوخ افندي فانوس المحامي الشهير ارجوزة تبحث في تاريخ اليابان واسباب تقدمها وان كثيراً من الشرائع الدينية نشأت على مقتضيات الزمان والمكان ويتخلل ذلك نصائح للامة المصرية وابحاث في تحرير المرأة واضرار تعدد الزوجات والطلاق والتسري ومباحث أخرى — كل ذلك في ٤٣٠ بيتاً . وقد عرفنا اخنوخ افندي محامياً بارعاً وخطيباً بليغاً وعالماً قضائياً ولم يكن يخطر لنا انه ينظم الشعر ولا هو يزعم ذلك فلما دعت الحالة الى النظم نظم وأجاد . ويدل ذلك على ان أصحاب العقول القوية لا يعجزهم الاجادة في اي موضوع وجهوا اليه افكارهم . وفي الارجوزة كثير من الفوائد الادبية والاجتماعية والسياسية فنحث على مطالعتها

﴿ الفرج بعد الشدة ﴾ صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب النفيس تأليف القاضي أبي الحسن التنوخي المتوفى سنة ٣٤٨ هـ وهو من خيرة كتب الادب العربية .

وكثيراً ما تشوقنا الى مطالعته لما نعرفه من شهرة مؤلفه وما يرويه كتاب العرب المتقدمين من أقواله . وكانت نسخه الخطية قليلة فعني حضرة محمود افندي رياض نجل السيد ابراهيم بك عبد العزيز في نشره عن نسخة خطية كانت عند المرحوم جده بعد مراجعتها على نسخة أخرى في دار الكتب الخديوية . صدر الجزء الاول من هذا الكتاب في العام الماضي وقد صدر الآن الجزء الثاني وهو من كتب الادب التي يجب اقتناؤها ويباع في مكتبة الهلال وثمن الجزئين عشرة قروش وأجرة البريد ثلاثة قروش

(تاريخ علم الادب عند الافرنج والعرب) ليس بين قراء الهلال من لم يعرف هذا الكتاب لما نشرناه من فصوله في أهلة السنين الماضية . فالكتاب المذكور قد تمَّ طبعه كاملاً على ورق صقيل نظيف وهو يشتمل على مقدمات تاريخية واجتماعية في علم الادب عند الافرنج وما يقابله من ذلك عند العرب في ابان تمدنهم الى عصورهم الوسطى وما اقتبسه الافرنج عنهم في الادب والشعر في نهضتهم الاخيرة وخصوصاً على يد فيكتور هوكو . ويلحق بذلك ترجمة هذا الشاعر الفيلسوف ووصف مناقبه ومواهبه ومؤلفاته ومنظوماته وغير ذلك . وقد عرف القراء بلاغة «المقدسي» مؤلف هذا الكتاب مما نشر في الهلال من نفثات أقلامه غير مرة فلا حاجة بنا الاطناب . والكتاب ٢٧٢ صفحة كبيرة ويباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة عشر قرشاً أو أربعة فرنكات وأجرة البريد قرشان أو نصف فرنك

✻ السر المكنون في ابحاث الطاعون ✻ هو اوسع كتاب صدر في العربية بهذا الموضوع لمؤلفه الدكتور اسماعيل بك رشدي حكيمباشي مديرية اسيوط بحث به في الطاعون وانواعه وتاريخه القديم والحديث وخصوصاً في مصر وعدواه وميكروبه . وقد اوضح ذلك برسوم عديدة بيّن فيها انواع هذا الميكروب واشكاله وتبايناته واحواله وبحث في طريقة جني الدم لاكتشاف ميكروب الطاعون وتلوينه واستنباته وحياته وطريقة العدوى به وعواملها واسبابها الشخصية ومدة الحضانة واعراض الطاعون وعلاجه والتطهير منه واحكام ذلك بالنظر الى السفن واحكام خصوصية للبلاد الخارجة وما يتعلق بالحج وغير ذلك مما يدل على طول باع حضرة المؤلف في هذا الموضوع

العدد الرابع

أول يناير سنة ١٩٠٥ م



حمورابي ملك بابل

واقفاً بين يدي إله الشمس يصلي له